المجلد 107

الموسم

موسوعة فصلية تعنى بالآثار والتراث تصدرها أكاديمية الكوفة في هولندا
السنة السابعة والعشرون / 2015م - المجلد 107

صاحبها ورئيس تحريرها
محمّد سعيد الطريحي



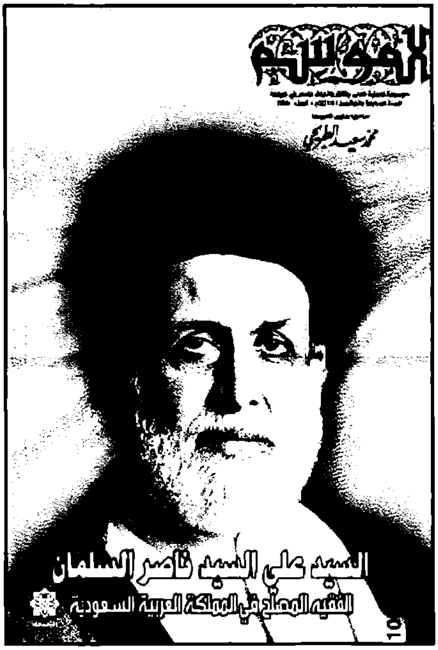
الدكتور

عبد الهادي الفضلي

رؤى في فكره وإنجازاته

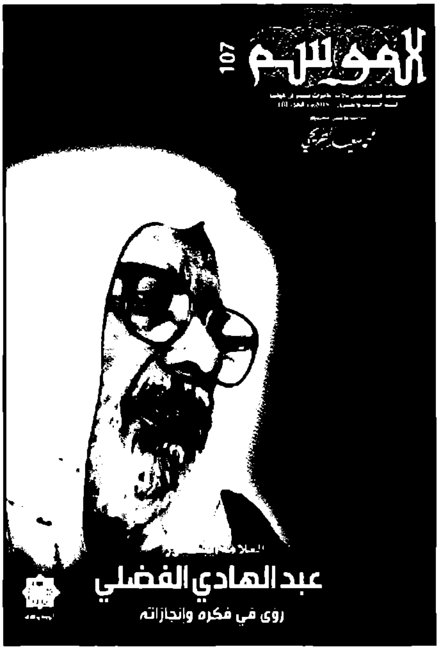
الكوفة
Kufa Academy

آخر إصدارات موسوعة الموسم



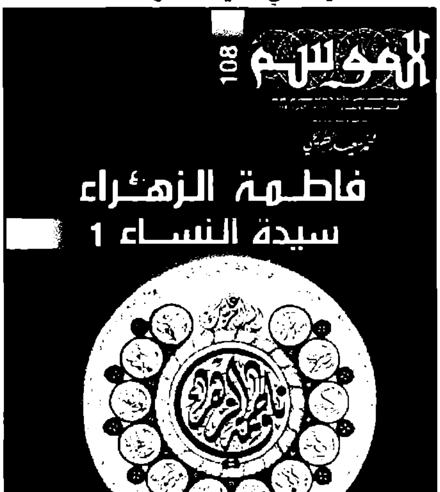
موسوعة الموسم، الجزء ١٠٦ (عدد الصفحات ٤٢٤ ص)

السيد علي السيد ناصر السلمان



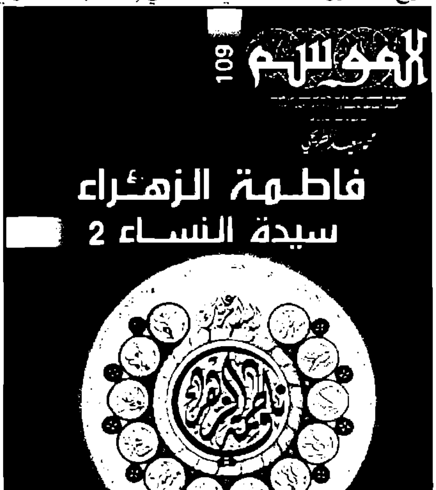
موسوعة الموسم، الجزء ١٠٧ (عدد الصفحات ٨٣٦ ص)

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (الكتاب التذكاري)



موسوعة الموسم، الجزء ١٠٨ (عدد الصفحات ٨٠٠ ص)

السيدة فاطمة الزهراء، سيدة النساء (القسم الأول)



موسوعة الموسم، الجزء ١٠٩ (عدد الصفحات ٨٠٠ ص)

السيدة فاطمة الزهراء، سيدة النساء (القسم الثاني)

أول الموسم

خواطر عن العلامة الفضلي

المحمودُ لله جلَّ جلاله، والمُصَلَّى عليه محمد وآله، وبعد:

فهذه كلمات موجزات جئتُ بها مفتتحاً للجزء الخاص من موسوعتنا عن أحد المفكرين والمُصْلِحين من أعلام أمتنا ورموز نهضتنا، صاحب المروءة والإيمان والعقل واللسان الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (١٣٥٤ ـ ١٤٣٤ هـ/١٩٣٥ ـ ٢٠١٣م).

وهو ممن تشرفت بمعرفته منذ أمد طويل ، وللحق أقول ما عرفه أحد حق معرفته إلاّ ذكره بكل خير ، وحين نذكره اليوم، فإنما نتذكر عالماً عظيماً نماه الله إلى نبعة العلم الأصيل التي نشطَ في رحابها أكثر من خمسين عاماً في سبيل بثّ الوعي والثقافة، والتوجيه الديني والثقافي وإشاعة مفاهيم السلم والتعايش والحرص على الوحدة ولمّ الشَمْل، والعمل من أجل تحويل الفكر الإسلامي إلى واقع عملي تعيشه الأمة، وكتب في سبيل ذلك التصانيف المبتكرة والأبحاث السديدة التي استحضر فيها خبرته الواسعة من أجل التجديد والنهوض بالمجتمع للارتقاء في مختلف مجالات الحياة.

ولد العلاّمة الفضلي في العراق، وعاش في حاضرة النجف، وقضى فيها زهرة شبابه ، وأعوام نضوجه الفكري، إذ كانت أيامه فيها زاهية برجالات العلم والاجتهاد، وأساطين الفكر ونبغاء الأدب، فنهل منها وبقي وَفيّاً لها طيلة عمره..

لكنه فارقها ــ على حين غِرة ــ فبقيت في نفسه من تباريح الشوق النجفي، حسرات بل جمرات مشتعلات في لُبِّه وقلبه (حتى قضى الله أمراً كان مقدورا).

وما فارقها عن قِلى أو هوى، ولكنها الأقدار، والطلب، الذي مسَّه من الحكّام الجائرين الذين عاصرهم وقاومهم قولاً وعملاً، وقد شهدت النجف وحوزتها وعلمائها – في تلك الأيام السوداء أقسى أنواع العنف والظلم والتقتيل، وبعد أن طفح الكيل ولاقى من ذلك بَرْحاً بارحاً، استبدَّ به القلق فآثر الهجرة إلى منبته الأول، أرض الأحساء الطاهرة، فأسعده الله بين أهليه بعد بُرَحاء الحُمَّى ، وسرعان ما عاود نشاطه كما بدأه حفيّاً بكل جميل وجليل من الأعمال والأنشطة العلمية.

وما أن استقرَّ بهِ النَّوى حتى انتوى حاملا عصا الترحال ليتابعَ مسيرته الأكاديمية في مصر، فحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة، وعاد إلى بلده أستاذاً ملء العين والبَصَر، في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وكان مقامه مشهوداً في الدفاع عن سلامة العربية، والعمل على إثرائها لتساير ركب الحضارة، ولم يَنسَ واجباته من الإرشاد الديني والتوعية الثقافية والاجتماعية، وكانت داره التي أسماها بـ (دارة الغَريّين) تيمناً باسم النجف القديم (الغَريّ)، تلك الدار المباركة (بمباركية الدَّمام) كانت أشبه بندوة نجفية يتحلق فيها أصحابه وقُصاده أوقات العشايا ويخوضون في كثير من قضايا العلم ومشاكل المجتمع مع ما كان يتخللها من أدب السمر والظرف.

كان ـ رحمه الله ـ وفياً لأصدقائه ومريديه، ولا أذكر مرة زار الشام، أو أيّ مكان يعرفُ أنني أحلُّ فيه ، إلاَّ وسأل عنّي وكان يشرفني بطلعته البهية، ويؤنس غربتني بنوره وابتسامته، ومن لطفه أنه كان متابعاً لموسوعة (الموسم) ودعمها ورفدها ببحوث قيمة من قَلمه الثر، والتي كان من بينها مجمل ذكرياته عن والده العلامة الشيخ مرزا محسن بن سلطان الفضلي، المنشورة في (الموسم) تحت عنوان (في ذكرى أبي)، وبحوثه عن معالم الحج والزيارة وقبر أبي ذر (رض) وغيرها من المقالات النافعة، وكان يبشّرني بنجاح (الموسم) لاتخاذها طريق الوسطية، وأنها ستشجع الآخرين على الاقتداء بها، بل جرى البعض على تقليدها ، وهذا من بيِّنات نجاحها .

وأن أنسَ فلا أنس إطلالته الرائعة يوم التقينا بلندن في مناسبة عيد الغدير الأغر (في الثاني عشر من تموز ١٩٩٠) وكان بصحبته نجله الأستاذ فؤاد، الذي خلفه في مكارم أخلاقه ووفائه ، فأنجز هذا العمل الهام الذي يُؤرخ لأبيه العلَم الهادي.. وحين التقت نظراتنا في صالة (Ramada Hotel) لم أكن أتبيِّن شَخْصَه، لكنه لَمَحني باكراً وألحَّ في التحديق إليَّ، وبادرني قائلاً: ألم تعرفني!!، ثم تشابكت الأيدي والأعناق، وكانت فرصة من سوانح الدهر أحسست فيه بمدى الصدق وحرارة اللقاء والأريحية التي تربطنا معاً .

تمرَّس العلامة الفضلي في التدريس و تربية أجيال من طلبة العلم مستفيداً من كنوز علميته الجامعة في الفقه والعلوم التقليدية التي أتقنها في حوزة النجف، بالإضافة إلى تجربته الغنية المتعددة الآفاق والأبعاد وإطلاعه على الفنون والآداب الأخرى التي شدا منها حتى أصبح موسوعياً في ثقافته العامة، وجعل من معارفه المتنوعة نتاجاً وافراً بلغ عشرات الكتب ومئات المقالات التي جمعت بين المنهج المتزن والحداثة في التجديد والتطوير، فأسدى بذلك خدمات جليلة إلى دينه وأمته ولغته، ولو سلطنا الضوء على ما أسلفنا ذكره من المنهجية العلمية التي اتسمت بها آراؤه وأفكاره، لوجدناه من دعاة الدراسة والتدريس وفق آخر ما تطور إليه العلم في فن المناهج، وهو على طريقة أُستاذيه: الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد باقر الصدر (عليهما الرحمة والرضوان) حريص ـ كما كانوا ـ على استحضار أدوات المعرفة

الإنسانية والإدارة البحثية السليمة، محاولاً تقديم الحلول للتحديات التي واجهت وتواجه الفقه الإسلامي عامة والفقه الإمامي خاصة، فوضع الدراسات المقارنة في أصول الفقه والدراسات اللغوية، كما كتب في النحو والرجال والكلام والحكمة والحديث والأدب، وحرص على الجيل الجديد فقدّم لهم ثمرات يانعة من الدروس والمبادئ الأولية والمختصرات التي تُعينهم في أن يتمثّلوا طريقهم الصحيح المُفضي إلى الدراسة المنهجية الصحيحة.

وقد عُرف في (المملكة) أستاذاً كبيراً، وكاتباً مرموقاً، ومحققاً ثبتاً، داعياً إلى سبيل الحق ومساهماً لإنهاض العربية وعلاج مشكلاتها وإخراج الأصيل من التراث، وكان هناك كما كان في كل مكان يحله موضع ثقة الجميع، دائب الجهد و النشاط لخدمة العلم و أهله ، حتى أُصيب بالداء العضال، وانتقاله إلى دار الخلود.

كان الدكتور الشيخ الفضلي عالماً جليلاً ، عالي الهمة، واسع الثقافة، أبياً شَهْماً، مترفعاً عن السفاسف، طاهر النفس والجيب، ولئن اختاره الله إلى جواره فإن ذكراه ماثلةٌ في خَواطِرنا، وستَبقى آثاره شاهداً على آرائه الحيَّة الفَذَّة، نسأله تعالى أن يقبل منه الكلم الطيب والعمل الصالح (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).

رحم الله أبا عماد وأثابه وجزاه الجزاء الأوفى.

هولندا

محمد سعيد الطريحي



العلامة الشيخ الفضلي والشاعر الدكتور السيد مصطفى جمال الدين وصاحب موسوعة الموسم محمد سعيد الطريحي. التقطت في دمشق على رصيف شارع المزة أوتوستراد عام ١٩٩٥.

فهرس

في البدء .. كلمة

■ فؤاد عبد الهادي الفضلي ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وسلامٌ على خير خلقه الأمين وأهل بيته الطاهرين، وبعد:

ما بين يدي القارئ الكريم الملف الخاص من مجلة الموسم القديرة عن حياة سماحة العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي ﵀.

ونستهل التقديم بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ لأنها تمثل وصفًا ومصداقًا قريبًا من شيخنا الفضلي الذي آتاه الله الحكمة بمشيئة منه تعالى، فكانت هذه الحكمة كما أشارت الآية هي السر في أنه أوتي خيرًا كثيرًا.

وقد حاولنا فيما جمعناه في هذا الملف الخاصّ أن نقف عند أكبر قدر من هذه الحكمة التي جمعها ووهبها العلامة الفضلي في مسيرته المباركة، مع إطلالات على جوانب متعددة أخرى من سيرته وتوثيقها بما قدر لنا.

ويظهر الملف بعد تأخير دام عدة أعوام منذ تلقينا الدعوة الكريمة من الأخ الجليل الأستاذ محمد سعيد الطريحي رئيس التحرير، زاده الله توفيقًا بما يقوم به من دور مهمّ في نشر تراثنا العربي الإسلامي والتعريف بأحداثه ورجالاته ومنجزاتهم العلمية والعملية.

وقد تأجل الإعداد من قبلنا في لجنة مؤلفات العلامة الفضلي مرتين، الأولى كانت بسبب الارتباط بالمراحل الأولى لتأسيس وعمل اللجنة في إعادة إصدار مؤلفات الشيخ الدراسية في مجموعات علمية تحت إشرافه المباشر، إذ أخذت جهدًا

غير قليل من صفٍّ وإخراج وإشراف على الطباعة والنشر شملت (١٦) كتابًا دراسيًّا وأكثر من (٢٠) مؤلفًا من مؤلفات الشيخ الأخرى، بعضها جديد، وبعضها بتدقيق وقالب وتنظيم جديد. وقد عملت اللجنة دؤوبةً في تلك الفترة لجمع وحفظ ونشر تراثه الفكري الغني والمتنوع.

ثم، وبعد أن بدأنا بإعداد الملف والانتهاء من مسودته الأولى، صادف ذلك قبل رحيل سماحة الشيخ ﵀ إلى بارئه عَزَّوَجَلَّ بفترة وجيزة، فكان التأخير الثاني حيث عملنا في اللجنة على إصدارات خاصة إحياء لذكرى الأربعين ثم الذكرى السنوية.

ولأن الملف كان قد أعدّ في حياة الشيخ ﵀، فقد اشتمل على مختارات من دراسات وبحوث ومقالات منشورة وغير منشورة لعددٍ من الكتّاب خلال حياته المباركة، ولكون ما صدر بعد رحيله من مواد مهمة بحثية ومقالية وغيرها، لا يمكن جمعه مع ما حواه الملف الأول في عدد واحد من المجلة، اتفقنا مع الأستاذ الطريحي أن يصدر الملف في جزأين تضم مختارات متنوعة مما كتب عنه قبل وبعد رحيله ﵀.

□ محتويات الجزء الأول من الملف

تنوّع هذا الجزء كما سيرى القارئ العزيز إلى أربعة أقسام، بدأ بقسم أول بعنوان: (خلاصة الذكريات وفهارس المنجزات)، تناول مقتطفات من سيرة العلاّمة الفضلي العلمية والنضالية، ومسارد إحصائية لمؤلفاته وأبحاثه ومقالاته وتقديماته، مختومًا بعرض شهاداته وجوائزه العلمية.

فيما تناول القسم الثاني (قراءات في المنهج العلمي والتربوي للدكتور الفضلي) في ثلاثة فصول، هي:

- الدراسات والبحوث
- قراءة في تجربة المناهج
- شهادات وفاء وعرفان

وهو القسم الذي ضم مواد بحثية ومقالية كتبت ونشرت حول المنهج العلمي والتربوي للشيخ الفضلي.. وقراءات في لبنات مشروعه تجديد المناهج الدراسية، وحوى بعضها جوانب من أسلوبه وصفاته الشخصية. وخُصص القسمان الأخيران الثالث والرابع لوثائق مختارة من أرشيف شيخنا الفضلي، ضم الثالث مجموعة من

رسائل من رفاقه في الحوزة والجامعة. وضم القسم الرابع عددًا من (رسائل وبيانات التأبين برحيل العلامة الفضلي).

☐ تنوع العطاء بين الأجيال

وتنوع المشاركون في هذا الملف بين طلاب مباشرين وغير مباشرين ممن عرفوا الفضلي مربيًا للجيل بمؤلفاته ومحاضراته واحتضانه للحركة الثقافية والعلمية والنضالية.. عرفوه في مراحل حياته المختلفة التي ابتدأت في العراق بحواضره النجف الأشرف والبصرة وبغداد، ومن ثم في الحجاز غرب الجزيرة العربية، وأخيرًا استقراره في موطنه الأم بشرقها، حيث واحتاها الخالدتان الأحساء والقطيف.

ومن الفرائد اللطيفة التي يتصف بها الشيخ أنه متعدد الانتماءات الجغرافية، فنرى أن كل مجتمع أقام فيه يحسبه منه ويعده من رجاله وشخصياته، فهو الأحسائي، والبحراني (بمثلثها الأحساء والبحرين والقطيف)، والبصري، والنجفي، و(العراقي)، والحجازي، و(السعودي).. ويلاحظ ذلك أثناء ترجمته في تراجم الرجال ومعاجم الكتّاب والمؤلفين والعلماء والأدباء في هذه المجتمعات، وسيلاحظه القارئ في عناوين موادّ هذا الملفّ، وذلك حسب انتماء الكاتب. ومن أمثلة ذلك ما أشار له السيد محمد الحسيني في مقاله عن فقاهة الشيخ الفضلي بقوله: «وإذ انتمى الشيخ الفضلي لمنطقة الأحساء، تلك المنطقة الزاخرة بالعلماء والأدباء، فإنه ينتمي - أيضًا - إلى مدرسة النجف الأشرف، وهو ابن العراق ولادةً ونشأةً».

وقد سألنا الشيخ يومًا عن أقرب هذه الانتماءات إليه، فأجاب بأنه يعتز بها جميعًا، وإن كانت النجف الأشرف هي الأقرب إليه، وحين خصصنا السؤال أكثر عن المجتمع الذي يشعر بالانتماء الحقيقي إليه فكرر الجواب بأنه النجف الأشرف، وهو ما يبرّر إشارته إلى شوقه إليها وما يشعر به من حنين إلى ترابها كوطن وأكثر من وطن بمعناه التقليدي، ويقول ـ عن اعتقاد ويقين ـ: «إن النجف لا تشبهها مدينة ولا يشبهها مجتمع في العالم كله من نواحٍ كثيرة، فهي بيئة زاخرة بالعلم والأدب والدين والعلاقات الاجتماعية المحببة والطبائع العربية المتلاقحة مع شعوب وحضارات متعددة، وهي المدينة الأشبه بالجامعة العلمية المفتوحة في كل مكان فيها وفي كل أوقاتها، تجمع مدارس علوم الفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة العربية والمعارف العقلية العاملة نهارًا، والمدارس العلمية الليلية عبر مجالس العلماء والنوادي الأدبية، وفيها وفيها».. وحديثه عن النجف بلا نهاية. وليس خفيًّا

على الحاضرين مجلسه استماعهم لهذه اللغة الفضلية المفعمة والمعطرة عن النجف الأشرف، حتى قد ينتاب البعض وهو يستمع إليه شعور بالأماني لو قدر لهم أن ينعموا ويعيشوا في تلك البقعة الطاهرة الكريمة.. وقد سمعناه يقول تفسيرًا لذلك بأن لخلود النجف سرًّا زرعه أمير المؤمنين عليه السلام منذ اختارها عاصمة لدولته وأسس فيها مدينته العلمية.

ونضيف أنه لا عجب بانتماء الفضلي للنجف، فهي إضافة للجانب الروحي الذي ذكره، فهي بيئة الصبا والشباب التي نشأ وتعلّم وتربّى وتكوّن فيها، وهي التي فيها أخِلّاؤه وأعزُّ أصدقائه، وأساتذته وزملاؤه وتلامذته، حتى أنه أسمى داره في الدمام (دارة الغريين) اعتزازًا وانتماءً وتشوّقًا لبلدته النجف..

وكما سيلاحظ القارئ الكريم، فإن موادّ الملف لكونها من أقلام مختلفة - حوزوية وأكاديمية - ضمت صورًا وإضاءات متعددة من حياة **الشيخ الفضلي** الفكرية وتراثه العلمي تمثل مدخلاً ومنطلقًا لبحوث تحليلية أعمق وأحكم.

☐ سمات تميز بها الفضلي

السمة الأولى: مشروع بحجم ثورة علمية

هل يمكن للإنسان أن يسير في طريق واحدة طيلة حياته ليصل إلى هدفٍ ومشروع كبير جدًا رسمه لنفسه في مقتبل شبابه، فتراه يقطع مديات الحياة - الأيام والسنين - بإصرارٍ وعزمٍ على المضي في خط سيره لا يحيد عنه، حتى يكمل مشروعه لَبِنَةً لبنة ويكتمل البناء الضخم الذي يشيده طبقة طبقة، ويصارع خلال هذا المسير الطويل طبيعة النفس البشرية التي تتأثر بتقلبات الحياة سلبًا وإيجابًا؟

يُطرح هذا السؤال لاستقراء سرٍّ من أسرار نبوغ المعرفة عند **العلامة الفضلي** وأقرانه من رجالٍ أحيت حياتُهم تاريخَ الأمة، وصنعت جهودُهم حاضرَها، وبَنَتْ وستبني مستقبلها.

وخطر السؤال ببالنا أكثر من مرة عندما بدأنا نعمل في لجنة مؤلفات الشيخ التي تأسست عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م بعد مرضه قبل الأخير وقبل وفاته قدس سره بسنوات قليلة بطلبٍ منا، ونتيجة لمتطلبات العمل تتبعنا مقدمات مؤلفاته في طبعاتها النجفية الأولى، ووجدناه يشير في تلك المقدمات إلى مشروعه التجديدي، وكان في كل

مؤلف جديد يذكر أنه حلقة من حلقات المشروع، ويعدّ قائمة في تلك المقدمات لما اكتمل من مشروعه.

لقد بدأ مشروعه في تجديد مناهج الدراسة للعلوم الشرعية يوم كان يمارس التدريس في متوسطة وثانوية منتدى النشر، فكان مؤلفه الدراسي الأول وهو (التربية الدينية)، ثم كتبه (مختصر النحو وموجز التصريف وخلاصة المنطق ومبادئ أصول الفقه) التي ألّفها في كلية الفقه، وتلاها حلقات متتابعة في المشروع خلال تدريسه في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ثم الجامعة الإسلامية بلندن، حتى إكماله مجموعته الكاملة بكتابيه للبحث العالي (دروس في أصول فقه الإمامية ودروس في الأصول).

بلغ عدد مؤلفاته الدراسية ضمن هذا المشروع للمراحل الدراسية المختلفة اثنان وعشرون كتابًا دراسيًّا، شملت المجموعات التالية:

مجموعة أصول الفقه	(٤) مؤلفات
مجموعة المعارف العقلية	(٤) مؤلفات
مجموعة علوم القرآن والحديث	(٤) مؤلفات
المجموعة الفقهية	(٤) مؤلفات
مجموعة المعارف العامة	(٢) مؤلفين
مجموعة اللغة العربية	(٤) مؤلفات

وحين سؤالنا له ﷺ عما تبقى من مشروعه بعد أن أضاف في مرضه الأخير كتابيه (الموجز في التجويد) و(خلاصة الحكمة الإلهية)، قال: لديه كتاب واحد، هو (الوسيط في النحو) بدأ به ولم يكمله.

إن حجم المشروع باشتماله لكافة العلوم الشرعية ومقدماتها بمراحلها المختلفة تقريبًا، والمنهجية والتنظيم الجديدين في تأليف هذه المؤلفات، يتطلب عمل مراكز علمية ولجان متخصصة ومراجعين ومدققين لكل مؤلف منه.

وقد دخلت جلّ هذه المؤلفات عالم الدرس الحوزوي والأكاديمي مقرراتٍ دراسيةً وأخضعت للتجربة سنين طويلة، وترجم عدد منها إلى الفارسية والإنجليزية وقررت للتدريس في بعض الجامعات الإيرانية والإنجليزية، كما أن عددًا منها يدرّس في الكليات والجامعات العربية في المشرق والمغرب العربي.

وإن نظرنا إلى المشروع كمنجز، كان وما يزال يساهم في نقلة نوعية في حوزاتنا مثّلت جسرًا ربط الحوزة بالحياة المعاصرة من جهة، وهو دور مهم جدًا كانت مؤلفات الشيخ الأبرز والأوسع أثرًا عمليًا في هذا الدور.

فإنه من جهة ثانية، وهي الأهم ربما، قدّم الفكر الإمامي بجميع علومه الشرعية إلى العالم بلغة معاصرة ليساهم في إخراج هذا التراث الإسلامي الأصيل المتمثل بمذهب أهل البيت ﷺ إلى الآخر الإسلامي والعالمي، وقد صدق الشاعر الصحيّح حين أسماه في قصيدة رثائه (فقيه النور):

إيـــهٍ فقيـهَ النـــورِ حيــث تَــدَفَّقَتْ — مــن أُفْقِــكَ العــالي طلائــعُ فجــرِهِ
مــاذا بلغــتَ مــن النبــوءةِ حينمـــا — هَرَّبْتَ رأسَكَ من نوافذِ عصــرِهِ؟!
شَعَّتْ بِـكَ الرُّؤيـا تُطِـلُّ عـلى غَـدٍ — آتٍ، يطـــرِّزُهُ الســـلامُ بطُهْـــرِهِ
إيـــهٍ فـــقيهَ النـــورِ.. إنَّ رســالةً — حَمَلَتْ لهـذا الجيـلِ شـارةَ نصــرِهِ
يا صانعَ الزمنِ الجميلِ بمـا احتـوَى — مــن فكــرِ ثورتــهِ وثــورةِ فكــرِهِ

والمشروع بهذه وبتلك، وبحجمه الكمي والنوعي كان بالفعل (ثورة علمية) تضاهي الثورات السياسية والاجتماعية، بل تبرزها؛ لأنها إصلاح للفكر الذي هو الأساس لأي إصلاح آخر.

السمة الثانية: الفقيه الدكتور

وقد يكون حجم المشروع الكبير والإرادة القوية في تنفيذه والنظر إليه بمسؤولية شرعية عايشناها وسمعناها منه ﷺ، هي الدافع الذي جعل الشيخ يهب حياته كلها للعلم دراسة وتدريسًا وبحثًا وتأليفًا، وهي الدافع الحافز وراء اتجاهه للدراسة والتدريس في الوسطين الحوزوي والأكاديمي، والمكافحة ليجتهد في الوسطين ويصل الدرجة العليا فيهما، وهدفه الذي سعى لتحقيقه هو أن تجمع مؤلفاته الدراسية بين الأصالة والمعاصرة من متمكن متبحر في عالميهما، وقد كان بذلك من أوائل من حمل الشهادتين بين علماء الإمامية المعاصرين: الفقيه الدكتور.

السمة الثالثة: الموسوعية العلمية

ومن عملنا في اللجنة والمعاشرة القريبة للشيخ، اطلعنا على طريقته الدقيقة والمنظمة والمخططة في البحث وتأليف المقرر الدراسي، والتي تتطلب معرفة واطلاعًا

على المصادر المتقدمة والمتأخرة والمعاصرة في العلم، وقراءة ومعرفة دقيقة بهذه المصادر ومصطلحات العلم وتاريخه ومنهجه، وجمع الآراء في كل مسائله وأدلتها وتحليل ومناقشة الأدلة، ووضع وتبويب المقرر وفق منهج علمي عام وآخر خاص بالعلم.. إلخ. والصعوبة وبذل الجهد يتضاعف عندما يكون رائدًا في التأليف في بعض العلوم التي أدخلها عالم الدرس الحوزوي، مثل كتبه (تاريخ التشريع الإسلامي، أصول الحديث، أصول علم الرجال، أصول البحث، الدولة الإسلامية .. وغيرها).

إن نتيجة هذا التبحر في أعماق العلوم المختلفة والدراسة والتحليل والتأليف، كانت (موسوعية الشيخ العلمية) التي أحاطت بالتراث العربي والإسلامي بصورة فريدة جدًّا، عرفها كل من عرف الشيخ، ومن اطلع على مؤلفاته وبحوثه ومقالاته، وسيجد القارئ في طيات هذا العدد ما يلقي الضوء على هذه الموسوعية التي أشار عدد من الكتّاب إليها، وكان ممن أشار وركّز على هذه الموسوعية الدكتور الشيخ محمود المظفر في كلمة له عن الشيخ ألقيت في سيهات.

وفي الختام، نرجو أن يقدم هذا الملفّ صورة تعريفية وافية عن أستاذنا العلامة الفضلي، وتوثيقًا لتراثه العلمي الحافل كأحد الأعلام الطليعيين المعاصرين في عالمنا العربي والإسلامي، وندعو من خلال مجلة الموسم الغرّاء المثقفين والكتّاب إلى الاستفادة من تراث الشيخ ونتاجاته العلمية التي نعمل في لجنة مؤلفاته على إحيائها ونشرها .. والله تعالى وليّ التوفيق.

عن لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي
١٤ محرّم ١٤٣٦هـ

شهادات مقتطفة

□ المرجع الديني الشهيد محمد باقر الصدر

«..إنَّ أمثالكم ممن يرفع الرأس عاليًا ويشكل رقمًا من الأرقام الحيّة على عظمة هذه الحوزة التي تتيح ـ رغم كل تبعثرها ـ أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاصّ إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدبًا وثقافة، وعلى أي حال سواء ابتعدت عن الحوزة مكانًا أو قربت فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها..». [الرسالة الأولى من الشهيد الصدر إلى الشيخ الفضلي بعد خروجه من النجف]

□ الشيخ محمد جواد مغنية

«..أمضيت هذا اليوم ١٢ المحرم ١٣٨٢هـ مع سماحة الحجة الأخ السيد **محمد باقر الصدر**، وذهبَ بنا الحديث إلى النجف عليها السلام، فأثنى السيد فيمن أثنى عليكم وأنكم موضع الأمل، فشعرت بالغبطة لهذه البشرى، وتذكرت هديتكم القيمة «مشكلة الفقر»..». [رسالة من الشيخ مغنية إلى الشيخ الفضلي]

□ المرجع الديني السيد علي الخامنئي

«..لقد قضى العلامة الفقيد عمره الشريف في الجهاد العلمي والسياسي والدفاع عن مقدسات الأمة الإسلامية وقضاياها العادلة. وكان من رواد الفكر والمنظرين الإسلاميين البارزين، وخير دليل على ذلك ما نجده في مؤلفاته وآثاره الجليلة.

كان ﷺ ملاذًا لعلماء الأمة، حيث جسد بفكره وحركته وجهاده وجهوده الوحدوية قدوة لتأليف القلوب وتوحيد الصف الإسلامي ولمّ الشمل ونبذ الخلافات..». [بيان التأبين برحيل الشيخ الفضلي]

□ **المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله**

«..إننا نرى في سماحة **الشيخ الفضلي** عالمًا إسلاميًّا حركيًّا في عقله، منفتحًا على عصره، ثريًّا في ثقافته، مجتهدًا في اجتهاداته، مما جعله من الرموز الإسلامية العلمية المثقفة التي أعطت للأمة الكثير وهي مؤهلة لتمنح الإسلام والمسلمين الكثير. مدّ الله في عمره، ونفع المسلمين بعلمه إنه قريب مجيب». [شهادة خطية بقلمه عن الشيخ الفضلي]

□ **الشيخ الدكتور عبد الجبار الرفاعي**

«..ولكن تلميذ هذين الرائدين **(المظفر والصدر) الدكتور عبد الهادي الفضلي** حاول أن يواكب المحاولات التحديثية في مناهج الحوزة، التي أرسى أسسها من قبل أستاذيه، فانبرى لتنفيذ المرحلة الثانية من ذلك المشروع الطموح، كما ألمح لذلك في مقدمة كتابه هذا الذي نحاول مراجعته الآن، بأنه منشغل في إعداد كتاب فقهي يمهد لحضور البحث الخارج الحوزوي - والدرس العالي الجامعي..]. [مقال: قراءة في كتاب: (أصول البحث) بمجلة التوحيد]

□ **الشيخ علي دواني**

«..وإذا شئنا أن ننطلق من المحددات التي وضعناها، فإن محمد حسين الطباطبائي وعبد الهادي الفضلي - وأضرابهما - يدخلان في رموز الإحياء الإسلامي المعاصر، من خلال ما تضمنه فكرهما من مرتكزات في الإحياء والنهضة، وكذلك من خلال بعض مسارات سلوكهما ..». [كتاب (ذكرياتي مع الشهيد مطهري)، ترجمة: خالد توفيق].

□ **الشيخ حسين الكوراني العاملي**

«.. قليل هم العلماء الأعلام الذين قدر لهم أن يخوضوا المعترك العملي، وتبقى الأولوية عندهم لغزارة البحث العلمي المتميز والمتعدد الأبعاد، الذي يمتلك إلى جانب العمق العلمي، المنهجية السليمة، والتناول المعاصر بلغة معاصرة، نحن أحوج ما نكون إليهما في مجال التعريف بالإسلام. هذا ما نجده بوضوح في السيرة العلمية لسماحة مولانا **الشيخ الفضلي**، فهو من هذه الثلة المباركة في الطليعة، إن لم يكن بقية السيف منهم ..». [شهادة خطية بقلمه عن الشيخ الفضلي]

□ **الدكتور محمد خضر عريف**

[..ذلك بعض ما أتحف به الدكتور عبد الهادي الفضلي المكتبة العربية من مؤلفات وإنتاج عقلي لغوي ثرّ، و موضوعات لم يؤلف فيها إلاّ القليل .. ذلك عدا ما أخذه آلاف الطلاب عنه من علوم كثيرة. إنه عَلَم من أعلام العربية في بلادنا ومفخرة من مفاخرها، وأمثاله من العلماء جديرون بأن يقدر حقهم وفضلهم وحقيقون بكل التكريم والعرفان]. [جريدة الندوة، العدد ٩١٤٣، الثلاثاء ٢٢ رجب ١٤٠٩هـ]

□ **الأديب الأستاذ حسين بافقيه**

«..ولكن تظل تلك التجربة، تلك المعاينة، ملحمة من ملاحم الحب والتقدير والوفاء ما بين الطلاب وأستاذهم، ذلك الأستاذ الذي أحسبني غير مبالغ لو عددته أحد أكثر العارفين بالتراث والمتصلين به اتصالاً وثيقًا من المشتغلين به نحوًا وبلاغةً وأصولَ فقه ومنطقًا.. كنت أجدني مشدودًا إلى محاضراته في النحو العربي، والتي استطاع من خلالها أن يقدم لنا ذلك العلم العتيد بطريقة عصرية، تجعله سائغًا مقبولاً بكل شواهده، وتفريعاته المعهودة، وهو يحمل في حقيبته ذلك الكتاب القديم الطبع، أوراقه متهالكة بحكم صروف الدهر، إلاّ أن قِدَمه سرُّ خلوده، لا أدري ما عمر تلك الطبعة من شرح الألفية التي يستند إليها أستاذنا، ولكن الذي يمكن لي تخمينه أنها تمتد إلى عمر طباعي يضمن لها أن تكون ثروة ممتازة من كتاب تراثي بالغ القدم..».
[جريدة الرياض، الخميس ٢٨ محرم ١٤١٥هـ، العدد ٩٥٠٩]

□ **الأستاذ جواد الكسار**

«..لم يزعم الفضلي ولم يدَّعِ أبدًا في كتبه التي أصدرها في هذا المضمار أنه بصدد مشروع تجديدي جامع ومانع، بل قراءة آثاره في هذا السياق وتأملها هما اللذان جعلانا نضعها في مصاف مشروع فردي شامل ينطلق من رؤية ويقوم على خطة، وبالتالي يتجاوز حدود المبادرات الجزئية.

.. وبالنسبة لقضية الحوزة بشكل عام، فالفضلي يؤمن بتطوير الحوزات العلمية وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة. وفيما يتعلق بتطوير الدرس الحوزوي الذي نحن بصدده، يذهب الفضلي إلى فتح الملف على مصراعيه، بحيث يشمل التجديد مقررات الدراسة الحوزوية من حيث الكم والكيف وبواعث هذا العمل ترتبط من ناحية بالتطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم، وبتغيير وتكثر متطلبات الحياة

المعاصرة كما يتمثل من جهة ثانية بالتطور العلمي للمواد الدراسية المقررة في الحوزات..». [جريدة كيهان العربي، العدد ٣٤١٣ السنة ١٥ بتاريخ ٧ صفر ١٤١٦هـ]

□ الشيخ عيسى قاسم

«.. وآية الله الدكتور الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي مؤمن عالم عامل، مؤمن عن علم، وعالم في إيمان، وعامل بعلمه وإيمانه، وعلى هدى وبصيرة وقد عرفته الأوساط بالإخلاص.. أعطى للإيمان، وأعطى للعلم، وأعطى لحركة التصحيح والتغيير والإصلاح في الأمة، وكان رجل الترفّع عما تترفع عنه الشخصيات الجليلة، ورجل التواضع لمن يحب الله أن يتواضع له، ورجل الخلق الكريم.

كتب ولم يكتب لتسويق ما كتب، وإنما ليُنتفع بها كتب، كتابته علمية ثرّة رصينة متماسكة بعيدة عن الفضول، لا يسرق من وقت قرّاءها، ولا تستهدف تمضية الوقت ولا تقع في تضييعه.

تتبع شخصيته الفذة الفطنة والنباهة والوعي والبساطة والتسامح والانفتاح والتواضع..». [خطبة الجمعة بعد رحيل الفضلي بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠١٣م]

□ الشيخ ضياء الدين زين الدين

«..كان المربي الإيماني الخبير الذي انطلق في تربيته للأجيال الحوزوية من خلال ما يحتاجه الخط الحوزوي من علوم ليرسم المناهج التي لا غنى عنها في هذا الخط القويم. وانطلق في تربيته للأجيال الإيمانية المثقفة مما تفتقر إليه هذه الثقافة من أصول ثقافية رائدة. وانطلق في تربيته للأجيال الأدبية مما يهيء لها انضواءها في غاياتها لتنال بغيها في هذه المجالات ومن معينها الصافي .. ليبقى تراثه خالدًا معطاء لا في الأجيال الحاضرة وإنما إلى عديد من العصور» [بيان التأبين]

□ الدكتور إبراهيم العاتي

«في مهرجان للرابطة الأدبية في النجف في الستينيات اصطحبني الوالد وألقى قصيدة مطلعها:

قـالوا وقـولهم في الـنفس يرتسـمُ   نعـم الحيـاة حيـاةٌ خطّهـا القلـمُ

ولم أجد مصداقًا لذلك البيت مثل الدكتور الفضلي .. حياة زيّنها القلم طيلة عمره. كان بنّاءً وصانعَ أجيال ومبلورَ عقول، ولم يترك الكتابة والتأليف.. حتى في مرضه كتب الكتب، وأهدانا نسخًا منها بيد ولده البار فؤاد، مثل: موسوعتي الفقه والأصول الاستدلالي». [كلمة في حفل التأبين في لندن، السبت ١٣ أبريل ٢٠١٣م]

□ الشاعر جاسم الصحيح

«..رجلٌ جاء في موسم الجفاف وعيناه تحملان حقولَ سنابل، رجلٌ توحَّد بالفكر والحبر والورق ثمَّ تشظَّى في كائناتٍ من الكُتُبِ واستراح.. ذلك هو فضيلة العلاَّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله تعالى». [العلامة الفضلي أكبر من حنجرة الناعي، جريدة اليوم، عدد يوم ١٠/ ٤/ ٢٠١٣م]

□ الأستاذ عبد الله عبد الرحمن

«.. إنهم أنت وأمثالك يا أبا عماد، أنت وأمثالك من حباهم الله وألبسهم رداء الأنبياء وكلّلهم بإكليل العلماء، وكانوا الرقم الصعب في معادلة العلم والعمل، أنت يا أبا عماد من كنا ندرأ بنور علمه ظلمة الجهل ونقوِّم به اعوجاج تفكيرنا الهائج، ونستنير به كلما هبت عواصف التخلف الهوج.

ترجّل الفضلي عن جواده، ترجل بهاء الموضوعية، والصدق في تبني مشروع الفكر، ترجّل من لم تغره بهرجة الظهور، ترجل من آثر الكوّة التي تأخذ الألباب بضيائها على دوائر الضوء الزائفة.

نعم يا أبا عماد، بكيتك اليوم بكاء الثكلى، فقد كان صداك يهز الأعماق في روحي، وكان علمك يشحذُ الأمل في قلبي بأن للعلم رجالاً نذروا أنفسهم له بلا مقابل دنيوي، فقد كان تنوع ثروتك الفكرية يدغدغ روحي وعقلي بالحياة.

وأكثر ما استفدته منك يا أبا عماد هو المنهج العلمي الموضوعي الذي كنت أراه في كلماتك وكتاباتك .. فكنتُ عندما أقتني الكتب أقرأ فهارسها لكي أقبل على شرائها، ولكن عندما أقرأ اسم الشيخ الفضلي أقتنيها من دون مراجعة عنوان أو فهرس؛ لعلمي ويقيني بموضوعيتك والقيمة المضافة في جهدك العلمي .. يا أبا عماد». [رسالة تأبين]

□ **الدكتور محمد علي آذرشب**

«.. دار الحديث مع السيد القائد يومًا حولكم فقلت لسماحته: أنا لا أعرف شخصًا يجمع بين أعلى المستويات من العقل والدين والعلم مثل هذا الرجل.. وهذا هو الذي يجعلني مشتاقاً كثيراً لزيارتكم والاسترشاد بنصائحكم..». [رسالة من الدكتور آذرشب إلى الشيخ الفضلي]

قبسات من كلمات الفضلي

- «موقف الإسلام من تحديات العصر هو أن نواصل **المسيرة الثقافية**، وبكل جدّ وإخلاص، حاشدين لها إمكاناتنا وطاقاتنا».
- «الحالة الثقافية الإسلامية تتحرك الآن في مسارين: مسار **إحياء التراث**، ومسار **البحث والتأليف** .. وهي في المسار الأول أوفر بكثير منها في المسار الثاني».
- «نحن الآن بحاجة إلى دراسات موسعة أو موسوعات علمية في مجال الأنظمة الإسلامية في الإدارة والاقتصاد والاجتماع والحكم والقضاء والأخلاق، وفي مجال الفلسفة الإسلامية، والمعارف العامة .. كما أننا بحاجة لدائرة معارف إسلامية تصدر عن مؤسسة خاصة وتساير التطور لإضافة كل ما يستجد، شأنها شأن الدوائر الأخرى.. كذلك نحن بحاجة إلى موسوعة تاريخية تعتمد التوثيق والتحقيق والتحليل والتعليل .. نحن بحاجة إلى هذه وأمثالها لتكون حضارتنا بين أيدينا، وبين أيدي الآخرين في أصالتها وشموليتها».
- «**منهج التجديد** أن يكون هدفنا خدمة قضايا الفكر والعقيدة، وألَّا نتهيّب ذوي المواقف السلبية من التجديد من أولئك الذين هم ليسوا بمستوى فهم الحياة المعاصرة ومتطلباتها، وليسوا بمستوى **فهم الإسلام كنظام حياة**، أو أنهم ضالعون في خدمة أعداء الإسلام وتحت ستار المحافظة على الإسلام».
- «كنتُ ـ ولا أزال ـ أدعو إلى تحقيق شيئين من أجل خدمة الفكر الإسلامي، هما:
  - **إنشاء جامعات إسلامية** تعنى بشؤون الفكر الإسلامي.
  - **تطوير الحوزات العلمية** وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة.

ذلك أن الجامعات بما تملك من **مناهج وأساليب ووسائل وتقنيات حديثة** قادرة على عملية التجديد .. والحوزة العلمية بما تملك من **فكر إسلامي أصيل**، **وطريقة فريدة في التعميق والتحقيق** تتكامل مع الجامعات الإسلامية في عملية التجديد ..

والتجديد مطلوب في كل حقل من حقول الفكر لا تسري في دمائه الروح الحركية الفاعلة».

- «الباحث الذي ينطلق من المرتكزات الأساسية للشريعة الإسلامية، وهي **المبادئ العامة**، وواضعًا أمامه **مقاصد الشريعة وأهدافها**، سوف يدرك **علاقة النص بالواقع**، ومدى تأثير الواقع على الحكم الشرعي».
- «فكر + رجال + مال + جدية واستمرارية في العمل = حضارة فاعلة وفاتحة».
- «أرجو أن **نوازن بين العقل والعاطفة** لتكون صحوتنا الإسلامية صحوة واعدة».
- «من أجل أن نعطي الفكر المثمر المطلوب، أرى أن تتكامل الدراستان الجوامعية والجامعية في خط موازنة وتعاضد».
- «وضعت «**مجلة الأضواء**» أمام المسلم المثقف **خطوط ومعالم الدعوة الإسلامية**، ورادت وبوضوح تعبير وعمق دلالة كتابة المقالة الإسلامية الحديثة، وكما رادت وبوعي واتزان كتابة الشعر الإسلامي الملتزم .. ولا تزال آثار «الأضواء» قائمة وستبقى، ويسجلها التاريخ **معلمة بارزة من معالم الدعوة الإسلامية**».
- «استقل **السيد الصدر** بشخصيته العلمية كفقيه مجتهد ومفكر إسلامي استطاع أن يُكوّن له وبوقت قصير وسن صغير مدرسته **الإسلامية** المتميزة بأبعادها ومعالمها».
- «لكي يكون التعليم ناجحًا في تكوين شخصية الطالب الحوزوي تكوينًا علميًّا يؤهله للقيام بمهمة التبليغ المؤثر - يتطلب من ناحية فنية على الأقل مسايرة التطورات المفيدة ذات العلاقة الوثيقة بالمتطلبات المعاصرة».
- «ويحز في نفسي - هنا - أن أقول أنى رأيت بعض ما كتب في فقه المصارف وليس في قائمة مصادره ومراجعه حتى اسم كتاب واحد مما ألفه المختصون والمعنيون باقتصادات المصارف».
- «من خلال معرفتنا بمراجعنا من لزوم الورع والالتزام بالتقوى، ستستمر **التلقائية في وصول الفقيه إلى المرجعية**، وتبقى النجف وقم تتعاونان على حمل المسئولية المنوطة بهما والقيام بها خير قيام».
- «التقليد رحمة لا تجعلوه نقمة».



أَنـارَ دَربـاً إلى الأَجيَـالِ فـي كُتُبٍ
ومـا أَرادَ بـهـا مــالاً ولا ذَهــبَـا
(على الحَصيـرِ وكوزُ الـمـاءِ يرفدُهُ
وذهنُهُ ورُفـوفٌ تَحمـلُ الكُتُـبَا)..!

شعر: السيد حسن خليفة

القسم الأول

خلاصة الذكريات وفهارس المنجزات



هــذا هــوَ الفضـليُّ تشـهدُ فضـلَهُ حــوزاتُ شرعٍ رادَهــا ومعــاهدُ
لازالَ يتحــفهــا بعــلمٍ وافــرٍ يرقى لهُ النائيْ ويسمو القــاصدُ
ويــذبُّ عــن آلِ النبــيِّ بفكــرةٍ يكبــو لوثبتهــا النفــاقُ المــاردُ
ويخــطُّ للأجيــالِ نهجًــا طالمــا جهـدت لتعتمـه رؤىً ومقاصـدُ

شعر: السيد حسين خليفة

الفضلي .. المسيرة والركب(*)

■ فؤاد عبد الهادي الفضلي(•) ■

□ العلماء وذاكرة الأمة

مما تعلمناه من شيخنا الفضلي فيما كتب وحاضر عن أساتذته ورفاقه من العلماء الرواد ممن وَهَبُوا لحاضر الأمة مجدًا ورسمًا جديدين بها دوّنوه وسطّروه، وطبّقوه علمًا وفكرًا ونضالًا، أن قراءة سيرة العلماء ينبغي أن تكون قراءاتٍ تتناسب وإبداعاتهم التي بنيت بكفاح وصبر واجتهاد، واستطاعت أن تضيف لحضارتها نورًا وتسهم في عُلُوِّ مكانها.

ويُقرأ إبداع المفكر الرائد من خلال نتاجه الفكري - الإبداعي منه - بما يحويه من فكر جديد يجدد تراثًا أو يخلق واقعًا أو يصنع مستقبلًا، فليس كل ما يكتب ويقال هو إبداع.

سمعنا من الشيخ الفضلي إعجابًا وتقديرًا لرجالٍ من المبدعين المعاصرين الذين يعتبرهم من عظماء الأمة رغم أن الأمة لم تنصفهم في حياتهم ولم تسعهم ذاكرتها بعد رحيلهم بما يليق بهم. والسبب في هذا التجاهل - فيما إخال - هي أن أمتنا في حاضرها لم تخرج بعدُ من كونها أمة ذات ثقافة سمعية يتحكم بها الإعلام والسياسة، تعلّمتْ وتعوّدتْ أن تحفظ وأن تكرّر ما تسمع، لا أن تقرأ وتعي ما تقرأ، ولذلك لا غرابة أن تغفل وتنسى بعض عظمائها.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ. وقد تم إضافة تعديلات وزيادات غير قليلة على النص السابق اقتضتها الفترة الزمنية بينهما ورحيل سماحة الوالد (رض)، مع إضافة صور متنوعة ووثائق مهمة من أرشيف الفضلي - هنا - وفي فصول أخرى في هذا العدد تلبيةً لطلب رئيس التحرير الأستاذ محمد سعيد الطريحي، كي تضفي طابعًا تصويريًا لسيرة الشيخ يجمع النص والصورة معًا.

(•) كاتب وباحث إسلامي، عضو لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي.

ومن الأمثلة على العظماء الذين لم تنصفهم أمتنا يذكر الفضلي فيما كتب[1] وفي بعض محاضراته: **المرجع الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والشيخ آغا بزرك الطهراني والشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ الأميني والشيخ محمد أمين زين الدين** وآخرين، وأرى أن أضيف اسمه إلى هؤلاء المفكرين المبدعين، فهو في ذات الركب والمسير.

وقد علّمنا في مجلسه ومحاضراته أن الكتابة عن رجال الأمة تحفظ إبداعاتهم في وجدان الشعوب وتاريخها وتضيء الدرب لمواصلة الخطى. فما أبدعه هؤلاء الأساتذة إنما هو لَبِنات في بناء مجد الأمة أو تصحيح لعقبات في هذا البناء، لا بدَّ أن تَتْبَعَه خطوات أكبر ليبقى البناء شامخًا وخالدًا ومتماسكًا.

وما سأدونه - هنا - لا يعدو أن يكون محاولة أرجو أن أوفق من خلالها لعرض جوانب من حياة الفضلي المفكر والأستاذ، وسأعتمد في كتابة سيرة الفضلي طريقة الرواية عما رواه بنفسه ومما أذكره عن أحداثها وتفاصيلها، محاولاً الإلمام بالجوانب المهمة من سيرته العلمية ومبتعدًا عما لا يدخل ضمن الحديث عن هذه الجوانب.

□ البصرة: مرتع الطفولة وعاشقة اللغة العربية

كانت ولادة الفضلي في ليلة الجمعة العاشر من رمضان سنة ١٣٥٤هـ (٦ ديسمبر ١٩٣٥م) في بيت والده آية الله **الشيخ الميرزا محسن الفضلي** بصبخة العرب من قرى البصرة.

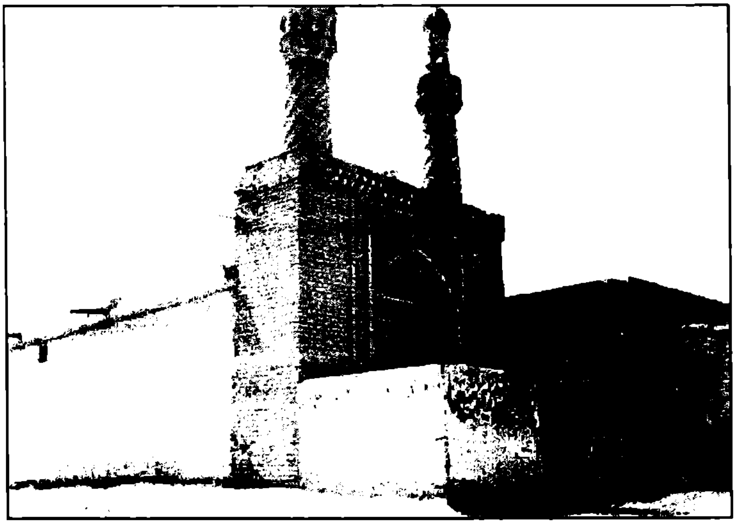
وكان والده (رض) قد سكن الأحساء فترة قصيرة بعد عودته من النجف، «ولتردده على البصرة مدّة بقائه في الأحساء عُرف بين علماء البصرة آنذاك، واشتهر بين أهلها.

ولأن أبناء قرية (صبخة العرب)، إحدى قرى البصرة، كانوا بحاجةٍ إلى عالم ديني يقيم بين ظهرانيهم، ويقوم بتوجيههم وإرشادهم وتعليمهم أحكام دينهم، تقدموا إلى السيد مهدي القزويني، من علماء البصرة آنذاك، في أن يفاتح الشيخ بذلك، وكان يومها في البصرة.

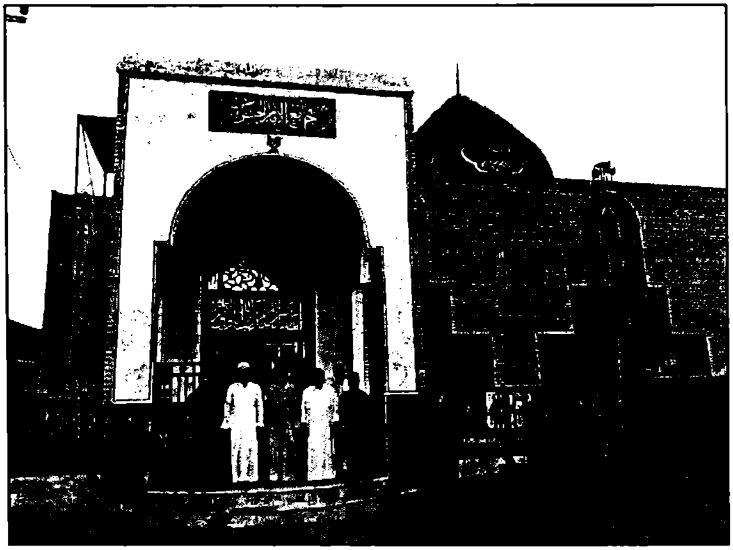
---

(١) منها كتاب «هكذا قرأتُهم» بجزأيه، الصادر عن دار المرتضى ببيروت، ١٤٢٢هـ و١٤٢٣هـ، والذي ألقى فيه الضوء على شخصيات سابقة ومعاصرة باحثًا ومحللاً وناقدًا.

فتَمَّ لهم ما أرادوا، واتصلوا عن طريق السيد المذكور بالمرجع الديني في النجف الأشرف يومذاك، وهو السيد أبو الحسن الأصفهاني، فعيّنه وكيلاً عنه»[1].



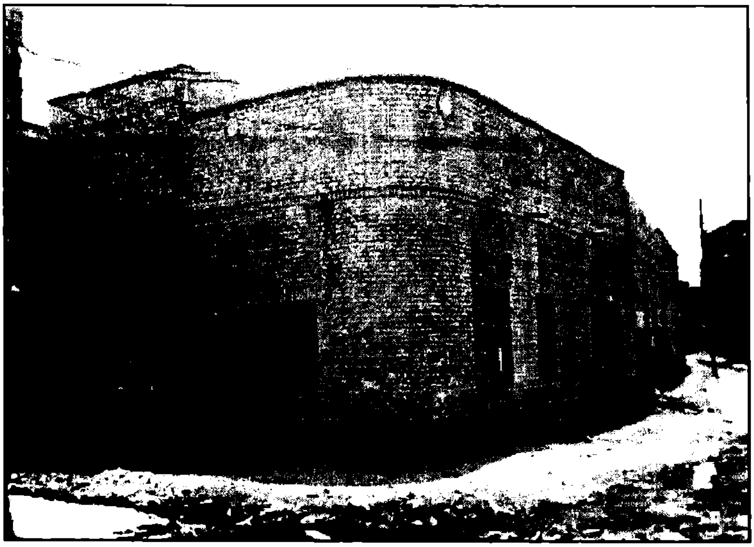
صورة ١: جامع صبخة العرب في ١٩٩٠م



صورة ٢: جامع صبخة العرب في ٢٠١٤م بعدما تم تجديد بنائه عام ٢٠٠٩م

(١) في ذكرى أبي، العلامة الفضلي، تحت الطبع.

«وفي أوائل الستينات ابتاع الشيخ المحسن الفضلي دارًا في مدينة البصرة بمحلة المجصَّة (الخليلية). فكان يقضي نهاره فيها، وليله في القرية. وتحوّل بهذا مجلسه العلمي من القرية إلى المدينة، وأخذ العلماء من البصرة وخارجها يفدون إليه فيها»[(١)].



صورة٣: دار الشيخ المحسن الفضلي في البصرة - محلة الخليلية، أخذت عام ١٩٩٠م



ويروي الفضلي أن من هؤلاء الذين استقبلهم والده في داره بالبصرة المرجع الديني الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والمرجع الديني السيد أبا القاسم الخوئي.

صورة ٤: المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أثناء زيارته لدار الشيخ المحسن الفضلي في البصرة

وذكر الفضلي عددًا منهم في كتابه

(١) م. ن.

(في ذكرى أبي)، ومن المفيد نقل ما كتبه؛ لما فيه من تعريف بأعلام ومواقف تاريخية وأجواء بصرية:

«واعتاد أكثر من واحد من العلماء التردُّد على البصرة، وكانوا في كل مرّة يَقدِمون إلى البصرة يزورون الوالد ويزورهم في محالّ إقاماتهم، ويدعوهم لتناول طعام الغداء عنده.

وفي كل لقاء يثار النقاش حول مسائل مختلفة من الفقه وأصوله والفلسفة الإلهية وعلم الكلام أو من علوم أخرى ملابسة لها.

وأتذكر منهم:

- **السيد علي شبّر** (ت ١٣٩٣هـ): وكان ينزل في منزل السيد عباس بن السيد محمد شبر من أبناء عمومته في محلة يحيى زكريا.
- **الشيخ عباس المظفر**: وكان ينزل في العشار في محلة التميمية عند أحد معارفه.
- **الشيخ محسن المظفر** (ت ١٣٧٩هـ): وكان ينزل في العشار في دار ابن أخيه الشيخ محمد حسن بن الشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٨٨هـ).
- **الشيخ إبراهيم الكرباسي** (ت ١٤٠٧هـ): وكان ينزل في منزل السيد شمخي الشطري بمحلة الجمهورية، وهو كبير أهالي الشطرة المقيمين في البصرة.
- **الشيخ محمد طاهر الخاقاني** (ت ١٤٠٦هـ): وكان ينزل في دار السيد هاشم السيد حسين في محلة أبي الحسن.
- **الشيخ سلمان الخاقاني** (ت ١٤٠٨هـ): وكان ـ هو الآخر ـ ينزل في دار السيد هاشم المذكور، وهو ـ أعني السيد هاشم ـ من أهالي المحمّرة الذين هاجروا منها بسبب ضغط الشاه رضا بهلوي على المتدينين. وسكنوا البصرة، وكان أهل المحمرة يسمون هؤلاء بالمهاجرين.

وأتذكّر ممن كانوا يمرون بالبصرة قادمين من النجف إلى ديار أخرى، أو قاصدين النجف من ديار أخرى، ونزلوا ضيوفًا على الوالد، أو يزورونه لوجودهم في البصرة، ويعمُر المجلس بهم علميًّا:

- **الشيخ عبد الحسين شحتور**، عند ذهابه إلى حج بيت الله الحرام، وهو من علماء سوق الشيوخ، وكان معترفًا له بالاجتهاد.
- **الشيخ عبد الله السبيتي**، وهو من علماء لبنان، وكان مقيمًا في الكاظمية، له مؤلفات، منها: تحت راية الحق (في الرد على كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين

المصري)، والمباهلة، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وغيرها.

وتحت إشرافه أصدر ابنه الأكبر عبد الأمير السبيتي في الكاظمية سلسلة (حديث الشهر)، وهي مجموعة حلقات من كتب صغيرة تصدر شهريًّا، ومما صدر منها حسبما أتذكر:

- المختار من شعراء الأغاني — الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
- أباة الضيم — الشيخ جعفر النقدي
- شاعر العقيدة — السيد محمد تقي الحكيم
- الأخلاق عند الإمام الصادق — الشيخ محمد أمين زين الدين
- حجر بن عدي — الشيخ عبد الله السبيتي
- فاطمة الزهراء — السيد محمد جمال الهاشمي
- أم سلمة — الأستاذ زكي بيضون
- خديجة أم المؤمنين — الشيخ عبد الله العلائلي
- الإمام الصادق ملهم الكيمياء — الدكتور محمد الهاشمي
- سكينة بنت الحسين — الأستاذ توفيق الفكيكي
- فلسفة الإمام — الأستاذ محمد جواد جلال

- **السيد راضي آل السيد عثمان** من علماء الناصرية، عند ذهابه إلى إيران لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام.
- **السيد باقر الشخص**، عند رجوعه من الأحساء، وهو من العلماء الأحسائيين القاطنين في النجف الأشرف، وكان من أساتذة الحوزة العلمية المعروفين، ومعترفًا له بالاجتهاد.
- **الشيخ علي آل عيثان**، عند رجوعه من الأحساء، وهو من العلماء الأحسائيين المجاورين بكربلاء المقدسة والأساتذة المرموقين في حوزتها العلمية، ومن المجتهدين.
- **الشيخ محسن الخليفة**، قادمًا من العتبات المقدسة في العراق متوجهًا إلى الأحساء، وهو من علماء الأحساء في المبرز وأئمة الجماعة فيها.

- **الشيخ عبد الله بن الشيخ محسن الخليفة الأحسائي**، قادمًا من النجف في طريقه إلى الأحساء، وهو من علماء الأحساء في المبرز، وأحد أعضاء هيئة التمييز الجعفري في الأحساء.
- **الشيخ باقر أبو خمسين**، عند رجوعه إلى الأحساء، وهو من علماء الهفوف في الأحساء والأدباء الأحسائيين، والقاضي الجعفري في الأحساء.
- **الشيخ فرج العمران القطيفي**، قادمًا من العتبات المقدسة في العراق وإيران، في طريقه إلى القطيف. وهو من علماء القطيف وأدبائها المرموقين، وله مؤلفات كثيرة، منها: موسوعته (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية)، و(الروضة الندية)، و(ثمرات الإرشاد)، وغيرها.
- **الشيخ محمد علي العمري المدني**، وهو العالم الوكيل في المدينة المنورة، ومن أصدقاء الوالد المقرَّبين لديه.
- **الشيخ أحمد أبو حليقة الأحسائي**، من علماء الهفوف في الأحساء ثم انتقل إلى إيران في يزد ثم قم تاجرًا، وتوفي هناك.
- **الشيخ أسد حيدر**، صاحب الموسوعة المشهورة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة).
- **الأستاذ علي الخاقاني**، صاحب مجلة (البيان) النجفية المعروفة، وقد كتب عن هذا في مجلته (البيان: السنة الثالثة: العدد ٦٥ - ٦٦، ص٥٠٠)، قال - تحت عنوان (مع العلامة الفضلي) -: «والعلامة مرزه محسن الفضلي شخصية ثمينة، أجمع المعظم على حبها، فقد تحلَّى بصفات يحتاج صاحبها إلى قابلية وهدوء نفسي كما حصل عليه، فهو مرن لأبعد حدّ، لا يغضب على الأكثر، ويكثر من الزيارات والتودُّد لأصدقائه، أو بأسلوب أجلى، يتفقد أصحابه أكثر مما يتفقدونه، لا يكاد يمرّ عالم أو أديب على البصرة إلاّ والعلامة الفضلي يبدؤه بالزيارة على تقدمه في السن والعلم.

خلوق بدون تكلف، لا يريد السوء بأحد.

تعرفت عليه قبل عشرين عامًا يوم أن كان في النجف يحضر محاضرات الإمام النائيني، ويدرّس الفقه والأصول.

ولقد تمشت المعرفة والصلة معه إلى أبعد من هذا الحدّ، فقد تلمذ على جدي المرحوم الشيخ علي الخاقاني، واقتدى برأيه، كما اقتدى به معظم أهالي الأحساء

والبحرين آنذاك، وبذلك واصل حبه ولطفه، وتجلى ذلك في زيارتي للبصرة عام ١٩٤٥م عندما اعتكفت في (المكتبة العباسية) مئة يوم أو تزيد في دار المشايخ آل باش أعيان العباسيين.

كان حضرته في خلالها لا يبرح زيارتي إن لم يكن في كل يوم، فبين يوم وآخر، كأن له ولدًا عزيزًا يندفع إلى استطلاع أحواله بدافع نفسي.

بهذا الخلق العالي أخذت أواصل حبي له وأتحرَّى مجالسه عند ترددادي على البصرة في كل عام، فتراها لا تخلو من معالجات علمية دينية وأخلاقية على طريقة أرباب الفضيلة قبل سنين.

وحواره في الحديث لم يخرج عن حدود الأدب والاتزان، فهو مستمد من طبعه الوادع، يعالج الموضوع معالجة بين المجاملة والحق طمعًا بالاستمرار الذي يفضي إلى إطالة الوقت والاطلاع الزائد. اقتدى بسيرة الأوائل، وتحصن بالتعفف، واكتفى من دنياه باليسير، وابتعد عن حب الظهور، وتجنب الدعاية الكاذبة».



صورة ٥: في صباه يطالع في مكتبة والده بالبصرة

- السيد أمان القطيفي.

- **السيد كاظم بن السيد علي الحسيني الخضري** (ت ١٣٧٠هـ): كان عالماً فاضلاً وخطيباً حسينياً، واعظاً، ومن أبرز أمثلة ونماذج التقوى والورع، والعفة والنزاهة.

وممن يثق بالوالد وثوقًا تامًّا في علمه وتقواه، ومن آثار هذا الوثوق أن رحل من بلدته (الخضر) إلى (البصرة) بعد وفاة الميرزا حسين النائيني الذي كان يرجع إليه في أمور تقليده، ليأخذ رأي الوالد فيمن يرجع إليه بعده، فأرشده الوالد - في حينه - إلى تقليد الشيخ محمد رضا آل ياسين؛ لأنه كان يرى أعلميته بالنسبة إلى معاصريه.

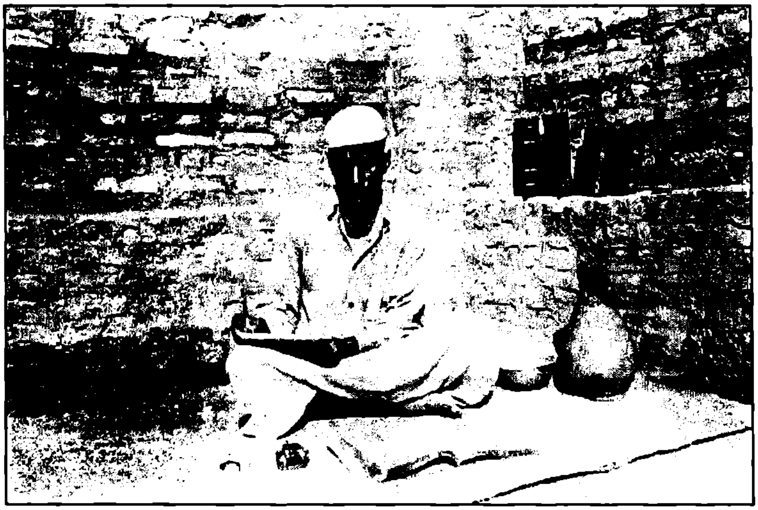
كان هذا السيد الجليل يدعى إلى البصرة سنويًّا من قبل بعض التجار من آل الحجاج (جمع حاج) لقراءة التعزية لمدة عشرة أيام.

وكان مدة إقامته في البصرة يلتقي الوالد ويلتقيه إن لم يكن يوميًّا، ففي أكثر هذه الأيام العشرة.

- **الشيخ محمد أمين زين الدين**، وهو من العلماء الفضلاء، والأدباء الكتّاب الكبار، أصدر عدة مؤلفات، منها: (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية) و(الأخلاق عند الإمام الصادق)، و(العفاف بين السلب والإيجاب) و(إلى الطليعة المؤمنة)، والموسوعة الفتاوائية القيّمة (كلمة التقوى) التي كتبها لعمل مقلديه في البحرين وغيرها، حيث يحتل الآن مركز المرجع الديني الوحيد للأخباريين.
- **الشيخ علي زين الدين** (ت١٤٠٦هـ) شقيق الشيخ محمد أمين زين الدين: كان من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن أبرز من اشتهروا بتدريس كتاب (كفاية الأصول) حيث تخرج به العدد الكبير من طلاب الحوزة النجفية.
- وغيرهم»[1].

---

(١) م. ن.



صورة ٦ : في مقتبل شبابه بالبصرة يراجع دروسه في سطح الدار



صورة ٧ : في صباه بالعراق

ومما يذكره الشيخ عن حياة والده في البصرة (مجلس الجمعة)، فيقول: «طلب بعض الأساتذة البصريين من الوالد أن يعقد صباح كل جمعة مجلسًا علميًّا، تعالج فيه بعض المسائل والقضايا العلمية. ووافق سماحته على ذلك، وتم انعقاد المجلس في الموعد.

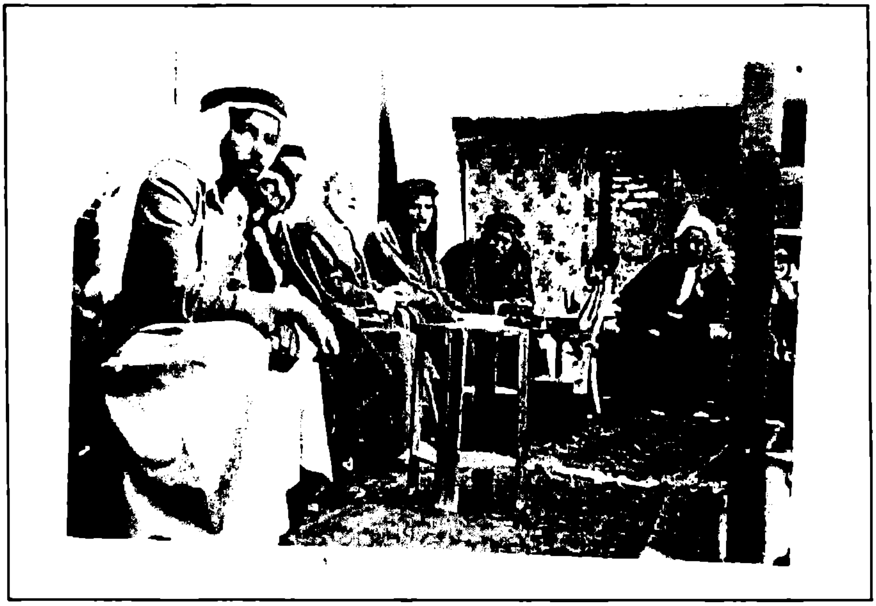
وكان الأستاذ المبرّز فيه محمد جواد جلال، فكان أكثر الحاضرين عطاءً في طرح التساؤلات، وإثارة المشكلات، للحوار والمناقشة. ويليه في المجال نفسه السيد طاهر أبو رغيف، وكان حضوره بعد تقاعده من الوظيفة، وعند تفرّغه للعمل الثقافي.

وكان هو الآخر من تلامذة الوالد المقربين عنده، فقد قرأ عليه (شرح الباب الحادي عشر) في العقيدة، وجملة من المسائل الفقهية الفتوائية من خلال كتاب (منهاج الصالحين) للسيد الحكيم.

وأحيانًا عندما لا يطرح شيء، يقوم الوالد نفسه بإثارة بعض المشكلات العلمية أو الفلسفية أو الفكرية بعامة.

كان هذا المجلس ـ وبحق ـ من المجالس الثقافية الخاصة المفيدة.

وقد استمر انعقاده حتى مغادرة الوالد البصرة إلى الكويت فالخبر»[1].



صورة ٨: التقطت هذه الصورة في البصرة بتاريخ ٣/ ٥/ ١٩٥٠م، وتضم عن يسار الشيخ المحسن الفضلي: السيد عباس البطاط والسيد ناصر البطاط وهما من سكنة حي الحكيمية ثم ولده عبد الجليل فالشيخ حسين الفيلي إمام جامع الصحاف في الكويت فالحاج عبد الوهاب السلمي من سكنة محلة الخليلية.

(١) م. ن.

وكان الشيخ المحسن الفضلي يقضي نهاية الأسبوع في الزبير ويجلس إمام جماعة في جامع الحسائية.

وكان بعض الأحيان يعقب الصلاة بشيء من الوعظ والإرشاد من على المنبر.

وكان يجلس قبل الصلاة في ديوانية أبناء الحاج عيسى العيسى الحرز الأحسائي للإجابة عن أسئلة المستفسرين الدينية ممن اعتادوا ارتياد هذه الديوانية أو غيرهم.

وقد تربّى على يديه جماعة من الشبان المقيمين في محلة الحسائية من الأحسائيين ومن أبناء العمارة، فكانوا من أوعى وأخلص الدعاة إلى الله تعالى.

هكذا كان المحراب الأول الذي تلقى الفضلي فيه حب الدين والعلم والثقافة.

□ الأم الواعية وقراءة المستقبل

ويروي **الفضلي** قصة بدايته في طريق العلم، فيذكر أن لوالدته **السيدة عقيلة البطاط** ﵆ الفضل الأول في ذلك، فقد بدأت في تربيته التربية الدينية منذ بواكيره الأولى، وكأنها تستقرئ مستقبل وليدها: فبدأت بإدخاله قبل سن المدرسة - كما هي عادة التعليم في تلك الأيام - في درس تعلّم قراءة القرآن عند الملاية[1] **(فاطمة بو جبارة)** في محلة الخليلية بالبصرة، ثم في المدرسة الأميرية الابتدائية بصبخة العرب، حيث تمّ تسجيله في السنة الثانية مباشرة؛ لأنه حفظ سورًا من القرآن.

كما برز الدور الأكبر لوالدته يوم أخذته معها في زيارة **لأمير المؤمنين** عليه السلام في النجف الأشرف، فاشترت من دكان يقع في أول سوق العمارة كتاب (الآجرومية) في النحو بخمسة فلوس، وبعد عودتها إلى البصرة طلبت من والده تدريسه الكتاب... وكان قد أكمل الصف الرابع الابتدائي يوم بدأ أولى خطواته في الدرس الحوزوي. يروي **الفضلي** هذه الذكريات عن والدته ويذكر أنها كانت تأخذه بنفسها يوميًّا إلى المدرسة الابتدائية حتى يستمر في الدراسة فلا يغيب أو ينقطع كما يحدث مع أكثر الطلاب في تلك السنين.

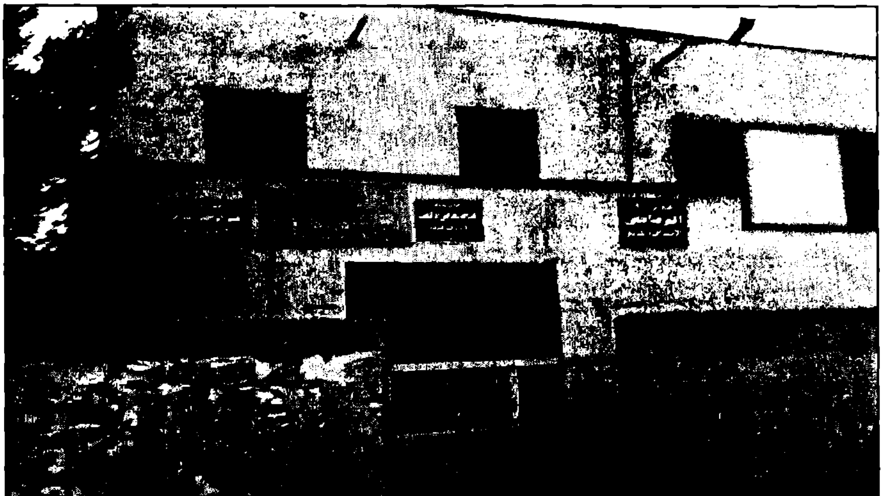
---

(١) الملاية هو الاسم الذي يطلق على من تتصدّى من النساء لتعليم أبناء الحي القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة.



صورة ٩ : في البصرة، أقدم صورة للفضلي في سن الخامسة تقريبًا

وحيث إن الصف الرابع هو أعلى مرحلة في مدرسة صبخة العرب الابتدائية حينها، انتقل لدراسة الصف الخامس والسادس الابتدائي إلى مدرسة عاصم بن دُلف في البصرة، وكان مدير المدرسة في حينها الشاعر والأديب سالم علوان الچلبي.



صورة ١٠ : مدرسة عاصم بن دلف في محلة الخليلية بالبصرة (صورة حديثة التقطت في ١٤٣٥هـ)

وقد بدأ ـ في هذه المدرسة وهو في هذه السن المبكرة ـ أولى محاولاته النثرية والشعرية، ويذكر أن أول كلمة كتبها كانت بعنوان (الشعر فن جميل)، وقد نشرت في جدارية ثانوية البصرة، وأول محاولة شعرية كانت من بحر الهزج، وكان مطلعها[١]:

إذا الإنســـان لم ترفعـــه أخـــلاق وآدابُ
فلـــن تنفعـــه آبـــاءٌ وأجـــدادٌ وأنســـابُ

وأول إلقاء خطابي كان في دار المازني بكلمة عن الإمام الحسين عليه السلام.

وفي هذه السن بدأ رحلته في الدراسة الدينية بدراسة المقدمات الأولية في البصرة لدى والده الحجة **الشيخ محسن الفضلي والشيخ جاسم البصير** خريج (المتوسطة الرحمانية بالبصرة)[٢]، فقرأ على والده قدس سره: **(شرح الآجرومية)** لابن آجروم و**(شرح القطر)** لابن هشام و**(شرح الألفية)** لابن الناظم و**(مغني اللبيب)** لابن هشام في النحو، وفي الصرف **(شرح النظام)** على الشافية، و**(المطول)** للتفتازاني في علوم البلاغة، و**(حاشية ملا عبد الله على متن التهذيب)** في المنطق.



صورة ١١ : أقدم صورة له مع والده الشيخ المحسن الفضلي قدس سرهما

(١) لم يتذكر الشيخ الفضلي إلاّ البيت الأول منه، وقد وجدت البيت الثاني مدونًا في إحدى مفكراته اليومية الخاصة.

(٢) المتوسطات الرحمانية من منشآت مديرية الأوقاف لتخريج مقرئين وأئمة مساجد وفق المذهب السني، والشيخ المذكور كان شيعيًا، ولكنه التحق بها ليكون من مقرئي القرآن الكريم.

وقرأ على الشيخ البصير ﷺ: (**شرح ابن عقيل على الألفية**) في النحو، و(**جواهر البلاغة**) للهاشمي، و(**الكافي**) في العروض والقوافي، و(**تحفة الأطفال**) و(**هداية المستفيد**) في التجويد، و(**مراح الأرواح**) و(**المقصود**) في الصرف.

وعن حياته البصرية في فترة صباه هذه، وخلال إجازاته الدراسية بعد رحيله للنجف، حيث كان يقضيها في البصرة، يحدثنا **الفضلي**، فيقول: «إن البصرة بحكم موقعها الاستراتيجي وسطًا بين العراق وإيران والخليج، فإن أهلها يمتازون بالبساطة الحياتية والطباع الوادعة، وقد حافظت على إرثها وتاريخها الحضاري منذ تأسيسها ومنذ رجالها الأوائل **الفرزدق والجاحظ وبشار والخليل**، ففي كل أزمنتها التي تعاقبت عليها كان للبصرة حركتها الثقافية الإبداعية وخصوصًا في الجوانب اللغوية والأدبية حتى يمكن تسميتها مدينة اللغة العربية وآدابها»[(١)].



صورة ١٢ : في مكتبة والده بالبصرة وثالثهما أخوه صادق

(١) حاولت - هنا - أن أنقل نص عبارة الفضلي كما سجلتها في حواري معه.



صورة ١٣: كربلاء يوم الأربعين موكب البقالين من لواء البصرة، ويتقدمها أخوه الأكبر الشيخ محمد

والحركة الأدبية في البصرة يومها في مرحلة انطلاق وتوهج، فقد سبق جيل الفضلي في البصرة جيلٌ من الرواد في اللغة والأدب، منهم عميد أدبها **الأستاذ محمد جواد جلال** الذي أسس جمعية الرابطة الثقافية والتي كان لها دور كبير في ولادة حركة ثقافية وأدبية إبداعية في البصرة، ومنهم **الشاعر الكبير بدر شاكر السياب** رائد الشعر الحديث، ومنهم **الخطيب الشيخ عبد الحميد الهلالي**، والأدباء: **العلامة الشيخ مهدي الحجار، عبد الرضا ملا حسن، غالب الناهي، سالم علوان الجلبي، محمد القريني**... وغيرهم.

في هذه الأجواء البصرية العاشقة للغة العربية وآدابها نشأ أستاذنا **الفضلي** يسمع ويقرأ وينهل، وكان لها الأثر الكبير في تكوين شخصية **الفضلي** وميوله واهتماماته فيما بعد.

وكانت المناسبات الدينية مسرحًا ومنبرًا للشعر والأدب البصري يلتقي فيها الجميع رغم اختلاف مذاهبهم وتياراتهم الفكرية والأيديولوجية فيتنافسون في ميادين الشعر والإنشاد والخطابة والقصة..، وكان أكبر حفل في هذه المناسبات يقام في ثانوية البصرة.

ومن شباب البصرة من جيل الفضلي الذين كانوا يتبارون فكرًا وأدبًا في بداياتهم يذكر الفضلي: **كاظم مكي حسن وسيد عباس شبر وحامد البازي وسيد كاظم الخليفة وزكي جابر وملا محمد علي المظفر وجعفر الهلالي** .. وغيرهم.

ويروي لنا **الفضلي** ـ كذلك ـ أنه تشكلت في **البصرة** يومها مجموعات شبابية، وكان أفراد كل مجموعة منها - وعادة يجمعهم تقارب ما - يقومون بالاشتراك ماديًّا لاقتناء وقراءة الجديد من إصدارات المجلات والكتب، وكان **الفضلي** يشكل مع **الشيخ جعفر الهلالي والشيخ عبد الأمير الضفاري** مجموعة، ويذكر أن مجموعته كانت تشتري وتقرأ: سلسلات: **(اقرأ)** و**(كتابي)** و**(الألف كتاب)** و**(حديث الشهر)**، ومن المجلات: (المختار) و(المعلم الجديد) و(المقتطف) و(الرسالة) و(الثقافة) و(الكتاب) و(الكاتب المصري) و(الهلال).

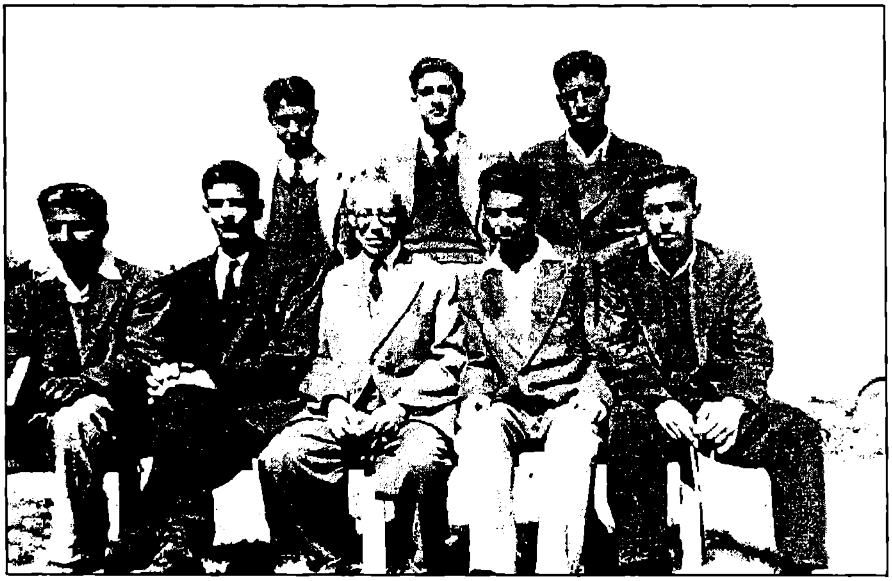
وكما هو معلوم، ففي تلك الأيام كان المدّ الشيوعي في العراق مسيطرًا على الساحة السياسية والثقافية، وكانت الحركة الإسلامية السياسية قد انطلقت في بداياتها في النجف الأشرف لتقف بوجه التحدي الشيوعي، وقد شهدت البصرة يومها الكثير من الاحتفالات والمهرجانات الثقافية برز فيها الصراع الفكري والسياسي بين المد الشيوعي والقوى الإسلامية الحركية.

ويذكر لنا **الفضلي** أنه عُقد مهرجانٌ مهم أقامه **الشيخ محمد جواد السهلاني** بمناسبة مولد **الإمام علي** عليه السلام في محلة الجمهورية حضره حشد كبير جدًّا جاوز العشرة آلاف، وشارك في الحفل **الفضلي** بمحاضرة **والهلالي** بقصيدة، ألقى **الفضلي** محاضرته عن **الإمام علي** عليه السلام وتطرق فيها إلى الفكر الشيوعي ومخالفته للعقيدة والنظام الإسلامي وقرأ نص فتوى **السيد الحكيم** عن الشيوعية التي فاجأ بها الحضور، ثم ألقى **الشيخ الهلالي** قصيدته التي تناول فيها موضوع الشيوعية كذلك، وقد كان لهذا المهرجان وقعٌ وأثر كبير في الساحة البصرية؛ لأن **الفضلي** ورفاقه في النجف كانوا قد بدأوا، كما سيأتي الحديث عنه، بتأسيس فكرٍ وحركة سياسية إسلامية تحركت في ظل مرجعية **السيد الحكيم** وتريد دخول الساحة السياسية بقوة،

وكانت هذه المحاضرة السياسية بمثابة الإعلان عن ذلك في إحدى أهم مدن العراق، وقد وصلت رسالة الفضلي هذه للتيارات السياسية الأخرى وفهمها رجالها.

والمحاضرة والقصيدة نشرهما الشيخ مسلم الجابري في كتابه السنوي الذي كان يجمع فيه نتاج المناسبة كل عام وينشره.

وقد كان للفضلي العديد من الدروس والمشاركات في مهرجانات البصرة وبالأخص الرمضانية منها، حيث يقضي بها إجازاته الدراسية. ويذكر الفضلي أن تفاعل أهالي البصرة مع أطروحات الفكر الثقافي والسياسي الإسلامي كان كبيرًا، بحيث إنها كانت المعقل الأكبر لانتشار حزب الدعوة الإسلامية وسرعة استجابة شبابها للانضمام إليه، كما أن المواقف الشجاعة والتضحيات الأولى بدأت في البصرة.



صورة ١٤: في البصرة: الأستاذ محمد جواد جلال بين عدد من طلابه في ثانوية البصرة

□ النجف.. عاصمة التشيع في عصرها الذهبي

وحياة الفضلي في النجف كانت حافلة بعصامية البناء من جهة، وفدائية النضال من جهة أخرى. تنقّل فيها من مرحلة التحصيل العلمي الجادّ إلى مرحلة النضج الفكري حتى مرحلة العمل الجهادي والدور القيادي في عصر أسماه الكثيرون العصر الذهبي للنجف، ويمكن تسميته عصر الثورة الفكرية النجفية.

الدراسة والتحصيل العلمي

انتقل **الفضلي** إلى النجف الأشرف في سن الرابعة عشرة قادمًا من البصرة لإكمال دراسة المقدمات والسطوح. فأكمل دراسة كتب المقدمات التالية: (**منظومة ابن شليلة**) في المنطق و(**المعالم**) في الأصول عند **الشيخ علي زين الدين**، ودرس (**شرح التجريد**) في علم الكلام عند **السيد جمال الدين الخوئي**.

وكان ارتداؤه للزي الديني كما ورد في بعض أوراقه في كربلاء في ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٣هـ.

ثم أكمل دراسة مرحلة السطوح (مرحلة التخصُّص في علوم الشريعة الإسلامية): فقرأ (**الكفاية**) في الأصول عند **الشيخ علي زين الدين**، ودرس (**الرسائل**) في الأصول لدى **السيد علي شبر والشيخ محمد جعفر آل الشيخ راضي**، ودرس الجزء الأول من (**شرح اللمعة**) في الفقه لدى **الشيخ محمد علي الخمايسي** والجزء الثاني عند **السيد محمد حسين الحكيم** الذي حضر عنده كذلك درس (**المكاسب**)، وقرأ (**كشف المراد**) في علم الكلام على **السيد جمال الدين الخوئي**.

ثم حضر أبحاث الخارج (المرحلة العليا في الدراسة الدينية الشيعية) في الفقه والأصول لدى كبار أساتذة ومراجع عصره، فحضر دورة أصول كاملة لدى **السيد أبو القاسم الخوئي والشيخ محمد طاهر آل راضي**، وحضر درس **السيد محمد تقي الحكيم** في كلية الفقه «**الأصول العامة للفقه المقارن**»، وحضر مباحث الحجج لدى **الشيخ محمد رضا المظفر**.

أما في الفقه، فحضر بحثي **السيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي**.

ويقول **الفضلي** أنه اقترح على **السيد محمد باقر الصدر** أن يبدأ بدرسه الخارج في الفقه، وأن يبدأ أولاً بدرس خاص ثم ينتقل إلى الدرس العام، وهو ما حصل، كما يفيدنا **الفضلي**، حيث حضر مع **الشيخ مهدي السماوي** درسه الخاص الذي استمر مدة عام تقريبًا في مسجد الهندي، أكمل فيه الجزء الأول من كتاب شرح العروة الوثقى، وذلك قبل أن يبدأ **الصدر** درسه الفقهي العام الذي حضره تلامذة أفاضل منهم: **السيد الحائري والسيد الهاشمي والشيخ التسخيري والسيد الأشكوري** وباقي كوكبة العلماء المجاهدين.

وجمع الفضلي مع دراسته الحوزوية هذه في مرحلتي السطوح وأبحاث الخارج دراسة أكاديمية، حيث أكمل دراسة البكالوريوس في كلية الفقه ضمن الدفعة الأولى لتأسيسها، ومن ثم دراسة ماجستير اللغة العربية في جامعة بغداد (كانت مناقشة رسالة الماجستير في ١٠/ ٤/ ١٩٧١م = ١٤/ ٢/ ١٣٩١هـ).



صورة ١٥ : في النجف الأشرف: ثانوية منتدى النشر، مع الطالب إبراهيم الخفاجي والأستاذ عبد الجبار كشكول

□ الفضلي وأساتذة الجيل

عاصر الفضلي - وهو يعيش سنواته الأولى في مدرسة النجف العلمية - بداية تبلور نهضة ثقافية جديدة على أيدي رجالٍ قرأوا تراثهم الغني بعينٍ وواقعهم المؤلم

بالعين الأخرى. وبدأوا في تشكيل حركة إسلامية معاصرة ذات بناء فكري ينطلق من مدرسة **أهل البيت** ﷺ ويربط أصول هذه المدرسة بواقعه.

والبدايات الأولى لهذه النهضة كانت بقيادة عدد من المراجع والعلماء الأجلاء أمثال **الشيخ كاشف الغطاء والسيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الحكيم والسيد محسن الأمين والشيخ آغا بزرك الطهراني**.

وكان الانطلاق الحقيقي لهذه النهضة مع تسلّم **السيد الحكيم** المرجعية العليا في النجف، حيث كان يحمل - كما يصفه **الفضلي** - مشروعًا لقيام دولة إسلامية في العراق وإن لم يصرح به. وقد عرفه عنه العاملون من المحيطين به من أولاده وآخرين، كان منهم **السيد الصدر والفضلي**، وتزامنت إرادة **السيد الحكيم** هذه - وهو المرجع الأعلى المسؤول عن إدارة الحوزة النجفية - مع رؤية وحركة العلماء الشباب في الحوزة، فكانت النهضة النجفية عبر أبرز مشروعيها في الخمسينيات من القرن الماضي هما: كلية الفقه وجماعة العلماء.

وانضم **الفضلي** إلى هذه المسيرة منذ انطلاقها، ودخل خلال سنوات قليلة ـ وهو ما يزال في مقتبل شبابه ـ مشاركًا فاعلاً مع رجالها المؤسسين والرواد.

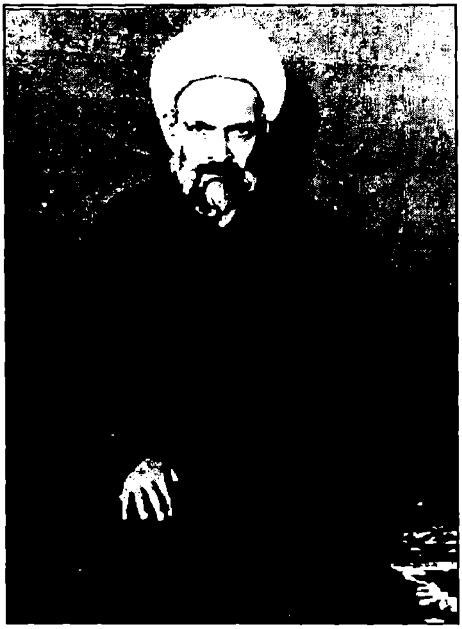
ويقول **الفضلي**: إن أبرز الأساتذة الذين تَلمذ عليهم ويعدهم قادة ورواد النهضة النجفية ورواد ثورتها الثقافية هم: **الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد أمين زين الدين** ـ رضوان الله تعالى عليهم. ولنتحدث عن تلمذة **الفضلي** عليهم وعلاقته مع كل منهم:

المظفر والتقي الحكيم

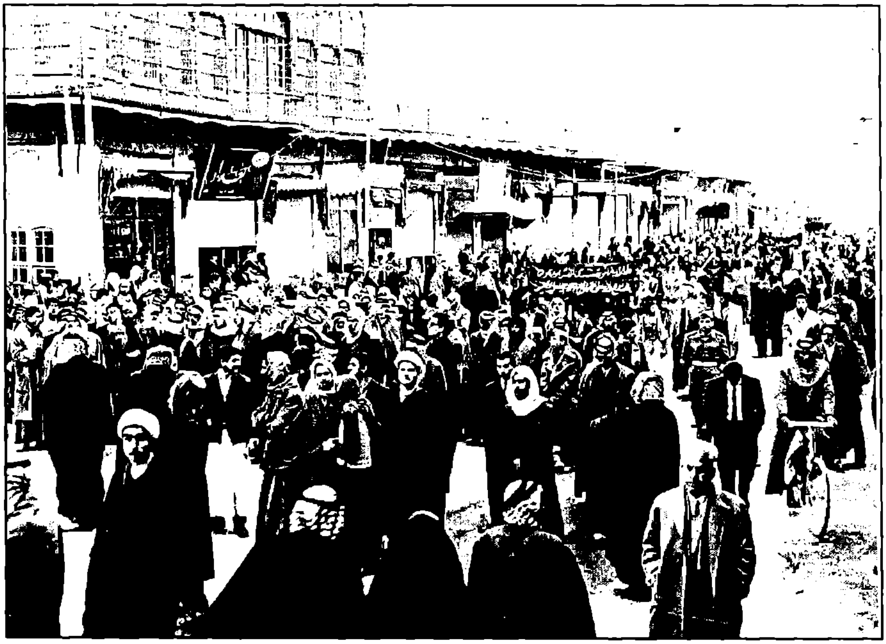
يعد مشروع تأسيس كلية الفقه[1] في النجف ـ وقبلها منتدى النشر ومدارسه بجهود **الشيخ الجليل محمد رضا المظفر** ـ أهم مشروع علمي شهدته النجف في حاضرها، ويمكن أن نقول إنه أسهم في نقل النجف من الماضي إلى الحاضر، وصنع واقعًا جديدًا لدى علماء النجف اطلعوا من خلاله على العلوم الحديثة وشعروا أن

(١) كتب الفضلي في يومياته عن افتتاح كلية الفقه في النجف الأشرف أنه تمَّ في يوم الخميس ١٩ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٩م ورأيت أن أنقل عبارته - هنا - لما فيها من دلالة: «باسم الله، وباسم الدين، افتتحت كلية الفقه، وألقى العميد المظفر خطاب الافتتاح، وجه فيه الطلاب إلى القيام بالمسؤولية الدينية تمام القيام وأشرفه»، وقد بدأت الدراسة بالكلية يوم السبت ٣١ كانون الثاني ١٩٥٩م.

الفكر الشيعي بعمق تراثه وأصالته يجب أن يكتب ويعرض بلغة العصر ليدخل الميدان بقوة، وهو ما شهدناه بالفعل خلال سنوات قلائل.



صورة ١٦ : الشيخ محمد رضا المظفر



صورة ١٧: في النجف الأشرف: موكب طلاب ثانوية منتدى النشر في تشييع جثمان الشيخ محمد رضا المظفر



صورة ١٨: في النجف الأشرف: ليلة عاشوراء - موكب ثانوية منتدى النشر، ويظهر الفضلي في يسار الصورة

يقول **الفضلي**: «ومن جديد ما أضافته (كلية الفقه) كتاب (**الأصول العامة للفقه المقارن**)، ومن العلوم الحديثة ما يعد مساعدًا للتخصص بالفقه، أمثال: علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية وعلم القانون واللغة الإنجليزية والأدب العربي والفلسفة الحديثة»[١].

وكان **الفضلي**، وهو المطلع على عصره بما يقرأه من كتب ودوريات وإصدارات، قد رسم لنفسه الطريق، وعرف في سن مبكرة ضرورة الجمع بين أصالة الفكر الشيعي وواقع العصر الذي يعيشه.

فكان أن دخل كلية الفقه عند تأسيسها طالبًا وتخرّج في دفعتها الأولى متزودًا بعلوم كان لها دور كبير في حاضره ومستقبله، وتَلمذ خلال هذه الدراسة على يدي أستاذين من أساتذة الجيل في النجف هما: **الشيخ المظفر والسيد محمد تقي الحكيم**.

(١) مجلة فقه أهل البيت، العدد ٣٥ السنة التاسعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

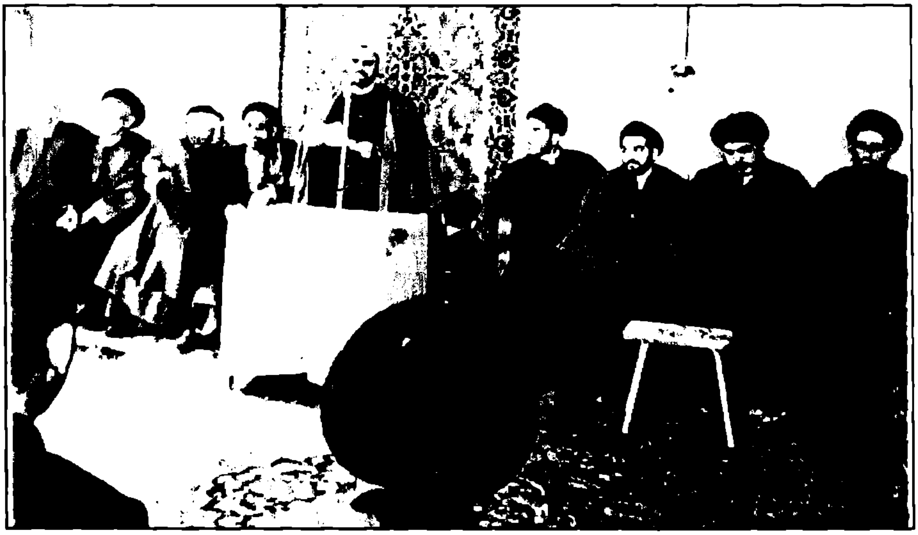
يقول عن أستاذه **المظفر**: «حلَّ كتابه (**المنطق**) في كثير من الحوزات محل (**الحاشية**) و(**شرح الشمسية**)، كما أصبح كتابه (**أصول الفقه**) يدرس في أكثر من حوزة ومعهد... ويمتاز هذان الكتابان بتوفرهما على عنصري التعليم والتربية وهما العنصران المطلوب توافرهما في المقرر الدراسي»[١].

ويقول عن أستاذه **التقي الحكيم**: «يعد كتابه (**الأصول العامة للفقه المقارن**) أول كتاب يؤلف في أصول الفقه المقارن، وهو مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الشرف في كلية الفقه وعلى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد ... والكتاب جدير بأن يدرّس في الحوزات العلمية؛ لتميزه بالمنهجية المتفوقة، واشتماله على عنصري التعليم والتربية»[٢].



صورة ١٩: وفد ثقافي هندي في زيارة كلية الفقه، ويظهر من أعضاء الكلية في الصورة، الثالث من اليمين: السيد جواد شبر، السابع: الشيخ محمد كاظم شمشاد الهندي، التاسع: السيد هادي فياض رئيس جمعية منتدى النشر، الحادي عشر: السيد محمد تقي الحكيم عميد كلية الفقه، ثم الشيخ الفضلي، فالشيخ محمد علي الإيرواني مسجل الكلية

(١) م. ن.
(٢) م. ن.



صورة ٢٠: يلقي كلمة في حفل تأبيني في جمعية منتدى النشر في النجف، ويظهر في الصورة الثالث من اليمين: السيد علاء الدين بحر العلوم، ويليه: السيد فاضل الميلاني، والأول من اليسار: الخطيب الشيخ عبد موسى

الشيخ زين الدين

ومما يرويه الفضلي عن مرحلة دراسته في النجف وكيف كان للشيخ محمد أمين زين الدين دور محوري في بناء شخصيته، أن بداية تعرّفه إليه كان في البصرة بحكم العلاقة الوثيقة التي تربط والده الشيخ المحسن الفضلي بالشيخ زين الدين. وبعد أن أمّ النجف صغيرًا، سكن مؤقتًا في غرفة الشيخ زين الدين في مدرسة الآخوند الوسطى، ويذكر كيف أنه استفاد كثيرًا من مكتبته العامرة في هذه الغرفة خلال فترة سكناه، ثم حضر عنده درسًا خاصًّا في العقائد يومي الخميس والجمعة.

ويقول الفضلي عن الشيخ زين الدين: «إنه أستاذ موهوب، يمتلك من القدرات التربوية ما أهّله لأن يكون أستاذًا من أساتذة الأجيال في النجف أدبيًّا وعلميًّا»، وأسماه في عنوان بحثه الذي كتبه عنه «فقيه الأدباء وأديب الفقهاء»؛ لأن مجلسه امتاز عن باقي مجالس النجف أنه إضافة للعلم كان منتدًى أدبيًّا يجمع شعراء وأدباء النجف.

ويذكر الفضلي أنه ﷺ قد عقد حلقة تدريس لكتابه (الإسلام: ينابيعه، مناهجه، غاياته) حضرها معه الشيخ مهدي السماوي والسيد مهدي الحكيم والشيخ محمد حيدر والسيد محمد باقر الحكيم وآخرون تم اختيارهم من الشيخ زين الدين نفسه،

لتعليمهم - نظريًّا وتطبيقيًّا - على كتابة المقالة الأدبية، وهو أول درس من نوعه في النجف.



صورة ٢١: في مقر جمعية الرابطة الأدبية بالنجف الأشرف، وهم من اليمين: السيد باقر الخرسان، الشيخ الفضلي، السيد محمد بحر العلوم، الشيخ موسى اليعقوبي، الشيخ جعفر الهلالي، الشيخ كاظم الخطيب

ويقول الفضلي عن هذه التجربة الفريدة: «ويرجع هذا لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى أستاذنا **الشيخ زين الدين** نفسه، وأستاذنا **السيد محمد باقر الصدر**.

ويرجع هذا، في عوامله ودوافعه، إلى انتشار الأدب الاشتراكي الملتزم، وكانت تمثله بوضوح وقوّة مجلة الآداب التي أصدرها عام ١٩٥٣م ببيروت **الأستاذ سهيل إدريس**، وكان يكتب فيها أقطاب الاشتراكية من الأدباء العرب، وكانت تنتشر انتشارًا واسعًا، وكانت تصل إلى النجف الأشرف، وكان لها مفعول مجلة الرسالة في الاستقطاب والتأثير.

وأستاذنا **الشيخ زين الدين**، وهو الرائد في الكتابة الإسلامية في مفاهيم الإسلام، ومن خلالها كعقيدة شاملة ونظام كامل للحياة، وهو المؤمن الغيور على دينه وأمته، كان يرى لزامًا عليه أن يكوّن جيلاً من شبّان أهل العلم في النجف كتّابًا إسلاميين، يحملون الإسلام، ينشرون ويدافعون عنه، ويقفون أمام الغزو

الاشتراكي، فكان له ما أراد. فقد استطاع أن يكوّن من تلاميذه من قام بالمهمة وأدى الوظيفة على خير وجه»[١].

ومن الأنشطة المهمة التي أقيمت في النجف، يروي **الفضلي** أن جماعة أسست باسم (العشرة) يشرف عليها **السيد موسى بحر العلوم والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والشيخ محمد أمين زين الدين**، وتألفت الجماعة من:

١. السيد جعفر السيد موسى بحر العلوم
٢. الشيخ مهدي الشيخ محمد رضا السماوي
٣. الشيخ هادي القمي
٤. الشيخ عبد الهادي الفضلي
٥. السيد محمد سعيد الحكيم
٦. السيد طالب الرفاعي
٧. الشيخ حليم الزين
٨. السيد مير حسن أبو طبيخ
٩. السيد مهدي الحكيم
١٠. الشيخ جعفر صادق العاملي

وكان الهدف من الجماعة تعليم أعضائها وتدريبهم على كتابة البحث وتكوينهم كُتّابًا إسلاميين نجفيين يكتبون وينشرون الأبحاث والمقالات العلمية في المجلات والدوريات الثقافية؛ لأن النجف يومها لا يوجد بها كتّابٌ يؤدون هذا الدور ويسهمون في إيصال فكر مذهب **أهل البيت** إلى المثقفين والمتعلمين عبر وسائل الإعلام ومنابر الأدب والثقافة.

وكان نشاطها يقوم على تحديد موضوع للكتابة، ويقوم كل عضو من الأعضاء بكتابة بحث في الموضوع المحدد يلقيه في الاجتماع الأسبوعي بحضور أعضاء لجنة

(١) هكذا قرأتهم، ج١ ص ٣٢٧.

الإشراف الذين يقيّمون البحوث ويسلطون الضوء على جوانب القوة والضعف فيها، وتدور حلقة نقاش يشارك بها الحضور. واستمرت هذه الجماعة لأكثر من عام.

الشهيد الصدر

أما أستاذه **الشهيد الصدر** فيقول الفضلي عما أضافه في الجوانب العلمية: «كان ﷺ ينطلق في إضافاته العلمية المثمرة من نظرته لحاضر الحوزة ومستقبلها من خلال واقع رسالتها في حياة المسلمين وتحقيق أهدافها في مجتمعاتهم.

وحيث إن الحياة تطورت في أساليبها ووسائلها ومختلف ثقافاتها تبعًا لتطور حضاراتها حتى أصبح الإنسان المسلم المعاصر أبعد في نظرته للمستقبل وأوسع شمولية في استقطابه لما يدور حوله. لم يعد أمام المبّلغ الإسلامي إلاّ أن يتطور في الأسلوب والوسيلة ليكون بمستوى متطلبات المعاصرة من تجديد وسواه.

وقد كان سيدنا **الصدر** ـ لهذا ـ يحمل همّ الحوزة العلمية وهمّ الطالب الديني ويصرف الشيء الكثير من تفكيره في دراسة المشكلة ووضع الحلول لها.

ومن بعض الأعمال التي قام بها في هذا المجال:

- تأليف كتاب (**المعالم الجديدة**) الذي ضمنه مختصرًا عن تاريخ علم أصول الفقه، ودراسة تاريخ العلم من أهم ما يقرره المنهج العلمي الحديث، وهو مما سارت عليه الدراسات الجامعية. وإنها لإضافة رائدة وموفقة.
- تأليفه موسوعته الأصولية (**دروس في علم الأصول**) المعروف في الأوساط الحوزوية بـ (الحلقات) الذي طوّر فيه التبويب وفي المادة، وذلك بإضافة أحدث ما انتهت إليه مدرسة النجف الحديثة من نظريات جديدة في هذا العلم، وقد أثبتت تجارب تدريسه في الحوزتين الكبيرتين بالنجف وقم نجاحه كمقرر دراسي.
- تأليفه (**فلسفتنا**) و(**اقتصادنا**)، وقد أشرت إلى أنهما أخضعا للتجربة بتدريسهما في دورة السيد الحكيم، وفي الدورات الموسمية لطلبة الجامعات العراقية، ولمسنا عمق تأثيرهما علميًّا وأدبيًّا»[١].

(١) مجلة فقه أهل البيت العدد ٣٥.

وكانت تلمذة **الفضلي** على هؤلاء الأساتذة (**المظفر وزين الدين والتقي الحكيم والصدر**) ليست تلمذة بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما كانت وحدة عضوية حملت الرسالة الإسلامية فكرًا وهدفًا:

فقد شارك **الفضلي** أستاذًا في متوسطة وثانوية منتدى النشر، وأصبح ـ وبعد تخرجه من كلية الفقه ـ معيدًا فيها، ثم انضم إلى أساتذة الكلية يشارك أساتذته في دعم مسيرة النهضة العلمية النجفية.

وقد كان لأستاذيه **زين الدين والتقي الحكيم** الفضل في خطوات سير **الفضلي** في طريق التأليف وتشكّل قلمه وأسلوبه في الكتابة ومنهجه في البحث.

وقد شارك أستاذه **الصدر** في صنع الحركة السياسية الإسلامية - كما سيأتي - تنظيرًا وتعليمًا وجهادًا.



صورة ٢٢: أساتذة وطلاب كلية الفقه، والأساتذة هم: جلوساً من اليمين: الشيخ عبد الهادي الحموزي، السيد محمد تقي الحكيم، السيد هادي الفياض، الشيخ الفضلي، والرابع وقوفًا في أعلى الصورة من اليمين: السيد عبد الرحيم الشوكي، والتاسع: السيد حازم الحلي



صورة ٢٣: في مكتب ملاحظ كلية الفقه بالنجف الأشرف، من اليمين: الشيخ باقر المقدسي، الشيخ مجيد الصيمري، الشيخ الفضلي، السيد أحمد الحسني

الأستاذان إبراهيم السامرائي ومصطفى جواد

في دراسته الماجستير بجامعة بغداد وخلال السنة الدراسية الأولى قبل التفرغ للرسالة، درس المواد التالية:

- فقه اللغة — د. إبراهيم السامرائي
- تحقيق المخطوطات — د. مصطفى جواد
- البلاغة — د. عبد الرزاق محيي الدين، كان يومها وزيرًا
- الأمثال — د. صفاء خلوصي، أديب ومحقق
- النحو — أ. كمال إبراهيم

وكتب بحوثًا كانت متطلبات من أساتذة بعض هذه المواد، منها: بحث **«الأمثال في نهج البلاغة»** في مادة الأمثال، وتحقيق **«معاني الحروف»** وهو مخطوط منسوب للخليل بن أحمد في مادة النحو.

وفي هذه الدراسة، توفر للفضلي فرصة التلمذة على يدي أستاذين كبيرين في علوم اللغة العربية، هما: **الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مصطفى جواد**، كان

الأول منهما المشرف فيما بعد على رسالته الماجستير، وربطته **بالفضلي** علاقة طويلة استمرت في العراق وبعد خروجهما منه تواصلاً وكتابة.

ويقول **الفضلي** أنهما بحران من العلم: **السامرائي** في المجال اللغوي والأدبي **ومصطفى جواد** في مجال اللغة والتاريخ والأدب وتحقيق التراث، ولهما أسلوب في التدريس محبّب جدًا للتلاميذ يشدّ الطالب للعلم بطريقة تربوية عالية، وقد تخرّج في مدرستهما العلمية الكثير من الأساتذة الكبار والمفكرين.

ويقول: إن **الدكتور مصطفى جواد** كان ينقل لهم نقولات تاريخية وأدبية مهمة من مخطوطات نادرة جمعها خلال سنين طويلة، حتى شكلّت لديه كتابًا أسماه «**أصول التاريخ والأدب**»، ربما جاوز الستين مجلدًا. حوى نصوصًا تاريخية وأدبية مهمة ونادرة، ولكن ـ للأسف ـ بقي كتابه مخطوطًا لم يقدّر له أن يطبع، وربما يكون الآن عند أحد أبنائه، ويتمنى **الفضلي** أن يقوموا بطباعته.

وأما رسالة **الفضلي** للماجستير فكان موضوعها وعنوانها: (**أسماء الأفعال والأصوات، دراسة ونقد**) بإشراف **الدكتور إبراهيم السامرائي**، ومناقشة **الشيخ عبد المهدي مطر** ممتحنًا خارجيًا بالمراسلة، والأستاذ **كمال إبراهيم** **والدكتور مهدي المخزومي**.

□ المد الشيوعي وتأسيس الحركة الإسلاميّة السياسيّة

إن أحد الأسباب المهمة في انطلاق الحركة الإسلامية النجفية بجميع أبعادها الفكرية والثقافية والسياسية والأدبية كان انتشار المد الشيوعي في العراق، والتحدي الذي خلقه الفكر الشيوعي الجديد بما يملكه من فكر أيديولوجي قائم على مبادئ ونظريات وغايات، وله تجارب ناجحة في ثورات الشعوب، والأهم من ذلك أن حركته السياسية والفكرية متمثلة بالحزب الشيوعي تملك تنظيمًا عالميًا عاليًا.

وكانت البدايات التأسيسية للحركة النجفية السياسية قبل انقلاب ١٩٥٨م وقيام النظام الجمهوري ببضع سنين. يروي لنا **الفضلي** تلك الأيام، فيذكر بأن الساحة السياسية كان بها حزبان إسلاميان سنيّان، هما: حركة الإخوان المسلمين التي كانت سرية في البداية، وانبثق منها بعد قيام النظام الجمهوري «الحزب الإسلامي»، والحزب الآخر هو «حزب التحرير» السري، وكلاهما كانت مرجعيته خارج العراق.

وفي وقت متقارب قبل قيام النظام الجمهوري ببضع سنين، بدأ تحرّكان في الحياة السياسية الشيعية: الأول في النجف والآخر ببغداد.

ففي النجف كان المرجع السيد محسن الحكيم يحمل - كما أشرنا - مشروعه السياسي لقيام دولة إسلامية في العراق، وكان عدد من العلماء الشباب يومها يتفاعلون مع ما يجري على الساحة العراقية والعالمية ويرون وجوب التحرك السياسي ليكون للإسلام كلمته في الساحة، فكانت الانطلاقة الأولى في النجف عبر تأسيس جماعة العلماء التي يشرف عليها السيد الحكيم في عام ١٩٥٩م، وتألفت من العلماء التالية أسماؤهم:

١. الشيخ مرتضى آل يس، معتمدًا ورئيس اللجنة التوجيهيّة.
٢. الشيخ حسين الهمداني، عضو اللجنة التوجيهيّة.
٣. السيد محمد تقي بحر العلوم، عضو اللجنة التوجيهيّة.
٤. السيد علي الخلخالي.
٥. السيد مرتضى الخلخالي.
٦. الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي.
٧. الشيخ محمد جواد الشيخ راضي.
٨. السيد محمد باقر الشخص.
٩. الشيخ محمد رضا المظفر.
١٠. الشيخ خضر الدجيلي.
١١. الشيخ محمد حسن الجواهري.
١٢. الشيخ محمد تقي الأيرواني.
١٣. السيد موسى بحر العلوم.
١٤. السيد إسماعيل الصدر[١].

وكانت الجماعة تصدر نشرة باسم (الأضواء)، يكتب افتتاحيتها السيد الشهيد الصدر، وتضم هيئة تحريرها الفضلي والشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ كاظم الحلفي والشيخ محمد رضا الجعفري، وتكتب الجماعة

(١) مفكرة الفضلي اليوميّة لعام ١٩٥٩م.

منشورًا أسبوعيًّا يكتبه **السيد الصدر** يرسل لجميع أنحاء العراق ويقرأ في الإذاعة العراقية.

وهذه الحركة كانت بداية العمل الجهادي للشيخ الفضلي وأساتذته وصحبه في الساحة الثقافية والسياسية العراقية، وقد شارك فيها الفضلي مشاركة فاعلة بالقلم والمنبر والميدان.

أما في بغداد، فكان الكثير من شباب الشيعة المثقف يرى ويقرأ عن الأحزاب الإسلامية وأطروحاتها. فتحرك جماعة منهم وانضموا في البداية إلى حزب التحرير وكان منهم: **المهندس محمد هادي السبيتي** وأخوه **المهندس محمد مهدي والشيخ عارف البصري والدكتور جابر العطا والشيخ سهيل نجم والسيد طالب الرفاعي** وكانوا يومها مثقفين مؤمنين طموحين يبحثون عن تغيير واقعهم ويحملون فكرًا شيعيًّا واعيًا للمرحلة ومدركًا لتحديات الواقع ومتأثرًا بما يقرأ ويسمع، ولم يكن حزب التحرير يومئذ يظهر تعصبه وطائفيته.

ولكنهم، وبعد أن أظهر الحزب تعصبه ضد الشيعة، استفتوا **السيد الحكيم** في حكم الانضمام إليه، فطلب **السيد الحكيم** ﵀ من **الشيخ محمد أمين زين الدين** أن يقرأ كتب **الشيخ تقي الدين النبهاني** مؤسس الحزب، وبعد أن أطلع **السيد الحكيم** بما حوته، أصدر فتواه بحرمة الانتماء لحزب التحرير.

في إثر ذلك، تحدّث كل من **المهندس محمد هادي السبيتي والشيخ عارف البصري والسيد طالب الرفاعي** مع **السيد مهدي الحكيم** وطرحوا عليه ضرورة وجود حزب إسلامي شيعي. وبعد التداول، فاتحوا **السيد محمد باقر الصدر** في ذلك. فأيد الفكرة، ولكنه طلب موافقة **السيد الحكيم والشيخ مرتضى آل يس**.

وبدأ **الصدر** ـ بعد أخذ موافقة وتأييد المرجعية ـ بوضع وكتابة **الأسس الإسلامية** التي يرى أن الحزب والدولة الإسلامية يجب أن تقوم عليها، ثم دعا **السيد مهدي الحكيم** مجموعة من العلماء لحضور درس **السيد الصدر** للأسس الإسلامية، حيث بلغ عدد الذين حضروا حلقة الدرس (١٥) عالمًا تم اختيارهم بعناية، منهم: **السيد مهدي الحكيم، الشيخ عبد الهادي الفضلي، السيد طالب الرفاعي، الشيخ مهدي السماوي، الحاج محمد صالح الأديب، الشيخ عارف البصري**... ولا يمكن

اعتبار حلقة الدرس هذه الخلية الأولى في الحزب كما توهم ذلك بعض الباحثين، وإنما هي تأصيل للأساس الفكري الذي سيقوم عليه الحزب.

يقول **العلاّمة الفضلي**: «إن حلقة الدرس استمرت أكثر من سنة وبلغ عدد الأسس كاملة (٢٨)، والمنشور منها حاليًّا (١١) فقط، ولا أعلم إن كان الباقي موجودًا عند أهل بيت **السيد الصدر** أو عند آخرين، وقد تعجبتُ من ضياعها، وهي الأسس التي قام عليها حزبٌ عمره أكثر من خمسين عامًا». فسألت **الفضلي**: «أين القائمون عليه عن البحث عنها وحفظ أهم تراثٍ لديهم؟»، وكان جوابه: «إنها لم تكتب وتنشر في مرحلة تأسيس الحزب الأولى؛ لأنها كانت تحاط بسرية شديدة»، ويقول **الفضلي** في مقال كتبه عن هذه الأسس: «كما أتذكر أنه ﵀ قام بشرحها وحاضرنا بأوائل شروحها.

ولا أعلم مصير هذا المخطوط بعد أن أفرغت الامبريالية العالمية جام حقدها على النجف والشيعة ومرجعها القائد **السيد الصدر**»[١].



ويشير **الفضلي** إلى أنه ورفاقه مِنَ العلماء في هذه الحلقة كان دورهم في الحزب في المرحلة التالية لمرحلة التأسيس الجانبَ الفكري والمتمثل في تدريس هذه الأسس لخلايا الحزب الخاصة، وكذلك عقد حلقات تدريس عامة لكتب الصدر: **المدرسة الإسلامية** و**فلسفتنا** و**اقتصادنا**، وكتب أخرى غيرها، وكذلك دور الكتابة والنشر في مجلة الحزب الخاصة ومجلة الأضواء التي تصدرها جماعة العلماء.

(١) هكذا قرأتهم ج٢ ص ٢٢٠.

وأما الدور التنظيمي والإداري، فكانت في بداية التأسيس مسؤولية **السيد مهدي الحكيم**، وانتقلت فيما بعد هذه المسؤولية كاملة إلى بغداد ومدن العراق الأخرى بقيادة **السبيتي** ورفاقه، وكانت علاقتهم بمرجعية النجف وعلمائها عبر العلماء المقيمين في بغداد، **كالسيد مرتضى العسكري**.



وبعد اكتمال الجزء النظري للحزب الجديد، عبر الأسس التي وضعها **السيد الصدر**، تم الاتفاق على تأسيس الحزب. وكان الاجتماع التأسيسي في كربلاء المقدسة، وحضره ـ إلى جانب علماء النجف ـ **السيد مرتضى العسكري** وقادة الحزب التنظيميين الأوائل، ومنهم: المهندس **محمد هادي السبيتي وعبد الصاحب دخيل** وآخرون، وأطلقوا عليه اسم (الحزب الإسلامي) قبل أن يتم تغييره فيما بعد إلى (حزب الدعوة الإسلامية) بعد سنة تقريبًا، حيث قامت جماعة الإخوان المسلمين بتقديم طلب رسمي لتأسيس حزب باسم (الحزب الإسلامي) وتمت الموافقة عليه من الحكومة العراقية، وهو ما دعا **الصدر** ومؤسسي الحزب الإسلامي الشيعي إلى تغيير اسمه.

ويروي **الشيخ الفضلي** أن حركة حزب الدعوة في بدايتها لاقت صعوبة داخل الطائفة الشيعية وبطء في الانتماء إليه، والسبب في ذلك يرجع إلى ثلاثة عوامل، هي:

- أنها ما زالت في تلك الفترة تجربة جديدة على العالم الشيعي، لم تسبقها تجارب أخرى.

- والثاني: أن الحزب سلك الطريقة السرية في نظامه بصورة مشابهة لأسلوب عمل الحزب الشيوعي. ومن الطبيعي أن العمل السري في بدايته تكون حركته بطيئة تجنبًا للفشل والضربات، حتى يقوى ويشتد.
- والعامل الثالث: أن الشيعة، نتيجة لالتزامهم الديني، لا يُقدِمون على مثل هذا العمل ما لم يكن مؤيَّدًا بفتوى صريحة ومكتوبة من المرجعية، وهو أمر كان ـ وفي ظل ظروف ذلك الزمن ـ لا يمكن تحقيقه كتابيًّا.

ولكن بعد زمن قصير، وبفضل كثافة الأنشطة الثقافية والتعليمية والعدد الكبير من الاحتفالات والمهرجانات التي أقيمت في جميع مدن العراق، والتي كان يرسمها **السيد الصدر** ويبعث تلامذته لإحيائها - وفي مقدمهم **الشيخ الفضلي** ورفاقه - وتتحرك في ظل مرجعية **السيد الحكيم** ومراجع النجف وجماعة العلماء، بدأ الانضمام لحزب الدعوة يشهد إقبالاً كبيرًا، ولاسيما في حواضر العراق.

ومن فتاوى دعم المرجعية للحراك السياسي والفكري للدعوة، نضع - هنا - صورًا للفتوى المهمة في حينها من مراجع الطائفة جواباً للسؤال التالي من الأضواء بخط الشيخ الفضلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد ميرزا مهدي الشيرازي دام ظله المديد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

هل في الاسلام نظام متكامل شامل، يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم، وجميع مشاكل الانسان بالحل الصحيح الناجع، ويعنى بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى المجالات من الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟

وهل الدعوة الى تطبيق هذا النظام الاسلامي واجبة على المسلمين؟

٢٧/٩/١٣٧٩هـ الرضواء

مدرسة الصدر ـ النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الاسلام نظام متكامل شامل لجميع مظاهر الحياة ويعالج جميع مشاكل الانسان بأفضل حل لم يسبقه في ذلك سابق ولا يلحقه لاحق لانه احسن صالح للتطبيق في جميع الازمنة والامكنة قال الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) والدعوة الى تطبيق الاسلام واجبة على جميع المسلمين قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وفق الله المسلمين الى العمل بشرائع الاسلام والدعوة الى الحق وهو المستعان

مهدي الحسيني الشيرازي

صورة ٢٤: فتوى السيد الميرزا مهدي الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي دام ظله العالي

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

هل في الاسلام نظام متكامل شامل يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم، وجميع مشاكل الانسان بالحل الصحيح الناجع، ويعنى بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟

وهل الدعوة الى تطبيق هذا النظام الاسلامي واجبة على المسلمين؟

٢٦/٢/١٣٧٩هـ — الاضواء

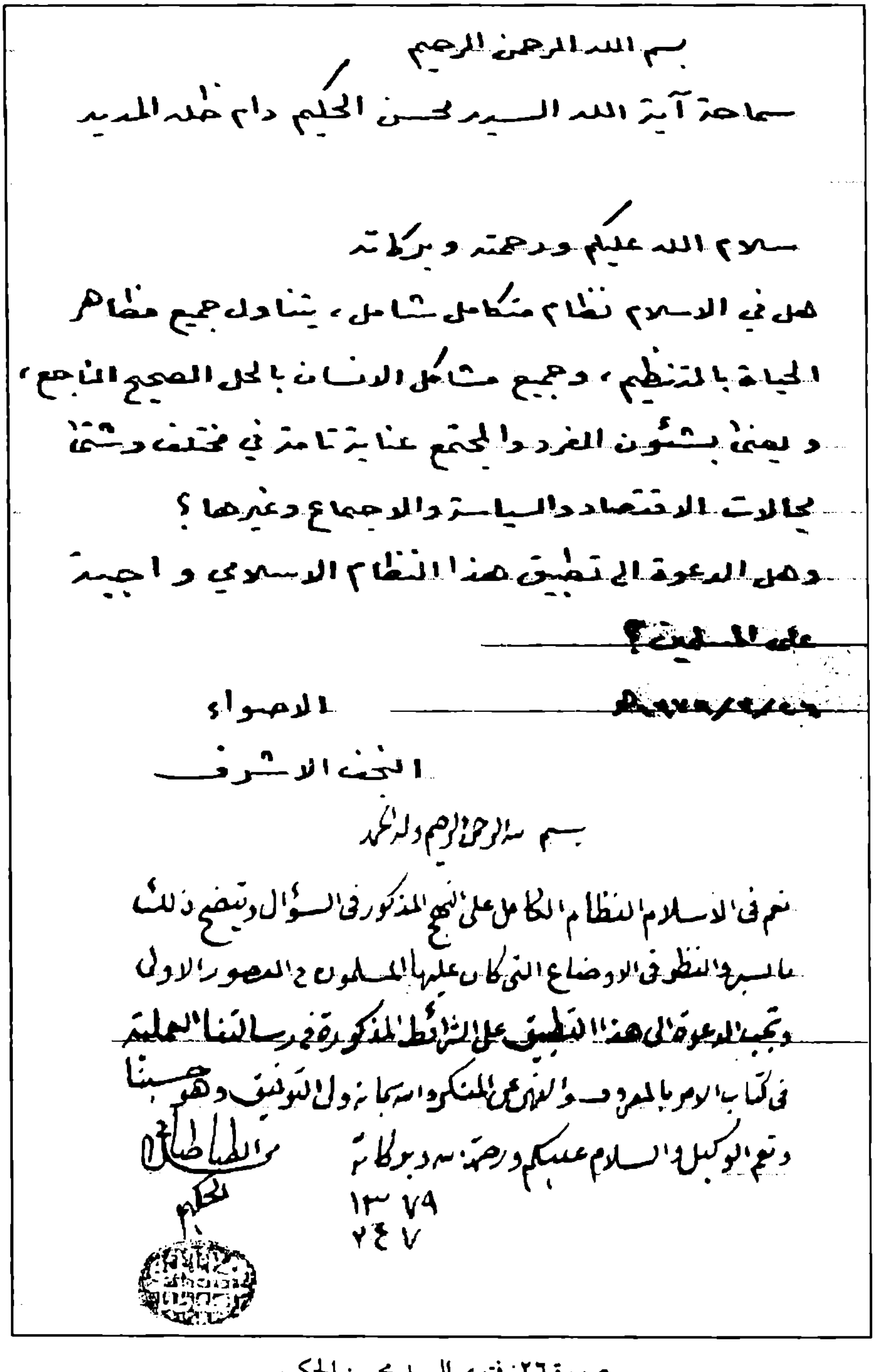
النجف الاشرف

بسمه تعالى شأنه

لا ريب في ان دين الاسلام هو النظام الاتم الاكمل لما فيه الحل الصحيح لجميع مشاكل الانسان في جميع الاعصار والادوار ويجب الدعوة الى تطبيقه على من اجتمع فيه الشرائط المذكورة في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكتب الفقهية والله ولي التوفيق

الاحقر عبد الهادي الحسيني الشيرازي

صورة ٢٥: فتوى السيد الميرزا عبد الهادي الشيرازي



بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محسن الحكيم دام ظله المديد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

هل في الإسلام نظام متكامل شامل، يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم، وجميع مشاكل الإنسان بالحل الصحيح الناجع، ويعنى بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟

وهل الدعوة إلى تطبيق هذا النظام الإسلامي واجبة على المسلمين؟

[redacted]

الأضواء

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

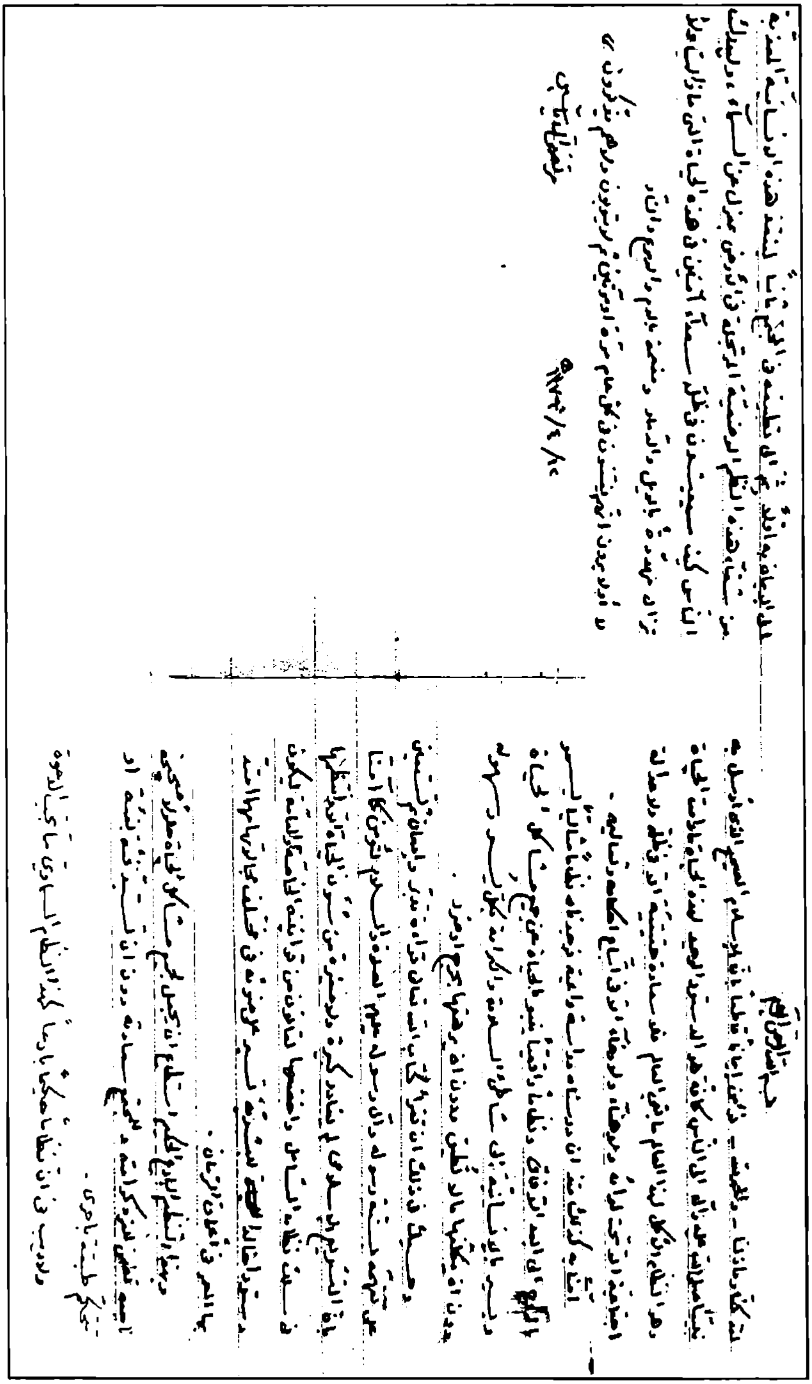
نعم في الإسلام النظام الكامل على النهج المذكور في السؤال ويتضح ذلك بالسبر والنظر في الأوضاع التي كان عليها المسلمون في العصور الأولى ويجب الدعوة إلى هذا التطبيق على الشرائط المذكورة في رسالتنا العملية في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محسن الطباطبائي الحكيم

١٣٧٩

٢٤٧

صورة ٢٦: فتوى السيد محسن الحكيم



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنا ولا زلنا - والحمد لله - نؤمن إيماناً قاطعاً بأن الإسلام الصحيح الذي أرسل به نبينا صلى الله عليه وآله إلى الناس كافة هو الدستور الوحيد لهذه الحياة ما دامت الحياة وهو النظام الأكمل لهذا العالم ما بقي العالم فلا سعادة حقيقية إلا في ظله ولا عدالة اجتماعية إلا تحت لوائه ولا رخاء ولا رفاه إلا في اتباع أحكامه وتعاليمه .

آمنا به كذلك منذ أن درسناه دراسة واعية فوجدناه نظاماً مثالياً يسمو بالمجتمع إلى أبعد الآفاق ونظاماً واقعياً يعبر بالحياة عن جميع مشاكل الحياة ويسير بالإنسانية إلى شاطئ السلامة والكرامة بكل يسر وسهولة بدون أن يكلفها ما لا تطيق وبدون أن يرهقها بحرج أو ضرر .

وحسبك في ذلك أن تقرأ كتاب الله تعالى قراءة تدبر وإمعان ثم تستعين على تفهمه بسنة رسوله وآل رسوله عليهم الصلاة والسلام لتؤمن كما آمنا بأن التشريع الإسلامي لم يغادر كبيرة ولا صغيرة من شؤون الحياة إلا وأنظمها في سلك نظامه الشامل وأخضعها لقانون من قوانينه الخاصة والعامة ليكون دستوراً خالداً للبشرية تسير على ضوئه في مختلف مجالاتها ما امتد بها العمر في أحقاب الزمان .

وبهذا التنظيم البارع الحكيم استطاع أن يحل لجميع مشاكل الحياة حلولاً صحيحة تضمن للفرد كرامته وللمجتمع سعادته دون أن تستبد فئة بفئة أو تتحكم طبقة بأخرى .

ولا ريب في أن نظاماً حكيماً بارعاً كهذا النظام السماوي ما تجب الدعوة إلى إحيائه أولاً ثم إلى تطبيقه في المجتمع ثانياً لينقذ هذه الإنسانية المعذبة من شقاء هذه النظم الوضعية المرتجلة في الأرض بمعزل عن السماء، وليدرك الناس كيف سيعيشون في ظله سعداء آمنين في هذه الحياة التي ما زالت ولا تزال مهددة بالويل والدمار ومفعمة بالدم والدموع والنار .

« أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون »

١٢/٤/١٣٩٣هـ مرتضى آل ياسين

صورة ٢٧: فتوى الشيخ مرتضى آل ياسين

ويروي **الفضلي** أنه في تلك الفترة كانت حركة **الإمام الخميني** ﭬ تتصاعد في إيران، وبعد أن سمع عن أطروحاته الإسلامية والثورية في قم المقدسة ضد نظام الشاه، بادر بالتنسيق مع أستاذه الصدر وجماعة الدعوة، إلى زيارة **الإمام الخميني** - في منتصف ستينيات القرن العشرين - ورافقه في هذه الزيارة **الشيخ عيسى الخاقاني**، لأنه يعرف اللغة الفارسية، فيساعده في الترجمة.

وعند وصوله[1] لقم المقدسة، صادف أن **السيد الخميني** كان يلقي بحثه الخارج في بيته، فحضره شيخنا **الفضلي** ذلك اليوم، ويذكر أن موضوعه كان (الصلاة في الطائرة). وبعد انتهاء الدرس والسلام على **السيد الخميني**، أهداه كتابه (**حضارتنا في ميدان الصراع**) وسأله عن رأيه في الحكومة: هل هي للأعلم أم لمطلق الفقيه؟ وكان جوابه لمطلق الفقيه، فناقشه في المسألة بناء على رأيه في كتابه (**في انتظار الإمام**) حيث يرى حكومة الأعلم، فردّ **الإمام الخميني** بسؤال عن دليله فأجابه أنه القدر المتيقن. ثم طلب **الشيخ عيسى الخاقاني** جلسة خاصة مع **الإمام الخميني**، فكانت في اليوم التالي (الأربعاء ١٢/ ٨/ ١٩٦٤م) صباحًا، وكانت داخلية في بيت **الإمام**، وتناولت النقاط التالية:

في البداية عرَضَ **الشيخ الفضلي** على **الإمام** حركة حزب الدعوة في العراق، وذكر خلال الحديث أنهم في البداية كانوا يتداولون فكرة الشورى التي طرحها صاحب الميزان، وكان تعليق **الإمام الخميني** أن رأيه الذي يراه هو ولاية الفقيه، ودار نقاش علمي حول النظرية.

بعد ذلك سأله **الشيخ** عن دافع ثورته الأول، فأجابه بأن الشاه حاكم ظالم جائر لشعبه وخان البلاد.. وتجب الثورة عليه.

ثم سأله **الشيخ** عن حركته، مشيرًا إلى أنها تعتمد نوعًا جديدًا من الثورات ليس له مثيل سابق، حيث يقوم على طريقة المرجعية الدينية في مقابل طريقة الحزبية، فالثورات السابقة، حتى الشعبية منها، بدأت بحركات وأحزاب سرية، فأُعجب **الإمام الخميني** بتحليله، وأضاف أنها حركة جماهيرية علنية، وليست سريّة تهدف إلى التغيير بدون استعمال السلاح.

---

(١) وصلها يوم الثلاثاء ١١ آب ١٩٦٤م الموافق ٢ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ، نقلاً عن مفكرته اليومية لسنة ١٩٦٤م.

ثم سأله الشيخ: هل فكّرتَ بعد نجاحك في الإطاحة بالشاه ماذا ستصنع؟، فأجابه: المهم الآن هو نجاح الثورة وسقوط نظام الشاه الظالم.

وكان لهذا اللقاء أثره بعد عودته إلى النجف، حيث دارت نقاشات مع **الشهيد الصدر** تبنت الدعوة على إثرها نظرية ولاية الفقيه.

◻ الفضلي أستاذاً ورائداً في الثورة الثقافيّة النجفيّة

لقد كان للمدارس العلمية المختلفة التي تخرج فيها الفضلي، ونتيجة تأثره بأساتذته، أثرهما في أن يصبح - في وقت مبكر - صاحب قلم متألق. وهي الميزة الأهم في شخصيته، والتي أجمع عليها أساتذته وزملاؤه وطلابه، وصارت معلمًا له في حياته النجفية وما بعدها.

وقد شارك في إصدار وتحرير نشرة الأضواء التي تصدرها جماعة العلماء، كما ذكرنا، ومجلة النجف التي تصدرها كلية الفقه مع **السيد عدنان البكاء والشيخ محمد مهدي الآصفي**. وكان عضوًا في جمعية منتدى النشر بطلب من أستاذه **الشيخ المظفر**، وانتخب عضوًا إداريًّا في جمعية الرابطة الأدبية النجفية في ٦ صَفَر ١٣٨٦هـ.

وقد تم تعيينه معيدًا، ثم مدرّسًا في كلية الفقه في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ الموافق ٢٩/ ٩/ ١٩٦٧م، وانتخب سكرتيرًا لمجلس كلية الفقه في ٦ شعبان ١٣٨٦هـ الموافق ٨/ ١١/ ١٩٦٧م.



صورة ٢٨: في مركز جمعية منتدى النشر: الشيخ الفضلي مع الشيخ محمد علي الإيرواني مسجل كلية الفقه وبينهما صورة الشيخ محمد رضا المظفر رئيس الجمعية وعميد الكلية



صورة ٢٩: في مدينة الديوانية: لاستماع محاضرة الفضلي، الأول من اليمين: الشيخ شاكر الديواني، والثالث: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، ثم السيد علي البعاج عالم الديوانية

ونشير – هنا – إلى أن أول مقالة للفضلي في النجف كانت في سنته الثانية بعد قدومه إليها بعنوان: (حبيب الله) عن النبي ﷺ نشرها في مجلة الوسيلة المصرية، وأول كتاب له كان (مشكلة الفقر) طبع في طبعته الأولى ضمن سلسلة منشورات الأضواء التابعة لجماعة العلماء، وكتب عنه السيد صدر الدين شرف الدين في مجلته النهج اللبنانية. وأول مؤلَّف دراسي كان كتابه (التربية الدينية).

ثم توالت مقالاته وبحوثه وكتبه في النجف. ولأن المقالات كثيرة لا تتوفر لدى الفضلي للأسف نسخٌ منها، حيث بقيت نسخ المجلات والدوريات في بيته النجفي يوم ترك النجف في ظروف صعبة ووضع خطير، وأذكر أن سُلّم بيتنا هناك الذي يوصل إلى مكتبته في الطابق العلوي كان عبارة عن أكوام من المجلات والجرائد متراصة فوق كل درجة منه، والمكتبة ليست بأحسن حال، فلضيق المساحة كانت كذلك عبارة عن أكوام متعامدة من المجلات والكتب. ونظرًا لأنه لا يملك – الآن – نسخًا لأغلب مقالاته وبحوثه النجفية، سنكتفي بذكر بعض عناوينها التي يوجد نسخ منها مما جمعه السيد مهدي بحر العلوم صاحب دار الزهراء في كتاب بعنوان (قضايا وآراء)، أو مما يتذكره الفضلي من عناوين أخرى، ثم نذكر كتبه النجفية.

الأبحاث المنشورة

١. من البعثة إلى الدولة — مجلة الأضواء
٢. مصطلحان أساسيان — مجلة الإيمان
٣. نحو كتابة دستور إسلامي — مجلة الإيمان
٤. ثورة الحسين وأثرها في الشعر العربي — مجلة النجف
٥. الأمثال في نهج البلاغة — مجلة رسالة الإسلام
٦. علم البلاغة العربية نشأته وتطوره — مجلة النجف
٧. مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية — مجلة النجف
٨. المبدأ الأول في الفكر اليوناني قبل سقراط — مجلة النجف
٩. الدمستاني من أعلام الخليج — مقدمة ديوان الدمستاني
١٠. الأحساء — دائرة المعارف الشيعية
١١. الشيخ الطوسي — مجلة النجف
١٢. الرقابة الاجتماعية في الإسلام — مجلة رسالة الإسلام
١٣. المضاربة — مجلة النجف
١٤. تنقل الألفاظ — مجلة اللسان العربي، المغرب
١٥. ألفية ابن مالك
١٦. المقياس النحوي بين القرآن وكلام العرب
١٧. حول المؤلفات الفقهية — مجلة الإيمان
١٨. حول تعبير شائع — مجلة الأضواء
١٩. السنهوري يدعو إلى قانون عربي موحد مستوحى من الشريعة، جريدة السياسة الكويتية
٢٠. الأسماء الثنائية في اللغة العربية — مجلة اللسان العربي، المغرب
٢١. المسلم في حياة الإمام علي — مجلة الأضواء
٢٢. (مقال حول المقاتل) — مجلة البذرة

وقد كتب كذلك مقالات تعريف ونقدًا لعدد من الكتب ونشرها في دوريات مختلفة.

مؤلفاته النجفيّة

١. مشكلة الفقر
٢. ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها.
٣. خلاصة المنطق: طبع أكثر من خمس طبعات في حينه؛ لأنه قرّر للتدريس في الحوزة وفي كلية الفقه.
٤. التربية الدينية: كتاب في أصول العقيدة الإمامية، طبع خمس طبعات متسلسلة، الأولى بتوجيه من السيد الحكيم ونفقته، وقُرِّر للتدريس في الحوزات والدورات الصيفيّة بأمر منه، وقد وُزِّع مع الرسالة الفقهيّة للسيد الحكيم بأمر منه كذلك.
٥. دليل النجف الأشرف: يتناول وصفًا تاريخيًّا وميدانيًّا لآثار النجف القديمة ومعالمه الحديثة.
٦. مبادئ أصول الفقه: قُرِّر للتدريس في الحوزة والكلية، وطبع ثلاث طبعات في حينه.
٧. في انتظار الإمام: يعالج قضية الإمام المنتظر ومسألة الحكم الإسلامي.
٨. أسماء الأفعال والأصوات (رسالة ماجستير)، مخطوط.
٩. نحو أدب إسلامي.
١٠. مختصر النحو: ألّفه مقرّرًا لمادة النحو في كلية الفقه.
١١. لماذا اليأس؟
١٢. حضارتنا في ميدان الصراع.
١٣. طريق استنباط الأحكام، للمحقّق الكركي، (تحقيق).
١٤. (الدين في اللغة والقرآن) و(الإسلام مبدأً): وقد طبعا لاحقًا بعنوان (مصطلحان أساسيان).
١٥. موجز التصريف: وقد طبع لاحقًا بعنوان (مختصر الصرف).

ومن هذه العناوين، نقرأ مقدار ما قدّمه الفضلي في شبابه النجفي والرسالة التي أدّاها، ويمكن من استعراضنا لها أن نخلص إلى أنّ أهم مساهماته كانت:

- ريادته في بعض هذه الكتابات التي كانت آنذاك جديدة على الساحة الإسلامية بشكل عام والنجفية بشكل خاص، كمقاله «**نحو كتابة دستور إسلامي**» وبحثه «**من البعثة إلى الدولة**».
- تجديده في بعض مناهج الدراسة: كـ «**خلاصة المنطق**» و«**مبادئ أصول الفقه**» و«**مختصر النحو**» و«**موجز التصريف**» و«**التربية الدينية**».
- وكتابات ثالثة ساهمت في تأصيل وعصرنة الثقافة الإسلامية: كـ «**حضارتنا في ميدان الصراع**» و«**الإسلام مبدأً**» و«**لماذا اليأس؟**».
- ورابعة أضافت نوعًا جديدًا إلى التأليف الحوزوي: كـ «**دليل النجف**» و«**ثورة الحسين** عليه السلام **في ظلال نصوصها**» و«**نحو أدب إسلامي**».
- وخامسة كان **الفضلي** فيها رائدًا في الكتابة حولها، كما في كتابته عن النظام السياسي ونظرية الحكم في الإسلام في كتابه «**في انتظار الإمام**» الذي سبق به ما كتبه الرائدان أستاذه **الشهيد الصدر والسيد الإمام الخميني** قدس سرهما[1].

تدريسه في النجف

بقي أن نشير إلى تدريس **الشيخ الفضلي** في النجف، وكان قد توزع بين الدرس الحوزوي والدرس الأكاديمي.

ففي مجال الدرس الأكاديمي درّس:

- مقررات علوم اللغة العربية وآدابها في الصرف والنحو والبلاغة والنقد وتاريخ الأدب في متوسطة وثانوية منتدى النشر.
- مادتي النحو والصرف في كلية الفقه.

وفي الحوزة العلمية بالنجف، درّس المناهج التالية:

١. شرح قطر الندى	في النحو
٢. شرح الألفية لابن الناظم	في النحو
٣. شرح الألفية لابن عقيل	في النحو

(١) أتم الفضلي تأليف كتابه (في انتظار الإمام) في ١/ ٥/ ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) وقدّمه للاستجازة بطبعه من قبل وزارة الثقافة والإرشاد فرُفض، وبقي يحاول الحصول على إجازة طبعه مدة أربع سنوات ولم يحصل عليها إلاّ بعد تغيير الوزارة في عام ١٩٦٨م، حيث طبع في مطبعة النعمان بالنجف.

٤. مغني اللبيب في النحو
٥. شرح النظام في الصرف
٦. حاشية ملاّ عبد الله في المنطق
٧. شرح الشمسية في المنطق
٨. المنطق للشيخ المظفر
٩. خلاصة المنطق
١٠. مختصر المعاني في البلاغة
١١. المطول في البلاغة
١٢. جواهر البلاغة
١٣. علوم البلاغة
١٤. مبادئ أصول الفقه
١٥. المعالم في الأصول
١٦. أصول الفقه للشيخ المظفر
١٧. الكفاية في الأصول
١٨. شرح اللمعة في الفقه

□ **الشيخ الفضلي ما بعد النجف**

غادر **الشيخ الفضلي** النجف عام ١٣٩١هـ بسبب الظرف السياسي الصعب الذي مرّ بالعراق بعد هيمنة النظام البعثي. ويروي لنا أن خروجه كان مفاجئًا، حيث أبلغه أحد العاملين في أمن النجف ليلاً أن هناك أمرًا عاجلاً وصلهم باعتقاله صباح الغد ونقله مباشرة إلى بغداد، حيث ينتظره حكم جاهز هناك.

فغادر في تلك الليلة إلى البصرة حيث ودّع والده هناك وتوجه مباشرة نحو الكويت وساعده في الخروج **الحاج حسين المازني** الذي أوصله إلى الحدود الكويتية، ثم من الكويت غادر إلى مدينة الخبر بالمملكة العربية السعودية أولاً، ثم إلى مدينة الرياض .. وفيها قدم أوراقه للتدريس في جامعة الرياض، وكان مدير الجامعة يومها **الدكتور عبد العزيز الخويطر** الذي حصل بينه وبين الشيخ نقاش حاد بسبب موقفه الطائفي ومحاولته عدم قبول الشيخ بشتى الأعذار. ولكن الشيخ حاججه بالنظام وأن ليس له الحق في تطبيق هواه حتى أقر له وقبل تسجيله. ونظرًا لهذا الموقف الذي

لاقاه من المدير، نصحه أحد العاملين بالجامعة أن يذهب إلى جامعة جدة، حيث إنها أفضل مكانًا من ناحية التقدير والمعاملة.

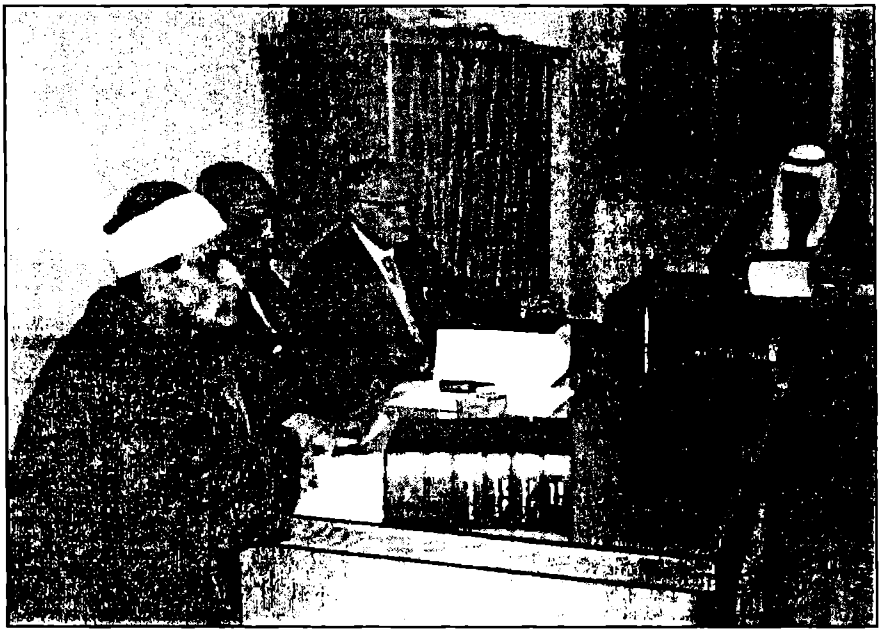
وبالفعل وصل الشيخ إلى جدة، حيث تم الترحيب به في (جامعة الملك عبد العزيز) وعيّن مدرسًا لمادة الأدب العربي، وباشر التدريس في ١٩ شعبان ١٣٩١هـ (٩/ ١٠/ ١٩٧١م)، واستمر عامين في التدريس قبل أن يُبتَعَث من قبل الجامعة إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه، والمقرّر الذي كان يدرّسه خلال هاتين السنتين كتاب **«قيم جديدة في الأدب العربي» للدكتورة بنت الشاطئ**، وكان عضوًا في هيئة تحرير مجلة أخبار الجامعة.

ولأنه عاش وحيدًا خلال هذه الفترة، حيث العائلة ما تزال تعيش بالعراق، فقد استغل وقته بجولات ميدانية بسيارته الفولكس في معالم مكة والمدينة يسجّل ويصوّر ما يشاهده، ويكون قبلها قد دوّن ما قرأه عن الأماكن التي يقصدها في كتب التاريخ والفقه والرحلات، ويقول: إنه كان يحمل فراشه معه بالسيارة، فينام متى ما جنّ عليه الليل.

واستمرت صِلاته بالنجف عبر المراسلة مع الشهيد الصدر وباقي الصحب الكرام.

وأكمل بعد ذلك دراسة الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتخرج فيها سنة ١٣٩٦هـ بدرجة دكتوراه في النحو والصرف والعروض بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف. وكان موضوع وعنوان رسالته: **(قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية)**، بإشراف **الدكتور أمين علي السيد** ومناقشة **الدكتور الشيخ إبراهيم نجا**، وكيل جامعة الأزهر **والأستاذ علي النجدي ناصف** الأستاذ غير المتفرغ بدار العلوم، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتمت المناقشة في يوم السبت ٢ محرّم ١٣٩٦هـ الموافق ٣/ ١/ ١٩٧٦م.

وصادف أن عددًا من زملائه ورفاقه النجفيين كانوا يدرسون في مصر، منهم: **الشيخ الدكتور الوائلي والدكتور السيد مصطفى جمال الدين والدكتور صالح الظالمي والدكتور زهير غازي زاهد والدكتور السيد عبد الهادي بن السيد محسن الحكيم والدكتور السيد محمد بحر العلوم والدكتور طالب الرفاعي** .. وكانت له معهم لقاءات واجتماعات علمية وأدبية.

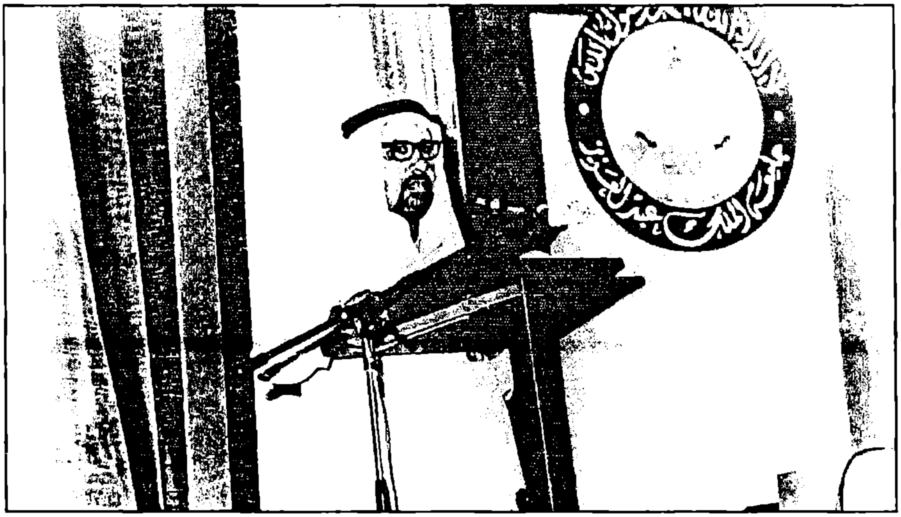


صورة ٣٠: في القاهرة: جلسة مناقشة رسالة الدكتوراه في كلية العلوم بجامعة القاهرة

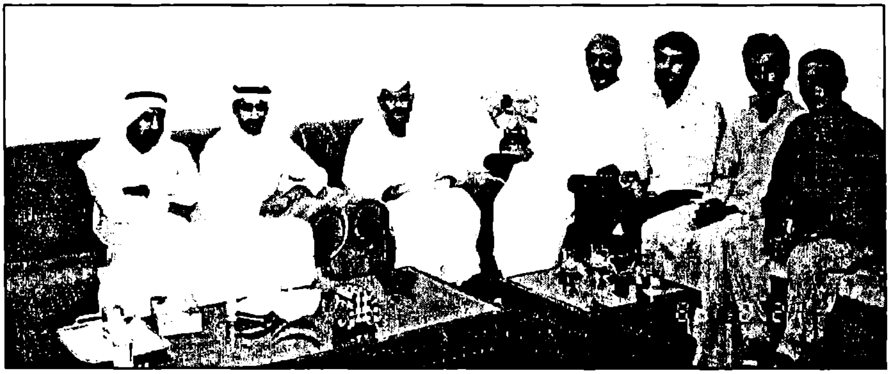
وبعد حصوله على الدكتوراه، عاد إلى جدة، وعيّن على وظيفة مدرس في جامعة الملك عبد العزيز في ٢/ ٣/ ١٣٩٦هـ، واستمر في تدريس النحو والصرف والعروض بالجامعة حتى تقاعده المبكر في ١٤٠٩هـ، ومن أهم نشاطاته الجامعية:

- أسّس قسم اللغة العربية بكلية الآداب، وعُيّن رئيسًا له لفترتين متتاليتين.
- شارك في مناقشة بعض الرسائل الجامعية للدراسات العليا، وكان له الإشراف على بعضها، واختير أيضًا محكّمًا لجملة من أبحاث الترقيات العلمية.
- كان عضوًا في هيئة تحرير نشرة (أخبار الجامعة).
- كان عضوًا مؤسسًا ودائمًا في لجنة المخطوطات بمكتبة الجامعة المركزية.

انتخب عضوًا في مجلس إدارة (النادي الثقافي الأدبي) بجدة في ١٥ محرّم ١٤٠١هـ.



صورة ٣١: يلقي كلمة في الجامعة بجدة



صورة ٣٢: في مجلسه بجدة مع الشيخ مرواريد من إيران، وهو باحث متخصص في الفقه ومعالم الحج

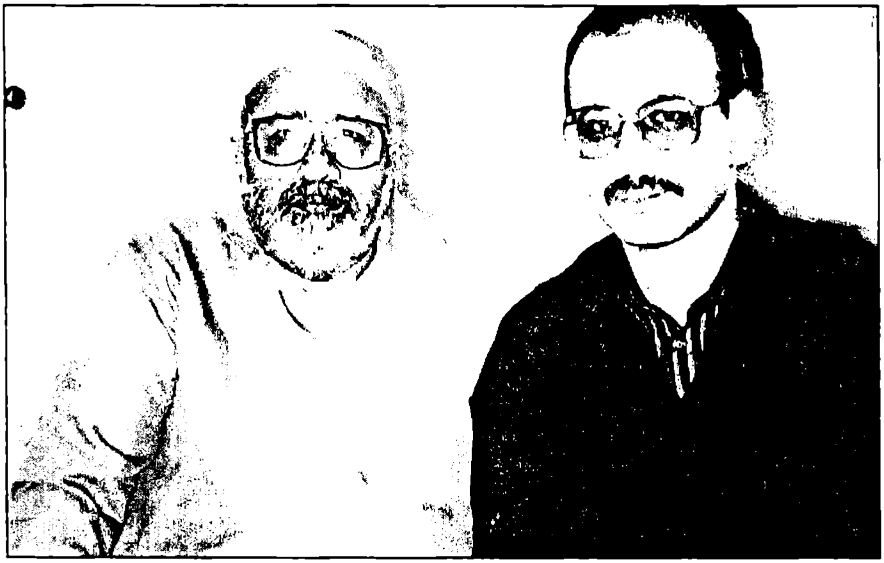


صورة ٣٣: في حفل صغير أقامه زملاؤه أساتذة الجامعة بجدة بمناسبة تقاعده

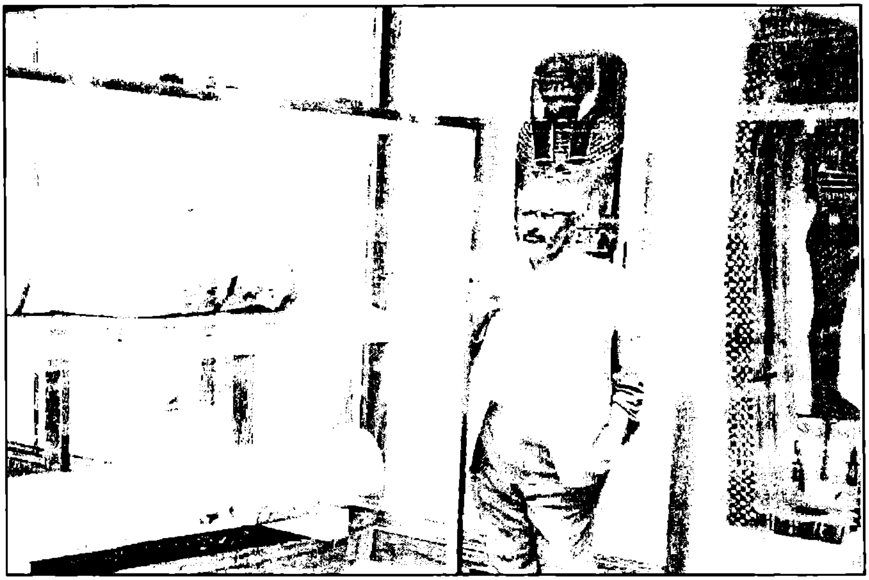


صورة ٣٤: في جدة من اليمين: الدكتور جعفر هادي حسن، الدكتور بكري الشيخ أمين، الفضلي، الدكتور عبد المحسن القحطاني، سامي السلطان الفضلي، والصغيران: معاد الفضلي وأثير جعفر هادي

وبعد تقاعده في ١٤٠٩هـ، اختير أستاذًا في (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) بلندن، درّس فيها كتبه: مذكرة المنطق وأصول البحث وأصول علم الحديث وخلاصة علم الكلام وتاريخ التشريع الإسلامي، وقام بالإشراف على بعض طلبة الماجستير والدكتوراه فيها.



صورة ٣٥: مع السيد جودت القزويني في لندن ١٩٩١م



صورة ٣٦: في المتحف البريطاني بلندن

□ الشيخ الفضلي بعد التفرّغ الوظيفي

وبعد تقاعده وسكناه في موطنه الأم المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، بدأ بمشروع هادئ يهدف إلى إحداث نقلة ثقافية في المنطقة من خلال العملَيْن المهمين التاليين:

الأول: تأسيس وإقامة مهرجانات ثقافية عديدة يلقي فيها العلماء والأساتذة المحاضرات ويشاركون في حوارات وندوات علمية، ساهمت بشكل كبير في خلق وتربية جيل جديد من المثقفين، ونشر الوعي الثقافي والديني في المنطقة.

وبدأ أول برنامج رمضاني ثقافي في سيهات تحت إشرافه عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، توالت بعده مشاركات الشيخ في مهرجانات مماثلة في رمضان ومناسبات مواليد أهل البيت ﷺ وتأبين العلماء... وغيرها في جميع مدن وقرى المنطقة.

والثاني: إحياء وتشجيع حركة التأليف في المنطقة، وذلك بتربية عدد من المثقفين وتشجيعهم على البحث والكتابة ومراجعة كتاباتهم والتقديم لها.

وأقيمت مسابقة في الكتابة والتأليف تحت إشرافه في الهفوف بالأحساء، وشاركه في لجنة تقييم البحوث سماحة الشيخ الدكتور محمود المظفر.

أما مشروعه الأكبر لتجديد مناهج ومقررات الدرس الحوزوي، فقد استمر فيه خلال هذه السنين لم ينقطع عنه منذ بدأه في النجف الأشرف، كما أشرنا، حتى أتم مراحله الثلاث، وهي:

- **المرحلة الأولى**: إعادة كتابة مقررات الدرس الحوزوي لمواده الدراسية (ما يعرف في الحوزات الإمامية بالمقدمات) بلغة ميسرة وأسلوب تربوي جديد يتناسب ولغة ومتطلبات العصر. وخضع بعضٌ من مؤلفاته هذه للتجربة لعشرات السنين، ككتبه: (**خلاصة المنطق**) و(**مبادئ أصول الفقه**) و(**التربية الدينية**). ويدخل ضمن هذا الجزء العدد الأكبر من بقية المؤلفات ومنها: (**مختصر الصرف**)، (**تلخيص البلاغة**)، (**مختصر النحو**)، (**تلخيص العروض**)، (**خلاصة علم الكلام**)، (**مذهب الإمامية**)، (**مبادئ علم الفقه - بأجزائه الثلاثة**)، (**التقليد**)، (**الاجتهاد**)، (**القراءات القرآنية**).
- **المرحلة الثانية**: استكمال المقررات الناقصة في الدرس الحوزوي للعلوم الشرعية وإدخال مقررات لبعض العلوم الحديثة المهمّة ذات العلاقة بالدراسات الإسلامية. وكان رائدًا في وضعه لهذه المؤلفات، ومما أنجزه منها كتبه: (**تاريخ التشريع الإسلامي**) و(**أصول البحث**) و(**أصول علم الرجال**) و(**الدولة الإسلامية**) و(**أصول تحقيق التراث**) و(**أصول الحديث**).
- **المرحلة الثالثة**: بحوث استدلالية في الفقه والأصول (مرحلة الدرس العالي في الحوزة). وقد كان له منهج جديد وضعه وبنى عليه كافة مسائل ونظريات العلم، وهو ما أسماه: (المنهج اللغوي الاجتماعي)، ومؤلَّفَيه في هذا الباب هما: (**دروس في أصول فقه الإمامية** - جزأين) و(**دروس في فقه الإمامية** - ٥ أجزاء).

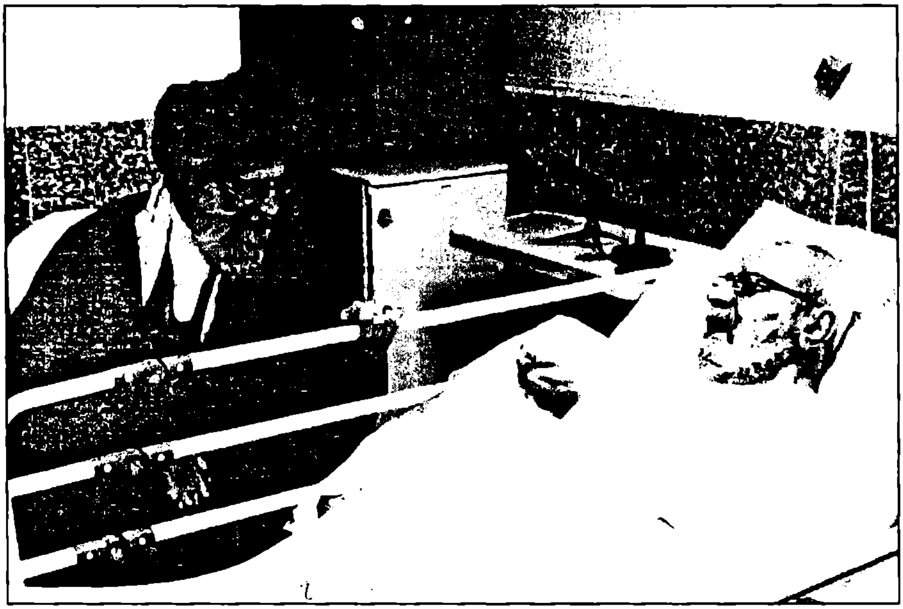
إضافة إلى مجموعة أخرى من البحوث والمقالات والمؤلفات والتحقيقات خلال فترتي جدة والدمام، منها:

- دراسات في الفعل — دار القلم، بيروت
- اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية — دار القلم، بيروت
- دراسات في الإعراب — تهامة للنشر، جدة
- في علم العروض: نقد واقتراح — نادي الطائف الأدبي
- مراكز الدراسات النحوية — مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن

- أعراف النحو في الشعر العربي	دار الوفاء، جدّة
- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة - تحقيق	دار القلم، بيروت
- إتحاف الإنس في العلمين واسم الجنس -تحقيق	جريدة المدينة، جدة
- البصروية في علم العربية - تحقيق	مجلة اللسان العربي، الرباط
- إعراب الفاتحة - تحقيق	جريدة المدينة، جدة
- بداية الهداية في علم التجويد - تحقيق	المكتبة الإسلامية، بيروت
- الناسخ والمنسوخ - تحقيق	المكتبة الإسلامية، بيروت
- المسؤولية الخلقية عند إقبال	السفارة باكستانية بالرياض
- فهرست الكتب النحوية	مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن
- منسك صاحب الجواهر - تحقيق	دار التعارف، بيروت
- مع معارضي الشعر الحر	جريدة الرياض
- دراسة لغوية اجتماعية لأعلام حجازية	جريدة الرياض
- الصراع بين القديم والحديث في الشعر	جريدة الرياض
- معنى الحب في الشعر	جريدة الرياض
- ليلى ونجد: ظاهرتين شعريتين	جريدة الرياض
- القرآن وثيقة اللغة العربية	مجلة قافلة الزيت
- البند بين السجع والشعر	نشرة أخبار الجامعة بجدة
- بين العاميتين الحجازية والعراقية	نشرة أخبار الجامعة بجدة
- حول أسبقية العواد إلى نظم الشعر الحر	جريدة البلاد
- حول حقيقة الشعر الحر	جريدة عكاظ
- المتنبي نحويًا	نشرة أخبار الجامعة بجدة
- جمع بديل	نشرة الرائد بجامعة جدة
- الإعراب بين الوسيلة والغاية	مجلة المنهل
- تمازج اللغة بفن مصطلح الحديث اللفظي	مجلة المنهل
- وظيفة علم النحو تربوياً	مجلة الخفجي
- بداية النحو في مكة	مجلة المجلة العربية
- قل: امبريالية ولا تقل: استعمار	نشرة أخبار الجامعة بجدة

□ رحيله

في الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ الموافق ٨ أبريل ٢٠١٣م، انتقلت روح شيخنا الفضلي (رض) إلى بارئها سبحانه وتعالى راضية مرضية، فتركت الجسد يرتاح من آلام الصراع الطويل مع المرض الذي استمر لأكثر من خمس سنوات، سبقتها ثلاث أخرى أقل إيلامًا. لم نسمعه يومًا في المرحلتين يتأوه من الآلام الجسدية والنفسية وكان الصامت الهادئ هدوءًا يحيّرنا ويلهمنا معانيَ تربوية للصبر والاحتساب.



صورة ٣٧: يزوره السيد القائد الخامنئي في المستشفى بطهران

وقد تمت مراسم الصلاة عليه وتشييعه عصر يوم الثلاثاء ٢٨/ ٥/ ١٤٣٥هـ (٩/ ٤/ ٢٠١٣م) في مدينة سيهات بحضور كبير جدًّا من الجماهير التي جاءت أفواجًا من كل مدن وقرى المنطقة والمناطق الأخرى والدول المجاورة للمشاركة، وبعد الصلاة عليه بإمامة سماحة السيد علي السلمان وسماحة الشيخ عبد الكريم الحبيل، سارت الجماهير تحمل الجنازة في موكب مهيب عظيم رفعت خلاله فرق الإنشاد بالمنطقة قصائد وشعارات وأناشيد عزائية عن الفضلي بدءًا من ساحة الصلاة بقرب جمعية سيهات الخيرية حتى مقبرة سيهات، حيث دفن الجسد الشريف قبل الغروب.

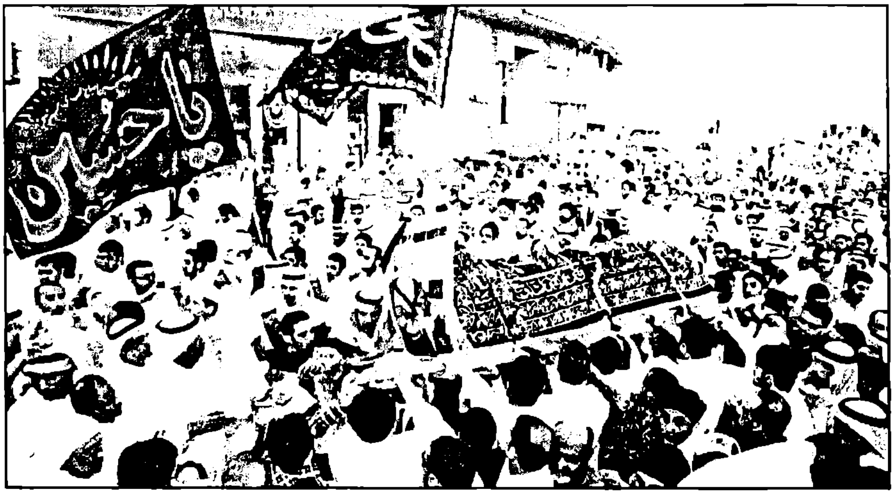
وحضرت وفود عديدة من البحرين والكويت والمدينة وغيرها للمشاركة في المراسم بينها شخصيات علمية وأكاديمية من طلاب ومحبي الشيخ.



صورة ٣٨: من مراسم الصلاة



صورة ٣٩: من مراسم التشييع



صورة ٤٠: من مراسم التشييع

وأقيم مجلس العزاء لمدة سبعة أيام، ثلاثة منها في مجلس العنود بالدمام، واثنان في الحوزة العلمية في مدينة المبرز بالأحساء، ويوم في مدينة العمران بالأحساء، ويوم الختام كان في حسينية السنان بالقطيف.

وأقيمت مجالس التأبين والفاتحة على روحه في العديد من المدن في دول العالم، منها: قم المقدسة، النجف الأشرف، البحرين، بغداد، البصرة، الناصرية، الكويت، بيروت، دمشق، لندن، بعض المدن في أمريكا، أستراليا، ألمانيا.. وغيرها.

وصدرت بيانات ورسائل تعزية من عدد كبير جدًّا من العلماء والمراجع والأكاديميين والمراكز والمؤسسات العلمية والتعليمية، ونشر عدد كبير من المقالات التأبينية والتعريفية عن الشيخ خلال الأيام الأولى من رحيله في الصحف والدوريات، كما بثت بعض القنوات الفضائية برامج تأبينية خاصة.

وسيجد القارئ العزيز عرضًا لنماذج من هذه البيانات والمقالات والمجالس في الفصل الخاص بها في هذا العدد.

وبمناسبة الأربعين، أقيمت ندوة ثقافية تناولت محاور في سيرة الفضلي العلمية والرسالية عصر يوم الأربعاء ١١ رجب ١٤٣٥هـ بمسجد الإمام علي عليه السلام بالمبرز في الأحساء، وتلاها مساءً في المكان نفسه حفل الأربعين.

أدار الندوة الثقافية الأستاذ باقر الرستم وشارك بها نخبة من العلماء الأفاضل من ملازمي العلامة الفضلي والقريبين منه، وهم: الشيخ حسين المصطفى، السيد هاشم الشخص، الشيخ الأستاذ محمد محفوظ، والدكتور محمد جواد الخرس.

أما حفل الأربعين، فشارك فيه بكلمات كل من: السيد علي السلمان، الشيخ حسن الصفار، الشيخ عبد الكريم الحبيل، الشيخ محمد العباد، الدكتور أحمد المعتوق، وكلمات مسجلة للشيخ التسخيري والمرجع الشيخ جعفر السبحاني والدكتور المظفر، ومشاهد من كلمات الدكتور إبراهيم الجعفري والسيد فاضل الميلاني والدكتور إبراهيم العاتي، وعرض فيلم عن حياة الشيخ من إخراج (قيثارة) للانتاج الفني بالقطيف بإشراف الأخ السيد فاضل الشعلة.

وشارك من الشعراء: الشاعر المهندس جاسم الصحيح، والأستاذ باسم العيثان من الأحساء، والأستاذ حسين السماهيجي من البحرين، والأستاذ حسين الجامع من القطيف. ومن الفقرات كان أوبريت بعنوان (جرح بحجم الوعي) لقصيدة الشاعر السيد عبد الأمير العلي، أداء مجموعة من المنشدين في الأحساء والدمام والقطيف وإخراج (فرقة الهدى) بالدمام ورعاية مركز (نبأ) الثقافي.

كما أقيم في اليوم الذي قبله في حسينية الإمام الرضا بسيهات، أمسية شعرية خاصة شارك فيها أبرز شعراء المنطقة.

وقد تم تصوير وتسجيل هذه المناسبات من قبل لجنة منبر أهل البيت وإخراج الأخ السيد كمال الدعلوج.

وأقيمت احتفالات أخرى بمناسبة الأربعين في مدينة سيهات ومدينة صفوى وقم المقدسة من تنظيم جامعة أهل البيت ﴿ع﴾... وأماكن أخرى.

وفي ختام هذه الجولة السريعة في ذكريات أستاذنا العلاّمة الشيخ عبد الهادي الفضلي واستعراضنا لأهم جوانب حياته التي ربما تختزل حاضر النجف الأشرف ومدارسها المعاصرة وعطاءاته العلمية والرسالية في العراق وموطنه شرق الجزيرة، نقول إن هذه الكتابة ما هي إلاّ إشارات وشواهد قد لا تضيف الكثير للباحثين، ولكنها تفتح بابًا للقراءة والمعرفة والدراسة لأساتذة الجيل الذهبي في النجف الأشرف، والفضلي (رض) كان أحد أعمدة ورواد هذا الجيل.

تغمده الله تعالى برحمته في الدار الآخرة جزاء ما قدم في حياته خدمة لشرعه الشريف، وأسكنه مكانة قريبة ممن أفنى عمره في خدمة رسالتهم ومنهاجهم محمد ﷺ وأهل بيته ﴿ع﴾.

مسرد مؤلّفات العلاّمة الفضلي

■ حسين منصور الشيخ(•) ■

□ أولاً: مجموعة علوم القرآن

١. **بداية الهداية في علم التجويد - تحقيق**، الشيخ عبد المحسن اللويمي الأحسائي (ت حدود ١٢٥٠هـ)، مؤسسة أهل البيت ﷺ ـ بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م: تبحث هذه الرسالة في علم التجويد: أحكامه ومسائله، في ضوء منهج فقهي استدلالي، يعتمد طريقة الاجتهاد وأصوله أساسًا في الدراسة والاستنتاج.

٢. **شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ـ تحقيق**، ابن أم قاسم المرادي النحوي (ت المئة الثامنة الهجرية)، دار القلم – بيروت، بدون تاريخ: يتألف الكتاب من متن وشرح، فمتنه: بعنوان: (الواضحة في تجويد الفاتحة) من نظم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ النحوي، يتحدث فيه عن أحكام تجويد كلمات سورة الفاتحة. أما الشرح: فهو للحسن بن قاسم المرادي النحوي المعروف بابن أم قاسم.

٣. **القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: من أوائل الكتب التي تناولت بحث القراءات القرآنية بالتعريف والتأريخ لها بتوسع وشمولية، توزعت فصول الكتاب على النحو التالي: نشأة القراءات وتطورها، التعريف بالقراءات، مصادر القراءات، اختلاف القراءات وأسبابه، الاختيار في القراءات، المقياس القرائي، القراءات والتجويد.

٤. **قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية** ـ رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة (١٩٧٥م)، مخطوط: تتكون هذه الرسالة من تمهيد وثلاثة أبواب: التمهيد حول التعريف بابن كثير، والباب الأول حول القراءات القرآنية، بينما الباب الثاني

(•) كاتب من القطيف، وعضو لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي.

كان عن قراءة ابن كثير، والباب الثالث حول أثر قراءة ابن كثير في الدراسات النحوية.

٥. **الموجز في علم التجويد**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: كتاب دراسي في علم التجويد مختصر، اقتصر على المهمّ من قواعده وضوابطه، بدأه المؤلّف بالمقدّمة العلمية لعلم التجويد، فيما كان الباب الثاني بعنوان: الحروف العربية، فصَّل فيها الحديث عن مخارجها وصفاتها وأحكامها التجويدية.

٦. **الناسخ والمنسوخ ـ تحقيق**، لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي (ت المئة الثامنة للهجرة)، مؤسسة أهل البيت ﷺ ـ بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: الكتاب يعرض لسور القرآن الكريم ويشير في كل سورة إلى عدد الآيات الناسخة أو المنسوخة فيها، ثم يثبتها مع الإشارة في كل آية منسوخة إلى الآية التي نسختها، مبتدئًا من الفاتحة ومنتهيًا بسورة الناس.

□ ثانياً: مجموعة علوم الحديث

٧. **أصول الحديث**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: رتّب المؤلف فصول الكتاب بالشكل التالي: مقدمة علم أصول الحديث، تاريخ أصول الحديث، المصطلحات العامّة في أصول الحديث، مصادر الحديث، عناصر الحديث، أقسام الحديث، أهلية الراوي للرواية، التصحيحات العامّة، كيفية تحمّل الحديث وطرق نقله. وقد ترجم وطبع الكتاب إلى اللغة الفارسية: قام بترجمته محمد مهدي حقي وإبراهيم إقبال ونشرته شركة چاپ ونشر بين الملل بالتعاون مع مؤسسة انتشارات أمير كبير بتاريخ ١٣٨٤ هـ. وترجم كذلك إلى اللغة الإنجليزية وطبع بعنوان: (Introduction to Hadith) ومعه كتاب (دراية الحديث) للشهيد الثاني، وقام بترجمته (Nazmina Virjee) وطبع من قبل (Islamic College for Advanced Studies Press) بلندن، بريطانيا وتوزيع دار الساقي سنة ٢٠٠٢م.

٨. **أصول علم الرجال**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: ضم الكتاب العناوين التالية: مقدمة علم رجال الحديث، تاريخ علم الرجال، القواعد الرجالية، الفوائد الرجالية، إيضاحات أسانيد الكتب الأربعة، أسانيد فهرست الطوسي والنجاشي، الاختصارات والرموز في علم الرجال.

□ **ثالثًا: مجموعة العقيدة والمعارف العقلية**

٩. **الإسلام مبدأً**، دار الرافدين ـ بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: الكتاب يعدُّ لونًا جديدًا من الدراسة اللغوية لكلمة (الدين) و(الإسلام)، يدرس تطور هاتين الكلمتين من معناهما اللغوي إلى معناهما الاصطلاحي، ووجه العلاقة بينهما ليصل لمعنى الإسلام كمبدأ ومنهج حياة، وذلك ضمن العناوين التالية: الدين مفهومًا: الدين في اللغة، في القرآن الكريم. الإسلام مفهومًا: الإسلام في اللغة، في القرآن الكريم. الإسلام مبدأً: العقيدة، النظام.

١٠. **التربية الدينية: دراسة منهجية لأصول العقيدة الإسلامية**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٥، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: احتوى الكتاب على: التعريف بالأصول الإسلامية الأساس،: التوحيد والنبوة والإمامة ومعاد يوم القيامة، وتفسير بعض سور القرآن، والتعريف بنهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ورسالة الحقوق والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام، ومختصر لسير الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. كما أن هذه الطبعة تحتوي على ملحق في خاتمة الكتاب عبارة عن حوار مع المؤلّف حول الكتاب وظروف تأليفه.

١١. **خُلاصة الحكمة الإلهية**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: شمل الكتاب مقدمة تعريفية عن الفلسفة استعرض فيها ـ إضافة لتعريفها ـ: عامل نشأتها، مصدر الفكر الفلسفي، تاريخها، ثمّ عرض لبحث الحكمة الإلهية: تعريفها، موضوعها، مصدرها، وبعد ذلك تعرّض لتاريخ الفلسفة الإسلامية وترجمات لأهم أعلام الفلاسفة المسلمين. فيما تناول الباب الثالث مقدمات الحكمة الإلهية، وفي الباب الرابع تناول مباحث الحكمة الإلهية.

١٢. **خُلاصة علم الكلام**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: الكتاب ضمّ الأبواب التالية: تاريخ علم الكلام، مقدمة علم الكلام، المنهج المتبع في دراسة علم الكلام، مصطلحات علم الكلام، مباحث علم الكلام، وفي مباحثه، تناول أصول الدين: التوحيد والنبوة والإمامة ومعاد يوم القيامة.

١٣. **خُلاصة المنطق**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: الكتاب مقرر دراسي لمادة علم المنطق رتّب المؤلّف فصوله على النحو التالي: مقدمة علم المنطق، المصطلحات العامة، التعريف، التقسيم والتصنيف، الاستدلال: غير المباشر

والمباشر، التحليل والتركيب، مناهج البحث العلمي. وهذه الطبعة تحتوي على ملحق في خاتمة الكتاب عبارة عن حوار مع المؤلّف حول الكتاب وظروف تأليفه.

١٤. **دراسة معجمية دينية لمصطلح أهل البيت**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: في هذه الدراسة بحث المؤلف مصطلح (أهل البيت) من خلال تحديد معناه الاصطلاحي الذي حددته النصوص الشرعية في القرآن والسنة. وذلك في عنوانين رئيسين، استعرض في أولهما الأقوال التفسيرية الأربعة عشر، وفي ثانيهما: الموازنة بينها جميعًا، ليخرج بالرأي الأقوى من بينها، وهو ما تذهب إليه المدرسة الإمامية.

١٥. **قراءة في كتاب التوحيد**، منشورات بيت الحكمة الثقافي ـ القطيف، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: الكتاب في الأصل دراسة نشرها المؤلّف على إثر اعتماد وزارة المعارف السعودية لكتاب التوحيد من تأليف الشيخ صالح الفوزان مقرّرًا دراسيًّا لهذه المادة (التوحيد) لطلبة الصف الثالث ثانوي في العام (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، إذ وجد الشيخ الفضلي أن ما ورد في الكتاب يرجع إلى غموض بعض الأمور فيما يرتبط بنشأة المذاهب الإسلامية، وكذلك ما يرتبط بمسألة اتهام المسلم ـ فردًا أو جماعة ـ بالابتداع أو الإشراك أو التكفير، فبحثهما (النشأة ومسألتي التكفير والتبديع) ضمن هذه الدراسة في فصلين مستقلّين.

١٦. **مذهب الإمامية: بحث في النشأة وأصول العقيدة والتشريع**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م: احتوى الكتاب على العناوين التالية: تعريف مذهب الإمامية، نشأته، حجيته، عقائده، تشريعاته، موقف الإمامية من الفرق الإسلامية، موقف الإمامية من المذاهب الإسلامية. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية من قبل مركز الغدير وطبع سنة ١٩٩٧م بعنوان: (THE IMAMIYA SECT: A Study Of Its Origin, Beliefs and Laws).

١٧. **المسؤولية الخُلُقية في فكر الدكتور محمد إقبال**، وحدة التعليم بسفارة جمهورية باكستان الإسلامية ـ الرياض وجدة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: بمناسبة إحياء ذكرى الدكتور محمد إقبال قامت سفارة باكستان بالمملكة العربية السعودية بإعداد مجموعة من الدراسات حول الدكتور محمد إقبال، وكانت هذه الدراسة المختصرة ـ التي تقدّم بها المؤلف ـ إحداها. وذلك في العناوين التالية: إقبال خلقيًّا.

مصادر إقبال في أخلاقياته. الخير الأسمى في الأخلاق. الخير الأسمى في الإسلام. المسؤولية الخلقية في الأخلاق. المسؤولية الخلقية في فكر إقبال.

□ **رابعًا: مجموعة علم الفقه**

١٨. **بحوث فقهية معاصرة**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ضمّ الدراسات الفقهية التالية: دراسات ميدانية فقهية حول مواقيت الحج (الجحفة/ قرن المنازل/ يلملم)، دراسة فقهية حول الغناء، الرأي الفقهي في حلق اللحية، القضاء الجعفري.. المفهوم والمنطلقات، دراسة فقهية حول ولاية المرأة، الرأي الفقهي في الصلح مع إسرائيل، مشكلات الوقف الإسلامي وسبل تنميته، الموقف في ظل الدولة الشرعية والمرجعية القائدة، دراسة دلالية فقهية حول مفهوم التضحية والفداء.

١٩. **تاريخ التشريع الإسلامي**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: يرصد هذا الكتاب تاريخ التشريع الإسلامي الإمامي، بدءًا من عهد الرسول ﷺ ووصولاً إلى عصرنا الحاضر. وذلك في أبواب أربعة: المرحلة التأسيسية (عصر النبي ﷺ)، انبثاق وتأسيس المدرسة الإمامية (عصور الأئمة ﷺ)، بدء مرحلة الاجتهاد الشرعي (عصر الغيبتين الصغرى والكبرى)، المراكز العلمية وأبرز رجالاتها، من عصر الشيخ الطوسي إلى الوقت الحاضر.

٢٠. **دروس في فقه الإمامية ـ ٥ أجزاء**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: كتاب في الفقه الاستدلالي الإمامي يقع في خمسة أجزاء، خصّص المؤلّف الجزء الأول للبحوث التمهيدية، والجزء الثاني للبحوث الاستدلالية في الطهارة التوصلية، والجزء الثالث خصصه للبحوث التمهيدية في المعاملات المالية من خلال تقسيمه الكتاب إلى القواعد والنظريات ذات العلاقة بالمعاملات المالية. وذلك ليكون مقدّمة للجزء الرابع الذي خصصه للبحوث الاستدلالية حول المعاملات المالية المتداولة، والمعاملات المستحدثة، وفي الجزء الخامس شمل البحوث الاستدلالية لمعاملات البنوك التجارية.

٢١. **الغناء ـ دراسة فقهية لظاهرة الغناء .. الحقيقة والحكم**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ضمّت الدراسة العناوين التالية: تاريخ الغناء، حقيقة الغناء، تعريف الغناء: لغة واصطلاحًا (فقهيًا)، حكم الغناء، مستثنيات

الغناء: الغناء في الأعراس، قراءة القرآن، المراثي الحسينية. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية (مجتبى إلهي خراساني) وطبع ونشر سنة ١٣٨٥ هـ ش (٢٠٠٦م) بعنوان: (برسى فقهي بديدة غنا، ماهيت وحكم آن) من قبل تهيه وتحقيق: دفتر تبليغات إسلامي شعبة خراسان، ونشره: مؤسسه بوستان كتاب.

٢٢. **مبادئ علم الفقه** ـ ٣ أجزاء، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: احتوى الجزء الأول على: مقدمة في علم الفقه، وعناوين بابَيّ الطهارة والصلاة، بينما احتوى الجزء الثاني على أبواب: الصوم، والاعتكاف، والزكاة، والصدقة، والخمس. والجزء الثالث على أبواب: الحج والعمرة والزيارة.

٢٣. **المدخل إلى فقه الإمامية**، قيد الطبع: الكتاب مقّرر دراسي، تم اعتماده في بعض الحوزات. يعدّ مدخلاً لدراسة الفقه الإمامي، وقد رتّبه المؤلّف في ثلاثة أبواب، هي: المقدّمة العلمية لعلم الفقه، وبحوث تمهيدية في فقه الإمامية، والتكليف الشرعي.

٢٤. **هداية الناسكين من الحجاج والمعتمرين** ـ **تحقيق**، الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ)، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م: يبحث المؤلف في الكتاب عن: مناسك الحج، ممهِّدًا للمناسك بباب عن آداب السفر، وأقسام الحج والعمرة وصورهما.

□ **خامسًا: مجموعة أصول الفقه**

٢٥. **التقليد والاجتهاد: رسالتان في ظاهرتي التقليد والاجتهاد الشرعيين**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: الأولى عن ظاهرة التقليد الشرعي، ضمت العناوين التالية: مفهوم التقليد، تاريخ وحكم وموارد التقليد الشرعي، المقلِّد، مرجع التقليد وشروطه. والرسالة الثانية عن ظاهرة الاجتهاد الشرعي، ضمّت الفصول التالية: أهمية الاجتهاد، تعريفه، مشروعيته، أهدافه، تاريخه، تقسيمه، وسائله، مجاله، مواده.

٢٦. **دروس في أصول فقه الإمامية** ـ **جزآن**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: قسم المؤلف الجزء الأول إلى مقدمة وثلاثة أبواب: المقدمة: تحدث فيها عن مواد البحث الأصولي، والباب الأول خصصه للبحث في المقدمة الأولى لعلم الأصول: تعريفه، موضوعه، فائدته، حكم تعلمه، علاقته بالعلوم

الأخرى. الباب الثاني تحدث فيه عن المقدمة الثانية لعلم الأصول: مصدر علم الأصول، وظيفته، تصنيف مباحثه. الباب الثالث: مباحث الدليل والحكم: الدليل، الاستدلال، الحكم. بينما شمل الجزء الثاني: الباب الرابع (مباحث دلالة الألفاظ)، والباب الخامس (مباحث الملازمات العقلية)، والباب السادس(مباحث الأصول العملية)، والباب السابع (مباحث علاقات الأدلة). وقد اختير الكتاب من قبل مؤسسة الفارابي العالمية التي تتخذ من إيران مقرًّا دائمًا لها ضمن أبرز الكتب تميّزًا على المستوى الفكري.

٢٧. **طريق استنباط الأحكام ـ تحقيق**، علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي العاملي (ت ٩٤٠هـ)، مطبعة الآداب ـ النجف، ط١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م: هي رسالة موجزة في التعريف بطرق استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية، توفر فيها مؤلفها على ذكر أدلة الأحكام التي يرجع إليها المجتهد في استنباط الأحكام.

٢٨. **مبادئ أصول الفقه**، مركز الغدير ـ بيروت، ط ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: اقتصر المؤلف في هذا الكتاب على تدوين أهم مسائل علم الأصولية عارضًا التعريف وشروحها ومكتفيًا بالإشارة إلى المسألة ودليلها.

٢٩. **الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: الكتاب ينقسم إلى العناوين التالية: قواعد دراسة النص الشرعي، مجال دراسة النص الشرعي، تعيين مراد المشرع من النص، علاقات النصوص.

□ سادسًا: مجموعة علوم اللغة العربية وآدابها

٣٠. **أسماء الأفعال والأصوات: دراسة ونقد ـ رسالة ماجستير**، جامعة بغداد (١٩٧٠م)، مخطوط: صنفها المؤلف إلى تمهيد وبابين، الأول منهما لأسماء الأفعال، والثاني لأسماء الأصوات. وكل باب قسمه إلى ثلاثة فصول، الأول منهما للتعريف بالمادة، والثاني لأقسامها، والثالث لأحكامها.

٣١. **أعراف النحو في الشعر العربي**، مكتبة دار الوفاء ـ جدة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: يجمع المؤلف في هذا الكتاب الأبيات التي يتمثل فيها الشعراء ببعض المصطلحات النحوية ويكون لها المعنى الاصطلاحي النحوي نفسه. جمع فيه المؤلف أكثر من ثلاثمئة بيت شعري لأكثر من تسعين شاعرًا.

٣٢. **الأمثال في نهج البلاغة**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: دراسة لغوية أدبية، صنّف فيها الشيخ الأمثال الواردة في النهج إلى أربعة أقسام، هي: الأمثال التي استعملها الإمام في كلامه وهي لقائلين آخرين، والأمثال التي ضمّن الإمام معانيها في كلامه، والأمثال التي قالها الإمام، وأقوال الإمام التي تجري مجرى المثل. وقد قسم الأولين منها إلى أمثال نثرية وأخرى شعرية، دارسًا كل قسم على حدة.

٣٣. **باقة شعر**، مخطوط: الكتاب عبارة عن اختيارات نقلها المؤلف من الكتب والدوريات في أوراق متفرقة ودفاتر صغيرة ثم جمعها في هذا الكتاب.

٣٤. **التذكرة في اللغة العربية وآدابها**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: جمع المؤلف مادّة الكتاب من قراءاته المتنوّعة في دفاتر وأوراق، بلغت عدة النقول فيها ٣٩٠ منقولة، تنوعت في فنون اللغة العربية وآدابها.

٣٥. **تلخيص البلاغة**، دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت، بدون تاريخ: الكتاب عرض مختصر لمادة علم البلاغة العربية، بدأه المؤلف بمقدمة عن علم البلاغة: تعريفه، شرح التعريف، أقسام البلاغة، عناصرها، أقسام الأسلوب الأدبي. ثم عرض مختصر لعلوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، علم البيان، علم البديع.

٣٦. **تلخيص العروض**، دار البيان العربي ـ جدة، ط١ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م: الكتاب ملخص لمادة علم العروض، ولكن وفق منهج جديد ابتكره المؤلف، حيث وجد في هذا المنهج تسهيلاً للطالب وتخليصًا للعلم مما يثقله.

٣٧. **دراسات في الإعراب**، تهامة للنشر ـ جدة، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م: تَلُمُّ هذه الدراسة جميع المسائل المتعلقة بالإعراب في اللغة العربية، بحثها المؤلف جامعًا وناقدًا ومدليًا بآرائه وفق الترتيب التالي: حقيقة الإعراب، عامل الإعراب، دلائل الإعراب، وظيفة الإعراب، مجالات الإعراب، مادة الإعراب، طريقة الإعراب، تقدير الإعراب.

٣٨. **دراسات في الفعل**، دار القلم ـ بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: الكتاب دراسة حول الفعل تمثلت موضوعاتها في العناوين التالية: تعريف الفعل. دلالة الفعل. اشتقاق الفعل. تقسيم الفعل. بناء الفعل. إسناد الفعل.

٣٩. **الدرس اللغوي في النجف الأشرف**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: يرصد المؤلف في هذا الكتاب حركة التأليف في علوم اللغة العربية وآدابها في النجف الأشرف، بدءًا من مؤسس الحوزة العلمية في النجف الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) وانتهاءً بعصرنا الحاضر، حيث أحصى المؤلف أكثر من ٢٠٠ مؤلَّف في مجال الدرس اللغوي.

٤٠. **شيء من الشعر**، مخطوط: ديوان شعر يضم مجموعة قصائد للدكتور الفضلي.

٤١. **الشيخ محمد أمين زين الدين ودوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف الأشرف**، دار الجديد ـ بيروت، ط١، ١٩٩٩م: تحدث الدكتور الفضلي في هذا الكتاب عن: لمحة عن تاريخ الحركة الأدبية في النجف، وشخصية الشيخ زين الدين الأدبية ودوره في إنماء الحركة الأدبية في النجف. شارك المؤلف في كتابة القسم الأول من الدراسة، بينما كان القسم الثاني من تأليف الشيخ حسن الصفار.

٤٢. **علم البلاغة العربية: نشأته وتطوره**، مطبعة الآداب ـ النجف، بدون تاريخ: يدرس المؤلف في هذه الدراسة مراحل تطور البلاغة العربية بدءًا من العصر الجاهلي مرورًا بعصر صدر الإسلام ثم العباسي وما بعد العصر العباسي وصولاً إلى العصر الحديث.

٤٣. **عواطف ولاء**، مخطوط: ديوان شعر يضم مجموعة قصائد للدكتور الفضلي في الشعر الولائي لأهل البيت ﷺ.

٤٤. **فهرست الكتب النحوية المطبوعة**، مكتبة المنار ـ الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م: الكتاب عبارة عن مسح بيبلوغرافي للمطبوع النحوي زمنيًا من بدء الطباعة للكتاب النحوي حتى نهاية العام ١٩٨٤ م. ويحتوي الكتاب على ١٢٦٥ عنوانًا من عناوين الكتب النحوية. رتبها المؤلف ألفبائيًا حسب اسم الكتاب.

٤٥. **في علم العروض نقد واقتراح**، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٣٩٩هـ: الكتاب مقسم إلى قسمين: الأول: نقد المنهج القديم: استعرض فيه المؤلف ما رآه من تعقيد في منهج العروض التقليدي، وأشار إلى ما يمكن أن يأتي حلًّا للمشكلة. والقسم الثاني: المنهج الجديد المقترح: قدم فيه منهجًا كاملاً لعلم العروض كتطبيق لما انتهى إليه من نتائج في القسم الأول.

٤٦. **قضايا وآراء في العقيدة واللغة والأدب**، دار الزهراء ـ بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م: الكتاب مجموعات مختارة من الأبحاث والمقالات والدراسات المتنوعة تعالج قضايا فكرية إسلامية، وتطرح آراء في العقيدة واللغة والأدب.

٤٧. **اللامات: دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية**، دار القلم ـ بيروت، ط١، ١٩٨٠م: الكتاب ضمّ الفصول التالية: الظواهر الصوتية للام، الظواهر الصرفية للام، الظواهر النحوية للام، لام الجر، الرابطة للمعنى، الرابطة للفظ، المرادفة، الزائدة، لام النصب، لام الجر، اللام غير العاملة.

٤٨. **مختصر الصرف**، دار القلم ـ بيروت، بدون تاريخ: الكتاب عرض مختصر لمادة علم الصرف، وبأسلوب تعليمي ميسر، قسمه المؤلف إلى: تمهيد والأبواب التالية: الكلمة. تصريف الأسماء. تصريف الأفعال. تصريفات عامّة. موضوعات أخرى: التعويض، التقاء الساكنين، همزة الوصل، الإدغام، الوقف.

٤٩. **مختصر النحو**، دار الشروق ـ جدة، ط١٦، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م: عرض المؤلف المادة النحوية في الكتاب على النحو التالي: مقدمة في علم النحو: علم النحو، موضوعه، فائدته، بعض مفاهيمه العامة. المرفوعات. المنصوبات. المجرورات. التوابع. الأساليب الإنشائية. أساليب تعبيرية أخرى. الأسماء العاملة. إعراب الفعل. أنواع الجمل.

٥٠. **مراكز الدراسات النحوية**، مكتبة المنار ـ الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: يضم هذا الكتاب عرضًا تاريخيًّا لنشأة النحو ومراكز دراساته التي تعاملت معه تعليمًا وتأليفًا، منذ القرن الهجري الأول حتى يوم الناس هذا.

٥١. **نحو أدب إسلامي**، مطبعة الآداب ـ النجف، ط١٣٩١هـ: تناقش هذه الدراسة فكرة الأدب الملتزم وفق الرؤية الإسلامية، وذلك تحت العناوين التالية: الأدب الإسلامي في الدعوة الأولى، الأدب الإسلامي اليوم، فنِّية الأدب الإسلامي، مذهبية الأدب الإسلامي، نماذج من الأدب الإسلامي الحديث، الصحافة والأدب الإسلامي، التعليم والأدب الإسلامي.

□ سابعاً: مجموعة المعارف العامّة

٥٢. **أصول البحث**، الجامعة العالمية للعوم الإسلامية ـ لندن، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م: وُضِعَ هذا الكتاب في الأصل ليكون مقررًا دراسيًّا لمادة أصول البحث في

الحوزات والمعاهد وكليات الشريعة التي تدرس الفقه الإسلامي الإمامي، ولذلك راعى المؤلف في تبويبه أن يتناسب وهذه الغاية. وقد قسمه إلى العناوين الرئيسة التالية: التمهيد. مدخل إلى المنهج. المنهج: منهج علم أصول الفقه، المنهج الفقهي وخطواته. أنواع البحث. مجالات البحث. أسلوب البحث. نموذج للأسلوب العلمي: بحث المصالح المرسلة. صفات الباحث. شروط البحث. مقدمات البحث. طريقة أداء البحث. طريقة إعداد البحث.

٥٣. **أصول تحقيق التراث**، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ـ بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ: يحوي الكتاب الفصول التالية: نشأة التحقيق وتطوره، تعريف التحقيق وشروطه، مقدمات التحقيق، خطوات التحقيق، التصحيف، التحريف، مكملات التحقيق، بعد التحقيق.

٥٤. **أصول تحقيق النصوص**، تحرير لمحاضرات الدكتور مصطفى جواد، قيد الطبع: الكتاب عبارة عن محاضرات في «أصول تحقيق النصوص» أملاها الدكتور مصطفى جواد على طلبة ماجستير اللغة العربية بجامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٦٦/ ١٩٦٧م، كان الشيخ الفضلي أحدهم، وقام بتدوينها وعنونتها بما أسماها به الأستاذ نفسه، مع إضافة بعض الحواشي تتمّة للفائدة. وقد جاءت عناوين الكتاب مرتبة على الشكل التالي: النصوص. تحقيق النصوص. صفات المحقق العلمية. إعجام حروف المخطوط وشكل كلماته. اختصارات ورموز خطّية. العلامات والإشارات. الحواشي والملحقات. الاستدراكات والإجازات والسماعات. الفهارس. البحث عن اسم الكتاب واسم المؤلف.

٥٥. **من مصادر الفكر الإمامي في العقيدة والتشريع**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: فِهرِسْت بيبلوغرافي يعرّف طالب العلوم الشرعية بالمصادر العلمية المعتبرة التي يرجع إليها في كلٍّ من علمي العقيدة والتشريع، مع تعريف مختصر لكل مصدر منها.

□ ثامنًا: مجموعة الفكر السياسي الإسلامي

٥٦. **الإسلام والتعدُّد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش**، تحرير ودراسة: حسين منصور الشيخ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت، ط١، ٢٠١٤م: الكتاب يحوي محاضرات أربعًا ألقاها الشيخ في مناسبات متعدّدة تمثّل

فصول الكتاب الأربعة، وهي: الإسلام والمفاهيم الضيّقة، وتعدد السبل: نظرة إسلامية في تعدد الحضارات، والحوار الإنساني بين الهويتين الدينية والحضارية، والعقل الجمعي وحوار الحضارات. ويسبقها فصل تمهيدي، بعنوان: الإسلام وبناء القيمة في العلاقة الإنسانية، يمثّل دراسة موجزة حول الفصول اللاحقة.

٥٧. **الإسلام والمفاهيم الضيّقة: دراسة موجزة حول بعض المفاهيم الدينية ومقارنتها بآفاق المعرفة الإنسانية**، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: يعدّ الكتاب من الدراسات المقارنة التي وازن فيها مؤلّفه بين بعض المفاهيم في بيئتها الغربية وبيئتها الإسلامية، حيث أشار الشيخ فيها إلى سعتها في النظرة الإسلامية مقارنة بما هي عليه من ضيق في مفهومها الغربي، وذلك في فصول ثلاثة: الإنسان من التلقي إلى الفاعلية، والإنسان وفاعلية الانتماء، والمجموع الإنساني ومنظومة الحقوق والواجبات.

٥٨. **تعدّد السبل: الإسلام بين حفظ الهوية الحضارية للشعوب والتزام النظام الإسلامي**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: الدراسة تعالج مسألة الصراع التي تعيشها الحضارة الغربية مع الحضارة الإسلامية اليوم، وذلك في فصول ثلاثة: في الأول منها: (**وقفة مع المفاهيم**)، تطرّق فيه الدكتور الفضلي إلى مفردة السبل مصطلحًا قرآنيًّا ومصطلحًا معاصرًا، مفرّقًا في هذا الفصل بين: الحضارة والنظام، ومشيرًا إلى أهم تقسيمات الحضارة. وفي الثاني: (**الموقف الفكري من تعدُّد السبُل**)، عقد فيه مقارنة بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية التي لا تعارض تعدّد الحضارات في ظلّ النظام الإسلامي الواحد. والثالث خصّصه عن: (**الموقف العملي من تعدُّد السبل**)، حيث أشار هناك إلى نماذج من قبول الإسلام للتعددات الحضارية وكيفية صياغتها في نظام إسلامي واحد.

٥٩. **ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها ووثائقها**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٤، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: جمع المؤلف ـ في هذه الدراسة ـ النصوص الواردة على لسان الإمام الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام في هذا الكتاب، مع مقدمة وافية توضح أهداف ومعطيات هذه الثورة الخالدة.

٦٠. **الحركة الإسلامية في العراق**، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: الكتاب مستلّ من كتاب تاريخ القزويني للدكتور جودت القزويني الذي ترجم فيه للعديد من رجالات العراق وغيرهم في

القرن العشرين، وكان في ترجمته للشيخ الفضلي طلب إليه كتابة ترجمته بقلمه، ومعها بعض مرثياته حول انطلاقة الحركة الإسلامية التي عايشها في العراق. ولذلك قُسِّمَ الكتاب إلى قسمين اثنين، أولهما بعنوان: «الترجمة وبعضٌ من فهارس المنجزات»، خُصِّص لترجمة العلاّمة الفضلي، فيما كان القسم الثاني حول «الحركة الإسلامية في العراق: النشأة والتحديات»، اشتمل على حوار مطوّل أجراه الدكتور القزويني مع الشيخ الفضلي حول حزب الدعوة الإسلامية، ومرثيات الشيخ الفضلي حول هذه الحركة بقلمه، بعنوان: «مدرسة النجف (١٩٥٨ ـ ١٩٦٨): الفكر الإسلامي التغييري».

٦١. **الحضارة الإسلامية بين دواعي النهوض وموانع التقدّم**، تحرير ودراسة: حسين منصور الشيخ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: الكتاب يتألف من فصول سبعة، الأول منها تمهيدي، بعنوان: المجتمع من الانتماء إلى النهضة عند الدكتور الفضلي، فيما الفصول اللاحقة هي تحرير لمحاضرات ستّ، هي: المناهج المعاصرة في تفسير الظاهرة الشرعية، والفكر الإسلامي والفلسفات المعاصرة، والمجتمع الإسلامي بين دواعي التأخر والتقدّم، والإسلام ومتطلّبات العصر، والمجتمع المسلم والرأسمالية بين الرفض والقبول، وتنامي الصحوة الإسلامية وممهدّات الظهور.

٦٢. **حضارتنا في ميدان الصراع**، دار النعمان ـ النجف، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م: تتناول هذه الدراسة ضرورة إحياء الحضارة الإسلامية، من خلال بيان عوامل بقاء أو أفول هذه الحضارة، وذلك في تقسيمها إلى: عوامل داخلية، وأخرى خارجية. وفي الخاتمة يستعرض المؤلّف بعض المقترحات العملية في سبيل النهوض للمجتمع المسلم.

٦٣. **حوارات في الدين والفكر واللغة**، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: الكتاب يضمّ مجموعة من الحوارات التي أجريت مع الشيخ الفضلي في مناسبات متعدّدة، من عناوينها: الدكتور الفضلي والتجربة الجامعية. الحركة الإسلامية أرضيات النشأة وبوادر النهوض. الدرس الشرعي والواقع المعاصر. المجتمع المسلم وتحديات المرحلة. التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر. مقاصد الشريعة في الإسلام. تجديد النظرة الدينية وآفاقها المستقبلية. حزب الدعوة الإسلامية وخلفيات النشأة.

٦٤. **الدولة الإسلامية**، دار الزهراء ـ بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: دراسة بحثها المؤلّف من خلال الفصول التالية: إقامة الدولة، أركان الدولة، رئاسة الدولة، تكوين الدولة، مراقبة الدولة، وهي تعدّ من الدراسات المبكرة في دراسة الدولة فقهيًّا في الدرس الفقهي الإمامي.

٦٥. **رأي في السياسة**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م: الكتاب في الأصل مجموعة من المقالات الإسلامية المتنوعة نشرت في جريدة (عالم الخليج) ـ لندن في الفترة بين عامي ١٤١٤/ ١٩٩٣ و ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م، ومن عناوين هذه المقالات: المعرفة ودورها في تحصيل العقيدة، توفير حق الحياة، الحرية مفهوم حائر، الفكر التشريعي وتحضير الأمة، الوعي السياسي ودوره في تحديد الموقف، السلام سبيل للمسلمين أو عليهم.

٦٦. **في انتظار الإمام**، دار الزهراء ـ بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: تعالج هذه الدراسة قضية الإمام المنتظر عليه السلام ومسألة الحكم الإسلامي اليوم، رتّب المؤلف فصولها كالتالي: مسألة المهدوية وتمذهبها، حياة الإمام المهدي عليه السلام، وجود الإمام، دولة الإمام، انتظار الإمام، رئيس الدولة، تكوين الدولة، الدعوة إلى الدولة. وقد ترجم وطبع الكتاب باللغة الفارسية في مشهد، من ترجمة دكتر حبيب روحاني، ونشر مؤسسة چاپ وانتشارات آستان قدس رضوي سنة ١٩٩٨م.

٦٧. **في ظلا النبوة: حوار حول السيرة الذاتية وارتباطها بالعمل الإسلامي مع قراءة للسيرة النبوية الاجتماعية**، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: الكتاب تحرير لندوة أقميت بمناسبة المولد النبوي الشريف عام ١٤١١هـ بدايةَ استقراره شرق الجزيرة العربية متقاعدًا من الجامعة، وهو ما تطلّب من المقدّم تقسيم الندوة إلى قمسين، جعل الأوّل تعريف بالشيخ، فيما الثاني حول المناسبة، حيث عالج السيرة النبوية من خلال ارتباطها بالشأن الاجتماعي وتطبيقها على الواقع المعاصر.

٦٨. **الكيان السياسي الإسلامي من خلال نصوص المالية العامّة**، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: في هذا الكتاب يبحث الشيخ الفضلي مسألتين مهمّتين من مسائل الفقه الإمامي، وهما: مسألة ملكيّة الماليّة العامّة، ومسألة الكيان الإداري الذي كان قائمًا أيام حكم المعصوم، وذلك ضمن العناوين التالية: الدولة.

نوعية الحكم الإسلامي في الفقه الإمامي. الماليّة العامّة. الرأي الفقهي الإمامي في ملكية الدولة.

٦٩. **محاضرات في الفكر الإسلامي**، إعداد: ديوانية الغدير ـ سيهات، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: الكتاب تحرير لـ (٢٢) محاضرة ألقاها الشيخ الفضلي في المواسم الرمضانية الممتدة بين الفترة ١٤١١هـ ـ ١٤٢٠هـ بحسينية الناصر بمدينة سيهات شرق السعودية، وقد شكّلت بمجموعها فصول الكتاب الخمسة، وهي: مفاهيم قرآنية، ونظامنا الإسلامي، ومجتمعنا الإسلامي، ومفاهيم قلقة، وندوات فكرية.

٧٠. **مشكلة الفقر**، دار الرافدين ـ بيروت، ط٤، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م: ينقسم الكتاب إلى: تمهيد وفصلين: التمهيد: عرّف فيه المؤلّف بالمشكلة تعريفًا عامًّا. أما الفصل الأول: فقد ضمنه عرضًا لأهم عوامل نشوء المشكلة اقتصاديًّا. والفصل الثاني: استعرض فيه طرق علاج المشكلة والوقاية منها.

٧١. **مفاهيم إسلامية حول أدب الدعوة ومنهج الدعاة**، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: الكتاب مجموعة من مقالات نجفية سبق نشرها في مجلّة الأضواء حول الدعوة الإسلامية، وقد جُمِعَت في فصلين، ضمّ الأول (منهج الدعوة في الإسلام): مع الدعاة المسلمين، أسلوب الدعوة إلى الإسلام، حول أساليبنا في الدعوة، فيما ضمّ الفصل الثاني (أهل البيت عليهم السلام وتمثّل القيم الإسلامية): المسلم في حياة الإمام علي عليه السلام، أهداف ووسائل ثورة الطفّ، الإمام الصادق عليه السلام الداعية. وقد صدر الكتاب بمناسبة رحيل المؤلّف.

٧٢. **النهضة الحسينية: بين مقتضيات الواقع الاجتماعي والقيام بالواجب الشرعي**، منشورات بيت الحكمة ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م: يتناول الكتاب النهضة الحسينية ضمن محورين رئيسين، هما: الجانب الاجتماعي، الذي أشار فيه المؤلّف إلى ما فرضته مقتضيات التطوّرات الاجتماعية ـ حينها ـ على الإمام الحسين عليه السلام في ذهابه إلى خيار المواجهة والثورة على الواقع القائم. والجانب الشرعي، الذي أبان الشيخ فيه طبيعة النهضة الحسينية ولكونها أداءً لفريضة إلهية مهمّة، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك في فصول خمسة، رتبها الشيخ وفق التالي: النهضة الحسينية: أداء لفريضة إلهية، والنهضة الحسينية وطبيعة التحرّك، والمجتمع الإسلامي وبوادر التغيير، وأهل البيت ومرحلة المواجهة، والتضحية سبيلاً وحيدًا للتغيير.

٧٣. **الوحدة الإسلامية: أسس البناء ومفاعيل الهدم في المجتمع المسلم**، تحرير ودراسة: حسين منصور الشيخ، مخطوط: الكتاب تحرير لمحاضرات أربع، يسبقها فصل تمهيدي، بعنوان: مشروع الوحدة وخلفيات التجزئة عند الدكتور الفضلي، ويليه فصول الكتاب بعناوينها التالية: الإسلام وبصائر الوعي، والوحدة الإسلامية: دراسة في الأسس والمنطلقات، والوحدة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، والأمة الإسلامية ومشاريع التقسيم.

□ تاسعًا: مجموعة التاريخ والجغرافية

٧٤. **البعثة النبوية: دراسة موجزة حول البعثة النبوية ودورها في بناء وإدارة المجتمع الإنساني**، منشورات بيت الحكمة الثقافي ـ القطيلإ، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: الكتاب تحرير لمحاضرة ألقيت بمناسبة المبعث النبوي، عالج فيها الدكتور الفضلي مسألة البعثة في عناوين ثلاثة، هي: بعثة الأنبياء .. بحث في الطبيعة والغاية، وبعثة الأنبياء ومهمّة بناء الإنسان، وبعثة الأنبياء وقيادة المجتمع الإنساني.

٧٥. **دليل النجف الأشرف: في ستينيات القرن العشرين**، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م: صدر هذا الكتاب بمناسبة مرور ألف عام على ولادة الشيخ الطوسي ﷺ مؤسس حوزة النجف الأشرف الموافقة للعام ١٣٨٥هـ، وكان حاجة ماسّة وذلك لأنه يمثل دليلاً سياحيًّا لأهم معالم مدينة النجف التي يؤمّها الزوار والسيّاح من كلّ مكان، وبالإضافة إلى ذلك تعريفًا بمعالم المدينة ومكانتها وتاريخها وأبرز رجالاتها ومؤسساتها العلمية.

٧٦. **غدير خم .. دراسة تاريخية وتحقيق ميداني**، قم، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: دراسة عن غدير خم ضمن العناوين التالية: اسم الموقع، سبب التسمية، تحديده جغرافيًّا، وصفه تاريخيًّا، وصف مشهد النصّ بالولاية للإمام علي عليه السلام، الأعمال المندوب إليها في الموقع، وصف الموقع الراهن ميدانيًّا. مع فصل خاص عن مؤلّف موسوعة الغدير الشيخ عبد الحسين الأميني، وملحق بصور وخرائط الموقع وأهم معالمه.

٧٧. **في ذكرى أبي**، تحت الطبع: يضم الكتاب تسجيلاً لأهم الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية التي عاصرها والده الفقيد رحمه الله وأدواره فيها، واستعرض جوانب من تراثه العلمي وسيرته الشخصية والتربوية والسلوكية مع تحليل لأحداث مهمة تاريخية وتوثيق لها في المراحل التاريخية للمناطق التي استوطنها وسيرة رجالاتها.

٧٨. **من البعثة إلى الدولة**، منشورات دار الأضواء ـ النجف، ط١، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م: دراسة تاريخية عن الدعوة النبوية من مرحلة البعثة في مكة المكرمة حتى تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. وقد رتّب الشيخ الكتاب خطوات تأسيس الدولة على مراحل عشر، بيّن فيها الترابط بينها، مبتدئًا بخطوة «تهيئة قوى الدعوة ومنتهيًا بخطوة «الهجرة إلى المدينة».

٧٩. **هكذا قرأتهم ـ جزآن**، دار المرتضى ـ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م: الكتاب عبارة عن ترجمة لشخصيات تشكلت مادته من عدة مقالات ودراسات كتبها المؤلف حول شخصيات علمية وأدبية، على حقب زمنية متباعدة، قد تصل المسافة بين كتابة أقدمها، وكتابة أحدثها إلى أربعين سنة. فهو كتاب يقرأ مبدعين راحلين، كان لهم حضورهم الفاعل في الساحة العلمية، أو الأدبية، أو فيهما معًا، دارسًا تلك الشخصيات العلمية/ الأدبية في حقبة زمنية بين شطريها ألف سنة، تبدأ بالقرن الخامس الهجري، وتنتهي في القرن الخامس عشر الهجري. موزعًا القراءة على بابين: الباب الأول: المقالات / والباب الثاني: الدراسات. وقد قسم كل باب زمنيًا إلى قسمين: القسم الأول: (السابقون) ويحتوي على شخصيات ما قبل القرن الخامس عشر الهجري، والقسم الثاني: (المعاصرون) ويحتوي على شخصيات القرن الخامس عشر الهجري.

مسرد الحوارات والدراسات

■ حسين منصور الشيخ ■

□ **الحوارات**

١. لا بدّ من تشجيع الطالب على ارتياد المكتبة لأن الصلة وثيقة بينها وبين المحاضرة، صحيفة الندوة، العدد: ٣٩٦٠، السنة ١٤، ٠٨/ ٠١/ ١٣٩٢هـ/ ٢٣/ ٠٢/ ١٩٧٢م.

٢. أستاذ الجامعة إذا لم يكن أديبًا لا نحمله المسئولية، صحيفة عكاظ، عدد ٢٧/ ٠٢/ ١٣٩٧هـ.

٣. الحملات العدائية هدفها عزل العرب عن اللغة العربية عزلاً كاملاً، صحيفة الندوة، عدد ٠٨/ ٠٩/ ١٤٠٠هـ.

٤. رمضان شهر التنمية الروحية بالصلاة وقراءة القرآن، صحيفة الندوة السعودية، العدد ٩٨٠١، ١٧/ ٠٩/ ١٤١١هـ.

٥. أرجو أن نوازن بين العقل والعاطفة لتكون صحوتنا واعدة، مجلة العالم، العدد: ٤٥٣، ١٧/ ١٠/ ١٩٩٢م ـ ١٩/ ٤/ ١٤١٣هـ.

٦. أقترح إعادة النظر في واقع الدرس الفقهي الحوزوي الراهن، مجلة أهل البيت، العدد ٤، جمادى الأولى ١٤١٣هـ/ نوفمبر ١٩٩٢م.

٧. المواقف تحاور العالم الإسلامي الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجلة المواقف البحرينية، العدد ٩٥٥، الاثنين ١٥/ المحرم/ ١٤١٤هـ ـ ٥/ يوليو/ ١٩٩٣م.

٨. التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة الكلمة، العدد ٤، السنة الأولى، صيف ١٩٩٤م ـ ١٤١٥هـ.

٩. حوار حول الشهيد الصدر، ضمن كتاب: محمد باقر الصدر .. حياة حافلة فكرٌ خلاّق، السيد محمد طاهر الحسيني، دار المحجّة البيضاء ـ بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٠. مقاصد الشريعة، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٩ و١٠، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١١. لا مانع من تصدّي غير علماء الدين للقضايا الدينية، صحيفة الوسط البحرينية، عدد ٢/ ٥/ ٢٠٠٣م.
١٢. حوار حول المناهج الحوزوية، مجلة فقه أهل البيت ﷺ، العدد ٣٥، السنة ٩، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٣. الشهيد الصدر مجدّد من الرعيل الأول على المستوى الدولي، مجلة العصر ـ الكويت، العدد٤٠، ذو الحجّة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م.
١٤. حوار مع العلامة الدكتور الفضلي حول تحديث نظام الدراسة الدينية، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
١٥. حوار في العمق .. حوار مفتوح على كل الاتجاهات، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٤٧، خريف ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

□ **الدراسات والمقالات**

١. **المسلم في حياة الإمام علي** عليه السلام، مجلة الأضواء، العدد ٧، السنة ٢، العام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
٢. **الشيخ الطوسي مؤسس الحركة العلمية في النجف الأشرف**، مجلة النجف، العدد ٢، السنة ٥، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٣. **المبدأ الأول في الفكر اليوناني قبل سقراط**، مجلّة النجف، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
٤. **حول تعبير شائع، مجلة الأضواء**، العدد ٢، السنة ٣، ربيع الثاني ١٣٨٢هـ.
٥. **حول صياغة دستور إسلامي**، مجلة الأضواء، العدد ٤، السنة ٣، جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ.
٦. **في ظلال الإيمان**، مجلة الإيمان، العدد ١ و٢، السنة ١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٧. **عبرة من الذكرى**، مجلة الإيمان، العدد ٣ و٤، السنة ١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٨. **عبر تطورات الدعوة**، مجلة الإيمان، العدد ٣ و٤، السنة ١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
٩. **حول المؤلّفات الفقهية**، مجلة الإيمان، العدد ٥ و٦، السنة ١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
١٠. **الدين في اللغة والقرآن**، مجلة الإيمان، العدد ٩ و١٠، السنة ١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١١. **وجود الإمام**، مجلة النجف، العدد ١، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٢. **نريد تعليمًا هادفًا**، مجلة البذرة ـ النجف، العددان ٢ و٣، السنة ١، شوال وذو القعدة ١٣٨٥هـ.
١٣. **نقد وتعريف حول دراسة بعنوان**: «الوضع .. تحديده، تقسيماته، مصادر العلم به» للسيد محمد تقي الحكيم، مجلة النجف، العدد ١، السنة ١، ذو الحجة ١٣٨٥هـ ـ شباط ١٩٦٥م.
١٤. **تعريف بكتاب «القانون المدني العربي» للدكتور عبد الرزاق السنهوري**، جريدة السياسة، الكويت، ١٩٦٥م.
١٥. **حول قضية الانحراف**، مجلة الإيمان ـ النجف، العددان ١ و٢، السنة ٣، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٦. **نحن والغدير**، مجلة البذرة ـ النجف، العدد ٤، السنة ١، ذو الحجة ١٣٨٦هـ.
١٧. **تعريف بالمقاتل**، مجلة البذرة ـ النجف الأشرف، العدد ٥، السنة ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٨. **قضية الإمام المنتظر**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العددان ٥ و٦، السنة ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٩. **اليعقوبي خطيبًا**، مجلة الإيمان، العدد ٧ ـ ١٠، السنة ٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٢٠. **الحاكم الإسلامي بعد زمن المعصوم**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العدد ١ ـ ٤، السنة ٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢١. **ضرورة الحكم الإسلامي بعد زمن المعصوم**، مجلة رسالة الإسلام، العددان ٥ و٦، السنة ٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢٢. **مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية**، مجلة النجف، العدد ٢، السنة ٣، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢٣. **ثورة الحسين عليه السلام في الشعر العربي**، مجلة النجف، العدد ٣، السنة ٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٢٤. **الأسماء الثنائية في اللغة العربية**، مجلّة اللسان العربي ـ الرباط، العدد ٦، شوال ١٣٨٨هـ/ يناير ١٩٦٩م.
٢٥. **تشكيلات الحكومة في التشريع الإسلامي**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العددان ٥ و٦، السنة ٢، رمضان ١٣٨٧هـ/ كانون الأول ١٩٦٧م.

٢٦. **الأمثال في نهج البلاغة**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العدد ٧ و٨، السنة ٢، ذو القعدة ١٣٨٨هـ/ فبراير ١٩٦٨م.
٢٧. **البعثة في نهج البلاغة**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العددان ٩ و١٠، السنة ٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٢٨. **قراءة في ديوان (النغم الجريح) للشاعر محمد سعيد الخنيزي**، جريدة اليوم، السنة الخامسة، العدد ٢٥٠، ٨ ذو القعدة ١٣٨٨هـ.
٢٩. **علم الأصوات الحيوانية عند العرب**، مجلة اللسان العربي، المجلّد ٨، الجزء ١، ذو القعدة ١٣٩٠هـ/ يناير ١٩٧١م.
٣٠. **الرقابة الاجتماعية في الإسلام**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العددان ٣ و٤، السنة ٥، شوال ١٣٩١هـ/ تشرين الثاني ١٩٧١م.
٣١. **مع معارضي الشعر الحرّ**، صحيفة الرياض، عدد ٢٨/ ١٠/ ١٣٩١هـ.
٣٢. **دراسة لغوية اجتماعية لأعلام حجازية**، صحيفة الرياض، عدد ٤/ ١٢/ ١٣٩١هـ.
٣٣. **أعراف النحو في الشعر**، صحيفة الرياض، العدد ٢٠٤٦، ٢/ ١ / ١٣٩٢هـ.
٣٤. **الصراع بين القديم والحديث في الشعر**، صحيفة الرياض، عدد ١٦/ ١/ ١٣٩٢هـ.
٣٥. **التعليم الشرطي بين الرضي وبافلوف**، مجلة رسالة الإسلام ـ بغداد، العددان ٥ و٦، السنة ٥، محرّم ١٣٩٢هـ/ شباط ١٩٧٢م.
٣٦. **معنى الحبّ في الشعر**، صحيفة الرياض، عدد ١/ ٢/ ١٣٩٢هـ.
٣٧. **حول التضبيب في الأدب**، صحيفة الرياض، عدد ٢١/ ٣/ ١٣٩٢هـ.
٣٨. **ليلى ونجد .. ظاهرتين شعريتين**، صحيفة الرياض، عدد ٥/ ٤/ ١٣٩٢هـ.
٣٩. **القرآن الكريم وثيقة اللغة العربية**، مجلة قافلة الزيت السعودية، جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ/ أغسطس ١٩٧٢م.
٤٠. **تعريف ونقد لتحقيق: القصيدة المذهبة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للسيد الحميري**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلّد ٤٧، الجزء ٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٤١. **تنقّل الألفاظ**، مجلة اللسان العربي ـ الرباط، المجلّد ١٠، الجزء ١، ذو القعدة ١٣٩٢هـ/ يناير ١٩٧٣م.

٤٢. **في علم العروض .. نقدٌ واقتراح**، مجلة قافلة الزيت، العدد ٤، المجلّد ٢١، ربيع الثاني ١٣٩٣هـ ـ مايو/ يونية ١٩٧٣م.

٤٣. **البند بين السجع والشعر**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، عدد ٢٢/ ٥/ ١٣٩٦هـ.

٤٤. **بين العاميتين الحجازية والعراقية**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، ٣/ ١١/ ١٣٩٦هـ.

٤٥. **تحقيق: البصروية في علم العربية للشيخ البصروي (ت ٨٧١هـ)**، مجلة اللسان العربي ـ الرباط، المجلّد ١٥، الجزء ١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٤٦. **قراءة في كتاب المفتاح لتعريب النحو**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، عدد ٣، ربيع الثاني ١٣٩٧هـ.

٤٧. **حول حقيقة الشعر الحرّ**، صحيفة عكاظ، عدد ١/ ٥/ ١٣٩٧هـ.

٤٨. **حول أسبقية العوّاد إلى نظم الشعر الحرّ**، صحيفة البلاد، عدد ١٨/ ١٢/ ١٣٩٧هـ.

٤٩. **المتنبّي نحويًّا**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، العدد ٢، السنة ٣، ١٣ جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ/ ٢٠/ مايو/ ١٩٧٨م.

٥٠. **قراءة في كتاب أئمة النّحاة في التاريخ**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، العدد ٣، السنة ٣، ٥ رجب ١٣٩٨هـ.

٥١. **جمع بديل**، نشرة الرائد، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، جمادى الأولى ١٣٩٩هـ.

٥٢. **تحقيق: إتحاف الإنس في العَلَمين واسم الجنس لشمس الدين محمد الأمير (ت ١٢٣٢هـ)**، صحيفة المدينة المنورة السعودية، العدد ٤٨٠٧، ٢٩/ صفر ١٤٠٠هـ.

٥٣. **تصويبات المقولات العشر**، نشرة أخبار جامعة الملك عبد العزيز، السنة الرابعة، العدد الأول، ١ ربيع الأول ١٤٠٠هـ/ ١٩ يناير ١٩٨٠م.

٥٤. **تحقيق: رسالة في إعراب سورة الفاتحة لعمر بن عثمان الجنزي النحوي**، صحيفة المدينة، العدد ٤٩٢١، الخميس ١٥ رجب ١٤٠٠هـ.

٥٥. **حول كتاب موجز في علوم القرآن**، مجلة الحكمة، لبنان، العدد ٧، رمضان ١٤٠٠هـ.

٥٦. **نقد تحقيق كتاب (المجازات النبوية)**، صحيفة المدينة، العدد ٥٨٤٤، الخميس ١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ، ص١٢.

٥٧. تمازج اللغة بفن مصطلح الحديث اللفظي، مجلة المنهل بجدة، ١٤٠٤هـ.
٥٨. الإعراب بين الوسيلة والغاية، مجلة المنهل ـ جدة، سنة ١٤٠٤هـ.
٥٩. وظيفة علم النحو تربويًّا، مجلة الخفجي، فبراير ١٩٨٥م.
٦٠. درة القارئ (منظومة في ظاءات القرآن الكريم) ـ تحقيق، الحافظ عبد الرزاق الرسعني (ت ٦٦١ هـ)، مجمع اللغة العربية الأردني ـ عمّان، ع ٣٠، جمادى الأولى ـ شوال ١٤٠٦هـ/ كانون الثاني ـ حزيران ١٩٨٦م.
٦١. حول التتمّة في النحو، مجلة عالم الكتب ـ الرياض، المجلد ٦، العدد ٣، ١٤٠٦هـ.
٦٢. قراءة في كتاب دراسات في سكّان العالم الإسلامي، صحيفة المدينة المنورة، العدد ٧٤٨١، ٢٩/ صفر ١٤٠٨هـ/ ٢٢/ أكتوبر/ ١٩٨٧م.
٦٣. تحقيق: إتحاف الرفاق ببيان أقسام الاشتقاق للشيخ محمد الجوهري (ت ١٢١٥هـ)، صحيفة المدينة المنورة السعودية، عدد ١/ صفر ١٤٠٨هـ/ ٢٤/ سبتمبر/ ١٩٨٧م.
٦٤. من معالم الحج والزيارة: يلملم، مجلة الموسم ـ دمشق، العدد ٥، المجلد ٢، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.
٦٥. إحياء الذكرى الألفية للشيخ المفيد، مجلة الموسم ـ دمشق، العدد ٦، المجلد ٢، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.
٦٦. في ذكرى أبي، مجلة الموسم، العدد ٩ و١٠، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٦٧. مؤلّفات الأحسائية منذ بدء التأليف إلى سنة ١٤١١هـ، مجلة الموسم ـ دمشق، العدد ٩ ـ ١٠، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٦٨. قراءة في كتاب التوحيد، مجلة تراثنا ـ قم، إيران، العدد ٢ [٢٧] ـ السنة ٧، ربيع الثاني ـ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ.
٦٩. الموقف في ظل الدولة الشرعية والمرجعية القائدة، مجلة الفكر الجديد، العدد ٣ ـ السنة الأولى ـ أيلول ١٩٩٢م ربيع الأول ١٤١٣هـ
٧٠. الشيخ المفيد مؤسس المدرسة الأصولية الإمامية، أعمال مؤتمر ألفية الشيخ المفيد ـ قم، الدراسة رقم ١١٧، ١٤١٣هـ/ ١٣٧١هـ. ش.
٧١. البوسنة والهرسك بين التحديين، مجلة الفكر الجديد، العدد ٥، السنة ٢، آذار (مارس) ١٩٩٣م/ رمضان ١٤١٣هـ.

٧٢. **الدراسات المقارنة ودورها في حل مشكلات الفكر الإسلامي،** صحيفة عالم الخليج، العدد ٦، ديسمبر ١٩٩٣م - جمادى الآخرة ١٤١٤هـ.

٧٣. **الهوية الإسلامية أولاً،** صحيفة عالم الخليج، العدد ١٢، يونيو ١٩٩٤م - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

٧٤. **تجربتي مع التعليم الحوزوي،** مجلة الجامعة الإسلامية ـ لندن، العدد ١، كانون الثاني ـ آذار ١٩٩٤م ـ رجب ـ رمضان ١٤١٤هـ.

٧٥. **ملامح في الجانب العلمي في حياة الإمام الخوئي،** مجلة الموسم، العدد ١٧، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٦. **خطوات رائدة في مسيرة الإمام الخوئي العلمية،** مجلة الموسم، العدد ١٧، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٧. **مقدّمة علم أصول الفقه ..قراء نقدية في ضوء المنهج العلمي الحديث،** مجلة رسالة الثقلين ـ قم، العدد ١١، السنة ٣، ١٤١٤هـ.

٧٨. **قراءة في كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية،** مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٤، السنة ١، تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٩٤ م ـ جمادى الأولى ـ رجب ١٤١٥هـ.

٧٩. **التلاعب بالألفاظ سياسيًّا،** صحيفة عالم الخليج، العدد ١٤، أغسطس ١٩٩٤م - صفر ١٤١٥هـ.

٨٠. **من المغالطات سياسيًّا،** صحيفة عالم الخليج، العدد ١٥، سبتمبر ١٩٩٤م - ربيع الأول ١٤١٥هـ.

٨١. **التضليل السياسي،** صحيفة عالم الخليج، العدد ٢٢، أبريل ١٩٩٥م - ذو القعدة ١٤١٥هـ.

٨٢. **دور الإمام الصدر في التطوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية،** مجلة الفكر الجديد، العددان ١٣ – ١٤، السنة ٤ ـ حزيران ١٩٩٦م / صفر ١٤١٦هـ.

٨٣. **ميقات الحجفة،** مجلة ميقات الحج ـ قم، العدد ٦، ١٤١٦هـ.

٨٤. **المال: دراسة فقهية مقارنة،** مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٢، السنة ١، صيف ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨٥. **مشكلات الوقف الإسلامي وسبل تنميته .. الأحساء نموذجًا،** مجلة الكلمة، العدد ١٣، السنة ٣، خريف ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨٦. **الرأي الفقهي في السلام مع إسرائيل**، مجلة رسالة التقريب، العدد ١٥، ١٤١٨هـ.
٨٧. **الغناء: دراسة فقهية لظاهرة الغناء الحقيقة والحكم**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٩، السنة ٣، ربيع ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٨٨. **التقليد: دراسة فقهية لظاهرة التقليد الشرعي ـ ١**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١١، السنة ٣، خريف ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٨٩. **التقليد: دراسة فقهية لظاهرة التقليد الشرعي ـ ٢**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٢، السنة ٣، شتاء ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٩٠. **ميقات يلملم**، مجلة ميقات الحج ـ طهران، العدد ٩، السنة ٥، ١٤١٩هـ.
٩١. **الرأي الفقهي في الصلح مع إسرائيل**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٣، السنة ٤، ربيع ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٩٢. **بيع العربون**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٥، السنة ٤، خريف ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٩٣. **بيع التقسيط**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٦، السنة ٤، شتاء ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٩٤. **النص الشرعي: مفهومه وفهمه**، مجلة الكلمة، العدد ٢٣، السنة ٦، ربيع ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٩٥. **الأسس الإسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول للدستور الإسلامي**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٧، السنة ٥، ربيع ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٩٦. **الاجتهاد دراسة فقهية لظاهرة الاجتهاد الشرعي ـ ١**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٨، السنة ٥، صيف ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٩٧. **الاجتهاد دراسة فقهية لظاهرة الاجتهاد الشرعي ـ ٢**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ١٩، السنة ٥، خريف ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٩٨. **الربا .. دراسة فقهية قانونية تاريخية مقارنة**، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٩ و١٠، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٩٩. **دراسة دلالية لكلمة إرهاب**، مجلة الكلمة، العدد ٢٨، السنة ٧، صيف ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٠. **ريادة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في تطوير المنهج والأسلوب بحوزة النجف العلمية**، مجلة الكلمة، العدد ٣٠، السنة ٨، شتاء ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٠١. **الغزو الثقافي المعاصر وموقفنا منه**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٢٠، السنة ٥، شتاء ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٠٢. **دور الإمام علي عليه السلام في إرساء الحضارة الإسلامية**، مجلة الثقافة الإسلامية ـ دمشق، العدد ٨٧، ربيع الثاني ١٤٢٢هـ ـ تموز ٢٠٠١م.
١٠٣. **التبليغ الإسلامي**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٢٢، السنة ٦، صيف ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٠٤. **الرأي الفقهي في حلق اللحية**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٢١، السنة ٦، ربيع ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٠٥. **الجهاد الاستشهادي .. مقاربة تاريخية فقهية في الإطار الإسلامي**، مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت، العدد ١٠، السنة ٣، خريف ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٠٦. **التأويل**، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ١٩، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٠٧. **غدير خم: دراسة تاريخية وتحقيق ميداني**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٢٥، السنة ٧، ربيع ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٠٨. **إنشاء العقد بالكتابة**، مجلة الكلمة، العدد ٤١، السنة ١٠، خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٠٩. **ولاية المرأة في الإسلام**، مجلة المنهاج ـ بيروت، العدد ٣٩، السنة ١٠، خريف ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١١٠. **مفهوم الاستقلال السياسي**، مجلة الكلمة، العدد ٥١، السنة ١٣، ربيع ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١١١. **إمكانية تفوّق المسلمين مدنيًّا**، مجلة الكلمة، العدد ٦٢، السنة ١٦، شتاء ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
١١٢. **تعدُّد السبُل: الإسلام بين حفظ الهوية الحضارية للشعوب والتزام النظام الإسلامي**، مجلة الكلمة، العدد ٧١، السنة ١٨، ربيع ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
١١٣. **الإسلام والمفاهيم الضيقة: دراسة موجزة حول بعض المفاهيم الدينية ومقارنتها بآفاق المعرفة الإنسانية**، مجلة الكلمة، العدد ٧٥، السنة ١٩، ربيع ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١١٤. **الإسلام وبصائر الوعي: الدين في دعوته الإنسان إلى تبصّر قيم ومبادئ الفطرة**، مجلة الكلمة، العدد ٧٨، السنة ٢٠، شتاء ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
١١٥. **بداية النحو في مكّة**، مجلة المجلة العربية ـ الرياض، العدد ٤، ...
١١٦. **الفقيه الخوئي وتجديده العلمي**، مجلة العالم، لندن ـ بريطانيا، ...
١١٧. **قل: إمبريالية، ولا تقل: استعمار**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ...
١١٨. **ألفاظ الشعر**، نشرة أخبار الجامعة، جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، ...
١١٩. **المعرفة ودورها في تحصيل العقيدة**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٠. **توفير حق الحياة**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢١. **الحرية مفهوم حائر**، صحيفة عالم الخليج ...
١٢٢. **الثقافة بين العلمية والاجتماعية**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٣. **الفكر التشريعي وتحضير الأمة**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٤. **بين الواقع والبديلين**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٥. **الوعي السياسي ودوره في تحديد الموقف**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٦. **ليس غزواً حضاريًا**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٧. **المعادلة السياسية القاسية** (أزمة الخلق في الغرب + لعبة الفكر الغربي = القمع الملثم للشرق)، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٨. **السلام سبيل للمسلمين أو عليهم**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٢٩. **البوليسية نهاية الاستعمار**، صحيفة عالم الخليج ـ لندن، ...
١٣٠. **في معترك الصراع الثقافي، تحليل وتوعية**، ...
١٣١. **الجيل لغويًا**، ...
١٣٢. **الاستعمال الاجتماعي - وسيلة من وسائل تنمية اللغة**،...
١٣٣. **من العامي الدخيل**،...

مسرد تقديمات الكتب

■ لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ■

١. ابن السكيت، حبيب الهلالي - العراق.
٢. أثر التشيع في الأدب العربي، الشيخ باقر بوخمسين - الأحساء.
٣. أسرار، أحمد معتوق العيثان - الأحساء.
٤. إشراقات فكرية من أنوار الخطبة الفدكية، الشيخ حبيب إبراهيم الهديبي - الأحساء.
٥. أصول الدين، الشيخ محمد الخرس - الأحساء.
٦. أعلام أسرة آل المحمد علي الأحسائيّة، علي المحمد علي - الأحساء.
٧. أعلام من القديح، الخطيب محمد علي الناصر - القطيف.
٨. أعلام هجر، السيد هاشم الشخص - الأحساء.
٩. أعمال شهر رجب، جماعة - الدمام.
١٠. أفئدة وجراح .. الشيخ علي آل الشيخ: وميض حياة وعزيف رحيل، إعداد: محمد أمين أبو المكارم - القطيف.
١١. الإمام الخوئي، الشيخ أحمد الإبراهيم - الأحساء.
١٢. الإمامة، الشيخ حسين العبد الله - الأحساء.
١٣. الباقريات، جعفر باقر الباقر - البحرين.
١٤. بزوغ الإسلام في واحة السلام (رواية)، عدنان أبو المكارم - القطيف.
١٥. البناء النفسي للطفل في الإسلام في إطاره العام، خليل آل حمادة - القطيف.
١٦. بيعة علي أبا بكر، الشيخ حسين العبد الله - الأحساء.
١٧. تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، علي بن إبراهيم الدرورة - القطيف.
١٨. تربية الطفل، الشيخ علي الصلاح - صفوى.
١٩. الترياق الفاروقي (ديوان شعر)، عبد الباقي العمري - العراق.
٢٠. التصريح والتلويح في القرآن الكريم، طالبات حوزة الزهراء البتول بسيهات.

٢١. تعليم الكتابة العربية لغير الناطقين بها، عادل سليمان محمد – جدة.
٢٢. ثقافتنا بين التجديد والتطفيف، علي صالح الحجي – الأحساء.
٢٣. ثورة التنباك، باقر الرستم – الأحساء.
٢٤. الحسين في موكب الخالدين، الشيخ محسن المعلم – القطيف.
٢٥. الخمس في الشريعة الإسلامية، عبد العلي آل سيف – القطيف.
٢٦. دراسة عن تفسير حديث «لا تشد الرحال»، الشيخ عباس البريهي – القطيف.
٢٧. الدروس الولائية في السيرة النبوية، يوسف عبد الوهاب الحسن – الأحساء.
٢٨. دروس فقهية (تبسيط لفتاوى السيد الخوئي)، جماعة من الأحساء.
٢٩. دروس من واقعة كربلاء، محمد علي عساكر – الأحساء.
٣٠. دروس ميسرة في الفقه، ثلة من عنك – القطيف.
٣١. دعاء خواتم الخير، الشيخ إحسان سعيد – مسقط/ عُمان.
٣٢. الدماء الثلاثة، الشيخ سعيد المدلوح – سيهات.
٣٣. ديوان باسم العيثان – الأحساء.
٣٤. ديوان (صدى الذكريات)، السيد محمد رضا السلمان – الأحساء.
٣٥. ديوان الدجاني، علي بن حسين الدجاني – الأحساء.
٣٦. ديوان السيد حمزة الموسوي – الأحساء.
٣٧. ديوان الكوفي، أحمد بن سلمان الكوفي – القطيف.
٣٨. ديوان حسين بن تقي بن مهدي الزائر – القطيف.
٣٩. ديوان الخضير الحليلي – الأحساء.
٤٠. ديوان علي المادح – القطيف
٤١. ذكرى العلامة الشيخ الغريري – الأحساء.
٤٢. الردود والنقود، للشيخ إبراهيم العرفات، تحقيق: الشيخ عبد الغني العرفات – القطيف.
٤٣. الرسالة المنجية من الهلكة، الشيخ عمران العلي، تحقيق: الشيخ حسين العبد الله – الأحساء.
٤٤. رسائل المعرفة، السيد طاهر أبو رغيف – البصرة.
٤٥. زينب في محراب العشق، الفاضلة أم عباس – الدمام.
٤٦. سين جيم في أصول الدين القويم، الشيخ حسين العبد الله – الأحساء.
٤٧. شرح عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، الشيخ علي الصلاح – صفوى.

٤٨. شرح لبعض أحاديث الإمام المهدي، الشيخ حبيب الهديبي - الأحساء.
٤٩. شرعيّة الاختلاف، الشيخ عبد الله اليوسف - القطيف.
٥٠. شعراء القطيف المعاصرون، عبد الله آل عبد المحسن - القطيف.
٥١. شعراء من الأحساء، الشيخ محمد صالح آل مطر - الأحساء.
٥٢. شيء في النحو، السيد حسن الخليفة - البصرة.
٥٣. الشيخ باقر بوخمسين .. علم عطاء وأدب، الشيخ محمد علي الحرز - الأحساء.
٥٤. الشيخ حبيب بن قرين، الشيخ صالح الغانم - الأحساء.
٥٥. صلح الحسن، الشيخ حسين العبد الله - الأحساء.
٥٦. الصوم، السيد هاشم الموسوي.
٥٧. الطائر المهاجر (ديوان شعر)، الدكتورة إخلاص فخري عمارة - مصر.
٥٨. ظاهرة التنوين، عبد الخالق الحمّادي - القطيف.
٥٩. ظمأ اليراعة، عادل الرمل - الأحساء.
٦٠. العباس بن علي، الشيخ أمين العطية - الأحساء.
٦١. عن الاتصال الجنسي الشرعي، الأستاذ عبد الرحيم البخيتان - الأحساء.
٦٢. عن الإيقاع الفني في الشعر والأدب، عبد الخالق الحمادي - القطيف.
٦٣. عن حياة السيدة الزهراء ﷺ، (مؤلفة) - الأحساء.
٦٤. عن ظاهرتي البراقع والكتافيات، السيد تقي اليوسف - سيهات.
٦٥. عن مواليد الأئمة المعصومين ﷺ، الشيخ ياسين أحمد - القطيف.
٦٦. عندما ينطق التراب (ديوان شعر)، جاسم حسين المشرّف ـ الأحساء.
٦٧. الغضب، الشيخ حسين المصطفى - القطيف.
٦٨. في السيرة النبوية، الشيخ رضي المهنا - القطيف
٦٩. في ذكرى الحبيب الراحل الشيخ عبد الحميد الناصر، الشيخ أحمد الإبراهيم، المركز الأحسائي - الأحساء.
٧٠. في رحاب الإمام الجواد عليه السلام، علي محمد عساكر - الأحساء.
٧١. في رحاب آية التطهير، علي محمد عساكر - الأحساء.
٧٢. في علم الفلك، علي الدرورة - القطيف.
٧٣. قبسات من دعاء كميل، جماعة - الأحساء.
٧٤. قراءة في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها السياسية، الشيخ حبيب الهديبي - الأحساء.

٧٥. قصيدة الغربة، قيس العلي - بيروت.
٧٦. قضية الوليد بن عقبة الأموي، الشيخ حسين العبد الله - الأحساء.
٧٧. القول المبين في أوصاف المتقين، الشيخ حسين العطية - الأحساء.
٧٨. كتاب دراسي في التجويد، جماعة «أصدقاء القرآن» - صفوى.
٧٩. كتاب عن تعليم الصلاة، جماعة التعليم الديني بسيهات.
٨٠. كتاب عن مسألة التطبير، الشيخ توفيق بو خضر - الأحساء.
٨١. كربلاء والشهادة، أحمد النمر - الأحساء.
٨٢. الكشكول، الشيخ إبراهيم العرفات، تحقيق: الشيخ عبد الغني العرفات - القطيف.
٨٣. كفاية المعاني بنظم أحرف المعاني (أرجوزة في النحو للشيخ البيتوشي الأحسائي)، تحقيق: حسن الطويل - القطيف.
٨٤. اللغة الخالدة، الدكتور محمد يعقوب التركستاني - جدة.
٨٥. لقاء في الغيب: تسجيل لوقائع مهرجان الإمام المهدي المنتظر - تاروت/ القطيف ١٤١١هـ.
٨٦. لماذا البحث عن الخالق؟، فوزية عبد الجبّار - القطيف
٨٧. لماذا نقدس القرآن؟، الشيخ باقر بوخمسين - الأحساء.
٨٨. لهجة أهل القديح، الخطيب محمد علي الناصر - القطيف.
٨٩. اللهجة والألفاظ الدارجة في منطقة القطيف، عبد الله آل عبد المحسن - القطيف.
٩٠. مالك الأشتر: القائد القدوة، باقر الرستم - الأحساء.
٩١. المجتمع وجهاز الحكم عند الإمام علي عليه السلام، عبد علي آل سيف ـ القطيف.
٩٢. مجموعة شعرية من مهرجان الغدير بتاروت، شعراء من القطيف.
٩٣. المرأة في القرآن من منظور قرآني، أم عباس - الدمام.
٩٤. المسافة الشرعية، السيد حسن الخليفة - البصرة.
٩٥. مشاكلنا الجنسية: اللواط والاستمناء، الشيخ أحمد الإبراهيم - الأحساء.
٩٦. مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، الحاج جواد الرمضان - الأحساء.
٩٧. معالم التسبيح في الإسلام، الشيخ يوسف إبراهيم الخضير - الأحساء.
٩٨. معالم السجود في الإسلام، الشيخ يوسف إبراهيم الخضير - الأحساء.

٩٩. معجم الخطباء، الخطيب السيد داخل السيد حسن – العراق.

١٠٠. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله التاروتي – القطيف.

١٠١. معجم المؤلفات الشيعية في الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الشيخ حبيب آل جميع – القطيف.

١٠٢. معجم شعراء الحسين عليه السلام، الشيخ جعفر الهلالي - العراق.

١٠٣. معجم معالم فقه المناسك، الشيخ حسين المصطفى – القطيف.

١٠٤. المنبر الحسيني في الأحساء، د. محمد جواد الخرس – الأحساء.

١٠٥. المنبر الحسيني، أحمد الشمر – سيهات.

١٠٦. المنطقة الشرقية: حضارة وتاريخ، السيد محمد علي الشرفاء – القطيف.

١٠٧. موسوعة أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، الجزء الأول، الشيخ حسن موسى الصفّار – القطيف.

١٠٨. موسوعة الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني – النجف.

١٠٩. نزهة الناظر وسلوة الخاطر، جواد آل رمضان الخزاعي – الأحساء.

١١٠. النَّصْب والنواصب، الشيخ محسن المعلم – القطيف.

١١١. النظرات الإلهية، الشيخ منصور البيات – القطيف.

١١٢. النظرية الأخلاقية في القرآن، أم عباس – الدمام.

١١٣. نيل الأماني (ديوان شعر)، الشيخ حسن الدمستاني – البحرين.

١١٤. هبوب من عينيك (ديوان شعر)، خالد مصباح مظلوم – سورية.

١١٥. هداية السالكين، الشيخ محمد جواد الخرس – الأحساء.

١١٦. هكذا وجدتهم، سلمان الحجي ـ الأحساء.

١١٧. الواو: دراسة نحوية دلالية في المصطلح والوظيفة، الدكتور عادل العيثان – الرياض.

١١٨. وركبت السفينة، الشيخ مروان خليفات – إربد/ الأردن.

١١٩. الوسيلة (ديوان شعر)، ناجي الحرز – الأحساء.

١٢٠. ويسألونك عن الكتاب، حسن آل حمادة – القطيف.

١٢١. يا ظلال الإسلام (ديوان شعر)، السيد محمد حسين فضل الله – لبنان.

قائمة بمن أجازهم الشيخ الفضلي روايةً

■ إعداد: حسين منصور الشيخ ■

١. السيد مرتجى آل السيد خليفة الأحسائي، بتاريخ: ٢٢ محرم ١٤١٠هـ.
٢. السيدان الحسن والحسين آل خليفة الأحسائي، بتاريخ: ٢٠ شعبان ١٤١٠هـ
٣. الشيخ عباس المحروس القطيفي، بتاريخ: ١٠ جمادى الأولى ١٤١٢هـ.
٤. الشيخ صلاح آل حسين الحمالي البحراني، بتاريخ: ٢٠ رمضان ١٤١٤هـ.
٥. السيد صادق الوداعي البحراني، بتاريخ: ١ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.
٦. الشيخ عبد الغني أحمد العرفات القطيفي، بتاريخ: آخر ذي القعدة ١٤١٧هـ.
٧. الشيخ أحمد الإبراهيم الأحسائي، بتاريخ: ٢٨ محرم ١٤١٩هـ.
٨. الأستاذ علي المحمد علي الأحسائي، بتاريخ: ٢٤ شوال ١٤١٩هـ.
٩. الشيخ توفيق الحداد البحراني، بتاريخ: ١ ذو الحجة ١٤١٩هـ.
١٠. السيد سلمان السيد هادي آل طعمة الكربلائي، بتاريخ: ١ صفر ١٤٢٢هـ.
١١. الأستاذ عادل الشعيبي الأحسائي، كتبها الشيخ على ظهر كتابه «خلاصة المنطق».
١٢. الشيخ علي آل كبيش السيهاتي، بتاريخ: ٧ رجب ١٤٢٣هـ.
١٣. الشيخ حسام آل سلاط القطيفي، بتاريخ: ١٥ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.
١٤. الشيخ محمد مدن عمير القطيفي، بتاريخ: ١ ذو الحجة ١٤٢٥هـ.
١٥. الشيخ علي المعلم القطيفي، بتاريخ: ٢٦ رجب ١٤٢٧هـ.
١٦. الشيخ أحمد القطري القطيفي، بتاريخ: ١ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

من مصادر ترجمته

■ لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ■

١. أعلام من بلادي، السيد سلمان هادي آل طعمة، دار كيوان – دمشق.
٢. أعلام هجر، السيد هاشم الشخص، مؤسسة أم القرى ـ قم.
٣. تاريخ القزويني، للسيد الدكتور جودت القزويني، دار الخزائن للتراث ـ بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ج ١٦ من صفحة ١٩٥ إلى ٢٣٢.
٤. الدكتور عبد الهادي الفضلي - عالم اللغة والنحوي السعودي (رسالة بكالوريوس)، إعداد عبد الإله صالح آل علي وإشراف الدكتور حمزة المزيني – كلية الآداب بجامعة الملك سعود – الرياض، الفصل الدراسي الثاني، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٥. الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، حسين منصور الشيخ، دار مداد للثقافة والإعلام – البحرين، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
٦. دليل الشخصيات السعودية Who's who in Saudi Arabia.
٧. دليل الكاتب السعودي، إصدار الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون – الرياض.
٨. دليل الكتاب والكاتبات، إصدار الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون – الرياض.
٩. شعراء الرابطة الأدبية، الشيخ محمد الخليلي.
١٠. الشيخ الفضلي مربيًا، الشيخ أحمد البراهيم، المركز الأحسائي للدراسات التراثية والتاريخية – ١٤٣٣هـ.
١١. الشيخ عبد الهادي الفضلي - دراسة في طروحاته الفكرية (رسالة ماجستير ٢٠١٢م)، إعداد الطالبة سناء فليح الخزاعي وإشراف الدكتورة إلهام محمود كاظم - كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة.

١٢. الشيخ عبد الهادي الفضلي وتجديد مناهج التعليم الديني، حسين منصور الشيخ، ضمن سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي (الكتاب الخامس)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٣. فقهاء ومناهج، السيد محمد الحسيني، مركز ابن إدريس الحلي للدراسات الفقهية، مركز ابن إدريس الحلي للدراسات الفقهية ـ النجف الأشرف، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
١٤. فن صناعة التقريظ: منهجية الدكتور الفضلي نموذجًا، الشيخ عبد الله اليوسف، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
١٥. الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج، للأستاذ أبو بكر عبد الله الشمري.
١٦. قالوا في جدنا (مخطوط)، إعداد غسان الفضلي ونائل السلطان.
١٧. قراءات في فكر العلامة الفضلي، إعداد فؤاد الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر – بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
١٨. مجلة الكلمة، العدد ٥٥، عدد خاص عن الشيخ الفضلي، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.
١٩. مسيرة التجديد في علم الأصول: الفضلي نموذجاً، للشيخ رياض السليم، مركز الرسالة للدراسات الإسلامية والإنسانية – بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
٢٠. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
٢١. معجم الأدباء والكتاب (الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية – الجزء الأول).
٢٢. معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، إصدار الدائرة للإعلام المحدودة – الرياض.
٢٣. معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد.
٢٤. معجم رجال الفكر والأدب في النجف، الدكتور محمد هادي الأميني.
٢٥. معجم شعراء الحسين، الشيخ جعفر الهلالي.
٢٦. منشور فضل، مروری بر زندگی، آثار واندیشه های علامه عبد الهادی الفضلي (باللغة الفارسية)، إصدار جامعة المصطفى – قم المقدسة.
٢٧. منعطف القرار: الفضلي بين عراقين – تجربة رائدة، علي عيسى آل مهنا، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر – قم المقدسة، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨. منهج التأليف اللغوي عند الدكتور عبد الهادي الفضلي، علي المحمد علي، بدون ناشر، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
٢٩. موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، الأستاذ أحمد سعيد بن سلم.

الشهادات والجوائز العلمية

■ لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ■

□ إجازة رواية من الشيخ آغا بزرك الطهراني ﵀

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الذي أوضح السبيل إلى الأحكام، وجعل الرواية طريقًا لأخذها عن هداة الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين والأئمة الاثني عشر أوصيائه المعصومين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد، فلما كان الحديث أحد الأصلين الأصيلين المتفق على لزوم الأخذ والعمل به بين الفريقين، جرت سيرة السلف الصالح من أصحابنا ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ على ضبط الأحاديث وحفظها وتحمّلها بإحدى الطرق الثمانية المقرّرة عندهم، وأسهلها: الإجازة، فتأسَّى بهم: الشيخ الفاضل البارع الشاب المقبل الواصل في حداثة سنه إلى أعالي مراقي الكمال، والبالغ من الفضائل مبلغًا لا يُنال إلا بالكدِّ الأكيد من كبار الرجال المدعو **بالشيخ عبد الهادي بن الشيخ الميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي** البصري المولد في (١٣٥٣هـ)[1]، والنجفي المنزل والاشتغال، وفقه الله تعالى لصالح الأعمال والأقوال.

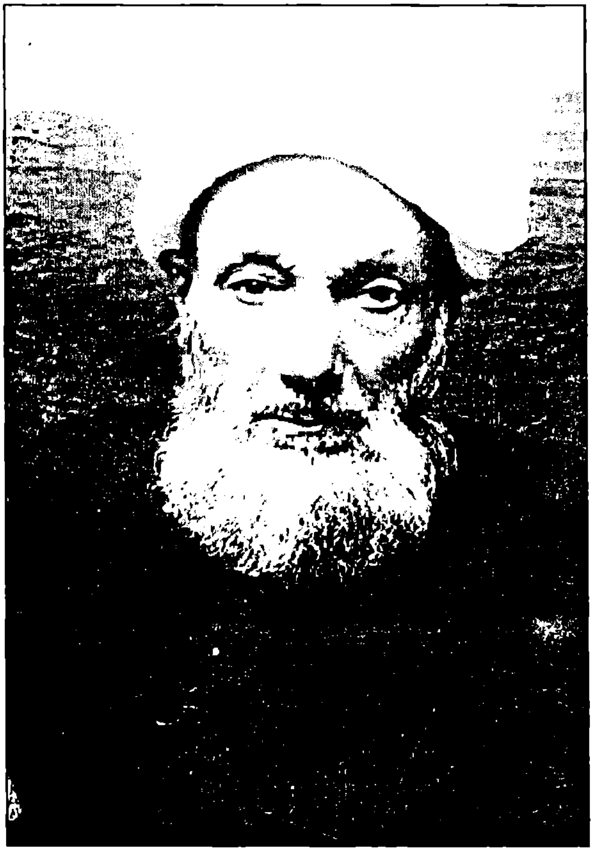
ولحُسْنِ ظَنِّه بهذه الذرّة ـ بل اللا شيء بالمرة ـ استجازني، ورأيته أهلاً لذلك، فاستخرت الله تعالى وأجزته أن يروي عني جميع ما صحّت لي روايته وساغت لي إجازته عن مشايخي ﵃، وهم آيات الله في الأنام القاطنين في العراق ومشاهد

(١) ولد الشيخ الفضلي سنة ١٣٥٤هـ.

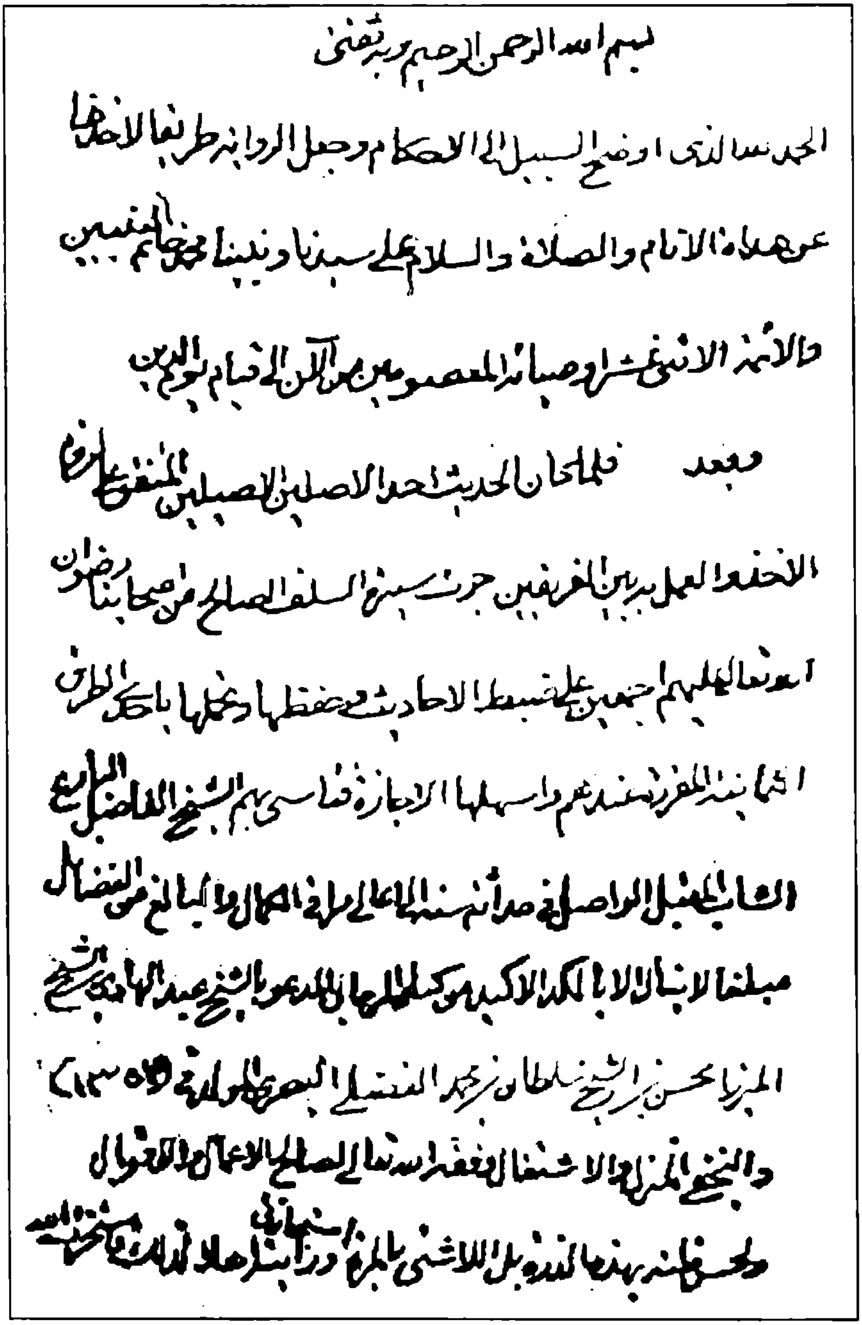
[الأئمة الكرام]، وساير مشايخ الإسلام المقيمين في القاهرة أو المدينة المنورة أو البلد الحرام، وقد ذكرتهم في الإسناد المصفى وذيل المشيخة وغيرهما من الإجازات المفصلة، فَلْيَرْوِ ـ دام توفيقه ـ عنّي عنهم بجميع طرقهم ومشيختهم لمن شاء وأحب ممن استجاز منه وطلب. مع رعاية الاحتياط وملازمة التقوى في سائر الحالات.

والرجاء من [مكارمه] أن يذكرني في مظان إجابة الدعوات في حياتي وبعد الممات.

حررته بقلمي وأنشأته بفمي في العشر الأخير من شهر محرم الحرام عام أربعة وسبعين بعد الثلاثمائة والألف الهجرية، على مهاجرها آلاف التحية. وأنا الأسير الفاني محمد محسن المدعو بآقا بزرك الطهراني غفر الله له ولوالديه. آمين.



صورة ٤١ : صورة الشيخ آغابزرك الطهراني من أرشيف الفضلي، وكان يعلقها في مكتبته


بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي اوضح السبيل الى الاحكام وجعل الرواية طريقا لاخذها

عن هداة الانام والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين

والائمة الاثني عشر اوصيائه المعصومين من آله الى قيام يوم الدين

وبعد فلما كان الحديث احد الاصلين الاصيلين المتفق على لزوم

الاخذ والعمل بهما بين الفريقين جرت سيرة السلف الصالح من اصحابنا رضوان

الله تعالى عليهم اجمعين على ضبط الاحاديث وحفظها وتحملها باحد الطرق

الثمانية المقررة عندهم واسهلها الاجازة فاستجاز مني الشيخ الفاضل البارع

الشاب المحصل الواصل في مدة يسيرة الى اعلى مراتب الكمال والبالغ من الفضائل

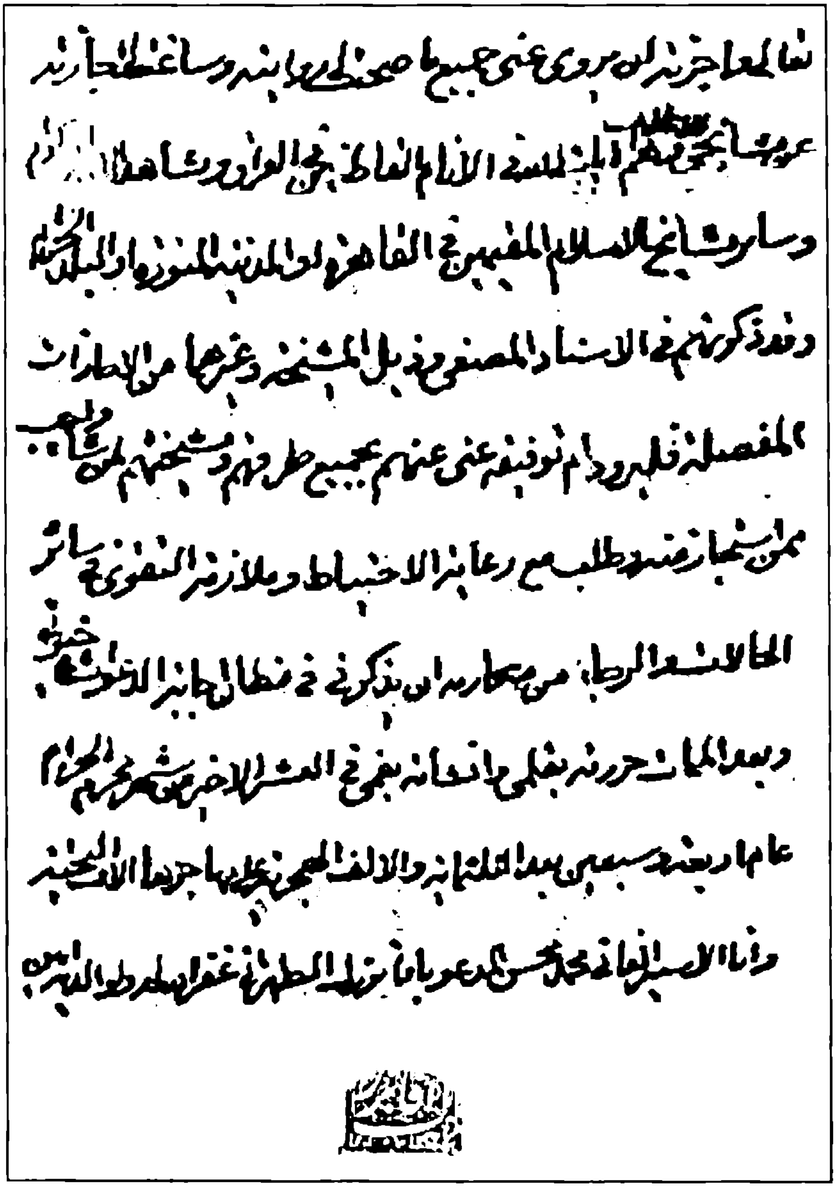
مبلغا لا ينال الا بالكد الاكيد من كسب العلم جناب المدعو بالشيخ عبد الامير ابن الشيخ

الميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي البصري المولود في ١٣١٥

والنجفي المنزل والاشتغال وفقه الله تعالى لصالح الاعمال والاقوال

وحيث وجدته بهذا الصدد بل اللائق بالمرام استجازني ... فاجزت له

صورة ٤٢: إجازة الرواية من الشيخ آغابزرك الطهراني (ص١)


تعالى المجاز أجزت له أن يروي عني جميع ما صحت لي روايته وساغ لي إجازته
عن مشايخي جميعهم طاب ثراهم أولهم الإمام الحافظ حجة العلوم وشيخنا
وسائر مشايخ الإسلام المقيمين في القاهرة والمدينة المنورة والبلد الحرام
وقد ذكرتهم في الإسناد المصفى وذيل المشيخة وغيرهما من الإجازات
المفصلة فليروِ دام توفيقه عني عنهم بجميع طرقهم ومشيختهم لمن شاء وأحب
ممن استجاز منه وطلب مع رعاية الاحتياط وملازمة التقوى في سائر
الحالات لاسيما الرجاء من مكارمه أن يذكرني في مظان الإجابة [illegible]
وبعد الإمضاء حررته بقلمي وأنا فانٍ بيوم في العشر الأخير من شهر محرم الحرام
عام أربع وسبعين بعد الثلثمائة والألف الهجرية على مهاجرها آلاف التحية
وأنا المسيء الفاني محمد محسن المدعو بآغا بزرك الطهراني عفي عنه

صورة ٤٣: إجازة الرواية من الشيخ آغابزرك الطهراني (ص٢)

☐ شهادة تعريف مدرس في ثانوية منتدى النشر

مديرية ثانوية منتدى النشر
في النجف

العدد / ٤٥٦
التاريخ / ٢١/٨/١٩٧١

الى / من يهمه الامر .

م/ تأييد مدرس

نؤيد ان الاستاذ السيد عبد الهادي ميرزا محسن الفضلي قد قام بالتدريس في مدرستنا منذ عام ١٩٦١/٦٠ ولغاية العام الجاري ١٩٧١/٧٠ وكان خلال هذه المدة المدرس الناجح في التمكن من مادة اختصاصه (اللغة العربية) والالمام بوسائل واسلوب أدائها والتصرف بها . وبناء على طلبه زودناه بهذا التأييد ./

المدير
محمد كاظم البكاء

صورة ٤٤: شهادة تعريف مدرس في ثانوية منتدى النشر

☐ شهادة تخرج من كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الفقه
منتدى النشر
النجف الأشرف ـ العراق

العدد ... ٢٥١
التاريخ ٢١/٩/١٣٨٦هـ
١٠-٧ ٢١-ت-١٩٦٦

الى من يهمه الامر

نؤيد ان عبد الهادي ميرزا محسن الفضلي خريج كليتنا ـ كلية الفقه ـ لعام ٦١ ـ ٦٢ من الخمسة الاوائل في دورته وبناء على طلبه زودناه بهذا الكتاب ./

العميد
محمد تقي الحكيم

صورة ٤٥: شهادة تخرج من كلية الفقه

□ قرار مجلس جامعة بغداد حول تحديد مستوى كلية الفقه

كتابة كلية الفقه
(الجيب الخرنمة)
العدد
التاريخ ٧ / ١٩٦٢

الجمهورية العراقية
رئاسة جامعة بغداد
الذاتية

العدد ٢٠٢٨٣
التاريخ ٢٩/١٢/١٩٦٢

الى / عميد كلية الفقه

الموضوع / قرار مجلس الجامعة حول تحديد مستوى كلية الفقه

يسرنا جدا ان ننقل اليكم نص مقررات القرار الذي اتخذه مجلس الجامعة في جلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ١٩/١٢/١٩٦٢ بخصوص مستوى كليتكم والقاضي بما يلي :-

"١ ـ الاعتراف بان مستوى كلية الفقه مماثل لمستوى الكليات الشبيهة بها والتي هي ضمن جامعة بغداد مثل كلية الشريعة وكلية الاداب وكلية التربية
٢ ـ التزام التعاون الشديد بين جامعة بغداد وكلية الفقه وذلك حرصا على تنميتها وتوثيق الروابط العلمية بينها وبين الجامعة.
٣ ـ ايصاء المشرفين على ادارة الكلية بتوسيع الدراسة الثانوية في مدارسها الخصوصية بحيث تحبذ لطلبتها الاشتراك في الامتحانات الحكومية لنيل شهادة الدراسة الثانوية وبذلك يكون المقبولون في الكلية متمتعين بميزة الدراسات الخاصة مضافا اليها ميزة حملة شهادة الثانوية الرسمية"

وانه ليسعدنا حقا ان نرى بين المنتمين الى معهد الدراسات الاسلامية العليا والى معاهد الدراسات العليا الاخرى طلابا درسوا بكليتكم وتخرجوا فيها .

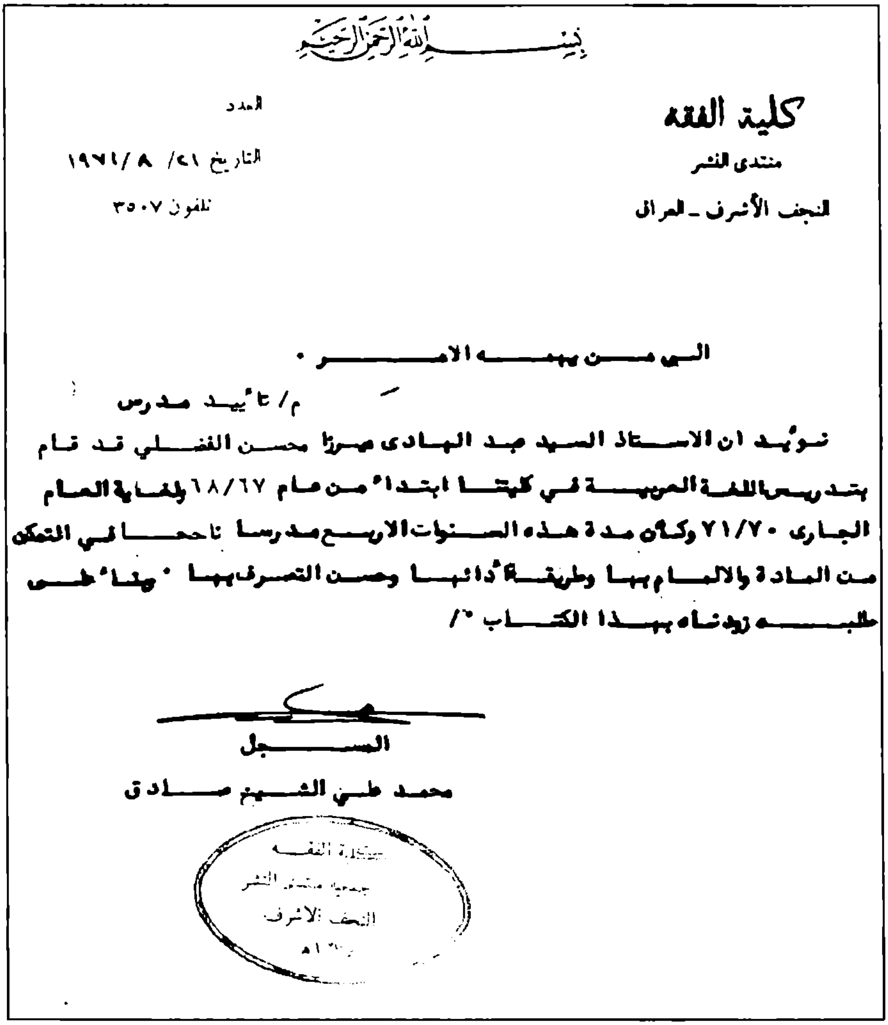
عبد الجبار ٢٩/١١

الدكتور عبد الجبار عبد الله
رئيس جامعة بغداد

نسخة منه الى : وزارة المعارف
مكتب سيادة مساعد الرئيس للشؤون العلمية
عمادات الكليات والمعاهد العالية كافة

صورة ٤٦ : قرار مجلس جامعة بغداد حول تحديد مستوى كلية الفقه، وهي من الوثائق المهمة في أرشيف الفضلي

□ شهادة تعريف مدرس في كلية الفقه



بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الفقه
منتدى النشر
النجف الأشرف ـ العراق

العدد
التاريخ ٢١/ ٨ /١٩٧١
تلفون ٣٥٠٧

الى من يهمه الامر .

م/ تأييد مدرس

نؤيد ان الاستاذ السيد عبد الهادي ميرزا محسن الفضلي قد قام بتدريس اللغة العربية في كليتنا ابتداءً من عام ٦٧/٦٨ ولغاية العام الجاري ٧٠/٧١ وكان مدة هذه السنوات الاربع مدرسا ناجحا في التمكن من المادة والالمام بها وطريقة أدائها وحسن التصرف بها . وبناءً على طلبه زودناه بهذا الكتاب ./

المسجل
محمد علي الشيخ صادق

كلية الفقه
جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف

صورة ٤٧ : شهادة تعريف مدرس في كلية الفقه

□ شهادة الماجستير

بسم الله الرحمن الرحيم
الجمهورية العراقية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة بغداد
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي

العدد/ ٩٦٨٦٢
التاريخ/ ١٩٧١/٧/٦

امر جامعي

لما كان السيد عبد الهادي ميرزا الفضلي (السعودي الجنسية) قد اكمل كافة متطلبات درجة ماجستير آداب في اللغة العربية بنجاح ، وبناء على ماعرضته هيئة الدراسات العليا ، واستنادا الى الصلاحية المخولة لنا من مجلس الجامعة ، قررنا منحه هذه الدرجة اعتبارا من ٧ جمادى الاولى ١٣٩١هـ الموافق ١٩٧١/٦/٣٠م

الدكتور سعد عبد الباقي
رئيس جامعة بغداد

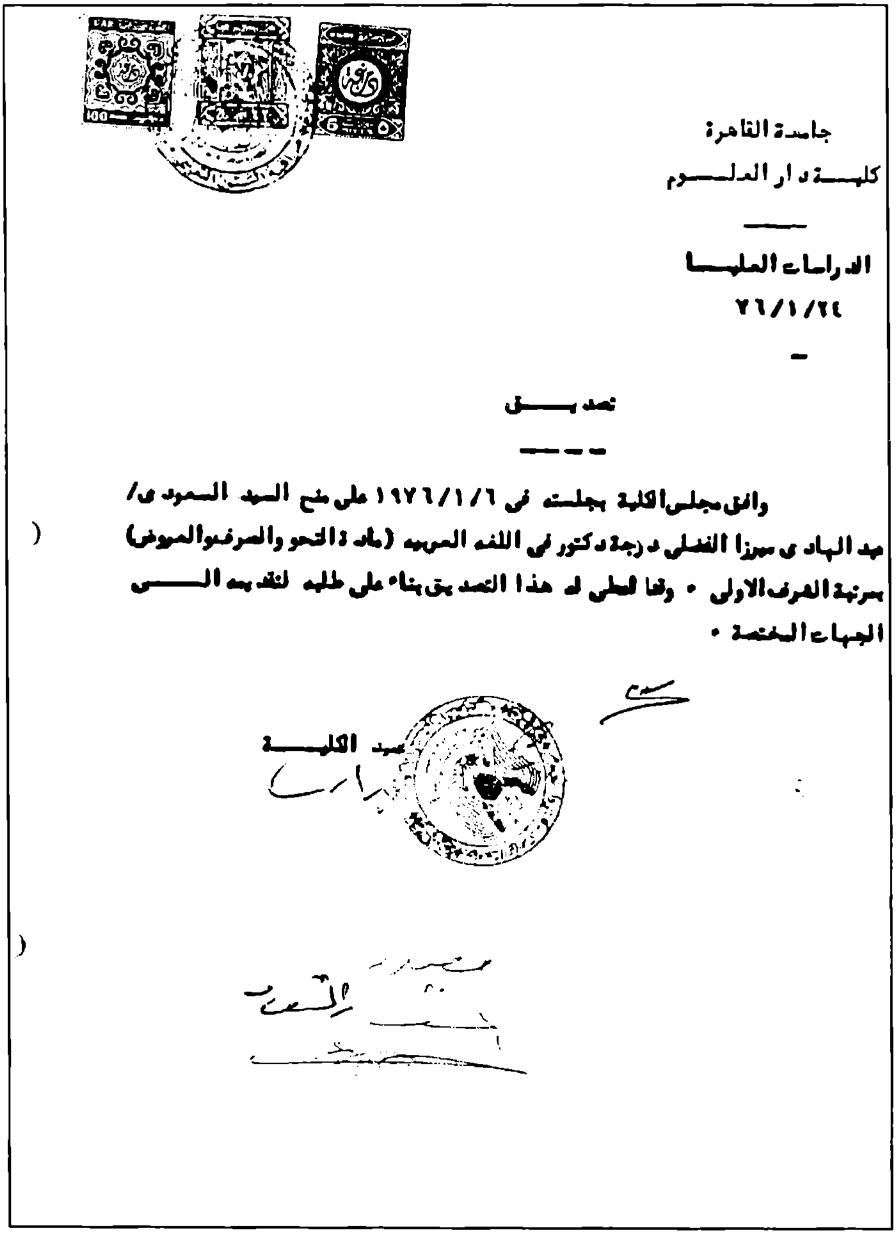
صورة منه الى / [illegible]

مكتب السيد الرئيس
مكتب السيد الامين العام
مكتب السيد عميد الدراسات العليا والبحث العلمي
مكتب السادة مساعدي الرئيس
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / الماجستير
عمادة كلية الآداب / الدراسات العليا (٢ نسخ)
ملحقية المستشار الثقافي العربي السعودي في العراق والكويت / للتفضل بالعلم رجاء
مديرية التسجيل العامة
مديرية الشؤون
مديرية الاحصاء
ملفة الطالب مع الاوليات
ملفة الكتب الصادرة
المومأ اليه / ...

كويل / ٢/٦/٧

صورة ٤٨ : شهادة الماجستير

□ شهادة الدكتوراه



جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

الدراسات العليا

٢٦/١/٢٤

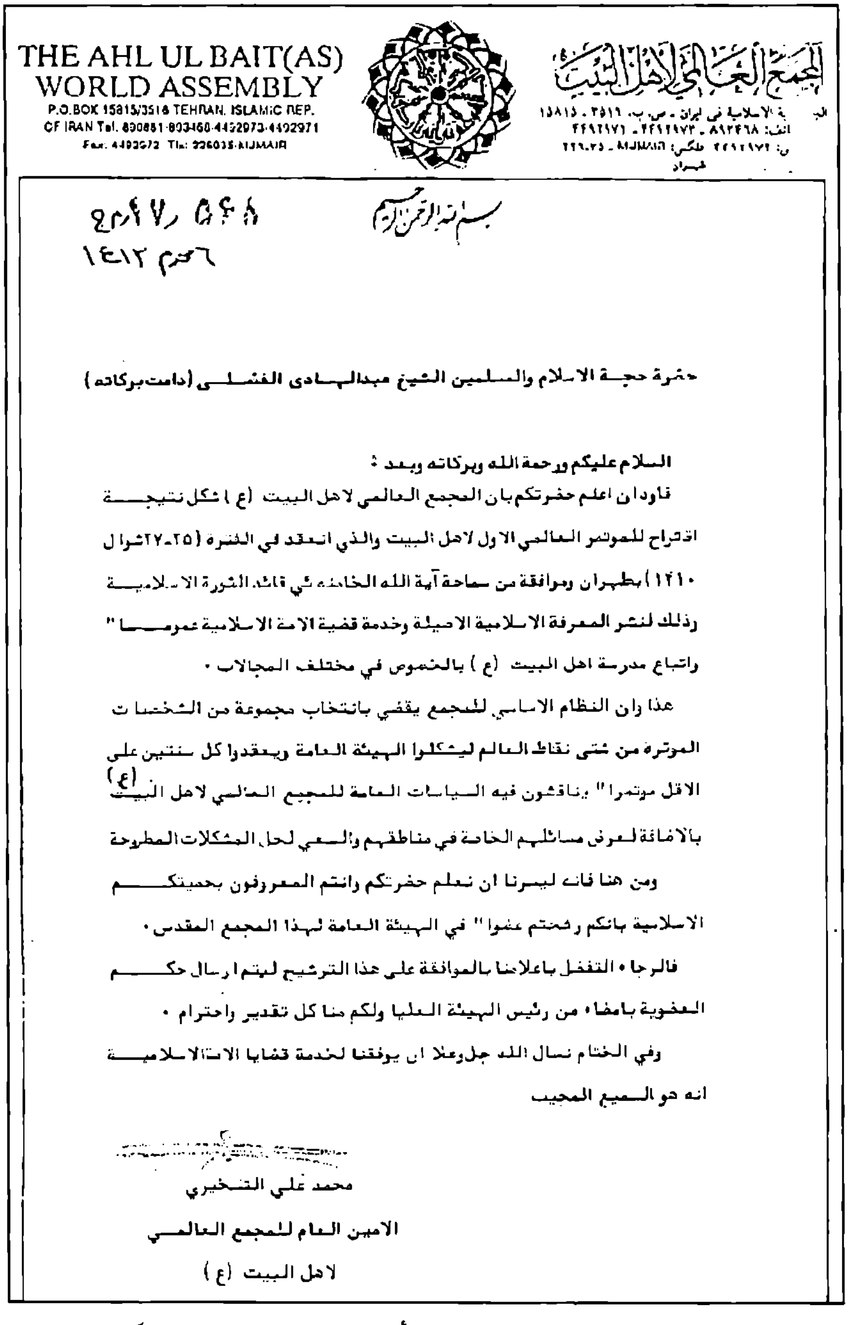
تصديق

وافق مجلس الكلية بجلسته في ٦/١/١٩٧٦ على منح السيد السعودي/ عبد الهادي ميرزا الفضلي درجة دكتور في اللغة العربية (مادة النحو والصرف والعروض) بمرتبة الشرف الاولى . وقد اعطى له هذا التصديق بناء على طلبه لتقديمه الى الجهات المختصة .

عميد الكلية

صورة ٤٩ : شهادة الدكتوراه

☐ ترشيحه لعضوية المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ



المجمع العالمي لأهل البيت

...ة الإسلامية في إيران - ص. ب. ٣٥١٦ - ١٥٨١٥
...ف: ٨٩٢٤٦٨ - ٢٤٩٢٩٧٣ - ٢٤٩٢٩٧١
...: ٢٤٩٢٩٧٢ طلكس: AIJMAIR - ٢٢٦٠٢٥
...هـراد

THE AHL UL BAIT(AS)
WORLD ASSEMBLY
P.O.BOX 15815/3516 TEHRAN, ISLAMIC REP.
OF IRAN Tel. 890851-803460-4492973-4492971
Fax: 4492972 Tlx: 226025-AIJMAIR

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨٤٧/٥٩٦
٦ محرم ١٤١٢

حضرة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ عبدالهادي الفضلي (دامت بركاته)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فاود ان اعلم حضرتكم بان المجمع العالمي لاهل البيت (ع) شكل نتيجة اقتراح للمؤتمر العالمي الاول لاهل البيت والذي انعقد في الفترة (٢٥-٢٧شوال ١٤١٠) بطهران وموافقة من سماحة آية الله الخامنئي قائد الثورة الاسلامية وذلك لنشر المعرفة الاسلامية الاصيلة وخدمة قضية الامة الاسلامية عموما" واتباع مدرسة اهل البيت (ع) بالخصوص في مختلف المجالات .

هذا وان النظام الاساسي للمجمع يقضي بانتخاب مجموعة من الشخصيات المؤثرة من شتى نقاط العالم ليشكلوا الهيئة العامة ويعقدوا كل سنتين على الاقل مؤتمرا" يناقشون فيه السياسات العامة للمجمع العالمي لاهل البيت (ع) بالاضافة لعرض مسائلهم الخاصة في مناطقهم والسعي لحل المشكلات المطروحة

ومن هنا فانه ليسرنا ان نعلم حضرتكم وانتم المعروفون بحميتكم الاسلامية بانكم رشحتم عضوا" في الهيئة العامة لهذا المجمع المقدس .

فالرجاء التفضل باعلامنا بالموافقة على هذا الترشيح ليتم ارسال حكم العضوية بامضاء من رئيس الهيئة العليا ولكم منا كل تقدير واحترام .

وفي الختام نسال الله جل وعلا ان يوفقنا لخدمة قضايا الامة الاسلامية انه هو السميع المجيب

محمد علي التسخيري

الامين العام للمجمع العالمي

لاهل البيت (ع)

صورة ٥٠: رسالة المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ لاختياره عضوًا

☐ تعيينه رئيساً للجنة المخطوطات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
جـــدة
عمادة شئون المكتبات

King Abdulaziz University
Deanship of Library Affairs
Jeddah

الرقم : ٢٢
التاريخ : ٢٢/١١/١٣٩٨هـ

" قـــرار "

بناء على توجيهات سعادة عميد شئون المكتبات فقد تقرر تشكيل اللجنة التالية وذلك لتقييم المخطوطات التي ترد الى المكتبة بغرض الشراء وهـــي كالتالي :-

سعادة الدكتور/ عبد الهادي الفضلي رئيسا
الشيخ فهد اسماعيل الريماوي عضوا
الاستاذ محمد مطيع الرحمن الندوي "
الاستاذ حسن ابو صالح الرسي "
الاستاذ حسن هاشم حتيمش "

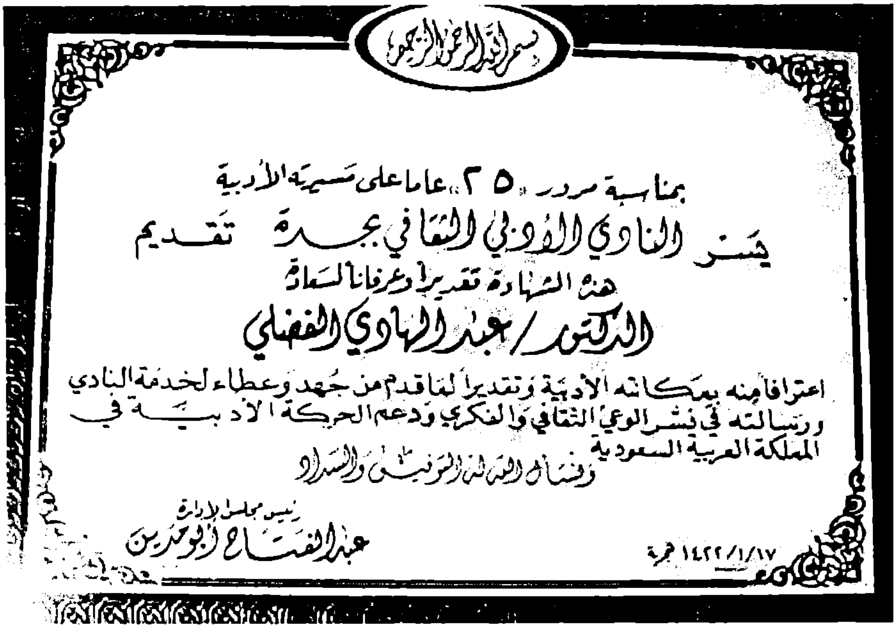
للاحاطة

وتقبلوا تحياتنـــا . ...

مدير المكتبة المركزية
د . ممتاز علي انور

صورة ٥١: خطاب تعيينه رئيساً للجنة المخطوطات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

□ شهادة تقدير النادي الأدبي بجدة



بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة مرور «٢٥» عاماً على مسيرته الأدبية

يسر النادي الأدبي الثقافي بجدة تقديم

هذه الشهادة تقديراً وعرفاناً لسعادة

الدكتور / عبد الهادي الفضلي

اعترافاً منه بمكانته الأدبية وتقديراً لما قدم من جهد وعطاء لخدمة النادي ورسالته في نشر الوعي الثقافي والفكري ودعم الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية

وفقنا الله للتوفيق والسداد

رئيس مجلس الإدارة

عبد الفتاح أبو مدين

١٤٢٢/١/١٧ هجرية

صورة ٥٢: شهادة تقدير النادي الأدبي بجدة

□ تكريم حزب الدعوة الإسلامية

حزب الدعوة الإسلامية
اللجنة التحضيرية
لتكريم
الشهداء والقادة المبدعين

حزب
الدعوة
الإسلامية

ISLAMIC
DAAWA
PARTY

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ «الأحزاب»

المفكر الإسلامي سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ترك العديد من الشخصيات أثرهم المشهود على مسيرة العمل الأسلامي ، فكانوا أعلاماً للأمة ورموزاً في ميادين تحركهم ، لقد انطلقوا بدافع واحد هو خدمة الاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام وكانوا يدركون أن التحديات كبيرة تتجمع من قبل أعداء الأسلام بأشكال متنوعة، فسخروا طاقاتهم وامكاناتهم لمواجهة التحديات، وتثبيت معالم الطريق ، يصنعون الموقف ويبثون الوعي والمعرفة، ويدافعون عن الحق وكرامة الإنسان.

كانوا الدعاة الى الله، يحملون همّ الرسالة، فجاءت عطاءاتهم مؤثرة في ساحات العمل الاسلامي، وساهمت في صناعة الحدث والمرحلة فصاروا جزءاً من تاريخ التحرك الاسلامي وشاخصاً من شواخص المسيرة الطويلة وهي تمضي في طريق ذات الشوكة بكل مايعنيه من متاعب وأهوال، لكن رسوخ الايمان وصلابة الارادة وقوة العزيمة، ووضوح الرؤية ، جعلتهم يسيرون بثبات، ينثرون العطاء في كل خطوة، ويمهدون الطريق لأجيال جديدة ستأتي بعدهم فتسلك المسير نفسه. إنهم رجال عاهدوا الله فصدقوا العهد، ليواصلوا خطوات الدعوة الى الله. فكان حقاً على حزب الدعوة الاسلامية ان يفتخر بهم وأن يكتب أسماءهم في مسيرته ، وان يدوّن كلماتهم ومواقفهم في تاريخه ، وهو حزب الشهداء وخط الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

شيخنا الجليل نحن نفخر بكم لما قدمتموه للاسلام ولمدرسة أهل البيت عليهم السلام من جهود كبيرة ومنجزات فكرية قيمة، ومواقف إسلامية مشرقة، وإن أجيال الحركة الإسلامية سيتخذونكم قدوة حسنة ومدرسة غنية مباركة يثرون بها حياتهم القادمة في مجالات العمل الاسلامي على صعيد بناء الذات والدولة.

ومن هنا يسرُّ حزب الدعوة الإسلامية دعوتكم لحضور حفل الإحتفاء والتكريم لسماحتكم أو من يمثلكم وإستلام درع الدعوة التكريمي من الدرجة الأولى المخصص لكم. تقبلوا وافر الإحترام والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللجنة التحضيرية لتكريم الشهداء والقادة المبدعين

الدكتور شلتاغ عبود السيد/ حسين بركة الشامي الشيخ / عبد الحليم الزهيري

صورة ٥٣ : شهادة تكريم حزب الدعوة الإسلامية

□ تكريم الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن(*)

احتفلت الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥ بتخرج الدفعة الأولى من طلاب كلية الشريعة الإسلامية فيها، وذلك بحضور رئيس الجامعة الدكتور محمد علي الشهرستاني، وعميد كلية الشريعة الدكتور عبد الهادي الفضلي، وأساتذة الجامعة الدكتور زكي بدوي عميد الكلية الإسلامية في لندن والممتحن الخارجي، وعدد من العلماء الأفاضل وجمع من المهتمين وعوائل الخريجين. وأقيم الحفل في «قاعة بروناي» التابعة لجامعة لندن.

نبذة عن الجامعة العالمية

وبعد قراءة آيات من القرآن الحكيم، ألقى الدكتور الشهرستاني كلمة افتتاح الحفل، شرح فيها تأسيس الكلية والهدف منها والخطوات التي مرت بها، حيث أشار إلى أن الجامعة أنشأت من أجل «نشر الثقافة الدينية، واستجابة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. وأنها استفادت من أسلوب الدراسة غير المباشرة (التعلّم على بعد)، ووضعت مناهج تجمع بين الأسلوب التقليدي في المراكز العلمية الدينية والأسلوب الأكاديمي الجامعي الحديث.

وقد باشرت الجامعة أعمالها الإدارية في شهر رجب ١٤٠٨هـ المصادف شباط ١٩٨٨م بتسجيل الدروس المقررة لكلية الشريعة الإسلامية، وهي أول كلية من كليات الجامعة الثلاث، حيث من المرتقب أن تفتتح كليتان، الأولى للوعظ والإرشاد، والثانية باسم كلية أصول الدين.

وبعد ذلك بدأت الدراسات الفعلية في الجامعة في أيلول ١٩٩١م، وكان عدد المسجلين في الدورة هم خمسة عشر طالبًا وتسع طالبات. وقد بقي عدد الدارسين لا يتجاوز الثلاثين طالبًا وطالبة في الدورات اللاحقة. كما تخلّف بعض الطلاب، إما بسبب قصورهم العلمي أو لأسباب أخرى، فلم يبقَ من المسجلين في الدورة الأولى إلا نخبة، لا يتجاوز عددهم عشرة (٧ طلاب و٣ طالبات).

(*) مجلة العالم ـ لندن، العدد ٥٣٧، ديسمبر ١٩٩٥م - رجب/ شعبان ١٤١٦هـ، ص ٣٥-٣٧.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

ولكن طلبات الانتساب إلى الكلية للدراسة عن بُعد فاق الألف طلب لغاية إلقاء الكلمة. تقدم بها الراغبون في الدراسة من جميع أقطار العالم الإسلامي وتلكم الدول التي تتواجد فيها أقليات إسلامية كأوروبا وكندا وأمريكا. وهم كذلك ينتمون إلى جميع المذاهب الإسلامية. وتشمل المواد التي يدرسها الطالب: النحو والصرف، والبلاغة من علوم اللغة العربية. والتاريخ الإسلامي. والفقه وأصوله وأصول الفقه المقارن والقواعد الفقهية. ومن المعارف العقلية: العقائد والمنطق. ويضاف إليها: علوم القران والتفسير، ودراية الحديث ورجاله. والمذاهب الفلسفية، والأديان والمذاهب، والتربية الإسلامية، وأصول البحث العلمي، بالإضافة الى اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

ويشترط على الطالب تقديم بحث علمي قبل التخرج. وتعرض نتائج الطلاب وبحوثهم على ممتحن خارجي من أجل التقييم الموضوعي لها. وممتحن هذه الدورة كان الدكتور زكي بدوي، وتمنح الجامعة شهادة أكاديمية اعترفت بها (جامعات اكستر وليدز ودرهم) و(كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن) في بريطانيا. كما اعترفت بها من الجامعات العربية جامعة الكويت، وصنعاء، وآل البيت والجامعة الأردنية بالأردن، ووهران بالجزائر، واللبنانية، وجامعة العلوم العربية والإسلامية بدمشق. وتجري حاليًا محاولات للحصول على اعتراف رسمي بشهادة الجامعة من قبل وزارة المعارف البريطانية».

حاجة المجتمعات الإسلامية في أوروبا للعلماء والدعاة

وأشار الدكتور بدوي في كلمته إلى حاجة الجاليات الإسلامية في الغرب إلى علماء الدين العارفين بالفقه الإسلامي، وقال: «إن أهم ما يواجهنا هو نقص العلماء وندرتهم. فالشخص الذي يريد ان يسأل عن أمر من أمور دينه، لا يكاد يجد من يسأله ممن هو أهل للسؤال، ومن يستطيع الجواب. إن الشباب من الجيل الثاني والثالث يعاني من انفصام بينه وبين العلوم الشرعية، وأننا في حاجة الى علماء ودعاة يتلقون العلوم الشرعية ويجيدون عرضها على الناس». وقد أشاد بدور الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في هذا المجال، وأثنى على المستوى التعليمي فيها وجهود أساتذتها وطلابها، فقال: «لقد وجدت في دراسات الطلاب.. الرسائل التي أعطيت لي وإجاباتهم، وجدت فيها جميعًا هذه الروح المتوثبة المتسائلة المجادلة المناقشة، وهي الروح التي كنا نشغف ونشعر بالسرور والفخر عندما نقرأ عنها في تاريخنا القديم».

تكريم العلاّمة الفضلي

وجرى ـ بعدها ـ توزيع الشهادات على المتخرجين والمتخرجات، وقد تغيب بعض الطلبة لالتحاقهم بالدراسات العليا في جامعة آل البيت بالأردن.

وفي ختام الحفل، جرى تكريم الدكتور الفضلي عميد كلية الشريعة في الجامعة، وهو رجل ضليع في مجال التدريس والتأليف. له ما يربو على أربع وثلاثين مؤلفًا وتحقيقَ أكثر من عشرة كتب أساسية، وعشرات البحوث العلمية في الدوريات والمجلدات العلمية. وهو الذي وضع خصيصًا للجامعة الكتب التالية: مذكرة المنطق. أصول علم الرجال. تاريخ التشريع الإسلامي. أصول الحديث. أصول البحث. وخلاصة علم الكلام.

وللدكتور الفضلي خدمات في التدريس بكلية الفقه بالعراق، وبكلية الآداب في جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية. وشارك في المناقشة والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات السعودية، كما جاء في التعريف الذي قدمه عنه الدكتور الشهرستاني في كلمته. ومنح الدكتور الفضلي لوحة التكريم التي قام بتسليمها إياه الشيخ محمد باقر الناصري. وألقى الشيخ الناصري كلمة موجزه جاء فيها: «أشكر هذه الجامعة التي وضعت الرجل المناسب في المكان المناسب، فالشيخ الفضلي، زميلنا، عالم من علماء الإسلام، ومحقق نفخر به ونفخر بهذه الجامعة وبالسيد العميد والأخوة المؤمنين الذين كرموا العلم. ونسأل الله أن يجعل خطواتهم متلاحقة لمزيد من تكريم العلم والعلماء».

وردّ الدكتور الفضلي بكلمة بليغة شرح فيها صلته بالجامعة منذ تبلور فكرة إنشائها، وقال: «إني لفخور أن أرى هذه النخبة الطيبة من خريجي وخريجات هذه الجامعة وقد ترسموا طريق الدعوة إلى الله تعالى، يحملون من علم آل محمد نور الهدى والهداية».

وتكريمًا للدكتور الفضلي واحتفاءً بالجامعة، ألقى الدكتور إبراهيم العاتي، رئيس قسم البحوث في الجامعة، قصيده بالمناسبة، عنوانها:

دوحـة الـعـلـم

أسرجـي النـور في ظـلام العصـور   وانثـري نفحـة الشـذا في الضـميرِ

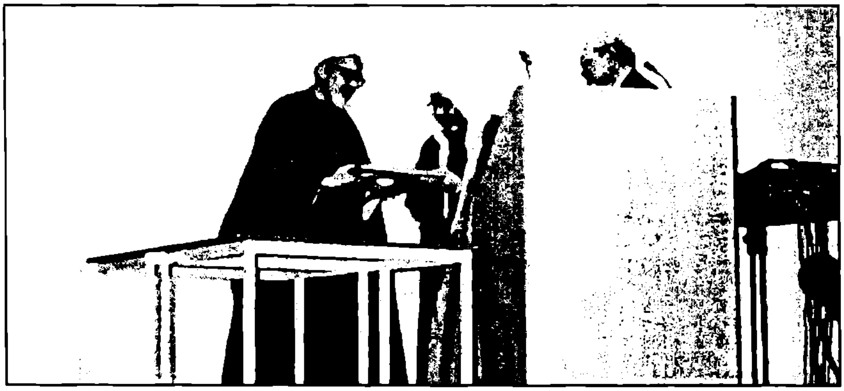
ودعـي الحلـم يسـتحيل عيانًـا — بعـد أن ظـلّ راقـدًا في الشـعور
يـا رؤى العلـم يـا خيـالا تجـلّي — في صـباح مضـمّخٍ بـالعبيرِ

❊❊❊

أنـتِ للنـاظرين رونـق حسـنٍ — يتبـدّى في باسـمات الثغـور
ولظمـأى العقـول منهـل صدقٍ — مفعـم بـالهنى وعـذب النمـير
فـاز روّادك الـذين أزاحـوا — سحب الجهل عـن ضياء البدور
قنعـوا مـن دنـاهمُ بقليـلٍ — وأفاضـوا لأهلهـم بـالكثير
قـد سـعى غـيرهم لجمـع كنـوزٍ — مـا استطاعوا تخليـدها في القبـور
ومجـالي العلـوم أخلـدُ ذكـرًا — وبقـاءً مـن غـابرات الـدهور

❊❊❊

دوحـةُ العلـم لألأت بسـناها — إذ تـراءت ثمارهـا للحضـور
وتغنّـت إذ حـلّ بـين رباهـا — رجـلُ الفضـلِ و الـيراع القـدير
قـد جـلى الفكـر للرعيـل لُبابًـا — بعـد أن حـارَ غـيرهُ في القشـور
فاقبـل الحـبَّ مـن بينـك نشـيدًا — حُـفَّ بالشـكرِ والوفـاء الكبـير



صورة ٥٤: من حفل التكريم بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن



صورة ٥٥: من حفل التكريم بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن

□ مهرجان الفقيه المثقّف ـ سيهات/القطيف(*)

أقيم في مدينة سيهات شرق العربية السعودية، بحسينية الإمام المنتظر (شاخور)، مهرجان: (الفقيه المثقف).. تكريمًا للعلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي واحتفاءً به، وذلك يوم الخميس ٢٠ محرم الحرام ١٤٢٨هـ، الموافق ٨ فبراير ٢٠٠٧م. شارك فيه العديد من الشخصيات العلمية والفكرية، والثقافية الاجتماعية. وقد بدأ المهرجان التكريمي، بآيات من الذكر الحكيم تلاها المقرئ الأستاذ السيد عدنان الحجي.

كلمة الافتتاح

قدَّم كلمة الافتتاح سماحة العلامة السيد علي ناصر السلمان، إمام وخطيب الجمعة بمسجد العنود في مدينة الدمام شرق العربية السعودية، وأحد أبرز علماء الدين في الأحساء والقطيف، بكلمة أثنى من خلالها على شخصية العلامة الفضلي وما تميز به من علم وفضلٍ وأدبٍ وثقافة، مشدّدًا على أهمية تكريم العلماء وأهمية الاهتمام بهم وبما يليق بمقامهم، وأن ذلك من واجبات الأمة تجاه علمائها. مشيرًا إلى الدور الكبير الذي اضطلع به العلامة الفضلي على الصعيد الحوزوي والثقافي. وأنه العالم الروحي الذي تستنير به العقول.

(*) مجلة البصائر ـ القطيف، العدد ٤٠، السنة ١٨، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠١م.

كلمة اللجنة المنظّمة

وفي كلمة اللجنة المنظمة، التي ألقاها سماحة الشيخ عبد الجليل الزاكي، ركّزت على الدور الكبير الذي قام به العلامة الفضلي في تأسيسه للأندية الحسينية في مطلع التسعينيات ودورها في نشر الوعي والثقافة الدينية بين أجيال الأجيال الشابة من أبناء المنطقة، وختمت اللجنة المنظمة كلمتها بقولها: إن «تكريم هذه الشخصية العملاقة لا لنزيدها شرفًا، بل لنتشرف بذكرها وننهل من ذكر مزاياها».

الملتقى الحواري: الفضلي.. أبعادٌ وعطاءات

من الفقرات المميزة في مهرجان التكريم، الملتقى الحواري، حيث شارك فيه:

- سماحة السيد حسن النمر، بورقة حملت عنوان: (البعد الأخلاقي في شخصية العلامة الفضلي).
- الدكتور محمود المظفر، بورقة تحت عنوان: (موسوعية الفضلي ومنهجيته في تأليف الملخصات).
- الدكتور عدنان الشخص، شارك بورقة: (المثقف الواعي).
- افتتح الجلسة الحوارية، وأدراها سماحة الشيخ محمد العمير.

البعد الأخلاقي في شخصية الفضلي:

تضمنت ورقة سماحة السيد حسن النمر ذكر شواهد عدة تشير إلى عمق البعد الأخلاقي لدى سماحة العلامة الفضلي، كما فصَّلت الورقة في الإشارة إلى محطات عدة نتج عنها متانة وعطاء العلامة الفضلي. وأشار النمر إلى أن للعلامة الفضلي عدة سماتٍ، فهو إلى جانب تفوقه على المستوى العلمي حتى عُدَّ في الرعيل الأول من علماء مجتمعنا، فهو الفقيه المجاز بالاجتهاد، وهو الأستاذ الجامعي المربي للمئات من الجامعيين، والمشرف على العشرات من الأطروحات الجامعية. وهو، إلى ذلك، المثقف الموسوعي الذي يجد طلاب العلم والباحثون بغيتهم المنشودة لديه. وإلى جانب تلكم الصفات العلمية، أشار السيد النمر إلى تحلِّيه بتقى وورعٍ مشهودين، ومعهما زهده الذي دفع به إلى الانقطاع إلى العلمِ والعملِ بعيدًا عن الأضواء والإعلام وزخارف الشهرة الدنيوية. هذا، إلى جانب ما امتاز به ـ حفظه الله ـ من

مثابرة في العطاء، فهو لا يكلُّ ولا يَمَلُّ من الكتابة والمحاضرة وتقديم الكتب وتحقيقها، وحثّ المؤهلين للتصدي لذلك.

موسوعية الفضلي ومنهجيته في تأليف الملخصات:

تناولت ورقة الدكتور محمود المظفر، والتي حملت عنوان: (موسوعية الفضلي ومنهجيته في تأليف الملخصات)، الجانب الموسوعي والجانب المنهجي، مشيرًا إلى خصوصية العلامة الفضلي في تأليف الملخصات والمناهج التعليمية، وتفرُّده بهذه الخصوصية إلى جانب عدد قليل من العلماء الذين لا يتجاوزون أصابع اليد.

المثقّف الواعي

وأخيرًا، جاءت ورقة الدكتور السيد عدنان الشخص تحت عنوان: (المثقف الواعي) موضحًا فيها معنى المثقف الواعي، ومشيرًا إلى أن المثقف الواعي هو: المطلع على حاجات مجتمعه والقادر على سلوك الطريق المناسب للتأثير في المجتمع. وهو الذي يستطيع أن يصوغ الرؤى، ويحدد الموقع، وهو أيضًا القادر على مخاطبة مجتمعه وجمهوره بوسائل مختلفة وبما يجعله (المجتمع) متأثرًا ومتفاعلاً مع هذه الرؤى. مؤكدًا أن العلامة الفضلي هو مصداق حقيقي للمثقف الواعي. والشواهد التي عايشها أبناء المنطقة على هذا الأمر كثيرة جدًّا. كما سلَّط الضوء على بعض الصفات التي تفرَّد بها العلامة الفضلي مشيرًا إلى أن هذه الصفات «كان لها أثر بارز في مسيرته الحافلة المعطاءة»، وأشار إلى خصلتين رئيستين:

الخصلة الأولى: القدرة على تنظيم الجهد وإدارة القدرات الذاتية:

وأشار هنا إلى أنه «بالرغم من نشاط العلامة الفضلي الاجتماعي، إلاَّ أن لديه من المؤلفات ما يربو عددها على الأربعين كتابًا وعشرات التحقيقات والمقالات وغير ذلك من أنواع النشاط الفكري. وهذا نادر بين الفضلاء. فتجد من المفكرين من ركز على التأليف، وليس لديه نشاط اجتماعي واضح. وبالعكس، فهناك من لديه نشاط اجتماعي جيد، ولكنه ليس لديه إنتاج فكري مدون ملحوظ». وأضاف الدكتور الشخص أن العلامة الفضلي تميَّز بطرقه لكثير من الموضوعات من زوايا جديدة وبمنهجية تمتاز عن غيرها مما هو موجود أصلاً، واستشهد بما ذكره مؤلف أعلام هجر، السيد هاشم الشخص، عن كتابات العلامة الفضلي حول مناهج الحوزة من أنها «تمتاز ـ غالبًا ـ بالمنهجية الرائعة والاختصار المفيد. وهذا ما جعل بعض مؤلفاته،

مثل: خلاصة المنطق ومختصر الصرف وغيرها، تدرس في الحوزة، وبعضها يدرس منذ أكثر من عشرين سنة».

الخصلة الثانية: روح المبادرة:

وأشار هنا إلى أن هذه الخصلة تجلّت في مبادرته للتصدي لمعالجة قضايا ملحة تهم المؤمنين، «وهذه الخصلة كانت معه منذ أيام النجف. فقد التصق نشاطه وعمله بحاجة الناس من ناحية، وكان التصدي فيه ريادة». وخلص في حديثه عن العلامة الفضلي إلى أن «العلامة الدكتور الفضلي خلال مسيرته الفكرية والثقافية والاجتماعية يمثل ريادة بكل ما للكلمة من معنى. وقد ترك أثرًا فعَّالاً في كل بيئة حل بها. ولو أن أعمال الأشخاص أو إنجازاتهم تقاس بعدد الأشخاص الذين استفادوا أو تأثروا بها، لوجدنا أن الدكتور الفضلي يقف بين الرموز الساطعة التي أنجبتها المنطقة».

مداخلات:

حرصه على نشر الفكر والعلوم:

تحدث سماحة السيد عبد الله الغريفي، أحد علماء مملكة البحرين، في مداخلته القصيرة، مشيدًا بحرص العلامة الفضلي على نشر الفكر والعلوم الدينية بشتى السبل. كما ساق جملة من الشواهد والمواقف التي عايشها مع العلامة الدكتور الفضلي.

الجرأة العلمية وشجاعته في الطرح:

كما تحدّث سماحة الشيخ محمد العباد ـ في مداخلته ـ عن الجرأة العلمية عند العلامة الفضلي، وشجاعته في الطرح، وساق مثالاً على ذلك تصديه في الكتابة في (ولاية الفقيه)، رغم الظروف والحساسية التي عليها مثل هذا الموضوع.

الفضلي وظاهرة التقريظ:

فيما تناول سماحة الشيخ عبد الله اليوسف ـ في مداخلته ـ ظاهرة التقريظ عند العلامة الفضلي، مؤكدًا أن الدكتور الفضلي تميز بقدرته على تقريظ (تقديم) الكتب وفق رؤيته التفصيلية الواضحة، الأمر الذي يشير ـ وبشكل جلي ـ إلى موسوعية الدكتور الفضلي وثراء معارفه. وذكر كتاب الاحتلال البرتغالي للقطيف كأحد الأمثلة على هذا التميز.

التسخيري في كلمة متلفزة:

تخلل الملتقى كلمة متلفزة لسماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، شبّه فيها العلامة الفضلي بأستاذه الشهيد آية الله الشهيد الصدر، وأشار إلى موسوعية العلامة الفضلي والمزايا العلمية التي تميَّز بها، مشدّدًا على أن العلامة الفضلي برع ـ وبشكل كبير ـ في كثير من المجالات العلمية التي من بينها التاريخ والمنطق والأصول والتي كانت مفيدة للكثير من الباحثين. وأضاف أن العلامة الفضلي هو من طليعة العلماء الأفذاذ الذين أحدثوا هزة وثورة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وأسهموا في نشر العلم والفكر الإسلامي المتنور. ثم تحدَّث سماحة الشيخ التسخيري عن الخلق الرفيع التي امتاز به العلامة الفضلي وخصاله الخيرة، واصفًا إياه بـ «العالم الجليل الذي حباه الله العلم والإيمان»، وأن هذين العاملين كان لهم الأثر الكبير في نجاح العلامة الفضلي في مسيرته الجهادية وتحقيق الأهداف التي اختطها لنفسه على الصعيد الحوزوي والأكاديمي.

على هامش المهرجان

قامت اللجنة المنظمة بطباعة وتوزيع ٢٠٠٠ كتاب وأسطوانة مدمجة تضمنت شذرات من حياة العلامة الفضلي ـ حفظه الله ـ، قام بإعدادها المهندس فؤاد الفضلي بهذه المناسبة. كما تضمن المهرجان ركنًا عُرض فيه بعض مؤلفات الفضلي ونتاجاته الدينية والأكاديمية، هذا إلى جانب ركن آخر عُرض فيه صور لسماحة العلامة الفضلي.

دروع التكريم

قدّمت الدروع والهدايا لسماحة العلامة الفضلي، تسلمها بالنيابة عنه ابنه المهندس فؤاد الفضلي، أكثر من مئة جهة وشخصية من داخل وخارج المملكة، منها:

- الحوزة العلمية بالأحساء.
- الحوزة العلمية بالقطيف.
- حوزة دار العلم بالقطيف.
- مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية بالقطيف.
- المجلس الإسلامي العلمائي في مملكة البحرين.
- جمعية التوعية الإسلامية في مملكة البحرين.

- مرفأ الكلمة في قم المقدسة.

كلمة الختام:

وفي نهاية اللقاء ألقى المهندس فؤاد الفضلي كلمة الختام، تحدَّث خلالها عن علوّ الهمة التي اتصف بها والده العلامة الفضلي، مستشهدًا بإصرار الدكتور على استمراره في العطاء وتأليف الكتب رغم ما أَلَمَّ به من مرض إثر الجلطة التي حدثت له في الفترة الماضية. كما تقدَّم المهندس الفضلي بشكره وشكر أسرة الفضلي إلى اللجنة المنظمة والسادة الحضور وكذلك الداعمين لهذا المهرجان.



صورة ٥٦: من الحضور في مهرجان تكريم الفضلي بسيهات، من اليمين: الشيخ حسن الخويلدي، الشيخ عيسى قاسم، السيد علي الناصر، السيد عبد الله الغريفي، الشيخ غالب الحماد



صورة ٥٧: الملتقى الحواري في مهرجان الفقيه المثقف، من اليمين: الشيخ محمد آل عمير، الشيخ الدكتور محمود المظفر، السيد حسن النمر، السيد الدكتور عدنان الشخص

□ ملتقى تكريم جامعة المصطفى للشخصيات الحوزوية اللامعة على الصعيد الدولي ـ قم المقدّسة

ضمن برنامجها السنوي الذي تكرّم فيه جامعة المصطفى العالمية بمدينة قم المقدّسة في الجمهورية الإسلامية في إيران أبرز رجالات الحوزة العلمية، احتفت العام ١٤٣٣هـ بكلٍّ من السيد سعيد أختر رضوي الهندي ﷺ، الذي قضى زمنًا طويلاً من عمره مبلّغًا في تنزانيا، ومعه العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، وذلك يوم الخميس ١٥ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ الموافق ٨ مارس/ آذار ٢٠١٢.

وقد كان من فعاليات التكريم - فيما يرتبط بتكريم العلامة الفضلي - كلمة المعاون العلمي لرئيس جامعة المصطفى التي تناول فيها أهداف أمثال هذا النوع من الفعاليات وأثرها على الحركة العلمية. تلاها عرض لفيلم مختصر عن حياة الشيخ الدكتور الفضلي العلمية منذ ولادته وهجرته إلى النجف الأشرف وصولاً إلى عودته واستقراره في مدينة الدمام، وأبرز نشاطاته العلمية والثقافية بين أبناء المنطقة الشرقية.

وقد ألقى ابن المحتفى به المهندس فؤاد الفضلي كلمة أوضح فيها أهم معالم شخصية والده: العلمية والتربوية والموسوعية. وأعقبه العلاّمة الشيخ محمد علي

التسخيري بكلمة تناول فيها: أهمية أمثال هذه المهرجانات، وعدّ الفضلي أحد أهم النماذج التي ينبغي لطلاب الحوزة والجامعة أن يجعلوها نصب أعينهم، مشيرًا إلى أن الشيخ الفضلي يتسم بالجامعية المعرفية والحيوية التي لا تعرف الضعف. وأنه - بحسب التسخيري - أحد أهم المجددين في الاجتهاد في إطاره الجواهري، وأنه سار على ما سار عليه أستاذه الشهيد الصدر، فصار إذ ذاك أحد أبرز أعلام الصحوة الإسلامية في وقتنا الحاضر. مستدركًا بأن أحد ميزات الفضلي البارزة أنه كان أحد الجسور الرابطة بين الحوزة والجامعة، فهو – في هذا الجانب - كالشهيد مطهري في إيران. مقارنًا بين الفضلي وأستاذه السيد محمد تقي الحكيم ﷺ في أنهما في عين الوقت الذي كانا يدافعان عن مذهب أهل البيت كان التقريب بين مذاهب المسلمين أحد أهم وأبرز اهتماماتهما. وقد تطرّق الشيخ التسخيري في كلمته إلى ما يمتلكه العلامة الفضلي من مقومات العالم الناجح في إيصال رسالته ببيانه الجميل والدقيق، مقارنًا بينه في ذلك وبين الإمام محمد حسين آل كاشف الغطاء ﷺ.

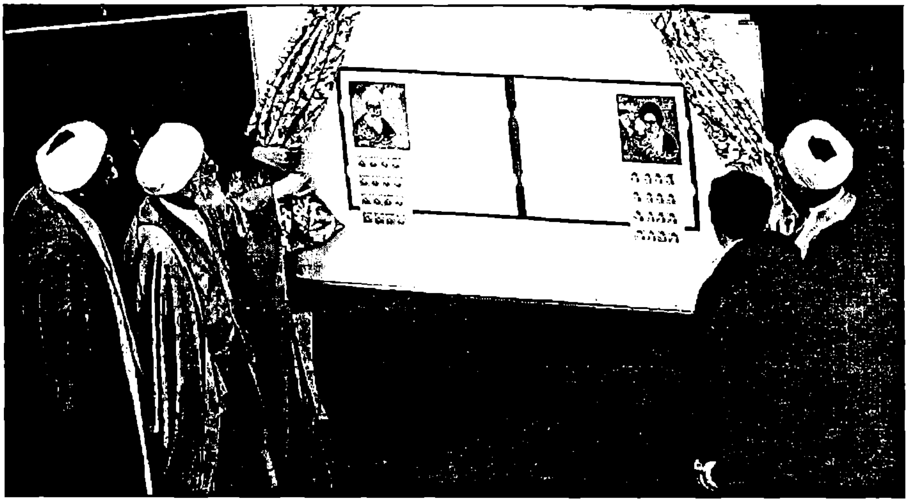
وكان في ختام المهرجان كلمة للشيخ أعرافي، رئيس جامعة المصطفى العالمية، تحدث فيها عن المقومات التي يجب أن تتصف بها الحوزات في هذا الزمن حتى تستطيع القيام برسالتها المعاصرة، مؤكدًا أن آية الله الفضلي كان قد امتلك هذه المقومات في شخصيته المباركة.

ثم قُدم درع تقديري للعلامة الفضلي، تسلمه نيابة عنه ابنه المهندس فؤاد الفضلي. وقد وزع كتاب حوى بعض مقالات ودراسات تناولت الجهد الفكري والعلمي للعلامة الفضلي وتعريفًا بمؤلفاته ونبذة مختصرة عنها، مترجمة للغة الفارسية بعنوان «منشور فضلي».

كما قام الشيخ التسخيري والشيخ الأعرافي بإزاحة الستار عن طابع بريدي رسمي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية يحمل صورة الشيخ الفضلي، تقديرًا وتكريمًا لما قدمه للإسلام فكرًا ونضالًا.



صورة ٥٨: تسلم الشهادة التقديرية



صورة ٥٩: إزاحة الستار عن الطابع البريدي



صورة ٦٠: كلمة الشيخ التسخيري



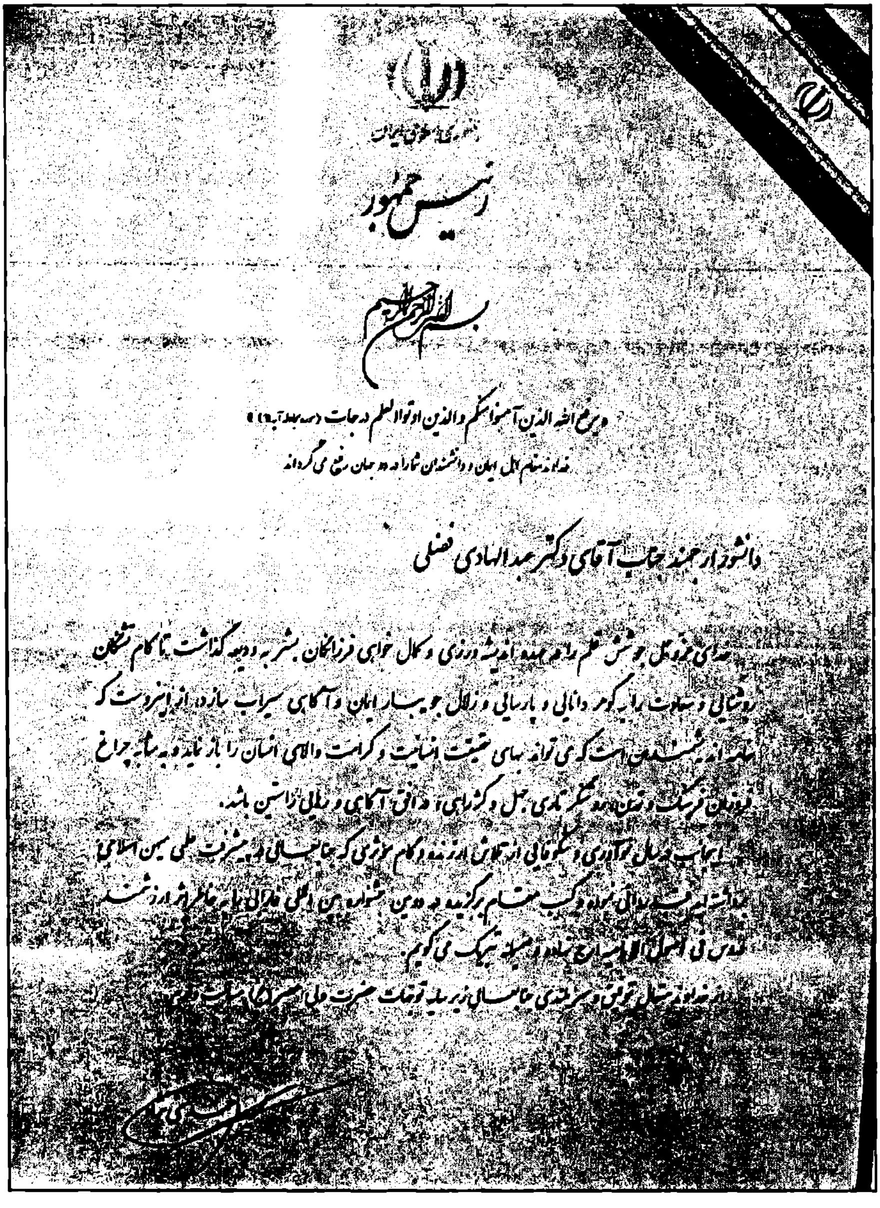
صورة ٦١ : درع جامعة المصطفى

□ جائزة الفارابي الدولية

في مارس ٢٠٠٩م، حصل العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي على "جائزة الفارابي العالمية للعلوم الإنسانية والدراسات الإسلامية" في دورتها الثانية عن كتابه «دروس في أصول فقه الإمامية». وقد استلم الجائزة نيابة عنه ولده (فؤاد الفضلي) من رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران الدكتور أحمدي نجاد في حفل الدورة الثانية لمهرجان الفارابي الدولي للعلوم الإنسانية والإسلامية والذي أقامته وزارة العلوم والأبحاث والتقنية مع منظمتي اليونسكو والآيسيسكو في طهران لتوزيع الجوائز على الفائزين من الشخصيات العلمية من إيران وخارجها.



صورة ٦٢: حفل تسليم جائزة الفارابي بطهران


جمهوری اسلامی ایران

رئیس جمهور

بسم الله الرحمن الرحیم

«یرفع الله الذین آمنوا منکم والذین اوتوا العلم درجات» (سوره مجادله آیه ۱۱)

خداوند مقام اهل ایمان و دانشمندان شما را در جهان رفیع می گرداند

دانشور ارجمند جناب آقای دکتر عبدالهادی فضلی

خدای عزوجل پویش علم را در نهاد اندیشه ورزی و کمال خواهی فرزانگان بشر به ودیعه گذاشت تا کام تشنگان روشنایی و سعادت را با گوهر دانایی و پارسایی و زلال جویبار ایمان و آگاهی سیراب سازد، از این روست که جامعه اندیشمندان است که می تواند بهای حقیقت انسانیت و کرامت والای انسان را باز نماید و به مثابه چراغ فروزان فرهنگ و تمدن همواره سنگر تاریکی جهل و گمراهی را به افق آگاهی و دلیل آراستن باشد.

اینجانب به دنبال قدردانی و شکوفایی از تلاش ارزنده و گام مؤثری که جنابعالی در پیشرفت علمی میهن اسلامی برداشته اید، کسب مقام برگزیده در دومین جشنواره بین المللی فارابی به خاطر اثر ارزشمند «دروس فی اصول فقه الامامیة» را صمیمانه تبریک می گویم.

از خداوند متعال توفیق و سربلندی جنابعالی را در سایه توجهات حضرت ولی عصر (عج) مسئلت دارم.

صورة ٦٣: درع جائزة الفارابي موقعًا من قبل رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. مجادله (٥٨): ١١

دانش پژوه گرامی جناب آقای عبدالهادی فضلی

برگزیده دومین جشنواره بین المللی فارابی

جهان معاصر شاهد تغییر و تحولات بی سابقه ای در عرصه بین المللی است که نتایج آن، شیوه های نوین زندگی و ساختارهای سیاسی اجتماعی را در بسیاری از جوامع متاثر ساخته است. دورنمای زندگانی متعالی انسان، بر پایه مشارکت فعال اندیشمندانی ترسیم خواهد شد که با اتکاء بر منابع غنی فرهنگی تمدن های جهانی، رهائی از بندهای گذشته و حال را وجهه همت خویش قرار داده اند.

دومین جشنواره بین المللی فارابی با هدف رشد دانش و پژوهش در مسیر تعالی و کرامت انسانی، پیشرفت های بسیاری را در حوزه معرفت انسانی نوید می دهد. تلاش های جنابعالی، که به عنوان یکی از پژوهشگران عرصه فرهنگ و دانش بشری، سرمایه انسانی، استعداد و تلاش خویش را صادقانه در جهت گسترش مرزهای معرفت و نیکروزی نوع بشر مصروف داشته اید شایسته سپاس و تقدیر است.

Distinguished Scholar, Abdolhadi Fazli

The contemporary world is witness to unprecedented changes and developments at international level whose consequences include emergence of modern lifestyles as well as social and political structures in many societies. The outlook of the exalted human life will be delineated on the basis of active participation of scholars whose goal is to do away with all past and present bonds by relying on rich cultural resources of the world civilizations.

The 2nd Farabi International Award whose goal is to promote knowledge and research for human dignity and sublimity is harbinger of many advances in the field of the Humanities. Your efforts, as a researcher in the area of human culture and knowledge, who have honestly spent your human assets, talent and endeavors to expand the frontiers of knowledge and welfare of humankind deserves appreciation and admiration.

محمدرضا سعیدآبادی — دبیر کمیسیون ملی یونسکو - ایران
چونلی هن — ... یونسکو در تهران
محمد باقر خرمشاد — دبیر جشنواره بین المللی فارابی

Mohammad Reza Saeidabadi
Secretary General,
Iranian National Commission

Qunli Han
Director and Representative,
UNESCO Tehran Cluster Office
for UNESCO

Mohammad Bagher Khorramshad
Secretary,
Farabi International Award

صورة ٦٤: شهادة تكريم جائزة الفارابي

"Translation of appreciation plaque of presidency of the Islamic Republic of Iran"

Allah will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, in high degrees.
(Chapter Mujadala: 11)

Distinguished Scholar, Prof. Abdolhadi Fazli

The Almighty God has sworn to pen and knowledge in order to exalt the status and dignity of scholars, so that, those who look for happiness and light would be satisfied by attaining knowledge, righteousness and faith.

Therefore, the pen of scientists can reveal human truth and dignity to serve as a guiding light for human beings in their efforts to promote culture and civilization and dispel darkness.

In the year of innovation and prosperity -Solar year, 1387 -, I would like to appreciate your worthwhile efforts and effective steps towards scientific progress of the Islamic homeland and sincerely congratulate you on your selection as a top researcher at the 2nd Farabi International Award for your valuable work:

"Doros fi Osol Al fiqh Alemamiah "

I pray to the Almighty God to bring you more success and honor under the auspices of the Imam of Time (May God Hasten His Reappearance).

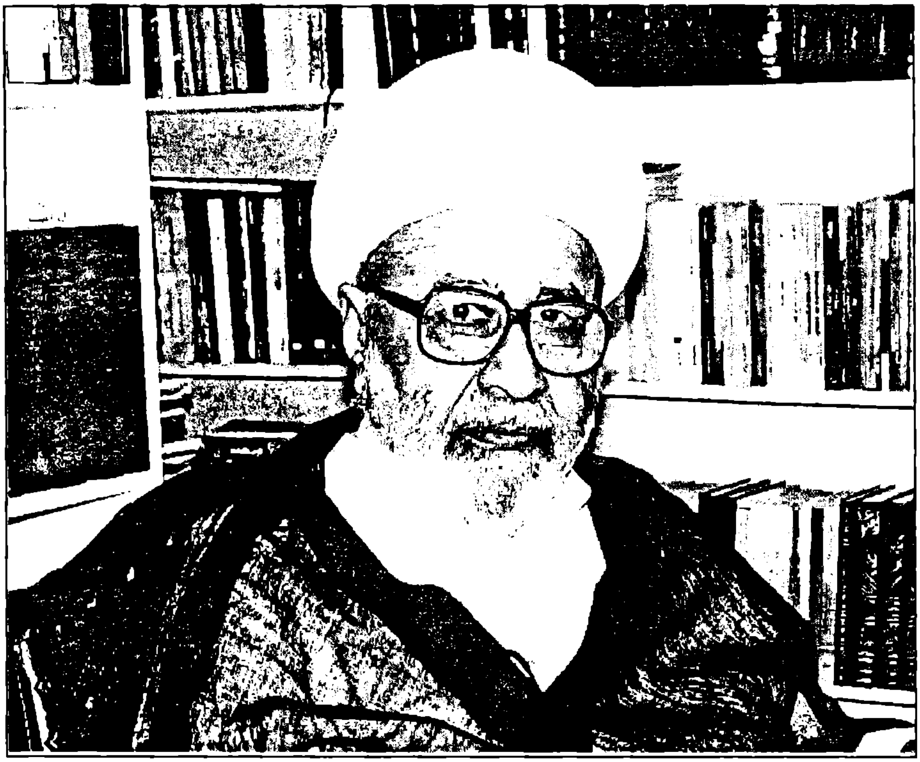
Mahmoud Ahmadinejad

صورة ٦٥: شهادة جائزة الفارابي ومحدد بها كتاب (دروس في أصول فقه الإمامية) الذي حصل على الجائزة

القسم الثاني

قراءات في المنهج العلمي والتربوي للدكتور الفضلي

- أولًا: الدراسات والبحوث
- ثانيًا: قراءة في تجربة تجديد المناهج
- ثالثًا: شهادات وفاء وعرفان



سَبعونَ سِفْراً خَطَّهَا ومضَى
مِحْرابُه الكَلِمَاتُ والجُملُ
وكأَنَّمَا الدُّنيَا لهُ خُلِقَتْ
صُحُفاً لِيَملأَهَا ويَرتَحِلُ..!!؟

شعر: السيد حسن خليفة

أولاً

الدراسات والبحوث

- العلامة الفضلي ومنهاجيات التدوين الفقهي	الشيخ حيدر حب الله
- الشيخ الفضلي فقيهًا	السيد محمد الحسيني
- نظرات في فقه العلامة عبد الهادي الفضلي	إدريس هاني
- قراءة في موقف العلامة الفضلي من جدل الأنماط	السيد حسن الخليفة
- التراث الأحسائي ..في فكر العلامة الفضلي	الشيخ محمد علي الحرز
- منهجية الدكتور الفضلي في صناعة التقريظ	الشيخ عبد الله اليوسف
- فنّ ومنهج الكتابة عند العلامة الفضلي	الشيخ عبد الغني العرفات
- الإمامة من منظور العلامة الفضلي	السيد حسن النمر
- النجف: حضور في دلالات أربع عند الفضلي	السيد حسن الخليفة
- الفضلي: منارة أحسائية عالمية ثالثة	د. محمد جواد الخرس
- الفضلي رائد الاصلاح والتجديد الحوزوي	الشيخ عباس الموسى
- البعد الأخلاقي في شخصية العلاّمة الفضلي	السيد حسن النمر
- قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية	الشيخ محمد مدن عمير
- التجديد والتعددية: فضل الله والفضلي أنموذجًا	د. أحمد اللويمي
- العلامة الفضلي.. وأفق الإصلاح الثقافي	الأستاذ محمد محفوظ
- الدولة الإسلامية في فكر العلاّمة الفضلي	الدكتور عادل الحسين



«**منهج التجديد** أن يكون هدفنا خدمة قضايا الفكر والعقيدة، وألّا نتهيّب ذوي المواقف السلبية من التجديد من أولئك الذين هم ليسوا بمستوى فهم الحياة المعاصرة ومتطلباتها، وليسوا بمستوى **فهم الإسلام كنظام حياة**، أو أنهم ضالعون في خدمة أعداء الإسلام وتحت ستار المحافظة على الإسلام».

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

العلامة الفضلي ومنهاجيات التدوين الفقهي: نظرة خاطفة في (دروس في فقه الإماميّة)(*)

■ الشيخ حيدر حبّ الله(•) ■

□ تمهيد

عندما أريد أن أتحدّث - ولو بإيجاز واختصار شديدين - عن شخصيّة بحجم العلامة الفقيد الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رضوان الله تعالى عليه، فأوّل ما أواجه على الصعيد العلمي عنده هو هذه الخبرة المتراكمة في مجال وضع المناهج الدراسيّة، على صُعُد مختلفة في العلوم الإسلاميّة المتنوّعة. إنّه الرجل الأكثر شموليّة على هذا الصعيد بين علمائنا رضوان الله عليهم، فربما نجد عالماً هنا وآخر هناك قدّم مشروعًا بديلاً في علم من العلوم الإسلاميّة على صعيد الكتاب الدراسي، فالسيد الصدر (١٤٠٠هـ) فعلَ ذلك في أصول الفقه، والشيخ المظفر (١٣٨١هـ) فعل ذلك في المنطق وأصول الفقه، والشيخ جعفر السبحاني حفظه الله فعل ذلك في أكثر من علم من العلوم الإسلاميّة كالرجال والحديث وغير ذلك. لكنّ امتياز العلامة الفضلي كان في المجموعة الكاملة المتكاملة للمناهج الدراسيّة في مختلف العلوم الإسلاميّة: في الفقه، وأصول الفقه، والكلام، والمنطق، والفلسفة، والتربية، والرجال، والحديث، وتاريخ التشريع، والصرف، والنحو، والبلاغة، والعروض، وتحقيق التراث، وأصول البحث و..

(*) نشر تقديمًا للطبعة الثانية لكتاب «دروس في فقه الإمامية»، الصادرة عن مركز الغدير ببيروت، ٢٠١٤م.

(•) أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة، ورئيس تحرير مجلة: المنهاج، والاجتهاد والتجديد، ونصوص معاصرة.

إنّ هذه المراكمة والتكامل يساعدان أكثر فأكثر على تصنيف العلامة الفضلي في عداد القلائل الذين حاولوا إعادة وضع برامج تعليميّة جديدة في المعاهد والجامعات والحوزات الدينية، في تجربة تقارب نصف قرن من الزمن.

إنّ قيمة تجربة علامتنا الفضلي ﵀ تكمن أيضًا في اهتمامه العجيب بقضيّة المنهج، فلم يضع كتابًا دراسيًّا ليكتفي بتغيير العبارات أو تبسيطها. إنّ هذه الخطوة التي قام بها بعض العلماء مشكورةٌ، لكنّ الأهم منها هو إجراء تعديل في المنهج والتنظيم والتبويب والمصطلح وخارطة الطريق. وفهمُ المنهج مسألة بالغة الأهميّة، ويفتقر إليها الكثير من الدارسين في مجال العلوم الدينية.

☐ مسألة المناهج، الأهميّة والدور

إنّ دراسة المناهج من أهمّ أبواب المعرفة، فالمنهج هو الذي يقود حركة البحث العلمي، وهو الذي يتحكّم بالتنقّلات الذهنية والعقليّة للباحثين، وهو المسؤول عن خارطة العمل، وهو الذي يتولّى ضمان سلامة النتائج. إنّ المنهج تعبير آخر عن المنطق. فمنهج التفكير البشري العام هو الذي يتكفّله علم المنطق، فيما مناهج العلوم المختلفة تمثل منطق هذه العلوم. وكما لا يمكن السير الموضوعي السليم دون منهج يضيء الطريق ويضمن لنا الوصول إلى النتائج الأسلم والأصحّ، كذلك الحال في العلوم الدينية، حيث لا بدّ لها من منهج تسير عليه كي تتمكّن من سوق الباحثين والدارسين في الاتجاه الصحيح، ولو نسبيًّا.

إذن، دراسة المناهج – ومنها مناهج العلوم الشرعيّة – تفيد في:

أولاً: فهم هذه العلوم نفسها فهمًا معمّقًا.

ثانيًا: القدرة على الإدارة العلمية البحثية بشكل واعٍ ومدروس.

ثالثًا: القدرة على فهم الآخرين ومدارسهم وآرائهم بشكل أشمل وأعمق، يلامس البنيات التحتية لتفكيرهم.

رابعًا: القدرة على دخول حوار علمي منتج بين الفرقاء المتنازعين في الساحات الفكرية والعلميّة.

وإذا كانت هذه حال دراسة المناهج، فإنّ وضع المناهج وبلورتها وتأمين سلامتها في أكثر الكتب تأثيرًا وحساسية - وهي الكتب التعليميّة - يظلّ أمرًا أكثر صعوبة من مجرّد رصد المناهج وفهمها والتأمّل فيها.

لقد لاحظنا في العلامة الفضلي، كما سوف نرى، إبداعًا في قضيّة المنهج لم نجده في أغلب الكتب التجديديّة الحوزويّة وحتى الجامعيّة. ففي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية يعاني الدرس الفقهي والقانوني في الجامعات الحقوقيّة من نقص واضح، يتمثل في أنّ الموادّ الفقهيّة التي تدرّس لطلاب الحقوق والقانون ليست سوى متونًا فقهيّة قديمة أو جديدة، ولكنّها لا تبدي تغيّرًا حقيقيًّا في المنهجة، حتى إنّ بعض كبار أساتذتنا المختصّين في المجال القانوني والقضائي، يعترف بهذا الواقع، إلى حدّ أنّه يتحدّث أحيانًا عن أنّ طلاب العلوم الحقوقيّة في إيران يعتبرون مادّة الفقه والشريعة أقرب إلى أن تكون مادّة لغةٍ عربيّة منها إلى مادّة قانونيّة تشريعيّة، وليس من سبب لذلك إلا أنّ الكتاب الدراسي والتعليمي الذي وضع في الفقه إلى اليوم ما يزال يسير على منوالٍ منهاجيٍّ واحد حتى لو تغيّرت العبارات. وهذا يعني أنّ طالب العلوم القانونية والحقوقيّة سيجد نفسه أمام منهجين في التعليم، الأمر الذي سوف يضع المنهج القديم في عداد القراءة التراثية عنده ليس إلا.

هنا تكمن أهميّة جهود شخص مثل العلامة الفضلي رضوان الله تعالى عليه. إنّها في إخراج العلوم الدينية - على مستوى المنهج والتنظيم - من السياق المدرسي التقليدي إلى سياق يمكنه أن يلتئم مع واقع المسارات المعرفيّة والعلميّة المعاصرة، بحيث يمكن القول بضرس قاطع بأنّ ما فعله العلامة الفضلي يمكّنه في كثير من المواقع أن يسدّ الأزمة المشار إليها في الجامعات الإيرانية - على سبيل المثال - ولو في بعض المراحل الدراسيّة على الأقلّ، ولا أدري لماذا لم تتمّ الاستفادة من أعمال الشيخ الفضلي هنا أو من شيء يسير على منوالها وتستنسخ طريقتها؟!

☐ «دروس في فقه الإماميّة» مطالعة عامّة في المنهج والملامح والميزات

سوف أحاول هنا أن أطلّ بإيجاز بالغ واختصارٍ شديد أكاد أجزم بأنّه مخلّ، على العمل القيّم الذي تركه لنا العلامة الفضلي في المنهاج الدراسي الفقهي. إنّ مراجعة مصنّفات العلامة الفضلي الدراسيّة والتعليميّة عامّة، وما قدّمه لنا في هذا الكتاب «دروس في فقه الإماميّة» خاصّة، تعطينا مجموعة من النتائج والمعطيات، أهمّها:

١ . تطوّر الآليّات والتحرّر من معضلة المتن (التغيير اللغوي والإبداع البياني)

من ميزات الكتاب الدراسي هو يُسر اللغة وبساطة التعبير وسهولة وصول الفكرة إلى الطرف الآخر. ومن مشكلات الكتاب الفقهي التعليمي أنّه ما يزال يعتمد المتن إلى اليوم، بمعنى أنّ نصف الوقت يصرف على شرح الفكرة وبيان المعنى فيما نصفه الآخر على شرح العبارة وبيان اللفظ، وهذا الأمر - مضافًا إلى ما يسبّبه من ضياع الوقت - يؤدّي إلى الدوران حول الكتب المخصّصة للتعليم بطريقة يصبح من الصعب معها الخروج من إطارها المنهجي الذي وضعتنا فيه.

إنّ أبرز ميزات كتاب العلامة الفضلي هنا هو سهولة البيان وبساطة التعبير، وعدم الحاجة في تقديري لتطبيق الشرح على المتن. بل يكتفي الطلاب بمراجعة ما في الكتاب بعد أن صاروا واعين للمفاهيم الموجودة من خلال شرح الأساتذة. فحتى أكثر الكتب تجديدًا في العلوم الدينية ما تزال تعاني من هذه المشكلة، ككتاب الحلقات في أصول الفقه للسيد الصدر، وبدرجة أقلّ كتاب المنطق وأصول الفقه للشيخ المظفّر. لكنّنا نجد مع العلامة الفضلي أنّنا تجاوزنا هذا الموضوع بالكليّة، ولم نعد نواجه أبسط المشاكل فيه. فكتب الشيخ الفضلي التعليميّة هي الكتب الوحيدة تقريبًا التي يمكنها أن تؤسّس لمرحلة تجاوز المتن، بمعنى أنّ الأستاذ والطالب لم يعودا بحاجة أبدًا لقراءة متن الكتاب الدراسي بعد إعطاء الدرس، لتفكيك عباراته وإرجاع ضمائره. وهو ما يوفّر الكثير من الوقت ومن الجهد والعناء على الطلاب والأساتذة معًا.

إنّ محاولة الشيخ الفضلي الاقتراب الكبير من المنهاج الحديث في التدوين الدراسي، والابتعاد عن المنهاج القديم، جعلته يبدو من أكثر الشخصيات التي تخلّصت نهائيًّا من أزمة اللغة المعقّدة والبيان الملتوي، وأكثرهم وفاءً لما آمن به من ضرورة التخلّي عن فكرة المتن والشرح. ولهذا، لا نجد في كتابه متنًا في الأعلى يتلوه شرحٌ في الأسفل، ولا نرى متنًا في البداية يتلوه شرح بعده، خلافًا لما فعله بعض أساتذتنا الأجلاء المعاصرين المجدّدين في مجال الكتاب الدراسي أيضًا، حيث ظلّ أسيرًا لفكرة المتن، الذي يتلوه شرح له وتعليق عليه.

ومن نماذج ذلك عنده هو الاهتمام بالرصد اللغوي، كون شيخنا الفضلي فقيهَ لغة ومتخصّص من الطراز الأوّل في جانب اللغة بفروعها المختلفة، وله نظريّاته الخاصّة في هذا المضمار. لهذا كثيرًا ما نلاحظ الحضور اللغوي لجوانب أيّ موضوع

يتناوله. فهو يهتمّ كثيرًا في هذا الكتاب بالتعاريف اللغويّة والمصطلحية مميّزًا بينها، وتفكيك المصطلحات بشكل قد يبدو أحيانًا مبالغًا فيه، لكنّ التعاريف تشكّل بالنسبة لطالب العلم مفتاحًا للحلول، ومانعًا عن الكثير من أنواع الالتباس والخلط بين المفاهيم.

إنّ من أهم ميزات الكتاب الدراسي هو قدرته على تفكيك المفاهيم والمبادئ التصوّرية، بحيث يكون متميّزًا في مجال تعريف المصطلحات، وشرح المقولات، وتفكيك التركيبات الخاصّة بهذا العلم، والقدرة على تحرير محلّ النزاع ومحلّ الاتفاق في المسألة التي تخضع للدرس.

وهو مهتمّ كثيرًا أيضًا بالعنونة الداخليّة التفصيليّة لموضوعات أبحاثه في هذا الكتاب، كي تتميّز الموضوعات عن بعضها، ويسهل للطالب الوصول إلى موضوعه ومركز بحثه في مدّةٍ زمنيّة قياسيّة. كما أنّ عمليات التقسيم المتواصل للبحوث في كتابه هذا يجعل الكتاب أكثر يسرًا وأسهل تناولاً لطلاب العلوم الشرعيّة.

وما لفتني في هذا الكتاب أيضًا، هو أنّ العلامة الفضلي يكثر فيه نسبيًّا من استخدام وسائل الرسم البياني والتشجير والتقسيم في الموضوعات المختلفة، على غرار ما كان فعله في كتابه الشهير «خلاصة المنطق». ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في تقسيمه المياه وأنواعها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، حيث ذكر العلامة الفضلي مجموعةً من الأقوال في المسألة، شارحًا كلّ قول من خلال مشجّرات وتقسيمات رائعة، وهو ما لمسناه في مختلف الأبواب في هذا الكتاب، لاسيما الجزء الثاني منه.

وعلى هذا الصعيد، تظهر الرسومات الهندسيّة الجميلة والواضحة التي قدّمها لنا العلامة الفضلي في مباحث الكرّ عند كلامه عن الماء الكثير، حيث عرض لنا مجموعةً من الرسومات البيانيّة الهندسيّة الجميلة التي تساعد على فهم قضيّة الكرّ وتشرح مسألة المساحة وغير ذلك فيه. والكلّ يعرف أنّ مسألة الكرّ وتحديده، وربط مساحته بوزنه من القضايا الإشكاليّة الأساسيّة في فقه الطهارة.

يضاف إلى ذلك كلّه، عناصر التسهيل الأخرى التي يمتاز بها هذا الكتاب وغيره من كتب العلامة الفضلي، مثل وضع الأسماء الجديدة للمصطلحات القديمة، كما في باب المقادير والأوزان والمسافات. وكذلك وضع المرادفات الأجنبيّة للمصطلحات

بما فيها المصطلحات القانونيّة. وهي خطوة غير مسبوقة، ولكنّها تساعد الطلاب على البحث عن الموضوع في المصادر الأجنبيّة ولو عبر محرّكات البحث الإلكتروني أو عبر المعاجم والموسوعات. ووضع الفهارس والبيانات والمشجرات والرسوم كما قلنا سابقًا، وهو ما يساعد بشكل كبير على توضيح الأفكار. كذلك اهتمامه في هذا الكتاب بعناصر المقارنة بين النظريّات، حيث يبدو ذلك جليًّا دومًا ليكشف عن نقاط الالتقاء والافتراق بين الآراء والأفكار.

ومن العناصر المهمّة في مجال البيان والتسهيل تلك المقدّمات والخلاصات والنتائج التي توضع في أوائل الأبحاث وخواتيمها. فهي من خصائص هذا الكتاب الذي سهّل بذلك على الطلاب، واختصر حيث يحتاجون الاختصار، وأوردهم البحوث بطريقة هادئة دون مفاجأة.

ولا ننسى أن نشير إلى حداثة لغة الشيخ الفضلي العربية، وبلاغتها الأدبيّة، وفصاحتها. فهي كتبٌ عربيّة بامتياز، وهذا ما يعطيها عنصر قوّة في زمن قلّت فيه الكتب الحوزوية العربية الفصيحة، وصارت هناك عجمة في البيان. ولا أقصد بالعجمة الخطأ اللغوي نحويًّا أو صرفيًّا بالضرورة، بل البعد الصياغي عن اللغة العربية. فإنّ الكتاب الدراسي - في قسم العلوم النقليّة على الأقل - كلّما كان كتابًا راقيًا من الناحية اللغوية ساعد ذلك طلاب العلوم الدينية على لسان عربي فصيح وسلس وانسيابي، ومكّنهم أكثر من فهم نصوص اللغة العربية التي يشتغلون عليها في حياتهم. ولعلّني لا أبالغ إذا قلت بأنّ كتب الشيخ الفضلي وكتب الشيخ محمد رضا المظفر تحظى بالدرجة الأولى وسط الكتب الحوزوية الدراسيّة من ناحية الجودة اللغوية والبيانية والأدبيّة، فتجمع بين أصالة اللغة وحداثة التطوّر البياني في الوقت عينه.

وأختم كلامي حول البُعد البياني واللغوي عند الدكتور الفضلي بالإشارة إلى أخلاقيّة المناقشة عنده. فإنّ لغته النقديّة خاصّة، والبحثية عامّة، لغةٌ هادئة غير متشنّجة ولا عنيفة. وليس فيها تعريض أو غمز أو طعن أو تشويه أو تسخيف أو عُقدة من الآخر، كما لا نجد في لغته ما يشير إلى أيّ نزعة جزميّة تدّعي احتكار المعرفة أو احتباس الحقيقة عند زيد أو عمرو. وهذه اللغة في الكتاب الدراسي عندما يجري تعميمها سوف تخلق ثقافة أخلاقيّة وأدبية وبيانية متقدّمة. كما ستساعد على إيجاد

مناخ صحّي سليم وبيئة حاضنة لثقافة التنوّع واحترام الرأي الآخر، وستحول دون منطق الجزميات وحديث النهايات.

٢. العناية بمعطيات العلم الحديث واستحضار المعرفة الإنسانيّة في اكتشاف الموضوع الفقهي

نطالع في هذا الكتاب محاولات حقيقيّة للعلامة الفضلي للدخول في مقاربات علميّة حديثة بغية اكتشاف الموضوعات الفقهيّة أو النظر إلى بعض العناوين المأخوذة في الفقه الإسلامي من زاوية علميّة حديثة تنفع في توسيع أفق الطالب على الموضوع الذي يشتغل عليه، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

فالعلامة الفضلي عندما يتحدّث في الجزء الثاني من هذا الكتاب عن الخنزير البحري، يقدّم لنا معطيات علميّة نافعة في تحديد ما هو خنزير البحر، وأيّ الحيوانات هو؟ وكذلك فعل عند حديثه عن الجرذ ونوعه الحيواني. والمتابعون للشأن الفقهي يعرفون أنّ بعض الأسماء القديمة وقع خلافٌ في تحديدها اليوم، مثل: كلب البحر وخنزيره، وبعض أسماء الحيوانات التي وردت في كتاب الأطعمة والأشربة من الفقه الإسلامي. وهذا يعني الحاجة لمحاولة جادّة للتعيين، والفقيه هنا يمكنه أن يتعاون مع التاريخ واللغة والعلوم الحديثة لكي يصل بالفقه إلى نتيجة محدّدة، بدل إطلاق العناوين القديمة دون أن يتبيّن المكلّفون مصاديقها في العصر الحديث.

وكذلك الحال عندما يتحدّث عن الخمر، فهو يذهب بنا في رحلة مطوّلة نسبيًّا في رحاب العلوم الحديثة لتحديد الخمر وأنواعه وخصائصه، وتحليل مادّة الكحول وغير ذلك، الأمر الذي يساعد بالتأكيد في الجواب عن بعض المستجدّات الفقهيّة في مجال الطبّ وغير ذلك.

الأمر عينه نجده عندما يتحدّث عن عوارض النساء، من الحيض والنفاس، حيث يعالج في مواضع مختلفة تحليل هذه الظواهر من وجهة نظر علميّة، وما يرتبط بها من تعيين سنّ الإخصاب عند المرأة وسنّ اليأس كذلك، والإجهاض وأنواعه.

واللافت أكثر عندما يتحدّث في باب المطهّرات عن الماء، حيث نجده يفرد صفحات متعدّدة حول الماء وخصائصه ودورة المياه الطبيعية، كذلك الحال في الأرض التي تعدّ من المطهّرات أيضًا، حيث يحدّثنا العلامة الفضلي عن التراب وأنواع الأتربة وخصوصيّاتها، موثقًا ذلك كلّه من المصادر العلميّة الموزونة.

ولا يقف الأمر عند القضايا الطبيعية التي يستمدّ العلامة الفضلي معلومات عنها من العلوم الحديثة تنفع طالب الفقه والشريعة، بل نجده يذهب إلى علم الاقتصاد ومقولات الاقتصاديين وعلماء الحقوق والقانون والتاريخ، عندما يتحدّث في الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب عن الحقّ والملك والعقد والبيع والذمّة والعهدة والشركة والبنك والمصرف والربا وغير ذلك. إنّ صورة العلوم الأخرى تظلّ حاضرةً هنا في معطياتها حيث تكون الحاجة، بلا تطويل مملّ أو اختصار مخلّ.

وخلاصة القول: إنّ محاولة العلامة الفضلي في هذا الكتاب الاستفادة من نتائج العلوم الحديثة بوصفها علومًا مُعِيْنَةً في دراسة القضايا الشرعيّة وموضوعاتها، تستحقّ الإشادة؛ إذ نادرًا أن حصل ذلك في كتاب دراسي، إن لم نقل بأنّه لم يحصل أساسًا. والكشف الميداني عن علاقة العلوم الشرعية بسائر العلوم الدينية من جهة، وعلاقتها بالعلوم الإنسانيّة والطبيعية من جهة ثانية، ضرورةٌ عليا اليوم، انطلاقًا من مبدأ العلاقات المتواشجة بين العلوم جميعًا، وهو مبدأ يظهر بوضوح إيمان العلامة الفضلي به والاشتغال على تطبيقاته.

٣. آليات تناول الموضوع الإشكالي الفقهي

من ميزات أو من عناصر جمالية وقوّة هذا الكتاب منهجيًا أنّه عندما يعالج موضوعًا فقهيًّا إشكاليًّا وقع محلّ الخلاف بين العلماء، فهو يعتمد العناصر التالية في آليّة العمل، وهي عناصر باتت اليوم معتمدة في الكتابة الحديثة:

أ. عرض مشكلة البحث ومفرداتها (المبادئ التصوّرية).

ب. عرض كلّ رأي على حدة.

ج. الاستناد في عرض الآراء إلى نصوصٍ مباشرة من المصادر الأصليّة. فنجده يعتمد على أمّهات المصادر والكتب الفقهيّة وينقل عنها نصوصًا مباشرة، مثل: كتاب جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي، ومستمسك العروة للسيد محسن الحكيم، وموسوعة الإمام الخوئي، وكتاب الرياض للسيد علي الطباطبائي، وغيرها من أمّهات الكتب، لاسيما كتب المتأخّرين من الفقهاء الذين تعبّر آراؤهم عن آخر ما توصّل إليه البحث الفقهي الإسلامي.

إنّ نقل النصوص مباشرةً من هذه الكتب له أهميته في سياق تعريف الطلاب بنصوص هذه الكتب وطرائق بيانها وتطبيق الفكرة المنقولة على النصّ الذي يدّعى أنّه يحملها.

وفي هذا السياق، يهمّني جدًّا أن أشير إلى أنّ هذا الكتاب الدراسي للدكتور الفضلي، وبعض كتبه الأخرى أيضًا، قد اعتمد بشكل واضح على توثيق المعطيات المأخوذة من المصادر والمراجع الأخرى. فعندما ينقل لنا العلامة الفضلي قولاً للشيخ الطوسي أو نصًّا للمحقّق النجفي فهو يوثّقه من كتابه المحدّد، وهكذا عندما ينقل عن العلوم الحديثة أو عن علماء اللغة أو القانون أو غير ذلك. إنّ من ميزات هذا الكتاب الدراسي على غيره مما وضع حتى اليوم من كتب تعليميّة في الحوزات والمعاهد الدينية هو عنصر التوثيق هذا، إلى حدّ وضع فهارس بالمصادر المعتمدة في الكتاب، ونحن اليوم بحاجة إلى ثقافة التوثيق، في ظلّ فوضى النقل العشوائي إلى جانب حالة من السرقة الفكريّة، فالكتاب الذي يعتمد التوثيق ينبغي أن يصبح في وعي طلاب العلوم الشرعيّة أكثر قيمة من الكتاب الذي لا يعتمده، بل يوهم الآخرين بأنّ كلّ ما فيه هو من صاحبه ومؤلّفه.

د. عرض أدلّة كلّ فريق على حدة، وهنا نجد العلامة الفضلي في هذا الكتاب، وفي غيره، يغلب عليه طابع تقديم الدليل القرآني، يتلوه السنّة القطعيّة، ثم سائر الأدلّة والأمارات والأصول، وهذا ما يكشف عن:

أولاً: اهتمامه بالمرجعيّة القرآنيّة.

ثانيًا: انطلاقه من اليقين إلى الظنّ، وليس العكس. وهو ما يعبّر عن سلامةٍ ذهنيّة، وعن منطقية عالية في التفكير.

ثالثًا: تجاهله لفكرة الأصول العمليّة والعدميّة إلا حيث تكون الحاجة القاهرة، فلا ينطلق من فكرة تأسيس الأصل ليذهب بعدها إلى الدليل كما جرى عليه الكثير من العلماء؛ لأنّ في ذلك تطويلاً للمسافة، بل يذهب مباشرةً للأدلّة. علماً أنّ للعلامة الفضلي رأيًا خاصًّا بقضيّة الأصول العدميّة، حيث يرى أنّها جاءت من الفلسفة إلى العلوم الشرعيّة.

هـ. أحيانًا يعرض الدكتور الفضلي مسردًا بأسماء العلماء الذين اختاروا هذا الرأي أو ذاك، حيث لاحظنا هذه الطريقة عنده في الموضوعات التي وقع فيها جدل كبير، مثل قضيّة نجاسة أهل الكتاب وطهارتهم.

و. القيام بمقارنات بين الآراء، ولو بطريقة ضمنيّة متى ما احتاج الأمر لذلك، بغية التمييز بين بعض الآراء، إذ في الكثير من الأحيان يقع الالتباس - لاسيما للطلاب الذين لم يبلغوا المرحلة العالية من البحث الاجتهادي - فلا يتمّ التمييز بين هذا الرأي أو ذاك، أو يُجعل من نصّين لعالمِين اثنين قولَين، في حين يرجعان إلى قول واحد، وهكذا.

ز. بعد المرور بمرحلتي (الآراء - الأدلّة)، يقوم العلامة الفضلي في هذا الكتاب باعتماد مرحلة ثالثة، يسمّيها (الموازنة)، حيث يعمد إلى ممارسة قراءة تقويمية لمجمل الأدلّة التي قدّمت انتصارًا لهذا القول أو ذاك، لكي يتوصّل من خلالها إلى ترجيح أحد الأقوال، وربما إلى ابتكار قول جديد مغاير للجميع، أو التوفيق بينها بطريقة أو بأخرى.

ح. بعد ذلك يصار إلى وضع عنوان (النتيجة)، فتستخلص الآراء والمواقف والترجيحات.

إنّها بحقّ طريقة سهلة وواضحة وتنمّ عن وضوح الرؤية لدى صاحبها، فننطلق من عرض المشكلة، والأقوال، وتوثيقها، والمقارنة بينها، وأدلّتها، والموازنة والتقويم، لنصل إلى النتيجة، في يُسرٍ ذلك كلّه وسهولة.

ورغم ذلك كلّه، ورغم الحاجة للبيان والتبيين للوفاء بكلّ هذه الضرورات اللازمة، إلا أنّنا نجد العلامة الفضلي يحاول دومًا أن يقدّم زبدة الموضوع للقارئ، فلا يذهب به يمينًا وشمالاً، ولا يغرقه بتفاصيل (إن قلتَ قلتُ)، ولا يدخله في كلّ شاردةٍ وواردة، بل يلامس معه روح الموضوع الفقهي وجوهره، فليس المطلوب من الكتاب الدراسي استعراض كلّ الموضوعات وما قيل ويُقال، بقدر ما يطلب منه أن يكون حاكيًا عن جوهر الأمور ليترك الجزئيات الصغيرة بعد ذلك لعقل الطالب وجهده الشخصي؛ لأنّ الغاية من الكتاب التعليمي ليست إلقاء المعلومات، بقدر ما هي فتح الآفاق وكسر المغاليق وإعطاء سرّ المهنة للطالب، كي يسير بعد ذلك وحده في ربوع التفاصيل، ممسكًا بمفاتيح المعرفة التي قدّمها له المنهاج الدراسي السليم والمتوازن.

هذا هو الترتيب المعتمد للبحوث الاستدلالية في هذا الكتاب القيّم، وهو ترتيبٌ ينمّ عن سلامة في الذوق، وجمالية في الأسلوب، وعمق في المنهجة، وتنظيم في التفكير.

٤. فهرسة جديدة وتبويب آخر لعلم الفقه

من أكثر الإنجازات بُعدًا علميًّا في هذا الكتاب هو أنّ الشيخ الفضلي لم يعمد إلى كتب الفقه بما فيها من تقسيمات وتبويبات ليقوم باستنساخها في كتابه هذا، مغيّرًا العبارات من الصعوبة والتعقيد إلى السهولة والتفكيك؛ لأنّ هذه العمليّة وحدها ليست سوى تغيير لفظي في العمليّة التدوينية للفقه، وهي شيء مهم، لكنّه غير كافٍ ولا ينمّ عن تحول جذريّ في حكايته عن التجديد المنهجي.

إنّ الميزة هنا - ومن حقّ الآخرين أن يختلفوا مع تطبيق العلامة الفضلي - أنّ الشيخ الفضلي قام بوضع خارطة جديدة وتقسيم جديد للبحوث الفقهيّة التي تناولها في هذا الكتاب، إلى حدّ أنّ هذه المنهجة الجديدة تطال مختلف فروع هذا الكتاب وليس موردًا أو موردين، وسأكتفي ببعض الأمثلة ويعرف غيرها من سائر الكلام:

أ. تقسيمه المطهّرات إلى مادّية، وغير مادية.

ب. تقسيمه البحث عن النجاسات إلى: النجس، التنجُّس، المتنجّس.

ج. تخصيصه الجزء الثالث برمّته لأصول العقود والمعاملات التجاريّة، مفردًا الأبحاث العامّة في المال والمعاملات والتجارات وحدها، وفاصلاً إيّاها عن مباحث البيع التي جاءت في الجزء الرابع. وهي خطوة مهمّة جدًّا استفادها العلامة الفضلي فيما أظنّ من التقسيم القانوني المعاصر، فبدل أن نبحث أصول التجارات ونظريّة العقد العامّة في داخل مباحث البيع - كما جرت العادة على ذلك، لاسيما بعد «مكاسب» الشيخ الأنصاري - نجد أنّ الدكتور الفضلي يقوم بفصل المباحث والكلّيات العامّة في العقود عن مباحث البيع وسائر المعاملات التي خصّص لها الجزأين الرابع والخامس، وهي خطوة موفّقة سبق أن نادى بها بعض العلماء دون أن يطبّقها أحد في المناهج الدراسيّة.

د. تنويعه مباحث التطهير بحسب الشيء الذي يراد تطهيره، وذلك إلى: الفرش، وسائط النقل، المنقولات، المأكولات (خضروات، لحوم، فواكه و..)، الحيوانات، بدن الإنسان، و..

هـ. وضع فهرسة خاصّة بمباحث العقود العامّة أيضًا، حيث فصل النظريات العامّة، عن القواعد الفقهيّة العامّة في مجال التجارات.

و. فصله المباحث المقدّمية التعريفيّة العامّة، ومباحث التكليف والأهليّة القانونيّة، عن مجمل البحوث الفقهيّة، حيث خصّص لذلك الجزء الأوّل من هذا الكتاب، كما سيأتي الحديث عنه بعون الله سبحانه.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي يصعب إحصاؤها.

ولم تأتِ هذه التقسيمات الجديدة عند الدكتور الفضلي من فراغ أو ترف، وإنّما سبقها رؤية نقدية له في غير موضع من كتاباته، ترى أنّ تقسيمات الفقهاء للفقه كلّه تارةً، ولغير مكان من الأبواب الفقهيّة تارة أخرى، تعاني من مشاكل منطقيّة. ولهذا عمد إلى محاولة تلافي هذه المشاكل بالسعي لتقسيمات جديدة عامّة وخاصّة، تمامًا كما أشرنا إلى ذلك أيضًا عند الحديث عن التشجيرات والرسوم البيانية التي وضعها.

وخلاصة القول: لو أخذ أيّ شخص هذا الكتاب في تقسيماته وتبويبه وفهرسته، ثم نظر في سائر كتب الفقه التي تحدّثت عن الموضوعات نفسها، لوجد بشكل واضح أنّ هناك ابتكارًا جذريًّا في وضع فهرسة جديدة وتنويع وتبويب جديد للموضوعات، يختلف بدرجةٍ كبيرة للغاية، وليست جزئيّة، عن سائر التقسيمات والفهرسة التي استخدمها العلماء، بمن فيهم المجدّدون في هذا المجال، مثل السيّد محمد باقر الصدر في الفتاوى الواضحة.

٥. الاجتهاد بين فقه المسائل وفقه القواعد

يطالعنا العلامة الفضلي في الجزء الثالث من هذا الكتاب بمحاولة جديرة بالاهتمام والتوقّف، فعندما درس فقه العقود وأصول التجارات، وضعنا أمام ثنائي: النظريات والقواعد، وهي خطوة لافتة، فقد اعتدنا على دراسة البحوث الفقهيّة في المعاملات - فضلاً عن العبادات - بطريقة فقه المسألة، بحيث نسير في الفقه خلف هذه المسألة الفقهية أو تلك، وهذا ما جعل خطواتنا في بعض الأحيان تجزيئيّة متقطّعة.

ليس نظري هنا إلى تقسيم العلامة الفضلي مباحث أصول التجارات والمعاملات الماليّة، فقد أشرنا لذلك قبل قليل، إنّما هدفي أن نرى كيف ركّز العلامة الفضلي على البُعد القواعدي في تأسيس وعي منهجي لطالب العلوم الشرعيّة، وهو

ما يعني أنّ القواعد الفقهية ليست علماً مستقلاً في الفقه، بل هي المدخل لكلّ باب فقهي؛ لأنّها توفّر رؤيةً استيعابيّة شموليّة تفتح الأفق على وسائل معالجة المفردات الجزئية في (فقه المسألة)، فلا نريد - ونحن ندرس فقه كلّيات المعاملات - أن نلاحق (لو فعل فلانٌ كذا) أو (لو باعه كذا فاشترى كذا). القضيّة ليست هنا فقط، بل نريد تحصيل صورة قواعديّة عامّة تحكم إطار اجتهادنا التفصيلي لاحقًا في هذه المسألة الفرعية أو تلك، هذا ما جذبني إلى دراسة العلامة الفضلي للنظريّات العامّة في المعاملات الماليّة، ثم رصده القواعد الفقهيّة العامّة في الباب نفسه مثل قاعدة الإباحة، وقاعدة التجارة، وقاعدة اللزوم، وقاعدة الشرط، وقاعدة تبعيّة العقود للقصود، وقاعدة السلطة على المال، وقاعدة الصحّة ونحو ذلك. ولو كان الكتاب يسمح بمزيد من التفصيل لأضاف العلامة الفضلي سائر القواعد الفقهيّة المتصلة بذلك.

٦. الكتاب التعليمي بين مستحدثات المسائل والمعالجة الفقهيّة الواقعيّة

لا يمكن للإنسان ألاّ يسجّل لهذا الكتاب الذي تركه لنا العلامة الفضلي ﵀ هذه النقطة والامتياز، وهو أنّه من الكتب الدراسيّة النادرة جدًّا في أوساطنا التي تعالج القضايا الفقهيّة العصريّة ومستحدثات المسائل وفقه النوازل في مجالات قليلاً ما وجدنا حديثًا عنها.

والمثال الأساس الذي يهمّني أن أشير إليه في هذا الصدد، هو عندما تعرّض الشيخ الفضلي لفقه الشركة وأحكامها، فنحن نعرف أنّ فقه الشركة في الكتب المدرسية الفقهيّة يتناول أنواعًا قديمة للشركات، كشركة العنان، وشركة الوجوه، وشركة المفاوضة، وشركة الأعمال والأبدان، ونحو ذلك من الشركات العقدية فضلاً عن القهريّة. وقد سمعنا مرارًا من بعض العلماء المتصدّين للشؤون القانونيّة والمتابعين لفقه مستحدثات المسائل أنّهم كانوا يأخذون على الفقه السائد اهتمامه بالأنواع القديمة للشركات، فيما يشهد العالمُ الكثير من الأنواع الجديدة للشركات، التي لم يسبق أن تعرّض لها الفقهاء، بمن فيهم السيد اليزدي في «العروة الوثقى»، وهو الكتاب المعتمد متنًا لأهم الدراسات الاجتهادية اليوم.

إنّ ميزة كتاب العلامة الفضلي هنا، ليس أنّه تناول هذه الشركات الجديدة فحسب، بل لقد وضعها ضمن برنامج الكتاب الدراسي، بحيث لم تعد جزءًا من الموضوعات الهامشيّة، بل صارت عنصرًا أساسيًّا من البحث الفقهي المعاملي، ولهذا

وضعها في الجزء الرابع من هذا الكتاب، عندما كان يتحدّث عن فقه أنواع المعاملات الماليّة، فتعرّض هناك للشركات الماليّة، وشركة التضامن، وشركة التوصية الوسيطة، وشركة التوصية بالأسهم، والشركة ذات المسؤوليّة المحدودة، وشركة المحاصة، وشركة المساهمة وغير ذلك، حيث وجدنا لديه في كلّ مباحث الشركة كلامًا مفصّلاً في تاريخ الشركات وتطوّراتها، وسياقاتها الغربيّة، وقضايا المال المعاصرة، وكلامًا مفيدًا حول مواقف القانونيين وتعريفاتهم وما شابه ذلك.

الخاصية الأخرى هنا على هذا الصعيد تكمن في طريقة تناول الدكتور الفضلي لفقه المعاملات البنكيّة، إنّ أبسط ما هنالك هو الواقعيّة في التناول والابتعاد عن ثقافة الفقه الفرضي، فلم يجلس في بيته لينظّر لفرضيات المعاملة الماليّة البنكيّة، بقدر ما تابع وقائع حركة البنوك والمصارف، وحاول أن يعالج ما هو الواقع من هذه الحركة الماليّة. لقد فكّك لنا قضيّة البنك ومصطلحاتها من الزوايا الاقتصاديّة والماليّة، وكذلك القانونية، بطريقة بدت الأمور معها أكثر وضوحًا وجلاء، تمهيدًا لممارسة فعل اجتهادي شرعي فيها. كما وضعنا في سياق التجارب والنظريّات والمحاولات التي قدّمت حتى اليوم في مجال البنك، وقضايا فقه البنك من الزاوية الإسلاميّة، وقام ثالثًا برصد تاريخي لغوي لقضية الربا، لنقارن بشكل جادّ وعلمي بين الربا الذي جرى تحريمه في الكتاب والسنّة وبين واقع الفوائد البنكية التي نعيشها اليوم. وهذا كلّه ميّز محاولاته هذه عن الكثير ممّا كتب عند المتأخّرين من علمائنا في هذا الموضوع، إذ غلب هناك الطابع الفرضي للمسائل أكثر من الطابع الواقعي، فهو يجيب بخلق فروض تقديريّة، كثيرٌ منها - إن لم يكن جميعها أحيانًا - لا وجود لها في الواقع الخارجي العيني، فيما العلامة الفضلي يبحث عن الفرض الواقعي في الخارج ويجيب عنه وحده بطريقة عمليّة ممكنة ميدانيًّا؛ لأنّ الجواب عنه بهذه الطريقة هو الحاجة والهدف.

ما يمكنني قوله هو أنّ ما ميّز هذا الكتاب الدراسي أنّه جمع بين معالجة مستحدثات المسائل من جهة، وحافظ على واقعيّة هذه المعالجة من ناحية ثانية، ومن هذه النقطة ومما تقدّم نستكشف واقعيّة العقل الاجتهادي الذي كان يعيشه العلامة الفضلي ﵀.

٧. الكتاب الدراسي وأغراض المؤلّف

من الطبيعي أن يكون لأغراض المؤلّف دور في قيمة وهويّة الكتاب الدراسي، إنّ قيمة هذا الكتاب أنّه وضع لكي يكون كتابًا دراسيًّا، بحيث كان الطالب نصب أعين المصنّف وهو يكتب كتابه، وهذا عنصر مهم في عملية تدوين الكتاب الدراسي. فلم يصنّف العلامة الفضلي كتابه هذا لمجرّد الإضافة إلى ما في المكتبة الإسلاميّة من مساهمات في علوم الشريعة، بل أراد لكتابه هذا - كما لمجموعة أعماله التي من هذا النوع - أن يكون منهاجًا دراسيًّا يأخذ بنظر الاعتبار حال الطالب ومستوياته وحاجاته وأهدافه.

إنّ أغراض المؤلّف هنا هي عبارة عن شعوره بالمسؤوليّة إزاء الكتاب الدراسي في الجامعات والمعاهد الدينية، وقد صرّح مرارًا أنّه رأى الحاجة لسدّ هذه الثغرة، فأقدم على مشروعه هذا، وهذا يعني أنّ العلامة الفضلي لم يكن ينطلق في تدوينه العلمي من حالة الترف الفكري أو حالة (عرض العضلات) كي يُبْرِزَ نفسه في هذا الموقع أو ذاك، كما نجده عند بعضهم، بل كان الواقع وحاجات الأمّة والضرورات العلميّة في المؤسّسة الدينية والجامعيّة هي التي تفرض عليه حركته هذه.

من هنا، رأينا أنّ العلامة الفضلي قد حاول أن يجيب عن الأغراض الواقعيّة من حيث تحديات الفقه الإسلامي اليوم أمام العصر، فركّز على الموضوعات الإشكاليّة والواقعيّة، بدل الاستغراق في الموضوعات التي لا فائدة منها أو تقلّ الحاجة إليها، وهو ما تعبّر عنه الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب. إنّ حاجات الفقه اليوم متعدّدة، فبعضها داخلي، وبعضها يرتبط بعلاقة الفقه بالواقع، فالأصول الاجتهادية والمنهجة حاجاتٌ داخليّة، لكنّ اختيار الموضوعات حاجةٌ يفرضها الواقع اليوم، والجمع بين نوعي الحاجات (الداخلي والخارجي) هو الذي يوفّر نجاحًا أكبر للكتاب الفقهي.

ولهذا كلّه رأينا أنّ العلامة الفضلي لا يقوم بتقديم كتاب دراسي واحد، في مادّة علميّة واحدة، لمرحلة علميّة محدّدة.. إنّ هذه الطريقة توجب بترًا في المشروع، وتُنافي مبدأ التدرّج الذي يريد صاحب المشروع القيام به، من حيث كونه حاجة أساسيّة في النظام التعليمي، بل يعمد لكلّ علم بوضع منهاج كامل فيه وصولاً إلى المراحل العليا، ليذهب الطالب بعد ذلك إلى مرحلة الاجتهاد العالية، ضمن نظم البحث العلمي السائد.

وإنّني لآسفٌ على عدم سماح الفرصة للعلامة الفضلي في إكمال مشروعه في هذا الكتاب؛ لأنّني أعتقد بأنّ الكتاب عالج ثلاثة ملفّات أساسيّة:

أ. نظرة عامّة حول الفقه والأحكام، وهو ما عبّر عنه الجزء الأوّل من هذا الكتاب.
ب. فقه الطهارة والنجاسة، وهو ما عبّر عنه الجزء الثاني من الكتاب.
ج. فقه المعاملات الماليّة، وقد عبّر عنه - بشقّه العام - الجزءُ الثالث، فيما عبّر الجزءان الأخيران عن شقّه الخاصّ التطبيقي على المعاملات الماليّة.

وينقص الكتاب أربعة ملفّات أساسيّة أخرى، لكي تكتمل صور النماذج أمام طلاب العلوم الشرعيّة، وهي:

أ. أنموذج من الفقه العبادي، كالصلاة أو الحجّ أو الصوم.
ب. أنموذج من فقه الأسرة والعلاقات الاجتماعيّة، مثل كتاب النكاح والطلاق.
ج. أنموذج من فقه العقوبات الجزائيّة والجنائيّة (الحدود والتعزيرات والقصاص والديات ونحوها).
د. أنموذج من فقه الحكومة والإدارة (القضاء والجهاد والولاية..).

إنّ المرحلة التي يعبّر عنها هذا الكتاب لو تسنّى للعلامة الفضلي رحمه الله أن يكملها بهذه الملفّات الأربعة - ولو بحذف مجلّد من المجلّدات المخصّصة لفقه المعاملات المالية - ستحتاج لتنوّع الموضوعات الفقهيّة، ولكنّ الله قدّر لفقيدنا الكبير الرحيل قبل إنجاز مثل هذا المشروع الطيّب. نأمل للعلماء النهضويين أن يكملوا هذه المسيرة الرائدة التي عبّد طريقها الكبار، ولم يكن العلامة الدكتور الفضلي آخرهم إن شاء الله تعالى.

وما نقوله ليس من عندياتنا، بل هو مقترح العلامة الفضلي نفسه، إذ ذهب في بعض كتاباته القديمة أيضًا إلى ضرورة تغيير تقسيم الفقه من عبادات وعقود وإيقاعات وأحكام، إلى فقه الفرد، وفقه الأسرة، وفقه المجتمع، ولو قدّر له من العمر لصاغ كتابه هذا وفقًا لهذا التقسيم مكملاً نواقصه في هذا السياق.

٨. «دروس في فقه الإماميّة»، ومشروع المداخل المنهجيّة العامّة

عندما نطالع الجزء الأوّل من هذا الكتاب، أوّل ما نواجه تلك المقدّمات العلميّة التي يضعها الدكتور الفضلي لدراسة علم الفقه، وهذه المقدّمات الثلاث التي احتواها هذا الكتاب، يمكن أن تعبّر عن ثلاثة أطر:

أ. **إطار التعريف بعلم الفقه،** فإنّ أغلب طلاب العلوم الشرعيّة في المعاهد الدينية الإماميّة عندما يدرسون الفقه، سواء في المراحل الأولى أم العالية، لا يتناولون في دراستهم أو يقومون بأيّ جولة تعريفيّة عامّة بعلمٍ عريق كعلم الفقه، فما هو هذا العلم؟ وما هو موضوعه الذي يدور حوله؟ بحيث نستطيع من خلال هاتين النقطتين تمييزه - ولو نسبيًا - عن سائر العلوم، كي لا يقع التداخل السلبي بين العلوم والتخصّصات.

هل حقًّا هناك حاجة للبحث حول علم الفقه؟ وما هي هذه الحاجة من زاوية شخص متشرّع؟ وما هي أيضًا من زاوية شخص لا يلتقي أساسًا مع الفكر الديني؟ إنّ رصد الحاجة لعلم الفقه سوف يضع الطالب في موقع تقدير المادّة الدراسيّة التي يقوم بدراستها، وسيعي أكثر فأكثر أنّ العلم الذي يدرسه يجب أن يملك تصوّرًا عن الحاجة إليه، كي لا يعيش دراسة علومٍ أو قضايا أو مسائل فقهيّة أو غير فقهيّة، متخلّيًا عن ذهنية الحاجة التي تعبّر عن وعيٍ لضرورات العصر وفقه الأولويات.

وفي ضوء معرفة الحاجة لعلم الفقه يتضح الموقف الشرعي من دراسته، وهل هو واجب أم مستحب أم مباح أم غير ذلك؟ وما هي نوعيّة الحكم الثابت في تعلّمه من حيث الكفائية والعينية أو غير ذلك.

من الضروري أيضًا لطالب علم الفقه أن يعرف ما هي المقدمات اللازمة لدراسة الفقه الإسلاميّ، ويدرك أنّ لكلّ علم عُدَدًا معرفيّة يفترض به أن يطّلع عليها ويكون على دراية بها، كي لا يكون حاله حال بعض طلاب العلوم الشرعيّة الذين يدرسون مادّةً معيّنة دون أن يملكوا المقوّمات أو العناصر التمهيديّة التي تؤهّلهم أو تمكّنهم أو تسهّل لهم دراسة هذه المادّة العلميّة، الأمر الذي يجعل من دراستهم لها في بعض الأحيان تطويلاً للمسافات وتضييعًا للوقت وهدرًا للإمكانات والطاقات.

إنّ مسألة مقدّمات علم الفقه أو مقدّمات الاجتهاد، يبحثها العلماء عادةً إمّا في كتاب القضاء من الفقه الإسلامي أو في بعض المباحث الأصوليّة. إنّ أخذ هذه الأبحاث من هذه الأمكنة غير المناسبة، ووضعها في مداخل علم الفقه سوف يصحّح مسيرة الوعي الفقهي لطالب العلوم الشرعيّة. وموضوعة مقدّمات علم الفقه صارت اليوم موضوعة إشكاليّة وحسّاسة، فعندما يطرح العلامة الفضلي قضيّة اللغة ويركّز عليها في هذا الكتاب، وهو الخبير والفقيه اللغوي، فهو يرشدنا إلى

ضرورة إحياء الدرس اللغوي مجدّدًا في محافلنا العلميّة بعد غيبوبة نسبيّة له في أوساطنا.

وما يلفتني هنا هو إشارة العلامة الفضلي في مقدّمات علم الفقه أيضًا إلى علوم القرآن الكريم، بما في ذلك علم القراءات والتجويد. إنّ علوم القرآن الكريم لا يشار إليها عادةً هنا، لكنّني أعتقد بأنّ الوعي القرآني وتيار المرجعيّة القرآنية الذي شهدناه في القرن العشرين قد أرخيا بظلالهما على علامتنا الفضلي، ليدرج علوم القرآن الكريم - وهو محقّ - في مقدّمات علم الفقه، نظرًا لدور هذه العلوم الكبير في تمكين الفقيه من فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا.

وفي واحدة من تأثيرات عصر النهضة الإسلامي الحديث (القرن العشرين) يُلفتنا العلامة الفضلي إلى ضرورة علم التاريخ الاجتماعي لعصر التشريع. إنّ كلامه هذا يفتح - كما يشير - إلى قرائن المقام التي تحفّ بأغلب نصوصنا القرآنيّة والحديثية، فالوعي الفقهي لا يأتي فقط من مراجعة اللغة والمعاجم، بل يأتي أيضًا من مراجعة السياقات التاريخية الحافّة بصدور أو نزول النصوص. وبهذه الطريقة يصبح الاجتهاد حلقةً وسطى بين التاريخ ووعيه من جهة، والواقع والعصر وضروراته من جهة ثانية، فيكون الرابط بينهما، لينتج عنه بناء مستقبل أفضل.

ويختم علامتنا الفضلي إطار التعريف بعلم الفقه بالتعريف بالمذاهب الفقهيّة. ذلك أنّها خطوة متميّزة تساهم في خلق وعي فقهي إسلامي وليس مذهبيًّا فقط. وهو ما كرّسه داخل هذا الكتاب المخصّص للفقه الإمامي، عبر استحضاره هنا وهناك آراء فقهاء المذاهب الأخرى. ففي الوقت الذي يقوم الطالب فيه بدراسة الفقه الإماميّ، لا يغيب عنه وجود مدارس فقهية أخرى عند المسلمين وأنّ عليه أن يطّلع عليها ويستفيد منها أو يصوّب مفاهيمها ومقولاتها، فالفقه المتصل بمذهب معين غير غائب عند علامتنا الفضلي عن سائر المذاهب، بل هو في عين خصوصيّته عام، وهو في عموميّته خاصّ كذلك.

ب. **إطار التعريف بالمدرسة الفقهية الإماميّة**، فبعد أن اطّلع الطالب على الفقه بشكل عام، ها هو يتجوّل مع هذا الكتاب للعلامة الفضلي في ربوع الفقه الإمامي، فيدرس مدارسه واتجاهاته الأساسيّة، وكذلك نشأته وتطوّره التاريخي، ويرصد مراكزه الكبرى عبر التاريخ، ومعالمه وخصوصيّاته. هذا المقطع من هذه المقدّمة التي يحويها الجزء الأوّل، يعني أنّ التاريخ - عنيت تاريخ العلم - يظلّ أمرًا ضروريًّا

للطالب كي يتمكّن في ضوئه من وعي العلم الذي يدرسه وعيًا تراكميًا تاريخيًّا، فمشكلة الكثيرين أنّهم يدرسون علم الفقه من خلال دراسة المنجز الأخير له مثلاً، بحيث لا يدرون كيف وصلت الأمور إلى هذا الحدّ.

إنّ العلامة الفضلي في هذه المقدّمة - وكذلك في سائر أبحاث الكتاب - يمتاز بالوعي التاريخي للدرس الفقهي وقضاياه، فيفتح أفق الطالب على ملابسات نشأة هذا الموضوع الفقهي أو ذاك، ومراحل تطوّره، وكيف وصل إلى ما وصل إليه اليوم، وهو ما يفيد الطالب في كسر تصوّر مغلوط مهيمن في أنّ هذه الفكرة لم يقل بها أحد، حيث التاريخ يكشف عن تنوّع المدارس والاتجاهات والآراء الفقهيّة تنوّعًا رهيبًا يفسح للطالب المجال ويسمح له باستمراريّة هذا التنوّع في عصرنا الحاضر، ولا يراه غريبًا عن جسم علم الفقه ومساراته.

ويكفينا هنا أن نعرف أنّ العلامة الفضلي واحد من القلائل الذين كتبوا في تاريخ التشريع الإسلامي مصنّفات مستقلّة. وهذا ينمّ عن خبرة كافية في مجال الرصد والتحليل التاريخي للعلوم الفقهيّة. ويضع مساهماته هنا في هذا الكتاب في سياقٍ من الاختمار والوعي المسبق بهذا الحقل المعرفي المهمّ للفقه، عنيت تاريخ هذا العلم. ولهذا وجدناه يهتمّ بعرض مسارد بأسماء كتب الفقه الإمامي ومصادره ومراجعه وعلمائه ومراكزه؛ لأنّنا نعرف أنّ الكثير من طلاب علوم الشريعة لا معرفة كافية لهم بالتراث الفقهي وشخصيّاته ومصنّفاته، لهذا كان من الضروري الاهتمام بهذا الأمر.

وفي السياق عينه، يأتي تسليطه الضوء على تاريخيّة التبويب الفقهي، وكيف حصلت تحوّلات فيه، ذلك كلّه يخرج طالب العلوم الشرعية من الصور النمطية التي يعيشها مع كتاب أو كتابين، إلى رحابة التنوّع في المنهجة والتبويب والتصنيف.

واللافت في هذا الإطار هو اهتمام العلامة الفضلي بإثبات مكانة علم الفقه الإمامي ومرجعيّته المتمثلة بالكتاب والسنّة بما يشمل أهل البيت النبوي ﷺ، فوضع مقارنات يبدو لي أنّه لاحظ فيها الطالب غير الشيعي لكي يضع هذا المذهب الفقهي في موقعه الصحيح، وأنّه ليس هجينًا أو غريبًا أو لا شرعيّة له في السياق الإسلامي العام.

ج. **إطار دراسة التكليف**، يمتاز الكتاب عن كثير من الكتب الفقهيّة، بوضع مبحث التكليف والحكم الشرعي في مدخل علم الفقه. فما هو التكليف الشرعي؟ وما هي طرق معرفة الأحكام الواقعيّة التي خوطبنا بها؟ وما معنى الاجتهاد والاحتياط والتقليد؟ وما معنى أهليّة التكليف؟ وكيف نحدّد ذلك؟ وكيف نحدّد البلوغ والعقل والقدرة وغير ذلك مما يسمّى بالشروط العامّة للتكليف؟

إنّ الكثير من الفقهاء وضعوا قسمًا من هذه البحوث في كتاب الحجر من أبواب المعاملات، مع أنّ حقّه الطبيعي أن يكون في مقدّمة علم الفقه؛ لأنّه يشكّل المدخل السليم لذلك، لا سيما على المستوى العملي الذي تتولاه الرسائل العمليّة للفقهاء.

وفي الختام

لا يسعني بعد مطالعتي لهذا الكتاب الوزين إلا أن أنحني إجلالاً وإكبارًا لشخصٍ نذر نفسه لوضع برنامج دراسي كامل لطلاب العلوم الدينية، وليخدم أجيالاً قادمة من العلماء والباحثين والفقهاء والمجتهدين والمفكّرين، ولم يطلب على ذلك أجرًا من أحد، وقضى ما يقرب من نصف قرن من الزمن في هذا المشروع، الذي لا تكمن قيمته بعدد صفحاته أو مجلّداته، كما بات يخيّل لبعضنا اليوم أنّ قيمة العقل تكمن في ذلك، بل نجد قيمته في هذه الهندسة المعرفيّة والمنهجيّة، وفي الانتقاء المدروس للنصوص والفقرات والكلمات، وفي الغايات النبيلة التي ساقت علامتنا الفضلي للقيام بهذا الدور.

ليس الفقه مجرّد الاستدلال و (إن قلتَ قلتُ)، كما أراد بعض المعاصرين أن يعلّق على العلامة الفضلي، بل هو هذا المنهج والنظام والتناسق والحداثة والتجديد والتطوير وإعادة الهيكلة وتقديم ما هو مختلف، ومواكبة العصر في تحدّياته على مختلف الصعد، فالعصر ليس مجرّد سائل لنجيبه بطريقتنا، إنّه منتج لطرائق التفكير وآليات الخطاب وأساليب البيان والمعرفة.

والعلامة الفضلي هو بالتأكيد ليس نهاية الطريق أو أنّه المنجَز الذي لا يقبل النقد، بل نصرّ على نقده البنّاء وتقديم ما هو أفضل ممّا قدّمه على الدوام. لكنّ تنوّع ثقافته الفقهيّة وقدرته الاستثنائيّة على إعادة بناء نظام جديد للفقه وغيره من العلوم الإسلاميّة - تدوينًا وتنظيمًا وبيانًا وهندسةً وعصرنةً - لا يقلّ أبدًا عن مماحكات الأدلّة التي لم يكن فيها علامتنا الفضلي عاجزًا، بل - ومعه سربٌ من العلماء النهضويين - غير مؤمنٍ بالكثير من هذه المماحكات التي مزّقت الذوق الفقهي

السليم والفهم العربي الصحيح من وجهة نظره التي يحقّ للآخرين الاختلاف معه فيها، لكن لا يحقّ لهم فرض رؤيتهم عليها.

إنّني أبدي أسفي الشديد على غياب هؤلاء الكبار من بيننا، بالمقدار الذي يفترض لهم أن يكونوا حاضرين. هذا الغياب الذي فرضه التآكل في الأولويّات، والانغلاق في الفكر، والتعسّف في الحكم، والاستعجال في رؤية الأمور، فضاعت المهنيّة في خضم معركة الأيديولوجيا، وتلاشت الكفاءات في أقدام الولاءات، وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل في الشدّة والرخاء.

الشيخ الفضلي فقيهاً[*]

■ السيد محمد الحسيني[•] ■

للشيخ **عبد الهادي الفضلي** أحد أشهر علماء الأحساء المعاصرين دور علمي بارز، وهو علاوة على ذلك متنوِّع المعرفة، فضلاً عن توفره على البُعد التوفيقي بين الموروث المعرفي الذي يبدو في دراساته وأبحاثه ومساهماته فيما يعرف بـ (حوزة النجف الأشرف)، وبين دراساته الأكاديمية والجامعية.

وإذ انتمى **الشيخ الفضلي** لمنطقة الأحساء، تلك المنطقة الزاخرة بالعلماء والأدباء، فإنه ينتمي ـ أيضًا ـ إلى مدرسة النجف الأشرف، وهو ابن العراق ولادة ونشأة. وقد نمته هذه المدرسة بما زخرت به من أعلام المعرفة وروّاد العلم، وتتلمذ على أشهر الفقهاء والعلماء، من أمثال: **السيد محسن الحكيم، والسيد أبي القاسم الخوئي، والشهيد السيد محمد باقر الصدر**.

وبخصوص **الشهيد السيد محمد باقر الصدر**، نشير إلى شدة تأثر **الشيخ الفضلي** به وصلته الوطيدة به، وهي صلة تاريخية تتعدى البعد العلمي.

و**الشيخ الفضلي** شديد الإعجاب والإكبار لأستاذه، إن على المستوى العلمي أو على المستوى الأخلاقي، بل والسياسي .. ولا يترك مناسبة إلاّ ويشير فيها إليه. فهو وإن كان في سياق البحث الفقهي، فإنه لا يغفل الإشارة إلى الزهد ـ مثلاً ـ الذي تحلّى به **الشهيد الصدر**، وهو بصدد البحث عن الشروط التي يتوفر عليها (مرجع التقليد)[١].

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ. ونشر في كتاب (فقهاء ومناهج) للسيد محمد الحسيني من إصدارات مركز ابن إدريس الحلي للدراسات الفقهية ـ دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(•) رئيس مركز ابن إدريس الحلي للدراسات الفقهية، وأستاذ بالحوزة العلمية في النجف الأشرف.

(١) الفضلي، التقليد والاجتهاد، ط٢/ ٢٠٠٦م، نشر مركز الغدير، بيروت / ٨٨.

وفي السياق نفسه يشير إلى الدور الريادي **للشهيد الصدر** في تصعيد العمل المرجعي، ابتداءً من الإشارة إلى ما اشترطه **الشهيد الصدر** في المرجع زيادة على ما اشترطه الفقهاء، وهو شرط الكفاءة الإدارية[١]، ومرورًا بالتنظير لهذا العمل المرجعي ووضع التصورات اللازمة للنهوض به[٢]، وانتهاءً بالإشارة إلى آرائه ونظرياته في عدد كبير من أبحاثه الفقهية وغير الفقهية. بل قد يشير **الشيخ الفضلي** إلى بعض آراء **الشهيد الصدر** التي لم ترد في أبحاث **الشهيد الصدر** وكتاباته، بل إنه ينقلها عنه شفاهًا ـ كما أشار فعلاً ـ إلى رأي **الشهيد الصدر** في جواز حلق اللحية[٣]، وإن كان أفتى **الشهيد الصدر** ـ من باب الاحتياط ـ بعدم الجواز.

وبشكل عام، يمكن القول: إن بصمات مدرسة النجف واضحة إلى حد كبير في فقه **الشيخ الفضلي** ومنهجه.

وقد لا يكون التتبُّع الشامل لخصوصيات المنهج الفقهي **للشيخ الفضلي** ممكنًا في مثل هذه (الوجيزة)، فإننا يمكن أن نشير إلى الملامح العامة لهذا المنهج:

□ أولاً: الفهم العرفي

إن قراءة النصوص الشرعية لا تختلف عن قراءة أية نصوص أخرى صادرة باللسان العربي، ولذلك لا يختلف التعاطي مع نص شرعي عن التعاطي مع أية وثيقة مكتوبة باللغة العربية أو تنتمي إليها، وذلك لجهة أن الشارع في أسلوبه البياني اللغوي لا يبتعد عن الأسلوب العرفي الذي يتبانى عليه الناس وفقًا لأصول وقواعد المحاورات عندهم، إذ يقول **السيد الخميني**: «وليس مخاطبة الشارع مع الناس إلاّ كمخاطبة بعضهم لبعض»[٤].

ولهذه الجهة، دَأَبَ الفقهاء على فهم هذه النصوص وفقًا لما عليه العرف، إلى درجة يمكن معها أن تكون مرتكزات العرف قرائن للتعميم تارةً وللتخصيص تارة أخرى. كما هي الحال في ما يعرف بقاعدة (مناسبات الحكم والموضوع)، ولكن مع ذلك نجد اتجاهًا لا يستهان به في الوسط العلمي الديني يميل إلى قراءة النصوص

(١) المرجع السابق نفسه/ ١٠٨.

(٢) المرجع السابق نفسه/ ١٠٩ وما بعد.

(٣) الفضلي، الرأي الفقهي في حلق اللحية، بحث منشور في مجلة المنهاج عدد ٢١/ ٤٨.

(٤) الخميني، روح الله، الاستصحاب/ ٢٢٠، ط أولى/ ١٤١٧هـ نشر مؤسسة تنظيم آثار الإمام الخميني.

الشرعية وفقًا للفهم الفلسفي وبآليات فلسفية، وهو ما يفسِّر تسرُّبَ القواعد الفلسفية ولغة الفلسفة وأدواتها إلى المتون الفقهية والأصولية. وهو ما يفسر ـ أيضًا ـ الاختلاف الجوهري بين المتأخرين والمتقدمين في طرق الاستدلال، بل وفي اللغة والتعبير، بحيث يلاحظ الباحث أن لغة المتأخرين باتت مثقلة باصطلاحات الفلسفة والمنطق بما لم يعهده البحث الفقهي في متون المتقدمين.

وفي هذه المسألة بالذات حدَّد **الشيخ الفضلي** موقفه بوضوح، إذ كتب في مقدمة كتابه (**دروس في فقه الإمامية**) يقول: «ولأن هناك منهجين تناول الفقهاء والباحثون قضايا الفقه ومسائله في ضوئهما، وعلى هدي تعليماتهما، وهما المنهج الفلسفي والمنهج العلمي، سلكتُ في دراستي هذه المنهج العلمي مبتعدًا قدر الطاقة عن المنهج الفلسفي، وذلك لما أستشعره من فرق واضح بين موضوع البحث الفلسفي وموضوع البحث العلمي، حيث يتحرك الأول في عالم الفكر التكويني، ويتحرك الثاني في عالم الفكر التشريعي، والفرق بين التكوين والتشريع هو الفرق بين التجسيد والتجريد، فما يصدق من قوانين في عالم التكوين، لا ينطبق ـ غالبًا ـ على عالم التشريع؛ للفرق المذكور.

ومن هنا، إذا حاولنا أن نُعيِّن موقع المعاملات المالية ـ وهي من التشريع، سوف نصنفها في عالم الاعتبارات؛ لأنها غير ذات طبيعة مادية متجسدة في خارج الذهن، وإنما هي ظواهر اجتماعية تدخل ضمن فعاليات وآليات سلوك الإنسان ووفق نظام خاص بها اعتمد في وضعه اعتبار المعتبر.

وكذلك لما أُدركه بَيِّنًا من الفرق بين الطريقة الاستنتاجية في البحث والطريقة الاستقرائية، حيث يعتمد الاستنتاج على التفكير المجرد ويقوم الاستقراء على ملاحظة الواقع.

وما هذا إلاّ لأن المعاملات المالية ـ كما قلت ـ ظواهر اجتماعية تعيش في واقع حياة الناس، والطريق لمعرفة الواقع هو الاستقراء.

ويتجلى هذا أكثر عندما نعرف أن المصدر الأساسي للفكر الفقهي في مباحث المعاملات المالية هو سيرة العقلاء المعتبرة من قبل المشرِّع الإسلامي. والسيرة ـ كما هو معلوم ـ أنماط سلوكية تتحرك وتتفاعل في الواقع الاجتماعي، والطريق لمعرفة

الواقع ـ لأنه من الحسِّيات ـ ليس الاستنتاج وإنما هو الاستقراء عن طريق الملاحظة»[١].

واعتمادًا على هذا المنهج الذي حدَّده الشيخ الفضلي لنفسه، فإنه نأى بنفسه في غمار البحث الفقهي عن معطيات الفلسفة وأدواتها. إذ كتب في مسألة (التخيير في التقليد)، وهي المسألة التي يبحث فيها الفقهاء حكم تخيير المكلف بين تقليد الأعلم وبين غير الأعلم، يقول: «... وعند قيام السيرة، لا أرانا بحاجة إلى أن نعتمد معطيات الفلسفة كما جاء في بعض كتب الفقه الاستدلالية، لأن التشريع اعتبارٌ أمره بيد معتبره»[٢].

وقد انعكس هذا المنهج في مسألة فقهية أخرى، وهي مسألة العدول في التقليد من مجتهد إلى آخر، حيث رجّح الشيخ الفضلي الجواز بناءً على سيرة المتشرعة في مجال التقليد حيث تعرب ـ تاريخيًّا ـ عن أن المكلف الذي كان يسكن خراسان ـ مثلاً ـ ويرجع إلى أحد الرواة الفقهاء هناك ثم يهاجر إلى الكوفة، فإنه يرجع فيها إلى من هو موجود من الرواة الفقهاء.

ويؤكد الشيخ الفضلي هذا الرأي، فيقول: «ويرجع هذا ـ متى بعدنا عن التأثُّر بمعطيات الفلسفة ـ إلى أن مشروعية الرجوع إلى المجتهد قائمة باجتهاده وحجية فتواه مستندة إلى دليلها، وهما متوفران في كل مجتهد توفر على شرائط الإفتاء وجواز تقليده، وقد كان هذا يقع بمرأى ومسمع من المعصومين»[٣].

كما انعكس هذا المنهج في أبحاث الشيخ الفضلي في مسألة تطهير الدهن، حيث إن الفقهاء مجمعون على أن الدهن يطهر إذا أمكن استيلاء الماء الطاهر على النجس، واختلفوا في أن الدهن المتنجس إذا وضع في الماء الغالي، هل يصل الماء إلى كل جزءٍ جزء من الدهن المتنجس مع بقاء الدهن دهنًا، أي من غير أن يستهلك فيفنى أو يتحول إلى مادة أخرى؛ وذلك لأنهم اختلفوا في كيفية التأكد من وصول الماء المطهر إلى كل أجزاء الدهن المتنجس، هل هي قضية عرفية فيؤخذ فيها نظر العرف، ويكون

---

(١) الفضلي، عبد الهادي، دروس في فقه الإمامية ج٢/ ٣-٤، ط أولى ١٤١٩هـ، نشر مؤسسة أم القرى.

(٢) الفضلي، التقليد والاجتهاد/ ١٥٤، المرجع السابق.

(٣) الفضلي، المرجع السابق نفسه ١٦١-١٦٢.

ما يحققه العرف هو الموضوع الذي ينطبق عليه الحكم، أو أنها قضية علمية تخضع للنظر الفلسفي في تركّب المادة وقابلية عناصرها المركبة منها للتأثير بالماء فتطهر، أو عدم قابليتها فلا تطهر.

وقد أُخضعت المسألة في شق منها إلى المبدأ الفلسفي الذي يشير إلى (الجزء الذي لا يتجزأ) و(الجزء الذي يتجزأ)، وقد علّق الشيخ الفضلي على التأثر الفقهي بالمعطى الفلسفي قائلاً: «وإذا حاولنا أن نوازن بين وجهات النظر الفقهية المذكورة في أعلاه، ليس أمامنا إلاّ الرجوع إلى طبيعة الفقه الإسلامي ـ بصفته تشريعًا ـ في تعامله مع الموضوعات، وبخاصة تلكم الموضوعات التي جاء التشريع الإسلامي وهي قائمة في المجتمعات البشرية يتعاملون معها ويرتبون الآثار والأحكام عليها على أساس من معرفتهم لها. وطبيعة التشريع الإسلامي في مثلها ـ كما هو معروف ـ تقوم على إيكال تحديد الموضوع لهم.

هذا هو المستفاد من تتبع الكثير من الموارد التي تعطي الاطمئنان لذلك، ومن هنا نقول: إن الأخذ بنظر العرف في المسألة هو الأمر الذي يلتقي وطبيعة الفقه الإسلامي بصفته تشريعًا اجتماعيًّا، مع الأخذ باعتبار أن المبدأ الفلسفي (الجزء الذي لا يتجزأ) الذي بنى عليه جملة من الفقهاء آرائهم قد أثبتت التجربة العلمية التي لا تقبل الشك بطلانه، عندما انتهى العلم التجريبي الحديث إلى إثبات انشطار الذرة»[١].

وفي مسألة تجزؤ الاجتهاد، نأى الشيخ الفضلي عن الفهم الفلسفي، وطرح المسألة في ضوء طبيعة التفكير وقدرة الذهن البشري، بعيدًا عن التفسير الفلسفي لما يعرف بـ (الاجتهاد) وكونه ملكة، وهي صفة راسخة في النفس واستعداد عقلي يتناول أعمال معينة بحذق ومهارة، فإن مثل هذا التفسير يرجع إلى ما أسماه الشيخ الفضلي بالتعليل الفلسفي لهذه الملكة وكونها بسيطة توجد أو لا توجد، وإن وجدت فهي لا تختلف من حيث الاقتدار على الاستنباط في هذه الجزئية أو تلك[٢].

ونظرًا لترجيح المنهج العرفي عند الشيخ الفضلي على المنهج الفلسفي، فقد اختار أن الاجتهاد قدرة علمية وفعل علمي، لذلك لا يصح أن يقال إنه متجزئ أو غير

(١) الفضلي، دروس في فقه الإمامية ج١، ٦٦٥، ط١٩٩٥، نشر مؤسسة أم القرى.
(٢) الفضلي، التقليد والاجتهاد، المرجع السابق/ ٦٩.

متجزئ؛ لأن القدرة العلمية هذه تعتمد على: «فهم منهج الاستنباط، وكيفية تطبيق المنهج على مواده وجزئياته، وامتلاك ما يساعد على الفهم والتطبيق من وسائل علمية وآليات فنية. وهذا الفهم صفة عامة. ولأنها عامة، تعني أن الاقتصار على الاجتهاد في باب دون آخر لا لقصور في القدرة العلمية، وإنما لعوامل أخرى خارجة عنها لا علاقة لها بها. ومن هنا ينبغي أن يكون عنوان الشرط ـ هنا ـ هو (الاجتهاد) فقط. أي من دون وصفه بالإطلاق أو تقييده بالتجزؤ»[١].

وتعليقًا على ما يسمى بـ (أصالة العدم)، الذي استدل به بعض الفقهاء لنفي ولاية المرأة للوظائف العامة والقضاء، كتب **الشيخ الفضلي**: «إن مثل هذا التأصيل هو مما أملاه المنهج الفلسفي الذي اتبعه أكثر الفقهاء المسلمين في أكثر من مرحلة من مراحل تاريخ الدرس الفقهي. وهذا الأصل وضع ليرجع إليه في مقام الشك في الأمور الحادثة، والولاية وصف حادث، والأمور الحادثة ـ كما تقول الفلسفة ـ إذا شك في وجودها تنفى بأصالة العدم. أي إننا، أخذًا بهذا الأصل، عندما نشك في ثبوت الولاية لأحد نحكم بعدم ثبوتها. قد كان هذا الأصل أقوى مساعد للفقهاء في نفي ولاية المرأة عن كثير من الأمور، ومن ثم منعها من ممارسة كثير من الأعمال والوظائف. وأول ما يلاحظ على هذا الأصل، هو أن هذا الأصل معدود من مبادئ المنهج الفلسفي العقلي الذي يقوم على أساس من الاستنتاج العقلي. والفقه، لأنه تشريع تستقى مادته من المصادر النقلية (الكتاب والسنة)، تكون الطريقة السليمة لدراسة قضاياه هي الاستقراء، لا الاستنتاج، نتتبع فيه بغية الوصول إلى الحكم الخطوات التالية:

مراجعة النصوص الخاصة، وأعني بها تلكم النصوص التي ترتبط بموضوع البحث مباشرة.

وفي حالة عدم العثور على نص خاص يستفاد منه حكم المسألة، يرجع إلى النصوص العامة، وهي ما يصطلح عليه فقهيًّا العمومات والإطلاقات التي تشمل بعمومها أو إطلاقها موضوع البحث.

والنصوص الشرعية بفئتيها الخاصة والعامة هي من الكثرة بحيث تغطي كل ما يحتاجه الفقيه في مجال استنباط الأحكام الشرعية. وعلى هذا، لا نكون بحاجة لمثل

(١) المرجع السابق نفسه/ ٧١.

هذا الأصل ولا تصل النوبة إليه. ويلاحظ عليه ثانيًا: إن الفلسفة تجري مثل هذا الأصل في مجالات بحثها، وهي الأمور التكوينية. ويعني بالأمور التكوينية هنا الأشياء الممكنة التي لها قابلية الاتصاف بالوجود والاتصاف بالعدم، وقد عبروا عنها في هذا السياق بالحوادث، والولاية - بجميع جزئياتها - هي من التشريعات التي لا مجال لإجراء المبادئ الفلسفية عليها»(١).

□ ثانيًا: النزعة التاريخيّة

لا تخفى أهمية البعد التاريخي في البحث الفقهي، بل على مستوى عملية الاستنباط نفسها، بما للبعد التاريخي من تأثير في فهم النصوص الشرعية والتعرّف على مصاديق الحكم الشرعي، فضلاً عن المسارات العلمية والمراحل التاريخية لمسائل البحث الفقهي.

وإذا كان هناك من غفل عن هذا البُعد، فإن هذا الإغفال مما انعكس في طبيعة تفكيره والمعطيات التي تمخَّضت عن عملية التفكير هذه.

وعلى أية حال، فقد اعتنى **الشيخ الفضلي** باهتمام بالغ بالبعد التاريخي، إن على المستوى العلمي التقني أو على مستوى عملية الاستنباط نفسها، بما يُعبِّر عن نزعة تاريخية واضحة في منهجه الفقهي.

فعلى المستوى الأول: يلاحظ الباحث قدرة **الشيخ الفضلي** على التتبع لموضوعات بحثه والتحقيق في جذورها التاريخية ومساراتها ومراحلها.

وهذه المزيّة إحدى أهم الملامح الرئيسة للبحث عند **الشيخ الفضلي** عمومًا، والبحث الفقهي على وجه الخصوص.

وهناك عدد مهم من الإشارات يدل على هذه المزيّة، يمكن أن نشير إلى بعضها:

١- وقع البحث عند الفقهاء في دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، إذ ادعي أن لفظ (الطهور) دال على أن الماء طاهر في نفسه مطهر لغيره.

وبغض النظر عن كبير الفائدة في مثل هذا البحث، لوضوح الحكم في كون الماء طاهرًا ومطهرًا لغيره والاتفاق عليه عند المسلمين، فقد أشار **الشيخ الفضلي** إلى «إن

(١) الفضلي، (بحث) ولاية المرأة في الإسلام، المنشور في مجلة المنهاج العدد ٣٩/ ١٢-١٣.

أول من أدخل هذا المعنى الفقهي الاصطلاحي للكلمة عالم المعاجم اللغوية هو **ثعلب (أحمد يحيى النحوي الكوفي)**، وعنه حكي ومنه أُخذ»[١].

٢- في مسألة اشتراط الحياة في المجتهد (المقلَّد) لاحظ **الشيخ الفضلي** أن هذه المسألة لم يثر البحث فيها إلاّ في القرن العاشر، وذلك عندما صدَّر **الشهيد الثاني** بحثه في هذه المسألة وأشار إلى شرط الحياة في المجتهد.

هذا بالنسبة للوسط العلمي الشيعي الاثني عشري، وأما بالنسبة للوسط العلمي السني، فقد لاحظ أن أول إشارة لذلك ـ ربما ـ تكون في ما ذكره **الفخر الرازي** (ت ٦٠٦هـ)، مما يدخل في هذه المسألة.

٣- في مسألة وجوب تقليد الفقيه الأعلم ادّعي أنها مما تسالم الشيعة عليه، ونسبت هذه الدعوى إلى **السيد المرتضى** مما ورد في كتابه الأصولي (الذريعة)، ولذلك ادعي أن القول بجواز تقليد الفقيه غير الأعلم قول متأخر إلى ما بعد عصر الشهيد الثاني.

وللشيخ الفضلي رأي في هذه الدعوى، إذ من خلال تتبعه التاريخي لهذه المسألة، أثبت أن القول بجواز تقليد الفقيه غير الأعلم قديم وليس متأخرًا إلى ما بعد الشهيد الثاني، وإن ما قيل عن التسالم عند الشيعة على وجوب تقليد الأعلم كما نسب إلى **السيد المرتضى** غير صحيح، إذ راجع **الشيخ الفضلي** نسخة قديمة نسخت عن نسخة يرجع تاريخها إلى سنة (١٠٩٨هـ)، ولم يرد فيها ما يؤكد هذه النسبة، بل ورد فيها ما يؤكد الخلاف الفقهي الشيعي على هذه المسألة، إذ جعل **السيد المرتضى** القول بتقليد الأعلم هو الأولى[٢].

٤- في مسألة (العربون) وتكييفه فقهيًّا على نحو يسوغ تملكه لو لم يتم البيع، لاحظ **الشيخ الفضلي** ـ في حدود متابعته التي وصفها بأنها ذات مساحة صغيرة، وذلك تواضعًا ـ أنه لم يقف على من تعرض بالبحث والدراسة من فقهاء الشيعة مستقلاً أو على نحوٍ غير مستقل، سوى ما أشار إليه مما ذكره **الشيخ الحر العاملي** من أحاديث في كتابه (وسائل الشيعة) في باب (وجوب احتساب العربون من الثمن)[٣].

---

(١) الفضلي، دروس في فقه الإمامية، ج١/ ٤٨٠، المرجع السابق.

(٢) الفضلي، التقليد والاجتهاد، المرجع السابق، ص ٩٦ ـ ٩٨.

(٣) الفضلي، بحث (بيع العربون) منشور في مجلة (المنهاج) عدد ١٥/ ٥١.

٥- تتبع الشيخ الفضلي ردود أفعال معظم فقهائنا وتعليقاتهم على رأيي الشيخ الكاشاني والشيخ السبزواري في الغناء، وربما حُمل عليهما لجهة عدم القول بحرمة الغناء على وجه مطلق.

وقد لاحظ الشيخ الفضلي أن أول من أنصفهما من فقهائنا المتأخرين هو السيد الخميني ومحاولة توجيه رأييهما ووضعه في سياقه الصحيح والدفع عمّا أسماه السيد الخميني من (الطعن عليهما بما لا ينبغي) في إشارة إلى الحملات والتعليقات غير العلمية[١].

كما لاحظ الشيخ الفضلي أن ما نسب إلى الشيخ الكاشاني من تأثره بالغزالي في مسألة (الغناء) واقترابه من رأيه، يرجع إلى تعرّف الشيخ الكاشاني على رأي الغزالي من خلال تعرّفه على كتابه (إحياء علوم الدين)، حيث عمد الشيخ الكاشاني إلى تأليف كتابه (المحجة البيضاء في إحياء الإحياء)، وهو تهذيب لكتاب الغزالي[٢].

ويشير الشيخ الفضلي إلى أن التشابه في الجوانب الفنية الذي يلمسه الباحث بين رأي الشيخ الكاشاني ورأي الغزالي هو الذي دعا البعض إلى القول بتأثر الكاشاني بالغزالي.

٦- في مسألة (ولاية المرأة) للوظائف العامة، أشار الشيخ الفضلي من خلال تتبعه التاريخي إلى أن ما عرف باشتراط الذكورة أو الرجالية في المفتي كان من أبحاث أصول الفقه، حيث يبحث هناك في موضوع الاجتهاد والتقليد. وقد نقل إلى الفقه ومسائله مع السيد كاظم اليزدي في كتابه (العروة الوثقى)[٣].

٧- في مسألة الفرق بين المنهج الأصولي والمنهج الأخباري في استنباط الحكم الشرعي، وضع الشيخ الفضلي القضية في سياقها الصحيح، وذلك من خلال التتبع التاريخي الذي دأب الشيخ الفضلي على اعتباره وملاحظته في عدد كبير من المسائل العلمية، ومنها هذه المسألة.

وكان المعروف في الفرق بين المنهجين كما صوَّره أنصار الفريقين، هو في وظيفة المجتهد نفسه، إذ يرى الأخباري أن وظيفته لا تتجاوز نقل مضمون الرواية بفتياه،

---

(١) الفضلي، الغناء/ ٧٠، ط٢/ ٢٠٠١، نشر مركز الغدير/ بيروت.

(٢) المرجع السابق نفسه/ ٦٨.

(٣) الفضلي، (بحث) ولاية المرأة في الإسلام، المنشور في مجلة المنهاج العدد ٣٩/ ٢٠.

وليس له أن يستند إلى مقدمات نظرية في إطار البحث عن الحكم الشرعي، فيما يعتمد المجتهد ـ من وجهة نظر الأصولي ـ على مقدمات نظرية لهذا الغرض وأنه لا يكتفي بما يكتفي به الأخباري. وللشيخ الفضلي رأي في هذه المسألة وبيان الفرق بين المنهجين، إذ يقول: «... فالموجود في هذا الواقع التاريخي هو المنهج العلمي والعملي للفقه الذي جمع بين النظرية والتطبيق في آن واحدٍ: فالرواية إن كانت من حيث الدلالة نصًّا في معناها، فإنها لا تحتاج في استفادة الحكم منها إلى الاستعانة بالأدلة من قواعد أو سواها، وإن لم تكن من حيث الدلالة نصًّا في معناها، فإنها تفتقر لاستفادة الحكم منها إلى الاستعانة بالأدلة. وهذا الواقع المذكور تؤمن به المدرستان الأخبارية والأصولية»[1].

ولذلك يُلاحظ الشيخ الفضلي على ما ذكره أحد أبرز أعلام المدرسة الأخبارية، وهو المحّدث الاسترابادي، من اكتفاء المجتهد الأخباري بالتعاطي مع الرواية مباشرة وبأدنى تفكير، من أن «هذا الواقع الذي أشار إليه المحدث الاسترابادي لم يكن – في الواقع – هو القائم حين انبثاق المدرسة الأخبارية، وذلك أن الموجود على الساحة الفقهية آنذاك في مجال الوصول إلى الحكم واستفادته من النصوص الشرعية هو استخدام الوسائل النظرية بتطبيق القواعد، والخلاف إنما هو في القواعد نفسها من حيث التطبيق»[2].

وأما على المستوى الثاني: وبما يتصل بالعملية الاجتهادية نفسها واستنباط الحكم الشرعي، فيمكن أن نشير إلى رأيه في (الغناء)، والبُعد التاريخي في استظهاره الأدلة وقراءتها لمحاولة اقتناص المعنى المراد منها.

وقد أشار الشيخ الفضلي إلى «أن لفظ الغناء المذكور في الروايات ينصرف بمعناه إلى الغناء المعهود حين صدور هذه الروايات، وهو العصر العباسي، والذي كان متعارفًا عليه من الغناء – آنذاك – هو الحفلات الغنائية التي كانت تُقام في بيوت الغناء ومجالس الطرب»[3].

(١) الفضلي، التقليد والاجتهاد، المرجع السابق/ ص١٣١.
(٢) المرجع السابق نفسه/ ١٢٩.
(٣) الفضلي، الغناء، المرجع السابق/ ص٥٠.

ولذلك اعتبر الشيخ الفضلي من خلال متابعته التاريخية لتاريخ الغناء أن المحافل الغنائية هي القدر المتيقن، ولذلك فإن حمل الغناء «على سواه بما هو أوسع يفتقر إلى الدليل على الشمولية، وهو غير موجود هنا، حيث لا عموم ولا إطلاق في السؤال من الراوي، أو في الجواب من الإمام عليه السلام»[1].

□ ثالثًا: الذهنيّة المعاصرة

على الرغم مما يتوفر عليه الشيخ الفضلي من عمقٍ فقهي على نحوٍ خاص وإسلامي على نحو عامٍ على مستوى الموروث العلمي، إن كان من ناحية المضمون والمحتوى أو من حيثً الآليات والأدوات، فإنه لا يخفي - مع أصالته هذه - ميلاً كبيرًا لتفعيل الفقه والانطلاق به في مسارات جديدة تلبي حاجات المجتمع المعاصر وتستجيب لتطلعاته.

وقد لا يتسع المجال في مثل هذه الدراسة الوجيزة لمتابعة الشيخ الفضلي بما يتصل بهذه الخصيصة غير أننا نشير إلى عدة مواضيع تُدِلُّ على هذه الروح وتشير إلى هذه الذهنية:

١. ما يتصل بما اصطلح عليه أخيرًا بالاجتهاد الجماعي، حيث عرض له الشيخ الفضلي ورأى أن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] «لم تتعرض لكيفية ممارسة الاجتهاد، فلم تعرب عن لزوم اقتصار المجتهد على الاجتهاد الفردي، كما أنها لم تشر إلى أن له أن يمارس الاجتهاد الجماعي. وهذا يعني أنه يمكن أن يكون فرديًا ويمكن أن يكون جماعيًا، لأن كلاً منهما يصدق عليه أنه اجتهاد. والاقتصار على الجانب الفردي منه إنما هو من باب الأخذ بأظهر المصداقين، اتباعًا للوضع المألوف للاجتهادات الأخرى في العلوم الأخرى في تلكم العصور»[2].

٢. عالج الشيخ الفضلي الروايات التي وردت في تحديد سن اليأس عند المرأة في ضوء المعطيات العلمية، ولذلك وضع ما ورد من الروايات في اعتبار اليأس عند

---

(١) المرجع السابق نفسه/ ٥١.

(٢) الفضلي، التقليد الاجتهاد، المرجع السابق/ ٢٢٥.

القرشية في سن الستين، واعتباره في سن الخمسين عند غيرها في سياقها العلمي، وذلك في ضوء ما انتهت إليه التجارب العلمية والأبحاث الطبية التي أخذت بالاعتبار مجموعة من العوامل منها ما هو بيئي ووراثي وغير ذلك، بما يدعو إلى حمل الروايات التي حددت اليأس بالستين للقرشية على المثالية[١].

٣. في موقفه من ولاية المرأة للوظائف العامة، ومنها القضاء ورئاسة الدولة، حيث وضع الشيخ الفضلي هذه المسألة في سياق تغيّر واختلاف الزمان، إذ – من وجهة نظره – فإن «اختلاف الزمان يتدخل في اختلاف المستوى لتحمل المسؤولية، فيوم كانت المرأة ربة بيت فقط غير مفسوحٍ لها المجال في تعلم العلم والتزود بالثقافة العامة والخاصة التي تسهم في بناء المجتمع ورفع مستواه إلى ما هو أفضل، كانت غير مؤهلة للقيام بأعباء المسؤوليات الكبار. أما اليوم، حيث فسح لها المجال للتعلُّم والتزود بالثقافة، وممارسة مختلف المهارات العلمية والفعاليات الاجتماعية، وأثبتت قدرتها من خلال التجارب على تحمل أعباء المسؤوليات الكبار، أصبحت لا تختلف عن الرجل في ذلك، وهي وإياه على صعيد واحد من حيث المستوى والقدرة»[٢].

ولم يُشر الشيخ الفضلي إلى هذا السياق كونه دليلاً شرعيًّا على موضوع البحث، فإنه بحث المسألة وموضوع البحث من حيث الدليلية وفقًا لما جرى عليه الفقهاء، إلاّ أنه أشار إلى هذا السياق كونه مؤشرًا على تغيّر الزمان وتأثير ذلك على تبدّل الموضوعات.

□ رابعًا: البُعد العلمي

ويُلاحظ في منهج الشيخ الفضلي غلبة الرؤية العلمية، وهيمنة المنهج العلمي ومعاييره في العرض والنقد والتقييم، وهو ما يفسِّر حرصه على تتبّع الأقوال والاتجاهات والنظريات في موضوعات بحثه، دون أن يضع قيودًا نفسية تصده عن بعض الأقوال والاتجاهات والنظريات، فهو يدأب على الاحاطة بهذا التعدد

(١) الفضلي، دروس في فقه الإمامية، المرجع السابق ج١/ ٣٣٨.
(٢) الفضلي، ولاية المرأة في الإسلام (بحث) منشور في مجلة المنهاج، العدد ٣٩/ ص٣٢.

والتنوُّع، قديمه ومتأخره وجديده، في محاولةٍ منه لإغناء البحث بهذا التنوع، وإشاعة الهم العلمي والمعيار المعرفي واعتباره المرجع في النقد والتقييم.

وفي ضوء هذه الحقيقة، استبعد **الشيخ الفضلي** المعيار المذهبي للتقييم، وكذلك نأى بنفسه عن الرؤية الشخصية في ذلك.

وقد كتب تعليقًا على رأي **الشيخ الكاشاني** في (الغناء) وما تعرَّض له من هجوم واتهام له بالتأثر بآراء علماء أهل السنة، ومنهم **الغزالي**: «... وبعد هذا، بقي لنا أن نقول:

١. إن اختيار الرأي العلمي وتبنيه من قبل عالم آخر ظاهرة علمية شائعة شيوعًا علميًّا لا مجال لإنكاره، ولا طريق للمؤاخذة عليه.

٢. كون الرأي لغير أبناء المذهب ليس سببًا مسوِّغًا للرفض. ونحن نرى وبالوجدان أن مسائل الاتفاق بين علماء المذاهب الإسلامية أكثر بكثير من مسائل الخلاف، فهل يسوِّغ لنا هذا أن نرفض مسائل الاتفاق والوفاق؟!

٣. إن اختيار الرأي يأتي على نحوين: الأول: اقتناع العالم الآخر بصحة دليل صاحب الرأي وسلامته، وهذا شيء مُسلَّم به لا غبار عليه. الثاني: وجدان العالم الآخر في أدلة مذهبه الخاصة ما يسند هذا الرأي الذي اختاره.

وهذا هو ما فعله **الكاشاني**، حيث وجد صحيحة أبي بصير المتقدمة وأمثالها مما يدعم رأيه ويصوِّبه، وقد اعترف له بهذا **صاحب الحدائق** بقوله: «وما ذكره وإن أوهمه بعض الأخبار»، وهذا البعض من الأخبار الذي أشار إليه لا يمنع من ناحية الاجتهاد أن يكون موهمًا في رأي فقيه، وغير موهم بل مقرر في رأي فقيه آخر.

قلت هذا لأوضح - من ناحية منهجية - المفارقة التي وقع فيها منتقدو **الكاشاني** بتوهم أنه تبع **الغزالي** تقليدًا، فليس هو - وكما رأينا - بالفقيه المقلد، وإنما هو مجتهد منفتح، يختار ويعتمد الدليل في إطار مذهبه»[1].

ولذلك دعا **الشيخ الفضلي** إلى وقفة متفهمة ومتأنية مع الآراء العلمية غير المشهورة، ومنها ما كان بصدد التعليق عليه، وهي مسألة حرمة الغناء وكونها عرضية وليست ذاتية كما هو مشهور الفقهاء والمعروف عندهم[1].

---

(١) الفضلي، الغناء، المرجع السابق، ص٧١/ ٧٢.

بل لاحظ الشيخ الفضلي الآراء الفقهية في المذاهب الفقهية الأخرى، واعتبر كفاية وجود رأي خلاف المشهور لديها في رفع الوحشة لدى العلماء والفقهاء في مذهب مختلف للإفتاء بهذا الرأي أو بحثه بطريقة مختلفة ومغايرة عمّا عليه المشهور، كما ظهر في ولاية المرأة للوظائف العامة ومنها القضاء، وأشار إلى رأي ابن جرير الطبري المفسِّر في هذا المجال[٢].

☐ خامسًا: المرجعيّة القرآنيّة

لا يختلف اثنان من المسلمين في كون الكتاب الكريم (القرآن) مرجعًا أساسيًّا للتشريع، فهو المصدر الأول للتشريع عندهم. غير أن هناك اختلافًا على المستوى المنهجي في علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة، مما يتصل بالترتيب الذي يشغله القرآن الكريم بالنسبة للسنة الشريفة، إذ قد يُلاحظ على المنهج الفقهي السائد - مع الاعتراف بالمرجعية القرآنية - التعاطي مع السُنة الشريفة بمستوى واحد وبمسافة واحدة من القرآن الكريم، في وقت يؤكد فيه عدد من الفقهاء على ضرورة قراءة نصوص السنة الشريفة وتفسيرها في ضوء الكتاب - القرآن؛ لأنه المصدر الأول للتقعيد، ولا ينفصل - عندئذٍ - أي نصٍ أو موقف عن الإطار العام للنص القرآني.

وتبدو هذه الإشكالية في عددٍ من المسائل الحرجة، ومن ذلك مركز المرأة القانوني في ضوء بعض النصوص الشرعية، ومسائل أخرى مهمة تتصل بالشأن الحياتي العام.

وبما يتصل بمنهج الشيخ الفضلي، يمكن أن نشير إلى عدة نقاط ترتبط بهذه الإشكالية بنحوٍ من الأنحاء:

١. في مسألة ولاية المرأة للوظائف العامة ومنها الولاية السياسية والقضائية، استدل بعض الفقهاء ـ وربما هو مشهور الفقهاء ـ بأدلة قرآنية وأخرى من السنة الشريفة على نفي مثل هذه الولاية.

---

(١) المرجع السابق نفسه/ ٦٢.

(٢) الفضلي، ولاية المرأة في الإسلام، المرجع السابق ص٣٤.

ومن أهم ما استدل به قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤]، وخاض الفقهاء جدلاً فيما بينهم حول تفسير هذه القيمومة - والتي تعني عندهم (الولاية)، وهل هي شاملة وعامة أو أنها تختص بالبيت الزوجي.

وربما يتفرّد الشيخ الفضلي في هذه المسألة بقراءة أقرب ما تكون إلى السياق القرآني، إذ إنه ـ بعد الإشارة إلى ما يعنيه هذا اللفظ (قوّامون) وأنه ليس حقيقة شرعية ولا مصطلحًا فقهيًا ـ أشار إلى ما ورد في القرآن في مادة (قَوَم)، وانتهى إلى ما أفاده نصًّا: «ونستفيد من هذا أن القوّامية لا تعني القيمومة التي فهم منها المستدلون التسلط والتصرف، وإنما تعني إناطة مسؤولية رعاية مصالح النساء وتدبير شؤونهن بالرجال. ومن أظهر مصاديق تلك الرعاية وذلك التدبير، هو وجوب إنفاق الرجل (الزوج) على زوجته، وهذا يعني أن الإنفاق من القوّامية، وليس من القيمومة، وقد يرجع هذا إلى أن أكثر المجتمعات - ومنها المجتمعات العربية التي نحاول معرفة معنى القوّامية لديهم - مجتمعات ذكورية، تحمِّل الرجل مسؤولية رعاية مصالح المرأة وتدبير شؤونها، وهم لا يرمون من هذا إلى أن تلك الرعاية وذلك التدبير هما من نوع الولاية السلطوية، وإنما هما شأن من شؤون تركيبة المجتمع...ونخلص من كل ذلك إلى أن القوّامية غير القيمومة ..»[1].

٢. وقد تظهر المرجعية القرآنية عند الشيخ الفضلي في ضوء ما ذكرناه بدرجة أكثر وضوحًا في مسألة حرمة (الغناء) وأنها حرمة عرضية أو ذاتية، حيث يعمد الشيخ الفضلي إلى إرجاع الروايات التي وردت في تحريم الغناء إلى القرآن نفسه، وهو ما تم الإرجاع إليه في الروايات ذاتها. ففي رواية أبي الصباح الكناني والتي فيها «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال: هو الغناء» اعتبر الشيخ الفضلي أنه لا بدَّ من حمل جملة (يشهدون) على معنى: (يحضرون)، والمناسب لذلك هو حمل الغناء على إرادة مجالس الغناء[2]؛ لأنه هو المعنى الذي يلائم مجالس الغناء، ولذلك فإنه على رأي

(١) الفضلي، ولاية المرأة في الإسلام، مجلة المنهاج، عدد ٣٩/ ص١٨ ـ ١٩.

(٢) الفضلي، الغناء، المرجع السابق، ص٥٣.

الشيخ الفضلي «إذا حملت على المعاني الأخرى، فإنه لا يتم الاستدلال بالآية... وهذا يعني أن الغناء لم يحرَّم لذاته وإنما لأسباب خارجة عنه تَعْرُض له، فتُكسِبهُ الحرمة.. »[1].

٣. وفي مسألة السلام مع (الكيان الصهيوني)، يشير الشيخ الفضلي إلى مفارقة وقع فيها غير واحدٍ لتبرير وتسويغ السلام مع هذا الكيان، وذلك استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقد ذكر الشيخ الفضلي في ردّ هذه الدعوى أمرين[2]:

الأول: أن موضوع قضيتنا يختلف عن مصاديق هذه الآية الكريمة، ذلك أن قضية فلسطين أرض إسلامية استلبت، فالحكم الشرعي يفرض استردادها وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين، وهم المسلمون. وما تصدق عليه الآية الكريمة، هو الكفار المحاربون الذين هم في ديارهم وأوطانهم، لا في دار للمسلمين اغتصبوها من المسلمين، وسياق الآية في القرآن الكريم واضح بوصفه قرينة على ذلك.

الثاني: إن الحكم في آية السلم مرحلي، انتهى بنزول سورة البراءة.

وقد استند الشيخ الفضلي في رأيه في كون الحكم مرحليًّا ودعّمه برأي سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن).

وإذا كان الشق الأول الذي أشار إليه الشيخ الفضلي صحيحًا، من جهة عدم صدق هذه الآية على (الكيان الصهيوني)، فإنه يلاحظ على الشق الثاني في أن اعتبار الحكم الوارد في الآية الكريمة مرحليًّا غير مسلّم، بل إن الشيخ الطوسي صرَّح بوضوح بأن الحكم عام ولم ينسخ، كما أفاد ذلك في تفسيره (التبيان في تفسير القرآن).

□ سادسًا: رؤى مستقلة

ولعلّ من المفيد أن نشير إلى ما يتمتع به الشيخ الفضلي من استقلال في الرؤية، مما ظهر في عددٍ من أبحاثه الفقهية، سواء كان ذلك على مستوى الرأي الفقهي نفسه

---

(١) المرجع السابق نفسه/ ٦١.

(٢) الفضلي، الرأي الفقهي في السلام مع إسرائيل (بحث) منشور في مجلة المنهاج العدد، ١٣/ ١٤-١٥.

أو على المستوى المنهجي، كما ظهر ذلك بوضوح في رأيه في مسألة حرمة الغناء، وانتهى إلى أن حرمة الغناء ليست ذاتية كما هو مشهور الفقهاء، بل إن حرمته لجهة العوارض، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك في مطاوي هذه الدراسة.

كما ظهر ذلك في تدعيم الرؤية الفقهية بخصوص تولّي المرأة للوظائف العامة، ومنها القضاء، على خلاف ما هو المشهور، كما مرّت الإشارة.

وعلاوة على ذلك، لا يترك **الشيخ الفضلي** مجالاً دون أن يمرّ إن كانت هناك ضرورة للتنبيه على مفارقة أو ملاحظة.

ومن المستحسن أن نشير إلى عدة ملاحظات نوّه بها **الشيخ الفضلي**:

١. فيما يعرف بالشبهة الموضوعية، لاحظ **الشيخ الفضلي** على هذا الاصطلاح الأصولي أن الأفضل والأصوب أن يقال: الشك الموضوعي، بمعنى الشك في الموضوع أو عوارض الموضوع؛ وذلك لأن الشبهة والشك لفظان مترادفان، فعندما يقال الشك في الشبهة الموضوعية، فإنه يكون المعنى: الشك في الشك، وهو بلا شك ولا شبهة، غير مقصود[(١)].
٢. فضّل **الشيخ الفضلي** أن يؤخذ بمصطلح المرجع (الأفقه) بدل مصطلح (الأعلم)، لأنه أوضح في تعريف المفهوم والدلالة على المعنى[(٢)].
٣. لاحظ **الشيخ الفضلي** على اصطلاح الحدث الأصغر والحدث الأكبر عند الفقهاء في باب الطهارة، أنه تعبير غير صحيح، وهو من باب التسامح؛ وذلك لأنه لا يقال الأصغر إلاّ إذا كان هناك صغير، وكذلك الأكبر، ولذلك فالأصوب أن يُسميا بالحدث الصغير والحدث الكبير، ويقال: الأحداث الصغيرة والأحداث الكبيرة[(٣)].
٤. وقد لاحظ **الشيخ الفضلي** على التعبير الشائع لدى الفقهاء - أو بعضهم - عن الاجتهاد وأنه (تحصيل الحجة على الحكم) بأنه جاء من واقع الأعمال الفقهية الاستدلالية التي قام بها الفقهاء، حيث تركزت في معظمها على شرح المتون الفقهية، بينما المطلوب هو أن ننظر إلى وظيفة المجتهد من واقعها، لا من واقع الأعمال التي يقوم بها الفقهاء، وذلك لأن واقع وظيفة الاجتهاد هي البحث في

(١) الفضلي، دروس في فقه الإمامية، المرجع السابق، ج١/ ٣٦١.
(٢) الفضلي، التقليد والاجتهاد، المرجع السابق/ ٩٣.
(٣) الفضلي، دروس في فقه الإمامية، المرجع السابق ١/ ٣٦٤.

النص الشرعي (الكتاب والسنة) لاستنباط الحكم منه، والفقيه عندما يرجع إلى النص الشرعي الذي هو الدليل لاستفادة الحكم منه، إنما يرجع إليه بعد أن يفرغ من إثبات حجيته وثبوت صحة الاستدلال به، ثم يقوم باستنباط الحكم منه[1].

هذه بعض ملامح البحث الفقهي عند الشيخ الفضلي، لعلها أوضحت بعض ما يمكن إيضاحه في هذا الصدد.

(١) الفضلي، التقليد والاجتهاد، المرجع السابق ص١٨٥/ ١٨٦.

نظرات في فقه العلامة عبد الهادي الفضلي: منظوره الفقهي للمرأة(*)

■ الأستاذ إدريس هاني(•) ■

ليس غريبًا أن ينحو الشيخ الفضلي منحى بيداغوجيًّا، حيث هو ثمرة طبيعية لمدرسة آلت على نفسها منذ زمن بعيد إعادة إنتاج المقررات التعليمية الحوزوية على أسس أكثر منهجية وحداثة، فالشيخ الفضلي معاصر وطالب لدى علمين من أعلام حوزة النجف الأشرف الذين عُنوا بهذا النوع من الاهتمام التعليمي والمنهجي، وكانوا قد قدَّموا في ذلك محاولات، تعتبر أعمال الشيخ الفضلي تتميمًا وإكمالاً لما لم يستطيعَا إكماله؛ وأقصد بذلك كلاً من الشيخ المظفر والشهيد السيد محمد باقر الصدر.

عُني الأول بإعادة إنتاج مقررات الدرس الحوزوي بلغة ومنهجية ميسرة، فكان من ثمرات تلك المحاولة، كتابا: المنطق والأصول للمظفر وهما الأشهر والأكثر تداولاً، حتى بات اسم الشيخ المظفر ملازمًا لهذين الكتابين، فيقال منطق المظفر وأصول المظفر، وقد وجد الكتابان لهما مكانة في مقدمات الدرس الحوزوي، بما امتازا به من سهولة في عرض المطلب واختصار يليق بمستوى مقدمات التحصيل وقدرتهما على تأهيل الطالب لمستويات متقدمة في التعليم.

وكان الشهيد السيد محمد باقر الصدر قد قدَّم على الطريق ذاته ما قصد به معاوضة تلك المقررات التي لا زالت تهيمن على السياسة التعليمية الحوزوية في سطوحها وسطوحها العليا، كفرائد الأصول للشيخ الأستاذ مرتضى الأنصاري وكفاية الأصول للآخوند ملا كاظم الخراساني.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ

(•) باحث في الفكر الإسلامي من المغرب، وعضو هيئة تحرير مجلة الكلمة.

والحق أن (الحلقات) جاءت لتغني الطالب عن كل هذه المقررات من المعالم والرسائل والكفاية، لتضع بين يديه دورة أصولية متكاملة ماءً واحدًا تؤهل الطالب لاستيعاب الدرس الأصولي خطوة خطوة، وإن كان الأمر عاد مرة أخرى ليجعل واحدة من حلقاته على الأقل، الثالثة محورًا لبحث الخارج أيضًا.

لكن أهم ما في الأمر أن السيد الصدر قدَّم دورة متكاملة بأسلوب واحد ومنهجية تراعي متطلبات كل مرحلة على حدة.

مع أن هذا لم يكن من شأنه إيقاف السلطة المعرفية التي مثَّلها كل من صاحب الرسائل وصاحب الكفاية، فالحلقات لم تعوض المقررات المذكورة، بل كانت في أكثر الأحيان بمثابة إضافة لمزيد من الاستئناس بالدرس الأصولي.

وحتى مع دراستها تترك الحاجة - ولو الحاجة النفسية - لدراسة هذه المتون التي سار عليها التقليد الحوزوي لحقب ممتدة، وهي حاجة نفسية؛ لأن الطالب يجد في الحلقات زبدة المطالب الأصولية معروضة بصورة بالغة الاستيعاب والاحترافية في تبليغ المراد.

وقد كانت هناك محاولات على درجة من الأهمية لكنها مجتزأة لم تستوف كامل المواد العلمية ولم تغطِ ما تبقى منها محررًا على سجية القدامى ومصممًا على طريقتهم في التفنُّن، وهو أمر يكلف الطالب جهودًا إضافية لحل ألغازها قبل الوقوف على مداركها التي قد تكون طوع الأفهام لو أنها صيغت بالأسلوب الميسر، وأهمية ذلك لا تخفى بالمقارنة مع تطور مناهج التعليم القائمة على ضرب من الاقتصاد الذي يصعب تحقيقه إزاء التعقيدات التي توصف بها تلك المتون، ولعل واحدًا من أسباب فشل تعويض تلك المقررات التقليدية بهذه المقررات المستحدثة، هو حالة التردد والشك والخوف من أنها لن توصل الطالب إلى منازل الاجتهاد المطلوب والدربة الكافية في عملية الاستنباط.

إن أي طريق غير طريق الأقدمين قصاراه أن يخرّج مثقفين فقهيين، ولكن لن يخرج مجتهدين فقهاء. وهذا صحيح من وجه، يدرك ذلك من وقف على الطريقين، لكن المقصود من كلامنا هو تيسير المطالب الأولى، وإخراجها من دورة الألغاز إلى دورة التعليم والتفهيم للعموم. للتعرف على مقدمات المعارف والعلوم الشرعية، يمكننا أن نتحدث أيضًا عن محاولة السيد تقي الحكيم، من خلال أبحاثه القيمة التي

قدمها في كلية الفقه بالنجف وجمعت بعد ذلك في الكتاب المعنون بـ (**الأصول العامة للفقه المقارن**)، وهو مقرر يصلح مادة للتدريس كما تفعل اليوم بعض المعاهد العلمية، وهناك تجربة **للشيخ جواد مغنية** التي تُوِّجت بكتاب أصولي مفيد يصلح دورة لمقدمات الأصول، وهو (**أصول الفقه في ثوبه الجديد**)، كما تُوِّجت بدورة فقهية كاملة، كتبت تحت عنوان: (**فقه الإمام الصادق**)، وإن قصد بها صاحبها - كما يقول - مجرد ساندويتش فقهي، فهو كتاب استطاع أن ييسر للطالب مطالب عُولجت في مصنفات كبرى كالجواهر، مع وجود لمسات ونكات دقيقة ومستملحة **للشيخ جواد مغنية**، حيث أكسبه روحًا تعليمية مميزة، وحيث حضر لديه الهم نفسه الذي خامر هؤلاء الرواد، أي صعوبة لغة المقررات التقليدية وكونها مصنفات لم تكتب أصلاً للتدريس.

هذا، مع أنني أعتقد أن هذه الكتب هي أصلاً ثمرة تدريسية إلاّ أنها مصاغة على نهج تأليفي أفقدها حيوية ومنهجية التدريس مع ما يتطلبه الأمر من حذف الزوائد وإدخال تعديلات على ما كان شفهيًّا مع احتمال التقديم والتأخير، ووجود أخطاء مطبعية وأخرى تتعلق بالنقل وتخلف الطباعة وما شابه، فالرسائل مثلاً هي جملة الأبحاث التي ألقاها **الشيخ مرتضى الأنصاري** في حضرة علماء كبار، يكفي أنها شكلت مدار بحث الخارج الذي أقامه شيخ الأصوليين المعاصرين في حضرة المجتهد الكبير **ميرزا محمد حسن الشيرازي** المعروف بالمجدد، والذي أغراه البحث لكي يقرر المكث بالنجف وملازمة درس الشيخ الأنصاري وعدم التفكير في العودة إلى أصفهان القادم منها لسبب عارض، إلى أن آلت الرئاسة الدينية وزعامة الحوزة إليه في النجف الأشرف، وهو ـ مع الفارق الزمني ـ أصبح كتابًا يدرس في سطوح الحوزة العلمية، بينما كان يومها جملة الرسائل البحثية التي ألقيت في حضرة مجتهدين كما هي حال سماحة **المجدد الشيرازي** ﯨ.

كما أن الكفاية هو نفسه ثمرة لدرس خارج كان يلقيه **الآخوند** على علماء أجلاء، قبل أن يجمع في كتاب، إنما كان لا بدّ أن يقال إنها كتب لم تخضع لنمط من البيداغوجية الحديثة، منهجية تأخذ بعين الاعتبار تكوين الطالب الحوزوي اليوم الذي يراهن على الحد الأدنى من اختصار الوقت، وينتظر شكلاً من التلقين يواكب تطور مناهج التدريس، بصورة أكثر اختصارًا وأقل استطرادًا.

في هذا السياق وفي هذا المناخ المسكون بهم تحديث المقررات التعليمية وتيسير مطالب الدرس الحوزوي للطالب، يمكننا النظر إلى الجهد البيداغوجي الذي نهض به الشيخ الفضلي وغطّى به علومًا أخرى غير الفقه والأصول، بل امتد إلى اللغة والحديث وما سواهما من المواد وفروع المعرفة، بل ويكون أكثر وأغزر في التأليف على هذا النهج، لينجز بمفرده منظومة تعليمية، ومنظومة تثقيفية متكاملة، وبذلك يكون الشيخ الفضلي قد قام بما لم تقم به مؤسسات بكاملها، بجهد فردي وإصرار عنيد وتطلع كبير قلَّ نظيره.

إن البيبليوغرافيا الفضلية هي إعادة إنتاج للمقررات التعليمية الحوزوية، في أسلوب أكثر تبسيطًا للطالب دون أن يتحقق التبسيط على حساب عمق المحتوى ودون أن يكون فيه تجاوز لمطلب من المطالب مهما بدا عميقًا. إنه التبسيط الضروري بالمنظور التربوي لمقررات الدرس وليس تبسيطًا بالمعنى الذي يتجاوز به المطالب المعمقة لصالح مطالب ميسرة، فالفضلي تعاطى مع كل الأفكار بما فيها أعمقها، فأعاد إخراجها ميسرة للطالب، وهو تبسيط يتقوَّم بعمق علمي ودربة بيداغوجية نادرة، ويكاد يكون ما قدمه الشيخ الفضلي في هذا المجال عديم النظير، كمًّا وكيفًا.

□ هاجس التحديث والتجديد

الشيخ الفضلي علم من أعلام الحوزة العلمية، استطاع أن يفيد من ثقافة عصره ويستدخل معطيات التجدد الحضاري في صلب الدرس الفقهي.

وكما نحا نظراء له لهم باع طويل في هذا الشأن، فإنه طرق موضوعات ليست محل حرج للمكلف، هكذا بالمعنى التقليدي الفردي للمكلف، بل هي حرج على الاجتماع المسلم وحرج على الوجود المعنوي للإسلام والأمة الإسلامية.

ولعل أهم مثال على ذلك مبحث ولاية المرأة، وهو حقًّا ليس محل حرج على المكلف الشرعي، حيث بلادنا العربية والإسلامية لم تنتج حتى اليوم وضعًا يجعل المرأة العربية والمسلمة الشخص وليس النوع في مقام الحرج المذكور، بل مثل هذا لم يقع حتى اليوم في بلاد المشرق العربي والخليج العربي، غير أن الشيخ يعالج هنا موردًا للحرج النوعي للأمة التي تواجه تحديات المعاصرة والتحديث، وهو يتوجه إلى مكلف نوعي مفترض هو الأمة الإسلامية، سعيًا إلى ثقافة فقهية تحرر العقل

العربي والإسلامي من تشدده حيال قضايا لا موضوع لها، حتى ولو ظهر أنه بصدد تحرير مطلب يخص المكلف الشخصي.

إن محاولات **الشيخ الفضلي** لم تكن لتهمل مجالات كثيرة محل اهتمام المصلحين والنهضويين، مثل الفقه السياسي، حيث اهتم اهتمامًا خاصًّا بموضوع الصراع العربي - الإسرائيلي من زاوية العالم المعني بتقديم مادة علمية تعزز الملف المطلبي للأمة في مواجهة الاستعمار، وذلك من موقع المؤصل لمشروعية الصراع من واحد من أهم المداخل الرئيسة **ألا وهي الفقه**، بهذا المعنى كانت محاولات **الدكتور الفضلي** بمثابة تأصيل فقهي لشرعنة الحقوق العربية والإسلامية في صيرورة الصراع العربي والإسلامي الحضاري مع الكيان الصهيوني، وأهم مدخل فقهي توَّج به ذلك هو معالجة مسألة الأرض المحتلة في ضوء أحكام الوقف، تأكيدًا على وقفية الأراضي المحتلة وعدم جواز التفريط فيها، ومن هنا تنبع شرعية الدفاع عن الأرض والوطن من منظور شرعي وفقهي أكثر تأصيلاً ووضوحًا.

وتستمر هذه المحاولة التأصيلية لموضوعات تخص الحقل السياسي، ببحث قيِّم حول مفهوم الكيان السياسي ومفهوم الاستقلال، وهي محاولة حقيقية لا تقف عند تحرير محل النزاع في كبرى مشكلات الفكر السياسي العربي والإسلامي، بل هي من ناحية أخرى تؤكد على الصلة الوثيقة بين الفقه والتفكير، بين الدين والسياسة، وهو التداخل الذي يتجاوز كونه دفعًا لشبهة من رام الفصل التعسفي بينهما من فلول العلمانية الغالية، بل دفعًا لشبهة من رام الوصل التعسفي بينهما من فلول أهل الدين، فتحرير محل النزاع في البين هو تحرير يدفع الفصل التعسفي والوصل التعسفي معًا لصالح وصل وفصل وظيفيين تتعالى عليهما مقاصد رفيعة هي مقاصد كل شأن من شؤون البشر سواء أتوصل إليه عبر الدين أو العقل فهي طرق متخالفة لكنها لا تحجب بساطة العقل لما يكون في حاق الإدراك الشامل لكل الأشياء، أي حينما يصبح هو كل الأشياء وعالًما قائمًا بذاته شمل كل الحقائق، فهي لحظة الوصل التي تتكثف فيها الحقائق ولحظة الفصل حيث ما كان عرضيًّا ينفك وما كان ذاتيًّا لا ينفك، فالعقل والنقل.. والدين والدنيا.. والحس والمثال.. طرائق محكومة بوحدة المقصد..

وبينما ظلت محاولات أكثر الرافضين للفصل التعسفي آبية عن أن تمارس ضربًا من التأصيل الحقيقي لمطالبها، فلا هي تنخل الحكم نخلاً إزاء موضوعاته، ولا هي تحسن التشخيص الأمثل للموضوع إزاء أحكامه، حيث أفردنا الموضوع وجمعنا

الأحكام، انطلاقًا من حقيقة تعدد الحكم إزاء الموضوع نفسه متى خضع لأوضاع مختلفة وملابسات متنوعة.. فالأحكام تابعة للموضوعات، فبدل التركيز على الأحكام ما علينا إلاّ الاتجاه نحو الموضوعات وبحث حيثياتها وملابساتها، فالحكم إن أدركت طبيعة علاقته الخاصة بالموضوع، أمكن تغييره من حيث كان حكمًا للموضوع لا من حيث هو حكم مطلق، فالأحكام ليست مطلقة بل نسبية، ونقصد أنها ليست مطلقة لا بالمعنى المقابل للمقيد، بل التعبير هنا يقصد أنها ليست غير قابلة للتغيير متى تغير الموضوع، فالمطلق نفسه بالمعنى الأصولي هو بمعنى آخر مقيد، مقيد بموضوعه ومقيد بحيثية موضوعه، وفي إطلاقه هو مقيد بالإطلاق لا يعني أنه مطلق، فهو مطلق حيث اقتضى منه الموضوع ذلك ومقيد حيث اقتضى منه الموضوع ذلك، فالإطلاق والتقييد بالمعنى الأصولي هو مسامحة تقوم على ضرب من الاعتبار، حيث الإطلاق مقيد بحال الموضوع، فالموضوع هو إما ما يقتضي الإطلاق أو ما يقتضي التقييد بحسب التفصيل الذي تفرضه علاقة الحكم بموضوعه، والحكم بينهما تابع وعارض ليس إلاّ.

بهذا المعنى كل الأحكام الشرعية مقيدة؛ لأنها تدور مدار مقيدها الموضوعي.

كل هذا كفيل بأن يضعنا أمام ما به امتياز الطريقة الفضلية في معالجة موضوعاته بما في ذلك أكثر الموضوعات مثارًا للاستشكال.

وفي طليعة ذلك معالجته لموضوع تولي المرأة للمناصب السياسية والحكومية - التي سنجعلها مثالاً مختصرًا عن الطريقة التي ينهجها الشيخ الفضلي في تدبير مسائله - انطلاقًا من رؤية فقهية استدلالية، تشهد على أن الشيخ الفضلي هو بصدد تأسيس منظومة متكاملة تمد الباحث بأهم الاستشكالات والنكات الفقهية الضرورية في عملية إصلاح الفكر وتجديد الفقه الإسلامي، وهذا الحس المنظومي الذي يجعل محاولاته كلها تأتي ماءً واحدًا وتخضع للمنهج نفسه في التحليل والتركيب، ستكون لها أهمية إذا ما تم استكمال حلقاتها وجمعها في موسوعة للأعمال الكاملة، فحينئذٍ ليس بعيدًا أن تمثّل لوحدها مدرسة متكاملة، جامعة مانعة تقدم للقارئ تصورًا شاملاً عن الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، في قالب حديث وميسر وحيوي.

□ تجديد المنظور الفقهي إلى المرأة

- لماذا المرأة؟

لم يكن الشيخ الفضلي ليفوته طرق موضوع كهذا لما له من أهمية في ضوء الجدل القائم اليوم حول المسألة النسائية، وليس ذلك فقط ينم عن حس المعاصرة الذي يكاد يحكم كل بواعثه التأصيلية فحسب، بل لأن لا مدخل للتحدث إلاّ عبر موضوع المرأة، وحتى وإن كان واقع المجتمع العربي والإسلامي مهما تطورت قوانينه لن يتقدم جذريًّا بوضعها ما دام أن السلطة لا زالت للأعراف والتقاليد، ومن شأن الفقه المبادر والمجتهد أن ييسر الانتقال السلس لوجدان الاجتماع العربي والمسلم إلى فضاءات سيصلها عبر صيرورة الإكراهات الموضوعية للتحديث، موضوع المرأة لم يغب عن شواغل النهضة العربية ورواد الإصلاح، ففي كل نصوصهم كنا نواجه شكلاً من المقاربة للمعضلة النسائية وحقوق المرأة، عند الكواكبي وخير الدين التونسي وعند قاسم أمين وعند الحجوي الثعالبي...

في المجال الشيعي نجد مراكمات كبيرة في هذا المجال، وإن كان الضوء لم يسلط عليها بالشكل المطلوب، لكنها تعتبر خطوة جريئة وكبيرة على طريق دعم المسيرة الحقوقية النسائية، ومنها تبرز محاولة الشيخ الفضلي كواحدة من المبادرات القيمة في هذا المجال.

تنطلق المعالجة الفضلية من جملة المطروح في النماذج الفقهية التي تعرضت لشرعية تولي المرأة لبعض الوظائف في الدولة الإسلامية، حيث خرج بنتيجة مؤداها أن جل من تعرض لهذه المسألة كان حبيس تصور خاطئ لمفهوم الولاية في الفقه الإسلامي، ذلك لأنهم لما ظنوا أن تولي المرأة لمناصب ووظائف في الدولة من شأنه أن يمنحها هذه الولاية، قالوا بعدم الجواز، حيث لا حق للمرأة في الولاية أصلاً.

وهذا في رأي الشيخ الفضلي مدفوع، لأن الشبهة في المقام قائمة على تصور خاطئ للولاية يبدأ بإعطائها معنى واحدًا من جهة وإعطائها معنىً فقهيًّا خالصًا من جهة أخرى.

والحق في نظر الشيخ الفضلي أن الولاية ليست معنى واحدًا في الاستعمالات الفقهية، ولا هي بالأساس مصطلح فقهي.

فالرجوع إلى الاستعمالات الفقهية لا يفيد في هذا المجال، بل المعوَّل عليهم القيام بمجهود استقرائي في المعجم العربي والفقهي الإسلامي للوقوف على المعاني الممكنة للولاية، للوقوف على مدلولاتها في أي سياق فقهي أو نص خاص، بمعنى آخر يريد الشيخ الفضلي أن يقول إن مفهوم الولاية هو لما استعمل له وبحسب السياق الخاص للاستعمال وليس مفهومًا يحمل الدلالة نفسها مطلقًا.

هذا المنحى التجزيئي وأيضًا نَقْل النقاش إلى صلب المفهوم ذاته، عملية فقهية استدلالية ذكية تبدأ بتحرير محل النزاع وصولاً إلى فروع الإشكال.

لقد انتهت المحاولة الفضلية في استقراء مختلف استعمالات مصطلح الولاية في المعجمين اللغوي والفقهي الإسلامي إلى حصرها في معاني أربع، تحدد مفهوم الولاية الشرعية التي يقابلها حسب **الشيخ الفضلي** مفهوم الولاية القانونية في القانون الوضعي:

- حق التسلط.
- حق التصرف.
- حق القيام بشؤون الآخر.
- واجب المسؤولية.

محاولة **الشيخ الفضلي** تمس الأسس والأصول الذي بنى عليها القوم قولهم بعدم جواز تولي المرأة لهذه المناصب، محاصرًا إياها في مبادئها وقواعدها الأساسية؛ فالمنهج الاستقرائي الذي اقترحه بديلاً عن المنهج الاستنتاجي الفلسفي هو المخرج الوحيد لتجاوز المنظور التقليدي من مسألة تولي المرأة لمناصب في الدولة.

ومن هنا **فالشيخ الفضلي** يميّز بين ما كان من الولاية منصوصًا عليه من مصادر التشريع (الكتاب والسنة)، وما كان منها جاريًا على وفق ما قررته سيرة العقلاء وسيرة الناس وأقره الشرع.

والأول كما لو تعلق الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو كما يظهر لا يميز بين الرجل والمرأة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

أو مبدأ الرعاية: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، وهو كما رأيت ليس فيه تمييز.

أو مبدأ التسلط على المال للرواية: «**الناس مسلطون على أموالهم**»، وهو كما رأيت لا يميز بين حق المرأة والرجل في المقام.

وأما مثال غير المنصوص، فهو كل ما استنتج من ولايات من خلال الإجماعات وسيرة العقلاء والاستنتاجات الفلسفية، ومثاله ولاية الأب والجد على عقد نكاح الصغير والصغيرة التي هي من العرف الذي أقره الشارع ليس إلاّ.

يذكِّر **الشيخ الفضلي** بضرورة النظر إلى الأحكام نظرة مقاصدية، تراعي مبدأ جلب المصلحة ودرء المفسدة. وهو الطريق الذي يجنبها الأسلوب الفلسفي الاستنتاجي الذي لم يكن هو مناط التشريع رأسًا.

وكما أن التشريع يراعي التوازن في قوى وملكات الإنسان لا يميز بين ذكر وأنثى، فإنه في «إسناد الوظيفة وإناطة المسؤولية يشترط التشريع الإسلامي التوفر على عنصرين، هما: الكفاءة والأمانة».

يرى **الشيخ الفضلي** في كل ما آل إليه النظر الفقهي لمسألة الولاية، وجود نزعة للمقايسة بين المناصب في الدولة الإسلامية والمناصب في مجتمعات الأسياد والعبيد.

وهو كما يرى قياس مع الفارق، فالمتصدي للوظيفة في الدولة الإسلامية مهما بلغت مسؤوليته هو مجرد منفذ ولا سلطة له إلاّ في حدود ما تقتضيه الوظيفة من التسلط لإنجاز المسؤولية وتنفيذ الواجب.

فمثل هذه الولاية لا تثبت سوى: إعطاء حق أو فرض واجب أو إناطة مسؤولية.

وليس للسلطة والسلطنة والتسلط من معنى آخر، وفي ضوء هذه المقاربة المقاصدية التي ترقى بمفهوم السلطة إلى أن يكون مجرد شرط لتحقيق الوظيفة وليست سلطة مطلقة، سوى أن تكون إحدى مقتضيات إنجاز وظيفة الدولة.

والحق كما يمكن أن يفهم بعد ذلك أنه حينما تتوزع السلط بهذا المعنى على جميع وظائف الدولة، ولا تقوم إحداها إلاّ بالانضمام إلى باقي السلط، فلن نكون أمام هذا المفهوم التقليدي من السلطة والتسلط والسلطنة.

نحن هنا أمام طريقة ذكية ومثقفة في تحليل مفهوم الولاية، استنادًا إلى المقاصد واستبعادًا للمقايسة المذكورة على الاجتماع العبودي، لترقى الطريقة الفضلية إلى مستوى من المعالجة تقارب موضوعها في ضوء القطيعة في مستوى النموذج المعرفي والاجتماعي والثقافي، حيث مفهوم السلطة نفسه شهد من التحولات في المنظور الحديث ما حاد به عن المنظور التقليدي، فالسلطة في الدولة الحديثة ليست سلطة كليانية بل هي سلطة وظيفية يقتضيها الجهاز: جهاز الدولة.

السلطة هنا علائقية ومركبة ونسبية وليست مطلقة، بل تستقي معناها من الكفاءة – la competence – والتراتبية بمدلولها الوظيفي – fonctionelle – لا التسلطي.

وهي لا تعني شيئًا عندما نخرج بها من عهدة النسق ووظيفة الجهاز.

هكذا يرى **الشيخ الفضلي**، حيث: «ومتى فهمت الولاية بالشكل المذكور – في أعلاه – تكون للمرأة كما تكون للرجل عند ممارسة حق أو أداء واجب أو قيام بمسؤولية، من غير فرق بينهما».

☐ المعالجة الأصولية النقدية

يقترح **الشيخ الفضلي** القطيعة مع الأصل المقرر في المقام؛ لأنه ينبني على نسق معرفي لا يناسب فلسفة الأحكام ولا يحقق مقصود الشارع.

وليس الرجوع إلى أصل العدم المعمول به في المقام إلاّ ضربًا من الاحتياط الذي يلجأ إليه متى حصلت الشبهة في مقام الولاية.

والحق أن أصالة العدم كما جرى العمل بها في الفقه الشيعي الإمامي من شأنها أن تحاصر ضروب الاشتباه في موضوع الولاية بالمعنى التقليدي للولاية، وهو المفهوم الذي رفضه **الشيخ الفضلي** ونظر إليه خارج المنظور المعرفي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات التقليدية التي لا زالت تحت تأثير نمط الاجتماع العبودي.

وهو نمط يناقض فلسفة التشريع الإسلامي وأيضًا القانون الوضعي من أن المتسلط برسم الوظيفة في جهاز الدولة لا يمارس سلطة ذاتية ومطلقة، بل يمارس أو بالأحرى ينفذ وظيفة تقتضي في حدود إنجاز الوظيفة وإنجاحها ضربًا من التسلط، تسلط لنقل وظيفي وليس مطلقًا.

بهذا كأنما نكون أمام محاولة فضلية لسلب الموضوع عن القضية، فتصبح خارجة عنه تخصُّصًا، وهذا جري حسن سلك على دربه الكثير من المجتهدين الذين متى أعياهم النظر في الأحكام راموا تفكيك الموضوع، فغيروا الحكم متى ظهر تغير في الموضوع لجهة اتباع الأحكام للعناوين.

محتوى أصالة العدم نفي الولاية لأحد على أحد لجهة كونها من الأمور الحادثة، وما كان حادثًا وجب معه استصحاب العدم.

ولا يستثني الفقه الإمامي من أصل العدم سوى ما ثبت بالدليل في شأن النبي والإمام، على أنه لا بد من التذكير بأن ضم الإمام إلى الرسول في هذا الاستثناء لا يقصد منه الإمام بالمعنى العام، أي الحاكم كما يقع الخلط عند الكثير من غير الإمامية، بل المقصود الإمام المنصوص على خلافته للنبي في بيان الشريعة والاضطلاع بدور الرسالة من بعده، وما عدا ذلك لا سلطة لأحد على أحد إلاّ ما خرج بالدليل، وهو مورد الاستثناء المذكور.

إلاّ أن الشيخ الفضلي لن يقبل بهذا الأصل، ليس لعدم حجيته مطلقًا؛ بل لأن مورده السلطة والتسلط بمعناهما التقليدي القائم على التصور الفلسفي، وهنا لا بدَّ أن نخصص أكثر، حيث يقصد الشيخ الفضلي وكل من يتحدث في سياق النقاش الفقهي عن المنهج الفلسفي، المنهج الفلسفي التقليدي، وإلاّ فالمنهج الفلسفي الحديث هو أكثر ميلاً للتنسيب وأقل إيغالاً في التطليق، وهو الحكم بالعدم في كل ما كان حادثًا متى حصل الاشتباه.

وبهذا يكون الشيخ الفضلي قد وضع اليد على إحدى أهم الأصول التي فوتت حق المرأة في تولي الكثير من الوظائف، ونفي ولايتها في كثير من الأمور: «قد كان هذا الأصل أقوى مساعد للفقهاء في نفي ولاية المرأة عن كثير من الأمور، ومن ثم منعها من ممارسة كثير من الأعمال والوظائف».

من هنا يدعو الشيخ الفضلي إلى نهج الطريقة الاستقرائية لا الطريقة الفلسفية.

والمقصود في استعمالات هذا التمييز، محاولة استبعاد عملية الاستنباط من مجرد الاستنتاج العقلي المجرد، ونهج الطريقة الإحصائية والاستقرائية في صلب المصادر التي تشكل مرجعية الحكم الأساسية.

الخطوات التي يقترحها الشيخ الفضلي في نهج الاستقراء المذكور تقتضي البدء باستيفاء البحث في النصوص الخاصة، وإن تعذر ذلك بلغت النوبة إلى النصوص العامة.

فالشيخ الفضلي يريد بذلك أن يجد قطيعة موضوعية بين مجالين على درجة كبيرة من الاختلاف: مجال التشريع، حيث هو مورد لمنطق الاعتبارات، ومجال التكوين الذي هو مورد الأحكام الفلسفية، ومنها أصالة العدم المذكورة.

ولذا لم يشأ أن يضع أصل العدم في طول خيارات المستنبط؛ ذلك لأنه رأى في النصوص الخاصة والعمومات ما يغني عن وصول النوبة إلى هذا الأصل، حيث مع فرض عدم كفايتها فإن النوبة تصل إلى الإجماعات، وذلك بقيد النظر في حجيتها، وإلاّ فلا يؤخذ بها حين عدم حجيتها لمقام التفصيل في المقام.

هكذا، حاول الشيخ الفضلي أن يغيّر المنظور من أساسه وينصب في طريقه منطقًا مغايرًا مانعًا من تطبيق أحكام التكوين على موارد التشريع، ليصل إلى أنه ما لم نقف على رأي شرعي بخصوص ولاية المرأة من النصوص الخاصة والعمومات وفي أقل التقادير من الإجماعات المُطمَأَنّ بحجيتها، فإننا نصل بهذه الطريقة إلى تقرير نتيجة مناقضة لمقتضى أصالة العدم، أي القول بعدم وجود أي فرق بين الرجل والمرأة في مقام تولي المرأة لمثل هذه الوظائف، ولا يقع الاستثناء إلاّ بدليل واضح في إثبات ولائية الوظيفة مناط البحث.

لقد بحث الشيخ الفضلي مسألة الولاية التكوينية والتشريعية ليخلص إلى أن مثل هذا على الأقل في منظور الإمامية مما تأكد جعلاً للنبي والإمام والفقيه العادل؛ بالمعنى الموسع الذي يفيده معنى الولاية والتسلط بمقتضى: النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وهو إذ يذكِّر بمعنى الولاية المستثناة من عموم قاعدة التسلط، ليشير إلى أن موضوع الوظائف المبحوث في المقام لا يساوق مفهوم الولاية بالمعنى المذكور.

ويزيد المسألة تحقيقًا بمعالجة مفهوم القوامة، حيث ردّ كل محاولات تعميم قوامة الرجل على المرأة خارج خصوص العلاقة الزوجية.

فالقوامية لا تعني عنده القيمومة بالمعنى الذي تفيد التسلط، بل تحمل مفهوم الرعاية، حيث الإنفاق هو أحد مصاديق هذه القوامية.

وقد وفق الشيخ الفضلي في ذلك لما عزا هذا الانزلاق في حمل معاني التصرف والتسلط على مفهوم القوامة، إلى بنية المجتمع العربي ذي الطابع الذكوري.

ومن ثمة ردّ التعدي والإطلاق بمفهوم القوامة خارج نطاق عقد الزوجية ووظائفها، وليس التفضيل هناك إلاّ تعبيرًا عن الكفاءة والقدرة والأهلية في التدبير والرعاية، وذكر الرجال والنساء في المقام لا يدل على الإطلاق والعموم.

كما تطرّق الشيخ الفضلي إلى مسألة حكم المرأة والإفتاء والقضاء، فأتى على أدلة من اشترط الذكورة، فبعد أن بيّن عدم حجية أصالة الحكم وعدم مناسبتها للمفاهيم الشرعية رأسًا، تتبع كافة الأخبار التي استند إليها القائلون باشتراط الذكورة ووقف عند ضعفها، ليؤكد على أنها لا تصلح دليلاً.

وحيث لم يبق إلاّ الإجماعات، تتبَّعها وأظهر عدم كفايتها في وجوب اشتراط الذكورة، بل إن الرجولة في استعمالات المشرِّع هي من جهة التغليب لا التعبد لجريان سنة الاجتماع على التلازم بين القضاوة والرجال.

وفي موضوع تقليد المرأة، بحث أيضًا موضوع اشتراط الذكورة، واستشهد بآراء مهمة في هذا المجال، أهمها تعليق السيد السبزواري في المهذب على قول صاحب العروة الوثقى: «السيرة المتشرعة، وانصراف الأدلة عن المرأة، مع ذكر الرجل في بعضها.

ودعوى أن قيام السيرة على الرجوع إلى الرجال إنما هو لعدم وجود امرأة مجتهدة جامعة للشرائط من كل جهة، لا أنه مع وجودها لا يرجع إليها، وأن الانصراف بِدْوِي لا اعتبار به كما ثبت في محله، وأن ذكر الرجل إنما هو من باب المثال لا التخصيص كما هو الأغلب، مردودة بأن المستفاد من السيرة قيامها على اعتبار الرجولية حتى مع وجود امرأة مجتهدة كما هو المشاهد بين المتشرعة في عدم رجوعهم إلى النساء مع وجود الرجال في أحكام الدين، والانصراف محاوري معتبر، ونعلم أن ذكر الرجل من باب التخصيص لا المثال، مع أنه وردت إطلاقات من الروايات على عدم الاعتماد عليهن، ويشهد له ما ورد من أنه (ليس على النساء جمعة ولا جماعة) إلى أن قال عليه السلام: «ولا تولى القضاء ولا تستشار».

هكذا يخلص الشيخ الفضلي إلى تأكيد أهمية تغير الأحوال وصيرورة الزمان ومدخلية ذلك في تغير المنظور إلى المرأة واختلاف الحكم لتغير العناوين واستحالة

الموضوعات وما إليها من مفاهيم هي العمدة في عملية الاستنباط الرشيد المؤطر بحس درائي كبير لا لمجرد الحشو المستفيض والترديد المميت القائم على الإطلاقات والتعميمات الظاهرية للنصوص من دون إعمال نظر، لذا يقول: «على أن اختلاف الزمان يتدخل في اختلاف المستوى لتحمل المسؤولية.

فيوم كانت المرأة ربة بيت فقط، غير مفسوح لها المجال في تعلّم العلم والتزود بالثقافة العامة والخاصة التي تسهم في بناء المجتمع ورفع مستواه إلى ما هو أفضل كانت غير مؤهلة للقيام بأعباء المسؤوليات الكبار.

أما اليوم، حيث فسح لها المجال للتعلم والتزود بالثقافة وممارسة مختلف المهارات العلمية، والفعاليات الاجتماعية، وأثبتت قدرتها من خلال التجارب على تحمل أعباء المسؤوليات الكبار، أصبحت لا تختلف عن الرجل في ذلك، وهي وإياه على صعيد واحد من حيث المستوى والقدرة».

اهتمام الشيخ الفضلي بمسألة المرأة وحقها في تولي وظائف سياسية في الحكومة الإسلامية، دليل إضافي على مدى اهتمامه بالتحديات التي يزخر بها الواقع، وهي بالجملة مصدر تحدٍّ للفقه الإسلامي إذا لم يتولَّ بحثها أهل النظر والفكر والاجتهاد، فسيظل الفقه الإسلامي متهمًا دون سائر النظم بأنه ظالم للمرأة، والحق أن المسلمين إذا لم يجتهد فضلاؤهم في استنباط ما يواجهون به مواقف وآراء الظلامية التي تفتقر إلى الثقافة والفقه، وتحوِّل بخطابها السيئ الأحكام الإسلامية المستنيرة العادلة إلى أحكام جائرة ومتعصبة قبل أن يواجهوا به من لا يزال يبني رؤيته للإسلام على مواقف يدركون قبل أن ندرك نحن مدى غربتها عن تطلع المجتمعات العربية والإسلامية.

الشيخ الفضلي يظل عَلَمًا رائدًا في الأمة ومفخرة كبيرة للحوزة العلمية، سوف تذكره الأجيال القادمة بمزيد احترام وجليل تقدير وكثير احتفال، فهو قدَّم من الآثار ما لم يقدمه غيره ممن مُنِحُوا هذا الاهتمام وكُرِّموا على مستوى رفيع من التكريم، وإن كان هذا حال معظم علمائنا الذين قدموا للأمة وللعلم الإسلاميين نفائس لا تضارع، وقضوا نحبهم دون أن يُكَرَّموا جزيل التكريم، فإن السؤال يظل ملحًّا: متى نكرم أحياءنا قبل أن تكرمهم أجيال غير أجيالنا، فإذا كان تكريم الموتى إحياء لذكراهم فتكريم الأحياء زيادة في باعثية الحي.

قراءة في موقف العلامة الفضلي من جدل الأنماط(*)

■ السيد حسن الخليفة(•) ■

بَيِّنٌ من العنوان أنَّ هناك عقلاً مُسْتَحوَذٌ عليه، ومُسْتَحوِذٌ، مأسورٌ وآسِرٌ، وأنَّ في البين إرادة تحرير تشكَّلت على الأساس من رؤية أنتجت موقفًا من جدل الأنماط متمثلاً هذا الموقف في منتج ملفت، يستدعي فعل قراءة تستجلي التحرير باعتباره قيمة إبداعية في العطاء الفكري **للعلامة الفضلي**.

وهو ما تطمح إليه هذه القراءة.

□ إشكالية النمط

تطلق كلمة النمط (Type) ويراد بها عدة معانٍ، كالنوع، والصنف، والطراز، وتطلق كذلك «على الطريقة الأساسية التي يصطنعها المرء لتوجيه طاقته النفسية»[1]، وإذا أشار المعنى الأخير إلى البعد النفسي في الشخصية الفردية كالانبساطية والانقباضية، فإن المراد هنا السلوك المنمَّط، ولكن على الصعيد الفكري.

لاحظ أنه ـ إلى الآن ـ لم يحضر المنهج (Curriculum) فالنمط غير المنهج. إنه أخص منه؛ لأنه ـ أعني النمط ـ لا في الإعلان عن الانتماء إلى منهج ما، وإنما أثناء ممارسة المنهج، فهو داخل في نسيجه، ولا يعدو سياقاته.

وإلاّ، فلماذا يظهر الفرق أحيانًا بين باحثين ينتميان إلى منهج واحد، ويبحثان قضية واحدة لموضوع واحد، ولماذا يهيمن سياق على كثيرين يخرقه آخرون غير منمَّطين.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) أديب وباحث إسلامي من العراق.

(١) صليبا، الدكتور جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ٢/ ٧٠٥.

إن وحدة الموضوع والقضية والمنهج لا توحد النتيجة مطلقًا، وما ذلك إلاّ للتفاوت الحاصل في الأنماط ومستويات التعاطي معها ضمن تلك الوحدات كلها.

ومن هنا كانت الإشكالية.

ولكي نسلط الضوء على الوقوع في أسر التنميط لدى ممارسة العملية المنهجية، لا بدَّ من الإشارة إلى نماذج انزلق فيها النهج نحو التنميط، ولأن العقل ـ هنا ـ بمثابة البؤرة من جدل الأنماط في عنوان القراءة هذه، فسأقتصر على مناهج الدرس الكلامي لرصد تنميطاتها رصدًا نقديًّا مستفيدًا من ترسيمة شيخنا العلامة الفضلي لتلك المناهج في خلاصة علم الكلام.

□ المناهج الكلامية وانزلاقات التنميط

يؤكد شيخنا **العلامة الفضلي** أن «منهج البحث في علم الكلام، أو الطريقة التي يعتمدها الباحث في دراسة مسائله وقضاياه، أفكاره ونظرياته، يختلف باختلاف وجهات نظر علمائه ومدارسه التي تعرف بالفرق الكلامية في المنهج الذي ينبغي أن يتبع في دراسة وبحث الفكر الديني»[1].

ما يعني أن تلك الفرق، أو المذاهب أو المدارس الكلامية لا تعدو في بناها المعرفية وفي هيكلية تنظيم أفكارها اختيار واحد من المناهج التالية:

- المنهج النقلي أو (البياني) الذي يعتمد على النص الشرعي وما يؤدي إليه مصدرًا وتفسيرًا. وهو منهج أهل الحديث من الظاهرية، والسلفية، وغيرهما.

بيد أن النقليين يختلفون فيما بينهم، ولذلك كانوا مذاهب عدة، من ظاهرية وسلفية، وحشوية، و...، ولعل فرقة الحشوية تمثل بين أهل الحديث النقليين النموذج الأجلى في الوقوع في شرك التنميط، فقد وصل بهم الحد إلى القول عن الله سبحانه وتعالى أنه: «جسم من لحم ودم، وله الأعضاء، حتى قال بعضهم: اعفوني عن اللحية والفرج، وسلوني عما وراءه»[2].

(١) الفضلي، الدكتور عبدالهادي، خلاصة علم الكلام، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص١٧.

(٢) العريبي، د. محمد، المنهاج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٤م، ص٧٦.

إنَّ أصول المنهج النقلي في جوهرها الصافي لا يمكن أن تسلم الناهج إلى هذا المستوى من الشطح والشطط، وإلاّ لوقع كل النقليين البيانيين فيما وقع فيه مشبِّهة الحشويّة الذين لم يبالغوا فقط، بل غالوا في الاستسلام للتنميط على انتهاجهم النقلي البياني.

- المنهج العقلي أو (البرهاني) الذي يلتزم البراهين والمبادئ العقلية الفلسفية الكلاسيكية وما ينسجم معها من أنظمة تفكير، وهو منهج المؤوِّلة ـ كما ينعتهم أهل الحديث ـ من معتزلة ومن تأثر بهم.

وقد ابتنى العقليون أصول منهجهم على ما يلي: «

١. الضرورة العقلية (بداهة العقول).

٢. سيرة العقلاء.

٣. البديهيات العقلية (المنطقية)، وهي: استحالة الدور واستحالة التسلسل، واستحالة اجتماع وارتفاع النقيضين.

٤. المبادئ الفلسفية المسلَّم بها، مثل: مبدأ العلية، مبدأ القسمة إلى الواجب والممكن والممتنع.

٥. اعتبار النصوص الشرعية مؤيدة ومؤكدة لمدركات العقل وأحكامه.

٦. تأويل النصوص الشرعية التي تخالف بظاهرها مرئيات العقول وفق مقتضيات القرينة العقلية.

٧. الأخذ بالمتشابه بتأويله في ضوء ما ينهي إليه النظر العقلاني»[١].

واختلاف العقليين فيما بينهم أدى إلى مذاهب واتجاهات ضمن المنهج أو أن كثيرًا من المذاهب والاتجاهات الكلامية تأثرت بالعقل الفلسفي الذي بلغ الذروة في المنهج العقلي لدى المعتزلة، فـ«لم يكن هناك عالم من علماء المسلمين بعد نشوء المدرسة العقلية على أيدي المعتزلة إلاّ وتأثر بمنهجهم منذ نشأتهم إلى يومنا هذا»[٢].

---

(١) خلاصة علم الكلام، م. س. ص١٨ - ١٩.

(٢) آل جعفر، الدكتور مساعد مسلم عبدالله، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ص٣٣٩.

الأمر الذي يفضي إلى تشكيل تنميطات عدة ضمن المنهج العقلي بسبب كثرة المنتمين إليه، فالمعتزلة وحدهم يناهزون العشرين فرقة[1]، ومن تأثر بهم من مذاهب واتجاهات غير قليلين، ما يعني كثرة الشطط والوقوع في أسر النمط.

إن أصول المنهج العقلي المشار إليها ـ هنا ـ بتفصيل أكثر من أصول المناهج المساوقة انسجامًا مع كون البحث منصبًّا في أساسه على العقل وكيفية تحريره من أسر نفسه، ومن وقوعه في دائرة جدل الأنماط للمناهج الكلامية المصاحبة، أصول المنهج العقلي تلك لو تم ضبط إيقاعها لِتَسْلم من التورط في التنميط لما وقع منتهجوها من العقليين في الشطحات المبطنة ليقولوا بمثل نظرية العقول أو الأفلاك العشرة، وبمثل نظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد، وبمثل المُثل الأفلاطونية وما إلى ذلك. الأمر الذي سنقف عنده فيما بعد.

- المنهج التكاملي الذي يؤمن بإمكانية الجمع بين المنهجين (النقلي والعقلي)، إذ لا تعارض بينهما في حقيقة الأمر، وهو منهج الإمامية والأشاعرة، وغيرهما من التكامليين أو (النقلعقليين).

إن أصول المنهج التكاملي (النقلعقلي) تبدو أكثر اتزانًا من أصول المنهجين (النقلي والعقلي) كل على حدة، بيد أنه ما وقع من نزوع نحو الوقوع في أسر التنميط لدى النقليين من جهة، ولدى العقليين من جهة قد يقع لدى التكامليين حين ينفلت من سيطرتهم ضبط الإيقاع بين الجهتين في كفتي الميزان.

بل الأدهى من ذلك، حين يدخل المنمَّط النقلي مع المنمَّط العقلي في جدل كي يتنافيا فإذا بهما يتحدان ليكوِّنا من اللا مقبول النقلي، واللا معقول العقلي مكونًا مركبًا بصورة معقدة من الوقوع في أسر النمط التكاملي متوهمًا أنه لم يشطح عن المنهج.

ولعل القول بالحقيقة المحمَّدية النموذج الأجلى لتكاملية توفيقية أو تلفيقية بين نصوص غير ثابتة سندًا ودلالة لدى المحققين من النقليين، وبين نظريات فلسفية لم تصمد أمام نقد المحققين من العقليين.

- المنهج الوجداني أو (الذوقي) الذي يؤمن بالتجربة الروحية طريقًا لتصفية الباطن وتربية الظاهر وإدراك الحقائق بالحدس والإلهام والكشف لا بالاستدلال

(١) العريبي، د. محمد، م. س. ص٦١ - ٦٥.

والبرهان، ما يؤدي إلى التعلق بما يدهش كالخوارق باعتبارها كرامات أو فيوضات تدل على القرب من المحبوب والاتصال بالمعشوق.

وهو منهج الصوفية.

ولأن الوجداني (الذوقي) تجربة شخصية، فلا سبيل للبرهنة على معطياتها عقليًا ولا حسيًا، ومن هنا كان النكير عليه من الخصوم. قال ابن عربي (ت ٦٣٨هـ): «وينكرون الذوق؛ لأنهم ما عرفوه من نفوسهم، مع كونهم يعتقدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة، وكذلك هو الأمر، أصحاب الأذواق على طريقة واحدة بلا شك، غير أن فيهم البصير والأعمى والأعمش، فلا يقول واحد منهم إلاّ ما أعطاه حاله، لا ما أعطاه الطريق، ولا ما هو الطريق عليه في نفسه»[١].

إذا كانت الطريق واحدة وفيهم البصير والأعمى والأعمش، ولكلٍّ أحوال ومقامات، فكيف إذا كان لكل شيخ طريقة. إن من يقرأ الفتوحات المكية، على سبيل المثال، سيجد شواهد عدة للوقوع في أسر التنميط، وما تجارب بعضهم التي خلطت الخواطر بالخوارق والكرامات والإلهامات والأوفاق والطلسمات والحدوس إلاّ دليل على كثرة قبول الوجداني لما يوصف بشطحات الصوفية[٢] على الرغم من الكثير من جوانب الجمال في حالات الصفاء الوجداني إن لم تفترس من شطط الغلو ومن الوقوع في سحر النمط.

- المنهج العرفاني الذي يضيف الوجدان ويُعلي منه بجانب النقل والعقل في عملية تكاملية تؤمن بضرورة الجمع بين البياني والبرهاني والوجداني.

وهو منهج الإسماعيلية، وغير واحدة من الفرق الأخرى[٣].

والمنهج العرفاني تكاملي الأصول، ما يعني أنه مركب من النقل والعقل والوجدان، فيقال فيه ما قيل في المنهج النقلي، والعقلي، والوجداني، وما قيل أيضًا في

(١) القاسم، محمود عبدالرؤوف، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، بيروت، توزيع دار الصحابة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص١٠، نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي ٣/ ٢١٣.

(٢) م. ن، انظر الفصل السادس منه (الصوفية والسحر)، ص٨٥٩ - ٨٧٠.

(٣) خلاصة علم الكلام، م.س. انظر (منهج علم الكلام)، ص١٧ - ٢٠.

المنهج التكاملي من حيث الوقوع في أسر النمط أحيانًا، وفي مفارقة ضبط الإيقاع الداخلي لمكونات المنهج.

والعرفانيون كثر، لا يجمعهم مذهب واحد أو اتجاه محدد، إلاّ أنَّ منهجهم له خصوصية في إضفاء طابع عام على إنتاجهم يتَّسم بتحرك الوجداني بين البياني والعقلي؛ لذلك فإن الانزلاقات النمطية غير مأمونة إذا لم يضبط الإيقاع وإذا انضبط أشرق وانطلق بعيدًا عن ظلمات النمط.

☐ بين جدل المناهج وجدل أنماطها

لا شك أن المناهج الكلامية (النقلي/ العقلي/ التكاملي/ الوجداني/ العرفاني) كانت وليدة السياق الجدلي لدى الفرق الكلامية، ما يعني أن تشكُّل هوية لكل منهج واتضاح أصوله عنصر أساس في ضبط إيقاع الجدل فيما بين الفرق الكلامية على الأساس من وعي المناهج التي تحركها من الداخل وتعمل على الاستفادة من مرجعياتها الفكرية المتنوعة لتقوم فيما بينها عمليات تداخلية تخارجية تعمل - في جوانبها الإيجابية - على إبقائها في حالة من الحيوية والخصوبة المنتجة، وفي جوانبها السلبية تراوح منوالها فتصاب بالعقم والجمود. فحينئذٍ ستتوالد الأنماط فيما بينها، فتطغى على الجو لتأسر العقل الفطري وتكسر أجنحته، ليصبح في قفص العقل المنهجي معتقلاً، لا لينطلق العقل المنهجي الكلامي في فضاءات العقل الفطري ليسلم من إفرازات التنميط المتولدة في هذا السياق.

إن كل منهج من المناهج الكلامية المشار إليها يحتاج إلى موقف يتأسس على الفحص والتحليل والتعليل لتصفيته من الشوائب والتنميطات المتراكمة ولتخليصه من الأصر والأغلال متطهرًا يصلي في محراب العقل الذي به تَعَبَّدَنَا الله سبحانه وعليه فطرنا.

بيد أنني سأقف على العقلي فقط باعتباره منهجًا في سياق العقل باعتباره فطرة لأفهم ماهية الأسر، وكيفية أسر العقل نفسه، وبالتالي الحاجة للتحرير، وماهيته، التي تأبى الانجرار وراء سلطة النمط، وكيف استطاع شيخنا العلامة الفضلي ـ أفادنا الله بعلمه ـ أن يخوض الغمار دون أن يقع تحت سلطة النمط، ليبقى دائمًا صاحب العقل الحر المبدع لنستوحي من فكره الخلّاق، ومن سيرته العلمية الرائدة - تحرير العقل من نفسه.

نظرية الفيض (Emanation) أو الصدور (Procession)

في المعجم الفلسفي إن «المقصود بالفيض أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد...»[١]، وأن الصدور يطلق «في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على فيض الموجودات عن الواحد...»[٢]، «فالصدور إذن هو الفيض»[٣]، «والفيض مرادف للصدور»[٤].

لم يقف الفلاسفة والمتكلمون عند هذا الحد في تصور الصدور والفيض عن الله الواحد خالق الموجودات كلها، وإنما تحدثوا في ذلك الفيض والصدور، وفي كيفية صدور كل هذا العالم الكثير المركب عن الواحد البسيط.

فهل يعطي الواحد متعددًا، والبسيط مركبًا، وفاقد الشيء لا يعطيه، إذ لا بدَّ من وجود سنخية بين العلة والمعلول...، وهو ما يعرف عندهم بنظرية الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. فكيف كان تعاملهم مع النظرية في سياق الفيض الإلهي للوجود.

□ نظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد

قال أستاذنا **الشيخ الفضلي**: «قد ذهب جلُّ متكلمة وفلاسفة المسلمين إلى انطباق وتطبيق هذه النظرية على المبدأ الأول؛ لأنه واحد، ولا تكثّر فيه، فقالوا: لا بدَّ أن يكون الصادر الأول عنه واحدًا وفي سلسلة تتكثر فيها الجهات لتعطي الكثرة»[٥].

وبعد أن أوضح أن «مؤدى النظرية: أن الفاعل إذا كان واحدًا لا يمكن أن يصدر عنه من جهة واحدة إلاّ معلول واحد»[٦] قام بدراستها دراسة وافية، مقدمًا عرضًا تاريخيًّا لنشأتها وتطورها بين متبينها وناقديها.

فأول ما وجدت النظرية في الفلسفة الإغريقية ثم تسربت إلى أجواء الجدل في العصر العباسي، فتبناها من تبناها ونقدها من نقدها من الفلاسفة والمتكلمين المسلمين، وممن تبناها **الفارابي** (ت ٣٣٩هـ) و**ابن سينا** (ت ٤٢٨هـ) إلى **نصير الدين**

(١) المعجم الفلسفي، م. س، ٢/ ١٧٢.
(٢) م. ن، ١/ ٧٢٤.
(٣) م. ن، ١/ ٧٢٤.
(٤) م. ن، ١/ ١٧٣.
(٥) خلاصة علم الكلام، م. س، ص٨١.
(٦) م. ن، ص٨١.

الطوسي (ت ٦٧٢هـ) وغيرهم، وحتى من المعاصرين كالعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

وممن نقدها من القدامى ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) والعلامة الحلي (ت ٧٦٢هـ)، ومن المعاصرين الشيخ الخاقاني (ت ١٤٠٦هـ).

من أدلة المثبتين:

ما ذكره السيد الطباطبائي في بداية الحكمة: «إن من الواجب أن يكون بين العلة ومعلولها سنخية ذاتية ليست بين الواحد منها وغير الآخر، وإلاّ جاز كون كل شيء علة لكل شيء، وكل شيء معلولاً لكل شيء، ففي العلة جهة مسانخة لمعلولها هي المخصصة لصدوره عنها، فلو صدرت عن العلة الواحدة وهي ليست لها في ذاتها إلاّ جهة واحدة معاليل كثيرة بما هي كثيرة متباينة غير راجعة إلى جهة واحدة بوجه من الوجوه، لزمه تقرر جهات كثيرة في ذاتها، وهي ذات جهة واحدة، وهذا محال»[(١)].

ولأنهم يؤمنون أن العالم كله صدر عن الله الواحد، مع إيمانهم بـ(الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد) ابتدعوا عدة نظريات للخروج من المأزق الفلسفي الجدلي الذي وضعوا أنفسهم فيه، فكانت:

- نظرية المثل الأفلاطونية (أرباب الأنواع).
- نظرية العقول الفلكية.
- نظرية العقول الطولية.

وقبل التطرق للعقول الطولية، والفلكية، والمثل الأفلاطونية، تلك النظريات التي انبثقت من محاولة التوفيق بين النظرية (الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد) وبين الإيمان الفعلي بصدور العالم عن الله الواحد سبحانه، لا بدَّ من طرح سؤال ـ ونحن بصدد المنهج العقلي ـ وهو هل أن التفكير العقلي الذي أنتج كل تلك النظريات كان وفيًّا للخطوات التي ينبغي أن يتبعها العقل في الاستدلال والبرهان.

---

(١) م. ن، ص٨٥.

إن أول مرحلة من مراحل التفكير العقلي السليم (مواجهة المشكل المجهول) ويأتي بعدها مباشرة «معرفة نوع المشكل، فقد يواجه المشكل ولا يعرف نوعه»[(١)].

فهل المجهول أو المشكل الذي واجهه العقليون ـ هنا ـ من النوع الذي يمكن مواجهته بالطريقة التي واجهوه بها؟

يجيب **ابن رشد** (ت ٥٩٥هـ) بقوله: «هي قضية اتفق عليها القدماء من الفلاسفة [يعني الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد] حين كانوا يفحصون عن المبدأ الأول للعالم بالفحص الجدلي وهم يظنونه الفحص البرهاني»[(٢)]، وإذا تذكرنا عناصر المنهج العقلي في بداية البحث، لوجدنا مع ابن رشد، أنهم تجاوزوا البرهاني إلى الجدلي ظانين أنهم في قلعة العقل، في حين أنهم أوقعوا العقل ضحية تنميطات أفرزها الجدل وتراكماته ورواسبه، ولم يستطع العقل الذي استسلم لسلطة النمط أن يحرر نفسه مما لا يشعر أنه واقع فيه.

ويأتي تأكيد **العلامة الفضلي** ما قاله ابن رشد حول النظرية بقوله: «إن سبب نشأتها يرجع إلى أن الفلاسفة اليونانيين كانوا يذهبون إلى ثنائية المبدأ الأول فيعتقدون بإله للخير وإله للشر، ثم قالوا بوحدانية المبدأ الأول، وبالمقارنة بين وحدته وكثرة العالم المخلوق له، جاء سؤال: (كيف تصدر هذه الكثرة عن تلك الوحدة) يفرض نفسه عليهم، فذهبوا يلتمسون له الإجابة»[(٣)] التي كان منها القول بـ:

نظرية المُثُل الأفلاطونية (أرباب الأنواع)

وقد تسمى بنظرية العقول العرضية في قبال نظرية العقول الطولية التي تبناها المشائيون، فيما تبنى هذه النظرية الإشراقيون، وقد «نسبت إلى **أفلاطون** (ت ٣٤٨ ق.م) لأنه هو الذي بلورها، بعد أن مهد لنضجها على يديه من تأثر بهم ممن سبقوه أمثال أستاذيه **بهرقليطس وبرمنيدس**، والفيثاغوريين، وأستاذه **سقراط** (ت ٣٩٩ ق.م)، واعتبرها هي الصادر الأول عن المبدأ الأول.

---

(١) الفضلي، الدكتور عبدالهادي، أصول البحث، بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٥٤.

(٢) خلاصة علم الكلام، م. س، ص٨٢.

(٣) م. ن، ص٨٣.

وتبناها الإشراقيون فأثبتوا أن في عالم الجبروت عقولاً عرضية لا علية ولا معلولية بينها، يحاذي كل عقل منها نوعًا من الأنواع المادية الموجودة في عالم الناسوت هو الذي يدبره بواسطة صورته النوعية فيخرجه من القوة إلى الفعل.

ومن هنا سميت هذه المثل بـ (أرباب الأنواع) أيضًا»[١].

وهذا يعني ـ بحسب رأيهم ـ أن الله الواحد سبحانه، صدر عنه بصورة عرضية أفقية عدة عقول، كان كل عقل صادرًا من جهة ليكون واسطة في الفيض للأنواع المندرجة تحته، فهو (رب لنوع من أنواع الموجودات)، «والمقصود من رب النوع أنه فرد من النوع مجرد عن المادة والمقدار، ومتحد الماهية مع أفراد النوع المتحققة في الخارج سواء أكان نباتيًا أو حيوانيًا أو إنسانيًا.

فهو ليس بجسم ولا جسماني حالّ في الجسم غير مفتقر إلى محل ولا إلى مكان ولا زمان كما يفتقر وجوده إلى قابل، ولا موضوع ولا معد، فإن كل ذلك من خصائص الموجود المادي. وهو منزه عن المادة ولوازمها وحاجياتها...، وهم يصفون ربَّ النوع بالكلي، بمعنى المحيط والوسيع والقاهر، فله سعة وجودية لأنه محيط بجميع أفراد نوعه ويفيض عليهم...، ثم إنَّ ربَّ النوع واجد لجميع أصناف الكمال الذي يمكن أن يحصل لأي فرد من أفراد نوعه...، وأنه المصدر لكل كمال في ذلك النوع، فكل ما يحصل لكل فرد في الحاضر أو في الماضي أو في المستقبل فهو المصدر له، وأنه الرائد والموجه، ويسترشد منه كل فرد»[٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف وصل العقل الفلسفي إلى هذا المستوى من الشطح والشطط، دون انتباهة من العقل الفطري الواقع في أسر التنميط لدى الفلاسفة والمتكلمين الذين التهمهم السياق قاتلاً كل طاقات الإبداع.

نظرية العقول الفلكية

وهي أيضًا من النظريات الفلسفية التي صيغت كي تفسر صدور الكثرة عن الواحد دون أن تتهدم نظرية (الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد)، وقد «تبلورت على يد المعلم الثاني الفارابي متأثرة بنظرية العقل بالفعل التي قال بها المعلم الأول أرسطو

(١) م. ن، ص٨٦.

(٢) الصدر، محمد رضا، الفلسفة العليا، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(ت ٣٢٢ ق.م) والتي عرفت فيما بعد لدى المشائيين بنظرية العقل الفعّال الذي هو الصادر الأول عن المبدأ الأول عند أرسطو.

وخلاصة هذه النظرية: أن الوجود الأول يفيض وجود الثاني، وهذا الثاني جوهر غير جسمي ولا هو مادة، وهو يعقل ذاته، ويعقل الأول. وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثالث، وبما هو متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى.

والثالث أيضًا وجوده لا في مادة، وهو بجوهره عقل، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع. وهذا أيضًا (يعني الرابع) لا في مادة، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه كرة زحل، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود خامس.

وهذا الخامس أيضًا وجوده لا في مادة، فهو يعقل ذاته، ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة المشتري، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود سادس.

وهذا أيضًا (يعني السادس) وجوده لا في مادة، وهو يعقل ذاته، ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة المريخ، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود سابع.

وهذا أيضًا (يعني السابع) وجوده لا في مادة، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة الشمس، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثامن.

وهو أيضًا (يعني الثامن) وجوده لا في مادة ويعقل ذاته ويعقل الأول، فبما يتجوهر من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الزهرة، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود تاسع.

وهذا أيضًا (يعني التاسع) وجوده لا في مادة ويعقل ذاته ويعقل الأول، فبما يتجوهر به في ذاته يلزم عنه وجود كرة عطارد، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود عاشر.

وهذا أيضًا (يعني العاشر) وجوده لا في مادة، وهو يعقل ذاته، ويعقل الأول، فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كرة القمر، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود حادي عشر.

وهذا الحادي عشر هو ـ أيضًا ـ وجوده لا في مادة، وهو يعقل ذاته، ويعقل الأول، ولكنه عنده ينتهي الوجود الذي لا يحتاج ما يوجد ذلك الوجود إلى مادة وموضوع أصلاً، وهي الأشياء المفارقة التي هي في جواهرها عقول ومعقولات.

وعند كرة القمر ينتهي وجود الأجسام السماوية، وهي التي بطبيعتها تتحرك دورًا»[1].

إن نص الفارابي المتقدم المركب من أخطاء العقل الفلسفي وأخطاء العلم الفلكي لدليل صارخ على افتضاح جدل الأنماط الذي أفرز ما لا يمكن صدوره إلاّ عن العقل المأسور.

وقبل الانتقال إلى نظرية العقول الطولية التي ولدت للتخلص من وهن نظرية العقول الفلكية أنقل تعليق العلامة الفضلي عليها إذ يقول: «والنظرية ـ كما ترى ـ مرتبطة ارتباطًا أساسيًّا بنظرية الكواكب السيارة السبعة القديمة.

وهذا يعني أن الفلكيين القدامى لو كانوا قد توصلوا إلى وجود أكثر من هذه السبعة ـ كما هي الحال الآن، حيث وصل العدد إلى أكثر من عشرة ـ لقالوا بعقول ومعقولات بعددها أيضًا، فتصل العقول في النظرية إلى أكثر من أحد عشر، وهذا يدل على شيء ليس بالصغير من الوهن الذي تعاني منه النظرية»[2].

وبنظرية العقول الطولية تكتمل دائرة الشطح والشطط في العقل الفلسفي المنمَّط المأخوذ بنظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد.

نظرية العقول الطوليّة

وهي أيضًا من النظريات التي شيدت كي لا تنهدم «الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد»، «وفحوى هذه النظرية كما يحرره السيد الطباطبائي هو: أن أول صادر عنه تعالى عقل واحد يحاكي بوجوده الواحد الظلي وجود الواجب تعالى في وحدته.

(١) خلاصة علم الكلام، م. س، ص٨٦ – ٨٧.

(٢) م. ن، ص٨٨.

ثم إن (هذا) العقل الأول، وإن كان واحدًا في وجوده بسيطًا في صدوره، لكنه لمكان إمكانه تلزمه ماهية اعتبارية غير أصيلة؛ لأن موضوع الإمكان هو الماهية، ومن وجه آخر هو يعقل ذاته، ويعقل الواجب تعالى فتتعدد فيه الجهة، ويمكن أن يكون لذلك مصدرًا لأكثر من معلول واحد.

لكن الجهات الموجودة في عالم المثال الذي دون عالم العقل بالغة مبلغًا لا تفي بصدورها الجهات القليلة التي في العقل الأول، فلا بدَّ من صدور عقل ثانٍ ثم ثالث وهكذا حتى تبلغ جهات الكثرة عددًا يفي بصدور العالم الذي يتلوه من المثال.

فتبين أن هناك عقولاً طولية كثيرة، وإن لم يكن لنا طريق إلى إحصاء عددها»[١].

إن ما يمكن أن يقال عن النظريتين السابقتين يقال عن هذه الأخيرة، وعن الأساس المولِّد لتلك النظرية وهو (الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد)، فإن ذلك لا يصح على الله القادر مطلق القدرة؛ لأن فيه نسبة العجز إليه تعالى، وهو إشكال منهجي مصدره العقل الفطري، إلاّ أن الطباطبائي يجيب بما يسعفه العقل الفلسفي بقوله: «وليس في ذلك تحديد للقدرة المطلقة الواجبية التي هي عين الذات المتعالية؛ وذلك لأن صدور الكثير، من حيث هو كثير، من الواحد، من حيث هو واحد ممتنع.

والقدرة لا تتعلق إلاّ بالممكن، وأما المحالات الذاتية الباطلة الذوات كسلب الشيء عن نفسه والجمع بين النقيضين ورفعهما، فلا ذات لها حتى تتعلق بها القدرة، فحرمانها من الوجود ليس تحديدًا للقدرة وتقييدًا لإطلاقها»[٢].

تبدو للوهلة الأولى أن الإجابة مقنعة، ولا سيما للمأخوذين بأمثال هذه القضايا من المعتادين على الخضوع لسلطة النمط، وهم يرون أساطين الفكر من فلاسفة وعلماء ومتكلمين يرددونها ترديد المسلمات، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على تفشي ظاهرة العقل المأسور إلى الحد الذي يدعو إلى الثورة لتحريره من سلطة النمط.

□ نقد نظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد

إذا كانت نظرية المُثُل الأفلاطونية (أرباب الأنواع)، ونظرية العقول الفلكية، ونظرية العقول الطولية، كلها تولدت من أجل تصحيح نظرية الواحد لا يصدر عنه

(١) م. ن، ص٨٨-٨٩.

(٢) م. ن، ص٨٩.

إلاّ واحد، في الشاهد والغائب، أي حتى بالنسبة للخالق المبدع، فإن تقويض هذه النظرية يقتضي تقويض النظريات التي وجدت لتسويغها تلقائيًا.

ومن الذين انتقدوا النظرية ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، والعلامة الحلي (ت ٧٦٢هـ)، ومن المعاصرين الشيخ الخاقاني (ت ١٤٠٦هـ).

☐ تفكيك السياق التاريخي للنظريّة

المعروف أن تعدد الآلهة عند الإغريق كان فكرة سائدة، وهذا موثق في أساطيرهم، فهناك إله الخير، وإله الجمال، وإله العدل وإلخ من الآلهة والأرباب، فقد جعلوا إلهًا وربًّا واحدًا لكل نوع من الأنواع في هذا العالم المتعدد، ومنهم من اقتصر على إلهين فقط، إله الخير وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة.

وحين تخلصت طائفة من فلاسفتهم من الشرك المتعدد أو الثنوي، وقالت بالتوحيد، وهي بنت سياقها الثقافي الجدلي الذي يؤمن بأن الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد جوبهت هذه الطائفة الموحدة جدليًا بمؤدى النظرية، فما كان منها إلاّ أن استبدلت النقض بابتداع نظريات المثل والعقول والأفلاك، وهذا الابتداع في الواقع لم يكن برهانيًا وإنما هو جدلي، كما أشار ابن رشد؛ لأنه وليد مأزق التحول من الشرك إلى التوحيد في العقل الجدلي الرازح تحت سلطة النمط، وإلاّ فما صلة أرباب الأنواع المسوغة لنظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد بالآلهة والأرباب المتعددين لدى غير الموحدين من فلاسفة الإغريق واليونان.

فكون فئة انتقلت من الشرك إلى التوحيد في بحثها عن الله لا يعني أنها تخلصت من كل رواسبها الماضية التي عددت الآلهة والأرباب لوجدانها التعدد في العالم ولا وحدته وجدانًا ما أدى بها إلى القول بالواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد.

☐ نظرية غارقة في التنميط

قال ابن رشد: «وكان الأول عند الجميع واحدًا بسيطًا، عسر عليهم كيفية وجود الكثرة عنه، حتى اضطرهم الأمر ألَّا يجعلوا الأول هو محرك الحركة اليومية. بل قالوا: إن الأول هو موجود بسيط، صدر عنه محرك الفلك الأعظم»[1].

(١) م. ن، ص٨٢-٨٣.

انظر كيف تتوالد البناءات على النظرية بصورة منمَّطة مأسورة للعقل الفلسفي الذي ما ترك للعقل الفطري من سبيل.

من النقد الموجه للنظرية

وُجِّهَ للنظرية عدة انتقادات على تعاقب العصور وتنوع المدارس، منها:

ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) ومشهور عصره:

رفضت النظرية في عصر ابن رشد، وكان رفضها من المشهور في عصره، قال: «وأما المشهور اليوم فهو ضد هذا، وهو أن الواحد الأول صدر عنه صدورًا أولاً جميع الموجودات المتغايرة»[١]، فلا اضطرار ـ حينئذٍ ـ للمُثُل والعقول الفلكية والطولية، فالله قادر على كل شيء ولا عجز في ساحته سبحانه وتعالى، قال ابن رشد معللاً ذلك: «إن الفاعل المطلق لا يصدر عنه إلاّ فعل مطلق، والفعل المطلق لا يختص بمفعول دون مفعول»[٢].

العلامة الحلي (ت ٧٦٢هـ):

لقد ذهب **العلامة الحلي** إلى تبني «القول بالفرق بين الفاعل المختار، فلا يشمله حكم هذه النظرية، والفاعل بالاضطرار، فتصدق عليه»[٣] ما يعني سقوط النظرية وما ترتب عليها من حريم البحث في انبثاق الوجود عن الله؛ لأن الله فاعل مختار.

والفرق بين التعليلين لدى **ابن رشد**، **والعلامة الحلي**، أن الأول أخرج تعليله من مبحث القدرة، أما الثاني فأخرجه من مبحث الإرادة، والمؤدى واحد.

الشيخ الخاقاني (ت ١٤٠٦هـ):

وإذا صدر عن مبحث القدرة تعليل ابن رشد، وعن مبحث الإرادة تعليل العلامة الحلي، فعن مبحث الجمال صدر تعليل **الشيخ الخاقاني** في قوله: «إن من كمال الإبداع التكويني صدور الكثرة عن الواحد»[٤].

---

(١) م. ن، ص٨٢.
(٢) م. ن، ص٨٤.
(٣) م. ن، ص٨٤.
(٤) م. ن، ص٩١.

ولعل أقسى ما وصف به القائلون بنظرية (الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد ومتعلقاتها) ما سَطَّره سيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ) بقوله: إنَّ «هذه العماية، والجهالة قد تعظم نسبتها إلى الصبيان، فضلاً عمَّن ينسب إلى شيءٍ من التحقيق، والغوص والتدقيق...»[1].

من كل ما تقدم يتضح أن هذا العقل الفلسفي (الجبار) قد تكون له شطحات بمستوى شطحات الصوفية والحشوية، وقد كانت. وأن الاستسلام لسلطة النمط موجود في كل منهج بما فيه المنهج العقلي. بيد أن العقل الذي أنتج نظريات الفيض المتقدمة مدَّعيًا قدرته على الكشف عن أول الخلق وكيفيته...، لماذا لم يكن قادرًا على الشعور بأنه مأسور ليبصر في نفسه كي يحررها قبل أن يرسم لنا بكل وثوقية خريطة الفيض الوجودية الكاملة.

□ ثورة العقل الفطري على العقل الموثون

بعد تحليل المنهج العقلي، والعقل الفلسفي من خلال النموذج الفلسفي الكلامي لنظريات الفيض، وبعد تَبَيُّن ماهية الأسر في عقل كان يُنتَظَر منه أن يحرِّرنا من أوهامنا، فإذا به يصطبغ تاريخ التفكير والتفلسف البشري بما يربو على ألفي عام بالعقل الموثون الذي يستعبد أصحابه، ويلجم فيهم صوت العقل الفطري الحر السليم المحرّر؛ أصبح من الواجب تحرير عقولنا من تلك الأنماط وأوهامها.

ويتم ذلك بدراسة الفلسفة والكلام دراسة نقدية إبداعية، فيها القبول والرفض، وإعادة الإنتاج والصياغة مع التجديد، لا بدراسة تخضع لسلطة النمط في تقليديتها واتباعيتها العمياء، والتي لا همَّ لها إلا الاستماتة في المحافظة والدفاع عما هو مقبور في نمطيته وبلا حراك.

فلا إبداع إلا بثورة العقل الفطري الذي أودعه الله فينا فَحرَّرنا على العقل الموثون الذي اختلقناه نحن لنبرهن على حريتنا فاستعبدنا..!! وأنَّى لِمُسْتَعبَدٍ من الرؤية الإبداعية.

---

(١) الآمدي، سيف الدين، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبداللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ٢٠٩.

□ **تمتع العلامة الفضلي بالرؤية الإبداعية**

إن صاحب الرؤية الإبداعية يستطيع أن يفكك بين جوهر المنهج وأنماطه العرضية العالقة فيه بفعل التراكم والتكديس والكدورات المفضية إلى الشطح والشطط...

بينما يأخذ التقليديون الجوهر في المنهج مصحوبًا بأعلاقه النمطية دون أدنى فرز فتصفية فتنقية؛ لأنهم لا يطيقون النقد، فهم اتِّباعيون مقلدون ليس إلا، وإن توهموا أنهم مفكرون، وأصحاب عقول حرة.

من هنا كان دور **العلامة الفضلي** في تحرير العقل، وموقفه من جدل الأنماط منسجمًا مع الرؤية الإبداعية التي يتمتع بها، وظاهرًا في عطاءاته العلمية الرائدة.

فهو إذ يستعرض مناهج الدرس الكلامي في كتابه (**خلاصة علم الكلام**) ويبيِّن أصول تلك المناهج، ويرصد المدارس الكلامية التي تتحرك في فلكها، ويدخلنا إلى حريم البحث، والرؤية الواضحة؛ لا يستقر له قرار حتى يرينا الأفكار وهي تتصارع فيما بينها لافتًا أذهاننا إلى المناهج التي تستمد منها تلك الأفكار طاقتها الجدلية، ثم يتحرك بنا نحو الطاقة تلك ـ إذ فيها مكمن السر ـ مركّزًا عليها فحصًا ونقدًا وتحليلاً، فإذا بالأفكار التي تتصارع يتهاوى سقيمها، ويستقيم صحيحها مخلفة وراءها ما يبقى دائمًا بعد الاحتراق، وهي ـ هنا ـ الأنماط التي لن تجد لها مكانًا بعد احتراقها إلا في خانة التوالف، فَيُحسَم جدلها لصالح المناهج التي تخلصت من أعلاقها.

وبعد ذلك كله يقوم بفحص القضية في الأفكار المتصارعة لِيُعمل فيها المنهج الذي يصلح لها بعد أن خَلَّصه من علائقه النمطية، وخَلَّصها من المناهج الفضولية، وكل ذلك يتم بدقة وإحكام، ومرونة واتزان، وسلاسة وانسجام.

إن شيخنا **العلامة الفضلي** ـ دام ظله ـ يبرهن في كل هذا ـ وبمنتهى الإبداع ـ على تكاملية منهجه بانفراده في تكوين إيقاعه الخاص على أوتار تلك المناهج المتعددة.

فالذي يدرس **العلامة الفضلي** دراسة تحليلية تتجاوز السطح إلى الأعماق، سيكتشف أن له فقهًا في إدارة المناهج، هو سر من أسرار إبداعاته.

☐ فقه إدارة المناهج

قال شيخنا **الفضلي** في أصول البحث ما نصه: «من البيِّن أن اختلاف المجال أو الموضوع يتطلب اختلاف المنهج الذي يتبع في دراسته وبحثه»[(١)].

ولو أن الفلاسفة والمتكلمين القائلين بـ(الواحد لا يصدر عنه إلا واحد) وما إلى ذلك من (المُثل، والأفلاك، والعقول) كان لديهم وعي بفقه الإدارة المنهجية عند **العلامة الفضلي** لما أضاعوا كل تلك الجهود الفكرية في بحث قضايا غيبيَّة بالمنهج العقلي الذي لا يملك معطيات بحثها فيما يملكها المنهج النقلي.

ولذلك يؤكد فقيهنا **الفضلي** أنه: «لا بدَّ من إعادة النظر في البحث عن مصدر المعرفة داخل إطار الفلسفة الإسلامية، وتقسيم المعلومات إلى:

- طبيعية وغير طبيعية.
- وغير الطبيعية إلى غيبيَّة وغير غيبيَّة.

ثم توزيع مصادر المعرفة على هذه الأشياء على النحو التالي:

- المعلومات الطبيعية تؤخذ عن طريق الحس.
- غير الغيبيَّة تؤخذ عن طريق العقل.
- الغيبيَّة تؤخذ عن طريق الوحي والإلهام، أي عن طريق المنقولات الدينيَّة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية»[(٢)].

فلو طرح سؤال ـ في ضوء فقه إدارة المناهج ـ عن الكيفيَّة التي خلق بها الله سبحانه وتعالى مخلوقاته.

لكان الجواب: يُرجع إلى النصوص الدينيَّة في الكتاب والسنة.

وعند الرجوع إلى القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[(١)].

(١) الفضلي، الدكتور عبدالهادي، أصول البحث، بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٤٣.

(٢) الفضلي، د. عبدالهادي، جدل الرؤى: في الفضاءات المرجعية للثقافات المعاصرة، بيروت، دار الرافدين، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص١٦.

ولدى التأمل نجد أن معنى الزوجية موجود في كل مخلوق، فالذكر والأنثى، والسالب والموجب...، موجودان في الخلية، وفي الذرة، ما يعني أن كل مخلوق مركب، ولا يخفى ما في المركبات من افتقار ذاتي.

أما الواحد ـ على الحق والحقيقة ـ فهو الله وحده الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومن هنا، فإن الله سبحانه وحده الواحد ولا واحد سواه، ووحده البسيط فلا بسيط سواه، ووحده الغني فلا غني سواه، وكل الخلق مكوّنون على الزوجية والتركيب والفقر، لذلك كان الفرار إلى الله الغني الواحد بلا تركيب.

والنتيجة: ألا واحد إلاّ الله مطلقًا، والخلق كلهم مجبولون على الزوجية.

- وإذا طرح سؤال آخر: هل اقتضى خلق الخلق وجود واسطة فيض بين الخالق المبدع والعالم.

لكان الجواب: يُرجع إلى النصوص الدينية في الكتاب والسنة.

وعند الرجوع إلى بيت النبوة ومعدن الرسالة... نقرأ في خطبة الزهراء عليها السلام: «ابتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها»[٢].

وهل الإبداع غير الخلق من العدم، خلق شيء من لا شيء.

والنتيجة: ألا واسطة فيض بين الخالق المبدع والعالم.

إن إعمال المنهج النقلي في القضيتين أفادنا علمًا، أمّا إعمال المنهج العقلي فيهما فلم يزدنا إلاّ جهلاً وسفسطة، وهذا هو الفرق بين من يعي دور (فقه إدارة المناهج) ويقدره، وبين من لا يعي ولا يقدر غير عقله المأسور.

ولهذا يشدد **العلامة الفضلي** على ضرورة أن «يرجع في دراسة الأفكار الغيبيَّة إلى المنهج النقلي، وفي دراسة الأفكار الميتافيزيقية إلى المنهج العقلي، وفي دراسة الأفكار التي ترتبط بالطبيعة والإنسان تكوينًا ومجتمعًا إلى المنهج التجريبي، وفي دراسة التشريعات الدينية ـ لأن مصدرها النصوص النقلية ـ يرجع إلى المنهج النقلي، وهكذا»[٣].

---

(١) الذاريات، آية ٤٩ - ٥٠.

(٢) خطبة الزهراء عليها السلام وردت في عدة مصادر تراثية كالاحتجاج، وبلاغات النساء، وغيرهما.

(٣) أصول البحث، م. س، ص٤٣.

نعم هكذا، كي لا يفلجنا الجدل الذي أفلج **الجاحظ** (٢٥٥هـ) في البصرة، وهو فيها قطب من أقطاب مدرسة الاعتزال التي تعد العقل مؤسسًا والدين مؤيدًا، «نتيجة غلوهم في تقديس العقل، والحق هو العكس، أي إن النص الديني هو المؤسس، والدليل العقلي مؤيد له»(١).

ومما يؤكد هذا الغلو العقلي الذي أشار له شيخنا **الفضلي**، أن بعض المعتزلة كانوا ينكرون حقيقة وجود الجن، وعندما جوبهوا بوجود سورة كاملة في القرآن الكريم باسم سورة الجن، قالوا: إن هؤلاء قبيلة من قبائل العرب تسمى بقبيلة الجن..!!

إنه لون فاقع من الوقوع في الشطح والشطط وفي أسر النمط، وإلا كيف يخفى على هؤلاء العقليين أن «هناك في العقيدة الإسلامية ما لا يدرك بالعقل، وهي الأشياء الغيبيَّة كالجن والملائكة، والجنة والنار والقيامة ومشاهدها»(٢).

من كل ذلك، تأكد لنا أن الوقوع في أسر النمط ظاهرة لا تعصمها المناهج المثقلة بالعقول المأسورة، لذلك «يجب أن يكون العالم والفيلسوف مهيمنًا على الفلسفة ولا يكون العلم والفلسفة مهيمنين عليه، ويجب أن يكون ناقدًا للآراء والمفاهيم لا ناقلاً لها، وإذا كان العالم والفيلسوف مهيمنًا على العلم والفلسفة سيكون العلم والفلسفة كأداتين بيده، وإلا فسيكون هو أداة بيدهما»(٣) كما هي الحال بالنسبة للعقليين المنمطين الذين يدخلون إلى المنهج العقلي مصفدين بأنماطه، فأي عقل مأسور ذلك الذي يصدر تصورات غريبة عن أوليَّة الخلق في عالم الملكوت الذي لا طريق إليه بحسب «فقه إدارة المناهج» إلا النص الشرعي.

قال أستاذنا **العلامة الفضلي** ـ دام ظله ـ: «إن عقل الإنسان لا مسرح له في عالم الملكوت، فليس له القدرة على معرفة حقائق عالم الغيب، وليس أمامه وسيلة! ذلك إلا الدين»(٤)، وقد وردت هذه المقولة المنسجمة مع «فقه إدارة المناهج» في كتاب

(١) الفضلي، الدكتور عبدالهادي، خلاصة الحكمة الإلهية، مخطوط، ص٢١.

(٢) جدل الرؤى، م. س، ص١٥.

(٣) حكيمي، محمد رضا، الاجتهاد التحقيقي، ترجمة: حيدر نجف، خليل العصام، مراجعة وتقديم عبدالجبار الرفاعي، كتاب قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي ـ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص٣٩.

(٤) خلاصة الحكمة، م. س، ص٧٦.

فقيهنا الفضلي (خلاصة الحكمة)، وما ورودها فيه إلا اختراق لأفق التوقع تحقيقًا لشروط الإبداع.

فإن المنتظر والمتوقع من كتاب في الدرس الفلسفي ـ الذي يُبتنى عادة في جوهره وأساسه على المنهج العقلي المحض ـ أن يُعلي من منهجه مشيدًا متاريسه الثقافية الممكنة لتحصين عمارة العقل، إلاّ أنه أراد أن يحرر العقل من حجبه لينكشف على نفسه قبل انكشافه على العالم.

فكان أن عرَّفه نفسه ليعرف غيره، وهذا لعمري سلوك يأخذ في حسبانه عدم التفريط بشروط الإبداع في أي مجال، وفي كل الاتجاهات.

التراث الأحسائي في فكر العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي(*)

■ الشيخ محمد علي الحرز(•) ■

للدكتور والمفكر الإسلامي الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي آفاق فكرية متعددة، تجمع بين الماضي والحاضر، وتتطلع نحو المستقبل بعين الناقد البصير، وتتماهى مع متغيرات العصر الدينية والفكرية والاجتماعية، مما جعل له حضورًا بارزًا لدى مختلف هذه التيارات. فهو واحد من الجميع، بل الجميع في واحد، ولعل من أكبر الأخطاء التي وقع فيها البعض هو محاولة تأطير الشيخ في شرنقته، وتحجيره في بوتقة ضيقة.

فهو الفقيه النجفي القحّ، وابن الحوزة البارّ بجميع همومها وقضاياها، فقد رحل عنها جسده، وبقى فكره وروحه محلقة تغرد هناك دائمًا، ترصد وتستشعر جميع ما يحدث.

وهو الفقيه المثقف الذي يواكب حركة الفكر بمدِّها وجزرها، حتى أغنى المكتبة الإسلامية بتراث ثَرّ في مختلف الحقول الإسلامية والفكرية برؤاه المختلفة، وإن اتفق أو أختلف معه البعض، فهو في الفكر والرأي لا يجامل ولا يتوارى خلف أحد، وإن جلب ذلك عليه سخط ونقمة البعض.

وهو اللغوي المخضرم الذي جاب أعماق اللغة، ودخل بحورها حتى عُدَّ من أعلامها وأبناء بجدتها، لكثرة ما صنف في أبعادها النحوية والصرفية والعروضية والتاريخية، فهو أبو النحو ورائده في هذه البلاد بلا منافس.

(*) نشر في كتاب مداد العرفان الذي صدر بمناسبة ذكرى أربعين رحيل العلاّمة الفضلي.

(•) باحث مختص بالتراث العلمي في الأحساء، عضو هيئة تحرير مجلة الواحة.

لهذا الحديث عن الدكتور العلامة الفضلي، هو الحديث عن مؤسسة ثقافية تركت بصمتها الواضحة في البحور الثقافية التي خاضتها، وهذا ليس بالغريب على رجل استطاع أن يتخطى بفكره من هم حوله، ويتجاوزهم رغم صمته وانكفائه على نفسه.

ومن بين تلك الحقول المعرفية التي كان للدكتور ريادة وتميز فيها، هو الجانب التراثي بشكل عام، و«التراث الأحسائي» بشكل خاص، البلد التي تعود إليها جذوره التاريخية، ومنها تفرع، الحاضر الغائب في حياته، فهي معشعشة في أعماقه، وإليها يستدير قلبه، حتى أصبح رغم نأيه المكاني عنها، أحد رموز التراث فيها من خلال عمله المنهجي لإحياء تراثها ومجدها العلمي، وإن كان بطريقة هادئة وسلسة قد لا يلحظها البعض، وهنا سنحاول أن نبين البعد الأحسائي في حياة وفكر العلامة الدكتور الفضلي من خلال النقاط التالية:

□ تعريف الأحساء كحاضرة علمية

الأحساء من الحواضر العلمية الكبرى التي أنجبت عشرات العلماء والفقهاء، فهي تمتلك تراثًا علميًّا غزيرًا ينافس كبرى المراكز العلمية الشهيرة، فكان منها المحدث والمتكلم الشهير الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي (ت ٩٠٦هـ)، والعالم البارز والمتكلم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت ١٢٤١هـ)، والفقيه الرجالي الشيخ عبد المحسن اللويمي (ت ١٢٤٥هـ)، والشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين (ت ١٢١٩هـ)، والسيد هاشم بن أحمد السلمان (ت ١٣٠٩هـ)، والشيخ محمد بن عبد الله العيثان (ت ١٣٣١هـ)، والسلسلة طويلة، إلاّ أن التهميش، وضعف الرصد لتراثها، وأعلامها في الفترات المتقدمة، جعلها عصية على التأريخ، وما كتبه صاحب الأنوار، لا يفيها حقها.

ولكون الشيخ الفضلي من رموز الأحساء البارزين، ورواد الفكر فيها، كان خير من يوفيها حقها إذا شحت المصادر أن تشبع الباحث النهم عن مكانتها، وموقعها بين الحواضر العلمية لمدرسة أهل البيت ﷺ، بأسلوب علمي يتناول أبعادها المختلفة. لهذا لجأ إليه الدكتور السيد حسن الأمين لتناول مفردة (الأحساء) في موسوعته (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية). فكان هذا البحث رغم قصره، وإيجازه مرجعًا أساسيًّا لكل من أراد أن يتناول الأحساء في كتابته.

فقد جمع فيه بين صدق المعلومة ودقتها، واختزال العبارة بعيدًا عن الحشو والإطالة، كما أعطى لمحة تاريخية وجغرافية واقتصادية عن الأحساء جعل الجاهل بها يأخذ صورة شبه متكاملة عن أهمية هذه البقعة ومكانتها بين الأقطار العلمية عند مدرسة أهل البيت ﷺ.

وحول هذا البحث نجده يقول فيه بعد سنوات ليست بالقليلة في مقدمته لأعلام هجر: «وركزت فيه على أعلامها في الفقاهة والخطابة والشعر، والتزمت الاقتصار على المهم والاختصار بذكر العدد الأقل، وبلغت عِدَّةُ من ذكرتهم سبعة وخمسين عَلَمًا.

وخرجت بعد كتابة البحث وإعداده بالنتائج التالية:

- إن الأحساء في قطاعها الديني الشيعي تمثل مركزًا من مراكز الدراسات الإسلامية (الحوزات العلمية).
- وهي بقطاعها السكاني الشيعي تمثل موطنًا من مواطن التشيع في العالم الإسلامي.
- قلة وندرة البحوث والدراسات عن الأحساء بعامة، وعن الشيعة والتشيع فيها خاصة.
- صعوبة الوصول إلى المراجع العامة التي يمكن استقاء مادة البحث منها، وصعوبة جمع الشتات المبعثر فيها.
- عدم تفرقة الباحثين فيما كتبوا وفيما نسبوا، بين أهل مدينة هجر، وأهل مدينة الأحساء، ولعل ذلك لأنهم سحبوا اسم هجر على الأحساء التي قامت على أنقاضها، حتى أصبح هذا عرفًا أو ما يشبه العرف، أو لاعتبارهم أهل الأحساء امتدادًا لأهل هجر»[١].

وهنا يتجلى الهاجس الذي يحمله العلامة الفضلي للتراث الأحسائي، في الوقت الذي تحتل فيه مكانة عظيمة في صفوف المراكز الشيعية العلمية منها والسكانية، ثم جاء بعين الخبير والعارف ليتحدث عن تاريخها المغيب، والصعوبات التي تواجه الباحث عند الخوض وسبر تاريخها المجيد.

---

(١) أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، السيد هاشم محمد الشخص، الطبعة الثالثة: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مؤسسة الكوثر: قم المقدسة: ١/ ١٣ - ١٤.

□ نقده للطائفية في كتابة التاريخ

التاريخ أمانة، وهو سجل الشعوب وجذورهم، ومن يخوض فيه عليه أن يتحلى بالأمانة العلمية قدر المستطاع وعدم التحيُّز لطرف على حساب طرف آخر، فالحقيقة وإن خفية لحقبة زمنية، فإنه لا بدَّ أن يأتي الوقت الذي تكشف فيه الحقائق ويحصحص الحق، لهذا على كل كاتب أن يراعي مسؤولية القلم.

نعم، قد يؤرخ الكاتب لطائفته وأبناء مذهبه، وهذا أمر مشروع ويقره العقل، ولكن لا يعني هذا على حساب الاستنقاص من شأن الآخري، وتهميشهم ونعتهم بالنعوت التي تحجم من شأنهم، وتضعف من أمرهم؛ لأن هذا في نهاية الأمر سيعود عليه، ويكشف زيفه، ولو بعد حين.

ومن هؤلاء الكتاب الذين طغى في كتابتهم الحس الطائفي الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر في كتابة (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد)، والكتاب في الجملة قيم ويحمل مادة علمية جيدة، ولكن إذا جاء ذكر الشيعة وما يرتبط بهم فإنه يتخلى عن نهجه العلمي، ويبدأ بالغمز واللمز.

هنا العلامة الدكتور الفضلي، ممن حز في نفسه كلام العبد القادر فقال معاتبًا وناقدًا، في مقدمته لـ (مطلع البدرين): «.. غير شيء رأيته في كتاب من الكتب المذكورة هو كتاب (تحفة المستفيد) قدرت أن أذكره هنا خدمة للتاريخ والوطن، وهو أن مؤلفه الكريم الشيخ محمد آل عبد القادر عد شيعة الأحساء جميعهم من طبقة واحدة وهي طبقة الفلاحين، مع علمه لأنه يعيش مع الشيعة على هذه الأرض الطيبة ويعايشهم ويراهم ويسمع منهم وعنهم، ويقرأ لهم وعنهم، وفيهم العلماء والأدباء والخطباء وفيهم من هو بالمستوى العالي علمًا أوأدبًا أو خطابة، أقول: مع علمه هذا بأنهم ليسوا من طبقة واحدة وهي طبقة الفلاحين يقول ما قاله.

هذا هو الغريب والجديد؛ لأن المنهج العلمي لا يغفر للباحث العالم استخدام مثل هذا الأسلوب غير العلمي وارتكاب مثل هذا الخطأ المقصود، أسأله تعالى أن يغفر عنه ويغفر له»[(١)].

---

(١) مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، الحاج جواد بن حسين آل الشيخ علي آل رمضان الأحسائي، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ١/ ١٤.

ففي نقده تحلى الشيخ الفضلي بعدة أمور لعل من أبرزها، المحافظة على الأخلاق الإسلامية ومنهج أهل البيت ﷺ، فلم يقابل الإساءة بمثلها، وإنما دعا له بالمغفرة، والتأكيد على ضرورة أن يتحلى الباحث بالمنهج العلمي في كتابته، وألّا يجعل لعواطفه تأثيرًا في كتابته ومنهجه العلمي.

□ رصد المؤلفات الأحسائية

لعل من أول البحوث التي برزت على الساحة الأحسائية والتي تعنى برصد النتاج الأحسائي وحصر تراثه الماضي والمعاصر على مدى التاريخ الإسلامي بمختلف اتجاهاتها الثقافية، هو البحث الذي نشره الدكتور الفضلي تحت عنوان: «فهرست مؤلفات الأحسائية» في مجلة (الموسم) الفصلية في عددها الخاص عن المنطقة (٩-١٠)، فكان لهذا العمل أنْ جَمَع شتات النتاج الفكري والأدبي والديني، والكشف عن الأقلام المعاصرة في المنطقة، ومن ثم خرجت الكتابات لتناول الموضوع بشكل أكمل وأشمل.

فهذا العمل وإن كان في ظاهره رصد مجرد، إلاّ أنه يكشف عن هم سابق استمر عشرات السنين، وتتبع في الكتب عن كل شاردة وواردة عن الكتاب والمخطوطات الأحسائية يرد ذكرها بين الكتب، كما يعرفنا عن مدى الحضور الأحسائي في فكر العلامة الفضلي.

□ تشجيع الكتاب وتحفيزهم

كتابة المقدمات من الدكتور الفضلي ظاهرة جديرة بالدراسة والتأمل، وهي حالة عامة لأبناء الأحساء وغيرها، إلاّ أن الأحساء وكتّابها كان لهم حظوة كبيرة بين هذه المقدمات. وهنا نلحظ عليها ما يلي:

- أنها تشمل جميع المستويات الفكرية والأدبية، فإن من يأتون إليه من أجل التقديم فيهم الكاتب المتمرس، وصاحب الفكر، وفيهم المبتدئ الضعيف والذي في كتابته الكثير من الركاكة والضعف، ومع ذلك لم يكن الشيخ يرد أحدًا أبدًا.. نعم قد يعطيه بعض الملاحظات التي تصلح من شأنه الكتابي دون أن تجرح كبريائه ومشاعره.
- كما أنها تتراوح بين الطويلة والمختصرة القصيرة، فهو يقدرها بحسب حجم ومكانة الجهد المقدم له. والملفت أنه قد يقدم للشخص أكثر من بحث وعمل

دون ملل أو كلل، رغم انشغالاته وهمومه، ولكن يشعرك أنه ينظر إلى مسألة التقديم قضية ورسالة جديرة بالاهتمام والعناية.

نعم، كان ينظر إليها طريق هداية إلى عالم الكتابة والبحث، وأن الكاتب المقدم له يعتبرها شهادة ووسام، ومصدر فخر واعتزاز يدفعه إلى عمل وكتابة المزيد، وهو الهدف الذي رامه وراء خطوته تلك.

فالدكتور الفضلي قامة شاهقة تنظر إلى الأمور من عُلُوّ، وببصيرة بعيدة المدى، تتلمس المستقبل البعيد، العارفة بالفكر والعلم وما يصنعه بأهله، والكتابة وبناء الأقلام، والأخذ بيد الصغار، ومساندة الكبار، هي رسالة، وليس مجرد أسطر يخطها قلمه.

□ تحقيق التراث

التحقيق من الأبعاد البحثية التي حازت نصيبًا من اهتمام العلامة الفضلي في كتاباته، لما للكتابة القديمة من العمق حينًا، والتميُّز حينًا آخر، وقد يكون في تحقيقها هو حفظ للتراث من الضياع والاندثار، كما يتضمّن العرفان بالجميل والشكر للأعلام السابقين لجهدهم المبذول لنا، فالفكر البشري يتطوَّر من خلال مراحل تاريخية متعددة، وكل كتاب تراثي هو حلقة من تلك السلسلة.

وقد كان عمل الدكتور في هذا الجانب على بعدين:

- وضع الأسس لعلم التحقيق.
- تحقيق نماذج من التراث.

وفي البعد الأول سطر كتابه الرائع (أصول تحقيق التراث)، المطبوع سنة ١٤١٦هـ، وهو يُعَدُّ من قمم الكتب التي كتبت في هذا الفن، ومرجعًا أساسيًّا لكل من أراد أن يقتحم هذا العلم.

وفي البعد الآخر، أحصى صاحب (أعلام هجر)، عشرة كتب تشكل عينات في التحقيق وقواعده، في الفقه والأصول واللغة والقرآنيات.

وهنا يتجلى أن العلامة الفضلي كان يحمل هم إحياء التراث الإسلامي بشكل عام، إلا أنه من بين هذا وذاك كان للأحساء نصيبًا بين تحقيقاته التراثية، لإيمانه الراسخ بكفاءة أعلامها، وجدارتهم أن يصطفون مع رموز الفكر الإسلامي وكباره،

فقام بتحقيق الرسالة الصغيرة في حجمها الكبيرة في معناها (بداية الهداية في التجويد) للفقيه الشيخ عبد المحسن اللويمي الأحسائي (ت ١٢٤٥هـ).

□ إبراز مكانتها العلمية

كعادة العلامة الفضلي في البعد الأحسائي من حياته، يحاول ألّا يكون نسخة مكررة لغيره خصوصًا في جانبها التراثي، والعلمي منه على وجه الخصوص، وإنما الدخول في الطرق الضيقة منها، وكان ممّا تناوله من هذه الجوانب تحديد موقعها من الحركة العلمية الشيعية في مراكزها المتعددة.

فيقول في بحثه القيم والرائع الذي قدم به كتاب «أعلام هجر» لسماحة السيد هاشم الشخص، وهو يحاول أن يبين مكانة الأحساء بين المراكز العلمية لدى العالم الشيعي ما نصه: «وقد رأيت أن أستعرض في تقديمي هذا التأريخ الثقافي لمدرسة أهل البيت التي ينتمي إليها أعلام الكتاب (أعلام هجر)، إذ قد كفاني باحثون سابقون الكتابة في تأريخ هجر أو الأحساء العام وجغرافيتها وما إليها، ولأنه الحلقة في سلسلة تأريخ هذا البلد التي لم توفَ حقها من البحث.

كما رأيت أن أمهد لهذا ببيان العوامل المساعدة في أن كانت منطقة الأحساء موطنًا حضاريًا ومركزًا دراسيًا. وبعدُ أنتقل إلى الحديث عن مدرسة أهل البيت في نشأتها، ثم في انتشار مراكزها الثقافية حتى وصولها إلى هذه البلاد. ومن الطبيعي أن يكون العرض بعد هذا لأهم الظواهر الثقافية لهذا المركز الثقافي الأحسائي»[(١)].

وهي جوانب تشكل أهمية كبرى في تاريخ الأحساء، تعطيها موقعها العلمي بين المراكز العلمية الشهيرة، وقد تناولها شيخنا الفضلي بشيء من الإيجاز فاتحاً وممهداً الطريق، لمن يريد التوغل أكثر، بعد أن وضع يده على الطريق.

وعوامل التجذر الثقافي في المنطقة بشكل عام ـ من وجهة نظر الدكتور الفضلي ـ تعود إلى عاملين رئيسين[(٢)]:

- قدم السلالة البشرية الحضارية في هذه المنطقة.
- بكور دخول الدعوة الإسلامية إلى هذه المنطقة.

---

(١) أعلام هجر، مصدر سابق: ١/ ١٥.

(٢) أعلام هجر، مصدر سابق: ١/ ١٥.

□ معالجة بعض قضايا التراث (الوقف أنموذجًا)

مع أن الوقف مسألة فقهية، متجددة جيلاً بعد جيل، إلاّ أن تبعاتها متعلقة بدرجة كبيرة بالتراث، إذ إنَّ معظم الأوقاف تعود إلى مئات وعشرات السنين الماضية، وما تلاها من أوقاف في العصور المتأخرة لا تشكل إلاّ النزر اليسير منها. فكان للبعد الزمني ـ بين زمن الوقف وزمن إدارته ـ أنْ ساهم في حدوث الكثير من التلاعب بها وإبعادها عن مسارها، كما أنها تعد من مهام المنشغلين بالتراث، لما في الوقف من أبعاد تراثية كثيرة، ليس هنا مجال عرضها.

ولعل من أوضح الجهود التي تناولت الوقف الأحسائي وحاولت أن ترفع من شأنه على المستوى التحليلي أو التنظيري ما قام به العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي في الورقة المقدمة للندوة الرابعة من سلسلة الحوار بين المسلمين والتي كانت بعنوان (مشكلات الوقف الإسلامي وسبل تنميته - الأحساء نموذجًا)[١] مبينًا خلالها أنواع الوقف الأحسائي، وملخصًا لأهم المشكلات التي تعترض الوقف في المنطقة وهي:

أولاً: اختلاس الأولياء الذين يعينون من قبل الفقيه المرجع.

ثانياً: إهمال الوقف من قبل أوليائه لأن محصولها لا يعطي ما يصرف عليها.

كما قام بعمل تصنيف لأنواع الوقف الأحسائي وعدد كل نوع منها، وهي دراسة جديرة بالنظر.

وتكمن أهمية هذه الدراسة التي قام بها شيخنا الفضلي، أنها أول دراسة علمية تحاول معالجة مشكلة الوقف في الأحساء، والإعلانعن بوجود مشكلة حقيقية جديرة بالبحث ولفت النظر إليها، وذلك من خلال ما ذكره من إحصائيات حول عدد الأوقاف في الأحساء، وبعض اتجاهاتها.

كما أن المشاركة بهذه الدراسة في مؤتمر إسلامي إبراز للوقف الأحسائي، وأنه جدير بالدراسة ولفت النظر إليها من لدن الباحثين في المناطق المختلفة، ناهيك عن بروز الحس الوطني لدى الدكتور اتجاه وطنه الأحساء، وأهمية السعي لحل مشاكله.

(١) مجلة الكلمة العدد (١٣) السنة الثالثة خريف ١٩٩٦م/ ١٤١٧هـ: ٢٧.

منهجية الدكتور الفضلي في صناعة التقريظ(*)

■ الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف(•) ■

□ مفتتح

يمتاز **العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي** بتصانيفه الكثيرة، ومؤلفاته القيمة الشهيرة، ونظرًا لما تتميز به هذه المؤلفات من منهجية علمية، وأسلوب عصري مميز، فقد أصبح بعضها يُدَرَّس في الحوزات العلمية، والجامعات الأكاديمية، وهذا يدل على القيمة العلمية، والمنهجية الرائعة لهذه المؤلفات التي خطها يراع الشيخ الفضلي.

كما امتاز **الدكتور الفضلي** بتقديمه للكثير من المؤلفات والكتب، وقد سجل في هذا المضمار قصب السبق في كتابة المقدمات للمؤلفات الجديدة، فلا يكاد يصدر كتاب في المنطقة[1] إلاّ وتجد تقديم **الدكتور الفضلي** له.

ولو جمعت هذه المقدمات لأصبحت أكثر من مجلد ضخم؛ وهذا يدل على تواضعه العلمي، وتشجيعه للأقلام الواعدة، إذ ما طلب منه أحد المؤلفين أن يقدم لكتابه إلاّ واستجاب، بغض النظر إن كان المؤلف معروفًا أو لا، وكتابه قويًا أم ضعيفًا، فديدنه هو التشجيع على نشر العلم، وتحفيز الأقلام للعطاء والإبداع.

□ في معنى التقريض والتقريظ والتقديم

قبل الولوج في موضوع البحث، نشير إلى المعنى اللغوي لمفردات تقريض وتقريظ وتقديم لتحرير المقصود من ذلك. فقد جاء في المعاجم اللغوية التفريق بين التقريظ والتقريض، إذ إن التَقْرِيظ يعني: مدح الإنسان وهو حي، والتأبين مدحه

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) باحث وأستاذ بالحوزة العلمية من القطيف.

(١) يقصد الكاتب: المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية التي استقر فيها الشيخ الفضلي بعد تقاعده من التدريس في جامعة جدة في عام ١٩٨٩م وحتى الآن.

ميتًا، وقَرَّظَ الرجل تقريظًا: مدحه وأثنى عليه، مأخوذ من تقريظ الأديم يبالغ في دباغه بالقَرَظِ، وهما يتقارظان الثناء.

وقولهم: فلان يُقَرِّظُ صاحبه تقريظًا، بالظاء والضاد جميعًا، عن أبي زيد، إذا مدحه بباطل أو حق.

والتقريظ: مدح الحي ووصفه، ومنه حديث علي عليه السلام: «يهلك فيّ رجلان: محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني». وقَرَّظَ فلان فلانًا وهما يتقارظان: المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه، ومثله يتقارضان، بالضاد. وقد قَرَّضَه إذا مدحه أو ذمَّه. فالتقارُظ في المدح والخير خاصة، والتقارُض في الخير والشر[١].

والقَرِيضُ: الشعر، والتَقْرِيضُ: صناعته (صناعة الشعر).

قال أبو زيد: قَرَّظَ فلان فلانًا، وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه، ومثله يتقارضان، بالضاد، وقد قَرَّضَه إذا مدحه أو ذمه، فالتقارظ في المدح والخير خاصة، والتقارض إذا مدحه أو ذمَّه، وهما يتقارضان الخير والشر؛ قال الشاعر:

إنَّ الغنِيَّ أَخُو الغَنِيِّ، وإنما ... يَتقارضَانِ، ولا أَخَا للمُقترِ

وقال ابن خالويه: يقال يتقارظان الخير والشر، بالظاء أيضًا[٢].

وقَرَّظَ تقريظًا: مدحه وهو حي بحق أو باطل.

تَقَارَظَ الرجُلانِ: تمادحا[٣].

ومما تقدم، يتضح لنا أن الصواب هو استخدام كلمة التقريظ للدلالة على مدح شخصٍ مّا لكتاب معين أو لمؤلفه أو لهما معًا، وهو أسلوب درج عليه الأقدمون وسار عليه من جاء بعدهم، حيث يُعطي المؤلف كتابه لشخصية علمية بارزة كي يقرظه له، ويكتب البعض من المؤلفين أو المقرظين لفظة التقريض للدلالة على المدح

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مج٧، ص ٤٥٥.

(٢) لسان العرب، مج٧، ص ٢١٨.

(٣) المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة والعشرون ١٩٨٤م، ص ٦٢١.

من قبل المُقرِظ للمُقَرَظ إليه، في حين أن كلمة التقريض تدل على المدح أو الذم، وتعني كذلك صناعة الشعر، وهو ليس المقصود من التقريظ.

وقد درج بعض العلماء المعاصرين على استخدام كلمة (تقديم) بدلاً من تقريظ، وهي تعطي الدلالة نفسها، وقد شهدت صناعة (التقريظ) الكثير من التطوير والإبداع، ففي حين كانت في السابق مختصرة جدًّا، وتصاغ بألفاظ صعبة اعتاد الأقدمون على استعمالها، ولا تعدو غالبًا الإشادة بالمديح والثناء على الكتاب ومؤلفه؛ أصبحت اليوم أكثر توسعة، وربما تقويمًا للكتاب ومؤلفه، كما يفضل بعض المقرظين إعطاء رؤيته الخاصة حول موضوع الكتاب، وهو الأمر الذي يُغني البحث الذي يتناوله المؤلف في كتابه.

□ منهجية التقريظ عند الدكتور الفضلي

عندما نتمعن في منهجية **الشيخ الفضلي** في تقريظاته للكتب التي قَرَّظَهَا نجدها تميزت بالعديد من المميزات المهمة، من أبرزها:

أولاً: تقديم رؤية عن موضوع الكتاب

تميزت مقدمات **الدكتور الفضلي** للكتب والتصانيف المختلفة بتقديم رؤية حول موضوع الكتاب المقدّم له، فقد تكون هذه الرؤية ثقافية أو علمية أو تاريخية أو فقهية أو أصولية... وغيرها، بحسب محتوى الكتاب، فإذا كان الكتاب ثقافيًا، فالرؤية التي يقدمها **الدكتور الفضلي** تكون رؤية ثقافية. وإذا ما كان الكتاب تاريخيًا، فالرؤية في تقديمه للكتاب تكون تاريخية... وعلى هذا فقس بقية الأمثلة.

وللتدليل على ذلك، نستعرض بعض تقاريظه لكتب مختلفة من حيث المحتوى، وكذلك اختلاف المؤلفين، لما في ذلك من توضيح للفكرة، وبيان سعة اطلاع **الدكتور الفضلي**، وثراء معارفه في مختلف الحقول:

١ - تقديمه لكتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع):

كتاب **(أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع)** للشيخ **حسن الصفار**، ويقع في عدة مجلدات، هو عبارة عن المحاضرات التي يلقيها يوم الجمعة وغيرها. وقد تناول **الدكتور الفضلي** في تقديمه لهذا الكتاب في مجلده الأول ظاهرة تدوين ما يلقيه العالم

أو المثقف لحفظه من الضياع، ولإفادة الأجيال القادمة منه، إذ يقول **الدكتور الفضلي** عن هذه الظاهرة المفيدة: «هذه الظاهرة هي التي كانت تعرف عند بداية النشأة بـ(الأمالي) جمع إملاء، وجاءتها هذه التسمية من واقعها العملي في الوسط الثقافي، حيث كان الأستاذ في الغالب يدوّن مادة أماليه على الورق، ثم يقوم بإلقائها على طلابه المتحلقين تحت منبره وحوله، وهم بدورهم يقومون بكتابة ما يمليه عليهم، وربما أملى الأستاذ من محفوظاته، أي من غير أن يستخدم الورق.

وكانت مادة الأمالي في البدء تقتصر على الحديث الشريف، ثم توسع العلماء فيها، فراحت تشمل علوم اللغة العربية وآدابها، وعلوم الشريعة الإسلامية وأحكامها، والمواعظ والحكم، وألوانًا أخرى من التاريخ الإسلامي وسواه.

ومن أشهر هذه الأمالي مما هو موجود في مكتبتنا العربية:

- أمالي أبي علي القالي.
- أمالي الشريف المرتضى.
- أمالي ابن الحاجب النحوية.
- أمالي أبي السعادات ابن الشجري.

وفي الوقت نفسه، ومن جانب آخر، كانت تسمى هذه الظاهرة بالمجالس؛ لأن العالم يقوم بالإملاء أو الإلقاء في مجالس موقوتة، من حيث الزمان، ومن حيث المكان.. ومنها:

- مجالس الأبرار ومسالك الأخيار، للشيخ أحمد الرومي، وهي (على مئة مجلس في شرح مئة حديث).
- مجالس ثعلب النحوي البصري.
- مجالس أبي سهل النوبختي.

وقد تأخذ المادة الملقاة الاسمين معًا، فيقال لها: الأمالي، ويقال لها: المجالس، كما فيما كان يلقيه **الشيخ الصدوق** حيث أصبح يعرف بأمالي الصدوق، ومجالس الصدوق، التي ناهزت مئة مجلس، وكان يلقيها يوم الجمعة.

وكانت هذه المجالس أو الأمالي تلقى في المساجد غالبًا.

وعندما دخل المذياع (الراديو) إلى البلاد العربية، وأسست دور الإذاعات العربية، وجد إلى جانب تلك المجالس المسجدية، التي لا تزال قائمة، برامج إذاعية تحت عنوان (حديث).

وهو نمط من التطور في هذه الظاهرة الثقافية.

وشارك فيها غير واحد من العلماء العرب آنذاك، منهم:

- **الدكتور طه حسين**، فقد كان يلقي حديثًا كل يوم أربعاء عن طريق إذاعة القاهرة في الأدب العربي، ثم جمعت أحاديثه تحت عنوان (**حديث الأربعاء**)، ونشرت بثلاثة أجزاء، وأصبحت من مصادر الأدب العربي.

- **الدكتور محمد مهدي البصير**، الذي كان يلقي حديثًا إذاعيًا كل أسبوع مرة في الأدب العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق إذاعة بغداد، ثم جمعت أحاديثه، وسميت (**نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر**)، ونشرت. وهي اليوم من أهم مصادر الأدب العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي»[1].

وبعد استعراضه لهذه الظاهرة الثقافية ومسار تطورها، يربط ذلك بما قام به **الشيخ الصفار** في كتابه قائلاً: «والآن يضيف الأخ **الصفار** إلى أعماله في رفع مستوى أبناء مجتمعه ثقافيًا:

- مجلسه ليلة السبت في داره بالقطيف، وهو ملتقى ثقافي عام.
- أحاديثه يوم الجمعة، وهي التي بين يدي القارئ الكريم.

والهدف من إلقاء هذه الأحاديث الأسبوعية هو التثقيف والتبليغ.

التثقيف، لأنه مسؤولية كل حملة الفكر يتوخون منه رفع مستوى أبناء المجتمع ثقافيًا.

ومن المفروغ منه أن خطب صلاة الجمعة، والأحاديث الأسبوعية سواء كانت مما يلقى يوم الجمعة أم في غيره من أيام الأسبوع لها دور فاعل في رفع مستوى الوعي

(١) أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، الشيخ حسن الصفار، تقديم الدكتور عبد الهادي الفضلي، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٥ ـ ٧.

الثقافي عند أبناء المجتمع، ودور مساهم في بناء شخصية الفرد الثقافية، وزيادة مخزون رصيده الثقافي.

أما التبليغ، وأعني به التبليغ الديني، فهو أهم واجب من واجبات العالم الديني والخطيب الديني، فعن طريقه ينشدّ المسلم عاطفيًا بدينه، ويرتفع إلى مستوى رسالته في هذه الحياة.

وقد أثبتت تجارب التثقيف والتبليغ أن نجاح من يقوم بذلك مرهون بمدى قدراته على ربط الفكرة بالواقع، ومقدار معرفته بنفسيات مستمعيه ودرجات وعيهم الثقافي.

وهذا ما نستطيع أن نلمسه وبوضوح في أحاديث هذا الكتاب الذي بين يدينا»[(١)].

وهكذا نجد أن **الدكتور الفضلي** قد قَدَّمَ لنا رؤية واضحة حول مضمون الكتاب، ولم يكتفِ بالإشادة بالكتاب ومؤلفه، وإنما تحدث قبل ذلك عن هذه الظاهرة الثقافية المفيدة، وأشار إلى تطورها تاريخيًّا، ثم ربطها بمحتوى الكتاب المُقَدَّم له، ليعطي للقارئ معلومات قيمة عن فكرة تدوين المحاضرات، وحفظها من الضياع؛ بدءًا من الرعيل الأول للعلماء وإلى عصرنا الحاضر في الألفية الثالثة.

٢- تقديمه لكتاب (معجم ألفاظ الفقه الجعفري):

هذا الكتاب أَلَّفَهَ **الدكتور أحمد فتح الله**، وقد قَدَّمَ له **الدكتور الفضلي** بمقدمة تناول فيها أهمية وضع معجم فقهي يوضح ويشرح ألفاظ الرسائل العملية التي عادة ما تُصاغ بلغة الفقه العلمية، وبأسلوب التعبير العلمي في صياغتهم للفتوى، مما يشكل مشكلة فنية أمام الاستفادة منها من قبل المقلدين من غير أهل العلم.

ويشرح **الدكتور الفضلي** أهمية المعجم الفقهي بقوله: «ومضافًا إلى أن مثل هذا المعجم يقوم بدور حل مشكلة لغة الرسالة العملية، هو أيضًا مطلب أساسي يفتقر إليه الوسط الثقافي بسبب تطور وسائل وأساليب البحث العلمي والدرس الأكاديمي المعاصرين، وذلك ليكون لفقهنا الحضور العلمي المعاصر، وقد لمست الحاجة الماسة لمثل هذا المعجم وأنا أزور أكثر من جامعة في بريطانيا لتوثيق العلاقات

(١) م. س، ص ٨٧.

الثقافية بينها وبين (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية)، حيث رأيت أقسام ودوائر الدراسات الشرقية والإسلامية تدعو لتأليف مثل هذا المعجم. وقد كنت من قبل رأيت الحاجة ملحة لوضع معجم ألفاظ الفقه الجعفري عندما قمت بتحقيق كتاب (هداية الناسكين من الحجاج والمعتمرين) للشيخ **محمد حسن النجفي** صاحب الجواهر، والتعليق عليه، وصرحت بمقدمتي له بذلك، ورجوت أن تحقق هذه الأمنية. والآن عندما وقعت عيناي على هذا المعجم سررت جدًّا لتحقق الأمنية، ذلك أن هذا المعجم تميز وامتاز بالتزام مؤلفه تدوينه وفق أحدث وأهم التقنيات في كتابة المعجم، وكذلك برجوعه إلى مختلف المصادر العلمية التي ينبغي الرجوع إليها لوضع مثل هذا المعجم من معجمات لغوية منفردة ومزدوجة، وموسوعات ثقافية عامة، ومدونات فقهية خاصة، ذكر كثيرًا منها في قائمة مراجعه، بالإضافة إلى تطوافه لعدة سنوات في رحاب رسائل عملية شتى، ومتون فقهية مختلفة ومتعددة»[١].

ونلحظ في هذا التقديم كيف أن **الدكتور الفضلي** قد سلط الأضواء على أهمية تصنيف معاجم فقهية مما يسهل للقراء فهم المصطلحات والمتون الفقهية، واستيعاب المطالب العلمية في علم الفقه.

٣- تقديمه لكتاب (تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف):

في تقديم **الدكتور الفضلي** لهذا الكتاب الذي يتناول حدثًا تاريخيًّا، وهو من تأليف **الأستاذ علي بن إبراهيم الدرورة**، يبدأ في تقديمه قائلاً: «يستعرض هذا الكتاب تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، من خلال ما وقف عليه المؤلف الكريم من وثائق وكتب وبحوث باللغات العربية والإنجليزية والبرتغالية.

وهو جانب مهم من جوانب تاريخ القطيف بخاصة، وتاريخ الخليج العربي بعامة، في حقبة من الزمن كادت تكون من تاريخ ما نسيه التاريخ، لولا ما كُتب عنها في اللغات غير العربية، وتُرجم شيء منه إلى اللغة العربية، فكان الحافز للمؤرخين العرب إلى القيام بتدوين تاريخ هذه الحقبة المومى إليها»[٢].

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله، تقديم الدكتور عبد الهادي الفضلي، مطابع المدوخل، الدمام السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص ١٠.

(٢) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، علي إبراهيم الدرورة، تقديم الدكتور عبد الهادي الفضلي، أبو ظبي الإمارات، طبع عام ٢٠٠١م، ص ٥.

ولأن الكتاب يتحدث عن الاحتلال البرتغالي للقطيف، فقد تناول **الدكتور الفضلي** في بداية تقديمه للكتاب مفهوم الاحتلال في التعريف اللغوي والمصطلح العلمي؛ ذلك أن المصطلح العلمي بحسب رأي **الفضلي** من المعاني القديمة في لغتنا العربية، وما يرادفه من المصطلح العلمي الحديث.

بعد ذلك أشار إلى موجة الإمبراطوريات الأوروبية التي احتلت الكثير من دول العالم، قائلاً: «وبعد هذه الإمبراطوريات القديمة جاءت الإمبراطوريات الأوروبية، متمثلة في أمثال: الاحتلال الفرنسي والاحتلال البريطاني والإسباني والبرتغالي للعديد من بلدان العالم، وكانت الإمبراطورية البرتغالية (أعظم إمبراطورية قامت في الغرب)، كما أنها كانت الدولة التجارية الأولى في العالم، ويعود هذا إلى ما قام به الرواد الأوائل من القادة الملاحين البرتغاليين من مغامرات في عرض البحار وطولها لاكتشاف المدن ذات الثروات المهمة، والمرافئ ذات المواقع الجغرافية التي تعطيها أهميتها من حيث التجارة، والمعابر التي تستطيع الإمبراطورية أن تتحكم فيها بغية تعزيز نفوذها السياسي»[1].

بعد ذلك أشار **الدكتور الفضلي** في تقديمه للكتاب إلى دوافع البرتغاليين لاحتلال القطيف عام ٩٢٧هـ ـ ١٥٢١م، وذلك لما كانت تتمتع به منطقة القطيف من مواصفات مميزة، من أهمها:

١. موقعها الجغرافي، فهي من أهم موانئ الخليج آنذاك.
٢. استقرارها الاستيطاني، فقد كانت إحدى حواضر شبه جزيرة العرب.
٣. عراقتها الحضارية، فمنذ القدم تعاقبت عليها حضارات شتى تركت بصماتها في مظاهر التمدن وظواهر التفكير، وآفاق النظرة الواعية للحياة، حيث يُسْر التعامل معهم، والاعتماد في التبادل المالي.
٤. وفرة وتنوع ثرواتها من منتجات حيوانية، ومحصولات زراعية، ومستخرجات بحرية من لؤلؤ وسمك، ومصنوعات يدوية كالسيوف والرماح... إلخ.

مما ساعد على أن تكون مرسى للمراكب التجارية الآتية من البحار فيما وراء الخليج إلى البصرة، والطالعة منها إلى تلكم البحار.

---

(١) م. س، ص٨٧.

وأن تكون محطةً للبضائع التجارية الواردة إليها ومنطلقًا للأخرى الصادرة منها.

وأن تكون سوقًا تجارية يرتادها أبناء قبائل بوادي الجزيرة العربية القريبة منها يبيعون منتوجاتهم الزراعية والبحرية، ووارداتها من بضائع تصل إليها من وراء البحار.

وأن تكون معبرًا بين شمال الخليج وجنوبه.

إن هذه الأسباب جعلتها مطمعًا للدول القوية التي تنشد فتح الأسواق لتجارتها، ومعبرًا تنفذ منه إلى السواحل البحرية فيما وراء البحار، وتسد المنافذ بوجه الآخرين، ومصدرًا للثروة تفيد منها في دعم إمبراطوريتها ومركزها الأم»[١].

وفي نهاية تقديمه أشار **الدكتور الفضلي** إلى عاملين رئيسين ساهما في انتصار أهالي القطيف على الاحتلال البرتغالي لمنطقتهم في عام ٩٨٧هـ ـ ١٥٧٢م، وهما:

١- الدين: ويتمثل هذا في أن أهل القطيف مسلمون ملتزمون، ينطلقون من مبدأ عدم تسلط غير المسلم عليهم، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٢].

يضاف إليه: أن خضوع المسلم لغير المسلم سلبٌ للعزة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وكان الدين أقوى شعار طرحه القطيفيون لإخراج البرتغاليين من بلادهم.

٢- التحرر الوطني: ويرجع هذا إلى قوة ارتباط أبناء القطيف بوطنهم، فمن حقهم الطبيعي أن يكون وطنهم لهم يحكمونه بأنفسهم أو من يرتضونه لذلك[٤].

والملاحظ من خلال هذا التقديم أن **الدكتور الفضلي** قد استعرض تفاصيل الاحتلال البرتغالي للقطيف، ابتداءً من تعريفه لمفهوم الاحتلال لغويًا واصطلاحيًا، مرورًا باستعراض دوافع البرتغاليين لاحتلال القطيف، ثم تناول **الدكتور الفضلي**

(١) م. س، ص ١٠.
(٢) سورة النساء: الآية ١٤١.
(٣) سورة المنافقون: الآية ٨.
(٤) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، ص ١٠ ـ ١١.

عوامل انتصار أهالي القطيف على البرتغاليين وإخراجهم من منطقة القطيف، ولم ينسَ في نهاية تقديمه ذكر الفوائد التي استفادها أهل القطيف من البرتغاليين؛ مشيدًا في الأخير بجهد المؤلف في تأليف هذا الكتاب والذي يتناول حدثًا تاريخيًّا مهمًّا في تاريخ المنطقة.

٤- تقديمه لكتاب (شرعية الاختلاف):

لقد تشرفت في عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م بأن قدمت **للدكتور الفضلي** كتابي الموسوم بـ **(شرعية الاختلاف)** لكي يقدم له، وبالفعل استجاب لي كعادته مرحبًا بذلك، وكتب لي تقديمًا مطولاً ومفيدًا للغاية، تناول فيه رؤيته حول شرعية الاختلاف ودوافعه والقبول بنتائجه، وقد شرح في البدء معنى الذات ومعنى الآخر، فوضح مفهومهما قائلاً: «تطلق كلمة الذات في المجال المشار إليه على الفرد الذي يحمل أو الجماعة الذين يحملون فكرًا معينًا من طرف، وتطلق كلمة الآخر من طرف آخر مقابل له على الفرد الذي يحمل أو الجماعة الذين يحملون فكرًا آخر معيّنا يختلف عن الفكر المقابل له.

ومثال هذا: الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية، والثابت والمتغير، والوحدة والتعدد، والحق والباطل، والخير والشر و... إلخ»[١].

بعد ذلك تحدث في تقديمه للكتاب عن حرية الفكر في الإسلام، التي من أهم أقسامها حق الاجتهاد والاختلاف في نتائجه، واعتبر ذلك الوسيلة الشرعية لفهم الأحكام في الاعتقاد وفي التشريع.

ويضيف **الدكتور الفضلي** موضحًا فكرته بالقول: «وترتب على هذا ـ بالإضافة إلى ما توخاه الإسلام من إصابة الصحيح في العقيدة، وإصابة الواقع في التشريع ـ أن أثرى الاجتهاد والفكر الإسلامي، وأن دخل عاملاً قويًّا في استمرار مسيرة الثقافة الإنسانية، وفي وضع الإنسان المسلم على طريق نشدان الكمال بمختلف قيمه من حق وخير وجمال.

---

(١) شرعية الاختلاف، عبدالله اليوسف، تقديم الدكتور الفضلي، دار الصفوة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ١٠.

ومن طبيعة الاجتهاد الاختلاف في الرأي، ولا إخال أن التاريخ البشري يثبت لنا غير هذا، فقد ولد الاختلاف توأم الاجتهاد، وسارا مقترنين، وسيبقيان مصطحبين حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[1].

ثم أشار الدكتور الفضلي إلى نقطة مهمّة، وهي: كيف نشأ الاجتهاد في الفكر عند بني الإنسان؟

ويجيب عن هذا بالتفصيل قائلاً ما نصه:

«نستطيع أن نتبين هذا من خلال تعرفنا لمراحل تطور المجتمع البشري، فقد كان المجتمع أول ما كان، مجتمع الأسرة الواحدة، تلك الأسرة التي كانت هي وحدها المجتمع.

وبحكم تأثير الأواصر التي تشد أفراد هذه الأسرة الأولى التي كانت المجتمع في أولى مراحله، تلك الأواصر التي تتمثل في الولاء لبعضهم البعض الذي كان يتمتع بنقاء العلاقة الاجتماعية وصفوها، حيث لا يرى حقوقًا مختلفة باختلاف أفراده تلد المصالح التي تتناقض، فتتنازع الأهواء أصحابها بما يؤدي إلى الاختلاف والخلاف.

ثم وبعد أن تكثرت الأسر وتعددت كان مجتمع القبيلة، وبه تمثلت المرحلة الثانية من مراحل تطور المجتمع.

كان مجتمع القبيلة تنتظم علاقاته الاجتماعية وتنظمها الأعراف العشائرية القائمة على أساس الإيمان بالدم الواحد والقربى الواحدة.

وفي هذه المرحلة كانت الخطوة الأولى التي خرج فيها المجتمع من اعتماده على الفطرة في تنظيم علائق أفراده إلى الفكرة التي أفرزت الأعراف، وجعلت منها النظام الذي يحكم علاقات الأفراد.

ومع تعدد القبائل وتعدد المصالح كانت المرحلة الثالثة التي تمثلت في مجتمع القرية.

وفي هذا المجتمع تطورت الفكرة تطورًا أوليًّا، حيث راح المجتمع يعتمد في تنظيم العلاقات على المصالح التي قامت مقام الدم والقربى.

---

(١) م. س، ص ١٠ – ١١.

ثم تعددت القرى وتكاثر أفرادها فكانت المدينة، وكان مجتمع المدينة.

وتحركت الفكرة هنا أكثر من ذي قبل، فوضعت ضوابط تهدف إلى تنظيم المصالح، وكانت هي الخطوة الأولى في طريق التقنين.

وأخيرًا كان مجتمع الدولة، وكان للفكرة الدور الأكبر، حيث وضع الإنسان القانون متمثلاً في الدستور والأنظمة المنبثقة عنه.

وكما رأينا، تحرك المجتمع في تطوره من طور ضوابط المصلحة، إلى طور القانون.

وإذا حاولنا أن نتعرف منبع الاختلاف في الرأي من خلال هذه التطورات للمجتمع، سنراه متمركزًا في مجتمع الفكرة.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، هو مجتمع الفطرة حيث لا اختلاف ولا خلاف.

ووقع ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ بعد أن انتقل المجتمع إلى طور الفكرة حيث الاجتهاد.

وكلما كان الاجتهاد كان الاختلاف»[٢].

ثم يتحدث الشيخ الفضلي عن دوافع الاختلاف، ويشير إلى أهمها عبر النقاط التالية:

١. الفوارق الفردية في نسب تفاوت الذكاء عند بني الإنسان.
٢. التباين في النظرة إلى واقع الحياة وواقع الإنسان.
٣. تناقض المصالح الشخصية فردية وجماعية وتضاربها.
٤. تفاوت مستويات القدرة على فهم النصوص في إطار الخلفيات الثقافية[٣].

(١) سورة البقرة، آية ٢١٣.
(٢) شرعية الاختلاف، ص ١١ - ١٢.
(٣) م. س، ص ١٢-١٣.

وفي نهاية تقديمه يستخلص النتائج وهي: أن الحرية هي الأصل، وسلبها أو سلب جزء منها خلاف الأصل، وضرورة القبول برأي الذات واحترام رأي الآخر(١).

من خلال هذه النماذج التي استعرضتها، يتضح للقارئ الكريم المنهجية العلمية التي يتبعها **الشيخ الفضلي** في تقديماته لكتب المؤلفين، وبيان رؤيته تجاه الموضوع الذي يتناوله الكاتب في كتابه. كما يدل من جهة أخرى على موسوعية **الدكتور الفضلي**، وسعة معارفه، وثراء ثقافته، وغزارة علمه في أكثر من حقل علمي ومعرفي.

□ ثانيًا: تشجيع الكُتَّاب والمؤلفين

للتشجيع دور مؤثر في تفجير طاقات الإنسان، وتحفيزه نحو المزيد من العطاء والفاعلية والإنتاج، في حين أن للتثبيط دورًا معاكسًا لذلك، فَرُبَّ كلمة مثبطة تؤدي إلى تحطيم شخصية إنسان، وَرُبَّ كلمة مشجعة تخلق من إنسان ما شخصية متميزة.

وعندما نقرأ تجارب ومذكرات القادة والزعماء والعظماء، فإننا نجد في بعضها أن سبب نجاحهم هو كلمة تشجيع من شخص مميز، فكم من كاتب قدير، أو خطيب مفوَّه، أو عالم متميز، أو قائد عظيم كان لكلمة تشجيع من شخصية بارزة الأثر الأكبر في بناء شخصياتهم.

وصفة التشجيع من السمات البارزة في شخصية **الدكتور عبد الهادي الفضلي**، وهو الشخص المتميز بمؤلفاته وتصانيفه الكثيرة، فأينما ولَّيت وجهك تجاه أي مكتبة أو معرض كتاب فستجد الكثير من مؤلفات **الدكتور الفضلي** وإنتاجه المعرفي أمام عينيك.

هذا الكاتب المتميز بعطائه العلمي والمعرفي في غير حقل من حقول المعرفة، وهذا العَالِمُ الذي جمع بين دراسة الحوزة والجامعة في آن واحد، فإن أي كلمة تشجيع منه تترك أثرها في أي كاتب أو طالب عالم أو خطيب أو...؛ فالإنسان مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، وهو ليس جمادًا لا حراك فيه، وبالتالي فالتشجيع يلعب دورًا بارزًا في شخصية الإنسان وحياته.

---

(١) م. س، ص ١٣.

وعندما نقرأ في تقديمات **الدكتور الفضلي** نكتشف بوضوح تشجيعه للكاتب ـ أيًّا كان تخصصه ومكانته ـ بما يسبغه عليه من عبارات الثناء والتقدير، وإبراز مميزات الكتاب وخصائصه، وعدم الإشارة إلى نقاط الضعف التي قد لا يخلو منها أي كتاب.

ولنذكر على ذلك بعض النماذج من تقديماته للكتب، وتشجيعه لمؤلفيها... منها:

١- (شعراء القطيف المعاصرون):

في تقديم **الدكتور الفضلي** لكتاب **(شعراء القطيف المعاصرون)** للأستاذ **عبد الله حسن آل عبد المحسن** يثني على الكاتب بقوله: «وفيما بين يدي القارئ الكريم من مواد هذا الكتاب ما يصور جوانب من هذه الحركة المباركة في البدء والمواصلة، قام به المؤلف الفاضل **الأستاذ عبد الله آل عبد المحسن**، ليضيف مرجعًا آخر في أرشيف المصادر عن أدب القطيف الحديث.

وحاول أن يلقي أضواء من التقييم الأدبي وأن يسفر عن بعض الجوانب الفنية لبعض النتاج الشعري المعروض بما يكشف عن شيء من المستوى، فوفق أن يخطو بهذا قُدُمًا في الدرس الأدبي، نرجو أن يتبع خطوته هذه، أو أن تتبع من قبل آخرين من أبناء القطيف أو غيرهم بخطوات متتالية توصلنا على المدى إلى ما نهدف إليه من وضع أدب القطيف المعاصر في موضعه من دنيا الأدب العربي الحديث.

جزى الله المؤلف العزيز كفاء وفائه لوطنه، وسلّم للقطيف الحبيبة نهضتها المباركة»[1].

٢- (المنطقة الشرقية.. حضارة وتاريخ):

كتاب **(المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية: حضارة وتاريخ)** لمؤلفه **الأستاذ محمد علي صالح الشرفاء**، يوضح **الدكتور الفضلي** في تقديمه لهذا الكتاب مميزاته وخصائصه، كما يثني على جهود مؤلفه، ولنقرأ ما كتبه بالنص: «وكان ممن

(١) شعراء القطيف المعاصرون، عبد الله حسن آل محسن، مطابع الرجاء، الخبر السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ص٣.

أحس بالمسؤولية أيضًا تجاه هذه المنطقة مؤلف هذا الكتاب الموسوم بـ **(المنطقة الشرقية: حضارة وتاريخ)** للأستاذ السيد **محمد علي الشرفاء**.

وقد سار في تأليفه وتدوين مَوْسوعَتِهِ هذه الطريقة التوثيقية، فاعتمد الكثير من المصادر الموثقة التي وصلت إليها يده، من حفريات آثارية ونقوش قديمة وكتب مخطوطة ومطبوعة ودوريات من مجلات وصحف يومية ومقابلات شخصية وجولات ميدانية، نقل منها، وعلّق في مواطن التعليق، ولخص، واستنتج.

وقد حاول أن يستوعب عند عرضه الحوادث، وأن يستوضح قدر الطاقة والميسور، فَوُفِّقَ إلى شيء كثير من هذا. فجاء كتابه لهذا موسوعة شاملة، تدرج وباستحقاق في قائمة المصادر لتاريخ هذه المنطقة وشؤونها الأخرى، وخدمة علمية تذكر له ويشكر عليها.

أسأل الله تعالى أن يكثر من أمثاله، وأن يكتب عمله هذا في قائمة حسناته»[(١)].

٣- (تجليات):

الكتاب من تأليف الشاعر **جاسم حسن المشرف**، وقَدَّمَ له **الدكتور الفضلي**، وسيرًا على عادته من التشجيع والتحفيز لكل كاتب أو شاعر أو أديب يثني عليه وعلى شعره وأدبه.

ولنقرأ ما خطه **الدكتور الفضلي** في تقديمه لهذا الكتاب، حيث يقول: «**والشاعر المشرف** ابن الأحساء التي عرفت بعمق ولائها **لآل البيت** ﷺ من أيام شعراء عبد القيس، ولا يزال فوح عبيره يعطر الأجواء، ويزداد كلما تقادم العهد، فلم تبلُ الأيام من روعة صوره، ولم تقلل من عنفوان وهجه، بل إنه أكثر من هذا، فقد تميز بمسايرته تطورات الفكر على امتداد العصور، الفكر الذي يسمو بسمو معنى الاصطفاء والولاء، وسمو معنى العطاء والوفاء. فبارك الله في المشرف سَيرَهُ على خط

---

(١) المنطقة الشرقية: حضارة وتاريخ، محمد علي صالح الشرفاء، تقديم الدكتور عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الدمام السعودية، ص ١٤.

آبائه وأجداده في هذا الولاء العظيم لآل البيت العظماء، ووفقه إلى الوفير من هذا»[١].

٤- (ويسألونك عن الكتاب):

مؤلف الكتاب **الأستاذ حسن آل حمادة**، وقد قَدَّمَ له أيضًا **الدكتور الفضلي**، وجريًا على منهجيته في تشجيع المؤلفين والمبدعين أشاد بالمؤلف وبعطائه الثقافي، فقد قال في هذا الشأن ما نصه: «والمؤلف الكريم **الأستاذ حسن آل حمادة** أدرى بمشكلة القراءة ومشكلة الكتاب العربي الفاعل في حركة التطوير إلى ما هو أفضل، بحكم تخصصه في (المكتبات والمعلومات).

ومن هنا كانت له أكثر من مساهمة في هذا المجال، ومنها هذا الكتاب الذي بين يدينا، فقد أثار فيه التساؤل عن مشكلة الكتاب العربي المطوَّر والمطوِّر.

وأن أترك للقارئ الكريم قراءته لمعرفة محتواه والإفادة منه أولى من أن أسهب في الحديث عنه.

وأن يعي إنساننا موقعه في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ويستشعر واجبه تجاهها هو ما ننتظره؛ لأنه الانطلاقة الواعية والخلاقة.

وفق الله المؤلف الكريم للاستمرار في أداء هذه الرسالة الشريفة»[٢].

٥- (أعلام من أسرتي):

«أسرة المحمد علي من الأسر الأحسائية التي تحتل مركزًا مرموقًا في المنطقة، فهي من الأسر البارزة والمعروفة في جميع الأوساط الاجتماعية الأحسائية.. وترجع في نسبها إلى عشيرة عبد القيس العربية الشهيرة..»، بهذه الكلمات يفتتح **الدكتور الفضلي** تقديمه لكتاب **(أعلام من أسرتي)** الذي ألفه **الأستاذ علي محمد المحمد علي**.

---

(١) تجليات، جاسم حسين المشرف، دار الأضواء، لبنان بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٢.

(٢) ويسألونك عن الكتاب، حسن آل حمادة، تقديم الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار العلوم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٢.

وفي نهاية تقديمه، يشيد **الدكتور الفضلي** بالأخ الفاضل **علي المحمد علي** على عطائه العلمي، وحبه للعلم، إذ قال: «ومن ذلكم ما بين يدينا من كتاب يؤرخ لبعض أعلام أسرة المحمد علي الأحسائية، وهو من تأليف أحد أبنائها وواحد من طليعة الشبان الموهوبين المعاصرين.

وقف قلمه لخدمة حضارة هذه المنطقة قديمًا وحديثًا، هو ولدنا العزيز الفاضل **علي المحمد علي**.

ووفاء منه بشكل خاص لأسرته الكريمة ورجالاتها النبلاء، كان هذا الكتاب نتاجًا يضيفه إلى سلفه من نتاج نافع.

وإني لأحيي فيه هذا النشاط الثقافي المتواصل، وأبارك له هذا العمل المفيد، وأقدر له وفاءه لأسرته وأبناء وطنه.

داعيًا المولى تعالى أن يوفقه للاستمرار في مثل هذه الأعمال الخيرة»[١].

ومن خلال هذه النماذج، وهي غيض من فيض، نستنتج بوضوح تشجيع **الدكتور الفضلي** للمؤلفين، وإسباغ كلمات الثناء والتقدير على جهودهم العلمية والثقافية، والإشادة بخصائص كل كتاب ومميزاته، وعدم ذكر الثغرات أو النواقص أو الملاحظات التي قد تكون على الكتاب، وذلك بهدف تحفيز المؤلف نحو المزيد من العطاء العلمي والإنتاج الثقافي.

□ خلاصة القول

إن **الدكتور الفضلي** قد ساهم من خلال منتجاته الفكرية والثقافية والعلمية والأدبية في إغناء المكتبة العربية والإسلامية بالجديد والمفيد، وإثراء الساحة العلمية، كما يعد من الرواد في تشجيع المؤلفين والكُتَّاب، والمساهمة في نشر الفكر والعلم من خلال تقديماته الكثيرة للعديد من المؤلفين، فقلّما نجد كاتبًا في مجتمعنا لم يُقَدم له **الدكتور الفضلي** في أحد كتبه.

وتجاوبه بكل رحابة صدر للتقديم لأي كاتب، ولأي كتاب، يدل على اهتمامه بالمؤلفين وأصحاب القلم، وتشجيعه لحركة الفكر والثقافة.

---

(١) أعلام من أسرتي، علي محمد المحمد علي، مطبوع كملزمة.

فمن الملاحظ أن تقديماته لم تقتصر على شريحة دون أخرى، ولا على المؤلفين البارزين دون غيرهم، فقد قَدَّمَ للمؤلفين البارزين والمشهورين كما للمبتدئين وغير المعروفين. وكما أنه قَدَّم للعلماء، قَدَّمَ أيضًا لغيرهم، فقد شمل في تقديماته كل الشرائح، وكل المؤلفين، ومختلف الكتب بغض النظر عن مستواها العلمي، أو مكانة مؤلفيها؛ بل نجد أنه قَدَّم لكتيبات صغيرة جدًّا.

وفي ذلك دلالة واضحة على تواضعه العلمي، وحبه لأصحاب القلم، ورغبته في تفعيل الحركة الثقافية والعلمية في المجتمع.

وكنت أتمنى لو أن تقديماته كانت مؤرخة باليوم والتاريخ للتوثيق التاريخي، فما لحظته هو غياب أي توثيق لتاريخ كتابة أي تقديم.

كما أرجو أن تُجْمَع هذه التقديمات في مجلد واحد أو أكثر كي تشكل بمجموعها مدرسة جديدة في فن التقريظ للكتب وصناعته.

حفظ الله شيخنا **العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي**، وأدام عليه لباس الصحة والعافية، كما أبتهل إلى المولى عز وجل أن يطيل في عمره، وأن يضاعف له الأجر والثواب على ما قدمه لخدمة الإسلام والمسلمين... إنه سميع مجيب الدعاء.

فنّ ومنهج الكتابة عند العلامة الفضلي(*)

■ الشيخ عبد الغني أحمد العرفات(•) ■

تميز العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي من بين أقرانه العلماء بأسلوب فريد ورائع في الكتابة. فقد كان - ولا يزال - مثار إعجاب الكتاب والقراء على حد سواء. وهو ما يحدّث به الكثير من تلامذته ورفقاء دربه. فمما أتذكر في هذا المقام أن أحد تلامذته حدثنا عن دراسته عنده أيام كان في النجف الأشرف، فيقول: «كان أحد أساتذتنا ـ وهو زميل للعلامة الفضلي ـ يقول عن نفسه: إن ما عند الشيخ الفضلي من العلم عندي، لكن (هذا الرجل راح يجنني بأسلوبه في الكتابة).. وهو يقصد أن مستواي العلمي متقارب مع العلامة الفضلي، ولكن أسلوبه وكتابته من الروعة بحيث كاد يصيبني بالجنون!!».

ويقول أحد الفضلاء عن كتابته ـ عند ذكره لتمكن العلامة من سرعة الكتابة ـ: «إنه (شارود)»، وهي لهجة عراقية محلية، يراد منها: السرعة الكبيرة.

ويعود في تقديري هذا إلى جملة من المميزات في شخصية هذا العملاق ككاتب، أوجزها في عدة عناصر، ثم نتحدث عن معالم أسلوبه ومنهجه في الكتابة.

□ مميزاته الشخصية

١ - اهتمامه بعلوم اللغة العربية

حيث أولاها الكثير من الاهتمام، دارسًا ومدرّسًا، وباحثًا ومحقّقًا، وأديبًا وناقدًا؛ لأنها لغة الرسالة السماوية الخاتمة.. وبإلقاء نظرة سريعة على مؤلفاته يتضح مدى هذا الاهتمام.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) باحث وأستاذ بالحوزة العلميّة من القطيف.

وهذا الاهتمام لم يحدُهُ إلى التشدق والإسفاف، شأن الكثيرين من مدعي الحفاظ على اللغة والجامدين على قوالبها التراثية، بل تعامل معها كلغة حية متطورة مطواع.

ولا نفتقر للتمثيل على ذلك، ولكن نذكر لذلك مثالاً واحدًا تردد على لسانه: وهو تجويزه المضارع من (وجد)، ليصبح: يتواجد بمعنى الحضور. وقد منع ذلك بعض دعاة الحفاظ على اللغة؛ لأن يتواجد ـ كما هو في اللغة قديمًا ـ بمعنى: يحزن. وتعليل التجويز عنده هو كثرة الاستعمال الآن، فإذا قيل: يتواجد في الفصل مثلاً، فهم السامع منه: الحضور والحصول، وهذا دليل حيوية اللغة.

وضمن هذا الاهتمام، اهتمامه بالبلاغة، وهي الوسيلة المثلى في إيصال المعنى. وفي هذا الصدد سمعناه يقول: قرأت شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد خمس مرات.. وللقارئ أن يتصور الفائدة البلاغية التي ستعود على قارئ نهج البلاغة وشرحه بهذه الكثرة، وقد ذكر لنا في أحد اللقاءات أنه استفاد في تأليفه لكتاب **(تاريخ التشريع الإسلامي)** كثيرًا من قراءاته لشرح النهج، وكذلك في تأليفه لكتاب **(الأمثال في نهج البلاغة)**.

٢- الثقافة الموسوعيّة

حيث جمع بين العلوم الحوزوية المتعارفة، والعلوم الإنسانية دراسة واطلاعًا وقراءة، أفاد من علوم عصره بقسط وافر، وتلاقحت في ذهنيته الوقّادة ثقافات متعددة، قلما اجتمعت لأقرانه، أضاءت بعضها بعضًا.

٣- الرسالية

وأقصد بها انطلاق **العلامة الفضلي** في أعماله الكتابية من موقع المسؤولية الدينية، التي تستوجب على الداعية تخيّر أفضل الطرق وأحسنها في إيصال رسالته، وتصحيح أدواته البيانية، لتصل الرسالة كما أرادها الباري بلا زيادة ولا نقصان.

وهذه الرسالية دعته لأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، ولأن يخاطب الشباب بلغتهم، ولأن يناقش المثقفين بأدواتهم، ولأن يشبع حاجة طلبة العلوم الحوزوية في تبيان دروسهم.

ولا شك أن في اطلاع العلامة على خطورة ودور الأدب في ترويج العقائد والأفكار، حداه لجعل وضوح الفكرة والأسلوب مسؤولية ورؤية لضرورة الأدب الإسلامي[1].

ومن الجدير ذكره هنا ما ذكره من قرضه الشعر وعرضه على المرجع الديني **السيد عبد الهادي الشيرازي**، حيث كان **السيد الشيرازي** يشجع على ذلك ويقول بأن ذلك يساعد في فهم الروايات والأحاديث، بينما لم يكن الآخرون يشجعون ذلك.

☐ معالم فن ومنهج كتابته

نستطيع أن نسبر هذه المعالم من خلال جولة في كتابات **العلامة الفضلي**، والتي ستوضح لنا أن ثمة أسلوبًا متميزًا، تستطيع أن تضع إصبعك عليه، لو دُسّ بين مئات الأوراق. ونحن هنا سنذكر شيئًا مما يتعلق بفن ومنهج الكتابة، ونترك البقية للقارئ ليستوضحها بنفسه.

☐ أولاً: معالم الفن

١- وضوح العبارة

وهو آتٍ من وضوح اللفظة، التي يختارها العلامة بعناية، ولو جربت ووضعت مكان هذه اللفظة لفظة أخرى مرادفة لوجدت أن المعنى قد تغير، وانحرفت به هذه اللفظة إلى مقصود آخر في أكثر الأحيان.

ولا أظنني مبالغًا في هذا؛ لأن هذا يأتي بدوره من وضوح المعنى والفكرة لديه، بحيث توخى لها اللفظة المناسبة.

٢- إرجاع الألفاظ المختلفة إلى مؤداها الواحد

وذلك أن من كانت المعاني بين يديه، تَفَنَّنَ في التعبير عنها. بخلاف من كانت المعاني ملتصقة لديه بلفظ معين، فهو لا يستطيع التعبير عنها إلاّ بهذا اللفظ، بل ربما

(١) نحو أدب إسلامي، ص ٢١.

يفهم من بعضهم عدم وضوح المعنى لديه بصورة كاملة، وليتخلص من ذلك فإنه يلقي الكلام على عواهنه.

تراه – حفظه الله – يتتبع المعاني، فيجد أنها مرت عبر تاريخها بقوالب لفظية مختلفة، أو لونتها العلوم بصبغ متباينة، ولكن المعنى هو المعنى.

وكمثال على هذا ما عبر به الأصوليون عن الإطلاق بأنه مستفاد من (قرينة الحكمة)، متابعين بذلك **سلطان العلماء الأصفهاني** (ت ١٠٦٤هـ)، بينما ذهب المشهور إلى أنه مستفاد من الوضع[١].

والمعنى هو المعنى، ولكن التعبير عنه بقرينة الحكمة مصطلح لسلطان العلماء هو أول من استخدمه، فتلون الإطلاق بصبغة أصولية يعبر عنها بمقدمة الحكمة أو قرينة الحكمة.

ـــ ـــ

ولنذكر هنا ما يتعلق بهذه النقطة مما سجله في كتابه (**دروس في أصول فقه الإمامية**) حول تعريف المطلق، لنرى كيف يعالج العلامة الفكرة ببراعة المطّلع على أساليب الفلاسفة والأصوليين واللغويين: «عرف **الشيخ مغنية** في أصوله المطلق بـ (ما دل على الماهية بلا قيد).. والمقيد بخلاف المطلق؛ ولذا عرفوه في مقابل التعريف المشهور للمطلق بأنه: (ما دل لا على شائع في جنسه).

وكل هذه التعريفات وأمثالها مما ذكر في المقام تتحرك داخل إطار الفكر الفلسفي بما حوّل ـ كما سنرى ـ هذا الموضوع اللغوي الأصولي إلى موضوع فلسفي يدور في فلك الماهية وما يرتبط بها من شؤون، مع أن مفهوم الإطلاق والتقييد من أبرز وأوضح المفاهيم العرفية.

ولعل هذا الإلغاز الفلسفي الذي مُنيا به جاءهما من وضوحهما وضوحًا حجب بينهما وبين أن يعرّفا التعريف العلمي بعيدًا عن الفلسفة ومعطياتها.

فالإطلاق هو الإطلاق، والتقييد هو التقييد كما يفهمهما الناس والأصوليون ليس لهم اصطلاح خاص فيهما، وإنما استوردوهما من العرف واللغة، وبما للإطلاق من معنى الشيوع والشمول».

---

(١) الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، الدكتور الفضلي، ص ٢٢٢.

٣- عدم الاستطراد إلاّ في موضع الحاجة

في سياق التفهيم، تراه يتوقف هنيأة ليوضح فكرة أو مصطلحًا لا كمن يقطف ورودًا استهوته في طريقه إلى هدفه، بل هو كمن يُعبِّد طريق السالكين أو كمن يضيء طريقهم باستطراداته، ومن هنا فإن استطراده منزه عن اللهوية.

ولعل بعض استطراداته تأتي من أن ما يقوله مفيد جدًّا للطالب، إن لم يكن هنا ففي موضع آخر، وليرجع على سبيل المثال إلى كتابه (**أصول الحديث**) لاستيضاح ذلك أكثر.

٤- تعريف المصطلح واستخدام المرادف الأجنبي

وربما عاب بعض من لا خبرة له بفن الكتابة على **العلامة الفضلي** استخدام هذا المرادف خصوصًا في كتب الدرس الحوزوي، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب، كما يقال.

وقد وجدنا بعضهم يستخدم المرادف الفارسي، كما لدى **السيد الطباطبائي** في كتابه بداية الحكمة، حينما بحث عن مفهوم الوجود، حيث يقول: «وللموجود معنى بسيط يعبر عنه بالفارسية بـ (هست)»[١].

ومن المؤكد أن كون **السيد الطباطبائي** يتقن اللغة الفارسية، وألَّف كتابه في بلد الفارسية، ولطلاب يتكلمون الفارسية أو على الأقل يألفونها هو الذي عزاه إلى ذكر المرادف الفارسي لتوضيح فكرته.

واستخدام **العلامة الفضلي** للمرادف يأتي في مجال تعريفه لبعض المصطلحات العلمية، وخصوصًا الحديثة منها، وعلى الأخص المترجمة منها، وهو أحد أهم ما استفاده الشيخ من الأساليب والمناهج الأكاديمية الحديثة.

فلدى دراسته لمصطلح معين لتعريفه وتوضيح معناه، يتميز أسلوب الشيخ في بحثه عن هذه الدلالة لجذور وتطور المفردة في اللغة العربية من خلال معاجم اللغة ثم مناقشة شواهد المفردة في القرآن والحديث والأدب العربي وتحليل ومناقشة التعريفات السابقة ثم الوصول إلى النتيجة بتعريف وافٍ ودقيق.

---

(١) الفصل السادس، ص ٢١.

واستخدام المرادف الأجنبي في تعريف المصطلح له فائدتان أساسيتان، الأولى إذا كان المصطلح عربي الأصل وهي المساعدة في تقريب المعنى، والثانية إذا كان المصطلح مترجمًا عن لغة أجنبية وهي معرفة المعنى في لغته الأصلية ومدى تطابق الترجمة مع المعنى وكيف تطورت دلالته في لغته الأصلية ثم بعد ترجمته إلى اللغة العربية.

وقد أشار الشيخ في أحاديثه معنا أكثر من مرّة أن دراسة التطور اللغوي للمفردة مصدر مهم في معرفة دلالتها، وأنه ـ للأسف ـ لا يوجد لدينا في اللغة العربية مثل هذا المعجم كما في اللغات العالمية الأخرى، وهو مما يتطلّب من الباحث ـ بسبب عدم وجودها ـ وقتًا وجهدًا كبيرين.

٥- استنتاج القارئ

يلجئك كثير من الكُتّاب إلى إلقاء كتابه جانبًا بسبب عنفه في الإقناع يأخذ بيدك وأحيانًا يأخذ بعنقك، وهذا يعود إما إلى عدم القدرة على التدليل، وإما إلى عدم وجود الدليل، وإما إلى الاستعجال في وضع النتائج، وهذا الأخير خطأ في فنّ الكتابة، ربما ضيَّع على الكاتب فرصة إقناع القارئ.

ولذا نجد أن إعطاء هامش من حرية التفكير والموازنة والمقارنة أثناء سير القارئ مع الكاتب في الكتاب وترك القارئ يستنتج بنفسه النتيجة هي من أهم معالم الكتابة عند العلامة الفضلي.

تجده في كثير من الأحيان يعبر بلفظة: (ربما) أو (لعل) أو (قد يكون)، وهذا يريح القارئ كثيرًا؛ لأنه يشعر بأنه مشارك مع الكاتب في اقتطاف النتائج.

٦- مراعاة طبقة القراء

تفتقد كثير من الكتب للعنصر التربوي الذي يعني في أحد جوانبه مراعاة الطبقة التي وضع من أجلها الكتاب، فإذا كان الكتاب للمتخصصين، وجب أن تكون طريقة كتابته مختلفة عما لو كُتب لغيرهم.

يكتب بعضهم كتابًا وهو بعنوان كونه لغير المتخصصين، فتجده وكأنه كتبه للدفاع عن فكرة في ذلك التخصص، فيكون الكتاب محدود القراء.

وربما كتب بعضهم كتابًا لمبتدئين في تخصص ما، فتراه وقد شط به قلمه وراح يناقش المتخصصين من أمثاله.

ومن يقرأ (**مبادئ أصول الفقه**) للعلامة الفضلي، وهو الموضوع للمبتدئين، يجده مختلفًا تمامًا عن كتابه الآخر: (**دروس في أصول فقه الإمامية**)، وهو الموضوع تمهيدًا للبحث الخارج، من حيث المادة والعرض.

وهكذا في كتابه: (**الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية**) الذي قال فيه: «توخيت فيه أن يكون أكثر وضوحًا في التعبير وأكثر بيانًا في الدلالة، ليكون في متناول يد المثقف العام أيضًا»[1].

وربما كان هذا العنصر التربوي ما حداه إلى اعتماد ما يوصل المعنى بأيسر السبل مما يسمح به البحث حتى لو كان خلاف المشهور الأخذ به، كاعتماده المعاجم الحديثة، كالوسيط.

□ ثانيًا: منهج الكتابة

١- وضع القارئ أمام خطة سير البحث

يقحمك كثير من الكتاب في بحوثهم من غير أن تعرف إلى أين سيأخذونك، وإلى ماذا يرمون من بحوثهم. فقد تقرأ وتخرج بفائدة، ولكن ليست الفائدة التي ربما كانت مقصودة للمؤلف، وذلك بسبب عدم وضع الخطة أمام القارئ.

لنقرأ، مثالاً على ذلك، مما كتبه العلامة في مقدمة كتابه الوسيط: «... مهدت لدراسة هذه القواعد ببحث موضوع (الاجتهاد)؛ لأنه عملية الاستنباط التي تمثل تعامل الفقيه مع النصوص الشرعية.

وصنفت دراسة القواعد إلى أربعة أبواب: ... الأول: لتعريف القاعدة وتعريف النص... الثاني: لبيان مجال دراسة النص... الثالث: بحثت قواعد تعيين مراد المشرع الإسلامي من النص إذا كان مشتركًا أو مشتقًّا أو تردد بين الحقيقة والمجاز... الرابع: درست علاقات النصوص، وهي المتمثلة بما أطلقت عليه: (ظاهرة التخالف) و(مشكلة التعارض).

---

(١) المقدمة، ص ٨.

وإخال أن هذا التبويب أقرب إلى طبيعة قواعد فهم النصوص الشرعية من حيث إنه أدق في التسلسل وأسلم في الترابط العضوي بينها».

٢- سوق المقدمات الممهدة

كما رأينا في النص السابق، فإن سوق المقدمات الممهدة صفة مميزة لبحوث ودراسات العلامة، تتضح بمراجعة سريعة لكتبه ومؤلفاته[١]، بينما نجد أن اقتحام الموضوعات والبحوث من دون سابقة إنذار سمة كثير من الباحثين.

ومن هذه المقدمات على سبيل المثال: المقدمة التاريخية، والتي تفيد في تعريف العلم، ومعرفة واقعه.

ويدخل ضمن هذا: تتبع المصطلحات تاريخيًّا، وتفكيكها وإرجاعها إلى أصولها اللغوية.

٣- توخي التسلسل والترابط العضوي بين الأفكار

تأتي بحوث بعض الباحثين مشوهة من حيث الترابط العضوي، حيث يبدأ بما يفترض تأخيره، ويؤخر ما يفترض تقديمه.

لننظر على سبيل المثال ما كتبه حول (**المبدأ الأول في الفكر اليوناني قبل سقراط**): «تمشيًا مع منهجة البحث التي توخيتها لأعرض الموضوع متسلسلاً يحافظ على وحدته وترابط أجزائه، أراني ملزمًا بعرض تمهيدي أوضح فيه ما تعنيه فكرة (المبدأ الأول) في الفلسفة، لأنتقل بعد ذلك إلى تحديد تاريخ الفترة موضوعة البحث، ثم إلى تبيان طابعها العام أو جوها الثقافي في نوعيته، أكان فكرًا أم فلسفة بمعناها الخاص وحسبما يفهم من محتوى كلمة (فلسفة)، وأتحول بعده إلى عرض الاتجاه الفلسفي لتلكم الفترة، ومن ثم أدخل الموضوع، عارضًا الفكرة وفق تسلسلها التاريخي»[٢].

وهكذا نراه في كل كتاباته، يحمل همّ القارئ أولاً، وقد تركنا مجموعة كبيرة من هذه المعالم للقارئ ليستمتع بلذة الاكتشاف، والحمد لله رب العالمين.

(١) يراجع على سبيل المثال: كتاب مشكلة الفقر.
(٢) مجلة النجف التابعة لكلية الفقه.

الإمامة من منظور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي(*)

■ السيد حسن النمر(•) ■

□ أهمية البحث

١. يشكّل الفكر الإسلامي، والكلامي منه بخاصة، منعطفًا في تاريخ البشرية المعرفي والثقافي، بله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وذلك لاعتبارين:

أ. أنه يشكّل التفسيرَ والبيانَ للحلقة الأخيرة من حلقات الوحي النازل من الله تعالى لإصلاح البشرية، عبر تزويدها بما يجب أن تتزود به من معارف عن الكون والحياة والإنسان، وعن المبدأ والمنتهى.

ب. أنه انفتح ـ بلحاظ غالبية منتسبيه ـ على مختلف صنوف التراث العلمي الإنساني، بشقيه الوحياني وغير الوحياني، فانتقى منه ما وجد صلاحه، وردّ ما وجد أنه لا ينسجم ومسلماته المستقاة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

٢. عصف بالفكر الإسلامي، كغيره، عواصف، وألمّت به عوامل فرّقت شمل أبناء الإسلام. يمكن تصنيف بعضها أنه موضوعي، وأنه من مقتضيات الطبيعة الإنسانية المستبطِنة للتنوع والتعدد والاختلاف من جهة، ومن مقتضيات الامتحان الرباني للإنسان، حيث ابتلي بالحق والباطل في جانبيها العلمي والعملي من جهة ثانية، فيما يصنف بعضه الآخر ضمن ما هو غير موضوعي، تحكمت فيه الأهواء والسياسات والتعصب والجهل[1].

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) باحث إسلامي، وأستاذ بالحوزة العلمية من مدينة الدمام، شرق السعودية.

(١) الفضلي، عبد الهادي، في انتظار الإمام، ص١٥٩، وص١٦٨. وانظر: مبحث (الحديث الموضوع) من كتاب أصول الحديث للعلامة عبد الهادي الفضلي، ص ١٣٢ ـ ١٧٤؛ وله =

٣. فكان لا بدَّ للتعرف إليه من تأريخه أولاً، قبل الحكم له أو عليه. وكان لا بدَّ من تحري الدقة في قراءته وتفكيكه ثانيًا، إذا كان الباحث بصدد الحكم عليه أو له.

٤. تتفاوت المسائل المبحوثة في الفكر الكلامي الإسلامي من حيث أهميتها، فبعضها يأتي في المرتبة الأولى، وبعضها الآخر في المرتبة الثانية، وهكذا. وقد تعارف علماء الكلام وباحثوه على تسمية المسائل من المرتبة الأولى بـ (أصول الدين)، وجعلوا المسائل من المرتبة الثانية فروعًا لها.

٥. تشكل (مسألة الإمامة) مفصلاً مهمًا ومنعطفًا خطيرًا في مسار الفكر الكلامي عمومًا، والإمامي خصوصًا. انعكست صراعًا حادًّا في الأوساط الإسلامية لتتجاوز حلقات النقاش الفكري أحيانًا لتصل إلى حد إراقة الدماء، حتى قال المؤرخ للفكر الكلامي محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة؛ إذ ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلّ على الإمامة في كل زمان»[1]، وقال الخضري بك: «إن هذه المسألة كانت سببًا لأكثر الحوادث التي أصابت المسلمين، وأوجدت ما سيرد عليهم من أنواع الشقاق، والحروب المتواصلة، التي قلما يخلو منها زمن، سواء كان بين بيتين، أو بين شخصين»[2].

وإذا كان للمسألة كل هذا الأثر، فليس الحل هو أن نتجاهلها بألَّا تُبحث، فضلاً عن أن يُجرَّم من يقوم بذلك؛ لأن في ذلك إقرارًا بالعجز من جهة، وهو ما لا يقوله أحد من العلماء والباحثين، أو التشكيك بأن القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يعالجاها، وفي ذلك إنكارٌ لحقيقةٍ قرآنيةٍ مسلّمةٍ مفادها أن النبي ﷺ شاهدٌ على الأمة، وأن القرآن تبيانٌ لكل شيء، وأنه هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]. فكيف يكون الرسول

أيضًا: مذهب الإمامية، ص ٨٩، ضمن كتاب: (المذاهب الإسلامية الخمسة تأريخ وتوثيق)، مركز الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(١) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، المقدمة الرابعة ج١ ص٢٣، طبعة دار المعارف ببيروت، دون تاريخ.

(٢) العاملي، السيد جعفر مرتضى، مأساة الزهراء ج١/ ١٣٣ ـ ١٣٤، طبعة دار السيرة ١٩٩٧، نقلاً عن: محاضرات في التاريخ الإسلامي للخضري بك ج١ ص١٦٧.

(٣) سورة النحل: الآية: ٨٩.

شهيدًا على ما لم يفعله، وكيف يكون الكتاب تبيانًا على ما لم يبينه؟، وبطبيعة الحال، فإنه لن يكون حينئذٍ (هدى) ولا (رحمة) ولا (بشرى) للمسلمين.

أجل، لو قلنا: إن القرآن بيّن (الإمامة)، وكذلك الرسول ﷺ أفصح عنها، غير أن المسلمين اختلفوا حولها وفيها، لدواعٍ متفاوتة، لكان أفضل وأليق وأصح، من نسبة التقصير لله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا. أو لكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١]، أو لرسوله الموصوف بأنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

٦. وعلى كل حال، فإذا كان لـ (الإمامة) هذه الأهمية، لدى (الإمامية)، وأضحت موضوعًا ومحورًا دارت عليه بحوث العشرات، إن لم نقل المئات والآلاف من العلماء، حتى إن البحاثة الطهراني قال في موسوعة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة): إن الإمامة «من المسائل الكلامية التي قلّ في مؤلفي الأصحاب مَن لم يكن له كلامٌ، ولو في طيّ سائر تصانيفه أو مقالة مستقلة أو رسالة أو كتاب في مجلد أو مجلدات إلى العشرة فما فوقها»[٣]. ثم سجّل أسماء كتب ورسائل تربو على المئة من الرقم ١٢٦١ حتى ١٣٦٣، واستوعب الحديث فيها ٢٢ صفحة.

مع التنويه إلى أن الطهراني ﵀ اقتصر، فيما نقلناه عنه، على ما كان عنوانه (الإمامة) فقط، دون ما بُحثت الإمامة فيه ضمن سلسلة موضوعات، من قبيل جميع كتب العقائد التي لا يخلو منها كتاب من ذكر مبحث الإمامة، أو ما كان موضوعه الإمامة ولم يكن عنوانه مشتملاً على لفظها، كـ (الإيضاح) لابن جرير الطبري الإمامي[٤]، و(الإيضاح) للشيخ المفيد ﵀[٥].. أو ما ورد لفظها في العنوان بنحو المضاف إليه، من قبيل (الدلائل في الإمامة) للحميري[٦].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨، وقد أفاض العلامة الفضلي في مناقشة بعض الباحثين السلفيين ممن بذل جهدًا لا يستهان به في رفض حديث الثقلين ورد صحته لأنه سيكون دليلاً على ما يدعيه الشيعة من إمامة أئمتهم، وفي ذلك تخطئة للصحابة !!واعتباره ذلك لا يخرج عن كونه حملات تهريجية مسعورة ومأجورة. انظر: الفضلي، د عبد الهادي، مذهب الإمامية، ص ٨٦ ـ ٩٤. ولولا طول النص، وبناء هذه المقالة على الإيجاز والاختصار، لنقلناه بكامله لاشتماله على فوائد علمية ومنهجية جمّة، نأمل من القارئ ألّا يغفل عن مراجعته.

(٣) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢/ ٣٢٠، دار الأضواء، دون تاريخ.

(٤) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢/ ٤٨٦، دار الأضواء، دون تاريخ.

(٥) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢/ ٤٩٠، دار الأضواء، دون تاريخ.

(٦) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٨/ ٢٣٩، دار الأضواء، دون تاريخ.

وإذا كان العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي من المختصين والمهتمين بالفكر الإسلامي على مستوى الدرس والتدريس والبحث، والتعريف والتجديد، وهو الذي عقد البحث لأجل أداء بعض حقه في ملف خاص، فبطبيعة الحال سيكون لـ (الإمامة) في اهتماماته ونتاجاته الكثيرة حضورٌ يتناسب وأهميتها. وهو ما نجده في عدد من كتبه، وأخص بالذكر منها:

١. كتاب في انتظار الإمام، والذي عالج فيه مسألة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة.
٢. كتاب الدولة الإسلامية.
٣. كتاب مذهب الإمامية.
٤. كتاب التربية الدينية.
٥. كتاب خلاصة علم الكلام.

◻ المطلب الأول: أصول الدين وفروعه

تتفاوت المعارف الدينية من حيث أهميتها، كما تقدم في الفقرة (٤) بداية البحث، ومنه توزعت مسائل الدين ومعارفه إلى أصول وفروع، وفي ذلك يقول العلامة الفضلي: «وهذا التقسيم للدين إلى أصول وفروع مأخوذ من تقسيمهم الدين إلى: معرفة وطاعة. ويعنون بالمعرفة: العقيدة، وبالطاعة: العمل. ولأن العمل، بطبيعته، يقوم على (المعرفة) سُمّيت مفاهيم وأحكام المعرفة بأصول الدين، ومفاهيم وأحكام الطاعة بفروع الدين»(١).

والقسم الأول هو ما عالجه علماء الإسلام ضمن ما يسمى بعلم الكلام، أو العقيدة، أو أصول الدين، حيث شكلت هذه الأصول موضوع البحث فيه(٢).

◻ المطلب الثاني: كلام في المنهج

من نافلة القول الإشارة إلى أن الفرق بين الأصول والفروع لا يقف عند حدود الترتيب في الأهمية والطبيعة، حيث تتقدم الأصول على الفروع، بل يتعداه إلى منهج البحث، الذي قد يختلف من مدرسة إلى مدرسة، حسب طبيعة تلقي هذه المدرسة أو تلك للدين، ومن ثم فإن: «منهج البحث في علم الكلام، أو الطريقة التي يعتمدها

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٣.
(٢) م. ن.

الباحث في دراسة مسائله وقضاياه، أفكاره ونظرياته، يختلف باختلاف وجهات نظر علمائه ومدارسه التي تعرف بالفرق الكلامية في المنهج الذي ينبغي أن يتبع في دراسة وبحث الفكر الديني»[١].

وتبعًا لاختلاف الناس، اختلفت المناهج وتباينت، ويعرِّف باحثنا بالسائد منها في أوساط المدارس الكلامية الإسلامية، فيذكر أنها خمسة[٢]:

١. المنهج النقلي.

٢. المنهج العقلي.

٣. المنهج التكاملي.

٤. المنهج الوجداني.

٥. المنهج العرفاني.

ولكل واحد من هذه المناهج خصائصه التي تميزه. وقد اختار العلامة الفضلي في دراسته لـ (أصول الدين) ثالثها، أعني (المنهج التكاملي). وهو السائد عمومًا في وسط الباحثين والدارسين من أتباع المذهب الإمامي، وفي ذلك يقول: «سأنتهج وسع الطاقة المنهج التكاملي فيما أبديه من ملاحظات، وفيما أقوم به من معالجات ومناقشات»[٣].

مشيرًا إلى سماته وخصائصه، التي تشكّل معالمه وأدوات البحث فيه، وهي فيما يذكره:

١. الجمع بين العقل والنقل؛ لأنه لا تعارض بينهما في الحقيقة والواقع.
٢. الأخذ بظاهر النص إن كان مجردًا من القرائن الصارفة، ولم يتعارض والضرورة العقلية، وإلا ففي ضوء ما يقترن به من قرائن نقلية أو عقلية، لفظية أو معنوية.
٣. آيات القرآن يفسر بعضها بعضًا ويقرن بعضها البعض.
٤. السنة القطعية تقرن القرآن وتفسره.

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٧.
(٢) م. ن.
(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٧.

٥. الأثر المنقول لا يعارض القرآن حتى ولو كان صحيحًا وفق قواعد علمَي الرجال والحديث. فإذا لم يمكن تأويله، تُسقطه المعارضة من الاعتبار.
٦. جواز التأويل عند وجود ما يقتضيه.
٧. الحمل على المجاز مع وجود القرينة الداعية لذلك.
٨. تفسير المتشابه بالمحكم أو تأويله في ضوء المعقولات المرعية[١].

ولا يخفى ضرورة تحديد المنهج أولاً، وتبيان أصالته ثانيًا، لأن الخلاف الذي وقع بين المسلمين في قراءة الدين وتفسيره يقوم على أساس اختلافهم المنهجي، ولذلك لا نتوقع أن ترتفع جميع الإشكالات بينهم؛ لأن كثيرًا منها خلاف تطبيقي، تنعكس فيه خلافاتهم الأشد تجذّرًا.

كما لا يخفى أن تحديد المنهج وإعلان الالتزام به ليس بالضرورة يتطابق والممارسة العملية، وسيأتي بعض الشواهد التي ساقها على ذلك.

العقل/ النقل

عانى المسلمون ماضيًا وحاضرًا من مشكلة التوفيق بين أحكام العقل ومؤديات النقل، حتى انبرى بعض المتكلمين للتدوين فيها، فسطرت المؤلفات والكتب[٢]. فهل هما في صدام أم على وئام؟

في خصوص هذه الملاحظة تقدم أن المنهج التكاملي لا يرى صدامًا بل وئامًا تامًّا، وعليه جرى باحثنا عمليًّا بعد أن أكد على الالتقاء التام، فيقول: «لا تعارض بينهما في الحقيقة»[٣]. وهو في ذلك يؤكد على ما تاه في ركام الخلاف والاختلاف بين المسلمين من حقيقة أشبه ما تكون بالبديهية في الفكر الإسلامي، أعني التآزر بين مقولتي: العقل/ النقل.

هذا التآزر الذي أضاعه تعصب بعض الفرقاء الإسلاميين ممن أتيحت لهم فرصة الهيمنة السياسية عبر العصور على مراكز العلم وحواضره في عالمنا الإسلامي،

---

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٩.
(٢) انظر فصل المقال لما بين الحكمة والشريعة من الاتصال للفيلسوف ابن رشد، ودرء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية، كنموذج لمنهجين مختلفين في معالجة الإشكالية.
(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٩.

فنبتت ظاهرة إلغاء العقل وإقصائه لدى فريق، ليتولد أمامه رد فعل عنيف سعى ولا يزال إلى تهميش النقل عن معترك الحياة بذريعة استحضار العقل والعقلانية.

وما نجده لدى باحثنا، فيما سقناه من تعريف بالمنهج وخصائصه، أنه يؤكد على ضرورة المحافظة على هذا التآزر والتآخي والتصالح على المستويين النظري والتطبيقي.

ومن المفيد أيضًا أن نشير إلى أن التطبيق الصارم لهذا المنهج قد يؤدي بنا إلى الانتفاض على بعضٍ ما يُعد من المسلّمات لدى فريق إسلامي آخر[١]، دون أن يُفسد ذلك للود قضية[٢].

◻ المطلب الثالث: الإمامة أصل من أصول الدين

وتطبيقًا للمنهج آنف الذكر نشير إلى أن المدارس الكلامية الإسلامية اختلفت في مسألة (الإمامة) من حيث كونها أصلاً من أصول الدين أم لا؟

فتبنى فريقٌ الرأيَ الأولَ وفقًا لمنهج البحث الذي اختاره، وتبنى آخرون الرأيَ الثانيَ وفقًا لمناهج أخرى أدت به إلى ذلك.

ويذهب باحثنا العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي، وفقًا لما هو سائد لدى الإمامية، إلى أنها أصل، حيث يقرر ذلك ضمن سرده لأصول الدين بأنها أربعة: «١- الألوهية ٢- النبوة ٣- الإمامة ٤- المعاد»[٣]. ويؤكد ذلك بأقوال بعض مشاهير العلماء من الشيعة.

إلا أننا نجده يحصرها في موضع آخر[٤] في ثلاثة، هي: (التوحيد، والنبوة، والمعاد)، لتكون (الإمامة) أصلاً من أصول المذهب.

ولا نستبعد أن يكون الثاني تفسيرًا للأول، إذا تبيّن لنا الآثار المترتبة على من أنكر أصلاً من أصول الدين، حيث يحكم بكفره، والشيعة الإمامية لا يرون كفر المسلمين ممن خالفهم في القول بالإمامة بالنحو الذي يقولون به، بل يحكمون بإسلامهم[٥].

(١) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٩.

(٢) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٩٤.

(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ـ١٩٩٣م، ص ١١.

(٤) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١٠٦.

(٥) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١٠٩.

أجل، القول بالإمامة أصل من أصول الإيمان، و«يظهر أثر التدين بالإمامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة، فالمسلمون بأجمعهم سواء، وبعضهم لبعض أكفاء، وأما في الآخرة فلا شك أن المسلمين تتفاوت درجاتهم ومنازلهم حسب نياتهم وأعمالهم»[١].

□ المطلب الرابع: مسائل الإمامة

المسألة الأولى: تعريف الإمامة وضرورتها

الإمام هو: الذي يقتدي ويأتمّ به الناس[٢].

وهذا التعريف ليس بعيدًا عمّا تقرره اللغة من معنى (أمّ، يؤم، ائتمام..) حيث يكون ثمة هدف وغاية يتحرك نحوها الإنسان.

ولكي نتبين ضرورة الإمامة، نذكر عددًا من المقدمات لتنتهي بنا إلى النتيجة:

١. لا يخفى أن الله سبحانه خلق الإنسان لغاية سجلها في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، الذي يعني أن غير المتعبد لله، أي غير الخاضع له، سيكون سائرًا في غير الوجهة التي حددها الله له.

٢. الدين يعني الاستسلام التام لله بالجوارح والجوانح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وهذا يعني: شموليةَ المعارف الدينية مستوعبة الخالق والكون والإنسان والحياة، وشموليةَ القانون/ الشريعة لجميع جوانب الحياة[٣].

٣. تتوزع معارف الدين على الغيب والشهود، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يسٓ: ٨٣]. كما تتنوع آيات القرآن على تنزيل وتأويل، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ

---

(١) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١١٠.

(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٩٠.

(٣) الفضلي، د.عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية ج١/ ٢٤٣.

ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]. ولا يدعي جمهور المسلمين أن لهم إحاطةً بجميع ذلك.

٤. على المسلم أن يطبق سلوكه في السر والعلن، وفي الجانب الشخصي والعام، على وفق ما تقرره له القوانين الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: ٦٤]. وهذا يتم على نحوين:

أ. التعليم من النبي ﷺ باعتباره الموحى إليه والخبير بجميع جوانب الشريعة ومعارف الدين ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ب. السلوك العملي من خلال معايشتهم لمن هو قدوة لهم ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٥. حاجة المسلمين للمعارف الدينية لا تقف عند جيل من الناس ولا في زمن من الأزمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ونخلص من هذه المقدمات إلى أن ثمةَ ترابطًا وثيقًا بين الدين وبين (الإمام) الذي يتمثل في شخص النبي ﷺ في زمانه، وفي الإمام، مورد البحث، في حال غيابه عن الناس.

وهذا التحليل لضرورة الإمامة قد لا نجده بهذا الترتيب فيما دوّنه الشيخ الفضلي، إلا أننا نتصيده من مجموع ما كتب في مشكلة البحث، ونتعرّف عليه من المصادر التي يحيل إليها سماحته في العديد من بحوثه اطمئنانًا بمؤلفيها وقناعةً بمضمونها إجمالاً.

ولكننا نجد فيما كتبه ما يصلح أن يكون دليلاً على أهمية الإمامة وضرورتها، وضمنًا التعريف بها، وذلك ضمن حديثه عن النبوة، التي تعد الإمامةُ امتدادًا لها، وما يصلح دليلاً على النبوة يصلح أن يكون دليلاً على الإمامة مع حفظ الفوارق.

ونورد ذلك ضمن عدد من المقدمات، أشير إليها في كتاب خلاصة علم الكلام، تصرفنا بصياغتها ليكون أيسر للفهم العام:

- **المقدمة الأولى**: النفس البشرية تختزن نوازع الخير ونزاع الشرّ.
- **المقدمة الثانية**: الإنسان كائن اجتماعي، بمعنى أنه لا يعيش وحده.
- **المقدمة الثالثة**: تنوع الرغبات الاجتماعية وتعددها.
- **المقدمة الرابعة**: سلامة العلاقة الاجتماعية تتطلب تغليب نوازع الخير على نوازع الشر.
- **المقدمة الخامسة**: تغليب نوازع الخير على نوازع الشر يتوقف على وجود نظام قانوني يحقق العدل.
- **المقدمة السادسة**: لا يكفي في النظام أن يكون كاملاً، بل يجب أن يراعى فيه الجانب التطبيقي والتربوي، فهو بحاجة إلى قيّم.
- **المقدمة السابعة**: الإنسان، وحده، عاجز عن وضع هذا النظام، بسبب قصوره ونقصه، وفاقد الشيء لا يعطيه.
- **المقدمة الثامنة**: لا كامل إلا الله تعالى، فهو ـ تعالى ـ القادر وحده على وضع مثل هذا النظام.
- **المقدمة التاسعة**: لأن الله كامل، فهو لطيف. ولطفه بعباده يفرض أن يقوم بوضع النظام (البعد النظري/ القانون)، وتوفير أسباب تطبيقه (البعد التطبيقي التربوي/ القيّم).
- **النتيجة**: وجوب بعثة الأنبياء، وتعيين الأوصياء[١].

المسألة الثانية: الإمامة دين أم سياسة

تختلف الرؤية الإمامية لـ (الإمامة) عن رؤية سائر المذاهب الإسلامية، وتلتقي الرؤية الإسماعيلية معها في بعض الجوانب، ولذلك اختلفت المعالجة بين الفرقاء.

(١) انظر: الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط ٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٥٩.

فالشيعة الإمامية يرون فيها امتدادًا للنبوة[١]، على المستويين الروحي والسياسي[٢] بغير وحي طبعًا[٣]. ولذلك يختلف الإمامية عن أهل السنة في الصلاحيات التي أعطيت لـ (الإمام) عند الشيعة حيث، تتمثل في حفظ الشريعة وتبيان الأحكام على ما هي عليه دون تصرف ولا تبديل بقصد أو بغير قصد، فيما هي لا تتجاوز المنصب السياسي عند السنة. وشتان بين التفسيرين، وتبعًا لذلك بين الصفات اللازم توافرها في الإمام عند هؤلاء عنها عند أولئك. وسيتضح القول بشكل أجلى عند التعرض لعصمة الإمام في مسألة مستقلة. ولعل إدراج الإمامية للمسألة ضمن (أصول الدين) وإدراج السنة لها ضمن (فروع الدين) يُجلّي طبيعة الفرق بين أسلوب المعالجة عند الفريقين، وكذلك سينعكس هذا الاختلاف على آليات البحث وأدواته.

المسألة الثالثة: الإمامة والنصب الإلهي

تختلف مدرسة أهل البيت ﷺ وتبعًا لهم الإمامية عن المدارس الإسلامية الأخرى في قراءة الدين، حيث تلتزم مدرسة أهل البيت صرامة متناهية في التعبُّد بما يدخل ضمن نطاق الأحكام الشرعية على مستوى المفاهيم والمعارف، وعلى مستوى الأحكام والقوانين العملية في العبادات والمعاملات. وبنوا ذلك على أساس أن القرآن ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وعلى أساس أنه (تبيان) لكل شيء[٤]، فلن نعدم معالجةً لأي مشكلة ومعضلة حتى أرش الخدش، كما روي على لسان الإمام الصادق عليه السلام، وقد عقد الشيخ الكليني في ج١ من أصول الكافي بابًا عنونه بـ (باب الرد إلى الكتاب والسنة، وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب وسنة) أورد فيه العديد من الروايات، منها بسنده عن سليمان ابن هارون قال: «سمعت أبا عبد الله

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٨٧.

(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٨٦.

(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٨٦. دروس في أصول فقه الإمامية للعلامة الفضلي، ج١/ ١٨٩.

(٤) قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: الآية: ٨٩].

عليه السلام يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حرامًا إلا وله حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة» الحديث (٣).

وانطلاقًا من ذلك، وباعتبار أن (الإمامة) منصب ديني بحت، بل هي أعلى منصب بعد النبوة، سيكون حكمها حكم سائر المسائل الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد وضعًا ولا رفعًا، فـ «حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة»(١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. بل لا يعقل أن تُهمَل، كما سيتبين لدى سردنا لأدلة إمامة أهل البيت عليهم السلام. والشاهد القرآني على النصب الإلهي للإمام قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وسنوضحه فيما يأتي.

انطلاقًا من كل ذلك، أصر الشيعة على لزوم نصب الإمام من قِبَل الله تعالى، لاعتبارين أساسيين:

- **الأول**: أن الإمامة حكم شرعي، كما تقدم، والأحكام الشرعية، التي هي ألطاف إلهية ألزم نفسه بها تجاه الناس ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، من المهمات الإلهية التي لا يتصدى لها إلا الله سبحانه(٢).

- **الثاني**: عدم قدرة الناس، مهما كانت مستوياتهم العلمية، على تحديد الشخص الصالح والكفء لمقام الإمامة، وكما أن الناس عاجزون عن تسمية الأنبياء، كذلك هم عاجزون عن تسمية الإمام(٣).

ونحن حينما نتحدث عن (الإمامة) باعتبارها حكمًا شرعيًّا، فلن تكون مسألة تاريخيةً لا ينبغي الوقوف عندها والإصرار على تبني موقف واضح منها، لما يمكن أن يترتب على ذلك من مضاعفات سلبية. بل سيكون حالها حال أي حكم شرعي

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج١، باب البدع والرأي والمقائيس، ح ١٩.
(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٩٠.
(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٨٦.

مارست الأمة تعطيله لهذا السبب أو ذاك. وسيكون للموقف منها قبولاً أو رفضًا نتائج جد خطيرة على مستوى الفكر والسلوك معًا.

المسألة الرابعة: الإمامة والشورى

يُراد بالشورى: «المفاوضة في الكلام بمراجعة البعض إلى البعض لاستخراج الرأي»[١]. وهي ـ بهذا المعنى ـ من القيم الإسلامية الأصيلة، التي ندب إليها المشرِّع الإسلامي، الساعي دائمًا نحو دفع الإنسان باتجاه التكامل وتحقيق مصالحه. ولأن التشاور يعدّ من الطرق الأساسية لتبادل الخبرات، فإن المنطق الإسلامي المبني على أساس تحقيق المصالح ودرء المفاسد، سيكون إلى جانب الشورى، حتى بالنسبة للنبي الأعظم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإذا كان النبي ﷺ مطالبًا بالشورى، فإن من عداه سيكونون مطالبين من باب الأولوية.

وقد طُرِحت قضية الشورى، في مسألة الإمامة، من زاويتين:

- **الأولى**: أنها طريق لتسمية الإمام.
- **الثانية**: أنها أسلوب في إدارة شؤون الأمة.

وعلى كثرة تداولها على المستوى النظري إلا أنها ـ كما يرى العلامة الفضلي ـ لم تُمارَس تطبيقيًّا[٢].

أما الزاوية الأولى، فقد تبين في المسألتين السابقتين أن (الإمامة) تدخل ضمن أحكام الدين، وبالتالي فلا مجال لأن يتدخل فيها النبي ﷺ فضلاً عن عامة الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٨٨.
(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣م، ص ٢٢٨٩، ٢٩٤.

كما سيتبين، لاحقًا، أن الله عز اسمه ورسوله ﷺ بيّنا الموقفَ الشرعيَّ الواضحَ بالنسبة لـ (الإمامة)، وذاك يدحض أي دعوى، قوليةً كانت أو فعليةً، تفيد أن ثمة فراغًا دعت الحاجة إلى ملئه باجتهاد من الأمة، ولو بواسطة الشورى التي لم تتحقق في السقيفة حينما اجتمع (بعض الصحابة) دون إجماع حقيقي ولا تشاور تام، فهذه «الشورى لم تتحقق تاريخيًّا، فلم يكن في السقيفة اجتماع شامل، أو على الأقل وافٍ، لمن له حق المشورة وإبداء الرأي ممن يُعرفون بأهل الحل والعقد. ولم يدر بين من حضروا مشاورة ومفاوضة ومداولة في ترشيح من يستحقها من المسلمين»[١].

وأما الزاوية الثانية، فلا يستطيع أحدٌ أن يدعي أن الشورى كانت أسلوب حكم معتمد بنحو مطلق وشامل في جميع العصور، بل ولا في أي عصر[٢].

فما هو السر ـ إذن ـ في هذا الإصرار على مبدأ الشورى؟

يجيب العلامة الفضلي بقوله: «استمرت تغذية هذا المبدأ سياسيًّا... لئلا يكون من علي وآل علي شيء يعترضه أو يعارضه»[٣].

ويقرأ فيما جاء على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الاحتجاج بالشورى كمبدأٍ، أنه لا يتجاوز (الإلزام) في مقام المخاصمة والجدال، حيث «أراد إلزام معاوية بما ألزم المسلمون به أنفسهم آنذاك»[٤].

المسألة الخامسة: عصمة الإمام

تعدّ مسألة (العصمة) من المسائل الشائكة والعويصة، إذ تصر مدرسة الإمامية على اتصاف الأئمة بها، وتعتبرها من المسلَّمات، فيما يتندر عليهم، بسبب القول بها، مخالفوهم. هذا مع اتفاق المسلمين جميعًا عليها كمبدأ ديني، حيث ذهب الجميع إلى ضرورة اتصاف الأنبياء عليهم السلام بها، على اختلاف في التفاصيل بينهم[٥].

(١) م.ن، ص ٢٩٤.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن.

(٥) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٢٦٠-٢٦١.

والسائد في المذهب الإمامي ـ وهو مذهب العلامة الفضلي ـ أن للعصمة ثلاثة مجالات:

- **الأول**: العصمة من المعاصي، صغيرها وكبيرها، منذ الولادة حتى آخر العمر.
- **الثاني**: العصمة من الخطأ.
- **الثالث**: العصمة من السهو والنسيان.

والأول عصمة سلوكية يقتضيها عاملان:

١. صيانة الدين من أن يقع في التلاعب والتشويه المقصود.
٢. بعث الاطمئنان في نفوس المدعوين إلى الدين والمؤمنين به في شخص المعصوم، لتتهيأ الأرضية لامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والثاني والثالث عصمة فكرية يقتضيها:

١. الحرص على صون الدين وسلامته من التشويه غير المقصود، تحقيقًا للطف الرباني بالعباد.
٢. توفير أسباب الاطمئنان لدى المدعوين بخلوّ الدين من أي شائبة ليست من جوهر الدين، دعا إلى الوقوع فيها ما يقع عموم الناس فيه من حيث لا يشعرون، حيث يجهلون ويخطئون وينسون[١].

وقد التزموا بها في الإمام انطلاقًا من تفسيرهم لـ (الإمامة) التي تتجاوز المنصب السياسي لتشمل حفظ الدين والشريعة[٢]، بالمستوى الذي لا يحتمل أي خطأ مهما صغر، وهذا يتوقف على أن افتراض العصمة، بمستوياتها الثلاثة، حيث نضمن حينئذ الفاعلية الحقيقية للدور الوظيفي المنوط بـ (الإمام)، كما هي الحال في النبي، بفارق أن النبي يوحى له دون الإمام الذي هو عالم بمعطيات القرآن الكريم والسنة الشريفة ومؤدياتها كما جاءت من عند الله تعالى[٣].

---

(١) انظر: الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٨٣.

(٣) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٥٦. دروس في أصول فقه الإمامية ج ١ ص ١٨٩.

فقد قال الشيخ أبو جعفر الطوسي ﷺ: «الإمام لا يكون عالمًا بشيء من الأحكام إلا من جهة الرسول وأخذ ذلك من جهته»[١]، وهو ما أبانه الأئمة ﷺ فيما روي عنهم في المجامع الحديثية، من قبيل ما رواه جابر قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: «إذا حدثتني بحديث ما سنده لي؟

فقال :حدثني أبي عن جده عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجلّ. وكل ما أحدثك بهذا الإسناد»[٢].

أدلة العصمة

(١) قاعدة اللطف

يعرّف اللطفُ بأنه :ما يقرِّب العبدَ إلى الطاعة ويبعّده عن المعصية[٣].

وأما كيف يكون الإمام مصداقًا لـ (اللطف)، فيتمثل في :أننا نفترض في الإنسان الحاجة إلى إمامٍ يتولى دور القيادة الاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية، بحيث يشكل دوره صمام الأمان على جميع تلك الأصعدة ليقوم الناس بالقسط وتستقر في أوساطهم العدالة وينتفي ـ بتطبيق القانون ـ الظلم وفروعه وتثمر شجرة الحق وتنمو أغصانها، ويتوافر بذلك أهم عوامل الصلاح في النفس الإنسانية[٤].

ويتبنى العلامة الفضلي قياسًا منطقيًّا لإثبات العصمة يبتني على مقدم وتالٍ باطل يستلزم بطلان المقدم، ومفاده :

المقدم: أن الملزِم والموجِب لنصب الإمام من الله تعالى هو احتمال وقوع الخطأ من المكلفين، وهو ما تعلقت الإرادة الإلهية بنفيه لطفًا بالعباد.

التالي: إذا افترضنا احتمال وقوع الإمام في الخطأ، فإن الواجب أن يُعيَّن له إمامٌ يجنبه الخطأ، ليتحقق الغرض من نصبه. فإن افترضنا أن هذا الإمام المعيّن هو الإمام

(١) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٥٦، نقلاً عن تاريخ الإمامية وأسلافهم ص ١٣٨، نقلاً عن تلخيص الشافي ج١ ص ٢٥٣.

(٢) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٥٦، نقلاً عن بحار الأنوار ج٢/ ١٤٨.

(٣) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٢٩٠-٢٩١.

(٤) انظر: الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٩٠-٢٩١.

فهو المطلوب، وإلا للزم تعيين إمام له، وهكذا، لنقع فيما يرفضه المنطق والعقل وهو التسلسل.

وإذا كان التالي باطلاً فالمقدم مثله، فتجب العصمة في الإمام، وهو المطلوب[1].

(٢) القرآن

يُستدل على العصمة بآيات القرآن الكريم، ويمكن أن يورد ـ شاهدًا على ذلك ـ آيتان:

الآية الأولى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

«وتقرير الاستدلال بالآية الكريمة:

١) أن الآية صريحة في أن الإمامة لا تكون لأحد إلا بجعل من الله تعالى، أي بتعيين منه.

٢) أن الإمامة عهد الله، أي مسؤوليةٌ إلهيةٌ مهمةٌ، فلا تُناطُ إلا بمن لديه أهليةُ القيام بها، وهي أن يكون غيرَ ظالم لنفسه أو لغيره، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الإمامُ معصومًا، لأن العصمة مَلَكةُ ثابتةٌ ودائمةٌ، وبعكسها العدالةُ فإنها قابلةٌ للحدوث والتجدد [كما هي قابلة للزوال]، ففي حالة زوالها تزول معها الإمامة، لأن المشروط عدم عند عدم شرطه»[3].

الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4].

«بتقريب أن المراد من الرجس الذنوب، ذلك أن الرجس: القذر حسًّا أو معنى، ويطلق على ما يستقبح في الشرع والفِطَر السليمة.

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٣٠٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٣) الفضلي، د. عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٢٩٠.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

والمراد بـ (أهل البيت): علي وفاطمة والحسن والحسين، لحديث الكساء المروي عن أم سلمة ﵂: قالت: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت سبعة: جبريل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﵈ وأنا على باب البيت. قلت: ألست من أهل البيت؟ قال ﷺ: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي. ولحديث المباهلة المروي في صحيح مسلم: ٧/ ١٢١ لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ...﴾ دعا رسول الله عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وبوحدة الملاك، تعم الآية بمؤداها سائر الأئمة التسعة»[١].

ولئلا يطول بنا المقام، سنحيل شطرًا من الاستدلال على العصمة إلى حين استعراضنا للأدلة الناصّة على شخوص الأئمة؛ لأنها تثبت وتشخص الإمامَ أولاً، وتحدد شروطَهُ ثانيًا، وتبيِّن صلاحياتِهِ ثالثًا.

ونلحظ هنا كيف أن العلامة الفضلي التزم بصرامة ما رسمه لنفسه من منهج وصفه بـ (التكاملي) و(التقاء العقل بالنقل).

المسألة السادسة: الأدلة على الأئمة

أولاً: الأدلة من القرآن

لا يختلف المسلمون في حجية القرآن الكريم[٢]، هذا ما يؤكده العلامة الفضلي، وينقل في ذلك تعبيرًا لأستاذه الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (أصول الفقه)[٣] ونصّه: «إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ، والموجود بأيدي الناس بين الدفتين هو الكتاب المنزل إلى الرسول بالحق، لا ريب فيه هدى ورحمة ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٤]. فهو ـ إذًا ـ الحجة القاطعة بيننا وبينه

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٣١٠.

(٢) الفضلي، د. عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج ١ ص ١٤٢.

(٣) المظفر، الشيخ محمد رضا، أصول الفقه، ج ١ ص ٥٤، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

(٤) سورة يونس: الآية ٣٧.

تعالى، التي لا شك ولا ريب فيها، وهو المصدر الأول لأحكام الشريعة الإسلامية بما تضمنته آياته من بيان ما شرعه الله للبشر. وأما ما سواه من سنة أو إجماع أو عقل، فإليه ينتهي ومن منبعه يستقي»[١].

والآيات التي سيقت لإثبات إمامة أهل البيت ﻹ عديدة، يتم الاستدلال بها عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى: استكشاف معنى الآية. وإثبات أن المراد منها الإمامة الإلهية.

المرحلة الثانية: إثبات أن المراد بها خصوص أهل البيت ﻹ.

وبالجمع بين الأمرين يثبت أن (الإمامة الإلهية) لا تصح لغير أهل البيت ﻹ.

أما الآيات فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وتقريب الاستدلال بها على إثبات إمامتهم ﻹ أن يقال:

١) إن الآية تنفي عن أهل البيت ﻹ الرجس، وهو كل قذر وعيب، بإرادة إلهية لا تقبل التخلف، وذلك يعني عصمتهم.

٢) إن عصمة أهل البيت ﻹ تعني عدم جواز مخالفتهم ومعارضتهم، فيما يأمرون وينهون.

٣) لا يجب طاعة أحد بنحو مطلق إلا الإمام.

والنتيجة: أنهم أئمة واجبو الطاعة، إذ لا نريد من (الإمام) إلا ذلك.

وأما أن المراد بأهل البيت ﻹ: علي فاطمة وذريتها المعصومون فلِما تضافر بل تواتر بمناسبة نزول الآية.

يقول العلامة الفضلي حول هذه الآية الشريفة: «المراد من الرجس الذنوب، ذلك أن الرجس: القذر حسًّا أو معنى، ويطلق على ما يستقبح في الشرع والفطر السليمة. والمراد بـ (أهل البيت): علي وفاطمة والحسن والحسين:

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج ١ ص ١٥٣.

- لحديث الكساء المروي عن أم سلمة ﵂: قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي البيت سبعة: جبريل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﵈ وأنا على باب البيت. قلت: ألست من أهل البيت؟ قال ﷺ: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي.
- ولحديث المباهلة المروي في صحيح مسلم ٧ / ١٢١: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ...﴾ دعا رسول الله عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وبوحدة الملاك، تعم الآية بمؤداها سائر الأئمة التسعة»[١].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وتقريب الاستدلال بها أن يقال:

١. إن الآية نزلت بمناسبة تصدق علي بن أبي طالب ﵇ بخاتمه في الصلاة، بشهادة علماء أسباب النزول والمفسرين.
٢. إنها تثبت للمتصدق، فالولاية على المؤمنين لله أولاً ولرسوله ثانيًا ولهذا المتصدق ثالثًا.
٣. إن الولاية هنا يراد بها الولاية الخاصة بمعنى وجوب الطاعة، وهو معنى الإمامة، لأن الولاية الثابتة للمؤمن على المؤمن ليست مرادة قطعًا في الآية الشريفة.

والنتيجة أن (عليًّا) هو الإمام من بين سائر الصحابة، وهو المطلوب.

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وتقريب الاستدلال بها أن يقال:

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٣١٠.

١. إن الآية الشريفة أمرت بطاعة أولي الأمر إلى جانب الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ.

٢. إنها أطلقت الأمر في وجوب طاعة ولاة الأمر كما أطلق في وجوب طاعة الرسول ﷺ.

٣. لا يعقل أن يكون الأمر بالطاعة مطلقًا إلا أن يكون المأمور بطاعته معصومًا، وإلا شمل إيجاب طاعته على الإطلاق إيجابَ طاعته في أمره بالمعصية على حد أمره بالمعصية، وهو باطل غير معقول.

٤. لا معنى للقول بعصمة ولاة الأمر إلا أن يقال بـ (الإمامة الإلهية) التي ذهبت إليها مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثانيًا: الأدلة من السنة

(١) حديث الثقلين

وهو من أهم الأحاديث التي عني بها رسول الله ﷺ واهتم بها اهتمامًا كبيرًا. وذلك لما يتضمنه هذا الحديث من معنى حيوي على مستوى الدين والأمة[١].

«ويتجلى هذا الاهتمام في أن النبي ﷺ كرر مضمونه في مواطن عدة، منها: بعد انصرافه من الطائف، وفي مسجد الخيف، وفي حجة الوداع بعرفة، وفي غدير خم عندما عَهِد للإمام علي بالخلافة، ومن على منبره في مسجده الشريف بالمدينة، وفي حجرته المباركة قبل وفاته»[٢]. ويستند العلامة الفضلي في إثبات هذا الأمر إلى نص مهم جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي[٣].

(١) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٧٨.

(٢) م ن.

(٣) ونص ما قاله ابن حجر كالتالي: «ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقًا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيًا، ومرّ له طرقٌ مبسوطةٌ في حادي عشر الشُّبَه. وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قال ذلك لما قام خطيبًا بعد انصرافه من الطائف ـ كما مرّ ـ. ولا تنافي، إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتمامًا بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة». الصواعق المحرقة ص ١٤٨، كما في الفضلي، الدكتور عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٧٩.

وكان لا بدَّ من التأكد من صدوره وإثباته على مسلك من لا يقر بالإمامة الإلهية خصوصًا. لهذا أورد العلامة الفضلي، في سياق استدلاله بالحديث على الإمامة، العديد من الشواهد على ذلك، وأحال في ذلك إلى إحقاق الحق وملحقاته الذي جاء فيه أن الحديث ذكر في مئة وستين مؤلفًا من جملتها معظم كتب الصحاح وجوامع الحديث ومصنفات الرجال والتاريخ المعروفة[١].

نص الحديث:

ورد الحديث بألفاظ متفاوتة، دون إخلال بالمعنى، فمن ذلك ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بإسناده عن زيد بن أرقم ﵁، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، فقال: كأني دعيت فأجبت، وإني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.

ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي ؏ فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه[٢].

صحة الحديث:

ويؤكد العلامة الفضلي على صحة الحديث موردًا شواهد على ذلك من أئمة الحديث في الوسط السني خصوصًا؛ كالترمذي[٣] وابن حنبل[٤] والحاكم النيسابوري[٥] والطبراني والطحاوي والذهبي[٦]، ومن المعاصرين الشيخ ناصر الدين الألباني[٧].

(١) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٠، ودروس في فقه الإمامية ص ١٥٧-١٦٣ ط١ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر.
(٢) الفضلي، د .عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨١، عن المستدرك على الصحيحين ج٣/ ١٠٩.
(٣) الفضلي، د .عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٢.
(٤) الفضلي، د .عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٣.
(٥) الفضلي، د .عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨١.
(٦) الفضلي، د .عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٣.
(٧) م ن.

مفاد الحديث:

يقف العلامة الفضلي عند الحديث ليستخرج منه عددًا من الفوائد والنتائج، تصب جميعها في تأكيد صلاحيته للاستناد إليه في إثبات إمامة أهل البيت ، وتتمثل في التالي:

١. اقتران العترة الطاهرة بالقرآن الكريم، بمعنى فهمهم له وعلمهم به.
٢. إن التمسك بالكتاب والعترة معًا يعصم من الضلالة، بمعنى أن الالتزام بهدي القرآن وبهدي السنة المأخوذة عن طريق أهل البيت تعطي الإنسان المناعة من أن يقع في الضلالة.
٣. حرمة التقدم عليهم، وحرمة الابتعاد عنهم، لأن ذلك يوقع في التهلكة والهلاك. وفحوى هذا: حصر الإمامة فيهم وقصرها عليهم.
٤. عدم افتراق العترة عن الكتاب، بمعنى ارتباطهم به علمًا وعملاً، واستمرار سنتهم ـ لأنها سنة النبي ﷺ ـ عديلة القرآن إلى يوم القيامة.
٥. أعلمية أهل البيت، وليس هناك ما هو أحوط للدين وأعذر في الموقف يوم الحساب من اتباع الأعلم ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥][(١)].

(٢) حديث السفينة

ومن الأحاديث التي استند إليها العلامة الفضلي للاستدلال على إمامة أهل البيت ما أطلق عليه (حديث السفينة).

نص الحديث:

روى الحاكم في المستدرك بإسناده عن حنش الكناني، قال: سمعتُ أبا ذر يقول، وهو آخذٌ بباب الكعبة: «من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من

(١) الفضلي، د.عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٨٥ ـ ٨٦.

ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[١]، ورواه باختلاف يسير الطبراني في المعجم الكبير والمعجم الصغير وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة[٢].

وأشار العلامة الفضلي إلى أن عدد المصادر التي ذكرته ـ كما في إحقاق الحق ـ واحدٌ وسبعون مصدرًا[٣].

مفاد الحديث:

والحديث في دلالته على إمامة أهل البيت ولزوم التمسك بهم واتباع سنتهم لا يفتقر إلى توضيح. هكذا يعلق العلامة الفضلي[٤]. وقد أورد استشهادًا للمرجع الديني الراحل السيد المرعشي في كتاب إحقاق الحق ناقلاً إياه عن علامة سني: «قال العلامة المعاصر السيد أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي في كتابه (رشفة الصادي) (ص ٨٠ ط مصر): قال العلماء، وجه تمثيله ﷺ لهم بسفينة نوح عليه السلام، أن النجاة من هول الطوفان ثابتةٌ لمن ركب تلك السفينة، وأن من تمسك من الأمة بأهل بيته ﷺ وأخذ بهديهم كما حث عليه ﷺ في الأحاديث السابقة، نجا من ظلمات المخالفات، واعتصم بأقوى سبب إلى رب البريات، ومن تخلف عن ذلك، وأخذ غير مأخذهم، ولم يعرف حقهم، غرق في بحار الطغيان واستوجب الحلول في النيران، إذ من المعلوم مما سبق وما يأتي أن بغضَهم منذِرٌ بحلولها موجِب لدخولها»[٥].

(٣) حديث الأمان

ومن الأحاديث النبوية التي استدل بها العلامة الفضلي على الإمامة ما يعرف بـ(حديث الأمان).

---

(١) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٩٤.

(٢) م ن ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) م ن ٩٦.

(٤) م ن ٩٧.

(٥) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٩٧، نقلاً عن إحقاق الحق ج ٩ ص ٢٧١ (الهامش).

نص الحديث:

روى الحاكم في المستدرك[١] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[٢]. ورواه الحاكم أيضًا بتفاوت في اللفظ عن جابر في ج ٢ ص ٤٤٨.

ونقل عن إحقاق الحق أن المصادر التي ذكرته تبلغ ستة وعشرين مصدرًا[٣] وأتمها في ملحقات إحقاق الحق إلى سبعة وثلاثين مصدرًا[٤].

مفاد الحديث:

وأما ما يستفاد من الحديث فيمكن ذكره ضمن ما يلي[٥]:

أولاً: لا يتصور أن يكون أحد أمانًا لأحد لولا قربه من الله.

ثانيًا: هذا القرب بلغ حدًّا جُعل معه صمام أمان للرشاد والهداية على مستوى العصمة؛ لأن غير المعصوم ليس مأمونًا على نفسه فكيف يكون مأمونًا على غيره؟!

ثالثًا: أنهم باقون ما بقي الناس على وجه الأرض.

(٤) حديث الاثني عشر، والأئمة من قريش

ومن الأحاديث التي استند إليها العلامة الفضلي في إثبات الإمامة لأهل البيت عليهم السلام ما سماه بحديث الاثني عشرية.

---

(١) ج ٣ ص ١٤٩.

(٢) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ٩٨.

(٣) م ن، ص ٩٩، نقلاً عن إحقاق الحق ج ٩ ص ٣٢٣.

(٤) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١٠٠، نقلاً عن إحقاق الحق ج ١٨ ص ٣٢٣ وما بعدها.

(٥) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١٠٠، ناقلاً هذا المفاد عن دلائل الصدق للعلامة الشيخ محمد حسن المظفر ج ٢ ص ٣١٢، وقد تصرفنا في العبارة بما لا يخل بالمقصود.

نص الحديث:

روى أحمد بن حنبل في المسند[١]: «عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك. ثم قال: نعم؛ ولقد سألنا رسول الله ﷺ، فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل»[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة، قال: دخلتُ مع أبي على النبي ﷺ فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش.

وقد رواه بتسعة طرق[٣].

كما رواه باختلاف يسير البخاري في صحيحه[٤].

فإذن لسنا أمام مشكلة سندية لإثبات هذا المضمون، فلننتقل إلى التعرف على:

مفاد الحديث:

وفيه يستعير باحثنا، وهو بصدد تبيّن مفاد الحديث مقالةً لأستاذه العلامة المحقق السيد محمد تقي الحكيم:

« الذي يستفاد من هذه الروايات:

١. أن عدد الأمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثني عشر، وكلهم من قريش.

٢. وأن هؤلاء الأمراء معيّنون بالنص، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢].

---

(١) ج ١ ص ٣٩٨.

(٢) الفضلي، د. عبد الهادي، مذهب الإمامية ص ١٠١.

(٣) م ن، ص ١٠١.

(٤) م ن، ص ١٠١.

٣. أن هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي الدين الإسلامي، أو حتى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم السابقة، وأصرح من ذلك روايته الأخرى في نفس الباب: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان. وإذا صحت هذه الاستفادة فهي لا تلتئم إلا مع مبنى الإمامية في عدد الأئمة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله ﷺ، وهي منسجمة جدًّا مع حديث الثقلين وبقائهما حتى يرِدا عليه الحوض»[١].

(٥) حديث الغدير

ومن الأحاديث التي استند إليها باحثنا الفضلي لإثبات الإمامة لأهل البيت ﷺ ما اشتهر بـ (حديث الغدير).

نص الحديث:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث البراء بن عازب (في ص ٢٨١ من الجزء الرابع من مسنده) من طريقين: «قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلى الظهر، وأخذ بيد علي، فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من ولاه، وعادِ من عاداه. قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئًا يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[٢].

سند الحديث:

لا يعاني حديث الغدير من مشكلة في السند، بل نجده في (غير كتاب من الكتب المعتبرة)، كما أنه (روي بغير طريق من الطرق المختلفة صحاحًا وحسانًا وسواها)، بل (نص على تواتره غير واحد من الأعلام، من أحدثهم السيد الطباطبائي[٣] قال: وأما حديث الغدير ـ أعني قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ـ فهو حديث متواتر منقول من طرق الشيعة وأهل السنة بما يزيد على مئة طريق[٤].

---

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٣٠٤.
(٢) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٢٩٦.
(٣) الطباطبائي، السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ج ١ ص ٢٧٠ – ٢٧١.
(٤) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م، ص٢٩٥-٢٩٦.

ويمكن للباحث الكريم أن يراجع موسوعة الغدير التي ألفها البحاثة المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني، والتي طُبع منها أحد عشر جزءًا، خصصها لمعالجة هذه الواقعة من جميع جوانبها، فجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام وأهله.

مفاد الحديث:

تعددت أساليب وطرق علماء الإمامية في الاستدلال بهذا الحديث على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولنورد إيجازًا، يناسب حجم المقالة لما أورده علامتنا الفضلي في الاستدلال بالحديث الشريف مع تغيير منا في الصياغة، بما لا يخل بالمقصود:

أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وآله أخذ الإقرار من الأمة، بمن حضر منهم، أن طاعته مفروضةٌ عليهم بقوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم»، فلما أجابوه بالاعتراف بقولهم: «بلى»، رفع بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، ليسحب وجوب طاعته على أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «من كنت مولاه فهذا مولاه» ـ وفي روايات أخر «فعلي مولاه» ـ ليلحقه بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى قائلاً: «اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

فقد أثبت صلى الله عليه وآله لـ (علي) ما هو ثابت له من أولوية في التصرف، ووجوب الطاعة وحرمة المخالفة... وذاك ما نعنيه من (الإمامة).

شبهةٌ وعلاج:

قد يثار في وجه الحديث شبهات أمام تفسير (مولى) بما يفيد (الأولى)، بلحاظ أن (مولى) في اللغة العربية تحمل معاني عدةً، فما الموجب لحملها على (أولى) دون (المعتق) و(الحليف) و(الجار) و(الصهر) و(ابن العم) بالخصوص، وما القرينة على ذلك؟

يجيب بالقول: «إن بعض تلك المعاني غير مقصود قطعًا، ومعلومٌ بالدليل أنه لم يرده، من قبيل: (ولاية الدين) والنصرة فيه والمحبة؛ لأن ذلك واضح لكل مسلم، حيث يجب عليه موالاة المؤمنين، فبذلك نطق القرآن؟ ثم: كيف يجوز أن يجمع ذلك الجمع العظيم في مثل تلك الحال ويخطب على المنبر المعمول من الرحال ليعلم الناس من دينهم ما يعلمونه ضرورة.

وبعضها الآخر من المعاني محتمل، بل مرادٌ بنحو الوجوب واللزوم، وهو (الأولى بتدبير الأمة وأمرهم ونهيهم).

لأنا إذا أبطلنا جميع الأقسام، وعلمنا أنه يستحيل أن يخلو كلامه من معنى أو فائدة، ولم يبق إلا هذا القسم فيجب أن يريده. وقد بينّا أن كل من كان بهذه الصفة فهو الإمام المفترض الطاعة»[1].

□ خاتمة: المرجعية الفكرية لأهل البيت ﷺ

من الضروري التأكيد على أن الحديث عن (الإمامة) ليس حديثًا في التاريخ، بقدر ما هو حديث عن الإنسان، الذي سيكون الحديث عنه متعاليًا عن الزمان.

وإذا تقرر أن الإنسان والدين متلازمان، لا يمكن التفكيك بينهما، فلا بدَّ من تثبيت الدين أولاً، ولا بد إلى ذلك من تفسيره بشكل صحيح ثانيًا، وهو ما يتوقف على التثبت من آليات التفسير والشرح. ومن آليات الشرح والاستنطاق ما ثبت عن رسول الله ﷺ وهو الأمين على الوحي، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، سواء كانت تلك الآليات نصوصًا، أو مناهج وأساليب، أو شخوصًا، يرجع إليها وإليهم.

وقد ثبت مما تقدم أن أهل البيت ﷺ هم الذين يجب على المسلم متابعتهم على مستوى متابعة الرسول ﷺ؛ لأنهم حفظة الدين ومصابيح الهدى وسفن النجاة، وبالتالي هم أمان لأهل الأرض، وبذلك فقط ينجو الإنسان بحسن تفاعله مع الدين.

وهذا يعني أن لأهل البيت مرجعيةً فكريةً إذا أشكلت الأمور وتعددت المذاهب والرؤى.

لذلك ننتهي إلى أن الحديث عن إمامة أهل البيت ﷺ ليس حديثًا في التاريخ بقدر ما هو حديث عن المستقبل، الذي وعد الله عباده الصالحين بأنهم أهله، وأنه لهم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٢٩٦-٢٩٧.

النجف الأشرف: حضور في دلالات أربع عند العلامة الفضلي

■ السيد حسن كاظم الخليفة ■

تُعدُّ مدرسة النجف الأشرف من أقدم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، ومن أكثرها سعةً وعمقًا، وهو ما تنماز به تلك الحاضرة التراثية العريقة، وما إلى ذلك من انفرادات لا تُلتمس إلا في أروقتها العتيقة، وهي تعانق العصر في حراكها الدائب الصبور مع الطلبة والعلماء، دراسةً وتدريسًا، ومع الأصالة والإبداع، بحثًا وكتابةً وتحقيقًا.

لتمرّ ألف سنة من عمر العراقة والعطاء على جامعة النجف الأشرف، مؤرخة بداياتها النوعية ـ كما هو الشائع ـ بما تعرَّض له الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) من هجوم السلاجقة على بغداد[١].

ومن التضييق عليه، بإحراق كرسي درسه، ومكتبته النفيسة لسنة ٤٤٧هـ[٢]، ومن بعدُ، هجرته من بغداد الحضارة، ومن مدرستها المزدهرة بالتاريخ واللغة والأدب، والحديث والفقه والأصول، والمنطق والفلسفة والكلام، إلى حيث باب مدينة العلم.

إلى النجف الأشرف، حيث يترعرع ذلك كله، كان وصول الشيخ الطوسي لسنة ٤٤٩هـ حاملاً معه عبق المدرسة البغدادية في إرث أستاذيه:

- **الأول**: تلميذ الرماني (ت ٣٨٤هـ) من أعلام اللغة والنحو في تلك المدرسة، وهو الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ).

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، هكذا قرأتُهم، ج١، بيروت، دار المرتضى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٦.

(٢) الفضلي: د. عبد الهادي الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٨٤.

- **الثاني**: تلميذ ابن جني (ت ٣٩٢هـ) من كبار أعلام المدرسة البغدادية في اللغة والنحو، وهو الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)[١].

وإذ يسجل العلامة الفضلي لدى اشتغالاته اللغوية على النحو العربي، مؤرخًا، ومجتهدًا، ومفهرسًا، وأديبًا، حضور مدرسة النجف الأشرف، فإن في كل اشتغال دلالة ..

إنَّ وظيفة الرصد ـ هنا ـ لتلك الدلالات الأربع ـ تتجاوز التوصيف الخارجي لها، إلى اكتشاف انتظامها الداخلي، ذلك الانتظام الذي يُجلِّي لنا النجفَ مدرسةً في فكر العلامة الفضلي، والفضليَّ عالمًا في مدرسة النجف.

□ أولاً: دلالة اشتغال المؤرِّخ

في المرصدين الزماني والمكاني، يؤرخ العلامة الفضلي لـ «مراكز الدراسات النحوية»[٢] عبر العصور والحواضر العلمية، لنرى في اشتغاله التاريخي ـ تجلِّيًا آخر من تجلِّيات علم النحو العربي في مدرسة النجف الأشرف للقرن الخامس من الهجرة النبوية الشريفة.

القيمة التاريخية لذلك التماسِّ النوعي بين النجف مدرسةً، والنحوِ مدرسيًّا ـ في عودة المشروع إلى حاضرة المؤسس الأول لهذا العلم الجليل.

فالصحيفة التي أملاها بمدينة البصرة على أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت ٤٠هـ) لِستٍّ وثلاثين خَلَتْ من الهجرة النبوية الشريفة[٣] ـ عادت إلى النجف الأشرف يحملها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) نَضِيجَةَ مدرستين:

- البصرية في شموخها العقلي[٤].

---

(١) انظر: الفضلي: د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف، بيروت، مركز الغدير، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ص٤٨.

(٢) الفضلي: د. عبد الهادي، مراكز الدراسات النحوية، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) الخليفة: حسن، شيء في النحو: تاريخه وتطوّره، تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي، الأردن ـ إربد، ١٩٩٢م، ص١١.

(٤) انظر: السيد: د. عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، العراق، توزيع دار المعارف، ١٩٦٨م.

- والكوفية في زخمها النقلي[١].

وإذا بـ ﴿جَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٢]، إذ بهما ـ أعني المدرستين ـ وعبر علَمين من أعلامهما الكبار، وهما:

- أبو العباس المبرِّد البصري (ت ٢٨٥هـ).
- وأبو العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ).

ـ تأسست المدرسة البغدادية، ليتعاهدها علماء أصائل في أجيال خصيبة، حتى حضر على أبي الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وعلى أبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) الشريف المرتضى (ت ٤٥٦هـ)، وعليهما ببغداد كان حضور الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[٣] الذي عاد مشبعًا بالمدرسي من البحث اللغوي/ النحوي هناك، إلى كنف باب مدينة العلم، ليظهر تجلِّيه الجديد في مدرسة النجف الأشرف.

إنَّ لذلك الرصد التاريخي ـ فيما يخطُّهُ أستاذنا الشيخ الفضلي عن تاريخ النحو العربي كمفصل أساس من مفاصل الدرس اللغوي في النجف الأشرف ـ دلالة ذات قيمة، وقيمة تلك الدلالة التاريخية في تجاوز تاريخيتها من رصد ووصف ـ فيما يقدمه شيخنا العلامة الفضلي ـ إلى ما يرمي إليه بذلك التجاوز؟

- **المدرسة النجفية في النحو/ رصد الحراك الاجتهادي:**

الدرس اللغوي/ النحوي درسٌ أساس في النجف الأشرف؛ لكونه من مقدمات الدرس الشرعي، الأمر الذي جعله منهجًا من مناهج الدراسة فيها، والهاء في(فيها) تعود إلى: (مدرسة النجف)؛ ما يعني أن طرائق التفكير في تلك المدرسة الشامخة ـ بمقتضى ثقافة الاستصحاب[٤] ـ ستشتغل على المادة النحوية اشتغالها على المادة الفقهية، وذلك بتجاوز التقليد إلى الاجتهاد.

---

(١) انظر: المخزومي: د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، بيروت، دار الرائد العربي، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

(٣) انظر: الفضلي: د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ٤٨.

(٤) من مفهومات علم (أصول الفقه) التي تجلّت ـ هنا ـ في بُعدها الثقافي.

الأمر الذي يؤشر ـ ضرورةً ـ إلى أن الأصالة والإبداع سيصيران إلى اللغة والنحو بما صارا إلى الفقه وأصوله، في هذه الحاضرة العلمية العامرة بالمتبحِّرين من أساطين العلم.

وهذا ما يسجله شيخنا العلامة الفضلي ـ مشيرًا إلى ناحٍ من نُحاتها الذين سلكوا في دراسة النحو مسلك الاجتهاد، إذ يقول:

«وألمع نحاتها ظهورًا وأوسعهم شهرة وأبعدهم صيتًا الرضي الاسترآبادي (ت ٦٨٨هـ) المعروف بـ (المحقق الرضي) والملقب بـ (نجم الأئمة) مؤلف شرح كتاب كافية ابن الحاجب المعروف بـ (شرح الرضي) وشرح شافية ابن الحاجب.

وقد غطت شهرته على ما سواه من نحاة هذا المركز العلمي، وكفى به عملاق فكرٍ امتاز بالأصالة والعمق.

وتمثل منهجه في كتاب (شرح الكافية) بانتهاج طريقة الاجتهاد التي عرفت بها النجف ولا تزال قائمة، وتتلخص في الخطوات التالية:

١. ذكر المسألة.

٢. استقصاء الأقوال في المسألة، وتتبع أدلتها التي ذكرها العلماء السابقون للباحث، والمعاصرون له.

٣. الموازنة بين الأقوال، والمقارنة بين الأدلة.

٤. محاكمة الأدلة، ومناقشتها.

٥. اختبار الدليل الناهض بالإثبات، أو إضافة الدليل القائم بالحجة.

٦. النتيجة بتأكيد الرأي المختار، أو بتدعيم الرأي الجديد.

٧. بيان الإضافات الجديدة»[1].

نتيجة هذا المنهج الاستدلالي الحر الذي اتبعه المحقق الرضي (ت ٦٨٨هـ) في شرح كافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) منسجمًا مع تقاليد مدرسة النجف الاجتهادية ـ

---

(١) مراكز الدراسات النحوية، م. س، ص ٦٨ ـ ٦٩.

ستؤدي به إلى الخروج بآراء انفرد بها بين النحاة، وهو ما التفت إليه قرّاء الشرح متقدمين ومتأخرين.

عن تلك الانفرادات وما اجتلبته من شهادات ذوي الاختصاص، يقدم شيخنا الفضلي في درسه اللغوي بالنجف عرضًا مسهبًا، في أسلوب تحليلي، شيِّق، دا. وهو إذ يضع الرضي في محيط المدرسة النجفية التي يصدر عنها، وبما يناسب موضوع القراءة، وهو الاجتهادات ـ راح يقرأ شيخنا الفضلي، باشتراطات النقد في مقتضياته، ناظرًا إلى القول نقضًا وإبرامًا، كنظر صاحبه إليه، راح يقرأ تلك الاجتهادات اللغوية النحوية عند المحقق الرضي (ت ٦٨٨هـ)[١].

ومن دون أن يغفل ـ في تلك القراءة ـ عمّا للمحقق الرضي من مكانة علمية عليا في مدرسة النجف الأشرف تتجاوز ما اشتهر فيه، صرَّح مؤكدًا على «أن شهرته في علمي النحو والصرف غطت على جوانب بارزة في حياته كاجتهاده الفقهي، ومرجعيته في التقليد، وتضلعه في علمي المنطق والكلام»[٢].

إن ما تستبطنه المقبوسة الأخيرة ـ على قصرها ـ من العلامة الفضلي عن المحقق الرضي، هو التدليل على ما للفقاهة بمستواها المرجعي، العالي، العميق، من فتوح علمية في الدرس اللغوي، وهي ما كانت لتكون لولا تلك المدرسة التي لا تنفك فيها اللغة عن الفقه، والفقه عن اللغة، في التعبير عن نجفيَّتها بما يحمل ذلك التعبير الإبداعي الأصيل من مسؤولية المحافظة عليه، وتنميته عبر الوعي المنهجي الذي يقف وراءه.

والتركيز على الوعي المنهجي ما برح الشغل الشاغل لشيخنا العلامة الفضلي في كل ما أنتجه من عطاء في هذا السياق طيلة نصف قرن من الزمان؛ إذ تجده دائمًا السبَّاق في الحضور حيث يكون المنهج[٣]، كحضوره في درسه اللغوي ذاك.

---

(١) انظر: الدرس اللغوي في النجف، م. س، ص ٨٣ ـ ٩٩، ناقدًا شذوذ رأيه في قضية القراءات، ص ٩٨ ـ ٩٩، ومحيلاً في تلك القضية إلى كتابه: (القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف).

(٢) انظر: الدرس اللغوي في النجف، م. س، ص ١٠٤.

(٣) من الدراسات التي تناولت (الوعي المنهجي) بالرصد والتحليل عند العلامة الفضلي في نموذجه الكلامي: «تحرير العقل من نفسه: قراءة في موقف العلاّمة الفضلي من جدل الأنماط، مجلة الكلمة، ملف خاص عن العلامة الفضلي، العدد ٥٥».

حضور قد تحسبه يؤرخ لـ «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» عبر سرد أسماء الدارسين النجفيين لحقول اللغة عبر العصور، بينما هو كان عبر السرد ذلك كله، همه الأساس في البحث عما تحقق به مدرسة النجف الأشرف مدرسيَّتها، تلك المدرسيَّة التي بها تنماز عن غيرها من المدارس السابقة واللاحقة، عموديًّا وأفقيًّا، وهو المنهج الاجتهادي في أنماطه النجفية الخاصة.

هكذا إذن، وبهذا النحو من الاشتغال التاريخي على اللغة/ النحو، عند شيخنا العلامة الفضلي، يتجلَّى لنا علم النحو العربي «مدرسةً نجفيةً» ذات أصالة وإبداع لا يفارقان مستوى الاجتهاد.

□ ثانيًا: دلالة اشتغال المجتهد

من دلالة اشتغال المؤرخ في «الدرس اللغوي» و«مراكز الدراسات النحوية»، إلى دلالة اشتغال المجتهد في «دراسات في الفعل»[1]، سنرصد كيف تسجل الدراسات الأصولية اللغوية، واللغوية الأصولية ـ من جديد ـ في حضورها النجفي من المحقق الرضي إلى العلامة الفضلي، معيَّتها الاجتهادية، وبموضوعية وتجرد كبيرين، لا رائد لهما غير العلم، بما يجعلنا نقف أمام النجف الأشرف بخشوع، وأمام مدرستها بتواضع ..نتأمل شموخها متعلِّمين.

▪ ـ نحو دراسات مقارنة بين أصول الفقه والدراسات اللغوية:

في سياق المعالجة الاجتهادية للدرس اللغوي/ النحوي، على شروط مدرسة النجف الأشرف ـ يشيد شيخنا العلامة الفضلي بتجارب علماء أصول الفقه اللغوية، داعيًا إلى دراستها دراسة مقارنة؛ كونها مما تقتضيه الضرورة لتطوير الدرس اللغوي، مقرِّرًا ذلك بقوله: «مارس علماء أصول الفقه في أبحاثهم ودراساتهم الأصولية عددًا من مفاهيم ومسائل اللغة، وذلك لوقوع الكثير منها في طريق استنطاق نصوص الكتاب والسنة.

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، دراسات في الفعل، بيروت، دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وله مما يمثّل الاجتهاد اللغوي: «أسماء الأفعال والأصوات» ـ رسالة ماجستير ـ، و«قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية» ـ أطروحة الدكتوراه ـ و«دراسات في الإعراب»، و«اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية»، وبعض الدراسات والمقالات المتفرّقة هنا وهناك.

وكان الكثير من تجاربهم العلمية المشار إليها متَّسمًا بالعمق والأصالة، ومنتهيًا إلى نتائج ذات أهمية، مما يفرض على المعنيين بالدراسات اللغوية والنحوية أخذها بعين الاعتبار ضمن دراسات مقارنة ليستفاد منها في تطوير المادة اللغوية، نحويةً كانت أو غيرها»[١].

- ـ (فعل الأمر) ليس فعلاً..!:

تطبيقًا للمقارنة التي دعا إليها العلامة الفضلي، يقدم مناقشةً نقديةً لطرائق الاستدلال عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب، والتي هي موضع تسالم أغلب النحاة، بما يخص التقسيم الثلاثي للفعل: (ماضٍ، مضارع، أمر) حاذفًا الأخير من حزمة الأفعال؛ إذ لا (فعل أمر) في الجملة العربية ..!

وهو ما التفت إليه الدرس الأصولي في النجف الأشرف، ذلك الدرس الذي يرى في تعليل النحاة لعدِّهم (الأمر) من الأفعال؛ كونه شريكها في الدلالة الزمانية .. ـ ضربًا من الخلط والاشتباه الذي اشتهر على ألسنتهم.

وبالتحديد، إنه القول الذي يذكره في (كفاية الأصول) الفقيه الأصولي النجفي الشيخ كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)، كما يشير شيخنا الفضلي ويعلق عليه بقوله: «وفحوى القول المذكور هو أن استقراء أمثلة الفعل تنهي ـ وببداهة ـ إلى أن (الأمر) لا دلالة فيه على الزمان، وأن دلالته مقتصرة على طلب إيقاع الفعل فقط»[٢].

وعليه، يخلص العلامة الفضلي إلى تأكيد ما عليه أغلب علماء أصول الفقه في النجف الأشرف؛ كون مدرستها تظهر ـ بعطاء أولئك المجتهدين من علمائها ـ «المنهجَ الذي يلتقي وطبيعة اللغة كمادة نقليَّة، وهو منهج الاستقراء، وذلك بتتبع وملاحظة أمثلة الأمر.

ومنه نخلص إلى أن الأمر ليس فعلاً، كما يقول الأصوليون، وإنما هو أسلوب إنشائي، شأنه في ذلك شأن الأساليب الإنشائية الأخرى، من نهي واستفهام وشرط ونداء وغيرها»[٣].

(١) دراسات في الفعل، م. س، ص ٤٦.
(٢) م. س، ص ٥٠.
(٣) م. س، ص ٥٤.

وهو ـ بوضوح شديد ـ رأي اجتهادي صريح، يخرق ما تسالم عليه أغلب النحاة منذ كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) حتى اليوم من كون «الأمر» ـ وهو أسلوب إنشائي لا غير ـ قسيمًا فعليًّا للفعلين الماضي والمضارع.

- ـ **بناء الفعل المضارع ومخالفة الإجماع:**

ينقل العلامة الفضلي من (شرح الكافية) للمحقق الرضي عبارته في استكراه الخروج على إجماع يستحسن اجتهادُه الصِّرف، وتفكيرُه المتفرد الخروجَ عليه..!، إذ يقول ما نصه: «لولا كراهية الخروج من إجماع النحاة لحَسُنَ ادِّعاء كون المضارع المسمى مجزومًا مبنيًّا على السكون»[1].

وهو ـ أعني العلامة الفضلي ـ إذ يُجِلُّ في المحقق الرضي اجتهادَه الذي يحفظ له تفرُّدَه في الوصول إلى رأي لا يخفيه، من أمثال النتيجة هذه التي لا تأتي إلا بما ينسجم مع طرائق الاستدلال والاستنباط في المدرسة النجفية ـ يأخذ عليه استسلامه لما لا يوافق رأيه في المسألة هذه تحديدًا؛ كون ذلك الاستسلام مخالفةً صريحةً لمبناه الأصولي في قضية تحريك دليل الإجماع في مثل هذا الموضع..!

وباستغراب وتعجب، من اعتبار المحقق الرضي حجية الإجماع غير المنقول ـ كان تساؤل شيخنا العلامة الفضلي، إذ يقول: «ولا أدري كيف يعتبر الشيخ الرضي مثل هذا الإجماع حجةً، وهو غير قائم على النقل عن العرب»[2].

وبعد تفنيده مستند (الإجماع) في أدلة المعربين للفعل المضارع لدى النحاة ـ لا يستسلم الشيخ الفضلي لهذا النوع من الإجماع المدركي الذي استطاع أن يفكك مرجعياته، ويفندها بآلة الاجتهاد، تلك الآلة التي ينبغي أن تعمل هي بالإجماع، لا أن يعمل هو بها؛ كونها مما لا ينبغي تعطيله بحال.

كيف لا، وهو يصرح في (دروسه الأصولية): «إن مثل الإجماع المعلوم المدرك، والمعروف المستند، لا اعتبار له عندنا ـ معاشر الإمامية ـ في مجال الاستدلال، وإنما الاعتبار للمدرك أو المستند، ويعامل في الاستدلال به معاملة أمثاله من المدارك والمستندات»[3].

(١) م. س، ص ٦٩، نقلاً عن شرح الكافية للمحقق الرضي ٢/ ٢٢٣.

(٢) م. س، ص ٦٩.

(٣) الفضلي: د. عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج١، بيروت، مركز الغدير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢١٩.

وإذا كان هذا في «دروس في أصول فقه الإمامية» والأصول منطق الفقه، ومنهجه في الاشتغال على إنتاج الأحكام الشرعية، فكيف لا يكون في منطق النحو، ومنهجه، في تلك «الأصول اللغوية» التي يعمل على تحريكها الشيخ الفضلي في «دراسات في الإعراب» لإنتاج حكم من الأحكام النحوية؟!

إذ إنَّ الاستدلال في نتاج شيخنا العلامة الفضلي ـ يستجيب للمبنى الأصولي دونما فرق بين مواد البحث، فقهيةً كانت أم لغويةً.

وغير خافٍ «ألا احتياط مع الدليل»، هو من مباني شيخنا الفضلي. وإذا كان ترك الدليل مخالفة، فإن تحكيم الاحتياط فيه تحكُّم لا أصل له، وليس له من منشأ غير الميل النفسي، ومتى كانت الميول مصادر للاستنباط، فضلاً عن تحكيمها في المصادر المعتبرة التي لا تفتقر للإثبات؟!

لذلك كان لشيخنا العلامة الفضلي ما أراده من تفعيل العملية الاجتهادية، والتزام شروطها العلمية المتعارفة في مدرسة النجف الأشرف بحرية وتجرد يضمنان له الأصالة في الرأي، لينهي البحث ـ وإن خالف الإجماع، بالنتيجة التي أدى إليها اجتهاده، وبثبات علمي لا يشوبه التردد، يقول: «ونخلص من كل هذا إلى النتيجة التالية، وهي: أن جميع الأفعال مبنية، وأن الإعراب يختص بالأسماء»[(١)].

إن ما رأيناه من صنيع شيخنا العلامة الفضلي هو عين ما كان يصنعه المحقق الرضي، فكلاهما يصدر عن النجف الأشرف ومدرستها الأصولية في تناول بعض قضايا اللغة والنحو بما لا ينفك عن الاجتهاد.

وهو أيضًا ما كان يصنعه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (الخصائص) الذي سار فيه على «منهج الفقهاء، والأصوليين، والمتكلمين، وعلماء رجال الحديث ومصطلحه، وسار على نسقهم في القول»[(٢)].

بيد أن آثار ابن جني على الشريف المرتضى التي تركت أثرها على الشيخ الطوسي ـ اشتغل عليها الاجتهاد النجفي لقرون عدة تسير بها في صيرورة تستجيب لمتطلبات الحقب حتى اللحظة الراهنة، بما لم تعد تعكس في جوهرها غير معالم المدرسة النجفية للدرس اللغوي الذي يرصده، عبر أعلامه، وفهارس مؤلفاتهم، شيخنا العلامة الفضلي في هذا الكتاب.

---

(١) دراسات في الفعل، م. س، ص ٦٩.

(٢) الأسعد: د. عبد الكريم محمد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٨٩.

وذلك بعد أن يقدم لنا تجربة رائدةً وجادَّة في الفهرسة لكتب النحو في كتابه الموسوم بـ«فهرست الكتب النحوية المطبوعة»[1]، ولذلك دلالة وأيما دلالة!

□ ثالثًا: دلالة اشتغال المفهرس

إذا كان الشيخ الطوسي ترك لنا كتابه «الفهرست» في معرفة رواة الحديث، بعد كتابه الموسوم بـ«رجال الشيخ الطوسي» صونًا لعلم الحديث عبر معرفة رجاله، فإن الشيخ الفضلي في كتاب «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» ترك أشكالاً من التعريف العام بالنحاة، واشتغالات اللغة والنحو رجالاً وطبقاتٍ، مدارسَ واختصاصاتٍ، مصادرَ ومصنفاتٍ، بادئًا ـ فيما يختص بمدرسة النجف الأشرف ـ بالشيخ الطوسي نفسه، فالمحقق الرضي، حتى آخر اسم يرد تحت رقم (٢٠٨) في هذا (الفهرست) من (رجال الشيخ الفضلي) في الدرس النجفي للغة والنحو ـ كما يحلو لي أن أسميه هنا، وإلا فهو يسير مع رجالات النحو العربي منذ نشأته بالبصرة حتى دخوله إلى حاضرة النجف الأشرف.

أليس في هذا النحو من الاشتغال بالفهرسة، ورجال العلم، من الشيخ الطوسي إلى الشيخ الفضلي في مدرسة النجف الأشرف من دلالة على ما لتلك المدرسة العريقة الشامخة من أصول وتقاليد لا تنفك عنها مهما كان نوع المادة المدروسة؟

وأي سر هو في هذه المدرسة التي مازالت ـ فقهًا كان ما تدرس، أم لغةً ونحوًا ـ لا تقتنع بأدنى من مستوى الاجتهاد!؟

إنه الإبداع الذي سيجد تجلِّيه الأصيل في حضور مدرسة النجف الأشرف عبر اجتراح دربٍ بكرٍ من الجهد المختص، تصنيفًا، وتوصيفًا، وتحليلاً، في «فهرست الكتب النحوية المطبوعة»[2]، لشيخنا العلامة الفضلي.

---

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، فهرست الكتب النحوية المطبوعة، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) م. ن.

- ـ فهرست الكتب النحوية المطبوعة:

وصل عدد ما أحصاه شيخنا العلامة الفضلي من الكتب النحوية المطبوعة في هذا الفهرست إلى (١٢٦٥) عنوانًا عبر مسح ببليوجرافي لما استطاع الوصول إليه من المطبوع النحوي في العالم كله من بدء الطباعة حتى عام ١٩٨٤م[١].

وهو جهد مضنٍ لا يعيه إلا من حاول الاقتراب من هذا الشكل من التصنيف البيليوجرافي؛ وذلك لأن «موضوع الفهرسة ـ كما يعرف من كابده وعانى فيه ومنه ـ وعر الطريق شائك المسلك مخيف المسرى.

وعرٌ..؛ لأنه لم يمهد حتى الآن بإصدار ما يعرِّف كل ما ينشر من نتاج فكري نحوي.

وشائكٌ؛ لأن ما نشر من قوائم مفهرسة ـ على قلتها ـ لم يدقق فيها، ولم يتحقق من صحة ما ينشر فيها، ومن هنا ـ كان الاعتماد عليه لا يخلو من مزالق.

ومخيفٌ؛ لقلة السالكين فيه، وقد يعود ذلك إلى قلة الوعي لأهمية أمثال هذه الأعمال»[٢].

بيد أن الوعي المنهجي الذي يتمتع به شيخنا الفضلي ـ كان رائده في خوض مثل هذه اللجج متخطيًا الصعوبات كلها، بمثابرة المجتهدين، وصبرهم؛ من أجل القيام بمثل هذا العمل الإبداعي الذي يسد حاجات البحث الضرورية متوخيًا تحقيق أهدافه في: «

١. الاطلاع على ما نشر من التراث النحوي العربي، فيعاد نشر ما لم يستكمل شروط التحقيق العلمي وعناصره، ويكتفي بما استوفى ذلك فلا يكرر تحقيقه.
٢. الاطلاع على ما نشر من بحوث ودراسات نحوية فيها المفيد من الجديد في العرض، أو الرأي، أو النقد، أو الموازنة؛ ليستفاد منه في البحث والتأليف، والتربية والتعليم.
٣. وضع قائمة بالمصادر والمراجع النحوية المطبوعة أمام الدارس والباحث، من

(١) م. س، ص ٤.
(٢) م. س، ص ١٧.

أساتذة النحو وطلابه وشداته، أو من غيرهم، من أمثال المتخصصين في علم المكتبات، والمعلومات، فيفيدون منها في معرفة التطور التاريخي لطبع الكتاب النحوي»[١].

تلك القائمة من المصادر والمراجع التي تجد شكلها الخاص فيما أثبته شيخنا العلامة الفضلي في هذا الكتاب من مؤلفات مدرسة النجف الأشرف في اللغة والنحو عبر العصور.

والتي تجد شكلها العام فيما طبع في العالم من المؤلفات النحوية لكل من كتب في هذا العلم بلا تخصيص، غير أن مدرسة النجف الأشرف كانت حاضرة أيضًا فيما طبع من تلك المؤلفات المثبتة في كتاب «فهرست الكتب النحوية المطبوعة» لشيخنا العلامة الفضلي، وكانت مدرسة النجف الأشرف أشد حضورًا في تمثُّل روح الاجتهاد فيها عند شيخنا العلامة الفضلي نفسه؛ فما هو ـ في نتاجه هذا، وفي مثله ـ إلا نموذج حي لتلك الذهنيَّة الوقَّادة التي تتحرك بها عجلة الاجتهاد شموليَّةً وعمقًا في مدرسة النجف الأشرف.

إنَّ القراءة التي قدمها أستاذنا الشيخ الفضلي للجهود النحوية ما بين عصر سيبويه (ت ١٨٠هـ) وهذا العصر عبر «الفهرست» في الكتاب المطبوع متجلّيًا بأشكال ومضامين شتى، عبر وصف لا يخفي ما خلفه من تفكيك وتحليل، وما أمامه من تركيب وبناء، وما فيه من تدبُّر واجتهاد لا يبرحان اشتغالاته ـ لَتدعونا، مثل تلك القراءة، إلى تأمل الملَكة التي يُعملها العلامة الفضلي في النتاج النحوي عبر هذا الرصد.

▪ ـ رصد النتاج النحوي شكلاً ومضمونًا:

على أساسٍ من المعيار الذي ارتآه أستاذنا العلامة الفضلي في تحليل ما أخرجته الطباعة إلى سوق الكتاب العالمية في النحو من مؤلفات لا يوحِّدها غير النحو علمًا ـ كان التفكيك وإعادة التركيب لعنوانات تلك المؤلفات في تصنيف ينظر إليه من زاويتين إلى الكتاب النحوي المطبوع ليتجلى للدارسين في هذا الفهرست على صعيد الشكل، وعلى صعيد المضمون.

---

(١) م. س، ص ٣ ـ ٤.

- **أـ الكتاب النحوي على صعيد الشكل:** «

١. الكتاب العلمي الاستدلالي، وذلك مثل: (الكتاب) لسيبويه (ت ١٨٠هـ).
٢. المتون النحوية، وذلك مثل: (الكافية) لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ). ومن المنظوم مثل: (الألفية) لابن مالك (ت ٦٧٢هـ).
٣. شروح المتون، وذلك مثل: (شرح الكافية) للمحقق الرضي (ت ٦٨٦هـ)، ومن شروح المتون المنظومة مثل: (شرح ألفية ابن مالك) لابن الناظم (ت ٦٨٦هـ).
٤. حواشي الشروح، وذلك مثل: (حاشية الصبان) لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت ٩٢٩هـ) لألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ).
٥. حواشي الحواشي، وذلك مثل حاشية (ياسين العليمي) لياسين الحمصي العليمي (ت ١٠٦١هـ) على (حاشية الأزهري) على (أوضح المسالك) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).
٦. التقريرات على الحواشي، وذلك مثل: (تقريرات الأنبابي) لشمس الدين الأنبابي (ت ١٣١٣هـ) على (حاشية السجاعي) للسجاعي (ت ١١٩٧هـ) على (شرح قطر الندى) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).
٧. التقييدات، وذلك مثل: (مقيد قواعد الإعراب) لعدة من العلماء.
٨. الخلاصة، وذلك مثل: (الخلاصة) المعروفة بألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، وهي تلخيص لمنظومته الكبرى الموسومة بـ (الكافية الشافية).
٩. المختصر، وذلك مثل: (مختصر مفيد في أصول الصرف والنحو) لسليم حسون الموصلي (ت ١٣٦٦هـ).
١٠. التعليق، وذلك مثل: (تعليقة على البهجة المرضية) للأصفهاني (ت ١٢٣٨هـ).
١١. الأمالي أو المجالس، وذلك مثل: (مجالس ثعلب) لأبي العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ)، و(أمالي الزجاجي) لأبي القاسم الزجاجي البغدادي (ت ٣٣٧هـ).
١٢. الرسائل، وذلك مثل: (رسائل السيوطي) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
١٣. **المسائل، وذلك مثل: (فوح الشذا في مسألة كذا) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).**

١٤. المجموعة، وذلك مثل: (جامع المقدمات)، ويحوي مجموعة متون لعدة مؤلفين.
١٥. الدراسات والبحوث، وذلك مثل: (بحث في الأفعال الملازمة للمجهول بين النحويين واللغويين) لمصطفى النحاس.
١٦. المذكرات، وذلك مثل: (مذكرات في قواعد اللغة العربية) لسعيد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ).
١٧. المختارات، وذلك مثل: (مختارات في النحو والصرف) لمنى إلياس.
١٨. السؤال والجواب، وذلك مثل: (المسائل البغداديات) لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ).

- **ب ـ الكتاب النحوي على صعيد المضمون:**

١. القواعد، وذلك مثل: (القواعد الثلاثون في علم العربية) لشهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ).
٢. الشواهد، وذلك مثل: (شرح أبيات سيبويه) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ). و(الشواهد) لأبي المعالي الحسيني (ت ١٣٤٢هـ).
٣. الخلاف، وذلك مثل: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ).
٤. المقارن، وذلك مثل: (المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية) للمستشرق الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmmann (ت ١٩٥٦م).
٥. الأصول، وذلك مثل: (الأصول: دراسة إبستولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو، فقه اللغة، البلاغة) لتمام حسان.
٦. الإعراب، وذلك مثل: (إعراب لامية الشنفرى) لأبي لبقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).
٧. التطبيق، وذلك مثل: (تطبيقات نحوية وبلاغية) لعبد العال سالم مكرم.
٨. علاقة النحو بالعلوم الأخرى، وذلك مثل: (البحث النحوي عند الأصوليين) لمصطفى جمال الدين (ت ١٤١٧هـ).
٩. الرد والنقد، وذلك مثل: (الرد على النحاة) لابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ).

١٠. الموضوعات المنفردة، وذلك مثل: (اللامات) لأبي القاسم الزجاجي البغدادي (ت ٣٣٧هـ).

١١. حروف المعاني، وذلك مثل: (الجنى الداني في حروف المعاني) لابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ).

١٢. التاريخ، وذلك مثل: (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

إلى غيرها مما ألمح إليه:

- **من أشكال:**

- كالمعجم، وذلك مثل: (المعجم الوافي في أدوات النحو العربي) لعلي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي.
- والفهرست، وذلك مثل: (فهارس كتاب سيبويه ودراسة له) لمحمد عبد الخالق عضيمة.

وغيرهما.

- **ومن مضامين:**

ـ كالأحاجي والألغاز، وذلك مثل: (الألغاز النحوية) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). و(الأحاجي النحوية) لجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

وغيرها، يراها الباحث في المؤلفات النحوية، وهي تؤلف مادة علمية خصبة للكتابة في (التأليف النحوي)»[١].

- **ـ بين اللغة والشريعة:**

إذا كانت اللغة العربية وعاء الشريعة المقدسة كتابًا وسنةً، وكنَّا في النجف الأشرف حاضرة الإمام علي عليه السلام سيد البلغاء والمتكلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب

(١) م. س، ص ٥ ـ ١٦ باختصار وتصرّف.

مدينة علمه الموحى، فإنَّ ما بين اللغة والشريعة من صلة لا يمكن تصور عدمها؛ ما يعني أن البلاغة والبلاغ في تماهٍ شديد، لا يدرج السالكون إليهما غير نهج واحد.

من تلك الوحدة كان النهج فيما حفظ الرواة لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج بلاغته الذي ما زالت أصداؤه في الأجواء من جامع الكوفة إلى جامعة النجف، وما زال الحافّون بعلي عليه السلام، الداخلون إلى الشريعة من بابه، يتحسسون أسوارها بلغته، يدور معها ما دار مع القرآن، ومعهما السنَّة في قول النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبوحدة لا تتعدد بين اللغة/ النص، والنص/ اللغة.

ذلك ما يفسر احتفاء مدرسة النجف الأشرف باللغة العربية وعلومها، احتفاءها بالشريعة وعلومها، وتخريجها كبار الأدباء والشعراء، كما تخرج كبار العلماء والفقهاء.

ولذلك أيضًا، كانت الإشارة إلى الاقتران بين اللغة ونحوها، والشريعة وفقهها، حتى على مستوى الشكل وطرائق التأليف، إشارة (ضرورية) بهذا التنبيه الذي ختم به شيخنا العلامة الفضلي حديثه عن المؤلفات النحوية، إذ يقول: «ومن الضروري أن أنبه ـ هنا ـ إلى أن مثل هذا التأليف النحوي كان شائعًا في مؤلفات العلوم الشرعية أيضًا، وبخاصة علم الفقه، وقد يفترق المؤلف النحوي عنها في مثل الإعراب والشواهد»(١).

إشارة هي أيضًا إلى ما تنماز به مدرسة النجف الأشرف في تجاوز إشكالية الشكل والمضمون حين يتماهى اللغوي بالشرعي، والشرعي باللغوي، ويبلغ الذرى حين تنعدم الحدود بين الأديب في أدبيَّته، والفقيه في فقهيَّته، فيشرقان في واحديَّتهما بواحد أيما إشراق.

ومن هنا، كان اشتغال الأديب في النجف الأشرف ومدرستها ليس بغريب، وأن يتمثل شيخنا الفضلي ذلك الاشتغال، لَهو من صدق الوصال، ولذلك دلالة، وأيما دلالة.

---

(١) م. س، ص ١٦.

□ رابعًا: دلالة اشتغال الأديب

يكمن الانتظام الداخلي في الدلالات الثلاث المارة تورخةً، واجتهادًا، وفهرسةً ـ في كون التورخة استعراضًا للتجارب الاجتهادية، والسائرة في دربها، عموديًّا وأفقيًّا؛ لوعي تطورها وعيًا يضع العلماء في اتجاه تحاشي الأخطاء، وفي آفاق التواصل مع الصوابات لاكتشاف الأساسات التي يمكن أن تبنى عليها التجارب الاجتهادية الجديدة، بما يستجيب لشروط الإبداع.

ولا يخفى ما لاشتغال الفهرسة من صلة مسيسة بتلك الشروط؛ كون المبدع لا يُقبل على بحث عمل مكرور، ولا على الكتابة فيه، ولا يَقبل أن يكون رقمًا في تراكم، إنه يطمح أن يكون له عطاؤه الذي يضيف لعطاءات سابقة إضافة نوعية، وذلك مما توفره جهود الفهرسة للباحث الأصيل.

اشتغالاتٌ ثلاث تتكامل فيما بينها عند شيخنا العلامة الفضلي لتدل على ما تتوفر عليه مدرسة النجف الأشرف، ولا تدل على ما تنماز به تلك المدرسة التراثية العريقة من دون انضمام البعد الرابع لتلك الاشتغالات، وهو اشتغال الأديب.

إن الانتظام الداخلي للاشتغال الأخير مع الاشتغالات السابقة فيما يتمثله العلامة الفضلي من مدرسة النجف الأشرف ـ هو في كونه استجابة لشرط من شروط الإبداع فيها، وهو إدراك ما بين البلاغة والبلاغ من تماءٍ لا يدرك إلا بتمثل روافع الأدب بما يكوِّن الملكة الأدبية التي يستعان بها على تنضيج ملكة الاجتهاد، مما يعيه كل من اشتغل علميًّا ضمن شروط مدرسة النجف الأشرف الاجتهادية مثل شيخنا العلامة الفضلي، الذي رأيناه يسير في اشتغالاته اللغوية من التاريخ في «مراكز الدراسات النحوية»، إلى الاجتهاد في «دراسات في الفعل»، إلى الفهرسة في «فهرست الكتب النحوية المطبوعة» وإلى الأدب كما سنراه في «أعراف النحو في الشعر العربي»[1]، وإلى الكثير من ذلك في هذا الكتاب.

▪ ـ أعراف النحو في الشعر العربي:

للنحو أن يذهب إلى الشواهد مستولدًا منها القواعد في لغة اصطلاحية يعرفها المشتغلون بهذه الصناعة.

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، أعراف النحو في الشعر العربي، جدّة، دار الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

وتبقى لغة المصطلح النحوي، وما يتصل بعالمه، مما تعارف عليه النحاة من أعراف نحوية، تبقى حبيسة أسفار أصحاب تلك الصناعة، حتى يطلقها المشتغلون بالأدب ممن خبروا تلك الصناعة إلى عوالم أخرى لمقاصد وغايات وأهداف «بهذا اللون من ألوان الشعر العربي، وما فيه من استملاح واستمتاع، ورياضة عقلية ذات عطاء»[١].

عقل المشتغل باللغة والشريعة يحتاج إلى تلك الرياضة، كما تحتاج نفسه إلى ما في تلك الرياضة العقلية من (استملاح واستمتاع).

من واقع إشباع تلك الحاجيات كان ذلك العطاء في مدرسة النجف الأشرف التي تدرك ما للكبت، والتزمت، وتصنّع (الوقار) المتصيّد في غير مواضعه ـ من آثار سلبية تعمل على تعقيد العملية الاجتهادية، والإيقاع بشروط انفراداتها بحرمانها مما لا تصل إليه إلا بسلوك هذا النهج الذي تنماز به مدرسة النجف الأشرف، والذي هو ـ بحق ـ من عوامل إبداعاتها التي ينبغي لدارسي تجربة النجف الاجتهادية الالتفات إليه، ودراسة ما يضمر من دلالات.

وإذ يُثبت شعر لفيف من الشعراء العرب، شيخنا العلامة الفضلي في «أعراف النحو» التي ترصَّدها في تلك النصوص الشعرية ملفتًا إلى ما تضمره من دلالات يتلمَّسها كل من يتأمل فيها من مرجعيات الاختيار ـ والاختيار بحد ذاته نقد ضمني ـ في قوله: «وتربو عدة ما احتواه هذا الكتيب من أبيات شعرية على ثلاثمئة، تنتمي لأكثر من تسعين شاعرًا»[٢] ـ فإنه، وفي الدلالة الأخص، نتلمَّس حضور النجف الأشرف في شعرائها، ومنهم كان:

- المرجع السيد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)[٣].
- الفقيه السيد محمد جواد العاملي، صاحب (مفتاح الكرامة) (ت ١٢٢٦هـ)[٤].

(١) م. س، ص ١٠.
(٢) م. س، ص ١٠.
(٣) م. س، ص ٥٧.
(٤) م. ن. ص ٥٧.

- الحكيم الشيخ محمد جواد الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)[١].
- الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ)[٢].

وإذا كان الشيخ الشبيبي ـ وهو من كبار شعراء النجف الأشرف ـ عالمًا لغويًا مرموقًا له كتابات دالة على ما لمدرسة النجف الأشرف من أصالة وإبداع، وهي:

١. أصول ألفاظ اللهجة العراقية.
٢. لهجات الجنوب.
٣. المأنوس من لغة القاموس[٣].

فإن الشيخ الجزائري ـ وهو من أعلام الفلسفة الإلهية في النجف الأشرف ـ كان عالمًا نحويًا، له من الكتب في النحو العربي دراسةً ونقدًا:

١. حاشية على شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك.
٢. نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية.

الكتاب الذي علق عليه، وعلى صاحبه ـ شيخنا الفضلي بقوله: «والشيخ الجزائري في هذا الكتاب الذي هو مناقشة للمقترحات التي تقدم بها ثلة كريمة من علماء وأدباء العربية في مصر، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين لتيسير المادة النحوية في المقررات الدراسية والتعليمية في المدارس والمعاهد ـ يوقفنا على حضور النجف في كل قضايا اللغة العربية، ومتابعتها للتطور العلمي في الأوساط العلمية العربية»[٤].

وإذا كان الشبيبي والجزائري من شعراء الأعراف النحوية، فإنهما علمان من أعلام اللغة والنحو في النجف الأشرف، وشاعران، لكل منهما ديوان مطبوع.

فإن الفقيه السيد بحر العلوم ـ وهو من كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف ـ له منظومات، مثل:

---

(١) م. ن، ص ٤٢.
(٢) م. ن، ص ٢٣، ٤١.
(٣) انظر: الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ١٩٢.
(٤) انظر: م. ن، ص ١٨٣.

- الدرة النجفية (أرجوزة في الفقه).
- الدرة البهية (نظم رؤوس المسائل الأصولية)[١].

وما تلك المنظومات إلا لشديد الصلة ما بين الشرعي والشعري في مدرسة النجف الأشرف، وإذا كانت تلك (منظومات)، فإن للمرجع السيد مهدي بحر العلوم (ديوان شعر)، وهو ـ بلا ريب ـ مما يثري فقاهته، وينضج صلته بالنص، الأمر الذي يحرص عليه فقهاؤنا الأوائل، وليس أشهر من علم الهدى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) الذي ترك لنا تراثًا ضخمًا من الاشتغال الشرعي والشعري.

وإذا كان لكل من الشيخ الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ)، والشيخ الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)، والسيد بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) ديوان شعر، فإن تلميذ الأخير، السيد العاملي (ت ١٢٢٦هـ) ـ وهو من كبار فقهاء النجف الأشرف ـ لم يعرف له ديوان شعر، إلا أن ذائقته الرفيعة تتجلى في كتابه الفقهي الشهير (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة)، وهوـ أعني الذوق الرفيع ـ مما تنماز به مدرسة النجف الأشرف فقهيًا وأصوليًا ولغويًا، على أنه إذا لم يترك السيد العاملي ديوان شعر لا يعني أنه ليس بشاعر، ولذلك كان له موقعه في شعراء الأعراف عند شيخنا العلامة الفضلي، في هذه الحكاية بين التلميذ وأستاذه التي تعكس من خلال الاشتغال الأدبي/ الشعري على المصطلح النحوي ـ ثقافة النجف الأشرف، ومنظومة قيمها، اللتين توفران للدارسين مادة من دونها لا يمكن فهم مدرسة النجف الأشرف فهما متكاملاً:

- **ـ بين السيدين بحر العلوم والعاملي:**

«يحكى أن السيد محمد مهدي بحر العلوم المرجع الديني دفع ذات يوم إلى تلميذه السيد محمد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة) شاميين [من النقود العثمانية] ليدفعهما إلى بعض المشايخ المحتاجين من طلبة العلم. وبعد أن دفعهما إليه، عاد ليخبر السيد بذلك فلم يجده، فكتب رقعة لإعلامه، ووضعها في المكتبة، وصورة ما كتبه في الرقعة: (الشامين دفعتهما) ثم أمضاها بمهره.

فاتفق أن المهر كان معكوسًا، فلما رآها السيد كتب تحتها البيت التالي:

المهـرُ في الكتـاب جـاء مـنعكسْ والمبتـدا المرفـوع جـاء منـتكسْ

(١) هكذا قرأتهم، ج١، م. س، ص ٦٩.

ولما وقف السيد محمد جواد على ذلك كتب تحته البيتين التاليين:

قـد عكـس المهـرُ اخـتلال وهمـي إذ لم يكـن لي فـيهما مـن سـهم
والمبتـدا المرفـوع لمـا عُـرضا على الشريف العلـوي انخفضـا»[1]

- **ـ شعريَّة المصطلحات العلمية في مدرسة النجف الأشرف:**

تكمن الشعريَّة ـ هنا ـ في الدعابة، والطرافة، وروح النكتة، وتلك في الصميم من الثقافة النجفية، وقيمتها فيما تبدع من تقنيات التناول التي تجد في مادة الدرس من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وتفسير، ورجال، وحديث، وفقه، وأصول، ومنطق، وفلسفة، وحكمة، وعرفان، وما تزخر بها تلك المواد العلمية، من مصطلحات تظهر عفويًّا، ومن دون تكلف، في لغة الشعر، بيد أنها تقول أشياء، غير ما تقولها اللغة المباشرة.

إنها تعكس ثقافة النجف الأشرف، وقيمها، وبها يغاير المألوف، يدخل المصطلح العلمي، كما شاهدنا ـ هنا ـ كيف يدخل المصطلح النحوي (المبتدأ، الرفع، الخفض) في جُماع النص؛ لتدشين دلالات جديدة عن طريق طاقة الانزياح..!

فالمهر، وهو الختم الشخصي الذي يوقّع به علماء النجف الأشرف رسائلهم، وإجازاتهم العلمية ما يعني قيمته التوثيقية، ومصداقيته الاجتماعية العالية اللتين تقتضيان أن يظل سويًّا مرفوعًا، لا منتكسًا معكوسًا، إلا أنه انعكس وانتكس لانتكاس المبتدأ الذي من حقه الرفع؛ كونه عمدة، وذا شرف عالٍ، بحسب النحو المعتق، واعتباراته التي تصدر عن بنية فكرية/ ثقافية تكامل بناؤها المدرسي، من البصرة إلى الكوفة إلى بغداد إلى النجف الأشرف.

ما يلمح إليه السيد بحر العلوم، في أفق اطلاعه على تلامذته، وتقشفهم، وزهدهم في الدنيا إخلاصًا لطلب العلم في سبيل الله، على الرغم مما ينتابهم من حالات لا تطاق، قد تبدو على الحال، بما لا تحتاج إلى السؤال ..!!

فهل افتضحت الحال تلميذه السيد العاملي فاختل مقام ما حقه الرفع إلى الخفض من مبتدأ رتبته التقديم، وانعكس خاتم السيد إنباءً بانتكاس الحال..!؟

(١) أعراف النحو في الشعر العربي، م. س، ص ٥٧.

رسائل مضمرة يلتقطها الحصيفون في العلم والأدب في مدرسة النجف الأشرف بما تشكل من شعريات في تلك الرسائل وأمثالها تغني الأدب العربي لدى وعيها ودراسة تقنياتها.

ليأتي توصيف تلك الحال من السيد العاملي لأستاذه السيد بحر العلوم توصيفًا نفسيًّا: «قد عكس المهرُ اختلال وهمي»، وفي بوح خاطف يوصل معلِّلاً ـ بدعابة وذكاء ـ لأستاذه: «إذ لم يكن لي فيهما من سهم»، والضمير في: «فيهما» يعود إلى النقود العثمانية «الشاميين»، وتلك قيمة أبوية بين المربي ومريديه في النجف الأشرف؛ يتوِّجها حسن التعليل في قوله الجميل: «والمبتدا المرفوع لما عُرضا / على الشريف العلوي انخفضا»، إذ فيه ما فيه من الإجلال الكبير لمكانة المخاطَب السيد بحر العلوم من تلميذه؛ كونه الأستاذ، وتلك قيمة؛ وكونه شريفًا سيدًا علويَّ النسب، وتلك قيمة أخرى في مدينة الإمام علي عليه السلام.

رسائل أراد لنا أن نتعرف فيها شيخنا العلامة الفضلي بـ «أعراف النحو..» على وجه من وجوه مدرسة النجف الأشرف، وإذ تعرَّفنا على ما أراد ـ تعرَّفنا أيضا على اشتغال الأديب في شيخنا الفضلي، وعلى دلالة ذلك الاشتغال فيما يتصل بما نحن فيه من دلالات المؤرخ والمجتهد والمُفهرِس، وعلى النجف الأشرف، ومدرستها العريقة، في تلك الدلالات الأربع عند شيخنا العلامة الفضلي.

▪ ـ تجليات الانتظام للدلالات الأربع:

وهكذا رأينا كيف تجلى الانتظام الداخلي لتلك الدلالات الأربع (تاريخًا واجتهادًا وفهرسةً وأدبًا) في:

١. النجف مدرسةً في فكر الفضلي.

٢. الفضلي عالمًا في مدرسة النجف.

وأنَّ كتابًا يرصد «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» يستند إلى رصيد مؤلفه الكبير شيخنا العلامة الفضلي ـ حفظه الله ـ، وإلى ما يسكن في وعيه المنهجي الفريد، مما تزخر به النجف الأشرف، ومدرستها الشامخة من رؤى، ومناهج، في اللغة والنحو، تنماز بها عن غيرها من المدارس في المجال ـ يجعلنا متأهبين لقراءة مغايرة، ومغيرة، بما يستجيب، بتوق، ومتعة، وفائدة، إلى الأصالة والإبداع في جذبات الاجتهاد.

آية الله الفضلي: منارة أحسائية ثالثة في مجال الكتب والمؤلفين(*)

■ الدكتور محمد بن جواد الخرس(•) ■

□ مقدمة

قد تنغمر الأحساء عن الحضور العالمي في مجال البحث والتأليف، لكن كما هو قدرها هذا، فقدرها أيضًا أن تنجب من فلذات كبدها علماء أجلّاء تُذكِّر العالم بأنها على الرغم من رحمها العلمي الكبير درسًا وتدريسًا، إلاّ أن فيها من العلماء البحاثة من تضيق بهم دائرتها العلمية الرحبة، ولا يتسع لها غير العالم بشرقه وغربه، وقدرها أيضًا أن تكون هذه الفلذات، تباعد بينها السنون لتكون على مدار كل قرنين إلى ثلاثة قرون تقريبًا. فقد كان في سالف أيامها الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي المولود في عام (٨٣٨ هـ - ١٤٣٣م) والمتوفي ما بعد عام (٩٠٦هـ -١٥٠١م)، ومن بعده الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المولود في عام (١١٦٦هـ - ١٧٥٢م) المتوفي عام (١٢٤١هـ - ١٨٢٥م)، وهذا هو الشيخ الفضلي يودع الدنيا إلى مثواه الأخير في عام (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، وقد كانت ولادته عام (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م)، وبين هؤلاء الثلاثة قواسم مشتركة، ميزها العديد من العرب والعجم، بل وصدى أعمالهم أدركها العديد من الغرب بعد ذلك، فكل منهم ضاقت دائرة بلاده عن استيعاب طموحه وأفكاره وإبداعاته لتحتضنها الفضاءات العالمية، مسجلة صوتًا أحسائيًّا جديرًا بالتقدير والاحترام، بل وتلح عليه في الطلب بطرح المزيد من المؤلفات والبحوث، وذلك ليس في ندرة من أمثالهم من الباحثين في أنحاء العالم، ولكن للموسوعية التي أدركتها عقولهم، واتسعت لها صدورهم حتى بات العالم بأسره همًّا

(*) مداد العرفان: كلمات الوفاء للعلاّمة الفضلي بين الرحيل والأربعين، إعداد: فؤاد الفضلي، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(•) باحث إسلامي، ومحاضر في مجال العلوم الإدارية و الاقتصادية بالكلية التقنية بالأحساء.

من همومهم، وللترابية، والنزاهة، والتقوائية، والخلق الرفيع الذي يزاوج بين العلم كعالم، والإنسانية والخلق الرفيع كفرد يرفض أن يعامل بأكثر مما يستحقه كإنسان.

لم تتح لي الفرصة أن أعيش تجربة الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي ولا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ولا أزعم أني عشت تجربة الشيخ الفضلي، ولكن من المؤكد أني عشت بعضًا منها، ما جعلني أتحدث عنه بكل اطمئنان فيما سأدونه من مشاهدات عشتها، أو حديث أسرني به في بعض اللقاءات التي تكررت على مدار ثمانية عشر سنة تقريبًا، أو أحداث دارت من حوله، فرأيت كيف يتعاطاها ويتفاعل معها، أو مواقف صرَّح بها إليّ من خالطوه واستفادوا من علمه وتجربته.

ترى من هم أولئك الثلاثة؟ ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي.

وبحكم اقترابي المحدود من تجربة الشيخ الفضلي، أرى من الملائم أن أطرح عدة تساؤلات سأجيب عنها، ومن المؤكد أن من المعاصرين أمثالي لديهم من المعلومات الجديرة بالتدوين والنشر، ودوري هنا هو تدوين مشاهداتي، على أمل أن تضاف إلى ما تم تدوينه بالفعل من خلال الكتب التي صدرت حول تجربته، وما سيدون لاحقًا، ما تشكل في مجموعها، صورة معبرة قريبة من واقعه نحفظها لجيلنا المعاصر، والقادم بإذن الله. وتساؤلاتي التي سأطرحها تدور حول: أبرز سماته التي جعلته يحظى بهذا القبول العالمي بين معاصريه، ولكونه حقق هذا الحضور أليس من المناسب استنساخ امتياز تجربته الكتابية في بُعدها الفني كمهارات وآليات اعتمدها فوصل إلى ما وصل إليه؟، وهل من الممكن تحقيق ذلك؟، وتُرى، هل اقتصرت تجربة الشيخ الفضلي في مجال الكتابة على العناية بنفسه؟ أم أن عشقه لعالم الكتاب والكتابة عزله عن الاهتمام بإنجازات الآخرين في مجال التأليف؟ أم على العكس من ذلك، بحيث جعل المؤلفين جزءًا من دائرة اهتمامه ومنحهم من التقدير والتفرغ كما لو كانت كتبهم التي أنجزوها قد أفرغتها قريحته، فاحتفى بها ومنحها من الاهتمام الشيء الكثير، ولو كان ذلك على حساب وقته وصحته؟

وأخيرًا بعد قراءة هؤلاء الأعلام الثلاثة، ترى ما هي المحاور التي جمعتهم فيما كتبوا، حتى صاروا أرقامًا عالمية، ومثلوا رحم الأحساء العلمي خارج وطنهم؟

هذه الأسئلة وغيرها سيتم الإجابة عنها في سطور هذا البحث، التي سأتعاطى مفرداتها بلغة مباشرة، لا أستطيع أن أغيب فيها مشاعري وأنا في أيام عزاء آية الله

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله رحمة الأبرار، كفاقد خسر الشيء الكثير برحيل هذه المفخرة النجفية الشيعية، لكن ماذا نقول؟ وريب المنون ذو غير، ولم يعودنا غير انثلام أوعية العلم عبر الزمان. أما إجابات تلك التساؤلات التي طرحتها، فستكون عبر المباحث التالية:

- **المبحث الأول**: التعريف بالأعلام الثلاثة: ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي.
- **المبحث الثاني**: اهتمام الشيخ الفضلي بالتأليف، والمؤلفين.
- **المبحث الثالث**: مدى إمكانية استنساخ تجربة الشيخ الفضلي في البحث والتأليف
- **المبحث الرابع**: القواسم المشتركة التي جمعت ابن أبي جمهور وابن زين الدين والفضلي.

□ المبحث الأول: التعريف بالأعلام الثلاثة: ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي

١ - آية الله الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي:

ابن أبي جمهور ليس غريبًا على صفحات كتب الأحسائيين، فقد تمت ترجمته من قبل العديد منهم، من أسبقها نشرًا ما سطره الشيخ الدكتور عبدالهادي الفضلي في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: للسيد حسن الأمين، تحت مادة «أحساء»، وللشيخ موسى عبد الهادي بوخمسين كتاب بعنوان: «الشيخ إبن أبي جمهور: قدوة العلم والعمل»، وهو من بواكير الأعمال الأحسائية التي صدرت على هيئة كتب موسعة عن شخصيات علمائها، كما ترجمتُ له في كتابي «فقهاء الأحساء»، المنشور عام ١٤١٥هـ كفقيه أحسائي، وفي طور الإعداد ترجمة مفصلة من قبل السيد هاشم الشخص في مجلده الجديد لكتابه المعروف بـ «أعلام هجر»، كما أن الأمل الكبير في التعريف العملي بإنجازات الشيخ العلمية معقود على ناصية «جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث»، بحكم أنها مؤسسة متخصصة في مجال إحياء تراث أعلام الأحساء بشكل عام، وهي في مرحلتها الراهنة متفرغة لأعمال الشيخ ابن أبي جمهور بشكل خاص، لطباعة كتبه والتعريف بكل ما يتصل به من كتب دونها، وما كُتب عنه من دراسات بشتى لغاتها.

ولكن في مقام التعريف بهذه الشخصية المهمّة في المرحلة الراهنة، لم أجد ترجمة أخصر ولا أجمل منها على قصرها، كترجمة مكتوبة باللغة العربية، مترجمة عن اللغة

الفارسية، قدمتها لي جمعية الشيخ ابن أبي جمهور المذكورة كبيانات لترجمة الشيخ، صدرت للباحث أحمد رضا رحيمي ريسه في مقالة بعنوان: «مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور» كتبها في طهران بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ٢٠٠٧م، وقد ذكر في مطلعها أنه لا داعي لتكرار الحديث عن حياته نظرًا لأن هذا الجانب تم إنجازه على يد البروفيسور «زايينه شميتكه» في كتاب صدر عام ١٣٧٩م، ونظرًا لجمال التفاعل مع هذه الشخصية الأحسائية التي جلبت إليها اهتمام علماء وكتاب من الغرب والشرق غير أحسائيين، ولم يجمعهم به غير الأنس بجمال الإنجاز، والوفاء لابن أبي جمهور كعالم، عليه سأورد نصها بقلم رحيمي:

«ولد ابن أبي جمهور الأحسائي حوالي سنة (٨٣٨هـ - ١٤٣٣م) في منطقة الأحساء، في أسرة علمية، وأنهى دراسته التمهيدية في مسقط رأسه، وتتلمذ على يد والده، توجه بعدها إلى النجف لإكمال الدراسة، فانتهل من فيض أساتذتها، ولا سيما أستاذه شرف الدين حسن بن عبد الكريم الفتال، وبعد فترة من اغترافه العلم من علماء النجف توجه إلى مكة وزيارة مدينة الرسول والبقيع، زار قبلها الشيخ علي بن هلال الجزائري، في منطقة كرك نوح، بغية الاستفادة منه، ومكث هناك شهرًا، توجه بعدها سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م للحج، عاد بعدها إلى مسقط رأسه لزيارة الأهل والأقارب، واتجه بعدها صوب العراق ثم إلى مشهد لزيارة مرقد الإمام علي بن موسى الرضا، وخلال توجهه إلى مشهد ألف رسالة (زاد المسافرين في أصول الدين)، ولقد جعل ابن أبي جمهور من مشهد منطلقًا لتدريسه وتأليفه، وكان يأنس بآراء تلميذه السيد محسن بن محمد الرضوي القمي (توفي ٩٣١هـ - ١٥٢٤م)، وغالبًا ما كان قاطنًا في منزله، وكانت له مناظرات مع علماء أهل السنة.

انتهز ابن أبي جمهور كل فرصة سانحة لزيارة المدن الأخرى، وكان يشير إلى محل التأليف في مؤلفاته، ويمكن التعرف على سيرته على وجه الإجمال من سنة ٨٩٠هـ - ١٤٨٥م، وما بعد، في شهر شعبان من سنة ٨٩٣هـ الموافق لحزيران سنة ١٤٨٨م. وأثناء وجوده في الأحساء، ألّف ابن أبي جمهور رسالة (النور المنجي من الظلام)، وهي حاشية على كتاب (مسالك الأفهام). وفي شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨هـ (آذار ١٤٩٣م)، قطن الأحسائي قلفان أو قلقان (من ضواحي استراباد)، وفي ذي الحجة من تلك السنة صدر عنه إجازتان، وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٩٠٤هـ (الموافق للرابع من حزيران من سنة ١٤٩٩م)، أنهى آخر مؤلفاته وهو

(شرح للباب الحادي عشر للعلامة الحلي) في المدينة المنورة، وآخر آثار ابن أبي جمهور الأحسائي: إجازة للشيخ علي بن قاسم العذاقة، بتاريخ الجمعة التاسع من رجب سنة ٩٠٦هـ (الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٥٠١م) كتبت في الحلة، واستنادًا إلى هذا فإن تاريخ وفاة الأحسائي يكون ما بعد سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م، ولابن أبي جمهور أكثر من خمسين مؤلفًا في: الكلام، والمنطق، والفلسفة، والعرفان، وأصول الفقه، والفقه، وعلوم الحديث، و١٢ إجازة، وآثاره المطبوعة وغير المطبوعة مدرجة في فهرس كامل نسبيًا ولا داعي لتكرارها.

أهم المقالات والمؤلفات التي نشرت عن ابن أبي جمهور وفق التسلسل السنوي ما يلي:

- في عام ١٣٥٦هـ - ١٩٧٧م، صدرت مقالة لـ (ولفرد مادلونك) بعنوان: امتزاج علوم الكلام والفلسفة والتصوف عند ابن أبي جمهور.
- في عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، صدر كتاب بعنوان: «مدخل ابن أبي جمهور» تأليف (ولفرد مادلونك).
- في عام ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، صدرت مقالة لـ آية الله شهاب الدين المرعشي النجفي، بعنوان: (الردود والنقود، في عوالي اللآلي) في الجزء الأول من الكتاب المذكور.
- في عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، صدرت مقالة بعنوان: مدخل ابن أبي جمهور، في دائرة المعارف (بزرك إسلامي) في الجزء الثاني، ص ٦٣٤-٦٣٧.
- في عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، صدر كتاب بعنوان: الشيخ ابن أبي جمهور: قدوة العلم والعمل، للشيخ موسى الهادي بوخمسين، بيروت.
- في عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، صدرت مقالة بعنوان: مدخل ابن أبي جمهور، تأليف Todd Lawson في دائرة المعارف إيرانيكا، المجلد ٧، ص ٦٦٢-٦٦٣.
- في عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، صدرت مقالة للبروفيسور زايينه شميتكه حول تأثير شمس الدين الشهرزوري على أفكار ابن أبي جمهور.
- في عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، صدرت رسالة مفصلة عن حياة ابن أبي جمهور، وأفكاره، ومؤلفاته باللغة الألمانية للبروفسور زايينة شميتكه تحت عنوان: (الكلام والفسلفة والعرفان عند الشيعة الاثنا عشرية في المئة الهجرية التاسعة القرن الخامس عشر الميلادية: أفكار ابن أبي جمهور الأحسائي، ليدن، بريل

٢٠٠٠م) وقد كتبت هذه الرسالة المعروفة بـ Habilitation للحصول على شهادة البروفسورية، وتشتمل على فصول وملحقين»[١].

هذا وقد وافاني السيد علي باقر الموسى عضو «**جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث**» بأحدث الدراسات التي تمت عن ابن أبي جمهور الأحسائي، وهي كما يلي:

- في بداية الألفية الثانية ميلادية، صدر كتاب بعنوان: (الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر ابن أبي جمهور الأحسائي، للكاتب رضا يحي بور فارمد من إيران)[٢].
- في عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، صدرت مقالة بعنوان: (مقدمة تعريفية على ثلاث رسائل لابن أبي جمهور)، للكاتب أحمد رضا رحيمي ريسه من إيران[٣].
- في عام ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م، صدرت مقالة بعنوان: الصلة بين التصوف والتشيع، للدكتور كامل مصطفى الشيبي[٤].
- في ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، صدرت مقالة لحجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين صالح العايش البراك، من الأحساء في المملكة العربية السعودية، أحد أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية بالأحساء مقالة بعنوان: (الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي)[٥]، أفصح فيها عن عِلم الشيخ وإبداعاته بقوله: «فهمه الدقيق للأصول ودقته في الفقه صيراه كالشمس في رابعة النهار، لقد أبدع ﵀ في هذين العلمين، بما جعل أدق الأبحاث في الأصول والفقه ترتبط بنظرياته التي استلها من الروايات عن النبي ﷺ والأئمة الهداة

---

(١) أحمد رضا رحيمي ريسه، مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

(٢) رضا يحيى بور فارماد، الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية في عصر ابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

(٣) أحمد رضا رحيمي ريسه، مقدمة تعريفية على ثلاث رسائل لابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

(٤) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

(٥) الشيخ حسين بن صالح العايش البراك، الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

ﷺ»، هذا وقد أصل الشيخ العايش في مقالته تلك إسهامات ابن أبي جمهور في مجال الفقه والأصول، حيث أوضح أن الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي قدم قاعدة أسماها: «الجمع مهما أمكن أولى من الطرح»، وأن هذه القاعدة أسهمت إسهامًا كبيرًا في علم الأصول، وفتحت آفاق رحبة بما ترتب عليها من أبحاث علمية ومناقشات، بلورت نظريات كنظرية الحكومة والورود، وفهم قواعد الجمع العرفي، والضوابط بينه وبين الجمع التبرعي لفهم استنباط الحكم الفقهي من الروايات، وقد أشار إلى أن ما وصل إليه الفقه الأصولي على يد الشيخ الأعظم الأنصاري ترتب على نظرية ابن أبي جمهور المذكورة، وأصَّل هذا التوجه، وما يدور حول نظرية ابن أبي جمهور من كتاب (فرائد الأصول) للشيخ الأعظم الأنصاري، وما ورد في كتاب (زبدة الأصول) للسيد الروحاني، و(منتهى الدراية) للسيد محمد جعفر الشوشتري، هذا من جانب، ومن جانب آخر تابع أثر الشيخ على الصعيد الفقهي من حيث تحول عدد من الروايات التي أوردها في كتابه (غوالي اللئالي) إلى قواعد فقهية في البحوث الاستدلالية لدى الفقهاء من بعد صدور هذا الكتاب وتلك القواعد ما يلي:

١. قاعدة «**الناس مسلطون على أموالهم**»، وقد علق سماحة الشيخ العايش على الرواية، بأن العلامة المجلسي رواها في المجلد الثاني من البحار عن غوالي اللئالي، وهي وإن كانت مرسلة لكنها مجبورة بعمل الأصحاب قديمًا وحديثًا، واستنادهم إليها في مختلف أبواب الفقه، هذا فضلاً عن أن الرواية هي في الأساس مسندة غير أن كثيرًا من الفقهاء والأصوليين تصوروا أنها مرسلة؛ لأن ابن أبي جمهور حذف الأسانيد وجمعها في مشيخة، بمعنى أنه لم يذكر السند لكل رواية رواية، وإنما اكتفى بذكر أسانيده بنحو عام، كما هو مذكور في الغوالي، ويعلق الشيخ العايش أيضًا أن الفقهاء لم يستشكل أحد منهم في العمل بالرواية، وأرسلوها إرسال المسلمات، إما لما تقدم من العمل بها، وإما لأنها مسندة عن النبي ﷺ، بالإضافة إلى كونها منسجمة مع الفطرة ومتفقة مع العقل.

٢. قاعدة «**الميسور لا يسقط بالمعسور**»، وهي أيضًا من القواعد الفقهية التي يكاد ينحصر دليلها بابن أبي جمهور، وقد نقلها المحقق الأشتياني في تعليقاته في كتابه القواعد الفقهية، عن غوالي اللئالي.

٣. قاعدة «إقرار العقلاء على أنفسهم»، وقد ذكر الشيخ العايش بأنه ينحصر مدرك هذه القاعدة بالرواية المشهورة المستفيضة، أو المتواترة عن النبي ﷺ، والتي يرويها ابن أبي جمهور فقط، وقد تلقاها العلماء بالقبول؛ لكونها من المسلمات في المعنى، ذلك أن العاقل لا يقر على نفسه بضرر إلاّ لكونه يتصف بالصدق، ويخاف الحق تعالى، ويحذر الآخرة، نعم قد يقر العاقل على نفسه من أجل الخديعة للغير أو يحصل على شيء أعظم وأكبر أي لمآرب أخرى، غير أن ذلك قليل أو نادر لا يلتفت إليه العقلاء؛ ليؤثر على حجية القاعدة الثابتة برواية ابن أبي جمهور، وقد نقل ما أفاد به السيد البجنوردي في كتابه (القواعد الفقهية) حول هذه القاعدة من حيث أن القاعدة لا إشكال في جريانها.

٤. حديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقد أورد الشيخ العايش إحدى عشر موردًا مما استدل بها الشيخ الجواهري في كتابه (جواهر الكلام)، كما أورد ما استدل به المجدد الشيرازي في تقريراته، وكذلك آقا رضا الهمداني في كتابه (مصباح الفقيه)، وكذلك المحقق اليزدي صاحب العروة الوثقى في (حاشيته على المكاسب) للشيخ الأعظم الأنصاري.

هذا وقد سبق لي أن دعوت في إحدى اللقاءات العلمية، وكانت متعلقة بأصول البحث العلمي في جمع من الباحثين والمهتمين بالعلوم الشرعية، وذلك في تاريخ ١/ ٧/ ١٤٣١هـ، عن ضرورة إعداد دراسة حول كتاب (غوالي اللئالي) ودوره في تحديث مواد الاستدلال الفقهي بعد صدوره، على أن يتم اختبار ثلاث فرضيات يتم من خلالها التأكد من صحة ذلك من عدمه، ويتم خلال هذا البحث المقترح الوقوف على موارد الاستدلال في الدورات الفقهية التي صدرت على أيدى علماء الإمامية، ووجهات النظر حيالها، وعن مدى إمكانية جريان تلك القواعد، وفيما لا يصح جرياناها، وغيرها من البحوث المتعلقة بخصوصها، على أن تكون الفرضيات المقترحة كما يلي:

الفرضية الأولى: إن البحوث الاستدلالية الفقهية قبل صدور كتاب غوالي اللئالي، لم يرد فيها استدلال بالقواعد الثلاث: «الناس مسلطون على أموالهم»، «الميسور لا يسقط بالمعسور»، «إقرار العقلاء على أنفسهم»، وحديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

الفرضية الثانية: إن البحوث الاستدلالية الفقهية بعد صدور كتاب غوالي اللئالي، استدلت بروايات رواها الشيخ ابن أبي جمهور، وتحولت بعد ذلك إلى قواعد فقهية وتلك القواعد هي: «الناس مسلطون على أموالهم»، «الميسور لا يسقط بالمعسور»، «قاعدة إقرار العقلاء على أنفسهم».

الفرضية الثالثة: إن حديث «صلوا كما رأيتموني أصلي»، لم يتم توظيفه في البحوث الاستدلالية الفقهية، إلاّ بعد صدور كتاب غوالي اللئالي.

٢- آية الله الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي له سيرة عطرة، طويلةُ المسار إذا عدت بسير المؤسسات والمراكز البحثية المتخصصة، قصيرةٌ وضيقةٌ إذا عدت بإنجاز الأفراد.

ولد عام (١١٦٦هـ - ١٧٥٢م) وتوفي عام (١٢٤١هـ - ١٨٢٥م) في قرية هدية بالقرب من المدينة المنورة، ودفن في البقيع الغرقد، خلف قبور الأئمة الأربعة ﷺ عند الجدار، كتب ما يربو على ١٧٣ كتابًا ورسالة بحسب إحصاء السيد هاشم الشخص لها في كتابه «أعلام هجر»، وأساتذته ثمانية هم: الشيخ محمد بن الشيخ محسن الأحسائي القريني، والشيخ عبد الله بن حسن بن علي الدندن الأحسائي، والسيد قطب الدين محمد الحسيني التبريزي الشيرازي، والآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد ميرزا مهدي الشهرستاني، والشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، والسيد مهدي محمد بحر العلوم، وأجازه في الرواية تسعة علماء هم: السيد محمد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم) والسيد علي الطباطبائي صاحب كتاب (الرياض)، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد ميرزا مهدي الشهرستاني، والشيخ أحمد الدمستاني، والشيخ حسين آل عصفور، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ أحمد آل عصفور، والشيخ محمد العبد الجبار القطيفي، والشيخ الأحسائي بدوره أجاز ما يقارب من ٢٣ عالمًا من أبرزهم الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر المتوفى عام ١٢٦٦هـ، والسيد عبد الله شبر الحسيني تلميذ الشيخ الأحسائي، والشيخ محمد إبراهيم بن محمد حسن الكرباسي صاحب (الإشارات) المتوفى عام ١٢٦٢هـ والسيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الكاظمي تلميذ الأحسائي أيضًا، والشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي الأنصاري صاحب (المقاييس) المتوفى عام ١٢٣٤هـ، وذلك بحسب

مصادر السيد هاشم الشخص[١]، وزادها السيد معين الحيدري إلى ٣٧ عالمًا استجازوا الشيخ[٢].

وكما كان الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي موضعًا لاهتمام الكتاب الأحسائيين أنفسهم، كذلك الشيخ أحمد الأحسائي. ولعل باكورة التراجم في شأنه لابنه الشيخ عبد الله، وإن لم تصدر كتابات أو مؤلفات في شأنه في ذلك التاريخ غير الترجمة المذكورة لابنه، إلاّ أن ذكره لم ينقطع عن الألسن، ولم تخل منه مجالس العلم في الأحساء، لاسيما إذا كان الكلام في العقائد والحكمة الإلهية، حيث كتبه وكتب تلامذته موضع درس واهتمام، بل وأفكاره تسرت إلى المجالس الحسينية كما هو ملاحظ في كتاب الشيخ محمد بن حسين بوخمسين (ت ١٣١٦هـ)، مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب[٣]، الذي كتبه على هيئة مجالس حسينية ليقرأ في الحسينيات آنذاك على الحضور في تلك المجالس التي يؤمها الكبير والصغير من كافة فئات المجتمع المتعلم والأمي، والشيخ محمد يعتبر من أبرز علماء الأحساء الذين أخذوا منهج الشيخ أحمد في الحكمة الإلهية، وقد اصطبغ كتابه المذكور بالعديد من مفاهيمها، وقد اطلعت على الكتاب ومفاهيمه خلال تحقيقي لكتابه عندما كنت بصدد البحث عن تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية[٤].

وهكذا ظل الشيخ أحمد بن زين الدين موضع اهتمامهم جيلاً بعد جيل، كيف لا وهو مفخرة الأحساء إذا فاخرت البلدان بفلذات أكبادها، وممن عرّف به من الأحسائيين المعاصرين كلا من: الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية): للسيد حسن الأمين، تحت مادة «أحساء»، وترجم له الشيخ جواد الرمضان في كتابه (مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء

---

(١) السيد هاشم الشخص، أعلام هجر، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ) مصدر سابق، ص ١٥٧-١٦٠.

(٢) السيد معين الحيدري، جوهرة الأحساء وفوارة النور، (بيروت: دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، ١٤٣٣هـ)، ص ٨٨-١١٦.

(٣) الشيخ محمد بن حسين بوخمسين، مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب، مخطوط.

(٤) محمد بن جود الخرس (أبوعلي)، (المنبر الحسيني) تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية، (بيروت: دار الأسفار للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ)، ص ١٢٠ - ١٢٥.

والقطيف والبحرين)[١]، وأما السيد هاشم الشخص فقد كتب عنه ترجمة موسعة في كتابه (أعلام هجر)[٢]، وقد كتبت عنه ترجمة في كتابي: (فقهاء الأحساء)، كما كتب فيه الشيخ عبد المنعم العمران كتابًا بعنوان: (بصائر في حكمة الشيخ أحمد الأحسائي)، وكتب فيه الشيخ عبد الجليل الأمير كتابًا بعنوان: (فكر ومنهج: دراسة تحليلية حول فكر ومنهج مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي)، وللأستاذ حسن بن محمد الشيخ دراسة موضوعية بعنوان: (آخر الفلاسفة)[٣]، وثناها بدراسة موضوعية أخرى قارن فيها بين ابن رشد القرطبي وابن زين الدين الأحسائي في كتاب بعنوان: (فيلسوفان ثائران)[٤]. ونظم فيه السيد محمد رضا السلمان أرجوزة شعرية بعنوان: (إشراقة الشمس)، وأعد فيه الأستاذ أحمد بن عبد الهادي محمد المحمد صالح، كتابًا بعنوان (أعلام مدرسة الشيخ الأوحد في القرن الثالث عشر الهجري)[٥]، وثنى كتابه بمقالة تحت عنوان: (مصادر ترجمة الشيخ أحمد)، وقد أحصى فيها مئة وعشرين مصدرًا في شتى أصناف المدونات وذلك في مجلة الواحة في العدد ٦٠ لعام ٢٠١٠م، شملت الكتب المتخصصة في التراجم في العديد من اللغات العربية والفارسية، والإنجليزية والفرنسية والأردو، كما شملت دوائر المعارف، والمعاجم، والرسائل العلمية. ولعل من أبرز الجهات الأكاديمية التي اهتمت بفكر الشيخ أحمد كتاب بعنوان: (نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي) للفيلسوف الفرنسي هنري كوربان، أستاذ الإسلاميات في مدرسة الدراسات العليا بجامعة السوربون[٦].

---

(١) الشيخ جواد بن حسين الرمضان، مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، (مكان الطبع: بدون، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ص ١٣١.

(٢) السيد هاشم محمد الشخص، أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، (قم: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٦هـ)، الطبعة الثانية، ص ١٤٤-٢٩٧.

(٣) الأستاذ حسن بن محمد الشيخ، آخر الفلاسفة: رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد الأحسائي، (مكان الطبع: بدون، تاريخ الطبع: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)

(٤) الأستاذ حسن بن محمد الشيخ، فيلسوفان ثائران، (بيروت: دار الرأي العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

(٥) الأستاذ أحمد بن عبدالهادي المحمد صالح، أعلام مدرسة الشيخ الأوحد في القرن الثالث عشر الهجري، (لبنان: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

(٦) الدكتور هنري كوربان، نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي، ترجمة: الاستاذ خليل زامل، إعداد وتعليق: الشيخ راضي ناصر السلمان، (لبنان، توزيع مؤسسة فكر =

هذا هو الشيخ في عيون الأحسائيين، وهو حتمًا قليل في حقه، ولكنه إسهام في الاعتراف بجميل إنجازات الشيخ وفضلها، وما كتب عنه من خارج الأحساء أكثر، سواء من بعض دول الخليج العربي كالكويت، وإيران، والعراق، ولبنان، وكتاب غربيين من أمريكا، وفرنسا، وهو دليل على حضوره العالمي في الوقت الراهن، وسأورد لاحقًا بعض المقتطفات بقلم السيد محمد حسن الطالقاني في رسالة ماجستير قدمها في الجامعة اليسوعية بلبنان، حيث تمت مناقشتها بعنوان: (الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها)، وتقع الرسالة في ٤٠٩ صفحة، في الجامعة اليسوعية في لبنان عام ١٩٧٤م[1].

ومما كتب عن الشيخ في خارج بيئة الأحساء ما يلي:

١. تمت مناقشة رسالة ماجستير في جامعة المصطفى بعنوان: (نظرية إبداع الوجود عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي)، قدمها الشيخ سامي بوخمسين وهو من الأحساء أيضًا، لكن المشرف الأكاديمي عليه من جامعة دمشق في سوريا الدكتور توفيق داود، والشيخ معين دقيق، أستاذ في جامعة المصطفى فرع دمشق، ومناقشة الرسالة في كلية الإلهيات في الجهة المذكورة، وتقع الرسالة في ١٢٣ صفحة[2].

٢. نشر الدكتور جوان ر. ي. كول أستاذ التاريخ في جامعة ميشيغان، في الولايات المتحدة الأمريكية رسالة بعنوان: (رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي)[3].

الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر في سوريا، ودار هجر للنشر والتوزيع في الأحساء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الثانية.

(١) الأستاذ أحمد بن عبد الهادي المحمد صالح، مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الواحة، عدد ٦٠، ٢٠١٠م.

(٢) الشيخ سامي بوخمسين، إبداع الوجود عند الشيخ أحمد الأحسائي، رسالة ماجستير، (دمشق: فرع جامعة المصطفى في دمشق، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م). انظر:
http://www.altahera.net/article.php?act=printable_version&id=17042

(٣) جوان كول، رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الساحل، العدد الثالث، السنة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٩٨ - ١١٢.

٣. نشر الدكتور محمد علي أمير معزي، أستاذ الدراسات الإسلامية في قسم العلوم الدينية في معهد الدراسات العليا في باريس، دراسة بعنوان: (غياب يملؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة)[1].

٤. نشر الأستاذ ياسر عبد الله آل خميس، مقالة بعنوان: (ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية)[2].

٥. العديد مما أحصاه الأستاذ أحمد المحمد صالح في مقالته (مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي) السابق ذكرها، تمت أغلبها بأقلام من خارج الأحساء.

ونظرًا لكثرة ما كتب عن الشيخ أحمد الأحسائي ما يغني عن تكراره في هذه الصفحات، عليه سأورد مصدرًا جديدًا حديث الطباعة تحت عنوان: (جوهرة الأحساء وفوارة النور: الشيخ العارف الأوحد وخاتمة الفقهاء والمجتهد المطلق، أحمد بن زين الدين الأحسائي)، للسيد معين الحيدري، وقد استوقفني الكتاب لكثرة استقصائه ومتابعته، بدءًا من مجيزي الشيخ ومستجيزيه، ومرورًا بعدة مواضيع سلط خلالها المؤلف الضوء على عدد من المفاهيم المتعلقة بسيرة الشيخ وآرائه والإشكالات الموجهة إلى منهجيته وناقشها، ومدى قبول الوسط العلمي لآرائه سلبًا وإيجابًا، وذلك تحت ٤٤ عنوانًا، ويقع الكتاب في ٣٥٥ صفحة.

أما ما أفاد به السيد محمد حسن الطالقاني في رسالة الماجستير التي تقدم بها إلى الجامعة (اليسوعية) في لبنان، حيث أوضح فيها مقدار القبول الاجتماعي للشيخ خارج حدود مدينته الأحساء، ولن أستطيع أن أورد جميع ما وصفه من حالات، لكن سأقتطف منها ما يمنح القارئ نظم صورة عن القبول الذي حظي به الشيخ، علمًا بأني قد وقفت على مصادر أولية تحكي مضامين هذه السطور التي سأوردها بقلم السيد الطالقاني في رسالته حيث يقول فيها: «قضى الشيخ أحمد شهر رمضان في أصفهان وأُحصي مرة عدد المصلين خلفه فبلغوا ستة عشر ألفًا ... وقد أجاز الأحسائي عددٌ من كبار علماء الشيعة في عصره إجازات مفصلة، ... وتصدر الأحسائي للتدريس في المعقول والمنقول سنين طويلة وكانت له حوزات عامرة في

(١) الدكتور محمد علي أمير معزي، غياب يلمؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة، مجلة الساحل، العدد الخامس، السنة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٩٥.

(٢) الأستاذ ياسر عبد الله آل خميس، ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية، مجلة البصائر، العدد ٤٦، عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

كل من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها في المدن العراقية وفي قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه، وغيرها من المدن الإيرانية وفي الأحساء والبحرين وغيرهما من دول الخليج، وقد تخرج عليه المئات من العلماء وأهل الفضل، وبلغت به الحال حدًّا إذا هبط مدينة علمية تعطلت فيها الدروس والأبحاث، وهرع حُضارها إلى مجلس درسه ليستفيدوا منه ... وقد روى بالإجازة عن الأحسائي عدد من كبار علماء عصره ومشاهيره، ... ومؤلفات الأحسائي كثيرة، والحديث عنها طويل، فقد عاش سبعًا وسبعين سنة قضى معظمها في عزلة عن الناس، معتكفًا في مكتبته يؤلف الرسائل ويجيب على مئات المسائل، ويرد على مختلف الاعتراضات، ويصحح بعض الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة - في رأيه - في كتب من عاصره ومن سبقه من علماء المعقول والمنقول، وقد بارك الله في إنتاجه فخلف ثروة فكرية ضخمة، شغلت عشرات العلماء الفحول في حياته وبعد وفاته إلى يومنا هذا، وستبقى كذلك إلى ما شاء الله، ... والحقيقة أنه لو لم يكن في مؤلفاته فائدة غير ما كتب في نقده والدفاع عنه من كتب قيمة وأسفار مهمة لكفاه فخرًا وذخرًا، فقد أغنت المكتبة الإسلامية بثروة هائلة وأمدتها بمصادر عديدة أوضحت كثيرًا من الجوانب الفكرية في الإسلام، ولاسيما لدى الشيعة الإمامية. لقد ألّف الأحسائي في كثير من العلوم المتداولة في عصره ومحيطه، فقد كتب في الأدب بفروعه: من نحو، وصرف، وبلاغة، ولغة، ومنطق، وعروض، وغيرها، وفي الرياضيات: من حساب، وهندسة، وهيأة، وفلك، وفي الفقه وأصوله، والحديث، والأخلاق، والتاريخ، والحكمة الإلهية، والفلسفة وعلم الكلام، والعقائد، والموسيقى، والطب، والعلوم الغريبة، كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، ... تألق نجم الأحسائي فتلقته الأوساط العلمية بقبول حسن، وعرف بغزارة العلم، وسموّ الفكر، وعلو الثقافة، وأشير إليه بالأنامل وأجمع الكل على ورعه، وتقواه، وترسله، وزهده في الزعامة الدينية، ومتع الحياة كافة، وأخذ ينتقل بين النجف، وكربلاء والكاظمية، فيقضي فيها مُدَدًا طويلة وكانت فيها يومذاك حوزات دراسية ضخمة، وعلماء أفذاذ، وكانوا يتسابقون إلى زيارته، ويبالغون في احترامه، ولذلك كثر الإقبال عليه، وعظم في نفوس العامة على اختلاف طبقاتهم، وأخذت رياسته بالتوسع رغم إعراضه عنها، وأوشكت شهرته أن تغطي العلماء المعاصرين له.

في أصفهان ... أذيع أن الحوزات العلمية والحلقات الدراسية كافة قد تعطلت، وأن طلابها عامة سيحضرون درس الشيخ الأحسائي فحضره ملا هادي السبزواري

مع من حضر، ورأى كبار العلماء ومشاهير المدرسين، كالشيخ محمد إبراهيم الكرباسي صاحب (الإشارات) وغيره تحت منبره، وكان يدرس الفلسفة والحكمة الإلهية وقد أجمع العلماء قاطبة على زهد الشيخ وتقواه، ... وهكذا كانت الحال بالنسبة له في كل مدينة دخلها في إيران، .. تعظيم لم يشاركه فيه أحد من علماء إيران، وفيهم الفطاحل وذوو البيوت الرفيعة العريقة في الزعامة الدينية، وقد كانوا جميعًا يسارعون إلى استقباله قبل غيرهم، وقبل أن ينتدبوا، ويأتمون به في الصلاة ويقدمونه على أنفسهم في المناسبات إذا حضر»[1].

لعل هذا حال الشيخ في أيام حياته، من حيث الحفاوة والتقدير، لكنه تعرض في الوقت ذاته إلى موجة من العداوة الكبيرة في أيام حياته؛ بسبب العديد من أطروحاته، وأيًا كانت تلك الممارسة على الرغم من بشاعتها، لكن العبرة بالنتيجة، ألا وهي أن الشيخ بفضل تماسك نظريته وانسجامها مع المفاهيم الإسلامية، استطاعت بعض أطروحاته أن تتسرى إلى الساحة العلمية، ولكن من دون ذكر مصدرها وهو الشيخ الأحسائي، أو على أقل تقدير أنه كان الباعث والمحرك لها في الساحة العلمية، وهذه المعلومات أوردها هنا على نحو وجهات نظر نقلتها عن بعض أهل الفضل، وعليه تظل في حالة قبولها الأولي على نحو الإدعاءات ليس إلاّ، ولكي تتحول إلى حقائق، ينبغي الانتقال بها إلى منضدة البحث العلمي، والتعامل معها على نحو الفرضيات ليتم إثبات صحتها من عدمها، وعليه أقترح أن تناقش هذه المدعيات على هيئة أطروحات علمية، وتلك المدعيات كما يلي:

١. «إن تناول المسائل الولائية، والتحقيق في مقامات أهل البيت ﷺ، والاجتهاد فيها لم تعرفها الساحة العلمية وبالتحديد في إيران، إلاّ بعد أن طرحها الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي»، ويستدل المدعي على ما طرحه آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني من رؤى في محاضرات تم تدوينها من قبل بعض طلاب العلم في كتاب بعنوان: (مقتطفات ولائية) وترجمها الشيخ عباس بن نخي، وبإشراف السيد هاشم الهاشمي الكويتي، وتم نشر الكتاب في مؤسسة

---

(١) السيد محمد حسن الطالقاني، الشيخية، رسالة ماجستير، (لبنان: الجامعة اليسوعية، ١٩٧٤م).

- ملاحظة: هذا نقلاً عن كتاب جوهرة الأحساء وفوارة النور للسيد معين الحديري ص ٣٠-٣٢، وقد نقلها المذكور عن السيد الطالقاني من صفحات متفرقة من رسالته من صفحة ٧١ وحتى ١٠٩.

الامام للنشر والتوزيع، عام ٢٠١٠م في طبعته الثالثة، وعليه فمن الملائم أن يتم تتبع نشأة مثل هذه الرؤى تاريخيًّا.

٢. «إن أول من طرح مسألة حكم التقدم على قبر المعصوم، هو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي»، وهي مسألة يناقشها الفقهاء ولديهم فتاوى حيالها، ومن جملة من طرحها للبحث سماحة آية الله الشيخ محمد بن سلمان الهاجري[1]، والمدعى هو أن أول من طرح هذه المسألة الشرعية وناقشها هو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وهي الأخرى مسألة تستدعي متابعة تاريخ نشأتها في الرسائل العملية، والبحوث الاستدلالية المكتوبة.

٣- آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي

آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي، ثالث المنائر الأحسائية التي تطل من خلالها الأحساء على الساحة العالمية، ولد عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، وتوفي عام ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، عرف الكتابَ والقلمَ منذ نعومة أظفاره، كطالب في المدارس النظامية، ودارس حوزوي لدى والده الفقيه الميرزا محسن الفضلي حيث أنهى على يديه مرحلة المقدمات في مدينة البصرة بصبخة العرب. وفي عام ١٩٤٩هـ، يمم وجهه نحو النجف الأشرف، وله من العمر أربعة عشر عامًا، أمضى فيها ما يقارب من ٢٠ سنة تمخضت عن حراك لم يعرف الكلل والملل، ما يكاد ينتهي من محطة حتى ينتقل للأخرى، وربما زاوج بين محطتين في آن واحد، ولا أعلم كيف كان يوفق بينهما؟ لكنه التفكير الاستراتيجي وما ينطوي عليه من تفكير جاد نحو بيئته الخارجية تارة؛ ليرى ما فيها من مساحات لم تشغل بإنتاج إبداعي يستحق التضحية من أجله، وتارة أخرى ليبصر مكونات بيئته الداخلية وما تشتمل عليه من قابليات، وإمكانيات يمكن توظيفها في إنجاز رؤيته التي رصدها في بيئته الخارجية، وبين هذا وذاك راح يسعى بكل طمأنينة وثبات نحوها، ألا وهي تحديث الكتب الدينية الحوزوية وما يتصل بها من علوم أخرى في العلوم اللغوية والعقلية لتكون ملائمة للوسطين الحوزوي والجامعي في آن واحد.

(١) الشيخ محمد بن سلمان الهاجري، رسالة في حكم التقدم على قبر المعصوم، مجلة الفقاهة، العدد ١٠، عام ٢٠١٠م.

وقد صرح بها ذات مرة، خلال المقابلة التي أجراها معه الأستاذ حسين منصور الشيخ التي دونها في كتابه: (الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق)، حيث سأله: «ما هو أهم مشاريعكم التي كنتم تودون إنجازها، وما الذي تحقق منها؟»، فأجابه الشيخ: «مشروعي الأهم كان وضع المقررات الدراسية للحوزات العلمية وتطوير موادها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، وأحمد الله سبحانه الذي وفقني في إنجاز هذا المشروع»(١)، وفي سبيل هذا الرؤية الطموحة استغرق ما يقارب من خمسين عامًا من عام (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) حتى عام (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) سعى خلالها وفق مراحل مدروسة مركزًا على ضرورة إنجازها، مرتبًا لأولوياتها، في نظام لا يخترم من أي فرد كائن من كان، فجنى ثمارًا يانعة سمتها الإتقان والإيجابية، تلقتها جماهيره من طلاب حوزويين وجامعين، ومراكز بحثية، في بلاد العرب والعجم، بل وحتى بلاد الغرب في آخر مطاف تنامت فيه نتاج تجربته، فقد اعتمدت إحدى الجامعات في الغرب، وهي: (Islamic College) في بريطانيا، أحد كتب الشيخ كمقرر لطلابها بعد أن ترجمته إلى اللغة الإنجليزية، وهو كتاب (مدخل إلى علم الحديث) مع كتاب (دراية الحديث) للشهيد الثاني وهو من الكتب المعتمدة في الحوزات العلمية منذ أمد بعيد، وأما تاريخ الترجمة وإدخال كتاب الشيخ الفضلي إلى هذه الجامعة فكان الإصدار الأول في عام ٢٠٠٢م، والإصدار الثاني في عام ٢٠١١م، ولا زال التنسيق يجري في اقتناء مقررات أخرى(٢).

و قد بلغ عدد كتبه التي ألفها بما فيها المقررات الدرسية الحوزوية/الجامعية، ٧٥ كتابًا، وحوالي ١٥حوارًا علميًّا منشورًا في الدوريات المختلفة، وحوالي ١٥٥ مقالة

(١) الأستاذ حسين منصور الشيخ، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، (البحرين: مداد للثقافة والإعلام، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص١٧٠.

(٢) إفادة من الأستاذ فؤاد ابن الشيخ عبد الهادي الفضلي في تاريخ ٢٤ -٤-٢٠١٣م، عبر رسالة إلكترونية، بأنه زار الجامعة في بريطانيا عام ٢٠١١م، وكان في استقباله مدير لجنة المقررات بالجامعة، ووجد الكتاب مترجمًا، وطلبوا مجموعة أخرى من كتب الشيخ الدراسية لترجمتها وطباعتها وإدراجها ضمن مقرراتهم، وقد أفادوا بأن الكتاب قد طلب من مؤسسات علمية كالجامعات والمعاهد ومن أساتذة أفراد في عدة مناطق في العالم وأكثرها من أمريكا واستراليا، واسم الجامعة وبيانات نشر الكتاب بعد الترجمة هو:

Including Dirayat al-، Abd al-hadi al-Fadli،Introduction to Hadith
1st ، Translated by Nazmina VirJee،Hadith by al-Shahid al-Thani
UK، Islamic College، ISAS Press،2011، 2 st edition ، 2002،edition

ودراسة منشورة في الدوريات المختلفة، مضافا عليها ١٣٠ تقريظًا لمؤلفات آخرين[1].

قصة نجاح آية الله الفضلي بدأت أول ما بدأت في حراك علمي بين دارس ومدرس في الوسطين الحوزوي والتعليم النظامي - في المدارس، ومن ثم إلى الجامعات، فبدأ في الحوزة دارِسًا في مرحلة السطوح تلتها مرحلة البحث الخارج، ومدرسًا فيها في الوقت ذاته، كثقافة درجت عليها الحوزة، بل وتحرص عليها كأسلوب من أساليب تنمية كفاءاتها العلمية عبر الجهد الذاتي، وفي الجامعة طالبًا في مرحلة البكالوريوس في كلية الفقه بالنجف في عام ١٩٥٩م، ومن ثم طالبًا في مرحلة الماجستير منذ عام ١٩٦٨م وحتى ١٩٧١م في جامعة بغداد، وأستاذًا في كلية الفقه بعد تخرجه فيها بدرجة البكالوريوس[2].

وفي العام ذاته، أي عام ١٩٧١م، التحق بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ليبدأ منها مشواره نحو درجة الدكتوراه، حيث ابتعث إلى جامعة القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٧٥م، وفي العام ذاته أيضًا رجع إلى جامعته في جده ليبدأ مرحلة التدريس بعد التخرج، وهناك أسس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة، وكان أول رئيس له، كما كان له دور كبير في تأسيس قسم المخطوطات في مكتبة الجامعة المركزية فيها. ولما أن بلغ عام ١٩٨٩م، تقاعد من الجامعة بعدما أتم ١٨ عامًا فيها، وفي العام ذاته التحق بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن مدرسًا لمادة المنطق، وتاريخ التشريع الإسلامي، وأصول الحديث، وأصول علم الرجال، وعلم الكلام. وفي عام ١٩٩١م، بدأ الشيخ يمارس ظهوره محاضرًا في المواسم الثقافية، حتى شكل بثقله العلمي، وما يكتنزه من خبرة علمية وعملية في ميدان العلم والمعرفة ونشر الثقافة، رافدًا جديدًا مؤثرًا لجيلها الصاعد، ومن جملة ما اعتنى به عنايته بالمؤلفين والكتاب، واحتضان طاقاتهم، ورعايتها.

حينما أتعرض لسيرته، ليس فقط من باب الوفاء لحقه كعالم أحسائي استفدت من تجربته الشيء الكثير كما استفاد منه أبناء جيلي الذين عاشوا جمال علمه وخلقه، وإنما للضرورة الملحة ليقرأه طلاب العلم المعاصرين والقادمين في المستقبل بإذن الله.

(١) الأستاذ فؤاد الفضلي، مصدر سابق، رسالة إلكترونية، في ٢٤-٤-٢٠١٣م.

(٢) حسين منصور الشيخ، الدكتور الفضلي: تأريخ ووثائق، (البحرين: مداد للثقافة والإعلام، ١٤٣٠-٢٠٠٩م)، ص ١٠٤.

وعندما نقرأه سنقرأه كناجح قادر على أن يورث صنعة النجاح في المتطلعين إليها ولو من خلال قراءة بعض السطور عن تجربته، فتجارب الحياة علمتنا أن لكل واحد فينا لديه من المؤهلات والملكات ما يمكنه أن يكون كأمثال الشيخ الفضلي في إخلاصه لدينه وإنسانيته، لكن ربما يحتاج إلى نموذج، يستطيع من خلاله محاكاة نجاحه، يستنسخ منه امتيازات شخصيته في إطارها العام، وأما بصمته الفكرية فهي حتمًا ستخرج بشكل تلقائي من وحي ذاته، ولن يستطيع استنساخ تجربة الشيخ الفضلي، كفضلي آخر مهما حاول؛ لأن البصمة الفكرية لها من الخصوصية الغير قابلة للاستنساخ، كما هي الحال لا يستطيع أحد منا أن يستنسخ بصمة إبهام الآخرين، وسأعرض لمسألة استنساخ امتياز تجربته ومدى إمكانيتها في المبحث الثالث من هذه البحث.

لهذا الغرض سأتجول ما استطعت، وأسعفتني الذاكرة في عرض مشاهداتي ومسموعاتي عن هذا العالم الفذ، وسأعتصرها مكتفيًا بالإشارات دون التفصيل لأن المقام يطول، فنحن سنظل بحاجة إليه حتى بعد رحيله في العديد من جوانب تجربته العريضة، وهنا سأقف فقط على ساحل تجربته ككاتب، ولن أتعرض إليه كخطيب بارع، ومرب فاضل، وأستاذ عَرَفَتْهُ أروقة الجامعات كما عرفته أروقة الحوزات، ولا كمناقش للرسائل العلمية في درجاتها العليا في مرحلة الماجستير والدكتوراه، أو منظر للأنشطة الاجتماعية، وقارئ فذ لما تخبئه الأيام من مفاجآت، أو كأديب متذوق، وناقد للأعمال الإبداعية: قصة، ورواية، وشعرًا، ومؤرخ، وفيلسوف، ومتكلم، نحن هنا على ساحله كمؤلف عشق القلم، والدفاتر، والكتب، والمراجع على شتى مشاربها الفكرية.

فقد كان الفقيه المتبحر في العلوم الإسلامية على شتى أصنافها، وقد تم تأبينه من أعلام عصر الفقهاء منهم واللغويين، وعبارات التأبين من ذوي الاختصاص اللغوي والأدبي، لا تقل أسفًا على فقد هذا الطود العلمي الرفيع من علماء الحوزات العلمية في المجال الشرعي.

المبحث الثاني: اهتمام الفضلي بالتأليف والمؤلفين

سأعالج في هذا المبحث موضوعات يجمعها التأليف والمؤلفون، وسأجيب من خلالها عن أسئلة مهمة، لعل أبرزها هو: ماذا قدم الشيخ في تجربته الكتابية كعالم؟

وهل اقتصرت تجربة الشيخ الفضلي في مجال الكتابة على العناية بنفسه؟ أم أن عشقه لعالم الكتاب والكتابة عزله عن الاهتمام بإنجازات الآخرين في مجال التأليف؟ أم على العكس من ذلك؟ جعل المؤلفين جزءًا من دائرة اهتمامه، ومنحهم من التقدير والتفرغ كما لو كانت كتبهم التي أنجزوها قد أفرغتها قريحته، فاحتفى بها ومنحهم من الإهتمام الشيء الكثير، ولو كان ذاك على حساب وقته وصحته؟ أسئلة سبق أن طرحتها في مقدمة البحث، وإعادتها هنا تنم عن أهميتها، وستتم الإجابة عنها في المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: موسوعية الشيخ الفضلي، وأثرها على مد جسور التواصل بين الاختصاصات العلمية في تأليفاته الحوزوية.
- **المطلب الثاني**: حفاوة الشيخ بالمؤلفين.
- **المطلب الثالث**: قناعة الشيخ بأهمية التأليف كرسالة للمبلغين والدعاة.
- **المطلب الرابع**: عناية الشيخ بتقريظ المؤلفات.

المطلب الأول: موسوعية الشيخ الفضلي، وأثرها على مد جسور التواصل بين الاختصاصات العلمية في تأليفاته الحوزوية:

كما يتضح من عنوان المطلب أنه ينصب على إبراز سمة في شخصية الشيخ العلمية، ألا وهي الموسوعية، وهذا يلزمنا أن يكون الحديث عن مصادر تلك الموسوعية، ومجالات توظيفها في مشاريعه التأليفية للمقررات، وما أفضت به نتائج مطالعاته، ومراقبته للساحة العلمية، وملاحظاته على طبيعة المقررات الدراسية، وضرورة إعادة صياغة وتطوير بعضها، وفق معطيات طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم.

فقد أسهم الشيخ بشكل جوهري في تحقيق إضافة علمية للمكتبة الاسلامية، وذلك كنتيجة لعمر مديد قضاه بين دارس ومدرس في الوسطين الحوزوي والجامعي، وقد بلغ في هذين الوسطين درجة علمية متقدمة، وكمؤلف للمقررات فيما بعد، وقد ترتب على هذه الملكات المتنوعة في دروسها، وأساليبها، وتنوع مداركها، أن مكنته من الخروج بوجهات نظر تصحيحية في بعض منها، وتطويرية في البعض الآخر، ذات أهمية، وذلك وفقًا لمعطيات الواقع، وتحديات المرحلة، وقد انعكست موسوعيته تلك، بشكل واضح على بعض مقرراته الدراسية مما حقق إضافة علمية تحسب له، ولقد أسهم في تمكنه من إنجاز رؤيته تلك، أنه لا يجب

تسليط الأضواء ولا الشهرة، وفي ظل هذه البيئة الداخلية المستقرة التي ملأت جوانبه، جعلته يرصد الفرص المتاحة له في بيئته الخارجية بكل ثقة لكي يحقق إبداعه وبصمته الخاصة به.

ولعل من أبرزها منهجه الخاص في كتابة الدروس والمقررات بلغة تحتفظ بالجانب العلمي فيها، ولكنها في أسلوب مبسط، خال من التعقيد، حيث له ملاحظة على من يعمد إلى التعقيد في العبارات، ففي إحدى اللقاءات به، عبرعن هدفيته تلك بقوله: إن الكتب الدرسية تشتمل على صعوبتين يواجهها الدارس، طبيعة المفاهيم المطروحة فيها، وهي في حد ذاتها تحتاج إلى ذهنية جيدة لاستيعابها، وبالتالي إضافة تعقيد للعبارات هي من نوع المبالغة غير المبررة، وعليه لا بد من تفريغها من تلك العقد اللفظية، وإبرازها على طبق لغوي واضح وسهل يجعل الطالب على ثقة تامة بأنه قد فهم ما يريد أن يقوله مؤلف الكتاب، لا يجعله في دائرة من التخمين والاحتمال، كما يقع فيه بعض الطلاب.

كما أن للشيخ ملاحظة أخرى ألا وهي ضرورة الاستفادة من الاختصاصات العلمية التي من شأنها أن تسهم في منح الفقيه ممارسة دوره كفقيه لا يكتفي بفهم بنيوية النصوص، وإنما لا بد له من التعرف على البيئة الخارجية وما فيها من عناصر تسهم في عملية الاستنباط، وقد انعكس فهمه هذا على العديد من المقررات الدراسية التي أعدها لطلاب العلوم الشرعية.

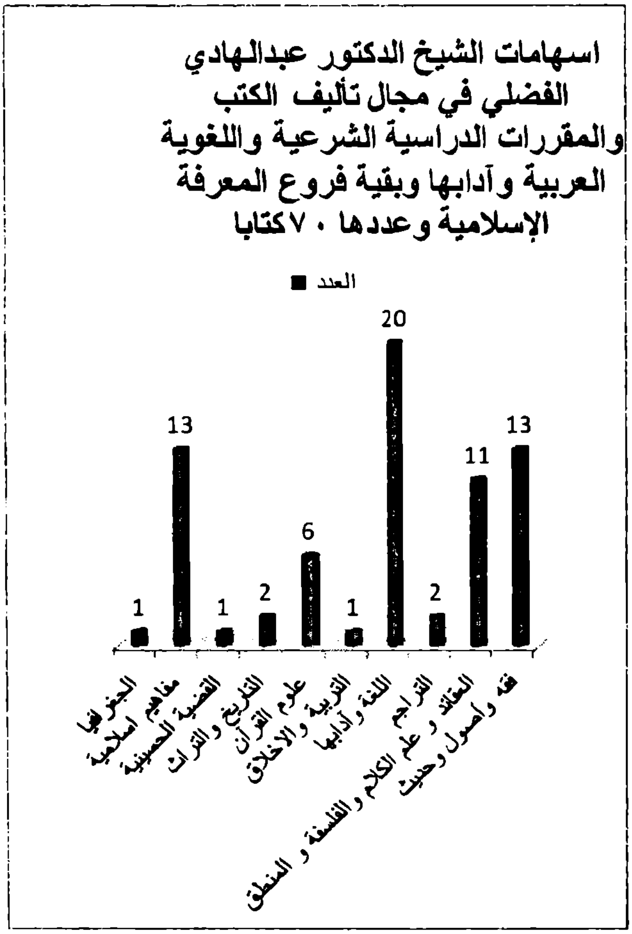
إن الموضوعات التي كتب فيه الشيخ الفضلي كما ذكرت كثيرة، ومؤلفاته بلغت السبعين[١] كتابًا، وفي مراحل متعاقبة لنموه الفكري، ولعل من أواخر تجاربه الفكرية هو إسهامه في كتابة مقررين أساسيين صنفهما الشيخ لتكون مجال استفادة طلاب العلم الشرعي منها في مرحلة السطوح وهما: (**دروس في أصول فقه الإمامية**)، و(**دروس في فقه الإمامية**)، وقد انطبع هذان الكتابان بموسوعيته، وأثر انفتاحه على الاختصاصات العلمية الأخرى، ووظف العديد من تلك الاختصاصات فيهما وذكر دواعي ضرورة الانفتاح الذي قام به، وقبل أن أتناول المؤلفين بتحليل أثر موسوعية

(١) الأستاذ حسين منصور الشيخ، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، مصدر سابق، ص ١٣٢-١٣٣، وص ١٥٧-١٥٨، وص ١٦٩-١٧٠.

ملاحظة: قد أفاد الأستاذ فؤاد ابن الشيخ الفضلي، أن عدد مؤلفاته ٧٥، وربما أن بعض كتبه لم تطبع بعد.

الشيخ عليهما وأسبابها، أعرض تمثيلاً بيانيًّا للمجالات التي كتب الشيخ الفضلي وعدد المؤلفات في كل فرع من فروع المعرفة:

الموضوعات	العدد	الموضوعات	العدد
فقه وأصول وحديث	١٣	التربية والأخلاق	١
العقائد وعلم الكلام والفلسفة والمنطق	١١	علوم القرآن	٦
التراجم	٢	التاريخ والتراث	٢
اللغة وآدابها	٢٠	القضية الحسينية	١
مفاهيم إسلامية	١٣	الجغرافيا	١
إجمالي عدد الكتب		٧٠	



أما عن كتابيه (**دروس في أصول فقه الإمامية**)، و(**دروس في فقه الإمامية**) وأثر موسوعيته على تأليفهما، من حيث مده لجسور من تواصل الإختصاصيين في الموضوع المطروح في الكتب الحوزوية، وسد الفجوات المعلوماتية في البحوث التي يطرحها، فهما كما يلي:

أولاً: آثار موسوعيته على كتابه (دروس في أصول فقه الإمامية):

من الملاحظ أن الشيخ قبل أن يخط بقلمه كتابه الموسوم بـ (دروس في أصول فقه الإمامية)، قام بمسح واسع وشامل لعلم الأصول عند الإمامية: منهجًا، وتاريخًا، ودراية بمراحل تطوره الفكري كعلم، وإحاطة بمصطلحاته، ومعرفة بأعلامه والمدارس العلمية التي نشأت خلال تاريخه، وإحاطة بفهرس نتاجات علماء الإمامية فيه منذ نشأة هذا العلم، فسجل أول ما سجل من ملاحظات على علم الأصول لدى الإمامية الإغراق في توظيف علم الكلام وعلم الفلسفة في فهم هذا العلم، وبيّن أسباب ذلك من خلال دراسة تاريخية لنشأة علم أصول الفقه لدى الإمامية، والتي تمخضت عن وجود ثلاث مدارس هي:

المدرسة الأولى: وهي مدرسة نقلية، تأسست بريادة الصدوقين، الشيخ ابن بابويه القمي المتوفى عام (٣٢٣هـ) وابنه الشيخ الصدوق، المتوفى عام (٣٨١هـ)، وسمتها الاعتماد المطلق على الأحاديث المروية عن أهل البيت ﷺ، وقد ابتعد أقطاب هذه المدرسة عن الرجوع إلى العقل حتى في المعتقدات، وكانت هذه المدرسة تستمد أصولها الفقهية من الأحاديث.

المدرسة الثانية: وهي مدرسة عقلية، تأسست بريادة القديمين، وهما ابن أبي عقيل الحذاء العماني، وابن الجنيد الإسكافي المتوفى عام (٣٨١هـ)، وسمتها الاعتماد على العقل، بل وميل الأخير إلى اجتهاد الرأي وإعطاء اعتبار للقياس الشرعي المعروفين لدى علماء السنة.

وقد كان بين هاتين المدرستين خلاف كبير ما أدى إلى قيام مدرسة جديدة ثالثة للشيخ المفيد.

المدرسة الثالثة: وهي مدرسة تكاملية، تأسست بريادة الشيخ المفيد المتوفى عام (٤١٣هـ)، وسمتها الجمع بين المدرستين، وسلوك خط الوسط بينهما، ولم يأخذ الشيخ في مدرسته الوسطية بالقول بالعقل كما فعلت مدرسة القديمين، وإنما جعل

الدليل العقلي طريقًا موصلاً إلى معرفة حجية القرآن والأحاديث الشريفة، وليس العمل بالرأي والقياس.

وظلت المدرسة الثالثة التي تمثل الاتجاه الأصولي لدى الامامية، إلى تاريخنا المعاصر، في قبال الاتجاه الإخباري والمتمثل في المدرسة الأولى النقلية، ولكن لِما مُنيت به هذه المدرسة من ضعف بسبب التصدي الكبير الذي أبداه الشيخ الوحيد البهبهاني لها المتوفى عام (١٢٠٨هـ) قبال رائدها في زمانه الشيخ يوسف البحراني المتوفي عام (١١٨٦هـ)، والذي اتخذ من كربلاء مركزًا، وقد كان قبل هذا الصراع، وغيابها عن مسرح الأحداث العلمية، ما حدث من إيغال للمدرسة التكاملية في توظيف علم الأصول بعلم الكلام والفلسفة كعلوم عقلية، على يد ثلاثة علماء في إيران هم الفاضل التوني المتوفى عام (١٠٧١هـ)، والشيخ الميرزا محمد الشيرواني المتوفى عام (١٠٩٨هـ) والمحقق الخونساري المتوفى عام (١٠٩٨هـ)، وفي مرحلة لاحقة بعد ضعف الاتجاه الإخباري ممثلاً في دور الشيخ الأنصاري، صاحب الرسائل المتوفى عام (١٢٧١هـ).

ومن بعده الآخوند الخراساني صاحب الكفاية المتوفى عام (١٣٢٩هـ)، وعقبه تلميذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفى عام (١٣٦١هـ) كما برز معاصر لصاحب الكفاية الشيخ النائيني المتوفى عام (١٣٥٥هـ)، وكان متأثرًا بالاتجاه الفلسفي والكلامي، وانعكس هذا بوضوح على محاضراته الأصولية التي قررها السيد الخوئي والشيخ الكاظمي، وأيضًا الشيخ آقا ضياء الدين العراقي كان معاصرًا للشيخين الأصفهاني والنائيني، وجميع هؤلاء عمقوا توظيف علم الكلام والفلسفة في علم الأصول، لكن بدت في النجف الأشرف ردة فعل تجاه هذا الإغراق الكلامي والفلسفي تمثل في محاولات لتطوير المناهج تمثلت في دور كل من:

١. الشيخ المظفر في كتابه أصول الفقه.
٢. السيد محمد تقي الحكيم في كتابه الأصول العامة للفقه المقارن.
٣. السيد محمد باقر الصدر في كتابه دروس في علم الأصول.
٤. السيد السبزواري في كتابه تهذيب الأصول[1].

(١) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، مصدر سابق، ص ٥-٨٧.

والشيخ الفضلي كمعاصر ومراقب لكل هذا الحراك نحو التخلص مما ثقل بعلم أصول الفقه من علم الكلام والفلسفة، وضرورة العودة إلى المنهج التكاملي وفق صياغة الشيخ المفيد ﵀، فقد أسهم في تقديم أبحاث سابقة في هذا المجال تحت عنوان: (منهج دراسة النص عند الأصوليين، ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره)، وبحث آخر بعنوان: «علاقة علم الأصول بالعلوم الأخرى ودور السيد الصدر في تطويرها».

وقد جعل من كتابه دروس في علم الأصول محطة علمية لإجراء عمليات تطبيقية لتخليص موضوعات علم الأصول من علم الكلام والفلسفة، وقد اتضح له بعد هذه الإسهامات أن الفقيه لكي يمارس دوره كفقيه يوظف علم الأصول في استنباط الأحكام الشرعية عليه أن ينفتح على علوم لم تكن معهودة لدى طلاب العلوم الشرعية ومن أبرزها علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، لكون الذي يقرر طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم شيئان، هما:

١. «طبيعة مادة العلم.
٢. الهدف من وضع المادة.

والهدف من وضع علم أصول الفقه ودراسته هو الوصول إلى معرفة قواعد استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المتمثلة بالكتاب والسنة»[١].

وهذا الهدف يتطلب أن تنطوي مادة علم أصول الفقه على موضوعات محددة، ولكل واحد منها دليل مناسب لها وقد قسم الشيخ تلك وحدد لها الدليل المناسب وهي موضحة في الجدول التالي[٢]:

الموضوع	الدليل المناسب
إثبات حجية خبر الثقة	سيرة العقلاء، أو قل ارتفاع درجة التعامل مع خبر الثقة وظواهر الألفاظ من قبل الناس إلى مستوى
إثبات حجية ظهور الألفاظ	

(١) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٠هـ)، الجزء الأول، ص ٨٦.

(٢) انظر: الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول الفقه الإمامي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ١١٩-١٢٠. (بتصرف).

	الظاهرة الاجتماعية العامة.
تشخيص مراد المتكلم	قواعد اللغة، لأن تشخيص وتعيين مراد المتكلم من كلامه يتوقف على تحليل نص كلامه وهذا لا يتأتى إلا عن طريق قواعد اللغة المتكفلة بذلك.
تعيين لوازم امتثال الحكم المطلوب	العقل الفطري، لأنها من الأمور البديهية.
تحديد وظيفة المكلف عند فقدان النص الشرعي، أو إجماله أو سقوطه بسبب التعارض المستحكم	ظواهر اجتماعية عامة.

وبعد هذا التحديد لموضوعات علم الأصول والدليل المناسب لها خرج الشيخ بنتيجة هي أن الدرس الأصولي أمام ظواهر اجتماعية عامة، تتنوع إلى:

- ظواهر لغوية - اجتماعية.
- وظواهر اجتماعية - اجتماعية.

وعليه وجد أن هذا يتطلب في مجال دراساتها الالتزام بما يلي:

- المنهج اللغوي- الاجتماعي.
- والمنهج الاجتماعي - الاجتماعي.

وكلا المنهجين يقومان على اعتماد طريقة الاستقراء، ويفيد الشيخ الفضلي بنتيجة نهائية مفادها: «ونحن بهذا نعود إلى المنهج الذي وضعه الشيخ المفيد، والذي أقصي عن ميدان البحث الأصولي عن غير قصد، وإنما بتأثير هيمنة علم الكلام على منطلقات البحث الأصولي»(١).

(١) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول الفقه الإمامي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٨٨.

ونظرًا لوضوح أهمية علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي - لدى الشيخ الفضلي - كمصدر من مصادر علم الأصول بالإضافة إلى العلوم الأخرى المعروفة كعلوم اللغة العربية، وعلم الدلالة، وعلم الاسلوب، وعلم المنطق، وعلم الرجال، وعلم الحديث، وعلم الكلام، والفلسفة القديمة، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، تجده قد وظف العديد من مفاهيمهما في بناء المقرر الدراسي المذكور بعد أن سجل ملاحظاته على خلو الكتب الأصولية من ذكر مصادر علم أصول الفقه، حيث يقول:

«لم يذكر الأصوليين هذا العنوان في كتبهم الأصولية، ولم يتناولوه، وكان من الطبيعي - منهجًا - أن يبحث بشكل مستقل، ويوضع في موضعه الطبيعي من تصنيف موضوعات هذا العلم، فتنشأ به المقدمة العلمية لهذا العلم»[١].

ومن موارد توظيفه علم الاجتماع على سبيل المثال، ما سطره في المبحث التمهيدي لعلم أصول الفقه حيث بعد أن أبرز دور العقل كمصدر لأصول الفقه، أو ما يسمى بـ «السيرة العقلائية»، والتي تسمى عند المتأخرين بـ «بناء العقلاء» أفاد ما نصه:

«ولأن سيرة العقلاء - أو بناء العقلاء - هي ظاهرة اجتماعية عامة، يأتي من المفيد أن نمهد للحديث عنه بتعريف الظاهرة الاجتماعية[٢].

ومن بعد هذا التمهيد عرَّف الظاهرة الاجتماعية، وسماتها من: تلقائية، وشمولية، وإلزام، وعرج بعد ذلك إلى ما يشترط أن يكون في السيرة العقلائية حتى تكون ممضاة من الشارع المقدس، وتكتسب الصفة الشرعية، أضاف لها شرطين آخرين هما: العقلانية، والشرعية.

وبالتالي خرج بشروط للسيرة العقلائية كالتالي:

١. التلقائية.
٢. الشمولية.
٣. الإلزام.

(١) م. ن.، ج١، ص ١١٢.
(٢) م. ن، ج١، ص ١١٥.

٤. العقلانية.
٥. الشرعية[١].

وهكذا استطاع الشيخ الفضلي أن يوظف علم الاجتماع في أحد مباحث دروس علم الأصول لدى الإمامية في مقرره الدراسي: «دروس في أصول فقه الإمامية»، وله العديد من التوجيهات النابعة من علم الاجتماع في دروسه.

ثانيًا: آثار موسوعيته على كتابه «دروس في فقه الإمامية»:

أعطى الشيخ الفضلي فقه المعاملات المالية اهتمامًا واسعًا مقارنة بفقه العبادات حيث استوعب في المجلد الأول مسائل باب الطهارة استدلاليًّا، وفي المجلد الثاني منه ركز على العديد من النظريات التي هي بمثابة التربة التي تنمو فيها المعاملات المالية، والتي من جملتها نظرية العرف، ونظرية الملك، ونظرية الحق[٢]، وغيرها من النظريات المهمة، وأما في مجلده الثالث، فقد تناول فيه جل وأهم المعاملات المالية القديمة والمستحدثة[٣]، وأما المجلد الرابع فقد عنونه بـ «معاملات البنوك التجارية» وقد أدرج فيه المسائل المستحدثة كما هو مصطلح عليه في الفقه الإمامي، وقد عرض الشيخ مسائل هذه الكتاب عرضًا استدلاليًّا.

وما يهمني في هذا البحث، هو تناوله لفقه المعاملات، إذ يتّسم هذا القسم من الفقه بأنه فقه متحرك إذا ما قيس بقسيمه فقه العبادات. ومن الملاحظ أن الشيخ مارس دور الفقيه الميداني، حيث يرى بأن الفقيه تارة يمارس دوره كفقيه من واقع التزامه بالمنهج الفقهي الفلسفي وذلك باعتماده دراسة بنيوية النص فقط، وهو في هذه الحالة يصدق عليه وصف الفقيه الصناعي، وتارة يجمع بين المنهج الفلسفي والبحث العلمي قدر الطاقة، ويتحول الفقيه عندها إلى فقيه ميداني يتجاوز حدود النص ويبحث في البيئة الخارجية ليوظف العرف في فهم الموضوع ومن ثم يصدر الحكم الشرعي، وفي هذه الحالة يصدق عليه الفقيه الذوقي العرفي، وقد رجح الشيخ منهج البحث العلمي على الفلسفي قدر الإمكان عند بحثه لفقه المعاملات وبالتحديد في أحكام البنوك التجارية، وبالتالي فإن تجربته في البحث الاستدلالي في

(١) م. ن، ج١، ص ١٢٠.
(٢) الشيخ الفضلي، دروس في فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى، ١٤١٩هـ)، ج٢/ ٤-٥.
(٣) م. ن، ج٣، ص ٩.

كتابه معاملات البنوك التجارية جاءت من وقع أمرين مهمين أجملت لهما فيما سبق، وسأذكر منهجيته بقلمه بشكل أوضح بعد التأليف بين أقواله في عدة كتب، وهذان الأمران هما:

ـ ضرورة اتباع منهج البحث العلمي والابتعاد عن المنهج الفلسفي قدر الطاقة:

يرى الشيخ الفضلي عند البحث في مسائل فقه المعاملات، ولاسيما منها المعاملات البنكية، ضرورة توظيف المنهج العلمي مبتعدًا قدر الطاقة عن المنهج الفلسفي، كما عبر بذلك بشكل صريح حيث يقول: «ولأن هناك منهجين تناول الفقهاء والباحثون قضايا الفقه ومسائله في ضوئهما، وعلى هدي تعليماتهما، وهما المنهج الفلسفي والمنهج العلمي، سلكت في دراستي هذه المنهج العلمي، مبتعدًا قدر الطاقة عن المنهج الفلسفي. وذلك لما أستشعره من فرق واضح بين موضوع البحث الفلسفي وموضوع البحث الفقهي، حيث يتحرك الأول في العالم التكويني، ويتحرك الثاني في عالم الفكر التشريعي، والفرق بين التكوين والتشريع هو الفرق بين التجسيد والتجريد، فما يصدق من قوانين في عالم التكوين، لا ينطبق - غالبًا - على عالم التشريع للفرق المذكور.

ومن هنا، إذا حاولنا أن نعين موقع المعاملات المالية - وهي من التشريع - سوف نصنفها في عالم الاعتباريات؛ لأنها غير ذات طبيعة مادية متجسدة في خارج الذهن، وإنما هي ظواهر اجتماعية تدخل ضمن فعاليات وآليات سلوك الإنسان، ووفق نظام خاص بها اعتمد في وضعه اعتبار المعتبر.

وكذلك لما أدركته بَيِّنًا من الفرق بين الطريقة الاستنتاجية في البحث، والطريقة الاستقرائية، حيث يعتمد الاستنتاج على التفكير المجرّد ويقوم الاستقراء على ملاحظة الواقع.

وما هذا إلاّ لأن المعاملات المالية - كما قلت - ظواهر اجتماعية تعيش في واقع حياة الناس والطريق لمعرفة الواقع هو الاستقراء.

ويتجلى هذا أكثر عندما نعرف أن المصدر الأساسي للفكر الفقهي في مباحث المعاملات المالية هو سيرة العقلاء المعتبرة من قبل المشرع الإسلامي، والسيرة - كما هو معلوم - أنماط سلوكية تتحرك وتتفاعل في الواقع الاجتماعي. والطريق لمعرفة

الواقع - لأنه من الحسيات - ليس الاستنتاج، وإنما هو الاستقراء، وعن طريق الملاحظة.

وأيضًا: إن آية ذلك ما نقرؤه كثيرًا من تعليقات فقهية على الإجماعات المدعاة في مباحث المعاملات بأنها من نوع التسالم والتواضع والمُستَقى من سيرة العقلاء، وليس هو من نوع المصطلح الأصولي الكاشف عن رأي المعصوم.

وقد حاولت خلال البحث التطعيم بالمقارنة - حيث يتأتى هذا - بين الفقه الشرعي والفقه القانوني»[1].

إذن كما هو ملاحظ أن الشيخ نهج منهج البحث العلمي، ورجحه على المنهج الفلسفي مبتعدًا عنه قدر الطاقة، وهذا من شأنه أن يجعل منه فقيهًا ميدانيًّا قريبًا من الواقع الفعلي، وهو ما ينسجم مع كون فقه المعاملات فقهًا متحركًا، وبطبيعة الحال في فقه كهذا أن يكون الفقيه متحركًا تجاهه أينما اتجه؛ ليحدد الوظيفة الشرعية للمكلفين بشكل يحقق لهم براءة الذمة، ولأجل هذا الغرض تجده، يبذل قصارى جهده لتحديد الموضوع تحديدًا دقيقًا، تمهيدًا لإصدار الحكم تجاهه، وفي سبيل ذلك يبذل أيضا قصارى جهده للرجوع إلى المصادر التالية:

١. «الرجوع إلى أنظمة البنوك التجارية المدونة، تلك البنوك التي يتعامل معها المسلمون، سواء كانت قائمة في البلاد الإسلامية أو في خارجها.
٢. الرجوع إلى نماذج من أوراق المعاملات المعقودة بين البنوك والعملاء.
٣. الرجوع إلى القرارات البنكية الصادرة عن إدارة البنوك ومجالسها بشأن المعاملات المصرفية.
٤. الرجوع إلى الكتب والرسائل المؤلفة في الموضوع، وكذلك البحوث والمحاضرات التي تعنى بهذا الشأن»[2].

وقد أشار الشيخ إلى أن عدم الاتجاه إلى منهج البحث العلمي القائم على الاستقراء، سيؤدي بالفقيه في موضوعات فقه المعاملات إلى اتباع المنهج الفلسفي، كما لاحظه من خلال اطلاعاته، وقد بيّن ذلك بقوله:

---

(١) م. ن، ج ٢، ص ٣-٤.

(٢) الشيخ الفضلي، معاملات البنوك التجارية، (بيروت: مركز الفقاهة للبحوث والدراسات الفقهية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٤٣.

«وأؤكد على أن هذا لأن اتباع المنهج الفلسفي - كما هو معروف مما صدر من الكثير منهم - عند عدم القدرة على تشخيص الموضوع أو عدم وضوحه، أو لأجل الاحتياط بغية أن يتقن الباحث من دخول واحد من المحتملات، يأخذون بالمنهج المذكور، فيعفون أنفسهم من عناء محاولة التجديد، مكتفين بطرح كل المحتملات، ومحاولة معرفة حكم كل واحد من هذه المحتملات التي تردد الموضوع بينها حسب اعتقاد الباحث.

إذ الملاحظ - هنا - وبخاصة في موضوعنا:

١. أن الموضوع المبحوث عنه وفيه قد لا يأتي واحدًا من المحتملات التي ذكرها الباحث، وفي هذه الحال يصبح البحث عقيمًا لا يوصل إلى النتيجة المطلوبة.

٢. أن مثل هذا البحث الذي يقوم على الاحتمالات فيه شيء من الإطالة غير المرغوب فيها.

٣. أن البنوك حقيقة مادية (جزئيات) قائمة في واقعنا، وماثلة للعيان، يمكن معرفتها بشكل مباشر وبيسر، وذلك من خلال الدراسة الميدانية».

وبعد كل هذه المحاذير التي يراها في اتجاه الفقيه نحو الاستدلال عبر المنهج الفلسفي في مثل هذه الموارد، يخرج الشيخ الفضلي بنتيجة مهمة، يقول فيها:

«ومن هنا أرى لا بد من انتهاج طريقة الاستقراء أو الملاحظة، لمعرفة حقيقة البنك كموضوع يترتب عليه الحكم الشرعي، ويتم هذا عن طريق الدراسة الميدانية أو باتباع الخطوات المذكورة»[1].

ـ ترجيحه للمنهج الفقهي العرفي على المنهج الفقهي الصناعي:

حيث المنهج الفقهي الصناعي، قائم على تحليل بنيوية النص وتركيبه كلمة وكلامًا، كما يوظف هذا المنهج نظريات الفلسفة القديمة والإسلامية ومبادئ علم الكلام، وضوابط علم المنطق اليوناني، وما إليها من عقليات، أي إن النص الشرعي يدرس في ضوء هذه القواعد العلمية، وعن طريقها يتوصل الفقيه والباحث الفقهي إلى دلالة ومدلول النص الشرعي، ومن ثم يستخلص الحكم منه، ويقابل هذا المنهج الفقهي الصناعي المنهج الفقهي العرفي، ويعني الشيخ الفضلي بالفقيه العرفي، هو

(١) م. ن، ص ٤٤-٤٥.

ذلك الفقيه الذي إذا درس النص الذي سيعتمد عليه في الفتوى، تكون دراسته له مع لحاظ كيف يتعامل العرف (وهم أبناء المجتمع) معه، وبمعنى آخر فهم النص من القرائن الاجتماعية المحيطة به وبالملابسات الأخرى التي لها ارتباط به، لأن الفقيه الذي يعتمد على الدراستين: الداخلية للنص من حيث بنيويتها، والخارجية من خلال ملاحظة كيف يتعامل العرف معه، سيكون الأقرب إلى طبيعة وواقع فهم النصوص الشرعية، وعلى أساس من هذا، يفضل الشيخ الفقيه العرفي على الفقيه الصناعي(١).

ويؤكد الشيخ الفضلي رجحان منهج الفقيه الذوقي العرفي على الفقيه الصناعي بما يلي:

أولاً- إن الموقف الفقهي من السلوك إلى معرفة معنى النص الشرعي يتمثل في التالي:

١. الاعتماد على الدراسة الداخلية للنص بتطبيق القواعد العلمية عليه، والاقتصار على ذلك، أي إن الفقيه يعتمد على الصناعه العلمية فقط، ومن هنا نعتوه في عصرنا هذا بالفقيه الصناعي.

٢. الاعتماد على الدراستين معًا الداخلية والخارجية، وفي حالة حصول تناف بين الدلالتين البنيوية والدلالة البيئية، أو اختلاف بين الفهم العلمي والعرفي، تقدم نتيجة الفهم العرفي على نتيجة الفهم العلمي، وذلك للسببين التاليين:

أ. أنه قد ثبت من الاستقراء لاستعمالات المشرع الإسلامي في خطاباته وحواراته أنه يسلك طريقة الناس العرفية.

ب. أن استعمال العرف هو بمثابة القرينة، والقرينة في حالة تعارضها تقدم عليه لأنها مفسِّرة، والمفسِّر يقدم على المفسَّر، وهذا من القضايا الواضحة.

والذي يتحكم في الفهم العرفي هو ما يمتلكه الفقيه من ذوق أدبي يوقفه على نكات التعبير، ودقائق التركيب اللفظي، كما أن الذي يحكُم فيه هو ما يحمله الفقيه من حس اجتماعي يدرك به عرفيات النص التي يضيفها الاستعمال الاجتماعي على مغزاه ومؤداه التي هي فوق القواعد والتي هي من نتائج الطريقة الاجتماعية

(١) الشيخ الفضلي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مجلة الكلمة، العدد ٥٥.

(العرفية) في التعامل مع الصياغات الكلامية ودلالتها، ومن هنا نعت هذا الفقيه بالفقيه الذوقي، وأيضًا وعلى أساس منه ندرك أهمية وضرورة إطلاع الفقيه على حضارة عصور التشريع الإسلامي، وبخاصة ما يرتبط منها بفهم دلالات النصوص الشرعية، كما لا بد من دراسة دلالة النص الشرعي من أجل أن نتحرك داخل إطار المبدأ العام للتشريع الإسلامي الذي راعى فيه المشرع الإسلامي أن يلتقي دائمًا وأبدًا مع طبيعة الانسان في تكوينه الجسدي والروحي والنفسي والعقلي، تلك الطبيعة التي عبر عنها تعالى وتقدس بالفطرة: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم ٣٠]، وداخل دائرة علاقاته الاجتماعية فردًا وأسرة ومجتمعًا ودولة، وبها يحافظ على مقاصد الشريعة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال»[(١)].

ولأجل هذين المنطلقين، تجد أن الشيخ يمارس دور الفقيه الذوقي العرفي بشكل جاد، وعليه إذا أراد أن يطرح موضوعًا لبحثه، تجده قبل أن ينتقل إلى البحث الميداني ليلاحظ أبناء المجتمع، وليجمع القرائن الاجتماعية المحيطة به، وبالملابسات الأخرى التي لها ارتباط بالموضوع، يبحث الموضوع في إطاره العلمي مشخصًا إياه لغة واصطلاحًا وبشكل موسع من كل الاختصاصات، الفقهية، والقانونية، والاقتصادية، وبالمصطلحات اللغوية على اختلافها إذا كانت لها أهمية في تشخيص الموضوع، ومن ثم يتجه إلى دراسة النصوص الشرعية.

وهذا لا شك فيه دور بحثي جاد من شأنه أن يفتح ذوي الاختصاصات المختلفة على الموضوع المطروح على مائدة البحث، بشكل يزيل اللبس ويسد الفجوات المعلوماتية، مما يسهل أخذ الحكم الشرعي في ضوء الضوابط الفقهية المعروفة، بكل وضوح ويسر، وهذا التنوع في الاستفادة من ذوي الاختصاصات المختلفة يعكس جانبًا من موسوعية الشيخ، وسعة اطلاعه.

ولعل في ظل هذا الترجيح الذي يراه الشيخ الفضلي من ضرورة للتحول إلى منهج البحث العلمي قدر الطاقة، وأن يكون الفقيه ذوقيًا عرفيًا ما يعزز من ضرورة قيام مؤسسة تعنى بدور تزويد مكاتب الفقهاء ببيانات عن المنتجات البنكية،

---

(١) الشيخ الفضلي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مصدر سابق.

وتكييفها شرعيًّا في مرحلة أولية من الناحية الفقهية ثم تقدمها بعد ذلك للفقهاء من أجل النظر فيه، وتقديم الفتاوى المناسبة حيالها، وفق معطيات الميدان، ويكون في ذلك براءة لذمة المكلفين.

ثانيًا: البعد التطبيقي لمد الجسور بين الاختصاصيين لفهم موضوعات فقه المعاملات.

في ظل الإطار التنظيري الذي طرحه الشيخ الفضلي لدور الفقيه الذوقي العرفي، الذي يوظف منهج البحث العلمي الاستقرائي في موضوعات فقه المعاملات قدر الإمكان، مما لا شك فيه بأن طرحه لهذا الموضوع في حد ذاته يعتبر إنجازًا مهمًّا على مسار تطور دور الفقيه، الذي يرجع له المكلفون في ممارساتهم، سواء كانت العبادية أو المعاملاتية.

ومن أجل المطابقة بين ما تم تنظيره، وما تم تدوينه في كتابه الموسوم بـ «معاملات البنوك التجارية»، أقترح بألَّا يتم ذلك في عجالة من الأمر، وإنما تعطى فرصة أوسع من حيث الوقت والأدوات، لا سيما وأن هذه المنهجية مستخدمة وبكثرة في الدراسات الأكاديمية في أطروحات الماجستير والدكتوراه، والبحوث المنشورة في المجلات المحكمة، بل وبعض المؤسسات المتخصصة في الدراسات الفقهية المالية، لدى المذاهب الإسلامية الأخرى[1]، وفي سياق هذا المقترح أرى بأن تعقد لها أطروحتين علميتين وذلك كما يلي:

---

(١) انظر على سبيل المثال:

- الدكتور أحمد بن حسن الحسني، الوداع المصرفية، (مكة المكرمة: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠-١٩٩٩م).
- الدكتور عبد الرحمن بن صالح الأطرم، الوساطة التجارية في المعاملات المالية، (الرياض: دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ١٩٩٥م).
- الدكتور يوسف عبد الله الشبيلي، الخدمات الاستثمارية في المصارف وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ٢٠٠٥م).
- الدكتور أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).
- الدكتور عمر مصطفى جبر إسماعيل، ضمانات الاستثمار في الفقه الاسلامي وتطبيقاتها المعاضرة، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٠- ٢٠١٠م).
- الدكتور صهيب عبد الله بشير الشخانبة، الضمانات العينية: الرهن ومدى مشروعية =

الأطروحة الأولى: يتم فيها المقارنة العلمية بين ما نظره الشيخ في منهجيته القائمة على ضرورة ممارسة دور الفقيه الذوقي العرفي الذي يوظف منهج البحث العلمي الإستقرائي في موضوعات فقه المعاملات وبين ما أنجزه الشيخ في كتابه الموسوم بـ «معاملات البنوك التجارية». يتم من خلاله اختبار عدة فرضيات للتأكد من صحتها، وتبدو أهمية هذا البحث في حالة تمامه - وذلك من خلال الربط التطبيقي ما تم تنظيره وما تم إنجازه في الكتاب المذكور- سيكون زادًا علميًّا لطلاب العلوم الشرعية، كما سيعمل على تزويدهم بمهارة الممارسة العملية لمنهج الفقيه الذوقي العرفي في فقه المعاملات فيما بعد.

الأطروحة الثانية: وهي دراسة تتجاوز حدود القبول الأولي لهذه المنهجية بحيث تدرس مدى كفاية الأدوات التي طرحها الشيخ لتمكين الفقيه من قيامه بدور الفقيه الذوقي العرفي؟ وما هي مجالات التطوير المتاحة في هذا المنهج؟ وما أثرها على واقع الدراسات العليا الشرعية؟ وما هي أوجه الدعم المطلوبة من المؤسسات الاختصاصية لدعم طلاب العلوم الشرعية فيها؟ لا سيما إذا علمنا بأن هذه المنهجية تستلزم من الفقيه الذوقي أن يخرج إلى الواقع الاجتماعي، والحال أن بيئة مثل هذه البحوث تكتنفها العديد من المعوقات، الأمر الذي يستلزم تقديم الدعم والمساندة له، من جهات بحثية متخصصة في إجراء البحوث الميدانية لتوفير المعلومات الأولية من مجتمع الدراسة التي سيتولى دراستها تمهيدًا لإصدار الحكم الشرعي حولها كمرحلة نهائية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما مدى أثر دراسة هذه المنهجية على الملكات البحثية لطلاب العلوم الشرعية الذين سيدرسون هذا الكتاب لا سيما وأن الشيخ الفضلي طرح هذا الكتاب ليكون كتابًا دراسيًّا في مرحلة السطوح؟

استثماره في المصارف الاسلامية، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

- فتحي زناكي، شركات المساهمة في القانون الوضعي والفقه الاسلامي، (دار النفائس للنشر والتوزيع)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

المطلب الثاني: حفاوة الشيخ بالمؤلفين:

لقد عاش الشيخ الفضلي الكتابة فعشقها، وأحب كل من يأخذها طريقًا في بناء الإنسان ومعارفه، حتى صار قِبلَة لمن أراد الاسترشاد والاستئناس بوجهات نظره، ليس من أجل التصويب والتصحيح فقط، بل ومن أجل التوسع والإفاضة في الموضوعات التي سيكتب فيها، إذا كانت في مجال الدراسات القرآنية، والقراءات، والحديث وعلم الرجال، والفقه، والأصول، واللغة: نحوًا، وصرفًا، وبلاغة، وأدبًا، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام، والتاريخ الإسلامي، وكل علم من العلوم الإسلامية، لأنه سيجد فيه عالمًا لا ساحل له، وسيدرك عن قرب مصداقية مقولة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ﷺ فيه حينما خرج الشيخ الفضلي من الحوزة وتوجه إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٧١م، حيث قال له: «إن مما يحز في نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد في الإقامة فيها أمثالكم، ممن يرفع الرأس عاليًا، ويشكل رقمًا من الأرقام الحية على عظمة هذه الحوزة، التي تتيح رغم كل تبعثرها، أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاص إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدبًا وثقافة، وعلى أي حال سواء ابتعدت عن الحوزة مكانًا، أو قربت، فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها، وأرجو أن لا يكون انقطاعك عنها إلاّ شيئًا عرضيًا».

لهذه الملكات لم يتردد العديد من طلاب العلم والأكاديميين في أن يعرضوا تجاربهم الكتابية عليه.

ـ قناعة الشيخ بأهمية التأليف كرسالة للمبلغين والدعاة:

إن الفضلي لشدة اهتمامه وقناعته بأهمية التأليف والكتابة لتجده عندما يكون في مقام تقييم تجارب العلماء وطلاب العلم، يرى بأن من لا يكتب، أو يغادر هذه الدنيا دون أن يترك مؤلفًا ينتفع به الناس فقد انثلم جانب كبير من وعاء رسالته كداعية، ومبلغ لشرع الله بين العالمين.

فهو يرى بأن العالم إذا كتب يكون بذلك ترك بصمته الفكرية على طول خط الزمان الذي عاشه، والذي لم يعشه أيضًا: الماضي، والحاضر، والمستقبل، فبصمته على من سبقه تنكشف من خلال مناقشاته لآراء الماضين، أو عند اقتباسه لنصوصهم وقبوله لها، أو تقويمها، وبصمته في حاضره تتمثل في تناولاته الفكرية وإفاضاته

الإبداعية، واستشرافاته المستقبلية، وبصمته في مستقبله تتمثل في كون أفكاره ستحتويها دفات الكتب لتسجل صوتًا سيظل يدوي عبر الأجيال في مسامع الزمن، بل وسيجني ثمار جهده أكثر وأكثر إذا جاء من بعده من يكمل لوحته الفكرية لتتذوق جمالها الأجيال، ويكون بذلك ساهم هذا الأخير في إحدى خطوطها وألوانها.

ومن مؤشرات قناعته تلك، وجدته لما أتيته عند كتابتي لكتاب «ملامح الحياة الفكرية والأدبية في الأحساء»، ونويت خلالها التوسع في كتابة سيرة بعض الشخصيات العلمية الأحسائية لمختلف الطيف المذهبي فيها من إمامية وأحناف، وشافعية، ومالكية، وحنبلية، ونظرًا لِكَمِّها الكبير ذكرت له أني استرشدت برأي الشيخ عبد الرحمن الملا مؤلف كتاب تاريخ هجر، في خصوص من أكتب عنه من علماء أحسائيين من غير علماء الإمامية الأحسائيين، وقد فاجأني الشيخ عبد الرحمن حينها بأن أكتب فقط عمن كتب، لأنه وإن فقدت أشخاصهم لدى جيل الحاضر والمستقبل، فهو باق بينهم بعلمه وفضله الذي كتبه، ولا يزال يستفيد الناس من إنتاجه، عندها أردف الشيخ الفضلي بقوله: نعم وهو الرأي الصواب، وزاد عليها ما ذكرته من مرئياته حول ضرورة التأليف، وكيف حال العالم إذا كتب يكون عاش بخط زمني طويل يمتد أوله في الماضين وينتهي في القادمين.

ولأجل هذا العشق الذي عاشه للبحاثة والمؤلفين تجده يمنح الأوراق التي تدخل مكتبه العناية الفائقة للمراجعة، سواء كانت بغرض الاطلاع أو التصويب، أو التصحيح إن استلزم الأمر، حتى ليحسب المؤلف أن الشيخ الفضلي ليس له من عمل غير تصحيح الكتب ومراجعتها، وتصويبها إن استلزم الأمر لفرط سرعته، واهتمامه بما يقدم إليه، وكلمة: (إن استلزم الأمر) أكررها، وأعني بها من خلال هذا التكرار الشيء الكثير والمهمّ الذي يميز الشيخ عند مراجعته لكتابات الآخرين، حيث تجد فيه الأدب الجم، والذوق الرفيع، بحيث لا يقتحم عالم الكاتب وأفكاره إلا بوجه حق.

وهذا ما لاحظه الدكتور أحمد فتح الله التاروتي مؤلف كتاب «معجم ألفاظ الفقه الجعفري»، وهو ممن عركته الأيام والبحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وكان لاحتياطه العلمي فيما كتبه في كتابه المذكور أراد أن يستأنس برأي مختص في مجال الفقه، فقد ذكر لي شطرًا من تجربته عند تأليف هذا المعجم النافع لطلاب المعرفة في

مجال الفقه، وخلاصتها أنه لما أنهى دراسته في أمريكا ومن أرقاها مستوى في مجال البحث العلمي، حيث لا يتاح لطالب الدكتوراه أن يسجل عنوان أطروحته ليتم تحديد مشرف عليها إلاّ بعد أن ينشر بحثين محكمين في مجلة علمية معترف بها، وفعلاً قد اجتاز كل تلك الصعاب، وقد كان مجال دراسته في اللغات، وبالتحديد في مجال اللغة العربية، ومن جامعة أمريكية، وذلك بعدما أنهى درجة البكالوريوس من جامعة الرياض والمسماة حاليًا جامعة الملك سعود.

وفي ظل هذه المعطيات عن شخصية الدكتور أحمد، ندرك بأنه قامة علمية كبيرة، ليس بحاجة إلى مراجعة كتابه معجم ألفاظ الفقه الجعفري إلا احتياطًا منه، ونزاهة واحترامًا للاختصاص الفقهي، وهو شعور وممارسة ليست بالغريبة على فاضل ومختص مثله، ولو أنه لم يدون كتابه المعجم المذكور لن يمس ذلك من رسالته كأستاذ جامعي شهدت له مجلات البحوث اللغوية المحكمة، والجامعات التي تخرج فيها بملكاته العلمية، وببحوثه العلمية المتقدمة.

يقول: عنّ لي أن أكتب معجمًا لألفاظ الفقه الجعفري، فاعتزلت في شقة في الأحساء لمدة سنتين، حيث جامعتي التي أدرس فيها آنذاك جامعة الملك فيصل بالأحساء، وعائلتي تسكن في مدينة تاروت في محافظة القطيف، وكتابتي لمعجم فقهي لم يكن من واقع الاختصاص كفقيه، وإنما من واقعي كلغوي أمتلك مهارة إعداد المعاجم في أي مجال من المجالات، فاخترت ألفاظ الفقه الجعفري؛ رغبة مني في خدمة العلم الشرعي، ولما فرغت من المعجم قدمته إلى الشيخ الفضلي، فما كان منه إلاّ وفي وقت وجيز جدًا، قد أرجع الكتاب، وبه بعض الملاحظات العلمية والفنية، وقد ذيلها بملاحظات بالقلم الرصاص، مفادها: بأن لي القرار بالأخذ بتلك الملاحظات أو عدمها، وزادني دهشة منه أن أجده ذات يوم بعد وفاة والدتي يقف على باب البيت معزيًا، ومعتذرًا عن تأخره في تقديم واجب العزاء له في حينه، لعلمه بوفاة والدتي متأخرًا، على الرغم بأنه لم تجمعني به صحبة طويلة، ولما أبديت حرجي من تجشمه عناء الوصول إلى البيت بعد انتهاء أيام العزاء، حيث فيه مشقة على الشيخ وهو في ذاك العمر، فأجابني بأنه لم يقم بغير الواجب. ولعل هذه الحادثة تكشف عن عمق احترامه وتقديره للعلماء الكتّاب، وحفاوته بما يكتبون.

هذا شأنه مع النخبة العلمية التي التقت معه في محور التأليف، وتراه بنفس هذه الروح الطيبة ينفتح على الذين يبدأون تجاربهم الكتابية، بل ويبارك لهم أعمالهم إذا

طبعت، كما لو كان يبارك لأحدهم بولادة ولد له، وقد عايشت إحدى تلك التجارب مع أحد المؤلفين، ولم يكتفِ بأن يستقبل من يفد إليه بعنوان الدعم في مجال التأليف والكتابة، بل تراه يبحث عنهم وعن إنجازاتهم ويبرزها للعالم، ولا أدل على ذلك كتابه الذي جمع فيه عناوين مؤلفات الأحسائيين، بشتى اختصاصاتهم، الدينية وغير الدينية.

وكم كان تفاعله بالغًا لما طلب منه «مهرجان الغدير» في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء في عام ١٤١٢هـ - وكان تحت رعاية سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي الهاشم العلي، وإدارة الشيخ عادل بن علي الأمير - بأن يكرر تجربة مسابقة البحوث التي أشرف عليها في لندن، وقد جاءته هناك بحوث بالعديد من اللغات، ومن عدة جنسيات: العربية، والإنجليزية، وغيرها من اللغات، وكما بلغني منه أن أحد اليابانيين في لندن تقدم ببحث عن الإمام علي عليه السلام حيث دفع ما هو بلغات أجنبية لمختصين في تلك اللغات.

أما التجربة الأحسائية في مسابقة مهرجان الغدير المذكورة، فقد بارك الدعوة وواصل المشوار: تحديدًا للعناوين، ومراجعة للبحوث، وتصحيحًا لأخطائها، وتقييمًا لها تمهيدًا لتحديد مراكز المتسابقين، وتسليمًا لجوائزها، وقد أسهم في تحكيم البحوث معه سماحة الشيخ الدكتور محمود المظفر، حيث كان يقوم بالتدريس آنذاك في جامعة الملك عبد العزيز بجدة بقسم النظم بكلية الاقتصاد والإدارة، وكررت التجربة مع إضافة مسابقة الترجمة فيها، وكان هذا في عام ١٤١٣هـ، وقد صدرت العديد من الدراسات وتم طبعها.

ـ عنايته بتقريظ المؤلفات:

وأما تقريظ المؤلفات فله شأن آخر، حيث ينفق من وقته الثمين للتقريظ والتزكية، احترامًا وتقديرًا للجهد المبذول فيها، ولعلمه بما سيتركه في أعماق الكاتب حينما يزفه إلى العالم كاتبًا واعدًا، أو ربما كاتبًا جديرًا لكنه بحاجة إلى كسر حاجز وهمي في نفسه وفقط، وبالتالي كتابة تقريظ له يعمل في نفسه الشيء الكثير، وكأنما يزف شابًا إلى عروسه.

ومن الملاحظ أن الشيخ الفضلي كان يكتب تلك التقاريظ، بعد قراءة كامل الكتاب وتصحيح ما به من أخطاء إن وجدت، سواء كانت نحوية، أو إملائية، أو تاريخية أو شرعية، بعدها يكتب تقريظه، وهذا ما وجدته من خلال مطالعتي لما قام

به من تقريظ لبعض الكتب التي قرَّظها، كل هذا وهو في حالة من أصعب أيام حياته ضيقًا وحرجًا. حيث إنه يشعر بأن صحته في تدهور مستمر، وأن أيام سنين حياته في عدد، ولم يغادر جامعة الملك عبد العزيز بتقاعد مبكر، إلا من أجل أن يتفرغ فيما بقي من عمره الشريف لإنجاز مشاريعه التأليفية وبالخصوص في مجال كتابة المقررات الدراسية، وتطوير موادها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، وإذا بالكتَّاب تأمل منه أن يكتب لهم تقاريظ لكتبهم، ومع ذلك تراه قد آثر الجميع بوقته الثمين الذي كان ظنين به إلاّ عن المؤلفين والباحثين.

ولكن يحسب له من إنجازاته في مجال التأليف ودعم المؤلفين، أنه قرظ ١٣٠ كتابا، و٩٥٪ من تلك التقاريظ قدمها للمؤلفين بعد تقاعده من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وعليه يمكن الخروج بنتيجة مفادها أنه بدوره هذا قد أسهم بشكل جوهري في دفع حركة التأليف في المنطقة.

ومع هذا وذاك وفي غمرة هذه الظروف بين اعتلال الصحة، وطلب المؤلفين أن يراجع لهم كتاباتهم، تجده لم يتخل عن القلم والدفاتر والمراجع، حتى في نقاهته بعد وعكته الأولى والتي طلب منه الأطباء فيها أن يستريح من عناء جدوله اليومي الشاق، وإذا به يكتب ثلاثة كتب ما بين عام (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) وعام (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) وهي: «خلاصة الحكمة الإلهية»، و«الموجز في علم التجويد»، و«من مصادر الفكر الإمامي في العقيدة والتشريع»، بعدها أصيب بمرضه الأخير الذي لازمه حتى آخر أيام حياته، فصح أن يقال عنه: أن الفضلي كتب ثلاثة كتب بين وعكتين.

□ المبحث الثالث: مدى إمكانية استنساخ تجربة الفضلي في البحث والتأليف

ما أحوجنا إلى استنساخ امتياز تجربته في عالم التأليف والكتابة، بغض النظر عما سطره في بعض منها من وجهات نظر، قد تجعله في مقام النظر والتأمل من قبل البعض، والقبول والتأييد من البعض الآخر.

فتجربته مع القلم والكتابة يميزها أنها ستظل خالدة ما بقي الدهر، وهي سنة الله في خلقه، وهذا هو ديدن العلم المكتوب، قد تكون أعيان المؤلفين فيه مفقودة،

لكن آثارهم بين أيدي طلاب المعرفة موجودة، فقد انتقل إلى رحمة الله، وفارقنا ولم نَرْتَوِ بعدُ من منهل تجربته، ولكن مما يحسب له أنه دوّن شطرًا من علمه على صفحات الكتب، لتظل رسالته خالدة ما خلدت الأيام والسنون، واستفادت منها الإنسانية حيثما وصلت إليها.

وعندما أطل على القراء بمسألة استنساخ امتياز تجربة الفضلي في الكتابة والتأليف، ربما أقولها من باب ما ينبغي أن يكون في حياته وليس بعد رحيله، لأن استنساخ امتياز التجربة لأي مبدع، هي في واقع الأمر علم قائم تتكفل به بعض التقنيات في مجال التنمية البشرية، ولو تمكنا من ضبطها وتقييدها آنذاك لكان لها الشأن الكبير في تسرية نجاحه إلى متطلع للنجاح في مجال الكتابة، وفعلاً أشعر بالخسارة أني لم أقف عليها بشكل تفصيلي لكن تلمست بعضها من خلال حديثه في جلسات متفرقة، وهي جديرة بالذكر على الرغم من تفرقها، لذا سأذكر بعض ما لدي منها، وهي كالآتي:

١. الاطلاع المكثف على الموضوع المراد الكتابة فيه، بشكل مسبق حتى إذا ما جاء دور الكتابة يكون لدى الباحث رؤية واضحة، ولا يمنع من تدوين المقتطفات والملاحظات على ما يقرأ، وفي حالة عدم الأخذ بهذه الخطوة سيجد الباحث أنه في مراحل متقدمة من البحث، قد يتعرض للترقيع، لاسيما إذا ما واصل مطالعاته في المراجع والمصادر، حيث من المحتمل أن تبدو له فكرة إضافة استشهادٍ مهمٍ أو فصلٍ، أو مبحثٍ، أو مطلبٍ دون الإعداد والتهيئة له في الخطة البحثية، وإذا ما أراد أن يقحم تلك الإضافة المهمة في نظره والتي تولدت بفعل المطالعة، سيجد أن من الصعوبة بمكان إدخالها، وإن حاول سيكون بعد جهد جهيد، وإن لم تنفع المحاولة حتمًا سيصاب بحثه بالترقيع كما ذكرت، وسيكتشفها من له خبرة بالبحوث والدراسات، بل وحتى القارئ النبيه.

٢. إذا ما تم كتابة النص، على الكاتب أن يترك ما كتبه وينشغل بأي أمر آخر سواء بقراءة موضوع ما، أو إنجاز عمل مكتبي آخر، أو ربما السعي لشأن عائلي، ثم يعود للنص مرة أخرى، عندها سيكتشف ثغراته البحثية، وربما أخطاءه الاستدلالية، أو أخطاءه اللغوية، والإملائية، وإن سلم البحث من كل هذه المشاكل والعيوب، ربما سيجد بصيصًا من النور في آفاق بحثه يلزمه متابعته، عندها سيجد مجالاً للتطوير والإضافة.

٣. تنظيم الوقت، وما أدراك ما تنظيم الوقت في حياة الشيخ الفضلي، هي مسألة جادة غير قابلة للمزاحمة، إلا ما استقطعه أو خصصه في برنامجه اليومي، وقد دونت تجربته تلك بشكل تفصيلي في كتابي: الناجحون: تجارب وعادات، قلت فيها:

«لقد أتاحت لي العلاقة مع الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجالاً للاطلاع على برنامجه اليومي بعد أن تقاعد من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وكان برنامجه مثالاً للاحتذاء فقد أثمر عن شخصية ناجحة، بل تحول بفضل الالتزام بتنظيم الوقت إلى مدرسة للنجاح في عدة ميادين علمية وميدانية، فهو الآن أحد أعلام العربية على الصعيد العالمي، وعالم ديني بارز، ومفكر، وكاتب، وأديب بارع، عاش الدراسة الدينية في أرقى منازلها العلمية، ومارس الحياة الأكاديمية وكان في الطليعة المميزة بين أعضاء هيئة التدريس فيها.

برنامجه اليومي يبدأ والعالم من حوله يغط في سبات عميق، عدا أمثاله من الناجحين، فهو يستيقظ باكرًا، قبل الفجر بساعة، أو ساعتين ويشرع في برنامج عبادي، وبحثي حتى تشرق الشمس، بعدها يتناول الإفطار، ثم يطّلع على الصحافة المحلية، ليواصل بعدها مشوار بحثه حتى الظهيرة، وبعد صلاة الظهر والعصر، وأخذ قسط من الراحة وتناول الغداء، يفرغ لأبنائه وأحفاده وأسباطه، عصرًا وحتى الغروب، وبعد صلاة المغرب والعشاء يستقبل زواره بشكل منتظم حتى الساعة التاسعة ليلاً، ثم يخلد للنوم استعدادًا ليوم آخر حافل بالنجاح والإنجاز. وبفضل هذا البرنامج ألّف من الكتب والمراجع العلمية ما يربو على ستين كتابًا، ولعل برنامجه يشتمل على نظام يشترك فيه العديد من الناجحين، وذلك القاسم المشترك هو إيداع أكبر إنجازاته في وعاء يومه قبل كل شيء ثم يتفرغ للأمور الاعتيادية المطلوبة منه كأب مع أبنائه، أو كعالم بين روّاده من الباحثين والمثقفين.

الملفت في تجربة الشيخ الدكتور أنه استطاع أن يطبع أفراد عائلته ببرنامجه، واستوعبوها جيدًا، فرسالته في الحياة معلنة لدى الجميع، بل والكل يعلمها ويقدرها، ولذا يسعون بتهيئة الظروف لإنجاحها، وقد حدث أن عشت واحدة من المواقف الكاشفة عن هذا الأمر.

ففي إحدى الليالي التي كنا نتردد عليه بمنزله المسمى بـ «دارة الغريين» بحي المباركية في مدينة الدمام عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، وكان كعادته عالمًا، رائعًا في عرض

معلوماته مهما تنوعت من حيث المشرب الفكري، طال بنشأتها الزمان أو قصر، حيث له من الذاكرة القوية والرصد الدقيق للأحداث: قديمها وحديثها ما يلفت الانتباه ويثير الاعجاب، وقد ازدحم المجلس بالحضور في تلك الليلة، وزادت المشاركات والمداخلات من الضيوف، ما أدى بالجلسة أن تزحف على موعد ختام برنامج الاستقبال اليومي المقرر سلفًا، فما كان من ابنه الأستاذ فؤاد إلاّ أن اعتذر بطريقة لبقة كعادته، موضحًا أن برنامج الشيخ قد انتهى ولا بد أن يستعد للنوم»[١].

هذا بعض ما وقفت عليه منه ﷺ، وربما تكشف الأيام عن باحث استطاع أن يرصد بشكل تفصيلي عن الخطوات التي يعتمدها الشيخ كتقنية دأب عليها، فتقنن ويستفاد منها، وهذا أمر موكول إلى الأخصائيين في مجال الهندسة النفسية بشكل حصري.

□ المبحث الرابع: القواسم المشتركة التي جمعت ابن أبي جمهور وابن زين الدين والفضلي

بعد أن تجولنا في حياة هؤلاء الأعلام الأحسائيين الثلاثة، لعل من الجدير بنا أن نستخلص الدروس من حياتهم، وسيرتهم العملية، لنرى كيف أصبحوا أرقامًا عالمية، تخدم الإسلام، وتنشر راية المعرفة، كما أنها مثّلت الأحساء عالميًّا، في حراكه نحو العلم والمعرفة، وهذا أمرٌ منسجمٌ مع واقعها المعرفي والثقافي، فهي رحم علمي كبير كما يشهد بذلك مراقبي الساحة العلمية، أكدت على طول تاريخها القديم والمعاصر بأن أرضها لم تخل من المدارس العلمية، فقد أحصيت في كتابي فقهاء الأحساء الصادر بتاريخ ١٤١٥هـ من شهدت لهم العلماء بفقاهتهم بالمعنى الاصطلاحي الذي يعني القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ٤١ فقيهًا أحسائيًّا من المذهب الإمامي، وهو مرحلة مبكرة في الإحصاء، إذ من المتوقع أن يرتفع العديد في تاريخنا المعاصر إلى ٥٠ فقيهًا، وذلك بلحاظ كثرة الفضلاء الذين بلغوا درجة الفقاهة من الجيل المعاصر لاسيما منهم من تفرغ للدراسة الدينية في معاقلها العلمية في كل من العراق وايران في العقود الخمسة الماضية وقد وقفت على الإجازات الفقهية للعديد منهم.

---

(١) محمد بن جواد الخرس، الناجحون تجارب وعادات، (الأحساء: مصنع الجواد للطباعة والتغليف، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ص ٨٣-٨٥.

وإنّ مما يعزّز بديهية هذه النتيجة هو أن الأحساء تحظى بطيف مذهبي يندر وجوده على مستوى العالم في مساحة جغرافية لا تزيد مساحتها عن ٥٣٠ ألف كم مربع، تشكل الصحراء منها ٤٠٪ من مساحتها، وفي الوقت ذاته تحتضن أكبر واحة على مستوى العالم وفق أدق المقاييس الدولية في تعريف الواحات، أغلبها أشجار النخيل، وكما احتضنت النخل بثماره اليانعة، احتضنت بيوت العلماء، وما يتصل بهم من مراكز ذات صلة في بعد إشعاعهم الروحي: من مساجد، وحسينيات، وأربطة علمية، ومدارس، وحوزات، ومكتبات، لذا تجد فيها العالم الإمامي، والحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي(١)، ليس على مستوى الأفراد بل عوائل علمية في المجال الشرعي لازمت الدرب طويلاً تتعهده، بفلذات أكبادها لتؤكد على طيب القرائح وحب العلم والمعرفة، بل وهناك حراك علمي نحو ولادة أسر علمية جديدة في مجال العلوم الشرعية، فقد برز في الجيل الجديد من بعض العوائل من أنجبت شخصيات علمية قدمت خدماتها الدينية في مجال الإرشاد الديني والتدريس، وبعض منها بلغ درجة الفقاهة، وأصبحت شخصيات علمية هامة في تاريخ العلم الشرعي في الأحساء، ولعل هذا الموضوع يحتاج إلى بحث بتأن وروية حتى يتم استيفاؤه من الناحية البحثية كمصاديق وليست عناوين فقط، ومن أراد التوسع في معرفة علماء الأحساء على شتى مذاهبهم وشخصياته السابقة والمعاصرة فيمكنه الرجوع إلى عدة مصادر مطبوعة أو على شبكة الإنترنت(٢).

---

(١) محمد بن جواد الخرس، مدينة الهفوف: مدخل حضاري لدراسة مظاهر الحياة في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء، (بيروت: مؤسسة الأسفار، ١٤٣١هـ)، ص٣٥٠-٣٩٧.

(٢) انظر على سبيل المثال:

- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، للشيخ علي بن حسن البلادي.
- مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، للشيخ جواد بن حسين الرمضان.
- منتظم الدرين تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، للشيخ علي بن حسن البلادي البحراني.
- أعلام هجر، للسيد هاشم الشخص.
- شخصيات رائدة من بلادي، للاستاذ معاذ بن عبد الله المبارك.
- الفهرس المفيد في تراجم أعلام الخليج، للأستاذ أبو بكر عبد الله الشمري.
- من أعلام مدينة المبرز، للأستاذ عبد الله بن عيسى المبرز.

ومما لاشك بأن لهم حضورًا في التوعية الشفهية والكتابية، لكن يغلب عليهم التبليغ الشفهي بشكل أكثر من التحريري، وهي سمة لازمت الكثير منهم، وحتى من كتب لم يعتنِ بطباعة ما يكتب[1]، وإن طبع فإن أغلب كتبهم تجدها في دائرتهم الخاصة، ربما لا تفارق الدول المطلة على الخليج العربي، هذا حال المؤلفين ممن سبقوهم وأقرانهم بدءًا من قرون ما قبل عهد الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي المتوفي ما بعد عام (٩٠٦هـ -١٥٠١م)، حتى أوائل القرن الخامس عشر الهجري، وبعد هذا التاريخ بدأت تُطِلّ علينا كتابات بأقلام أحسائية جديرة بالذكر، وهي تعكس حالة من الوعي نحو التأليف والنشر معًا، وعبر دور متخصصة، ولكن هؤلاء الأعلام الثلاثة، كان لهم ما يميزهم في تجربتهم العلمية لعل أبرزها ما يلي:

١. **الموسوعية المعرفية**، وهي لازمتهم جميعًا حيث لهم في أغلب مجالات المعرفة الاسلامية حضورًا معرفيًا، وكتبوا فيها إما كتبًا خاصة بكل علم، أو تعرضوا لمطالبها بشكل عرضي في بعض كتاباتهم، ما يعكس تضلّعهم في تلك المعارف،

- كتاب «مدينة الهفوف» السالف ذكره، ذكرت فيه الحوزات، والمدارس، والأربطة العلمية في مدينة الهفوف ومن تخرج فيها من أهل العلم، ومن أراد التوسع أكثر يمكنه الاطلاع في الكتاب نفسه، في الفصل الثاني منه على قائمة الدراسات والكتب والبحوث التي أعددتها عمن قام بالتأليف عن الأحساء فقط، حيث كشف الدراسة هناك عن مؤلفين عنها في مجال التاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والزراعة، والتعليم، والاجتماع، والفكر والأدب، سواء كانت باللغة العربية أو بلغات أجنبية، وما أرغب في الإشارة إليه هنا بخصوص الحديث عن حالة التأليف وطباعة ما يؤلف وينشر، أن هذا الفصل أورد العديد من أسماء المؤلفين وأغلبهم من الأحساء، كما يشير إلى أن هناك توجها إيجابيا لدى المؤلفين الأحسائيين نحو طباعة ونشر ما يتم تأليفه.
- العديد من المواقع الانترنت نشرت العديد من بيانات النشر للمؤلفات الأحسائية كما هو الحال في موقع مشهد الأحساء، وموقع المطيرفي، وموقع شبكة هجر، وغيرها من المواقع المهتمة بهذا الشأن.

(١) أدرجتُ في كتاب لي بعنوان «ملامح الحياة العلمية والأدبية في الأحساء»، وكان زمان تأليفه في عام ١٤١٤هـ، وقد صدر منه الجزء المتعلق بفقهاء الأحساء في المذهب الإمامي في تاريخ ١٤١٥هـ، وقد اشتمل الكتاب على بعض الإحصائيات ومن جملتها عناوين الكتب الذين كتبها علماء وأدباء الأحساء، وقد أحصيت آنذاك عناوين كتب علماء الأحساء وطلاب العلوم الشرعية من الإمامية فقط ما بلغ ٥٨١ كتابًا، بما فيها أغلب كتب ابن أبي جمهور، وكتب الشيخ أحمد الأحسائي، وكتب الشيخ الفضلي المطبوعة آنذاك، ويلاحظ عليها أن أكثرها يصدق عليها حكم أن من كتب منهم لم يطبع، ومن طبع كان انتشار كتبه في دائرة محدودة.

بل وقد يزيد عليهم الشيخ الأوحد باسترساله في بعض العلوم كالرياضيات، والكيمياء والطب، والفلك، والهندسة والعديد من العلوم التطبيقية.

٢. **التجديد والإبداع فيما يكتبون**، وقد لا يكون التجديد في أصل الفكرة فقط، بل يمكن أن يكون التجديد في طريقة العرض أيضًا، بما يناسب أبناء الجيل الذين عاصروهم، استجابة لمتطلبات الساحة التي يعيشها، كالشيخ الفضلي في أسلوب عرضه للعديد من العلوم في العربية، والمنطق، وعلم الكلام، والفقه، والأصول، بل أغلب كتبه تتسم بطابع التجديد في أسلوب العرض، ما جعل طلاب العلم في بدايات تعلمهم يهفون إليها؛ لكي يعرفوا المراد من ألفاظها دون أي احتمال آخر في فهم النص، وهذا ما كان يهدف إليه.

٣. **العناية بنشر ما يكتبون** عبر القنوات العالمية، وقد سهل هذا الشأن اطلاع أبناء الجيل الذي عاصرهم على ما يكتبون، ولكثرة رواجها وانتشارها، تعاقبت أجيال على قبول تلك المواد والحفاوة بها، حتى لقد بلغ من أحدهم وهو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، أنه كان يعتني بالحبر الذي تستنسخ به كتبه، من حيث جودتها، حيث له خبرة في المركبات الكيميائية، ووظف تلك في أحبار كتبه، أما الشيخ محمد بن أبي جمهور، فكان مدونًا لكل ما يراه نافعًا من حراكه، ومن تلك مدوناته لمناظراته مع الفاضل الهروي في مشهد بإيران، واستنسخت من بعده وتم انتشارها.

٤. **اعتماد الجهات المختصة لنتاجاتهم الفكرية**، حيث لم تبقَ تلك الإبداعات رهينة الإقبال الفردي من قبل القراء، بل اعتمدتها النخبة العلمية وكذلك الرسمية، إما كتبًا درسية، يتتلمذ عليه الطلاب، أو مرجعًا يرجع إليه العلماء في أبحاثهم، كما هو الحال في كتاب عوالي اللئالي للشيخ ابن أبي جمهور، حيث تحول إلى مرجع في علم الحديث للعديد من مراجع التقليد في مباحثهم الفقهية واستدلالاتهم، بل تحولت بعض الروايات التي نقلها في كتابه إلى قواعد فقهية من بعده، كقاعدة الناس مسلطون على أموالهم، وغيرها من القواعد التي مر الحديث عنها في هذا البحث عند الحديث عن الشيخ، وكذلك الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تحوّلت بعض كتبه إلى مراجع هامة في باب الحكمة الإلهية واعتمدها العديد من الأساتذة في إيران والعراق، ودول الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، بل وقد تسرّت العديد من المفاهيم التي كانت مستنكرة في زمان الشيخ إلى عبارات المتكلمين، وفي كتاباتهم من دون الإشارة إلى مصدريتها من الشيخ أحمد كما

صرح لي أحد الفضلاء بهذا الشأن. أما الفضلي، فقد تحولت بعض كتبه إلى مراجع في الحوزات العلمية، ككتب خلاصة المنطق، وتاريخ التشريع الإسلامي، وخلاصة علم الكلام، والعديد من الكتب. أما في الجامعات، كجامعة الملك عبد العزيز في جدة، فقد تخرجت الآلاف وليس المئات على كتبه خلال تدريسه هناك وحتى من بعد رحيله عنها، وظلت كتبه تطبع من بعده. وقد ساق لي حادثة طريفة في هذا المقام، وقد كان الحديث في معرض أمانة بعض دور النشر تجاه المؤلفين، فقد كان ضمن إحدى زياراته إلى مدينة جدة، وقد مر على دار الشروق بجدة، وكان يسأل عن بعض الكتب والإصدارات الحديثة، وقد تعرفوا عليه صدفة، فإذا بهم يكبرون له التحية، وفي الوقت ذاته يعتبون عليه قطيعته لهم طيلة هذه المدة، لأنهم قاموا بطباعة بعض الكتب دون إذنه؛ لكثرة الطلب عليها، ولم يتمكنوا بعدها أن يصلوا إليه لتسليمه مستحقاته كمؤلف، وقد كانوا يرحلون تلك المبالغ من ميزانية سنوية إلى أخرى، فما كان منهم إلا أن صاحبوه إلى قسم المحاسبة ليدفعوا له مستحقاته، ومن الجدير بالذكر أن كتب الشيخ الفضلي تدرس حاليًّا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، كما ترجمت بعضها إلى الإنجليزية من قبل إحدى الجامعات الأمريكية، وتدرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقم، والعديد من المراكز حول العالم.

٥. **الحضور الفعال في المناخات العالمية**، للتواصل مع النخبة العلمية، ومتابعة تطورات الساحة، ومتطلباتها، والإسهام الجاد فيها، وقد أهلهم لهذا الدور الحضور المعلوماتي في يكتبون فيه، بشكل يؤهلهم لمقابلة قراءهم، والرد على استفساراتهم، ورد إشكالاتهم، ولسان حالهم يقول:

علمي معي حيث ما كنت يتبعني   قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت قام العلم يتبعني   أو كنت في السوق كان العلم في السوق

◻ الخاتمة:

وتشتمل على النتائج والتوصيات:

النتائج:

لعل أبرز النتائج التي خلص إليه البحث، ما يلي:

١. أن الحاضرة الأحسائية تشتمل على رحم علمي كبير: درسًا وتدريسًا، ومن مختلف الطيف المذهبي: الإمامي، والحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، وقد مثلها عالميًّا في مجال العلم والمعرفة، من علماء المذهب الإمامي ثلاثة علماء امتازوا بالموسوعية المعرفية في العلوم الإسلامية، وهم: الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي، والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

٢. للأعلام الثلاثة تجربة كتابية موسوعية كبيرة في شتى العلوم الإسلامية، والعلوم المساندة لها في مجال العلم الشرعي: كعلوم اللغة العربية، وعلم الدلالة، وعلم الأسلوب، وعلم المنطق، وعلم الرجال، وعلم الحديث، وعلم الكلام، والحكمة الإلهية، والفلسفة القديمة، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه.

٣. اتسعت دائرة انتشار النتاجات الفكرية للأعلام الثلاثة لتتجاوز الحدود المحلية في النشر والاهتمام، فاهتمّ بها علماء من الشرق والغرب، والمراكز البحثية، والجهات المعرفية، وهذا يعود إلى قواسم مشتركة جمعت بين الثلاثة الأعلام، وهي:

أ. الموسوعية المعرفية.

ب. التجديد والإبداع في مؤلفاتهم وبحوثهم.

ج. العناية بنشر تأليفاتهم، وبحوثهم.

د. اعتماد الجهات المختصة لنتاجاتهم الفكرية، فضلاً عن اعتمادها من قبل الأفراد.

٤. أن نتاج الشيخ الفضلي الفكري المكتوب على هيئة مؤلفات وبحوث ومقالات وحوارات وتقاريظ للكتب بلغ: ٧٥ كتابًا، و١٥٥ مقالة، و١٥ حوارًا، و١٣٠ تقريظًا.

٥. أن الشيخ الفضلي، تجاوز حدود الذات في مسألة التأليف والكتابة، ليشكل بؤرة إشعاع فكري، جعلت منه مقصدًا للباحثين، والمؤلفين لمراجعة المؤلفات وتصحيحها واقتراح عناوينها ورعاية مهرجاناتها وتوسيع مدارك الباحثين في بعض جوانب مؤلفاتهم، الأمر الذي يوعز إلى رعايته تلك زيادة النشاط الفكري

في مجال التأليف في المنطقة، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن نسبة التقاريظ التي قرَّظها بعد تقاعده من جامعة الملك عبد العزيز بجدة بلغت ٩٥٪ من إجمالي تقاريظه.

٦. أن الشيخ عبد الهادي الفضلي، بفضل تدرجه المعرفي في الوسطين الحوزوي والأكاديمي، استطاع أن يشخص فرصة مهمة في بيئته الخارجية تتمثل في ضرورة تسرية مناهج البحث العلمي إلى الكتب الحوزوية، وكان من نتاجات تلك التسرية أن انفتح بها على العديد من العلوم الحديثة التي ينبغي أن تأخذ بها؛ لكون الذي يقرر طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم شيئان، هما:

أ. طبيعة مادة العلم.

ب. الهدف من وضع المادة.

٧. من أبرز المؤلفات التي يمكن التعرف من خلالها على مجالات التجديد التي قام بها الشيخ الفضلي للحوزات العلمية كتابا: «دروس في أصول الفقه الإمامي»، و«دروس في فقه الإمامية». وكان أبرز مواضع التجديد أنه طبق فيهما العديد من الأطر البحثية التي كان ينادي بها وفق منهج البحث العلمي، وسطرها كمنهجية في بداية كل من أطروحتيه، وبالتالي لم يكتفِ بالتنظير الفكري لمناهج الحوزة، بل قدم تجربة عملية في هذا المجال.

٨. مما رجحه الشيخ في منهج «دروس في أصول الفقه الإمامية» هو التخلص من المنهج الفلسفي والكلامي الذي أثقل كاهل هذا العلم، ليكون مدار بحثه في إطارين هما:

- المنهج اللغوي - الاجتماعي.
- المنهج الاجتماعي - الاجتماعي.

وذلك لكون الدرس الأصولي يعنى بمعالجة ظواهر اجتماعية عامة تتنوع إلى:

- ظواهر لغوية - اجتماعية.
- ظواهر اجتماعية - اجتماعية.

ومن شأن هذا المنهج في نظر الشيخ الفضلي أن يعود بأصول الفقه إلى ما كان في في عهد الشيخ المفيد حيث يقول: «ونحن بهذا نعود إلى المنهج الذي وضعه الشيخ

المفيد، والذي أقصي عن ميدان البحث الأصولي عن غير قصد، وإنما بتأثير هيمنة علم الكلام على منطلقات البحث الأصولي».

٩. مما رجحه الشيخ في منهج «دروس في فقه الإمامية» هو ضرورة أن يمارس الفقيه دور الفقيه العرفي الذوقي، في قبال الفقيه الصناعي، بحيث لا يكتفي بدراسة بنيوية النصوص، وإنما لا بدّ أن ينتقل إلى البيئة الخارجية ليعمل أدوات البحث العلمي، وفق منهج الاستقراء، أو الملاحظة قدر الطاقة، لا سيما منها في فقه المعاملات المالية لأنها غير ذات طبيعة مادية متجسدة في خارج الذهن، وإنما هي ظواهر اجتماعية تدخل ضمن فعاليات وآليات سلوك الإنسان، ووفق نظام خاص بها اعتمد في وضعه اعتبار المعتبر.

المقترحات:

لعل أبرز المقترحات التي خرج بها البحث، ما يلي:

١. عند استعراض تجربة الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي، اتضح أن حراكه البحثي أثمر عن جهود علمية في مجال رواية الحديث، وذلك في كتابه عوالي اللئالي، وأن هذا الكتاب استطاع أن يؤثر في مجال الاستدلال الفقهي، وقد طرح الشيخ حسين العايش البراك، في ورقة بحثية بعنوان: «الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي» العديد من الأدلة على أثر الشيخ ابن ابي جمهور في المباني الفقهية للعديد من الفقهاء، بحيث إن بعض روايات الشيخ تحولت إلى قواعد فقهية، هذا وقد خرج البحث باقتراح أن تتبنى في هذا الصدد جهة علمية للقيام بأطروحة علمية يُختبر من خلالها ثلاث فرضيات للتأكد من صحتها، وهي تدور حول أثر كتاب عوالي اللئالي في المباني الفقهية بعد صدور الكتاب المذكور، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تلك الروايات المشار إليها لم تدخل دائرة الاستدلال الفقهي لدى الإمامية.

٢. عند استعراض تجربة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، اتضح أن هناك دعوى من بعض الفضلاء، مفادها أن الشيخ وإن تعرضت أفكاره إلى رفض من قبل البعض في زمانه، ومن بعد وفاته أيضًا إلا أنها استطاعت بفضل تماسك أطروحته العلمية في مجال العقائد أن تتسرى مع مرور الزمن إلى الساحة العلمية المعاصرة، بل وتلقاها الكثير بالقبول في الوقت الراهن، ولكن لا تسند تلك المفاهيم إلى الشيخ أحمد الأحسائي، وهنا أيضًا تمّ التقدُّم بمقترح تقديم

أطروحات بحثية تتجاوز القبول الأولي لهذه الإفادة إلى ما هو أهم، ألا وهو بلورة مصاديق عملية تثبت صحة فرضية هذا المدعى من عدمه.

٣. عند استعراض تجربة الشيخ عبد الهادي الفضلي، اتضح أن فضيلته انطوت على جنبتين: حوزوية وأكاديمية، وقد أفضى هذا التلاقح الفكري عن تجربته في كتابيه: «دروس في أصول الفقه الإمامي» و«دروس في فقه الإمامية» إلى تطبيقات عملية لمنهج البحث العلمي القائم على الاستقراء والملاحظة، وقد تم التقدم في هذا المجال بمقترح أن تقدم أطروحات بحثية حول منهج الشيخ وأثره في الساحة العلمية، وملكات طلاب العلوم الشرعية الذين سيتتلمذون على كتبه في مرحلة السطوح، وأوجه تطوير هذه التجربة الفكرية التي أخذت بمعطيات العصر، وتحديات المرحلة.

٤. نظرًا لما يحتمل أن يواجهه الفقيه الذوقي العرفي في بحثه في مسائل المعاملات المالية، يقترح بأن تتشكل جهات بحثية داعمة له فيما يتعلق بالجانب الميداني، تكون مسؤوليتها مواكبة أطروحات الميدان من بنوك، ومؤسسات مالية، وغيرها من الجهات الاختصاصية ذات الصلة؛ لجمع إصداراتها، وتحليلها، وتكييفها شرعيًا، ومن ثم تزويد الفقهاء بها، ليستعينوا بها عند إصدار فتاواهم الشرعية[١].

□ المراجع

الكتب:

١. إسماعيل: الدكتور عمر مصطفى جبر، ضمانات الاستثمار في الفقه الاسلامي وتطبيقاتها المعاضرة، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٠-٢٠١٠م).

٢. الأطرم: الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الوساطة التجارية في المعاملات المالية، (الرياض: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

٣. البلادي: الشيخ علي بن حسن أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين.

٤. بوخمسين: الشيخ سامي، إبداع الوجود عند الشيخ أحمد الأحسائي، رسالة ماجستير، (قم: جامعة المصطفى العالمية، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م).

---

(١) انتهى بحمده وفضله ليلة ٢١/ ٦/ ١٤٣٤هـ، الموافق ١/ ٥/ ٢٠١٣م.

٥. بوخمسين: الشيخ محمد بن حسين، مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب، مخطوط.
٦. التاجر: محمد علي، منتظم الدرين تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين.
٧. الشبيلي: الدكتور يوسف عبد الله، الخدمات الاستثمارية في المصارف وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ه ٢٠٠٥م).
٨. الحسني: الدكتور أحمد بن حسن، الوداع المصرفية، (مكة المكرمة: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠-١٩٩٩م).
٩. الحيدري: السيد معين، جوهرة الأحساء وفوارة النور، (بيروت: دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، ١٤٣٣هـ).
١٠. الخرس: محمد بن جواد، مدينة الهفوف: مدخل حضاري لدراسة مظاهر الحياة في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء، (بيروت: مؤسسة الأسفار، ١٤٣١هـ)، ص٣٥٠-٣٩٧.
١١. الخرس: محمد بن جواد، ملامح الحياة العلمية والأدبية في الأحساء.
١٢. الخرس: محمد بن جواد، (المنبر الحسيني) تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية، (بيروت: دار الأسفار للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ).
١٣. الخرس: محمد بن جواد، الناجحون تجارب وعادات، (الأحساء: مصنع الجواد للطباعة والتغليف، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م)، ص ٨٣-٨٥.
١٤. الخليل: الدكتور أحمد بن محمد، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).
١٥. الرمضان: الشيخ جواد بن حسين، مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، (مكان الطبع: بدون، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).
١٦. زناكي: فتحي، شركات المساهمة في القانون الوضعي والفقه الاسلامي، (دار النفائس للنشر والتوزيع)، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).
١٧. الشخانبة: الدكتور صهيب عبدالله بشير، الضمانات العينية: الرهن ومدى مشروعية استثماره في المصارف الاسلامية، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

١٨. الشخص: السيد هاشم، أعلام هجر، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ).
١٩. الشمري: الأستاذ أبو بكر عبد الله الفهرس المفيد في تراجم أعلام الخليج.
٢٠. الشيخ: الأستاذ حسن بن محمد، آخر الفلاسفة: رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد الأحسائي، (مكان الطبع: بدون، تاريخ الطبع: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)
٢١. الشيخ: الأستاذ حسن بن محمد، فيلسوفان ثائران، (بيروت: دار الرأي العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٢٢. الشيخ: الأستاذ حسين منصور، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، (البحرين: مداد للثقافة والإعلام، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٣. الطالقاني: السيد محمد حسن، الشيخية، رسالة ماجستير، (لبنان: الجامعة اليسوعية، ١٩٧٤م).
٢٤. الفضلي: الأستاذ فؤاد بن الشيخ عبد الهادي، رسالة إلكترونية، في تاريخ ٢٤ - ٤-٢٠١٣م.
٢٥. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٠هـ).
٢٦. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في فقه الإماميه، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ و١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)..
٢٧. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، معاملات البنوك التجارية، (بيروت: مركز الفقاهة للبحوث والدراسات الفقهية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٢٨. كوربان: الدكتور هنري، نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي، ترجمة: الاستاذ خليل زامل، إعداد وتعليق: الشيخ راضي ناصر السلمان، (لبنان، توزيع مؤسسة فكر الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر في سوريا، ودار هجر للنشر والتوزيع في الأحساء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الثانية.
٢٩. المبارك: الاستاذ معاذ بن عبد الله، شخصيات رائدة من بلادي.
٣٠. المحمد صالح: الأستاذ أحمد بن عبد الهادي، أعلام مدرسة الشيخ الأوحد في القرن الثالث عشر الهجري، (لبنان: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المجلات

٣١. البراك: الشيخ حسين بن صالح العايش، الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

٣٢. آل خميس: الأستاذ ياسر عبد الله، ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية، مجلة البصائر، العدد ٤٦، عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٣. ريسه: أحمد رضا رحيمي، مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

٣٤. الشيبي: الدكتور كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

٣٥. فارماد: رضا يحيى بور، الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية في عصر ابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

٣٦. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مجلة الكلمة، العدد ٥٥.

٣٧. كول: جوان، رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الساحل، العدد الثالث، السنة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٩٨ – ١١٢.

٣٨. المحمد صالح: الأستاذ أحمد بن عبد الهادي، مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الواحة، عدد ٦٠، ٢٠١٠م.

٣٩. معزي: الدكتور محمد علي أمير، غياب يلمؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة، مجلة الساحل، العدد الخامس، السنة الثانية، ٢٠٠٨م.

٤٠. الهاجري: الشيخ محمد بن سلمان، رسالة في حكم التقدم على قبر المعصوم، مجلة الفقاهة، العدد ١٠، عام ٢٠١٠م.

الفضلي رائد الاصلاح والتجديد الحوزوي(*)

■ الشيخ عباس الموسى(•) ■

عندما تبحث في الشخصيات الحوزوية قلّ أن تجد حوزويًا موسوعيًا في الفكر والكتابة، وقلّ أن تجد متبحرًا في العلوم المختلفة وله شمولية في مختلف الجوانب، وقلّ أن تجد حوزويًا يحمل همّ العلم كله ويسطر جلّ حياته في نشر العلم وبسطه. آية الله العلامة الفضلي ـ أعلى الله مقامه، وأسكنه الفسيح من جناته وجعله في أعلى عليين مع النبيين والشهداء والصالحين ـ هو أحد هؤلاء القلائل الذي جاد بنفسه وبقلمه بل وبكله للعلم كله، ولم يكتفِ بذلك بل سعى في تطوير العلم الحوزوي والأكاديمي لكي يصل إلى كل طالب بيسر وبسهولة.

فالطالب الحوزوي عندما يدرس المقدمات والسطوح قد يتخرج منها - بل يتخرج منها - ولم يعرف ويدرك أهم المصطلحات التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها، وما ذلك إلّا لأن الكتب المستخدمة في الحوزات ليست كتبًا معدّة للدرس والتدريس وإنما هي أفكار ونتاج مؤلفيها وتقريراتهم بعد إبداعاتهم الأصولية والفقهية مما حدا بطلابهم أن يتناولوها درسًا وبحثًا فأصبحت مدارًا للدرس وليست هي معدة لذلك، فكتب الأصول كالمعالم والرسائل والكفاية ليست كتبًا تدريسية تعليمية بقدر ما هي تمثل آراء أصحابها، وكذلك كتب الفقه كالشرائع واللمعة والمكاسب إنما هي بحوث استدلالية تمثل آراء مؤلفيها، هذا في الفقه والأصول، وأما في اللغة العربية - مثلاً - فلا يوجد كتاب شيعي يدرس في الحوزات العلمية، فالقطر وشرح ابن عقيل والمغني ليست كتبًا شيعية؛ لعدم وجود متخصص منذ ذلك الزمن البعيد وإلى يومنا هذا، وإن كانت هناك كتبًا علمية وعميقة إلا أنها لا تدرس. وأما كتب الحديث والرجال، فليس في منهجية الحوزات قديمًا وحديثًا - إلا ما شذ -

(*) مداد العرفان، إعداد: فؤاد الفضلي، ص ١٨٠ـ١٩٦.

(•) باحث وأستاذ في الحوزة العلمية بالأحساء.

تدريس الرجال والحديث، بل قد لا يكون هناك كتب متخصصة تلائم مكانة هذين العلمين مع حاجة الفقيه إليهما في عملية الاستنباط.

وكذلك الحال في مختلف العلوم الكلامية والفلسفية والقرآنية، بل لا تكاد تذكر منهجية تعليمية قرآنية في الحوزة، وكأن القرآن على هامش الحوزة وكل ما هو موجود من نتاج قرآني فهي اجتهادت شخصية وجهود فردية، وغالبية ما في الحوزة مخصّص لدراسة الفقه والأصول.

وعندما يدرس الطالب الحوزوي الكتب الأصولية والفقهية، يكون أكثر همّه أن يفكك العبارات ويحاول معرفة إرجاع الضمائر إلى متعلقيها ويضيع جلّ وقته وسنواته في فهم العبارات، وقد يخرج بنتيجة وقد تضيع سنواته دون نتيجة علمية تذكر. فمثلاً، كتاب اللمعة الدمشقية للشهيدين شرحه السيد كلانتر والسيد الترحيني، وجاء الأستاذ وجداني فخر في شرحه (الجواهر الفخرية في شرح الروضة البهية) ليتخصص في إرجاع الضمائر إلى متعلقاتها بالإضافة إلى الشرح المبسط. ولو أراد الطالب الحوزوي أن يقرأ هذه الشروحات، لاحتاج إلى سنوات، وما كل ذلك إلا لأن هذه الكتب ليست معدّة للدرس والتدريس.

وهنا يأتي دور شيخنا الراحل والأستاذ المتبحر والعالم المثقف آية الله العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي جمع بين الدرسين الحوزوي والأكاديمي وصاغ تجربته في كلا الاتجاهين بمزج جميل ظهرت آثاره في مؤلفاته التعليمية التحقيقية والتي تنمُّ عن بُعدٍ في العلم والثقافة والإدراك وقوة البصيرة حتى أنك لا تجد بعض البحوث قد تناولها أحد مثلما تناولها هو.

والأهم هنا بيان أن العلامة الدكتور الفضلي كان الرائد الأول في تطوير المناهج الحوزوية وإن سبقته بعض التجارب، كالشيخ المظفر والسيد الشهيد الصدر، إلا أنهما لم يوفقا لإبراز ذلك في مختلف العلوم والتوجهات، بل انحصر تطويرهما في الجانب الأصولي بالتحديد. أما الشيخ الفضلي ـ أعلى الله مقامه، فقد برز رائدًا فكريًّا وحوزويًّا متضلعًا ومصلحًا تجديديًّا في إطار البحث والتأليف[1]، وأحاول هنا ـ بشكل مجمل ـ إبراز ذلك كالتالي:

(١) وللإنصاف، إن هناك تجارب متعددة أيضًا حاولت التجديد في التعلم الحوزوي، كما هي تجربة الشيخ محمد جواد مغنية، حيث ألف فقه الإمام الصادق وعلم أصول الفقه في ثوبه الجديد، =

□ ١) تطوير كتب اللغة العربية

أدرك العلامة الفضلي أن كتب اللغة العربية التي تُدرَّس في الحوزات والجامعات ليست قادرةً على إيصال المعلومة للطالب بشكل سهل وسلس، وهذه المناهج غير مؤهلة، لذلك فله في النحو مختصره وفي الصرف مختصره، وهما يبرزان أساسيات العلم ويمكنان الطالب من إدراك كل المطالب التي يحتاج إليها الطالب الحوزوي والأكاديمي في هذا الاتجاه.

ولا تفتقر كتبه عن المادة العلمية والأسلوب الحوزوي، بل قد يستعرض الآراء المختلفة في الفكرة الواحدة ليتمكن الطالب من معرفة تلك الآراء المتنوعة.

كما أنه أول حوزوي ـ كما يبدو لي ـ استخدم المشجرات التعليمية كتلخيص للأفكار العامة للدرس، في حين ترى في الكتب الحوزوية المختلفة القسم الأول في الصفحة الأولى، مثلاً، وقسيميه في صفحات أخرى حتى لا تكاد تعرف المقسم من القسم والقسيم، ولكن العلامة الفضلي يبرز هذا المنهج في كل كتبه الأصولية والحديثية والفقهية واللغوية والكلامية.

فأسلوب المشجرات والتقسيمات العلمية هي الأبرز في كتب العلامة الفضلي ولا تجد لها نظيرًا فيمن سبقه. وليست هذه هي الكتب اللغوية فقط، وإنما ذكرت ما يرتبط بالجانب التطويري الحوزوي هنا بالدرجة الخاصة، مع العلم أن كتبه هذه تدرس في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

□ ٢) تطوير الكتب الأصولية

للعلامة الفضلي سعي حثيث في تطوير كتب الأصول، فقد ألف في ذلك أربعة كتب:

١. دروس في أصول فقه الإمامية (مجلدان).
٢. مبادئ علم الأصول.
٣. الوسيط في فهم قواعد النصوص الشرعية.
٤. التقليد والاجتهاد.

وكذلك الشيخ محمد باقر الأيرواني، وقد ألف كتب متعددة، كدروس تمهيدية في علم الرجال، ودروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، وغير ذلك.

وفي (مبادئ علم الأصول) لمحة أصولية عن مختلف الجوانب والمواضيع الأصولية بالترتيب الأصولي المعروف في الكتب، والبارز في هذا الكتاب أنك لا تجده كتابًا جامدًا، وألفاظًا يصعب تفكيكها، بل سهولة في الطرح وإيضاح بالأمثلة وإبراز للفكرة بصورة جلية قلّ أن تجد الكتب الأصولية السابقة له تبرز هذه الحيثية فيبدأ بتعريف وإيضاح التعريف ثم إعطاء مثال لذلك لتكتمل الصورة.

ثم يأتي كتاب الوسيط، وميزته تكمن في نوعية تأليفه وأنه الكتاب الأوحد في اتجاهه، وهو محاولته لعرض الطريقة الصحيحة والنموذجية لفهم النصوص الشرعية، فكثيرًا ما يدرس الطالب كتب الأصول ثم يخرج ولا يستطيع تطبيق الأصول في الفقه، بل لا يعرف كيف يستفيد من دراسته للأصول في فهم النصوص. وهذا الكتاب ميزته أنه يوضح كيف يسير الفقيه في فهم النصوص الشرعية وبتدرج متقن يستطيع الطالب من خلال دراسة وقراءة تمعنية إدراك ذلك كله قبل التعمق في المطالب الأصولية المعمقة التي لا طائل ولا ثمرة في الكثير منها.

ثم يليه (دروس في أصول فقه الإمامية)، وفيه يتناول المطالب الأصولية بأكثر شمولية وأكثر عمق. ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١. دراسة المصطلح الأصولي لغويًا، وقد برز هذا الجانب عنده بشكل واضح وملموس لم يبرزه غيره بل لم يشر إليه أحد.
٢. الربط بين علم الأصول واللغة في كل الأبحاث، حتى تجد وتدرك العمق والتحقيق في البحث الأصولي واللغوي ومدى إدراكه واطلاعه الواسع على مختلف الآراء، فيكفيك عناء البحث في ذلك.
٣. إبراز الأمثلة بعنوان خاص وتطبيق التعريف على المثال بصورة واضحة.
٤. بيان محور البحث ومحل النزاع.
٥. استعراض مختلف التعريفات للمصطلح الأصولي عند الأصوليين المختلفين ومناقشة ذلك.

وقبل هذا يشير إلى لمحة عن المناهج التأليفية في الأصول ومدارسه الأصولية وتاريخ التأليف فيه وأهم المصطلحات الأصولية التي لا تجدها في كتب من سبقه، ذلك أن الدارس للكتب الأصولية القديمة يدخل في بحر لا يستطيع أن يأخذ من كنوزه ما يشاء؛ لصعوبة ما فيه وغموض ألفاظه.

☐ ٣) تطوير الكتب المنطقية

ضمن دراسة المقدمات، يدرس الطالب المنطق ويدرسون قديمًا حاشية الملا عبد الله وشرح الشمسية وغيرها، وأما حديثًا فيدرسون منطق المظفر، وهو الكتاب الأشمل والأوضح كما يبدو، ولكن المشكلة فيه كثرة المعلومات وعمقها، حتى إذا ما بدأ بها الطالب وانتهى لم يكن الجميع متقنًا كل ما فيه، خصوصًا إذا لم يكن الطالب الحوزوي قد أنهى دراسته الأكاديمية التي تساعده في فهم المنطق، وهنا تجلت حركة العلامة الفضلي التطويرية في إيجاد كتابين أسمى أحدهما (خلاصة المنطق) والآخر (مذكرة المنطق) والثاني أوسع بقليل من الأول، والهدف منهما إعطاء لمحة عامة وإيضاح الدروس بشكل سلس، وفي هذين الكتابين لا تدرس المادة كمادة جامدة، كلام متصل قد لا تعرف بدايته من نهايته في بعض الأحيان كأنك تطالع مخطوطة، أو نسخة حجرية، بل تدرس مادة علمية تعليمية تتميز بما يلي:

١. تعاريف وتوضيحات سهلة غير ناقصة.
٢. أمثلة تطبيقية واضحة.
٣. خلاصة مشجرة توضح مجمل الدرس.

ولو درس الطالب خلاصة المنطق لأمكنه استيعاب منطق المظفر بشكل أسهل. ووفقنا في تدريس الكتابين خلال السنوات الست السابقة. بل واستفدنا منهما في إعداد كتابنا المنطقي المعدّ للطباعة (الضوابط المنطقية) والمشابه لكتبه ﷺ في المنهج.

☐ ٤) تطوير الكتب الكلامية والفلسفية

للعلامة الفضلي، حسبما أمتلك، ثلاثة كتب أحدها (التربية الدينية) وهو كتاب للشباب يوضح فيه أهم الجوانب العقدية بأسلوب شيق وجميل يفهمه الشباب، و(خلاصة علم الكلام) ويتناول فيه أهم مصطلحاته بالإضافة إلى دراسة أصول الدين والأدلة على ذلك من عقلٍ ونقل، والكتاب يصلح كمبادئ لدراسة علم الكلام قبل التعمق في ذلك، و(خلاصة الحكمة الإلهية) والتي يبرز فيها أهم معالم ومصطلحات الفلسفة؛ لأنه يصعب على دارس الفلسفة أن يبدأ بـ (بداية الحكمة) للسيد الطباطبائي هكذا دون أن تكون له دروس تمهيدية في ذلك، وهذا الكتاب معدٌّ لذلك وقد استفدنا منه أيضًا في كتابنا المعدّ للطباعة (دروس تمهيدية في الفلسفة الإسلامية).

☐ ٥) تطوير الكتب الفقهية

كتب الشيخ الفضلي في ذلك كتب وأبحاث متعددة، بعض كتبه دراسية منها (مبادئ علم الفقه – مجلدان) أحدهما خاص بالطهارة والصلاة، ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١. تعريف المصطلحات لغويًا وفقهيًا، بل لا يمرّ على مصطلح إلا ويبينه بخلاف قراءتك لكتاب فقهي آخر تحتاج فيه إلى الرجوع للمعاجم والقواميس لفهم ذلك أو تحتاج إلى شارح ومبسط لذلك.
٢. يستعرض الآراء المختلفة في المسألة.
٣. يبين المصطلحات العلمية للمصطلح الفقهي والطريقة العلمية لتحقق ذلك في الخارج ويبين الفرق بينه وبين المشابه له كما في موضوع الخمر.

فالطالب – الحوزوي – عندما يدرس هذه المادة يكون ملمًا بالمصطلحات الفقهية في بابي الطهارة والصلاة وما يرتبط بهما من مصطلحات لغوية وعلمية واجتماعية، وهذا لا تجده في الرسائل العملية للمراجع التي تحتاج إلى مزيد عناية لمعرفة مصطلحاتها ولا في البحوث الاستدلالية.

وله كتاب آخر أسماه (دروس في فقه الإمامية) من ثلاث مجلدات، وللأسف أفتقد الجزء الأول منه، وأما الجزئين الأخيرين فقد تناول فيهما الجانب المعاملاتي وبدأ كعادته بمنهجة الكتاب وبيان المقصود من المعاملة وأوضح النظريات والقواعد المستخدمة في جانب المعاملات ثم بدأ في الجزء الثالث بدراسة البيع وأنواع البيوع وبعض المعاملات كالربا والدّين والقرض والمضاربة والهبة والجعالة ثم ختمه بالمعاملات المستحدثة، وميزة الكتاب:

١. بيان التعريفات اللغوية والفقهية كعادته ﷺ.
٢. استعراض الآراء المختلفة للفقهاء في ذلك.
٣. بيان الحالة التاريخية التي تمثل السيرة العرفية الجارية قبل زمن المعصوم وإلى زمانه.
٤. بيان أهم عناصر وأحكام المسألة.
٥. إبراز ذلك بالأمثلة التطبيقية والأدلة الاستدلالية في ذلك.

والأهم من ذلك العمق المعلوماتي والسهولة في الطرح التي قلّ أن يتوفرا في شخص واحد.

وحين يستعرض القواعد الفقهية في المعاملات، يحاول إثبات ما يستظهر من القاعدة من جوانب مختلفة، فمثلاً إثبات العموم من قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، يتساءل سماحته: هل هذه من العمومات التي يرجع إليها في إثبات حليّة ومشروعية ما ثبت أنه عقد عرفًا سواء أكان عقدًا متداولاً أو مستحدثًا؟

ولكي يصل إلى النتيجة الإيجابية من ذلك، يدرس ذلك في عدة خطوات:

١. دراسة مفردات القاعدة والتدليل عليها من أقوال اللغويين والفقهاء.
٢. دراسة المصطلح قبل زمن الإسلام بلحاظ استعمال هذه الألفاظ قبل الإسلام وإمضاء الشارع لها لكون المعاملات ليست مما وضع الشارع ألفاظ بإزائها وإنما هي إمضاءات لما هو موجود في الغالب.
٣. ربط المصطلح بالقواعد الأصولية.
٤. دراسة دلالة النص وكيفية الاستدلال به على المطلوب.
٥. النتيجة من البحث.

وهو التسلسل تعليمي يجعل الطالب الحوزوي في مكنة ومقدرة على استيعاب المطالب العلمية.

ولم يقتصر العلامة الفضلي في تطوير هذه الاتجاهات الحوزوية فقط، بل هناك كتب مهمة أيضًا تصلح للدرس الحوزوي وتساعد طالب العلم في فهم المطالب وربط العلوم ببعضها، فالعلامة يمتاز في مختلف كتبه ببيان الرابط والعلاقة بين العلوم المختلفة، وأهم هذه الكتب:

□ ٦) تطوير كتب الرجال والحديث

(أصول الحديث)، وهو كتاب في دراية الحديث، ويتناول فيه أهم الجوانب التي يحتاج دارس الدراية بدراسة تحليلية تنبئ عن إلمام واطلاع واسع في هذا الجانب، وهو كتاب صالح للدرس الحوزوي قلّ مثيله.

ومما افتقدته الكتب الشيعية الكتب التي تعنى بعلم الحديث والدراية، نعم ربما يتناول القدماء بعض مصطلحات علوم الحديث في شروحاتهم للحديث وتعليقاتهم، ولكن تناول مصطلحات الحديث وبيان تعاريفها وتحليل ودراسة

العوامل المؤثرة في بعض الأمور كالأحاديث الموضوعة، مثلاً، وهي ـ هذه المصطلحات الحديثية ـ وإن تناولها بعض من سبقه في كتبه كالمامقاني في (مقباس الهداية) وغيره، إلا أن جعل ذلك في كتاب حوزوي تعليمي لم يسبقه فيه أحد، فلكي يؤسس منهجية متكاملة للحوزوي لا بد من أن يضع له كتب دراسية تعليمية في كل تخصصاته، فكان هذا الكتاب الحاوي للمصطلحات الحديثية وبعض المصطلحات الرجالية.

وله كتاب في (أصول علم الرجال)، يبرز فيه أهم المسائل الرجالية التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها خلافًا لما يكون في الحوزوات حيث ينتهي الطالب من دروس السطوح ولا يدرك ولا يعرف شيئًا من المسائل الرجالية مع أهميتها، وقد ذكر بعض الفضلاء أنه انتهى من السطوح وبدأ في البحث الخارج ولا يعرف أهم متطلبات علم الرجال الذي يحتاجه الفقيه في استنباطه، بل لا يمكن الاستنباط بدونه، وهنا تكمن الثمرة فيما أحدثه العلامة الفضلي حيث ألف هذا الكتاب ليكون مدخلاً لهذا العلم الذي قلّ من تبحر فيه وألف.

كتاب أصول البحث:

(أصول البحث)، وهذا من أهم الكتب التي تساعد طالب العلم في البحث والتحقيق ببيان المنهجية التي ينبغي على الباحث اتباعها في ذلك، فما هو المنهج والمناهج المتعددة والمراجع المستخدمة في العلوم المختلفة وأنواع البحث ومجالاته وأسلوب البحث وشروطه وكيفية البحث وطريقة أداء البحث وإعداده مما يمكن الباحث من السير في الطريقة الصحيحة للبحث وهذا في حد ذاته يحتاجه كل طالب علم. وفي هذا الكتاب يتناول أهم المناهج العلمية التي ينبغي أن يتبعها الباحث والمحقق والفقيه والطريقة العلمية الصحيحة التي ينبغي أن تتبع بشكل مرتب في الوصول إلى نتيجة البحث.

وبعد أن يستعرض ﷺ المناهج العامة، النقلي والعقلي والتجريبي والوجداني وغيرها، يستعرض في هذا الكتاب المناهج الخاصة بالفقه وأصوله باعتبار حاجة الطالب الحوزوي إلى معرفة كيفية البحث، وكيفية الوصول إلى النتيجة بطريقة علمية ممنهجة.

وسنتناول هنا وبشكل موجز ما بينه في منهجية علم الأصول:

«**الهيكل العام لعلم أصول الفقه:**

والهيكل العام لعلم أصول الفقه المستخلص من واقع التجارب العلمية فيما يكتب فيه، هو كالتالي:

١- **الهدف من البحث في أصول الفقه**، هو: استخلاص القواعد الأصولية من مصادرها النقلية أو العقلية بغية الاستفادة منها في مجال الاجتهاد الفقهي.

٢- **مادة البحث الأصولي**: وتتمثل في مصادر التشريع الإسلامي (أو أدلة الأحكام الفقهية).

٣- **خطوات البحث الأصولي**، وتتلخص في التالي:

- تعيين المصدر (الدليل).
- تعريف المصدر (الدليل).
- إقامة البرهان على حجية المصدر (الدليل) لإثبات شرعيته.
- تحديد مدى حجية المصدر (الدليل).
- استخلاص القاعدة الأصولية من المصدر (الدليل).
- بيان دلالة القاعدة.
- بيان كيفية تطبيق القاعدة لاستفادة الحكم الفقهي.

٤- **المنهج العام للبحث الأصولي**، سنتبين من خلال التطبيق الآتي أن البحث الأصولي يسير وفق المناهج العامة التالية:

- المنهج النقلي في جملة من مسائله.
- المنهج العقلي في جملة أخرى من مسائله.
- المنهج التكاملي (من النقلي والعقلي) في جملة ثالثة من مسائله.

وسأحاول ـ هنا ـ توضيح العناصر المذكورة من خلال التطبيق على بعض القواعد الأصولية.

ولتكن القواعد التالية:

- قاعدة الظهور.
- قاعدة تعارض الخبرين.
- قاعدة الاستصحاب».

ثم بدأ في توضيح هذه الهيكلية في القواعد الثلاثة المذكورة وختم هذه المنهجية ببيان مصادر علم الأصول التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها والرجوع لها في استعراض الآراء الأصولية والتي تشكل مصادر للأقوال المختلفة الأصولية للطائفة من الشيخ المفيد وإلى يومنا هذا. وقد رتبهم بشكل تاريخي يسهل على الباحث تناول الأقوال مرتبة أيضًا.

منهج علم الفقه:

في المنهج الفقهي من هذا الكتاب يستعرض العلامة الفضلي ـ أعلى الله مقامه ـ المنهجية في ذلك ثم يمثل لنا بأمثلة يطبق فيها هذه المنهجية والتي تدل على إلمام بالفكرة وشمولية في الطرح ومنها موضوع (الكُر) ويمكن بيان ذلك كالتالي:

١. بدأ بتعريف الكر في اللغة، حيث يستعرض آراء اللغويين في ذلك.

٢. ثم استعرض تقدير الكر بأي وحدة وقد أبرز الرأي اللغوي حسب المعاجم، ثم استعرض آراء الفقهاء تبعًا للنصوص الشرعية، وهذا التقدير عند الفقهاء، إما أن يكون بالوزن أو بالحجم.

٣. يستعرض الآراء في كل قول ويذكر الأدلة التي استند الفقهاء عليها ويناقش الأدلة من حيث السند والدلالة.

٤. ثم يستخلص لنا النتائج المترتبة على كلا القولين ويبرز الرأي الصحيح كما يراه.

٥. والأبرز في هذه المحاولة هو تصوير الأحجام بالأشكال الهندسية العلمية التي يمكن للباحث الحوزوي تصوير الأحجام المتصورة والتي يمكن أن تحوي الكر. وقلّ أن تجد حوزويًّا يمازج بين العلوم بحيث لا تعيش مصطلحات نظرية جامدة لا تستطيع تطبيقها على الواقع الخارجي.

وقبل أن يبرز لنا خطوات المنهج الفقهي، يبين نماذج للتطبيقات اللغوية في النصوص الشرعية والأصولية والفقهية والرجالية كما ويستعرض القرائن التاريخية والتفسيرية ليكون الحوزوي يتماشى والخطوات المنهجية الصحيحة في معرفة الحكم والنتائج ويختم ببيان مصادر الفقه ليطلع الحوزوي والباحث على أهم المراجع لمعرفة الآراء الفقهية المختلفة.

كتاب القراءات القرآنية:

تتجلى أهمية الكتاب في أنه كتاب إسلامي شمولي لاختصاصه بالمصدر الإسلامي الأول، وهو المتفق عليه بين المسلمين قاطبة.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يناقش ويستعرض مسألة قرآنية ذات بُعد عملي في التطبيق الخارجي وهي القراءات والتي لها انعكاسات متعددة في القراءة من جهة ونواحٍ لغوية وتفسيرية من جهة أخرى فكان هذا المبحث في هذا الكتاب.

ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١- استعراض آراء المدرستين مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء.

٢- إبراز الآراء والحركة التطويرية لموضوع البحث تاريخيا بدقة بحيث يتابع القارئ هذه الحركة التطورية.

٣- التعريف بالقراءات القرآنية وكيفية نشوئها وتطورها وتناقلها ومصادرها وأسباب اختلافها وفوق ذلك كله إن من يقرأ الكتاب ولا يعرف العلامة الفضلي لا يعرف أنه شيعي مع أنه نقل آراء شيعة وناقشهم كالسيد الخوئي؛ لأنه لم يناقش الموضوع من جهة طائفية بل من جهة إسلامية لذا قلنا عنه بالشمولية.

تاريخ التشريع الإسلامي:

من أهم الكتب التاريخية التي تتحدث عن تطور ونشأة الفقه الإسلامي والإمامي بشكل خاص، ولعل العلامة الفضلي هو أول من ألف بهذه الفكرة في كتاب مستقل في المدرسة الإمامية وتميزت منهجية الكتاب بعدة أمور:

١. الرجوع للوثائق التاريخية المبينة لحالة التطور التشريعي للفقه.
٢. الرجوع إلى التراث الفقهي المتمثل بالمصادر الفقهية لقدماء الأصحاب.
٣. الرجوع إلى كتب الفكر الأصولي وتاريخ علم الأصول.
٤. إبراز ودراسة الحالة التاريخية من نصوص المدرستين ومناقشة الأفكار المختلفة.
٥. استعراض تطور التشريع الإسلامي من زمن النبي ﷺ إلى المدارس العلمية اليوم.
٦. استعراض أبرز المفكرين والفقهاء والمتكلمين الذين عاصروا الأئمة ودورهم التاريخي في هذ التطور.

٧. احتواء الكتاب على إحصائيات ورسوم بيانية توضيحية ومخططات شجرية تعليمية.

وفوق كل ذلك الإحاطة والشمولية والدقة والعمق والتتبع.

هذا ما قدمه شيخنا الراحل ومقتدانا الكبير الذي استفدنا من مؤلفاته الكثيرة برغم عدم استفادتنا المباشرة منه. وهذا في الجانب الحوزوي، وأما الجانب الأكاديمي، فقد كتب في ذلك وأبدع وطور بما لا يقل عن الجانب الحوزوي، وقد تناول ذلك أكثر من دكتور، لذا اكتفيت بالجانب الحوزوي ليدرك الحوزوي قبل غيره كيف كان دوره في تطوير الجانب الحوزوي بما لا مثيل له في ذلك، وإذا لاحظت فقد طور وأبدع في مختلف الجوانب العلمية اللغوية والمنطقية والكلامية والفلسفية والأصولية والفقهية والقرآنية والحديثية والرجالية ولذا فهو موسوعة في العلم والتطوير وهو بحق الرائد الأول في تطوير العلوم الحوزوية.

☐ مميزات وخصائص مؤلفات العلامة الفضلي

فيما مضى تحدثنا عن دور الراحل الكبير في تطوير المناهج الحوزوية بالخصوص وأثر ذلك على الطالب الحوزوي فهمًا وإدراكًا، وأما الحديث هنا فعن الخصائص العامة لتراث الشيخ، وقبل البدء بتعدادها نشير إلى نقطة مهمة يجب ألا نغفل عنها، وهي:

إن الحوزات العلمية الشيعية أنتجت علماء ومفكرين ومبدعين على مرّ التاريخ ولعل باب الاجتهاد وحرية الرأي والرأي الآخر- في الجملة وفي بعض الأحيان – كان له الأثر في إنتاج وإبداع علماء الطائفة الأفذاذ والمبدعين الكبار، ولكن ليس كل من هو مبدع كان له نتاج علمي ملموس، نعم هناك من كانت له نظريات جديدة وتطوير في اتجاه من الاتجاهات وإن لم تكن له تلك الكتب المتعددة كما هو الميرزا النائيني ونظرية الترتب، وهناك من له مؤلفات متعددة وله من الإبداع ما لا ينكر مثل الشيخ الأنصاري ونظرية الحكومة، والشهيد الصدر ونظرية حساب الاحتمالات، وفي الجانب الفلسفي هناك مبدعون أيضًا كالملا صدرا والإمام الخميني والسيد الطباطبائي، ويطول بنا الكلام لو أردنا أن نعدد المبدعين في مختلف العلوم.

وعلى أي حال، فإن العلامة الفضلي قد حجز مقعده منذ صغر سنه كما شهد بذلك آقا بزرك الطهراني فهو من بين المبدعين فكرًا ومنهجًا وتطويرًا، ولذا كان له

من المؤلفات ما يظهر هذا الإبداع والتطوير والتجديد، ومن هنا نحاول إبراز أهم مميزات مؤلفاته ولو بشكل إجمالي ليتضح بعض إبداعاته بما يتناسب والمقام:

الأول: التتبع التاريخي للآراء المختلفة للموضوع المبحوث ولأصل المسألة منذ عصر النبي وإلى زمن المعاصرين وهذا ما يرتبط بالأبحاث الأصولية والفقهية والقرآنية – كما في القراءات القرآنية – والتاريخية.

الثاني: الإيضاحات والتطبيقات والمشجرات التوضيحية التي استخدمها في جميع الكتب.

الثالث: النظرة الشمولية اللغوية – للمصطلح المبحوث – من جهة تفسيره وتوضيح معناه عن أهل هذا العرف الخاص.

الرابع: استقراء وتتبع للآراء المختلفة في المسألة الواحدة وأدلتها ومناقشة تلك الآراء المختلفة.

الخامس: اعتماد الفهم القرآني في الكثير من القضايا العلمية المتعددة، حيث جعل القرآن مرجعًا ومنطلقًا لفهم النصوص.

السادس: في البحوث الفقهية والأصولية ركز على الفهم العرفي واللغوي بدلاً من الفهم الفلسفي الذي أدخله بعض الأصوليين في بحث المسائل الأصولية والذي شتت بعض المسائل الأصولية ووسعها وأبعدها عن محورها الأساس كما في الأبحاث التحليلية للمشتق الأصولي – مثلا – حيث لم يبحثه الشيخ إلا من الجهة العلمية اللغوية والعرفية وليس الجهة التحليلية الفلسفية.

السابع: استعراض آراء المدرستين، مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء في الكثير من الأبحاث ذات الصلة بالموضوع مما يدلل على سعة الاطلاع وشمول الفكرة وعدم ضيق الأفق.

الثامن: ما أكدنا عليه مرارًا وهو الذهنية العلمية والأكاديمية المعاصرة التي استطاع من خلالها بلورة المناهج التعليمية الحوزوية المتعددة مما يساعد الحوزوي على فهم المطالب بصورة سهلة وواضحة.

هذا ما يمكن إبرازه من مميزات وخصائص في منهج العلامة الفضلي ولخوف الإطالة تجاوزنا الكثير من الأمثلة.

وأختم كلامي بهذه القصة:

في عام ١٤٢٤هـ وفي مدينة الرسول الأعظم ﷺ التقيت بآية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني ولم يكن قد طرح مرجعيته آنذاك. والشيخ السبحاني، كما هو معروف، موسوعة في التأليف في مختلف العلوم أيضًا، وقد جلست معه في الحرم النبوي الشريف ثلاث مرات، تُوِّجت بأن أعطاني كتابه الموسوم (المحصول في علم الفقه) وطلب مني تسليمه للشيخ الفضلي، وقال لي: بلّغه سلامي وقل له ليتلطف عليَّ ويقول رأيه في الكتاب هل هو صالح للتدريس أو لا .. هكذا هي مكانة العالم بين العلماء. ولم يكن الشيخ السبحاني وحسب، بل الكثير ممن كان يرغب ويتمنى أن يقدّم له الدكتور الفضلي مقدمة لكتابه. ومما يؤسفني أنني لم أتمكن من ذلك، مع أنها كانت أمنيتي.

فالسلام عليك أيها الفضلي يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيًّا .. واذكرني عند ربك.

البعد الأخلاقي في شخصية العلاّمة الفضلي(*)

■ السيد حسن النمر ■

□ تمهيد

١. التقدير البالغ للقائمين على هذا التكريم الذي هو خطوة في الاتجاه الصحيح لتسجيل حضور لمجتمعنا من خلال تكريم رموزه، خصوصًا مع اجتماع عوامل الإهمال والتهميش على تغييبه، من خلال رموزه.

٢. لا تتّسع أوراق قليلة للقيام بواجب الحديث عن شخصية بقامة الدكتور العلاّمة عبد الهادي الفضلي، ولا تسعف الفترة الزمنية التي خوطب بها مسطِّر هذه الأوراق، حيث لم تتجاوز أيّامًا معدودات.

٣. تفرض الحقوق الكثيرة للعلاّمة المكرَّم، علينا عمومًا وعلى راقم السطور خاصّةً، المشاركة والقيام بها أمكن؛ إذ الميسور لا يسقط بالمعسور.

٤. ما سأذكره من شواهد هي معايشات شخصية، استقيتها على مدى أربعة عشر عامًا من التردُّد على سماحته في منزله، ومشاركته في عدّة نشاطات ثقافية وفكرية جمعتني وإياه، واختلافي الدائم والدائب على منزله في مجلسه العام أو في لقاءات خاصّة تشرفتُ بها لديه.

٥. ما سأسجّله في هذه الوريقات ليس بحثًا علميًّا عن الأخلاق من وجهة نظر العلاّمة المكرّم، وإنما هو انطباعات شخصية لما عايشته مباشرةً، بما وُفّقت له من الاحتكاك المباشر بسماحته، سفرًا[1] وحضرًا، خلال أربعة عشر عامًا، أو قرأته من سيرة سماحته، دون أن أدّعي الاستقصاء والاستيفاء؛ لأن في ذلك تقصيرًا في حقّ الشيخ الفضلي، وقصورًا من مدّعيه. وأرجو ألاّ أكون أحد هذين، فقد قال

(*) نشرت ضمن أوراق المؤتمر المصغّر في مهرجان الفقيه المثقّف، مساء الخميس ٢٠/ ١/ ١٤٢٨هـ = ٨/ ٢/ ٢٠٠٧م.

(١) رافقته مع سماحة أخينا الشيخ محمد العباد في رحلة إرشادية إلى الولايات المتّحدة الأمريكية في العام ١٩٩٦م، امتدّت لخمسة وعشرين يومًا.

الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، ورحم الله امرئًا عرف قدر نفسه.

□ المحطّة الأولى: قَدَر الهجرة

قدِّر للعلامة الفضلي أن يألف الهجرة، فقد هاجر من (جنوب العراق)، حيث ولد في العام ١٣٥٤هـ، إلى (النجف الأشرف) حيث درس ودرّس حوزويًّا، وتلقّى أثناء ذلك دراسته العليا في الماجستير ببغداد، ثم هاجر إلى (مصر) طالبًا للدراسات العليا لمرحلة الدكتوراه، وأثناء ذلك هاجر إلى (جدّة) أستاذًا أكاديميًّا. حتى انتهى به المطاف بعد ملاحقات أمنية بعثية إلى الهجرة إلى حيث موطن آبائه وأجداده، حيث ألقى رحله أولاً في (سيهات)، ومن بعدها أقام في الخبر لمدّة سنة واحدة، ثمّ استقرّ أخيرًا في (الدمام).

وقد حظي مجتمعنا بهجرة العلاّمة الفضلي إليه في العام ١٤٠٩هـ، بعد سنين قضاها في مدينة جدّة اشتغل فيها بالتدريس الجامعي في جامعة الملك عبد العزيز، وقد استقبلت جموع المؤمنين على اختلاف شرائحهم هجرته بالفرح والترحاب الحارّ، لسببين اثنين:

أولهما: ما تناهى إلى أسماعهم من مقام علمي شامخ لسماحته، شهد به أقرانه ومعاصروه، وما نُقِل إليهم من كفاءات عدّة تجمّعت في شخصية لم تجتمع في أحد من أهل العلم في المنطقة من حيث الشمولية والجامعية، فقد كان الأول الذي جمع عنوانين لم يجتمعا فيمن سبقه من علماء الدين، وهما:

١. أنه العالم الحوزوي المجتهد، الذي يذعن الجميع بأنه بلغ مرتبةً عالية في الدراسات الحوزوية، حتّى أصبح من المبرَّزين من أساتذة حوزة النجف الأشرف بكل ما لها من الثقل العلمي المعروف.
٢. أنه الأستاذ الجامعي، الذي طاف بين أروقة جامعات مشهود لها بالإنتاج الغزير في تخريج الطلاّب والأساتذة الأكفاء.

ثانيهما: استشعار المجتمع، ونخبه خاصّة، بالحاجة الماسّة إلى شخصية في مستوى العلاّمة الفضلي لإحداث نقلة نوعية في النشاط الديني الذي لم يعد قادرًا، بصورته

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

المعتادة، على تلبية احتياجاته الملحّة، في زمن متسارع الخطى في حراكه وحراك ما حوله.

ولم تَخِب ـ بحمد الله ـ ظنون أوساطنا الاجتماعية، فما إن حطّ سماحة العلاّمة الفضلي رحله في أوساطه، وأخذ في ممارسة ما أمّله المؤمنون منه، حتى نشطت محافل المؤمنين بالعديد من وجوه النشاط العلمي، لم تألفها سابقًا، فحدث ما يمكن أن نسميه بالنهضة الثقافية، تركت بصماتها على مختلف مناحي النشاط الديني، ولا تزال آثارها بيّنة مشهودة.

ولأنّي لست بصدد رصد تلكم النهضة الثقافية فلن أخوض في تفاصيلها؛ لأنها ليست موضوع هذه الأوراق، وآمل أن يقوم بذلك من يملك القدرة على التعريف بالمشهد الثقافي في مجتمعنا بعد قدوم سماحة العلاّمة الفضلي ومقارنته بالمشهد الثقافي قبل ذلك، مع الإشارة إلى الإسهام المباشر وغير المباشر لسماحته فيه.

وقد أحسن أبناء مجتمعنا استقبال العلاّمة الفضلي لما سمعوه، فلما أن عايشوه عن قرب وجدوا فيه بغيتهم من زاوية قد تكون مختلفة عمّا توقعوه، فلم يتصدّ ـ حفظه الله ـ للعمل الديني في أوساطهم بالطريقة المتعارفة، فقد وجدوه مختلفًا في شكل تصدّيه حتى على مستوى اللباس، حيث لم يلبس العمامة التي اعتاد علماؤنا لبسها، ولم يعتمد الرداء (العباءة) التي اعتادوا لبسها، كما أنه لم يؤمّ الجماعة، وإلى ذلك لم يتصدّ إلى الوكالة الشرعية لمراجع التقليد الكبار، وقد كانت في متناوله، حيث كان واحدًا من أبرز تلامذتهم ومورد اعتمادهم.

بل اعتمد نهجًا مختلفًا في التصدّي للعمل الديني، بأن عكف على تغطية الجوانب المهملة، فكان دأبه وديدنه تحفيزَ الوسط الاجتماعي على تغيير الأنماط السائدة من الاهتمامات التي لم يعد من الصواب والحكمة الانكباب والاقتصار عليها شكلاً ومضمونًا. فأخذ بالحضّ والحثّ على مبادرات في هذا الاتجاه، فصار العديد من المثقفين بصدد كتابة البحوث وعرضها على سماحته بغية طباعتها، فكان يقتطع شيئًا من وقته الثمين لقراءتها وتسجيل الملاحظات التصويبية والتقويمية بنفسه، فلا يكاد أحد يقدّم له مخطوطًا إلا ويشفعه بعد أيام قصيرة بدفتر أو أوراق من الملاحظات والتصويبات تؤكّد أنه قرأه من الألف إلى الياء. دون أن يعني ذلك أن في هذا المخطوط شيئًا ذا قيمة تستدعي أن يتفرّغ مثل سماحته لقراءته بهذا العناية والاهتمام به إلى درجة القيام بمهمة (مصحح)، لولا أنه ـ حفظه الله ـ أخذ على نفسه مهمّة

وجد أنها مقدّسة عنوانها: (النهوض الثقافي)، الذي يلازمه عادةً تواضع المستوى في البدايات.

وقد كان ذلك درسًا لكل من التقى بسماحته في فنّ التواضع وتغليب المصلحة العامّة وقداسة الهدف والغاية.

□ المحطّة الثانية: صدمة الوعي العام

كانت أوساطنا الاجتماعية على صلة بنمط معيّن من علماء الدين يقدّس فيهم شخوصهم في جوانب ثلاثة:

- **أولاً**: المستوى العلمي بما حازه هذا العالم أو ذاك من علم بالدين ومعارفه مما تعارف في الأوساط الحوزوية دراسته وتدريسه.
- **ثانيًا**: المستوى السلوكي والعملي، بما يتحلّى به العالم أو طالب العلم من تُقى وورعٍ، يؤهله للقيام بما يتطلّب ذلك من إمامة جماعة ونحوها.
- **ثالثًا**: على المستوى الذاتي والاجتماعي، بما يتحلّى به عالم الدين وطالب العلم من زهد يبعده عن التهمة بالتهالك على الدنيا، ومزاحمة الغير. ويتفاوت العلماء وطلبة العلم في التحلي بها.

غير أن لعلاّمتنا الفضلي سماتٍ أخرى، فهو إلى جانب تفوّقه على المستوى العلمي حتّى عُدَّ في الرعيل الأول من علماء مجتمعنا، فهو الفقيه المجاز بالاجتهاد، وهو الأستاذ الجامعي المربّي للمئات من الجامعيين، والمشرف على العشرات من الأطروحات الجامعية، وهو ـ إلى ذلك ـ المثقّف الموسوعي الذي يجد طلاب العلم والباحثون بغيتهم المنشودة لديه. وإلى جانب تحلّيه بتقى وورعٍ مشهودين، وإلى جانب زهده الذي دفع به إلى الانقطاع إلى العلم والعملِ بعيدًا عن الأضواء والإعلام وزخارف الشهرة الدنيوية.

إلى جانب ذلك كله، امتاز ـ حفظه الله ـ بمثابة في العطاء، فهو لا يكلُّ ولا يمَلُّ من الكتابة والمحاضرة وتقديم الكتب وتحقيقها[1]، وحثّ المؤهلين للتصدّي لذلك،

(١) يشهد لذلك مؤلفاته التي فاقت الخمسين مجلّدًا، وبحوثه ومقالاته وتحقيقاتها التي رصد بعضها البحاثة السيد هاشم الشخص في ثمانية وثلاثين عنوانًا إلى حين طباعة كتابه في العام ١٤١٨هـ. وهي لا شكّ تفوق ذلك بكثير، وهو ما يحتاج بحثًا مستقلاً، انبرى له أخوان =

وهذا ما لم يعتد عليه مجتمعنا، لعوامل ذاتية حينًا، وخارجية فرضت نفسها عليه حينًا آخر.

كما أنه ـ حفظه الله ـ امتاز بتجديد في عطائه، فقد فاجأ مجتمعنا بنوع جديد من اهتمام عالم الدين، فلم يتصدَّ لما اعتاد الناس من عالم الدين التصدّي له، كما ألمحنا إليه، وإنما أولى جلّ عنايته لما كان مهمَلاً من النشاط وترك إهماله آثارًا سلبيةً على النهوض الاجتماعي إلى حدّ التبلّد والخمول.

فقد دعا إلى مسابقة بحثية في الأحساء، منعت لاحقًا، شارك فيها العديد من المهتمّين.

كما أنه رعى مسابقة بحثية في القطيف، لم تستمرّ لدواعٍ أجهلها فعلاً، فاز فيها باحثون أصبح بعضهم من الكتّاب المتمرّسين فعلاً.

ورعى وشارك بهمّةٍ ونشاطٍ، في بعض المهرجانات الثقافية التي تقام في شهر رمضان، ولا يزال بعضها مستمرًّا كمهرجان حسينية الناصر بسيهات، وهو أول تلك المهرجانات، لم يقطعه عن المشاركة فيه سوى ما ألمّ به من إرهاق وتعب ألقى بكلكله على جسده في السنتين الأخيرتين.

□ المحطّة الثالثة: الطريق إلى المعالي

من سمات العلاّمة الفضلي الأخلاقية نزوعه إلى الرقيّ والنهوض، على مستوى ذاته وعلى مستوى أمته، الأمر الذي انعكس على طبيعة اهتمامه في بناء نفسه وتخيُّر نشاطاته، فاتّسعت اهتماماته بسعة الإسلام بين المسلمين. وازداد طموحه فبلغ من الكمال منزلةً جذبت إليه عشّاق النهوض والرفعة.

فما إن تجلس في مجلسه حتى يتناهى إلى سمعك نمط جديد من الأسئلة والأجوبة بين الشيخ وزواره، يختلف عمّا ألفه المؤمنون في أوساطنا الاجتماعية، من اهتمامات العلماء[1]. ليتكشف لك في شخصية العلاّمة الفضلي أمران:

عزيزان، هما: الأستاذ علي المحمّد علي، والأستاذ حسين منصور الشيخ الذي ذكر لي أنها تبلغ ستة وستين عنوانًا في الكتب فقط، والبحثان ليسا بين يديّ فعلاً.

(١) يجب أن نلفت النظر إلى أننا نتكلّم عن فترة زمنية حصل بعدها تحوّل حقيقي في أداء العلماء، وقبل ذلك في تكوين كثير منهم.

الأول: شمولية الهمّ

فلم يكن همّه يقف عند وسطه الذي يعيش فيه، بل إنه يعيش همّ الأمّة كلها في المشرق والمغرب، لذلك نجده متابعًا جيّدًا للصحف والمجلاّت، التي ينتقي منها ما وجد بالمتابعة دقّة معلومتها، دون أن يركن إلى ما ينقل، بل يعمد دائمًا إلى التحليل والغربلة لتلك المعلومات، مستفيدًا من:

أ. خبرته الواسعة في المجال العلمي بما يحمله من عمق معرفي في مختلف حقول المعرفة.

ب. خبرته في العمل الذي تصدّى له في مختلف مراحل حياته، والتي مكّنته من نفاذٍ في البصيرة وعمق في الرؤية.

لذلك فقد يتبنّى موقفًا يفاجئك للوهلة الأولى، لتكتشف لاحقًا أن سماحته قرأ السطور وما وراءها، (وهو في هذا المجال صاحب تحليل دقيق وعميق، تشعر أنه يبالغ أحيانًا، لتفاجئك تطوّرات الواقع أن له نظرة جدّ عميقة)[١].

وكشاهد على ذلك: زرنا أحد الفضلاء في العام ١٩٨٥م في قم المقدّسة، بعدر حلة الحجّ، وكان قد التقى بسماحة الشيخ الفضلي في جدة، فسألناه عن أخباره، وموقفه من مسألة معينة، فأجاب: إن الشيخ متشائم وسوداوي النظرة، وكان هذا الفاضل من المتعجّلين في اختياراته، كما تكشّف لنا بعدُ، فإذا بالأيام تؤكّد لنا أن نظر العلاّمة الفضلي كان ثاقبًا وصائبًا، بينما غيّر صاحبنا من قناعاته إلى حدّ الانقلاب على ما كان يبشّر به آنذاك كما لو كان وحيًا منزلاً.

وهو ـ حفظه الله ـ لا يرى انفكاكًا في الأزمات بين مجتمع إسلامي وآخر بسبب رقعة جغرافيّة، لذلك نجده يلاحق أخبار الأمّة من هنا وهناك، ليتحسّس آلامًا هنا، ويزهو بآمال هناك، يخفيها تارةً ويبديها تارةً أخرى، تندّ منه الآهة للألم مهما صغر، وتعلوه البهجة للأمل مهما تضاءل، لإدراكه أن العدوّ المتربّص بالأمة يصل ليله بنهاره مقوِّضًا بنيان الأمة بشكل أو بآخر. ولعلّ ما يحصل في العراق خير شاهد على ذلك، فقد أقضّ احتلاله مضجع العلامة الفضلي، وقد سمعتُ منه مرارًا وتكرارًا،

(١) العلاّمة الفضلي .. مشروع إصلاح وتغيير، لكاتب هذه السطور، منشورة في كتاب: (منعطف القرار) للأستاذ علي آل مهنا.

أثناء زياراتي المتكرّرة له، التحذير من مخاطر ما يراد للأمة من مخطّط إجرامي. وقد آلمه بما لا يقلّ عن ذلك بعض المظاهر الاجتماعية التي تكشف عن مدى الخلل الذي لحق بالشعب العراقي بسبب الإجرام الصدامي، الذي سعى إلى حرمان الأمة من تشييد نهضتها على أساس العلم والمعرفة، قبل أي شيء آخر، باعتباره منتجًا للإيمان الرشيد.

الثاني: بُعد الهمّة

أعتقد أنه ـ حفظه الله ـ يتّسم بهمّة عالية دفعت به إلى الإقدام على ما يعجز عنه كثيرون، وإلى التخطيط الدقيق للعديد من الخطوات والعمل على تنفيذها، وأذكر على ذلك هذا الشاهد:

ألحّ على سماحته هاجس التجديد في المناهج الدراسية الحوزوية، لأسباب عدّة ليس هذا محلّ ذكرها، فأخذ في تنفيذ ذلك على مدى سنوات امتدّت لأربعة وأربعين عامًا، بدءًا بالعام ١٣٨٣هـ، وهو سنة تأليفه لكتاب (خلاصة علم المنطق)، وانتهاءً إلى العام ١٤٢٧هـ، حيث لا يزال مشغولاً بكتابة موسوعته مبادئ علم الفقه[١]، غطّى فيها مساحةً شملت أغلب العلوم المتداولة في الوسط الحوزوي، وهي فترة لا يعمل فيها إلا ذوو الهمّة العالية، وهي السمة التي أشاد بها فيه شيخه المجيز له بالرواية الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ، حيث قال في إجازته له ولمّا يتجاوز العشرين سنة من العمر: «الشيخ الفاضل البارع، الشاب المقبل، الواصل في حداثة سنه إلى أعلى مراقي الكمال، والبالغ من الفضائل مبلغًا لا يُنال إلا بالكدّ الأكيد من كبار الرجال»[٢].

□ المحطّة الرابعة: نبل الذات

لم يحظَ العلاّمة الفضلي بما حظي من قبول واسع واحترام كبير في الوسط الاجتماعي، بسبب علمه فحسب، فالعلماء كثر، ولا بسبب تقواه وزهده فقط، فهؤلاء أيضًا ليسوا بالقلّة، وإنما حظي بذلك بسبب علمه وتقواه وزهده، مضافًا إليه عددٌ من السمات التي جعلت منه مشروع (الأمل) المفقود، لمجتمع عملت أسباب

(١) لعلّ الكاتب يشير إلى كتاب (دروس في فقه الإمامية)، حيث يعدّ من آخر ما سطّرته يد العلاّمة الفضلي في المقرّرات الدراسية، ولكنّه لا يعدّ الأخير، ففي ذلك العام كان الشيخ مشغول بتأليف آخر مقرّر دراسي كتبه، وهو: خلاصة الحكمة الإلهية. لجنة المؤلّفات

(٢) أعلام هجر، السيد هاشم الشخص، ط٢، ج٢/ ٢٩٥، ترجمة العلاّمة عبد الهادي الفضلي.

الحرمان على تهميشه وتغييبه مع كل ما يملكه منذ صدر الإسلام على مقوّمات النهضة الشاملة، ماديًا ومعنويًّا.

ولعلّ تلك السمات تنبع من (نبل الذات) الذي تميّز به علاّمتنا الفضلي ـ حفظه الله ـ بشكل بارز، ومنها:

السمة الأولى: صدق الانتماء للدين والمجتمع

يسوغ لي أن أقول إن الانتماء يأخذ شكلين اثنين:

- **الأول: الانتماء الفكري**، وهو مجموعة القناعات التي يؤمن بها (المنتمي)، وتكون محرّكًا له للإقدام والإحجام، ويصنّف المنتمون لأي فكر إلى صنفين:

أ. منتمين على بصيرة.

ب. منتمين على غير بصيرة.

وبعيدًا في التفاصيل، فقد لمست في العلاّمة الفضلي: انتماءً صادقًا للدين يتجاوز الادعاء، لقناعته الراسخة أن خلاصه الشخصي وخلاص أمّته في علوّ الدين وتغلغل تعاليمه في نفوس الناس وهيمنته على جوانب حياتهم الفردية والاجتماعية، ومن ثمّ فإن ما يشغل مجلسه من أحاديث لا يتجاوز همّ الدين وأهله[1].

- **الثاني: الانتماء الاجتماعي**، يتفاوت العلماء ـ وهم القادة الاجتماعيون ـ في إحداث التغيير الاجتماعي، بحسب ما يملك هذا أو ذاك من وسائل التأثير، ومن أهم تلك الوسائل شعور الأمّة/ المجتمع بأن ما يقوله العالم ويطلبه القائد يعود إلى المجتمع نفسه بالنفع؛ لأن التغيير أمر ينبع من تبدّل القناعات الداخلية لدى الفرد والمجتمع تدفع به إلى تغيير سلوك أو تطوير إرادة .. وقد يكون لدى العالم صدق في الانتماء للمجتمع، لكنه لا يحسن التعبير عنه، لذلك فالمطلوب أمران:

الأول: صدق الانتماء: وهذا إنما يحصل بالتقوى أولاً، وبحبّ الناس ثانيًا. فمن لا تقوى لديه لن يكون صادقًا في انتمائه لمجتمعه؛ لأن أنانيته ستشكّل حجابًا غليظًا

---

(١) انظر: العلاّمة الفضلي .. مشروع إصلاح وتغيير، مصدر سابق.

بينه وبين رغبات الآخرين (المجتمع)، كما أن من لا يحبّ الناس لن يتحلّى بالانتماء، وبالتالي لن يُطالب بالصدق فيه.

الثاني: حسن التعبير عن الصدق: فقد يكون بعض الناس منتميًا لمجتمعه، وهو صادق في ذلك، لكنه يقع في بعض ما يكون سببًا لهزّ ثقة المجتمع فيه. ومن ثمّ فإن المطلوب هو التحلي بأعلى درجة من المناقبية والنزاهة، لئلاً تُترك ثغرة تكون سببًا لإحداث اهتزاز في الثقة.

ولعلّ العلاّمة الفضلي توفّر على هذين الأمرين بشكل كبير، لعوامل ذاتية وموضوعية لا أستطيع تفصيلها الآن، جعلت من الوسط الاجتماعي ـ على اختلاف مشاربه وانتماءاته ـ يرى في سماحته (المنتمي) له، مما هيأ له تبوؤ مرتبة عالية من المقبولية تجعله في مصافّ (القادة).

فلم يقع سماحته في خصومة ولا نزاع مع أحد ولا جهة، كما لم يقع في ممارسة تجعل بينه وبين طيف من أطياف هذا المجتمع حاجزًا عن إمكانية التأثير فيه، بل بقي على مسافة واحدة من الجميع، دون أن يتخلّى عن قناعاته التي قد يختلف وآخرين حولها.

□ السمة الثانية: الشجاعة

تحلّى سماحة العلاّمة الفضلي بشجاعة نادرة، لم يتوفّر عليها كثيرون، وقد أخذت شجاعته أشكالاً، أشير إلى بعضها ضمن الشواهد التالية:

الشاهد الأول: انتسابه لكلية الفقه

ولعلّك تفاجأ، أخي القارئ بذكر انتسابه لكلية علمية في وسط علمي، وأبادر إلى تبديد وهمك لأشير إلى أن للأوساط العريقة، في أي مجال، تقاليد وأعرافًا ليس من السهل تغييرها واستبدالها، خصوصًا إذا كانت جذرية.

ولم تكن النجف ذات التاريخ الممتدّ لأزيد من الألف عام استثناءً، لها بدورها تقاليدها المدرسية والسلوكية العريقة، فليس مسموحًا ـ آنذاك ـ لطالب العلم أن يدرس أي علم، ولا أن يتصرف كما يشاء، ولا أن يقوم بما يحلو له؛ إذ عليه أن يلتزم ما درج عليه العلماء في تلك الأوساط ليشهدوا له ـ بدورهم ـ أنهم تولوا تربيته على ما ينبغي أن يكون عليه، وتتقبله الأمة بتلكم التزكية.

وبطيعة الحال، فإن تلكم التقاليد لم تكن بأجمعها صائبة، كما أن بعضها الآخر الذي يمكن أن يكون صائبًا في جوهره، ليس هو كذلك بالضرورة في شكله؛ لأن للتغيرات الاجتماعية متطلباتها التي لا بدّ من الاستجابة لها، في حدود ما لا يتنافى والثوابت، ويصطدم بالخطوط الحمر.

في هذا الجوّ المتشدّد والمتصلّب نشأ الشيخ الفضلي، حيث الصراع المحموم بين القديم والجديد، فاختار ـ بكل شجاعة ـ أن ينحاز للجديد، بعد أن وجد فيه ضالّته المنشودة من المواءمة بين ثوابت الإسلام وأحكامه من جهة، ومتطلّبات العصر من جهة ثانية. فترجم ذلك بالانتساب إلى كلية الفقه أولاً، مواصلاً مسيرته الأكاديمية في جامعة بغداد، انتهاءً بجامعة الأزهر بمصر(١).

وهذه المسيرة كانت مُرّة وقاسية على مثل الشيخ الفضلي آنذاك؛ لأن الوضع لم يكن ليتقبّل ذاك بسلاسة، وما أصعب أن تخالف ما هو سائد، وما أحوجك إلى أن تكون شجاعًا لتقوم به.

الشاهد الثاني: انتماؤه للعمل الإسلامي المنظّم

في هذا الجوّ نفسه استشعر علاّمتنا الفضلي ـ وثلة من أهل العلم والغيرة آنذاك ـ الحاجةَ الماسّةَ إلى تنظيمٍ يقوم على أساس تأمين الحاجة الاجتماعية للتربية الدينية وجني ثمارها، فلم يجد حرجًا في الانتماء، مع ما لفّ ذلك من مخاطر أمنية، حيث المنع الرسمي من قبل الدولة، ومخاطر اجتماعية، حيث الرفض الاجتماعي المطلق في الوسط الحوزوي لدى علماء الدين وطلبة العلم لذلك، ومع هذا وذاك اختار العلاّمة المكرَّم ما وجد أنه صواب وضرورة، ولمس الشجاعة في نفسه لاختياره ذاك.

وقد عُرِفَت حوزة النجف الأشرف بالصرامة والتقليدية، حرصًا من رموزها وطلاّبها على المحافظة على ما يطمئنّ إلى سلامته وصوابيته لقيام الدليل عليه. الأمر الذي انعكس سلبًا على وتيرة التفاعل بين الحوزة العلمية ومستجدّات الأحداث. وقد عاصر علاّمتنا المكرّم حقبة التمدّد الشيوعي والتمرّد على التعاليم والمعارف الدينية في العراق إبّان حكم عبد الكريم قاسم (١٩٥٨ ـ ١٩٦٣م)، فنشأت فكرة

---

(١) الشيخ الفضلي حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة/ كلية دار العلوم، ولم ينتسب إلى جامعة الأزهر. لجنة المؤلفات

التنظيم الإسلامي، فكان لسماحته شرف الريادة في الانخراط فيه، فكان من قياداته ذوي التأثير.

وكان شجاعًا وتقدّميًّا جدًّا في انتسابه وعمله ذاك، بعد أن آمن بصواب الفكرة مع شدّة رفضها من قبل قطاعات واسعة في الوسط الحوزوي[١].

الشاهد الثالث: ممارسة الكتابة والتأليف

لم يكن من المعتاد لدى الأوساط الحوزوية العامّة في النجف الأشرف ـ آنئذٍ ـ الكتابةُ والتأليفُ في غير العلوم الحوزوية المتعارفة، لذلك فإن من كتب ـ حينها ـ وألّف في غير ما تعارف فيه، عانوا أشدّ المعاناة، من الاتهام بالفشل الحوزوي، مرورًا بأنهم صحفيون، انتهاءً بالتمرّد على تقاليد الحوزة، ولهذه التهم وأمثالها قدرة تدميرية هائلة، يستجيب كثير من طلبة العلم لضغطها، تحول بينهم وبين تفجير طاقاتهم الهائلة في التأليف والكتابة.

الشاهد الرابع: احترام حقّ الغير في الاختيار

قد يحكم الركود الفكري وسطًا من الأوساط العلمية، فما إن يتبنّى أحدٌ رأيًا آخر غير ما هو مألوف، حتى تثار العواصف في وجهه، ولم يكن سماحته ممن يتبنّى وجهة النظر هذه، فهو يرى أن من حقّ صاحب الرأي أن يقول رأيه في حدود الاجتهاد الفكري بعد اكتمال مقدماته وقواعده، وليس لأحد ممارسة الوصاية عليه، وللآخرين الحقّ أن يبدوا آراءهم المخالفة، لكن في حدود الاختلاف العلمي دون تجريح شخصي.

وكان يمارس ذلك عمليًّا، فبينما نجد بعض أهل العلم يتكتّم على (الرأي الآخر)، وقد يضيف إلى ذلك التنكّر له ولعلمه، لدواعٍ علمية تارة، وغير علمية تارةً أخرى، أما الشيخ فلم يكن ـ فيما عهدته منه ـ ينطلّق من هذا المنطلق، بل كان موضوعيًّا في منتهى الموضوعية، فإذا كان بصدد بحث علمي فإنه يجنبه تمامًا من ميوله واختياراته، ليتولّى عرض الرأي الآخر بكل ما تتطلبه الموضوعية من

(١) لا يزال الوسط المتديّن في حالة جدل حول جواز التنظيم تارة،.وصوابه تارة أخرى، ونشير إلى أننا نتحدث عن فترة تاريخية ماضية من حياة الشيخ الفضلي، لكنه انقطع تنظيميًّا منذ فترة طويلة جدًّا، إذ لم يعد مرتبطًا فعلاً بأي تنظيم.

الإنصاف، فإذا تطلّب المقام المناقشة فإنه يدخل فيها بما ينبغي للعالم أن يراعيه من أصول البحث العلمي.

وسأكتفي بإحالة القارئ الكريم إلى مجموع كتب الشيخ ومحاضراته التي تزخر بالشواهد، على ما قلناه من عرض الرأي والرأي الآخر دون تحيّز لطرف دون طرف، ثم الوصول إلى مرحلة الاختيار حسب القواعد العلمية.

وأقتصر على ما نقله لي من أنه لما سافر إلى اليمن أخذ بالبحث عن كتاب لعالم يمني، سمع أنه يرى التفرقة بين الفائدة البنكية المعروفة والربا المنصوص على حرمته بين الفقهاء، ليكتب عن رأيه بأدلته التي ساقها صاحب النظرية. وهو شاهد على نبل أخلاقي يفتقده كثيرون بذريعة أن المسألة واضحة ومتّفق عليها، مع أن وضوح المسألة والاتفاق عليها ـ كما لا يخفى ـ ليسا مسوِّغًا كافيًا للتعتيم والتجاهل.

□ السمة الثالثة: التواضع

لخلق التواضع سحره الخاص، كما أن له تبعاته الثقيلة التي تضعف كثير من النفوس أمامها، فتكون سببًا لحرمانها منه؛ لأن الحقّ ثقيل، والتواضع يتطلّب إذعانًا للحقّ لا يتأتّى من كل أحد، وكلما كان الشخص كبيرًا وعظيمًا كان التواضع عليه أصعب، ولكنه إذا كان من أهل الحق والساعين إليه سهل عليه أن يكون متواضعًا.

والعلامة الفضلي اتّفق عارفوه على أنه من العظماء بمعنى الكلمة، فعلمه الواسع، ومنزلته الاجتماعية الرفيعة، وشهرته التي طبقت الآفاق .. كل ذلك يصبّ في أن يتميّز في ذاته، ويميّزه الآخرون، ولكنه تحلى بتواضع جمّ، جعل من كثيرين يغفلون عن جوانب تميّزه.

وتجسيدًا لتواضعه، فهو كاره جدًّا للظهور والشهرة، ومثالاً على ذلك، فإنه عزم على السفر إلى الجمهورية الإسلامية لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في العام ١٤٢٦هـ، وقد رتّب لسفره على عجل ودون تحضير سابق، وكان بإمكانه أن يستثمر زيارته تلك على أعلى المستويات، باعتباره وكيلاً عامًّا لسماحة الإمام الخامنئي ـ دام ظلّه ـ(١)، الذي يكنّ له من الاحترام الشيء الكثير، وباعتباره أستاذًا لعدد من كبار المسؤولين، وزميلاً لعدد من مراجع الدين، ولكنّه لم يشأ أن تختلط أهدافه الدينية بأي هدف

(١) وهي الوكالة الوحيدة التي قبلها سماحته من مراجع الدين، وتحمّل أعباءها، ولعل ذلك يتصل برؤيته للمرجعية، وهي الرؤية التي دوّنها في إجابة مفصّلة لاستفتاء قدّمه له بعض المؤمنين.

آخر، ولكن شاءت الأقدار أن يعلم الإمام الخامنئي ـ دام ظله ـ بزيارته، فما كان إلا أن دعاه للقاءٍ بينهما حظي فيه سماحته برعاية كريمة من زعيم الجمهورية الإسلامية تتناسب ومنزلته.

ولنُشِر إلى تواضعه ضمن منحيين:

المنحى الأول: التواضع للمؤمنين:

فـ «لا يجادل أحدٌ ممن اتصل بالشيخ سابقًا ولاحقًا أن سماحته بلغ من التواضع مبلغًا قلّ نظيره، لا فرق في تواضعه أن يكون الطرف الآخر صغيرًا أو كبيرًا، عالمًا أو متعلّمًا على سبيل نجاة.

وهو بهذا التواضع استطاع أن يحظى باحترام الجميع، ومجلسه العامر بالرواد من شتى الانتماءات والتيارات خير شاهد على محبوبية شخصيته وما يتحلى به من جاذبية.

كما أن من أبرز آثار هذا التواضع في شخصيته إتاحته الفرصة لكل من يفد عليه أن يدلي بدلوه بإبداء مقترح أو إيراد شاهد أو التنبيه على معلومة. ليتأكد هذا التواضع حينما يكون المجال متاحًا لتعليق من الشيخ فيحجم عن ذلك، خصوصًا إذا كان في التعليق إحراجًا للضيف.

ويتجلى تواضعه في شعور الآخرين ممن هم في مرتبة تلاميذه علمًا، وأولاده سنًّا، أنهم قادرون على الأخذ والرد معه دون أن يشعروا بأن ذلك ليس من حقوقهم، ليشعروا بالثقة في النفس، كيما يتأهلوا لأداء الدور الذي ينبغي أن يكونوا أهلاً له»[(١)].

المنحى الثاني: التواضع أمام الحقّ

التواضع في كماله وجماله لا يقف عند حدود منحاه الأول، بل ثمّة صورة أولى وأهم، وهي تجمع بين خلق الشجاعة والتواضع، وهي الإذعان بسعة الوجود، وبمقولته سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(٢)]، ليكون صاحب هذا الخلق على تواصل مستمرّ مع الفيض الربّاني، لذلك نضيف بأن سماحته يمتاز بهذه السمة،

(١) العلامة الفضلي .. مشروع إصلاح وتغيير، مصدر سابق.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

حيث «شعوره المستمر بضرورة مواصلة التعلم، ومن ثم فهو يتميز بنهم للقراءة وشغف في متابعة المعلومة، حتى أنه يعدّ أفضل هدية تقدم له كتاب لم يقرأه أو لا يمتلكه، أو معلومة لم يطلع عليها، ولهذا فهو يتواضع حتى لمن لا يتوقع منهم أن يخدموه في هذا المجال»[١].

وأذكر شواهد ثلاثة على سمة التواضع عمومًا لدى سماحته:

- **الشاهد الأول**: دُعِيَ سماحته لندوة قرآنية في العام ١٤١٦هـ من قبل القائمين على مهرجان شهر رمضان الثقافي في حسينية الناصر، ودعيت لأكون شريكه في الندوة، فكادت الأرض أن تبتلعني خجلاً من الدعوة، فأين أنا من العلم والمنزلة والسن؟ وأين هو الشيخ الفضلي في ذلك؟ ولكنّه لشدّة تواضعه قبل بكل أريحية وترحاب أن أكون شريكه، وتفضل بذلك لما يتحلّى به من تواضع.

- **الشاهد الثاني**: سألته في إحدى زياراتي قبل حوالي أربع سنين عن سبب إحجامه عن محاولة التفسير للقرآن الكريم، فأجاب بكل تواضع: إن التفسير من السهل الممتنع، مشيرًا إلى أن عظمة القرآن وعسر تصديه للتفسير، ولم يكن ذاك الجواب إلا تواضعًا منه، وإلا فإنه يمتلك قدرات علمية كبيرة جدًّا تؤهله للإبداع في ذلك، وليس مجرّد المشاركة.

- **الشاهد الثالث**: ليس من عادته ـ حفظه الله ـ التعريف بنفسه بما له من المناصب والمشاركات، كما يفعل كثيرون، مع أنه ـ كما سنشير ـ يتبوّأ الكثير من المناصب المهمّة في مواقع مختلفة، يكفي الواحد منها للتبجّح عند ضعفاء النفوس.

☐ السمة الرابعة: النشاط الدؤوب

من يتعرّف إلى سماحة العلاّمة الفضلي عن قرب، وقد كان لي شرف ذلك، لا يلمس في قاموس حياته معنى الكسل والخمول، فـ «في هذا المجال قد يستعصي عليك أن تجد شخصًا له إصرار الشيخ ومثابرته على العمل الجاد، ونتاجاته المتنوعة والمختلفة شاهد صدق على ذلك»[٢].

وأذكر الشواهد التالية:

---

(١) العلاّمة الفضلي .. مشروع إصلاح وتغيير، مصدر سابق.

(٢) العلامة الفضلي .. مشروع إصلاح وتغيير، مصدر سابق.

الشاهد الأول: مشاركته في الكثير من المناشط الفكرية والثقافية، بل إنه يعدّ أبًا حقيقيًا أو روحيًا لكثير منها، أو هو مشارك جادّ فيها، فعلى عجالة:

١. هو مشرف عامٌّ على جامعة آل البيت ﷺ بقم المقدّسة.
٢. وهو أستاذ لعدد من المواد في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن، وقد قام هو نفسه بكتابة مناهجها.
٣. عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية ببيروت، وعميد كلية الفقه والاجتهاد فيها.
٤. وهو مؤلّف لم ينقطع عن الكتابة حتى إصابته بجلطة خفيفة في العام ١٤٢٧هـ، حرمته استعمال يده اليمنى التي هي وسيلته الوحيدة والمعتادة في الكتابة.
٥. محاضر في مناسبات دينية ومواسم ثقافية، لم ينقطع عن المشاركة فيها إلا في حدود سنة ١٤٢٦هـ، أو قبلها بقليل، لظروف صحية.
٦. مشرف عام على مجلة نصوص معاصرة الفصلية.
٧. عضو في الهيئة الاستشارية لعدد من الدوريات والمجلات الفكرية.
٨. عضو في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ.

الشاهد الثاني: حدثته مرة في سنة ١٤١٧هـ عن رغبتي في الكتابة حول (الإمامة)، وسرعان ما أتحفني بمخطط بحث لذلك، مع أني فاتحته بمجرّد رغبة.

الشاهد الثالث: قدمتُ إليه بحث (الإمامة من منظور العلاّمة الفضلي)، سرعان ما أعاده إليّ بعد أيام مشفوعًا بتصويبات إملائية وطباعية كاملة، تنمّ عن قراءته للبحث من أوله إلى آخره.

الشاهد الرابع: كنت كلما زرته سألته عمّا هو مشغول بالكتابة فيه، خصوصًا مبادئ علم الفقه الذي عانى كثيرًا في تأليفه بسبب المنهج الذي اختاره واضطرّه ـ أحيانًا ـ إلى مراجعة مئة مصدر لتحديد وجه المسألة، كما حدّثني بذلك، دون أن ينتهي إلى موقف واحد من اختيار الفقهاء في ذلك.

وقد ألفتَ نظري حينها إلى أنه يشتغل بالكتابة في مبادئ علم الفقه أيام الأسبوع، بينما يتفرّغ يومي الخميس والجمعة في الكتابة في (دروس في أصول فقه الإمامية) الذي أنجزه في جزأين، وذلك دليل على مثابرته في نشاطه الدؤوب، مع ملاحظة أنه يشتغل بين هذا وذاك بكثير من النشاط البحثي الجانبي، من قبيل: محاضراته، وبحوثه التي يشارك بها في مؤتمر أو ملتقى أو مجلّة، ومقدّمات الكتب

المؤلّفة والمحققة التي تقدّم له ليتولّى التقديم لها، إلى جانب قراءاته للكتب والدوريات والمجلاّت والصحف.

□ السمة الخامسة: رعاية المواهب الشابّة

دأب ـ حفظه الله ـ على رعاية المواهب الشابّة من طلبة العلم ومن المثقفين والأدباء والشعراء، فكان كثير منهم يدفع بمخطوطته إليه ليسجّل ملاحظاته عليها أو التقديم لها، وكان يقوم بذلك مشكورًا، لاعتقاده أن المنطقة بحاجة إلى حراك في هذا الاتجاه، وكان يثني في كثير من المواضع على أصحاب الطروحات بما يستغرب القارئ هذا الثناء ووجهه؛ لأن هذا المستغرِب لا يعلم أن الغرض هو الدفع باتجاه التأليف والتحريك الثقافي دفعًا للخمول، كما أن حسن ظنّ الشيخ يغلّب جانب النظر للحسن على النظر للسلب، وهو دأب المؤمن كما أشارت إليه النصوص الشريفة.

ومثالاً على ذلك: ذهب معي بعض الشعراء من أبناء منطقتنا إلى مجلسه للسلام عليه، فعرّفته على أحدهم، وقد كان شاعرًا، فلما سمع سماحته قصيدته، فاجأنا، وهو الشاعر المتمرّس، إلى القول: إن شعره ليس أقل جودة من (...) وذكر اسم شاعر معروف تستضيفه وسائل الإعلام المقروءة والمرئية.

□ السمة السادسة: الحكمة وحسن التدبير

يمتاز سماحته بحكمة فائقة ونظر ثاقب في معالجة الأمور ومقاربة المشاكل، كل ذلك بوسطية وواقعية فائقتين على عدّة مستويات، جعلت من مختلف الأطياف تعتقد أنه الأقرب إليها، والسبب في ذلك هو:

١. طبيعة التعقيدات التحتية والفوقية التي تحكم واقعنا الاجتماعي، وشعور سماحته أن من المستحيل القفز عليها، وإلا كانت سعيًا في مجهول.
٢. تعدد الرؤى في الأوساط الناشطة، إلى حدّ التناقض أحيانًا، بالمستوى الذي لا مجال معه للرأي الواحد، ولا مناص معه من الإقرار بالتعددية مع المحافظة قدر المستطاع على التآخي والاجتماع على ما يتّفق الفرقاء عليه.
٣. إحساسه الأبوي بأن التعدّدية بين الناشطين ليست سببًا لفسح المجال للتناحر والاصطفاف بين القوى الفاعلة.

لكل ذلك، كان يرى لزومًا عليه أن تكون لغته ذات طابع عام، فهو ينأى بنفسه ـ في كثير من الأحيان ـ عن الغوص في التفاصيل، وفي بعض الأحيان يختار التعبير عمّا يرى أنه صواب بطريقة غير جارحة، الأمر الذي يظنّ مستمعه أنه يوافقه دون من عداه.

فهو ـ حفظه الله ـ ينطلق من حكمة الشيوخ وليس من جَلَد الغلام[1]، وقد مرّ بتجارب كثيرة، فيها الحلو والمرّ معًا، وفيها الألم والأمل، من كل ذلك لم ألمس منه نزقًا في رأي ولا تسرّعًا في موقف، بل قد تلمس منه البطء أحيانًا حرصًا منه على عدم الوقوع في الخطأ قدر الإمكان، ولأقتصر على شواهد عايشتها شخصيًّا، لأنه كان كهفي الذي ألتجئ إليه في المعضلات والمدلهمّات:

الشاهد الأول: ندوة تلفزيونية

تقدّمت إليّ قناة (عين) في شهر ربيع الأول من العام ١٤٢٤هـ، بدعوة للمشاركة في لقاء على الهواء مباشرة، فلبيتُ الدعوة، ثم ذهبتُ لزيارة سماحته وإحاطته علمًا بذلك، فأبدى قلقه من مشاركتي خوفًا عليّ من أسئلة محرجة قد يتقدّم بها المذيع أو المتّصلون يكون فيها ما لا يحمد عقباه، فقلت له: سأعتذر، وقد أبدى تخوّفه حبًّا وحرصًا عليّ من قول أو جواب أتقدّم به يثير حفيظة متحفّظ. فردّ: بأنه مجرّد تخوّف، واقترح أن أستخير الله، فقلت: لا أحتاج إلى ذلك.

الشاهد الثاني: الانتخابات البلدية

اختلفت الآراء حول المشاركة في الانتخابات البلدية بين مؤيّد ورافض، لأسباب وجيهة لدى كل طرف، ليس هذا مكان التعرُّض لها، وكنتُ ممن يميل بقوّة إلى المشاركة، فذهبتُ إليه مستفسرًا عن رأيه ومستأذنًا بتبنّي العملية الانتخابية، فكان جوابه: إذا لم يترتّب عليها فائدة فليس فيها ضرر.

الشاهد الثالث: اللقاء الفكري للحوار الوطني

كسابقه، واجه الحوار الوطني بين مؤيّد ورافض، لأسبابٍ وجيهة أيضًا، وكنتُ ممن يتبنّى مبدأ المشاركة، وذلك قبل أن تقدّم إليَّ الدعوة للمشاركة، فكان رأيه الذي سمعته منه مباشرةً عدمَ التحفّظ، من حيث المبدأ، فلما قُدِّمت إلى الدعوة للمشاركة

(١) قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «رأي الشيخ أحبّ إليّ من جَلَد الغلام»، نهج البلاغة.

في جولته الخامسة، استأذنته في الموافقة، فلم يرفض، بل شجّع وأضاف مؤيِّدًا: إن الدعوة قُدِّمَت أيضًا إلى شخص آخر سمّاه، تبيّن فيما بعد أنه ليس المدعوّ، وأنه أخبر الشيخ بذلك فسرى وهمُهُ إلى الشيخ.

وفي الشاهدين الأخيرين نُقِل عنه ـ حفظه الله ـ رأيٌ معارضٌ، وتحليلي هو ما قدّمته من أن سماحته كان أبويًّا في إجاباته ولم يكن يرغب في جرح أية مشاعر، لذلك قد يفهم منه الرافضون تأييدهم، كما يفهم المؤيّدون ميله إليهم.

قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية .. بين الشهيد الصدر والدكتور الفضلي(*)

■ الشيخ محمد مدن عمير(•) ■

□ المدخل

لن يسير المدخل ضمن المناخ التقليدي الذي يراد فيه أن يؤكد على أهمية التجديد في مناهج الدراسة الحوزوية؛ لأنها مسألة نستطيع أن نؤكد على وضوح أهميتها في الذهنية العلمية الحوزوية.

فكل كيان علمي خاضع في كيانه لعملية نقدية دائمة تلهمه أهمية ملاحقة إفرازات المرحلة ومتطلباتها، لتسهم في تقديم الحلول والبحوث العلمية التي تلبي حاجياته الفكرية، خاصة أن (الحوزة العلمية) تشغل وظيفة تقديم المعارف الدينية وتغذية الأمة بأهدافها وروحها، كما تشغل وظيفة الحماية لتلك المعارف الدينية؛ لأنها ـ أي المعارف ـ هي السبيل الوحيد لنجاة الأمة وتطورها؛ إذ هي وليدة التفكير العلمي الدائم في النص الديني، بل هي الإرث الطبيعي لكل ما يشمله الفكر الإسلامي من نصوص وروحية معطاءة ومقاصد.

ومن هنا، ندرك أهمية البحوث العلمية الدينية التي يبثها العلماء في المناخ الحوزوي، وندرك القداسة التي تحيطها تبعًا للمصادر المقدسة التي تفهم وتستنبط منها (القرآن الكريم، السنة الصحيحة)، وتُصدَّر، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) باحث، وأستاذ بالحوزة العلميّة من القطيف.

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

لكن المثير للاهتمام أن هذه القداسة التي تحوم حول المعارف الدينية لم يمنعها من التطور وتقديم الجديد الدائم، بما يتناسب ومتطلبات المرحلة التي تعيشها الحوزة العلمية، واكتشاف النظريات الفقهية والأصولية والقرآنية الجديدة. مما يعني أن هناك ممارسة اجتهادية دائمة، تعيش حالة الحراك والتطور و(التجديد) بهدف تعزيز حقيقة: أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، وأن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة، والدين الكوني النهائي، الذي لن يقبل الله غيره.

والسر في ذلك التطور المحاذي للهالة القدسية، هو بقاء باب (الاجتهاد) و(الفقاهة) مفتوحًا، دون غلق أو وصاية.

دون غلق، لأن غيبة الإمام المعصوم الثاني عشر ـ عجل الله فرجه ـ فتحت الباب أمام الفقهاء ليقدموا ما يتناسب مع حاجيات العصر «فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا»، بعد أن اتضحت الطريقة الاجتهادية المضاة من المقنن الإسلامي، وذلك «في نهايات القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الهجريين، حيث أخذ الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتحول على أيدي المفكرين المسلمين من أئمة أهل البيت ﷺ وأعلام الصحابة ﷺ، ورجالات التابعين إلى علوم مقننة، لها أصولها وقواعدها وتفريعاتها المتعددة والمختلفة»[1].

ودون وصاية، أي دون رقابة أبوية، كما هي الحال في التراث العلمي المسيحي، وكل ما هنالك ـ حوزويًا ـ رقابة علمية ناشئة من ضرورة توافر الشروط العلمية الاجتهادية في كل بحث يريد أن ينتمي للمعارف الدينية.

وما التجديد في (المناهج) الدراسية الحوزوية إلاّ مقدمة طبيعية لذلك التطور الحاصل في الأساليب والمناهج الاجتهادية؛ لأنها المادة المقدمة لتغذية الطالب بطريقة التفكير العلمية في تخصصات: الفقه، الأصول، التفسير، العقائد، الأخلاق.. إلخ، وهي التخصصات التي تتبنى تعليمها الحوزة العلمية.

□ إشكالية التجديد

إذن لا داعي، للوقوف كثيرًا للبرهنة على ضرورة التطوير في تلك المناهج، وبث الروح التربوية والمادة العلمية المنهجة فيها.

---

(١) مقال: دور الإمام الصدر في التطوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية، الشيخ الدكتور الفضلي، مجلة الفكر الجديد، العددان ١٣ - ١٤ السنة ٤ - حزيران ١٩٩٦م / صفر ١٤١٦هـ.

لكن المشكلة هي مشكلة (المصطلح) الذي يقلق الفكرة بدل أن يدل عليها، كما هي وظيفة كل المصطلحات، ويبهم الحقيقة بدل أن يكشف عنها! إنه مصطلح (التجديد) الذي تحول من معناه البسيط (= التطوير)، إلى معنى مركب معقد يساوق (الثورة على القديم) و (الانقلاب العسكري ضده)!

ولعلي أرى الباحثين يقفون الموقف نفسه من قضية (المصطلح) في أكثر مصطلحات الحداثة، وما وراءها، حين يبحثون عن معنى واضح لمصطلح: الحداثة، الديموقراطية، المجتمع المدني، البنيوية.. وغيرها، ولعل ذلك ناتج من التراكم الثقافي الذي يحوط المصطلح، وتطوره العلمي في مناخات فكرية متعددة، كالسياسة والأدب والفن والفلسفة وما شابه ذلك، مما سبب لبسًا وضبابية في فهم المصطلح.

◻ التجديد في الفكر الإسلامي

مصطلح (التجديد) في الفكر الإسلامي نموذج على عمق الإشكالية الناشئة من تعدد المعاني المتصورة في أذهان العلماء، وبسبب ما يحظى به الفكر الإسلامي من قداسة في نفوس المسلمين.

ومع بيان معانيه وتحديد المراد منه، تنحسر تلك الإشكالية، ويبدو أن التجديد هو الممارسة التي تتناسب مع قداسة ذلك الفكر، فقد يراد من التجديد:

١. تغيير وتبديل أو تطوير الدين الإسلامي الذي جاء به النبي **محمد** ﷺ؛ لأنه ناقص لا يتناسب مع كل زمان ومكان.
٢. التمسك بما جاء به النبي **محمد** ﷺ من تشريعات ونصوص، لكن نستفيد من روافد الفكر الإنساني لتأسيس تشريعات جديدة تطور الوضع الإسلامي العالمي في الوقت الراهن والمستقبل.
٣. الالتزام بالتشريعات الإسلامية التي جاء بها **محمد** ﷺ، ومحاولة التجديد في الممارسة الفقهية الاجتهادية عبر آليات البحث العلمي المعتمد.

ولا شك أن (تجديد) الفكر الإسلامي بالمعنيين الأولين، يثيران الرفض لهما من قبل جميع المسلمين، إذ إن «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»، ولا مجال لزيادة أو نقصان في مصادر التشريع الإسلامية الأصيلة (القرآن، السنة الصحيحة)، وإنها ـ في عقيدتنا ـ قادرة على استيفاء كل متطلبات الحياة إلى يوم القيامة، بعد أن وصلت إلينا بسلامة عن طريق المعصومين ﷺ.

ووجود هذين الاحتمالين في معنى (التجديد) ربما هو ما ساهم في خلق جو رفض مبدئي لهذا المصطلح، إما لأجل ما يستبطنه من المعنيين الخاطئين الأولين، أو لاعتقاده بأن التجديد سيفضي للوصول لتلك النتيجة الخاطئة، بالرغم أن الكثير من العلماء المسلمين الذين عنوا بمسألة التجديد لا يريدون هذين المعنيين بالتأكيد.

لذلك، فالمعنى الثالث هو المراد والذي يعنيه المصطلح «تجديد الممارسة الفقهية الاجتهادية ضمن الضوابط العلمية».

ولا إشكال يعتري هذا المعنى، لأن التجديد في الممارسة الفقهية، قد يعني «أحد أمرين ربما يكون لهما ثالث ورابع:

أ. إعادة النظر في النصوص الدينية للخروج منها بجديد لم يكن سبقنا إليه آخرون، أو سبقونا إليه وغادروه.

ب. إعادة النظر في الواقع لتطبيق نص قديم عليه، وهذا نوع من التجديد من دون شك، بل ربما يكون هو المقصود من مفردة التجديد عند بعضهم»[١].

ولا أحد ينكر من الفقهاء ـ ولو عمليًّا ـ هذا المعنى من التجديد في الفكر الإسلامي، خاصة في مجال الاجتهاد الفقهي؛ لأن «الآراء الفقهية نتائج اجتهادات الفقهاء في فهم النصوص الشرعية، ذلك أن المسلمين في عهد النبي ﷺ كانوا يأخذون معنى النصوص الشرعية التي تفيد الحكم من تفسير وشرح النبي ﷺ لها، وما كانت تلكم الشروح والإفادات لتدوّن من قبل الصحابة. وبَعُدَ العهد وانتهى آخر جيل من الصحابة، وبعد آخر جيل من أصحاب أهل البيت ﷺ انتقل أمر التشريع إلى الفقهاء، فذهبوا يستقرئون النصوص الشرعية ويستنطقونها، وكان فهمها من قبلهم يختلف باختلاف مستوى ذهنية الفقيه ومستوى خلفياته الثقافية»، حتى وصل الأمر للفقهاء المعاصرين، مما جعل عملية التجديد والتطوير أمرًا طبيعيًّا في حلقات البحث العلمي.

«ولأضرب لهذا مثالاً: ائتمان الأموال في البنوك، والتعامل بالأوراق من شيكات وبطاقات وما يشاكلها، إنه أمر تفرضه الضرورة، ويدخل ضمن التجديد، لا سيما أنه لم يرد فيه نص شرعي خاص لا في الكتاب ولا في السنة.

---

(١) مقال: وقفة مع مفهوم التجديد، محمد حسن زراقط. انظر موقع: Nosos.net، مجلة نصوص معاصرة.

مثال آخر: التأمين، بنوك الدم، بنوك الأعضاء، كل هذه تدخل ضمن التجديد.

النظم الاقتصادية التي تحكم العالم اليوم، وكذلك النظم السياسية، فالمسلم ـ قَرُبَ منها أو بَعُدَ عنها ـ لا بدَّ أن يتعامل معها بشكل مباشر أو غير مباشر.

وعلى الفقه الإسلامي أن يدرسها وأن يقول كلمته فيها، هذا ـ أيضًا ـ يدخل ضمن التجديد.

أن تكون لدى المسلمين نظرية سياسية وأخرى اقتصادية مدونة وفق منهج البحث وأصول الكتابة المعاصرين هي من الفكر التجديدي.

من هنا انطلق الواعون والغيارى من علماء المسلمين يجددون، فرأينا الكثير من أعمال التجديد في الفكر على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المؤسسات»[1].

□ التجديد في مناهج الدراسة الحوزويّة

وهنا إشكالية أخرى لم تنشأ هذه المرة ممَّا يستبطنه المصطلح، وإن لم يخلُ من أثر، لكن بسبب (قدسية) تلك المناهج النابعة من قدسية مؤلفيها، وقدسية العلماء الذين أكدوا على التمسك بها في فترة زمنية مديدة.

وهذه القدسية ما زالت تمد طلاب الحوزة بروحية مميزة، تبعثهم على الإبداع تارة، وعلى التقليدية تارة أخرى، لكنها لم تصمد أمام إرادة التطوير والتحسين لتكون المناهج أكثر كفاءة للأداء العلمي في تنمية الطالب وإعداده للمراحل العليا (التفقه والاجتهاد)، خاصة في جو يتفق فيه الكثيرون على مشكلة (التعبد) بمناهج قديمة لا تفي بالغرض العلمي المعاصر، يقول السيد **علي الخامنئي** ـ حفظه الله ـ في حديثه عن الإشكاليات التي تواجهها الحوزة العلمية: «الكتب الدراسية تشكل مشكلة أخرى من مشاكل الحوزة العلمية في قم وبقية الحوزات، وعندما نطرح هذه المعضلة يقولون: إن العالم الفلاني درس في هذه كصاحب الكفاية، وأكثرهم ثورية يقول **الإمام** ﵀ درس هذه الكتب وبسببها صار إمامًا، فأسألكم إذن هل إن **الإمام** وصل إلى تلك الدرجة بسبب تلك الكتب وهذه الدروس؟ **الإمام** كان جوهرًا فريدًا من نوعه، وهذه العظمة التي وجدناها في **الإمام** لم تكن قطعًا ناتجةً عن دراسة هذه الكتب؟ ولو سلّمنا بذلك فإنه قد مضى على دراسته سبعون سنة؟ لماذا لا تؤلف كتب

(١) حوار: التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مع د. الفضلي، مجلة الكلمة، العدد ٤، السنة الأولى، صيف ١٩٩٤، ١٤١٥هـ.

دراسية جديدة؟ ما هو الإشكال في ذلك؟ فلتشكَّل هيئات تأليفية لإعداد كتب علمية جديدة أم أنه لا بدّ أن تدرس المطوّل والمعالم والقوانين... وشرح اللمعة إلى الأبد؟ إنني أقول لكم: أصلحوا هذا، جددوا، فهل من المعقول أن هذه المجموعات البشرية الهائلة مع ما تملك من استعدادات وكفاءات ليس لديها القدرة على تجديد الكتب الدراسية؟! هذا الأمر لا بدّ من إنجازه، من يقوم بهذه الأعمال كلها؟

إنها وظيفة إدارة الحوزة، نعم لقد قام أفراد مخلصون ومصلحون ولديهم إحساس بالمسؤولية وألَّفوا كتبًا تضمنت مطالب ونظريات جديدة؟ ولكن كان عملاً فرديًا، والعمل الفردي لا يؤدي النتيجة المطلوبة، العمل يجب أن يكون جماعيًا، وهذا يجب فرضه على الحوزة»[1].

وهذه الوظيفة تحتاج عوامل عدة لتكتمل، وشروط أساسية لتنمو بشكل صحيح، لتصمد أمام محاولات العبث والاغتيال؛ لأن «قيمة الحركة التجديدية هي في قدرتها على الانطلاق في ظرف معين وتحريك عناصر هذا الظرف باتجاه المستقبل في خطوات متسقة مع حركة الزّمن، بحيث لا تتأخر عنه ولا تتخلف مهما كانت الحركة متسارعة حتّى تحقق أغراضها. وهذا هو الفارق بين حركة التجديد وبين غيرها من المحاولات الّتي تولد وتموت قبل أن تحقق غرضها وقبل أن تركز هويتها في الذاكرة الاجتماعية»[2].

وشروط نجاح التجديد في المناهج الحوزوية مرتبط بعوامل ثلاثة، متى ما عملت الشروط فيها، وكانت متحققة، استطعنا أن نقول بأن مشروع التجديد ناجح بلا أدنى شك.

- **الأول**: المُجدِّد (فاعل التجديد).
- **الثاني**: دواعي التجديد.
- **الثالث**: المجَدَّد (المادة المنفعلة بالتجديد).

وأهم الشروط التي ينبغي للمجدد أن يحويها لتنجح عمليته التجديدية شرطان:

- **الأول**: أخلاقية التجديد.
- **الثاني**: علمية التجديد.

(١) بيان السيد علي الخامنئي، ١٢ شعبان ١٤٢٤هـ.

(٢) التجديد والزمن، رؤية الشهيد الصدر لمؤثرات التجديد، حسين الشامي.

وسوف نتعرف على حقيقة الشرطين وأهميتهما في قراءة المحاولتين القادمتين:

□ الصدر والفضلي

ولنركز على مادتي: علم الفقه، علم أصول الفقه، وما لحقهما من تطوير وتجديد، ضمن أروع محاولتين للتجديد قام بهما:

- المفكر الإسلامي الكبير المرجع الديني السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﵀.
- الفقيه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ حفظه الله ـ.

لنتعرف على هاتين المحاولتين، وما طرحاه من منهج لتجديد المناهج لنخلص بخاتمة مفيدة.

أولاً: مشروع الصدر التجديدي

في سياق الجهد الإبداعي الخاص الذي قدمته شخصية **الصدر** الفذة، التي وضعت لمساتها الجديدة على كل حقل معرفي فتح بابه، نجد مساهمته في تجديد المناهج الحوزوية، بعد أن نضجت في ذهنه الممارسات التجديدية السابقة له ﵀.

يقول في حديثه عن دور **الشيخ الطوسي** ﵀ في تجديد علم أصول الفقه: «إنّ التطور الّذي أنجزه الشيخ (**الطوسي**) في الفكر الفقهي كان له بذوره الّتي وضعها قبله أستاذاه **السيد المرتضى والشيخ المفيد** وقبلهما **ابن أبي عقيل وابن الجنيد**... وكان لتلك البذور أهميتها من الناحية العلمية، حتّى نقل **عن أبي جعفر بن معد الموسوي** وهو متأخر عن **الشّيخ الطوسي** أنه وقف على كتاب **ابن الجنيد** الفقهي واسمه (**التهذيب**)، فذكر أنه لم يرَ لأحدٍ من الطائفة كتابًا أجودَ منه ولا أبلغَ ولا أحسنَ عبارة ولا أرقَّ معنىً منه، وقد استوفى فيه الفروع والأصول وذكر الخلاف في المسائل واستدل بطريقة الإمامية وطريق مخالفيهم. فهذه الشّهادة تدل على قيمة البذور التي نمت حتى آتت أكلها على يد **الطوسي**»[1].

ويقول في دوره في تجديد علم أصول الفقه: «ما مضى **المجدد محمد بن الحسن الطوسي** ﵀ حتّى قفز بالبحوث الأصولية وبحوث التطبيق الفقهي قفزة كبيرة وخلّف تراثًا ضخمًا في الأصول يتمثل في كتاب العدة، وتراثًا ضخمًا في التطبيق الفقهي يتمثل في كتاب المبسوط.

(١) المعالم الجديدة للأصول، الشهيد الصدر، ص ٦٢-٦٣.

ولكن هذا التراث الضخم توقف عن النمو بعد وفاة الشيخ المجدد طيلة قرن كامل في المجالين الأصولي والفقهي على السواء»(١).

ويتحدث عن الجو الذي كان يسود الحوزة آنذاك: «الحوزة العلمية التي خلّفها الشيخ الطوسي سرى فيها روح التقليد؛ لأنها كانت حوزة فتية، فلم تستطع أن تتفاعل بسرعة مع تجديدات الشيخ العظيمة، وكان لا بدّ لها أن تنتظر مدة من الزمن حتى تستوعب تلك الأفكار وترتفع إلى مستوى التفاعل معها والتأثير فيها، فروح التقليد فيها كانت مؤقتة بطبيعتها»(٢).

لا بدّ أن هذا الرجل الذي يدقق في مسيرة تاريخ التجديد في الدراسة الحوزوية كان يشغله همٌّ، يخطط ويمهد لعرضه والتضحية لأجله.

يقول الشهيد: «وقد كنا منذ زمن نجد أكثر من سبب يدعو إلى التفكير في استبدال هذه الكتب بكتب أخرى في مجال التدريس، لها مناهج الكتب الدراسية بحق وأساليبها في التعبير وشرائطها»(٣).

جهده التجديدي في منهج الأصول

قام ﵀ بتأليف حلقات ثلاث: الحلقة الأولى، الثانية، الثالثة، وهي عبارة عن (دروس في علم الأصول).

التعريف بها:

- **الحلقة الأولى**: تغطي حاجة الطالب في مرحلة المقدمات.
- **الحلقة الثانية**: تغطي حاجة الطالب في مرحلة السطح.
- **الحلقة الثالثة**: تغطي حاجة الطالب في مرحلة السطح العالي.

خصائصها:

«مصممة بروح واحدة وعلى أسس مشتركة»(٤).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ٧٠.

(٣) دروس في علم الأصول، مقدمة الحلقة الأولى، الشهيد الصدر، ص ١٠.

(٤) دروس في علم الأصول، مقدمة الحلقة الأولى، الشهيد الصدر، ص ٢١.

منهجها[١]:

١. إعداد الطالب لمرحلة البحث الخارج، عن طريق التدرج في المراحل الثلاث، وعرض أحدث ما وصل إليه علم الأصول من أفكار، وتدريب الطالب فنيًّا.
٢. تشترك في المنهجية والتبويب، وتختلف في مستوى العرض كمًّا وكيفًا، ومتدرجة.
٣. التركيز على المسائل ذات البعد العلمي الفني، لتدريب الطالب على البحث الخارج، فليس من الضروري عرض كل المطالب وكل الأدلة.
٤. تجاوزت التحديد والتبويب الموروث للمسائل الأصولية، وقدمت مطالب جديدة بعناوين جديدة مناسبة.
٥. التدرج من البسيط إلى المعقد في عرض المسائل والإشكالات المنثورة في الأبواب.
٦. التعدُّد في الحلقات وتثليثها مهمٌّ جدًّا، لتخليص الطالب من المفاجآت العلمية المخلة.
٧. كل حلقة استوفت المباحث الأصولية، لكنها قد لا تذكر بعض البحوث، إذا اكتمل عرضها في الحلقة السابقة لها.
٨. كانت الحلقة الأولى أقرب للتعبير الحديث، والثانية والثالثة أقرب إلى العلمية والدقة.
٩. وضوح العبارة في الحلقات الثلاث لا يعني عدم الحاجة للرجوع للأستاذ المختص بالمادة.
١٠. قبول برهان على فكرة علمية في حلقة لا يعني القبول بها، فقد تناقش في الحلقة التي تليها.

عوامل نجاح تجربة الصدر

اشتمل ﷺ على الخاصيتين سابقتي الذكر، وإليك ملامحهما:

١ - **أخلاقية التجديد**: فكان في غاية الأخلاقية التجديدية، التي يمارسها الشهيد في كتاباته الإبداعية، بحيث يجد أعداؤه أنفسهم بين روح طيبة لا تهدف للعداء العلمي.

---

(١) تلخيص ما ذكره الشهيد في مقدمة الحلقة الأولى، ص ٢١-٣٠.

تقرأ له ﵀ في الكتب الأصولية الأربعة قبل تجديدها، وهي: المعالم والقوانين والرسائل والكفاية: «وقد أدت هذه الكتب الأربعة ـ مشكورة ـ دورًا جليلاً في هذا المضمار، وتخرج من حلقاتها الدراسية خلال نصف قرن الآلاف من الطلبة الذين وجدوا فيها سلمهم إلى أبحاث الخارج، ولا يسعنا في هذا المجال إلاّ أن نستشعر ـ بعمق ـ بما لأصحاب هذه الكتب الأبرار ـ قدس الله أسرارهم الزكية ـ من فضل عظيم على الحوزة ومسيرتها العلمية»[1].

٢- **علمية التجديد**: وأريد بذلك الكفاءة العلمية التي يحويها **الصدر**، وقد أدرجها الفقيه **الدكتور الفضلي** في:

أ. اجتهاده المتميز: وأعني بذلك أنّ **الإمام الصدر** كان فقيهًا مجتهدًا على مستوى النظرية والتطبيق.

ب. موسوعيته الثقافية: فقد لاحظت ـ عن قرب ـ حياته الثقافية فرأيته، قارئًا مدمن القراءة، قرأ الكثير من الكتب القديمة والكثير من الكتب الجديدة وتابع الدوريات التي صدرت والتي تصدر، منوعًا في قراءته لمختلف حقول المعرفة التي ترتبط، مباشرًا وغير مباشر، بتخصصه كفقيه مجتهد.

ج. نظرته للحياة: ونتيجة ما وفق إليه من ثروة ثقافية منحته الموسوعية التي أشرت إليها، توسعت نظرته للحياة المعاصرة لتشملها بكل أبعادها وشؤونها.

ومن هنا كان الفقيه بمستوى التطبيق.

د. فهمه لواقع الفقه الإسلامي: بما له من شمولية لتنظيم كل شؤون حياة الإنسان فرديًا واجتماعيًا.

ذلك الفهم الذي استمده من مقارنة التشريع الإسلامي بالتشريعات القانونية الحديثة التي غطت كل الجوانب الاجتماعية للإنسان، اجتماعية بمعناها الخاص واقتصادية وسياسية وإدارية وعسكرية وإلخ.

هـ. متابعته لإفرازات الصراع الفكري العالمي: ذلك الصراع المتمثل اقتصاديًا بالخلافات الفكرية بين الاشتراكية والرأسمالية، التي تركت آثارها وانعكاساتها على الساحة العالمية تأزمًا نفسيًا، وتطلعًا لاقتصاد آخر ينقذ إنسان العصر من ضغوط هذا الصراع ونتائجه المريرة في أخطارها»[2].

(١) دروس في علم الأصول، مقدمة الحلقة الأولى، الشهيد الصدر، ص ١٠.

(٢) مقال: دور الإمام الصدر في التطوير الفقهي وتحديد المشكلة الاقتصادية، الشيخ الفضلي.

وهكذا، فإن **الشهيد الصدر** وضع لمساته في تجديد المنهج الحوزوي في علم الأصول، وما زال المنهج متوهجًا في قلوب طلاب العلوم الدينية.

ثانيًا: منهج الشيخ الفضلي في التجديد

الشيخ الدكتور الفضلي، هو الوحيد ـ فيمن قرأت ـ الذي عرض منهجًا متكاملاً، للدرس الحوزوي من بدايات المرحلة الأولى إلى بحث الخارج.

«يعتبر **العلامة الفضلي** من بين رواد مدرسة التجديد المعاصرة في الحوزة العلمية الشيعية، متخصصًا في مشروع تجديد مقررات دروس الحوزة العلمية.

كما يمكننا اعتباره رائده الأول، حيث أخذ على عاتقه جزءًا كبيرًا من هذه المسؤولية، ونلخص مساهماته في هذا المشروع بما يلي:

١. أضاف مؤلفات دراسية في معظم العلوم التي تدرس في الحوزة الشيعية، قام بإعادة صياغة مادتها أسلوبًا ومنهجًا، أمثال كتبه: **(التربية الدينية)**، **(تلخيص البلاغة)**، **(تلخيص العروض)**، **(خلاصة علم الكلام)**، **(خلاصة المنطق)**، **(مبادئ أصول الفقه)**، **(مختصر الصرف)**، **(مختصر النحو)**، **(مذكرة المنطق)**، **(مبادئ علم الفقه** ٣ أجزاء)، وكتابيه الاستدلاليين **(دروس في فقه الإمامية**، ٤ أجزاء) و**(دروس في أصول الفقه**، جزآن).
٢. قام كذلك بإدخال علوم جديدة لم تكن موجودة في المؤسسة التعليمية، بتأليفه كتبًا دراسية في هذه العلوم، أمثال كتبه: **(تاريخ التشريع الإسلامي)** و**(أصول الحديث)** و**(أصول الرجال)** و**(أصول البحث)** و**(تحقيق التراث)**».

□ تصور الشيخ الفضلي للمراحل الدراسية

البرنامج:

«أقترح أن نطور البرنامج الدراسي الحوزوي إلى التالي:

تقسيم المراحل الدراسية في الحوزة العلمية إلى ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: يدرس فيها الطالب العلوم المساعدة للتخصص بالفقه، وهي:

١. مبادئ علم الاجتماع.
٢. مبادئ علم النفس.
٣. مبادئ علم القانون.
٤. مبادئ علم الاقتصاد.

٥. مبادئ علم الكلام.
٦. مبادئ الفلسفة.
٧. مبادئ علم التربية.
٨. إحدى اللغات الحية.

المرحلة الثانية: يدرس فيها الطالب ما يعرف بالمقدمات، وهي:

١. علم الصرف.
٢. علم النحو.
٣. علم التجويد.
٤. علم البلاغة.
٥. علم المنطق.
٦. مناهج البحث.
٧. مبادئ أصول الفقه.
٨. مبادئ الفقه.

المرحلة الثالثة: يدرس فيها الطالب علوم التخصص بالفقه، وهي:

١. علم أصول الفقه.
٢. القواعد الفقهية.
٣. علم الدراية.
٤. علم الرجال.
٥. الفقه الاستدلالي».

المنهج:

«أما المنهج المقترح:

١. أن نعتمد أصول البحث في دراساتنا الإسلامية.
٢. أن نعيد النظر في جميع ما كان من فكرنا الإسلامي مرتبطًا بواقع من ظروف وغيرها قد تغيّر وتبدّل إلى واقع آخر يختلف كليًا أو جزئيًا عن الواقع السابق، وذلك لكي نكون بهذا مع متطلبات الحياة المعاصرة.
٣. أن نعيد النظر في لغة فكرنا الإسلامي ونغيّر فيها إلى ما يلتقي ولغتنا المعاصرة ألفاظًا وأساليب.
٤. أن نحاول الاستفادة من تجارب الآخرين في طريقتي الدرس والعرض.

٥. أن يكون هدفنا خدمة قضايا الفكر والعقيدة، وألَّا نتهيّب ذوي المواقف السلبية من التجديد من أولئك الذين هم ليسوا بمستوى فهم الحياة المعاصرة ومتطلباتها، وليسوا بمستوى فهم الإسلام كنظام حياة، أو أنهم ضالعون في خدمة أعداء الإسلام وتحت ستار المحافظة على الإسلام»[(١)].

ويقول في حوار آخر: «ومن هنا أرانا بحاجة إلى إعادة النظر في كل ذلك، لنكون ونحن في أصالتنا في الوقت نفسه مع المعاصرة، وهذا يتطلب منا وعلى نحو الاختصار:

١. أن نستفيد من النظريات والدراسات اللغوية الحديثة، وخصوصًا فيما يرتبط منها بفهم النص.
٢. أن نستفيد للتطوير في مجال علوم البلاغة من جديد علم الأسلوب، لاسيما في فهم الجمل والتراكيب.
٣. أن ننأى عن المنهج الفلسفي في دراسة علم أصول الفقه، وأن نضع له منهجًا علميًّا خاصًّا.
٤. أن ننظر إلى الفقه في تعاطينا وتعاملنا معه على أنه نظام حياة الإنسان المسلم ننطلق فيه من محاولة فهم حياة الناس بكل شؤونها وتفصيلاتها، فردية واجتماعية، ومن مسايرتنا لمختلف تطورات حياة الإنسان في جميع أنماط سلوكه الفكرية والعملية. فمثلاً إذا أردنا أو طلب منا أن نلتمس الأحكام الشرعية للمصارف التجارية التي يتعامل معها الناس، فإن علينا أن ندرس المصرف كمؤسسة مالية حديثة من خلال ما كتبه المختصون ومن خلال أوراق المعاملات المالية بين المصرف وعملائه، ومن خلال الدراسة الميدانية لعمليات «أعمال» المصارف»[(٢)].

□ صور مشوهة للتجديد

ويضع يده على بعض الممارسات التي تدَّعي التجديد، وهي لا تزيد على كونها تلخيصات، أو إعادة صياغة للمادة المطروحة، دون المساس بالمنهجية والتبويب

(١) حوار: التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مع د. الفضلي، مجلة الكلمة، العدد ٤، السنة الأولى، صيف ١٩٩٤، ١٤١٥هـ.
(٢) حوار مع جريدة الوسط، بتاريخ: ٢/ ٥/ ٢٠٠٣م.

العلمي: «أضف أن التأليف في المقررات الدراسية في المؤسسات العلمية العالية والعليا أخذ ينحو الآن إلى الاهتمام بالأمور الآتية:

١. تنظيم المادة العلمية في الكتاب تنظيمًا عضويًّا يساعد الدارس على فهم المادة فهمًا لا عسر فيه.

٢. تبسيط وتوضيح العبارة وبأسلوب جميل مشوق يشد الدارس إلى الموضوع شدًّا يعينه على فهم المطلب فهمًا ميسرًا.

وأيضًا مما يؤسف له أن أرى الآن بعض مؤلفي الكتب الحوزوية المؤلفة حديثًا من يحاول إدخالها عالم الدرس الحوزوي مع افتقادها لما ألمحت إليه من خلوها من العنصر التربوي الذي يساعد على تكوين الذهنية العلمية عند الدارس»[1].

☐ الفضلي بين الأخلاقية والعلمية

إن من يقترب من آثار سماحة الدكتور، يلمس القيمة العلمية التي تعيش في داخله، ويدرك طريقة تفكيره المتوازنة، ضمن المنهج العلمي الموضوعي.

كما أن المتفحص فيها، والمجالس له ـ حفظه الله ـ يتعرف على القيمة الأخلاقية التي يتوافر عليها. فشخصه المبارك هادئ متوازن، في فكره وخطابه وكتابته، بل في كل سلوكياته. مما يجعل نظرته للقديم وما يحمل من مناهج دراسية تحت إطار الموضوعية وحفظ ما أنجزته من تخريج للفقهاء والعلماء، لكنه لا ينسى أن يطرح مشروعه التجديدي بكل قوة.

وترجع قوته العلمية ـ في تقديري ـ إلى مجموعة عوامل، منها:

١. مسيرته العلمية، التي كانت نتاج جهده العلمي وتخرجه على أيدي العلماء المعروفين في المستوى العلمي، وتشهد له آثاره العلمية المطبوعة.

٢. تنوعه المعرفي، ويبرز هذا في مقالاته وبحوثه الثقافية المتنوعة، في السياسة والاجتماع والفكر الإسلامي العام.

(١) حوار مع جريدة الوسط، بتاريخ ٢-٥-٢٠٠٣.

٣. وضوح المنهج، إذ هو يسير في كل كتاباته ودراساته، ضمن المنهج العلمي في البحث والتحقيق، وترى ذلك واضحًا حين يمنع من إسقاط منهج علمي فلسفي على منهج علم الفقه مثلاً.

٤. جرأته العلمية، وملامحها واضحة حين تجالسه لتناقشه فيما كتبه الأعلام ﴿رحمهم الله﴾، لكن كل ذلك محاط بأدب جم، وهدوء كبير.

خبرته التأليفية، فقد مارس الكتابة مبكرًا، ليخلف كتبًا إسلامية وعلمية مهمة للمكتبة الإسلامية والفقهية، وقد ذكرنا سالفًا مجموعة من كتبه في مجال التجديد العلمي في الحوزة.

التجديد والتعددية: فضل الله والفضلي أنموذجًا(*)

الدكتور أحمد اللويمي(•)

الحياة في مظهرها العام لا ترتبط بحركة الزمن في دوران الليل والنهار، بل إنَّ ما يشكل مظهر الحياة ويجدد طبيعتها وجوهرها هو القدر الذي يمتلكه الإنسان من عمق وإدراك مفاهيم الحياة. فالحداثة والقدم لا يكون بعدها الحقيقي ما تنقله أحداث التاريخ بقدر ما يرسمه الإنسان من طبيعة الفهم والقيم والإدراك لتفاصيلها. ويبرز التجديد مرتبطًا بالزمن بالقدر الذي يدركه الإنسان من الحاجة لإعمال أدوات جديدة وقراءات مستحدثة لوجوده في الحياة وعلاقته مع كافة مناحيها. ويظهر جليًّا أن التجديد إفراز لإدراك الحاجة في حركة الزمن للتحوُّل والتبدُّل والتغيُّر للتوافق مع متطلبات المرحلة. فالزمن المجرد دون الإدراك لإفرازاته لإعمال الأدوات الفاعلة المتمثلة في الحاجة لا يفرز تجديدًا ولا يخلق حاجة للتبدُّل والتحوُّل.

ولعل من أهم الجوانب التي تعكسها نظرية داروين في التطور والارتقاء ذات الصلة بمفهوم التجديد ما تشير إليه النظرية حول مفهوم الانتقاء الطبيعي (Natural Selection)، والتي تؤكد الحاجة للتحول والتأقلم مع المتغيرات الطبيعية، وذلك لاكتساب قابليات وملكات جديدة قادرة على الاستمرار في البيئة الجديدة للاستفادة القصوى من قدراتها وطاقاتها.

وأما ما يتعلق بمفهوم التجديد وحدوده وأقاليمه وأدواته، فذلك أمر شاسع لا تستوعبه أسطر هذه الدراسة، وإنما الحدّ الذي تطمح إليه هو قراءة في بعض ملامح التجديد للقراءة الدينية لمفهوم الإنسان في النص الديني من خلال ما تمظهر في كتابات عالَمين جليلين لهما تجربة ثرية وطويلة الباع في هذا المضمار، وهما العلامة

(*) ورقة قُدِّمت في منتدى السهلة الثقافي في الأحساء، ١٣ رمضان ١٤٣١هـ.

(•) أستاذ بقسم الأحياء الدقيقة والطفيليات بجامعة الملك فيصل بالأحساء.

الفقيد الراحل السيد محمد حسين فضل الله ـ رضوان الله عليه، والعالم الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي. حيث انشغل الأول في تقديم قراءة علمية نفسية للإنسان المسلم الراهن وما تختلجه من إشكالات وعوائق تمنعه من بلوغ ما أراده النص من صناعة وتشكل له.

وانشغل الدكتور الفضلي ردحًا طويلًا في إعادة كتابة المناهج العلمية التي تساهم في صناعة قراءة النصّ الديني، وذلك لما شكله وعيه التجديدي من حاجة ماسة للتغلُّب على ما تخلقه الأدوات التعليمية المتمثلة في المناهج للمدارس الدينية من عوائق جسيمة في إدراكٍ أعمق وبُعْدٍ أوسع لمراد النص الديني من مفاهيم.

إن أي محاولة تجديدية لتقديم أدوات قراءة مستحدثة، أو ما يستنطق من هذه القراءات لا بدَّ أن ينتهي إلى تنوع في الرؤى وتعدد في المدارس، وهكذا تبقى الحياة متنوعة تفرز مما ينجبه التجديد المتعدد ليخلق تلك الصور الجميلة من التنوع ليتجلى في أبهى صورة في ذلك التعدد الفكري الواسع المنحدر من قراءة النص الديني.

وما تقدمه هذه الدراسة إنما هي لمحة عن مفهوم التجديد وأشكاله، ومن ثم بعض الجوانب عن مفهوم التعددية، ويليها قراءة للمنهج التجديدي لكل من العلامة فضل الله ـ رضوان الله عليه، والعلامة الفضلي.

□ مصطلح التجديد

التجديد في اللغة: «الجِدَّةُ: نَقِيض البِلى؛ يقال: شيءٌ جديد، جدَّ الثوبُ والشيءُ يجِدُّ، بالكسر، صار جديدًا، وهو نقيض الخَلَق. وتجدَّد الشيءُ: صار جديدًا. وأَجدَّه وجَدَّده واسْتَجَدَّه أَي صيَّرَهُ جديدًا».

وما يؤصل مفهوم التجديد ما جاء عن الرسول ﷺ في حديثه: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»(١).

وأحد مفاهيم التجديد الواردة في كتب العصور الأولى يعني: الإحياء، كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الحاج إبراهيم في بحثه (مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي): «الإحياء: يظهر أن تفسير التجديد هنا بمعنى إحياء ما اندرس من السنة أو (إحياء الدين) عندما تكون تحديات العصر الكبرى التي وجد المفسر فيها من النوع الذي

(١) تهذيب الكمال، أبي الحجاج يوسف المزّي، ج١٢/ ٤١٣.

يهدد الكيان الإسلامي في مستوى عقائده ومجتمعاته وأخلاقياته وقيمه على نحو كلي. ولعل هذا التفسير هو أول ما وردنا عن التعريف بمفهوم هذا المصطلح في كل شروح السنة الشريفة، وهو قول الزهري ﷺ (التابعي الجليل الذي يفهم من وصفه للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بمجدد القرن الأول»[1].

ونجد هذا أيضًا عند ابن الأثير، إذ يقول: «فالأجدر أن يكون ذلك إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس مئة سنة يجددون للناس دينهم ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها بمهتديهم وأئمتهم»[2].

وأما مفهوم مصطلح التجديد في واقع ما تمارسه القراءات المعاصرة، فيعرّفه حب الله في بحثه (مشروعية تجديد الفكر الديني) إلى أن التجديد هو: «محاولة جادة لإضفاء عناصر لم تكن موجودة من قبل على كيانٍ كان وما يزال له وجوده. بهذه الطريقة يكون هذا الكيان قد جُدِّد، سواء حصل التجديد في حذف بعض عناصر الكيان السابق أم في إضافة عناصر أخرى جديدة، أم في إعادة ترتيب العناصر أنفسها. وسواء كان ذلك في الشكل أم المضمون أم في المنهج الذي يحكم محل العناصر أو الوصول إليها. لكن لا يحصل التجديد بإحداث كيان جديد محل الكيان القائم القديم، فتجديد الفقه الإسلامي ـ مثلًا ـ شيء والإتيان بفقه جديد شيء آخر».

ويتضح من خلال ما جاء في مفهوم التجديد في بعده الكلاسيكي في كتب المصدر الأولى وما يزاوله المجددون المعاصرون أن التجديد لا يعني استئصال الأصل واستبداله بجديد، بل هو محاوله لاستبدال أدوات وتحديث أخرى تعين على الكشف عن أبعادٍ غير مطروقة في النص، والعمل على الرفع بالفهم له لمستوى يلتقي وتلبية الاحتياجات المعاصرة له. فالتجديد ـ بشكل أبسط ـ هو تحديث لفهم النص وتقريب لتطبيقاته الموافقة لاحتياجات العصر.

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت ـ دار لكتب العلمية، ط ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦، ص٤٨.
(٢) جامع الأصول، تحقيق: الأرناؤوط، ج١١/ ٣٢١.

□ أبعاد التجديد وحدوده

إن من ضرورات التجديد سعة الدراية والاطلاع على الأدوات المتاحة لقراءة النص. فالدعوة للتجديد لا يمكن أن تتخذ مسارها إلا من خلال تفحُّص قيمة وفاعلية وتأثير المتاح من التراث. فالتجديد في بعده الترميمي لأدوات القراءة أو الاستبدال يتحرك بحجم ما تستطيع هذه الأدوات من استيعاب متطلبات التحول ومقدار الضغط الذي يمارسه الواقع في استنطاق النص. والتجديد في استبدال أو تأسيس أدوات القراءة يعتمد أيضًا على حجم ما تمتلكه الحركة التجديدية من رؤية وأفق للواقع؛ لأن الرؤية التجديدية تستبطن في ذاتها حراكًا إصلاحيًا لا نشاطًا أكاديميًّا مجردًا. والإصلاح إنما يستلزم طرفين مهمين؛ هما: (النظرة) و(الرؤية)، كما يؤكد على ذلك العارف الكبير مولانا جلال الدين الرومي.

فالنظرة تحدِّد أفق الاطلاع وحجم ما يمتلكه المجدد من شمولية في الواقع ومتطلباته. والرؤية يراد بها قدرة وصلابة ما تحمله الحركة التجديدية من كفاءات تنويرية في إماطة اللثام عن جوانب النص الكفيلة بتلبية الاحتياجات الملحة التي استلزمت التجديد بادئ ذي بدء.

إنَّ نجاح منهجية التجديد تستمد ما تملكه من هذين الجانبين، وهما: الاطلاع على التراث الديني من حيث قدرته وكفاءته في تلبية احتياجات التطور والنمو الحضاري، ومن جهة أخرى ما تمتلكه الحركة التجديدية من وضوح ورسوخ في منهجها التجديدي. حيث الأول يحدّ من توغل التجديد في الدين نفسه ويحصره في فهم نصه، والآخر يحصن من الضياع والتيه في حركه تجديدية فاقدة للوجهة والأبعاد. كما يشخصه حب الله في بيان حدود وأدوات المنهج التجديدي: «أما الاستبدال الراديكالي التام للمنظومة القديمة بمنظومة جديدة، وهذا هو التجديد بالحد الأعلى، فهو تجديد في الواقع، وليس تجديدًا في المستبدل. لهذا كان من حق دعاة التجديد في الدين أن يطالبوا بتجديد لا يكون على حساب الدين وإنما له، وذلك بتجديد لا يحدث قطيعة مع الدين والتراث، وإنما تواصل واتصال بتجديد لا يعني ـ كما يقول العلامة فضل الله وآخرون ـ إسقاط القديم كله واستبداله بفكر جديد لا علاقة له به ليكون ذلك خروجًا من الإسلام ومصادر الشريعة: إلى غيره بتجديد لا يسوق إلى الاستلاب وإنما إلى الوجود والتحقيق».

☐ مشروعية التجديد

إن مبررات التجديد هي التي تؤسس لمشروعيته، وقوة الحجة ووضوح الحاجة تعين على تأسيس مشروعية دون أن تواجه صدود القوى السلفية المتمسكة بالأدوات التقليدية. ولعل أهم العوامل المساعدة في بناء مشروعية التجديد هو وضوح أبعاد المشروع وتفاصيله وأدواته. فلا مشروعية في حركة تجديدية غامضة تتخبط في أهدافها وتعاني الفقر من أدواتها. فالضرورة قد تكون دافعًا للتجربة، إلا أن المشروعية لا تتولد تلقائيًّا بهذا الشعور ومقدار الحاجة. ومن جانب آخر طول الوقوف عند هاجس المشروعية دون الإقدام عليه يفوت الفرصة على التجديد من تقديم نماذج قادرة على بناء أسس المشروعية «بقدر ما أطالب بالجواب عن سؤال المشروعية الذي طرحه عليّ نقاد التنوير يلح الواقع بسؤال الضرورة».

ولعل من أهم معوقات التجديد هو الفضاء الذي فيه يتولد ويتحرك، فالحرية في انفتاح التجديد في مبانيه العلمية ورموزه الفاعلة على كافة التيارات المشتغلة بالشأن الديني أساس مهم في إثبات مشروعية المشروع التجديدي. وتعد حرية التعبير في فضاء يمارس التعتيم والتدليس من أهم المشاهد الحافلة في تاريخنا الإسلامي بشكل عام والشيعي بشكل خاص، كما نقل الشيخ حسن الصفار في مقاله الضافي الكثير من المشاهد المعبرة على ما عاناه المجددون من المحققين، كابن إدريس الحلي خلال رحلة تأسيس وتطور الاجتهاد الإمامي.

☐ مشروعية التجديد وهاجس الهوية

من أهم الأدوات التي توظف في معركة مشروعية التجديد هو ما تشهده الساحة العلمية الثقافية الراهنة من تراشقات يدور مدارها حول «الهوية». إن عقلية المؤامرة تطغى في خطاب المعارضة للحركات التجديدية ورموزها من خلال التأكيد على خطورة هذه المشاريع على أصالة الهوية الإسلامية للأمة، واعتبار هذه المشاريع الأبواب التي من خلالها تنفذ المشاريع الاستعمارية. وبالرغم من الردح الطويل الذي قطعه الخطاب التجديدي من التقدم والتطور على المستوى التنظيري والأكاديمي، كما يشير إلى ذلك الميلاد في بحثه (لماذا تأخرت مهمة تجديد الخطاب الإسلامي؟)، إلا أن إحالة التجديد من التنظير إلى التطبيق ما يزال يواجه العوائق والصدود، خصوصًا ما تشهده الساحة الإسلامية الراهنة من الحضور الطاغي للخط السلفي الأصولي الإحيائي الذي يؤسس وجوده على أساس مكافحة كافة

المشاريع التجديدية باعتبارها خطرًا على الهوية الإسلامية في بعدها الإحيائي السلفي؛ إذ اعتبر هذا المسلك السلفي كافة المشاريع التجديدية على مستوى واحد ودمجها مع المخططات الاستعمارية للعنف في مكافحة الرموز التجديدية التي لا تنفك عن مشروع جهاد المستعمر الأجنبي.

يبقى هاجس الهوية من أهم المعوقات التي تواجه مشاريع إحالة المشروع التجديدي التنظيري لمشروع حياة. إن هاجس الخوف من الآخر القوي المتمثل في الحضارة الغربية أهم المبررات التي تشحذ الدفاع المستميت لدعاة صيانة الهوية في مواجهة البرامج التجديدية التطبيقية التي تجتهد في تقديم النصوص المتوافقة واحتياجات الإنسان المسلم الذي أضحى واقعه امتدادًا معبرًا وصارخًا للتلبس بمعطيات الحضارة الغربية. إن وهم محق الهوية الإسلامية الذي يغذي مشروع مكافحة التجديد سيبقى فاعلًا نشطًا حتى تستطيع المشاريع التجديدية تقديم نجاح يمثل اختراقًا للواقع الراهن الذي أبسط ما يعبر عنه ازدواجية هوية المسلم بين الانتماء للإسلام والممارسة لمعطيات الحضارة الراهنة.

□ التجديد وموقعيته في بناء الإنسان المسلم الحضاري

أهم الإشكالات التي تلقي بظلالها على أي مشروع تجديدي هو أولوية التجديد لفهم النص أم تجديد عقلية الإنسان المتلقي لمنتجات التجديد؟ وبعبارة أخرى: هل إصلاح الإنسان كقاعدة أساسية في تلقي معطيات التجديد أساس يسبق أي مشروع تجديدي، أم أن الاشتغال بتحديث أدوات الفهم للنصوص هو مقدم وأساس في المشروع التجديدي، فهو التساؤل الهاجس الذي ما فتئ يطرح على أي مشروع تجديدي منذ المؤسسين الأوائل كالسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده؟

إن معطيات أي حركة تجديدية تترجم في بناء الإنسان الذي يعبر عن البعد الحقيقي الذي يريده الإسلام. كما أن ترجمة الفهم الديني في مشروع إنساني حضاري يعد الغاية القصوى لكافة المشاريع التجديدية. ولا يعتبر أي إدراك مجرد للنص أو كشف أعمق لأبعاده ذا قيمة إذا لم يستطع أن يؤسس أو يوطد لنهضة إنسانية تعيد تشكيل العقلية الراكدة، وتوحد الهمم المبددة وتركز الغايات المبعثرة. وقد تأسس هذا الهاجس على سؤال شغل عقودًا من ردود الفعل المختلفة، وهو: «هل تخلف المسلمون منذ أن أساؤوا فهم الدين؟ أم أن فهمهم للدين ساء منذ أن تخلفوا؟

إن الشق الثاني من السؤال كما يبدو أكثر قربًا لأهداف هذا البحث، وأكثر ملاءمة لطبيعة الواقع الإسلامي من الشق الأول، على رغم أن الباحثين ـ على مدى العقود الماضية ـ انشغلوا بالإجابة عن الشق الأول أكثر من الثاني. إن التلازم بين التخلف وفهم الدين يدعو إلى التساؤل حول أهمية هذه الصلة. إن أهمية هذه الصلة تتجلى عند قراءة التاريخ الإسلامي في عصره الذهبي عندما برزت الأمة الإسلامية كحضارة جديدة أنتجت بمزجها لما قبلها من الحضارات بفكرها وإنتاجها المعرفي حضارة جديدة. ما هو العامل الفاعل الذي جعل المسلم البدوي البسيط ينفتح وبكل جرأة وشجاعة وإقدام على ثقافات غاية في التعقيد والتنوع فيهضمها ويعيد إنتاجها ممزوجة بفكره الإسلامي الجديد».

إن استهداف الإنسان كأولوية قصوى في أي مشروع تجديدي يفرض شكلًا من الفعل والعمل الذي يستلزم توفير قاعدة الحد الأدنى من العقلية القادرة على التعاطي مع معطيات المشروع. وقد ذهب الكثير من المجددين الأوائل في التركيز على الحس الديني الذي يثير روح العزة والكرامة عند المسلمين لخلق حركة جماهيرية متعاطفة مع المشروع التجديدي. وبالرغم من ذلك، تبقى هذه الأدوات في حشد القوى المتعاطفة قاصرة عن المساندة حال دخول المشروع أبعاده التصحيحية المتعلقة بالمأنوسات والمألوفات عند الطبقة العريضة من الجماهير. ذلك ما أشار إليه بشكل واضح الدكتور عبد الكريم سروش في معرض تحليله للحركة الإصلاحية للسيد جمال الدين الأفغاني، إذ يقول في ذلك: «لقد أصبح أكثر قناعة وأكثر إصرارًا ـ لدى المصلحين الدينيين ـ أن الإدراك الصحيح للدين وتبليغه السليم للجماهير هو المسار الذي يعزز من حركتهم. لقد خط هذا المنهج الفكري كلٌّ من محمد عبده، وشريعتي، وإقبال الذي واجه ـ شيئًا فشيئًا ـ الصعاب والعقبات. إن الحركة السياسية وما قد يترتب عليها من نصر سياسي أكثر وضوحًا للعيان ووقعًا على النفوس. إلا أن الحركة الفكرية لا تتمتع بذات الواقع ولا ذلك الوضوح. إن أصعب الصعاب في المجتمعات الدينية هو البيان المستند للتحقيق العلمي والدراية الدينية. ويواجه المفكرون الكثير من القيود المعيقة لحركتهم؛ لأن الإيمان القائم على التحقيق واليقين في هذه المجتمعات غاية في الصعوبة، على عكس ما يناله التدين التقليدي من اليسر والسهولة؛ لأن التحقيق بين المقلدين عقبة كؤود».

وهكذا، فإن المسار للحركة التجديدية تميل في مقاربتها للواقع من خلال ما تؤسسه من طبقة واعية مؤمنة لمعطياتها وما تحققه من نصر في هذا الجانب يمهد بمشروعيتها ويؤسس لتجذرها.

□ التعددية، أصنافها ودورها في إذكاء التجديد

إن المشروع التجديدي لا بدَّ أن يفضي للتنوع في القراءة والفهم للدين. وقد ينتهي إلى أن يصل إلى تجربة دينية جديدة على مستوى الفرد أو الجماعة.

إن أهم المنتجات التي تصنعها الحركات التجديدية هو توسع دائرة الرأي ومدارس القراءة التي تخلق ـ بشكل طبيعي ـ فضاءً واسع الحرية في التنوع الفكري. إن أحادية الفكر ضِيقٌ في الأفق، وتَنَوُّعَه رحابةٌ تجعل من البشرية قادرة على إنتاج تلك اللوحة الفنية الفكرية الرائعة الجمال. والتنوع أو تعدد القراءة الدينية، وهي ما تعرف ـ أيضا ـ بالبلورالية الدينية (Polarism) ينتج من جانبين مهمين، كما يشير إلى ذلك الدكتور عبد الكريم سروش: «تعتمد أطروحة التعددية الدينية في الأصل على دعامتين: إحداهما التنوع في الأفهام بالنسبة للمتون الدينية. والأخرى: التنوع في تفسيرنا للتجارب الدينية».

والتعددية الدينية قد تكون في دائرة الدين الواحد، وهذا هو الأقرب للبحث وقد يتكون في دائرة الأديان المتعدّدة. ويعتبر تنوع الفهم والإدراك للنص أحد أهم مصادر هذا التنوع. ومع تنوع أدوات القراءة واختلاف مناهجها، لا بدَّ أن تكون النتائج متباينة متنوعة. ويوضح سروش هذا الأساس الذي منه تتفرع الأفهام والإدراك للنص الديني مبررًا ذلك من خلال «أن النص صامت ونحن نسعى باستمرار لفهم النصوص الدينية وتفسيرها سواء في الفقه أو الحديث أو القرآن الكريم من خلال الاستعانة بمسبوقاتنا الفكرية وتوقعاتنا من النص والأسئلة التي تدور في أذهاننا في مرحلة سابقة وبما أنه لا يوجد تفسير من دون الاعتماد على التوقعات والأسئلة والفروضات المسبقة. وبما أن الفضاء المعرفي خارج الدين متغير وسيال، كما أن العلوم البشرية والفلسفة ومعطيات الحضارة الإنسانية، تزداد وتتراكم وتتغير باستمرار، فلهذا كله كانت التفاسير المترتبة على هذه الأسئلة والتوقعات والفروضات المسبقة متنوعة ومتغيرة».

وتعد مادتا هذه الدراسة سماحة الشيخ الفضلي وسماحة السيد فضل الله ﷺ من أهم النماذج المعبرة عن هذين الجانبين (التجديد والتعددية). وهما يمثّلان رحلة

طويلة من التجديد وما خلق هذا حولهما من مدارس متنوعة من التعدد بين الرفض والقبول. الدراسة تحاول أن تسلط الضوء على أهم الجوانب التجديدية التي اشتغلا بها وتشير إلى ما أدت إليه تجربتهما من أشكال التنوع الإيجابي.

□ الشيخ الفضلي ومشروع تجديد مناهج الحوزة

تعد الحوزات العلمية من المعاهد العلمية الدينية عند الإمامية في تربية وإعداد العلماء الذين يضطلعون بمهمة الاجتهاد في المذهب الإمامي. وتختزن ـ بالإضافة إلى دورها التربوي ـ وبالذات الأم منها (النجف الأشرف وقم المقدسة) تجربة طويلة وثرية في تدريس العلوم العلمية الدينية ذات الصلة بالدرجة الأساس في تنمية وإعداد العلماء المجتهدين في حقل الفقه الجعفري. وإذا ما نُظِر إلى الزمن الذي قطعته الحوزة العلمية قياسًا بالتطور الذي اعترى المناهج العلمية يتجلى واضحًا للعيان حجم الجمود والرتابة التي تعاني منها هذه المناهج، وبالذات تلك المتصلة بتنمية المعارف والمهارات العلمية شديدة الصلة بفن الاجتهاد كعلم الأصول وعلوم اللغة.

□ أهم المبررات الداعية لتجديد مناهج الحوزة العلمية

(١) **المنهج الحوزوي وأفق قراءة النص**: إن الأفق الذي على أساسه ترسو أركان المنهج التدريسي للحوزة العلمية يتأثر بشكل لا ينفك بما يحمله المجدد للمنهج الحوزوي من رؤى وأفكار وسعة في الطموح للطبيعة التي يجب أن تكون عليها مخرجات المنهج. كما أن الخطوط العريضة للمنهج العلمي التدريسي الذي تعده المراكز العلمية المتخصصة يخضع في الوقت الحاضر إلى المعايير العلمية التالية:

- المحتوى العلمي للمقرر، ومدى توافقه مع آخر المستجدات والمفاهيم العلمية للعصر.
- المهارات العلمية التي يفترض أن يتقنها الدارس بعد إنهائه للمقرر الدراسي.
- التمارين والأساليب التدريسية التي يفترض أن يتقنها الدارس لتنمية مهاراته.
- الأساليب التدريسية (محاضرات، مناقشات، جهود ذاتية، بحث وتحليل، دراسات ميدانية) التي يستلزمها المنهج لتدريب وتعليم الطالب لبلوغ أقصى المهارات والكفاءة العلمية في الحقل المدروس.

أهداف المنهج وقدرته على استيعاب المقاصد

بالإضافة إلى الشروط السالفة في بناء أركان المنهج التدريسي، تعد أهداف المنهج وقدرته على استيعاب المقاصد التي يريد تحقيقها أمرًا حيويًا، سواء على مستوى المرحلة العلمية أو الأهداف الغائية القصوى. إن التجديد الذي يطال المنهج الحوزوي يشترط فيه جانبين مهمين على ضوء الأهداف والمقاصد وهما:

أ. تركيب المنهج المجدد من خلال تحديد الحجم المؤثر من المحتوى القديم التراثي من المنهج الحوزوي في العمق والكم بجانب المستجد من الدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة.

ب. توسيع الرؤية العامة للمنظرين والمربين في الدراسات الحوزوية للخروج من طموح الماضي إلى آفاق الحاضر.

إن العوامل والمؤثرات الزمنية والتاريخية التي دفعت المؤسسين للحوزة العلمية للحركة بمفهوم الاجتهاد من أفقه الواسع الذي يشمل كافة الحقول والمفاهيم التي عالجها النص السماوي إلى أفق محدود في مجال الفقه يجب أن ينظر إليها على أنها كانت لأسباب قاهرة ولقناعات أفرزت هذا الواقع. والواقع الراهن بكل معطياته الزمكانية قادر على مغادرة هذا الضيق في المفهوم الاجتهادي إلى مفهومه الرحب. وإن بناء المنهج الحوزوي الحديث بحاجة لاعتبار هذا الهدف الذي يعيد الاجتهاد الحقيقي إلى نصابه لأنه الأداة الحضارية الفاعلة والمؤثرة في تمكين المسلمين للنهوض من كبوتهم الحضارية؛ لأن الجمود على الماضي انتحار، وشطب الماضي موت محتم، والمركب من هذا وذاك هو التجديد بعينه.

(٢) **المهارات الفنية والرؤية الثقافية مركب يصنعه المنهج الدراسي**: إن التعليم الحوزوي يستهدف بناء كوادر علمية تتمتع بقدرة فنية عالية وعميقة في تحليل النص واستنباط المفاهيم والغايات التي يستبطنها. إلا أن المهارات الفنية في قراءة النص قد تصل حد الجمود والرتابة والاجترار إذا غابت الرؤى الفكرية الثقافية التي تعمل على إعطاء المجهود الاستنباطي بعده الواقعي، وحقيقته الزمكانية. إن المنهج الحوزوي المجدد يأخذ بنظر الاعتبار في بنيانه الأكاديمي البعد الثقافي للمعلومات التعليمية والفنون التدريبية، وإن الانغمار حد الغفلة عن بنيان الرؤية الثقافية المدمجة بالمهارة الفنية في المنهج الحوزوي يعد خطرًا قاتلًا.

☐ تجربة الشيخ الفضلي في تجديد بعض المناهج التعليمية للحوزة

تصدى العلامة الشيخ الفضلي لمشروع تجديد المنهج الحوزوي العلمي انطلاقًا من الأسس والمعطيات التي تمت الإشارة إليها حول المعايير والأبعاد التي يتطلع إليها المجدد في إعادة بناء وإصلاح المنهج الحوزوي كجزء من مشروع شامل لتجديد هذه المؤسسة العلمية الدينية المهمة للقيام بمهامها الحضارية على أحسن وجه. ويمكن تسليط الضوء على تجربة الشيخ الفضلي في هذا الحقل التجديدي عبر المفاهيم التالية:

١) الملامح العامة للتجربة التجديدية للشيخ الفضلي:

أفردت مجلة الكلمة في عددها ٥٥، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ملفًا كاملًا حول الشيخ الفضلي. ويمكن الإشارة بشكل عابر إلى جملة من الملامح التجديدية المهمة التي تناولها مقال الشيخ محمد عمير في العدد نفسه بعنوان: «قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية: تجربتي الصدر والفضلي أنموذجًا». حيث أشار الكاتب إلى شمولية مشروع الفضلي في تجديد المنهج الحوزوي ليشمل كافة المراحل التعليمية بالإضافة إلى إدخال العلوم المستجدة في منهج الدراسات الحوزوية، كعلم الاجتماع والنفس والبحث العلمي. وتميز التجديد المنهجي للشيخ الفضلي للمقرر الدراسي الحوزوي بطبيعة التدرج في المحتوى العلمي من المقدمات وحتى المراحل المتقدمة، حيث يشير سماحته إلى استراتيجيته في بنيان المنهج الدراسي قائلًا: «أن يحتوي المنهج على عنصري: الجانب العلمي والجانب التربوي. والتربويون يذكرون أن المناهج يجب أن يتوزع فيها هذان الجانبان: العلمي والتربوي»، بما يتلاءم والمرحلة العمرية، «وذلك على النحو التالي:

- في مقررات المرحلة الابتدائية يركز المؤلف فيها على العنصر التربوي أكثر بنسبة ٧٥٪ لصالح الناحية التربوية بينما يترك ٢٥٪ لصالح الجانب العلمي.
- المرحلة المتوسطة يتوزع هذان الجانبان بينهما بحيث يكون لكل منهما ٥٠٪ من المقرر.
- وفي الثانوية يكون الجانب العلمي ٧٥٪ والجانب التربوي ٢٥٪.

- بينما المقررات الجامعية يتركز المنهج التعليمي فيها بحيث يكون الجانب العلمي فيه ١٠٠٪»[1].

«فالمطلوب من كل الدراسات في المرحلة المتوسطة والثانوية قبل الجامعة وكذلك الأمر في الحوزة في مرحلتي المقدمات والسطوح قبل البحث الخارج ـ أن تكون الغاية من المقرر الدراسي فيها تكوين الذهنية العلمية بما يتناسب والمرحلة العمرية للطالب، وما يكون الذهنية العلمية المناسبة لسنّ الطالب ليس العلم والمادة العلمية فيه، وإنما التربية والممارسة. فالمدرس يستطيع أن يعلم الطالب فقهًا وأصولًا وعلمَ رجال وعلمَ حديث، ولكن هذه العلوم ـ منفردة ـ لا تكون ـ داخل الحوزة ـ مثلًا ـ المجتهد أو الفقيه دون أن يمارس هذه العلوم أثناء الدراسة من خلال كتابة البحث ـ مثلًا، أو من خلال الأسئلة التطبيقية في كل مادة منها». وللاطلاع على الأسباب والعوامل التي دفعت الفضلي لخوض هذه التجربة التجديدية يرجع لحواره المنشور في العدد نفسه من مجلة الكلمة.

كما تميزت هذه التجربة بجانب مهم وحيوي، وهو التأكيد المستفيض على أهمية التنمية الذاتية للدارس من خلال تحصيله العلمي في جانبين مهمين تم التأكيد عليهما عند البيان عمّا يجب أن يكون عليه تجديد المقرر الدراسي، وهما البناء الثقافي للدارس، وتنمية مهاراته الذاتية العلمية من خلال دفعه للتوسع في التحصيل والبحث خارج دائرة المقرر الدراسي. إن أهم عناصر هذه التجربة التجديدية هو الإصرار على دمج الدقة الأكاديمية وما يشترطه المنهج الأكاديمي العلمي من بنيان منهجي بالأصالة الحوزوية فيما يشترطه هذا الشكل من التحصيل العلمي من سعة في الحرية في الاطلاع على المصادر العلمية المتنوعة، ومحاوله لتشجيع الدارس في السعي للتنوع في التحصيل دون الوقوف على ما تحتويه دفتي المقرر الدراسي.

٢) العناصر الإصلاحية للتجربة التجديدية للشيخ الفضلي:

اعتمدت هذه التجربة التجديدية الرائدة في منهجها الإصلاحي العناصر الإصلاحية التالية:

(١) حوار مع العلاّمة الفضلي حول تنظيم الدراسة الدينية، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

أ. التجديد القادر على إبراز روح الأصالة في المنهج الدراسي، دون فقدان قدرته على التعاطي مع معطيات العصر.

ب. الممازجة بين محتوى المقرر الدراسي والأهداف الإصلاحية العامة في تجديد البنية الفكرية والثقافية للدارسين.

ج. الدمج السلس والمرن بين الأدوات التعليمية الحديثة في المؤسسات الأكاديمية وبعض الجوانب التعليمية الحرة التي تعتمدها الدراسة في الحوزة العلمية.

٣) الآثار العلمية لتجربة الفضلي على المهارات العلمية والفنية للدارسين:

لم نتمكن من العثور على دراسات علمية موثقة أو بحوث ترصد الآثار العلمية والانعكاسات الأكاديمية لتجربة الفضلي التجديدية على الدارسين من الذين خاضوا التجربة التعليمية بالاستفادة من هذه المناهج العلمية مما يؤكد على أهمية تتبع هذه التجربة من خلال رصد آثارها العلمية وانعكاساتها الأكاديمية على مخرجاتها. ولكن من العلامات المؤكدة لنجاح هذه التجربة هو ما تلاقيه مؤلفات الشيخ الفضلي من الإقبال الواسع من قبل المؤسسات العلمية الأهلية ودور النشر والمراكز التعليمية الدينية. إن هذا الإقبال يؤكد على إجماع التربويين والمربين على قيمتها التعليمية وتحقيقها لأهداف المؤسسات العلمية التي تتبنى البرامج المجددة.

□ السيد فضل الله والمشروع التجديدي للشخصية الإسلامية

منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م، التي أدت إلى إطلاق الشرارة الأولى للنهضة العربية المعاصرة، والمشاريع التجديدية تتوالى في رسم ملامح المجتمع العربي الإسلامي الجديد الذي ينهض من ركام تخلفه، ويغادر عثرته من خلال تشخيص وتحليل أسباب التخلف، انطلاقًا للنهوض ومبادرة للاستشفاء من هذا الداء العضال الذي أركع الأمة بعد شموخها. إلا أن المشاريع التجديدية لم تفضِ لنتائج ثورية، بل إن مشروع النهضة وجد نفسه أمام مسيرة أطول وصعاب أعقد مما قطع به الماضي، حيث ركام تخلف الماضي وآثار الحاضر التي خلفها الاستعمار الجديد في عالمنا. فبين مشاريع التغريب التي ارتأى المفكرون الجدد فيها الخلاص من ربقة التخلف وبصيص الأمل في أحضان المنتج الغربي (فكرة وتقنية)، ومشاريع التأصيل التي وجدت الخلاص في مشروع إحيائي، يعيد الأمة بسلفها الصالح وثقافتها

الإسلامية الأصيلة النقية، تقاسمت القيادة على دفة النهضة الحديثة. ومع ذلك مازال الضياع أكثر شهودًا من الخلاص، لاسيما في ظل هذا النشوز الذي يخدش صورة الإسلام وروح المسلم، ومعه التعصب المرتسم في هذه الأصولية السلفية الجهادية القاسية الخشنة التي تُشَرْعِنُ القتل وتؤسس للدمار والتخلف.

ويعتبر السيد فضل الله من الخطوط المتقدمة خلال العقود الأربعة الأخيرة من هذا العصر، حيث حمل مسؤولية المثقف الفقيه لنقل الفكر من بيت الفتوى إلى ساحة الإصلاح والتجديد، مساهمًا في هذه المسيرة من النهضة، ومشاركًا في تلمُّس مكامن الخطأ، وتحديد دروب الخروج لشفاء الأمة من تخلفها. وقد انتهج السيد فضل الله مشروعًا مبتكرًا وزاوية قد تجعل الاقتراب من تشخيص مشكلة التخلف للمسلم اليوم إضافة نوعية للمشروع الفكري التجديدي الذي يخوضه المفكر المسلم اليوم. وقد اختط السيد فضل الله في قراءة الشخصية الإسلامية منهجًا أبستمولوجيًّا يستند إلى أدوات التحليل النفسي في تشخيص الانفعالات النفسية التي تفرز مظاهر التخلف. وقد تم توظيف المنهج الأبستمولوجي لتشخيص البنية التحتية التي يتأسس عليها التخلف في كثير من المناهج التجديدية للمفكرين العرب. حيث استند المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري على قراءة العقل العربي في مشروعه التجديدي، وذهب المفكر المغربي محمد عابد الجابري لتأصيل التجديد من خلال قراءة التراث الديني الإسلامي وأبعاده المؤثرة في البنية الفكرية الإسلامية.

ويمكن توصيف ملامح المشروع النفسي للسيد فضل الله من خلال المفاهيم التالية:

١. المنهج النفسي التحليلي لقراءة مكامن الخلل في الشخصية الإسلامية.
٢. الاستشفاء من التخلف عبر إعادة التأهيل النفسي.

١) المنهج النفسي التحليلي لقراءة مكامن الخلل في الشخصية الإسلامية:

عبر رحلة طويلة من التأليف والمشاركات الفاعلة في المشاريع الثقافية، ترك السيد فضل الله تجربة ثرية وزاخرة بمشروعه التجديدي المستند إلى القراءة التحليلية لنفسية الشخصية الإسلامية الراهنة. جاءت إما متفرقة على هيئة مقالات وحوارات مجتمعة في كتب مهمة، منها: موسوعته التفسيرية من وحي القران. مع الحكمة في خط الإسلام. قضايانا على ضوء الإسلام. خطوات على طريق الإسلام. المدنس

والمقدس. للإنسان والحياة. الإسلام ومنطق القوة. أو من خلال محاضراته المهمة في هذا الجانب، ومنها: بين حرية الفكر وهيمنة التعصب. حرية التفكير تبني ثقافة فاعلة في مواجهة التحديات. الشخصية الإسلامية. وقد استندت قراءة السيد فضل الله إلى تحديد أهم سلوكيات الشخصية الإسلامية المعبرة عن حالة الإحباط والمفرزة لثقافة التخلف والتراجع.

ثلاثة أنماط من السلوك المتضخم في الشخصية الإسلامية:

ففي بحثه المهم (الشخصية الإسلامية)، الذي شارك به في المؤتمر الثاني عشر لرابطة الشباب المسلم في لندن في ٢/ ٤/ ١٩٧٨، سلط الضوء على ثلاثة أنماط من السلوك المتضخم في الشخصية الإسلامية: (أ) الروح الباكية (ب) الروح الانفعالية (ت) الروح الخائفة المنبهرة بالواقع المنحرف.

أ- الروح الباكية: يقدم السيد فضل الله قراءة نفسية متأنية معللة بالأسباب التي تؤدي إلى استشراء هذه المظاهر السلبية في الشخصية الإسلامية. وفي معرض وصفه للروح الباكية يقول: «إننا نلاحظ ونشعر بأن الروح الباكية هي التي تسيطر على مشاعرنا وتهيمن على أساليبنا وكلماتنا. فنحن نبكي حين نتطلع إلى المستقبل بعينين مغرورقتين بالدموع. ونبكي أمام قوة عوامل الانحراف المتدفقة في الطريق، ونبكي من خلال السلبيات التي تواجه العاملين في جهادهم، ونبكي في محاولتنا للمقارنة بين الماضي والحاضر.

وهكذا رأينا في أدبنا، أدب الشعر والنثر. وقد نلاحظ في بعض مجتمعاتنا الدينية أن الصورة المأساوية هي التي تتجسد في وعيهم ووجدانهم عندما تثار قضايا التضحيات التي يقدمها الأنبياء والأئمة والأولياء في سبيل رسالتهم».

ويجدد ـ في تحليله النفسي ـ أن الآلة التي تواجه بها الحياة وتتصارع مع تحدياتها هي العاطفة الجياشة المنفعلة التي توظف أداة الحزن والكآبة في مواجهة الواقع. فيما الحزن يغلب العقل والإرادة والحكمة والتوكل ويلف الإنسان بستار من الضبابية التي تمنعه من قراءة الواقع ومراجعة التجربة للتعرف على أدوات النجاح والفشل فيها، حيث يشير بوضوح إلى أن الخلل في طغيان هذا السلوك العاطفي السلبي، وأن «ما نريده هو التأكيد على أن البكاء ليس شأن العاملين الذين يفهمون الحياة ويواجهونها من موقع الواقع، فيندفعون إلى قضاياهم بهدوء وجدية وتخطيط، فإذا

انتهت أعمالهم بالنتائج الطيبة المنتظرة على أساس الخطة الموضوعة، واجهوا النجاح بروح واقعية تتلمس أسباب النجاح، فيستفيدون منها في تحركهم نحو المستقبل، وإذا انتهت أعمالهم بالفشل، لم يهزمهم الفشل ولم تصرعهم صدمة الواقع، بل وقفوا يتقبلونها بهدوء باعتباره شيئًا طبيعيًّا اقتضته سنة الحياة عندما يفقد العمل بعض عناصره أو تبرز للساحة بعض الأوضاع غير المنتظرة ،ثم يبدؤون في دراسة الأسباب الطبيعية للفشل ليتفادوها في المستقبل».

ب- الروح الانفعالية: يصف السيد فضل الله الانفعالية الطاغية في الشخصية الإسلامية، ويشير إلى أن المسلم «يملك رصيدًا كبيرًا من الإيمان والمعرفة بعقيدة الإسلام وشريعته، ولكنه يخضع للأجواء الانفعالية الضاغطة التي تغرقه في الحماسة المجنونة في أغلب الحالات».

ويضيف بأن على المسلم «أن يرفض أن يكون الانفعال كل رصيده في مواجهة الواقع. إذ عليه ألا ينطلق في الحياة كأساس وحيد للتحرك دون روح عقلانية تدرس الواقع في ظروفه الموضوعية المحيطة به».

ت- الروح الخائفة المنبهرة بالواقع المنحرف: وهي الروح التي يريد بها: «الشعور بالتضاؤل أمام الحضارة الأوروبية أو القوى الغاشمة التي تقف ضد الإسلام، وقد تحول هذا الانبهار إلى شعور بالخوف». ويؤسس السيد فضل الله هذا التحليل على ظاهرة الجهل التي تفرز هذا الخوف، حيث الجهل بالعناصر والأسباب التي أفرزت هذه القوة وخلقت هذه السطوة. فالجهل يفرز الانبهار، وعلى أساس هذا وذاك يتأسس الخوف من هذه القوة الطاغية الغاشمة.

٢) الاستشفاء من التخلف عبر إعادة التأهيل النفسي:

ما هي البنية التي تأسست عليها الشخصية الإسلامية التي تزاول الحزن والبكاء أو الخوف والانبهار أو الانفعال، وما هي العناصر النفسية التي تغذي هذا الشكل من السلوك؟، يشخص فضل الله المسببات المرضية النفسية من خلال بيان ما يفترض أن تكون عليه الشخصية الإسلامية:

- **أولًا:** الإيمان بالله وصلته بتكوين الشخصية الإسلامية.
- **ثانيًا:** دور الحكمة في تحديد مكونات الوعي بالواقع والذات.

أولا: الإيمان بالله وصلته بتكوين الشخصية الإسلامية:

تعد التربية الإيمانية أحد أهم المكونات الإسلامية التي تساهم في صناعة الشخصية الإسلامية الواعدة. إن ما حدده السيد فضل الله من المعوقات السلوكية التي تمنع الشخصية الإسلامية للتعبير عن وجودها الفاعل في الحياة هو طبيعة الثقافة الفكرية والسلوك التربوي الذي ألفته الشخصية الإسلامية الراهنة والتي يمكن تلخيص أهم ملامحها السلبية في التالي:

أ. المنهج التعليمي الديني القائم على أساس التلقين المقدس الذي يحظر العقل من التحليل والنقد.

ب. استفحال ظاهرة التعليم الفقهي الذي يسيج الحركة الإيمانية للشخصية الإسلامية بإطار شرعي فقهي جاف يمنع أو يعرقل تحضير الشخصية للولوج لعالم التجربة الدينية من خلال أدوات العرفان والسلوك.

ج. التربية الدينية المفتقرة لبنية إيمانية قادرة على مواجهة الواقع بكل تداعياته وأبعاده وتفاصيله.

ويؤسس السيد فضل الله على أساس ما تمت الإشارة إليه فيما يفترض أن تكون عليه طبيعة الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع محيطها، بحيث «لا يعود الإيمان مجرد خلجات في المشاعر وخطرات في الأفكار، بل ينطلق ليكون موقفًا متحركًا في اتجاهين: اتجاه بين النفس على الأسس الروحية الأخلاقية الصحية، لتكون مثالًا للشخصية الإسلامية الصابرة على تحديات نوازعها الذاتية الغريزية في أوضاعها المنحرفة، واتجاه يطلق الشخصية في مواجهة الشخصيات غير الإسلامية في أجواء الصراع الفكري الذي يثير الشبهات ويخلق الانحرافات».

ويرسم فضل الله بعدًا آخر من أبعاد صناعة الشخصية الإسلامية من خلال توسيع مفهوم البر والإحسان ودورهما في تعميق هذه الشخصية، ذلك «أن في الفكر خيرًا وشرًا، تمامًا كما هو العمل خير وشر. بل ربما كان الأساس في البر العملي هو البر الفكري والعقيدي؛ لأنه هو الذي يعطي العمل دافعه ونوازعه وهو الذي يحدد مضمونه وطبيعته، ولهذا انطلق القرآن ليحدِّد للإنسان شخصيته من خلال تجديد

ملامحه الفكرية والعلمية، فلم يكتف بالعمل وحده في مجال التقييم بعيدًا عن الإيمان، كما لم يكتف بالإيمان بعيدًا عن العمل. فبالإيمان والعمل تتكامل الشخصية وتنطلق».

وتتلخص هذه التجربة التجديدية في معالجة المعوقات النفسية للشخصية الإسلامية في أحد جوانبها، وهو العودة إلى مكونات الإيمان اللازم للشخصية الإسلامية. والأدوات التي تؤسس ذلك وحجر الزاوية هو البناء السليم للشخصية الإسلامية الذي لا يتأتى بمعزل عن دفعها لمعترك الحياة، فهي البوتقة التي يصهر فيها الإيمان ويتشكل.

ثانيًا: دور الحكمة في تحديد مكونات الوعي بالواقع والذات:

إن الحكمة والوعي هما المعتمد الأساس في بناء الشخصية الإسلامية لإخراجها مما تعاني من التخلف والتراجع. الحكمة هي انعكاس لتبلور ركام التجربة لتتولد إرادة مجسدة تقود وتحرك الشخصية الواثقة. ولذلك يتحرك السيد فضل الله في تجديد هذا المفهوم في بعد يتعدى الوصف العام والتصوير الفلسفي له. إن حجر الزاوية في مشروعه التجديدي هو رسم ملامح الحكمة في بعدها التطبيقي بعد استيفاء معانيها وتفاصيلها العلمية. ويستلهم مشروعه هذا من خلال قراءته المتأنية لخطاب الوحي ولسان المصطفى وتجربة الرسالة في بعدها التطبيقي والقراءة المتفحصة لبيئة الأزمة والتخلف التي تفرز الراهن من أحوال الأمة. ولذلك نراه يخرج التفاصيل في وصف جامع بين المعنى الثقافي الفلسفي للحكمة والمعنى الحركي التطبيقي لها. ففي معرض بحثه الذي يؤسس من خلاله طرفي معادلة الحكمة النظرية والحركية بعنوان (دور الحكمة في القرآن الكريم)، يلقي الضوء على عدة أساسيات مهمة، منها:

أ. معنى الحكمة في اللغة والخطاب القرآني.

ب. المقاربة بين دعوة الوحي للحكمة وتطبيقاتها المرجوّة.

ج. دواعي المشروع القرآني في الحث المستفيض على الحكمة.

يبدأ بحثه في اللغة، فيشير إلى أنه «في تاج العروس: العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية، وهذه هي الحكمة الإلهية». وفي مقاربته بين الحكمة النظرية وتأثيرها على السلوك، يقول: «وقد يظهر من بعض الآيات أن الحكمة هي تعبير عن حالة الوعي الذاتية الكامنة داخل الإنسان التي تتيح له الرؤية الواضحة للأشياء، فتدفعه إلى

التصرف السليم والرأي السديد وهذا ما نتمثله في قصة لقمان الذي لم يكن من الأنبياء في أغلب الظن، بل كان إنسانًا سديد الرأي، ثاقب النظرة، صالح العمل فيما ينقله لنا القصص الديني، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1]. وقد يلوح لنا أن ذلك هو معنى الحكمة، بل المراد بها هو نفس المعنى الذي استوحيناه من الآيات السابقة، وهو المضمون الفكري الذي يتحرك في العقل، فيحقق النظرة الصائبة إلى الأمور، ويتحرك في الواقع، فيحقق الموقف العلمي الصحيح. ومن الطبيعي أن مثل هذا المضمون يحقق للشخص الأفق الواسع والجو الهادئ الذي يوحي له بالمواجهة الواقعية للأشياء».

وقد لا يكون ما أشار إليه في أهمية التلاحم بين الحكمة النظرية وبُعدها الحركي من طرح جديد، ولكن تكمن القيمة فيما يؤكده السيد فضل الله من خلال استحضار مفهوم الحكمة في مصطلح العقل في الكثير من قراءاته وهو يقدم النماذج تلو النماذج من الأزمات التي لم تكن إلا نتيجة استفحال الغيبوبة التامة عن العقل أو سلطة العقل الأجوف المعزول عن مصادر الإيمان التي تغذيه بتفاصيل الثبات ورؤية تشق ظلم الجهل والنقص. إن المعيار الذي يستند إليه هو أن العقل الحكيم لا يتأتى إلا من خلال الإيمان الواعي الذي تمت الإشارة إليه في الفقرة السابقة. فالعقلنة لحركة الإنسان حركة متبادلة بين الإيمان والحراك في الحياة، فكلٌّ يغذي الآخر، كما أشار إلى ذلك في بحثه (عقلنة الحياة)، إذ يقول هناك: «إن علينا أن نعقلن وعينا للدين وتصورنا له من خلال الفهم العقلاني الثقافي المتوازن الذي يجعلنا نفهم الدين بجذوره العقلية والفكرية. نحن لا نعتبر الإيمان فوق العقل كما يعتبره بعض أتباع الديانات، بل إن العقل هو الذي ينتج الإيمان. ولا عمق لإيمان لا يرتكز على العقل».

ويقرأ فضل الله أسباب الأزمة التي تعيشها الأمة التي تفرزها النماذج السلوكية التي تمت الإشارة إليها سابقًا، فهي جذور هذا العنف والأصولية العمياء وهذا التعصب والفوضى في التراشق بين فئات الأمة في النيل من دينها. وللاستشفاء من هذا، لا بدّ من إعادة بناء الإيمان في بعده العقلي وتعزيز الحكمة الحركية التي تتغذى من الإيمان وتغذيه. وقد نظّر وأسس في محاولة تجديدية مضنية فيما لا يحصر من

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

المقالات والأنشطة، وقد كان هو ﷺ ضحية التعصب والتزمت الأعمى الذي كافح ونافح من أجل علاجه بالحكمة والموعظة الحسنة دون أن يتنازل عن مشروع دعوة الأمة للاستشفاء بالحكمة النظرية والحركية. ولمزيد من القراءة حول هذا الجانب يرجع لقراءة: (بين هيمنة التعصب وحرية الفكر)، وكذلك: (الموضوعية في خط الشخصية الإسلامية).

□ مشروع الفضلي وفضل الله التجديدي أفاق للتعدد والتنوع

إن الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة في حاضرها ليست وليدة هيمنة وسيطرة الأجنبي على الأمة فحسب، بل لعل ما تفرزه عقلية وسلوك الشخصية الإسلامية من أزمات ومظاهر تخلف تمثل الجزء الأكبر من مكونات هذه الأزمة. والحركة التجديدية التي خاضها كل من العلامة الفضلي والعلامة السيد فضل الله ﷺ تنظر في توفير العلاج من خلال خلق عناصر المكافحة للمعوقات الفاعلة في طرفي معادلة التجديد الشخصية الإسلامية التي تتحمل أعباء التجديد الحضاري للأمة. إن أحد طرفي هذه المعادلة يكمن في المُصلِح التربويّ الذي يؤسس لمعايير وقيم التجربة الإيمانية الأشمل من معايير التفكير الجامد، بل المنفتح على الدين في آفاقه الأخلاقية والفلسفية والعرفانية. والطرف الآخر منها هو الفضاء الذي يؤهل للشخصية الإسلامية الراهنة القلقة، وذلك للإقبال على هذا التربوي المجدد الباني لها. لقد تمثلت تجربة الشيخ الفضلي في تجديد المنهج العلمي الذي يضطلع في تأهيل وبناء التربوي في المؤسسات العلمية الدينية. ذلك أن العبور من الجامد الراكد في التعليم الديني إلى التعليم الديني التنويري إنما يكون من خلال تأسيس رؤى ومعايير تربوية تحقق جانبين مهمين في مخرجات المدرسة المجدِّدة، وهما: العلمية المتخصصة العميقة المتجذرة في التراث والنص، والنظرة المسلحة بالدراية والإدارة للواقع الحضاري الراهن. وقد تأسست تجربة الفضلي على هذين المنظورين في إعادة النظر في المناهج التعليمية للمؤسسة العلمية الدينية. وقد تحمل السيد فضل الله أعباء وبناء الشخصية الإسلامية المؤهلة للتعاطي مع خطاب التربوي المجدد. فالحركة التجديدية بين الفضلي وفضل الله قد تأخذ شكل الدائرة الحميدة من تربوي يؤسس الشخصية المطلوبة، والأخيرة تغذي الشخصية وتربيها على ما تطلعت إليه تجربة فضل الله التجديدية وتساهم الأطراف الأخيرة بردف المؤسسة من جهة والمجتمع في حركة انسيابية من الحراك والتفاعل والتجديد. إن بناء الشخصية الإسلامية المستندة إلى الإيمان المعقلن وسيادة روح الحكمة والتجربة الحكيمة من حراك الأمة الحضاري لا

شك سيفضي إلى اتساع الآفاق وتسلح الرؤى بمعايير تمكنها من تقديم قراءات ومفاهيم متنوعة عن نظرتها لدور الدين في الحياة وسيساهم أيضا في تغذية تجربتها الدينية.

إن التنوع الديني في الفهم والممارسة طبيعي في مجتمع الحكمة والإيمان المعقلن وظاهرة صحية تفضي إلى سقوط احتكار الفهم وممارسة التجربة للدين. إن التنوع المنشود في هذه الصور لا يعني الفوضى الدينية، بل الجانب المشرق من هذا التعدد هو ارتقاء القدرة والقابلية للشخصية الإسلامية في التعاطي مع قضاياها ومفاهيمها الدينية على أساس الحكمة التي تحصنها من الوقوع فريسة التزمت وطعمًا سهلًا للمرتزقين بالدين والمعتاشين عليه. «إن التجارب الدينية متنوعة ومتعددة بعدد أفراد البشر، وكل إنسان يملك فيها بعدًا خاصًا عن الله تعالى. وبعبارة عرفانية: إن الله تعالى يتجلى لكل إنسان بنحو من الأنحاء، وكل هذه التجليات محترمة ومقدسة، والدين الإلهي يقرر صحة كل هذه التجليات بأجمعها».

□ المراجع

١. ابن منظور، لسان العرب.
٢. الحاج إبراهيم: عبد الرحمن، مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي (www.islamweb.net).
٣. حب الله: حيدر، مشروعية تجديد الفكر الديني، مدارك، إسلام أون لاين.
٤. سروش: عبد الكريم، سيد جمال وإحياء إسلام في مدارا ومديريت، ط٢، مؤسسة فرهنكي صراط، ١٣٨٥هـ. ش.
٥. ــــــــــــ، الصراطات المستقيمة، ترجمة: أحمد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.
٦. الشيخ: حسين منصور، حوار مع العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٧. الصفار: حسن موسى، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد ١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.
٨. عمير: محمد، قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية: تجربتي الصدر والفضلي أنموذجًا، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٩. فضل الله: السيد محمد حسين، الشخصية الإسلامية، موقع بيّنات (www.bayynat.org.lb).
١٠. فضل الله، السيد محمد حسين: من وحي القرآن، موقع بيّنات (www.bayynat.org.lb).
١١. ـــــــــــ، دور الحكمة في القرآن الكريم، موقع بيّنات الإلكتروني.
١٢. ـــــــــــ، عقلنة الحياة، موقع بيّنات الإلكتروني.
١٣. اللويمي: أحمد محمد، التحوّلات الفكرية-والاجتماعية في الأحساء، جواثا للنشر، ٢٠٠٩م.
١٤. محفوظ، محمد: العلامة الفضلي وأفق الإصلاح، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
١٥. الميلاد: زكي، لماذا تأخرت مهمّة تجديد الخطاب الإسلامي، موقع العلم والدين.

العلامة الفضلي.. وأفق الإصلاح الثقافي(*)

■ الأستاذ محمد محفوظ(•) ■

ثمة سؤال مهمّ ومركزي شغل المصلحين والباحثين والمفكرين في المجال الإسلامي عبر عقود عديد،ة وهو: ما السبيل إلى ردم الهوة والفجوة بين المجال الإسلامي الذي يمتلك البشر والثروات الطبيعية الهائلة والمتعددة، والمجال الغربي الذي تمكن إبان نهضته وثورته الصناعية الأولى من التخلص من أهم المشاكل والأزمات التي تركسه في الحضيض وتحول دون تطوره وتقدمه في مختلف الميادين والحقول. وبفعل هذا التخلّص تمكن من البروز والريادة في مضمار التقدم الإنساني والتطور الحضاري.

والتخلص الذي مارسه الغرب لم يكن فعلاً سلبيًا فحسب، وإنما هو عملية نهوض شاملة، عاشتها المجتمعات الغربية وطردت من خلالها كل العناصر والكوابح السيئة، التي تحول دون تطورها وتقدمها.

وهذه المفارقة الحضارية الهائلة، هي المساحة (المفارقة) الهائلة التي عمل أكثر المفكرين والمصلحين على معالجتها وتحليلها والتفكير العميق في طبيعتها وسبل إنهائها من الحياة الإسلامية المعاصرة.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال استنساخ التجربة الغربية في مراحلها وأطوارها المختلفة، وإنما يعني أن تقدم الغرب وتطوره المتسارع، أعاد بشكل مركَّز وعميق طرح سؤال التقدم وكيفية ردم الهوة بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون في المجال الإسلامي.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ

(•) باحث في الفكر الإسلامي من القطيف، مدير تحرير مجلّة الكلمة.

وفي تقديرنا إن سؤال التقدم، ومحاولة العمل على تلمس طرق الانعتاق والتحرر من آسار التخلف، هو العنوان العام، لكل الجهود والمناشط التي قامت بها النخبة الإسلامية بمختلف مشاربها ومدارسها في تلك الحقبة من الزمن.

فالتجربة الغربية في حركيتها وديناميتها وتطورها النوعي، صدمت المجال الإسلامي بكل شرائحه وفئاته، ودفعته للتفكير والبحث عن سبل الخروج من هذا الواقع المزري والمفارق.

ونحن حينما نقرأ التجربة المعرفية والفكرية للعلامة **الدكتور عبد الهادي الفضلي** ـ حفظه الله تعالى ـ، نجد أن هذه المفارقة الحضارية هي حجر الأساس الذي انطلق منه في عطائه الفكري وجهده الإصلاحي.

فالعلامة الفضلي كغيره من العلماء والمصلحين عملوا من أجل بناء القدرات الإسلامية المتعددة، حتى تتمكن الأمة من مواكبة عصرها، والتحرر من انحطاطها السياسي وتخلفها العلمي والثقافي. لذلك اتجهت الجهود الفكرية والثقافية والسياسية للمصلحين صوب نقد الواقع السياسي والثقافي، وتفكيك عناصر الجمود والتوقف عن العطاء النوعي في الفضاء الاجتماعي، وذلك من أجل أن يتمكن المجال الإسلامي من إنهاء المفارقة الحضارية التي اكتشفها من خلال التطور الغربي المذهل واتصاله به.

فالمفارقة الحضارية الهائلة، ليست قدرًا مقدرًا، وإنما هي نتاج عوامل وأسباب سواء في خط الصعود والارتقاء الحضاري، أو في خط الانحدار والسقوط الحضاري.

والأمم التي تمسكت بأسباب التقدم، وانتهجت نهج التطور وصلت إلى غاياتها، وتخلصت من محن واقعها ومآزقه. أما الأمم التي عاشت على أطلال ماضيها، ولم تتمسك بعمق بأسباب التقدم، أضحت أممًا متخلفة ولا تتمكن من السيطرة على مصيرها ومستقبلها.

والذي نعمل على معرفته واكتشافه في هذا السياق هو: الرؤية التي بلورها **العلامة الدكتور الفضلي** في محورين أساسيين، وهما:

١. أسباب وعوامل تخلف الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة والتقدم.

٢. كيف ينهض المسلمون، ويتحررون من مآزق التخلف والانحطاط، ويتخلصون من ربقة الاستبداد والديكتاتورية.

وفي هذا الإطار عمل العلامة الفضلي، عبر مساهماته العلمية وعطاءاته الثقافية والتربوية، على خلق الثقافة الإسلامية المستنيرة، التي تدفع أبناء الأمة للتحرر من ربقة الانحطاط والتخلف، وتبلور لهم منهج النهوض والتخلص من كل أشكال الاستبداد والبعد عن حركة التاريخ.

فالجهد الفكري والثقافي الذي بذله **العلامة الفضلي**، ليس جهدًا مجردًا، أو بعيدًا عن متطلبات النهوض للأمة، بل هو جهد يأتي في سياق المشاركة الحيوية في هموم الأمة وقضاياها المتعددة.

وحتى العطاءات العلمية ـ المنهجية في الحوزة العلمية التي بذلها العلامة الفضلي، تأتي في سياق إيمان **الفضلي** العميق بأهمية أن تتطور مناهج الدراسة الحوزوية، وذلك من أجل أن تتحول الحوزة في عطاءاتها ومشروعاتها العلمية والثقافية والاجتماعية إلى مصدر للإشعاع الفكري والمعرفي، والذي يأخذ على عاتقه المشاركة الفعالة في جبهة الجهاد العلمي والثقافي في الأمة.

لهذا يمكننا القول: إن الأعمال والأنشطة التي قام بها **العلامة الفضلي** في إطار محاربة عناصر الانحطاط والتخلف في الأمة، وتحقيق النهضة والتقدم للمسلمين، تتمثل في النقاط التالية:

- المساهمة العلمية والثقافية المتواصلة، التي توضح رؤية الإسلام للعديد من القضايا والموضوعات، ونقد أسس ومرتكزات الثقافة المتخلفة والجامدة التي كانت سائدة في بلاد المسلمين.
- بناء الكفاءات والقدرات العلمية والثقافية القادرة على رفد الساحة الإسلامية بالرؤى والبصائر التي تدفعها للمشاركة في مشروع البناء والعمران الإسلامي.
- المساهمة في بناء وتطوير العديد من المؤسسات الإسلامية العلمية والثقافية، التي تأخذ على عاتقها بناء الكفاءات والطاقات الإسلامية الواعية، والمشاركة في خلق الوعي وتعميم المعرفة الدينية المستنيرة في المجتمعات الإسلامية.

- رعاية العديد من المؤسسات والمناشط الإسلامية والشخصيات الدينية والاجتماعية، والعمل على تذليل العقبات أمامها، وذلك من أجل المشاركة الفعالة في مشروعات الوعي والبناء الإسلامي الجديد.

والعطاءات العلمية والثقافية، التي بذلها العلامة الفضلي، لم تكن عطاءات سطحية أو بعيدة عن هموم وحاجات الأمة الملحة، بل هي عطاءات نوعية، وساهمت في رفد الساحة بالعديد من المعالجات الفكرية والثقافية الجادة.

ونظرة فاحصة لهذه العطاءات، تكشف أن هذه العطاءات تتسم بالعناصر التالية:

١- عمق النزعة التجديدية، التي تستهدف التحرر من كل أشكال الجمود والتوقف عن العطاء العلمي النوعي.

والنزعة التجديدية في تجربة العلامة الفضلي لا تعني بأي حال من الأحوال التفلُّت من القيم والمبادئ الشرعية، وإنما تعني قراءتها وفق منهجية قادرة على استنطاقها واستيعاب كل الموضوعات والحاجات المعاصرة.

وعملية الاجتهاد هي الحاضنة الكبرى لمفهوم التجديد ومتطلباته المنهجية والعلمية.

ويعبر عن هذه الحقيقة العلامة الفضلي بقوله: «يستمد الاجتهاد الشرعي قيمته من أهمية الغاية المتوخاة من تشريعه، ومن أهمية المرمى الذي هدف إليه المشرع الإسلامي من الدعوة إليه، والإلزام به، كما في أمثال آية النفر: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

والهدف هو الوصول إلى الحكم الشرعي واستفادته من النصوص الشرعية المشتملة عليه؛ وذلك لأن النصوص الشرعية المتضمنة للحكم الشرعي لم تصغ صياغة قانونية تعطي الحكم الذي تحتويه من غير حاجة إلى إعمال فكر يستند إلى خلفيات ثقافية وعلوم مساعدة، ويرجع هذا إلى أن القرآن الكريم انتهج في أسلوب

(١) الدكتور عبد الهادي الفضلي، الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١م، ص ٩.

بيانه ظاهرة الكتاب الإلهي المقدس، تلك الظاهرة التي امتدت مع الإنسان منذ صحف إبراهيم عليه السلام حتى قرآن محمد صلى الله عليه وآله، والتي تمثلت في الأسلوب الخطابي المتوافر على عناصر الدعوة إلى الله تعالى.

وذلك لأن الهدف الأساسي للكتب الإلهية المقدسة هو الدعوة إلى الله تعالى، والأسلوب المناسب للدعوة هو الأسلوب الخطابي، لأنه الأسلوب الذي يقتدر، بما يمتلك من إثارة مؤثرة وشحن عاطفي مثير، على مخاطبة العقل عن طريق القلب.

وجميع ما يذكر من شؤون أخرى إنما تذكر لأن لها علاقة بالدعوة إلى الله تعالى.

ومن هنا لم تذكر الأحكام الشرعية إلاّ في سياق السور أو سياق الآيات، أي أنها لم تجمع في سورة واحدة أو موضع واحد»[(١)].

ويضيف **العلامة الفضلي** في موضع آخر: «كما أن فهم معاني التشريع ودلالات ألفاظ النصوص الشرعية، سواء كان ذلك في الآيات أو الروايات، يتطلب فهم لغة عصر التشريع، تراكيب ومفردات وأسلوب بيان.

وذلك لأن أكثر الروايات التي وصلت إلينا كانت أجوبة لأسئلة من أناس يختلفون في بيئاتهم من حيث الشؤون الاجتماعية-والثقافية، مما يستلزم فهمها وفهم شخصية السائل من حيث المستوى الثقافي. كل ذلك وأمثاله كان مدعاة للزوم الاجتهاد، وفي الوقت نفسه هو مدعاة لأن تقوم وظيفة الاجتهاد وممارسته على أساس من العمل المعمق في البحث والتدقيق، وبذل أقصى الطاقة في الاستقصاء والتحقيق»[(٢)].

٢- وضوح المنهجية التي تمزج بوعي وحكمة بين كل متطلبات الأصالة الفكرية والثقافية، وضرورات الانفتاح والتواصل مع مكاسب العصر والحضارة الحديثة في مختلف مجالات الحياة.

ويقول العلامة الفضلي في سياق بحثه عن التطور الفكري الأصولي «لم أرَ ـ في حدود مراجعاتي وقراءاتي ـ من كتب في هذا الموضوع نظير ما رأيته وقرأته في كتابات الأساتذة الجامعيين، باستثناء ما جادت به يراعة أستاذنا **المجدد الشهيد الصدر** في مقدمة الحلقة الأولى من كتابه (**دروس في علم الأصول**)، إلاّ أنها مختصرة وغير

(١) المصدر نفسه ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣.

شاملة؛ لأنه أراد بها أن يلفت نظر الباحث والدارس الأصوليين إلى شيء من تطور الفكر الأصولي بما يفرض علينا إعادة النظر في الكتب المقررة لدرس علم الأصول في الحوزات العلمية الإمامية لتكون بمستوى المطلوب والمتوخى في دراسة هذا العلم، وليكون هذا التمثيل منه بيانًا للداعي له لتأليف الحلقات الثلاث بشكلها المختلف عما اعتاده الطالب الديني في مقررات الدرس الأصولي.

ولكنه ـ أيضًا ـ كان الرائد المخلص والموفق في وضع اللبنات الأساس للكتابة في هذا الحقل المهم قدر أهمية علم أصول الفقه.

وإني لآمل أن يؤلف فيه، ويضاف الكتاب المؤلف إلى برامج الحوزات العلمية مقررًا دراسيًّا، لأهمية هذه المادة في إثراء الرصيد الفكري الأصولي عند الطالب وتنمية مواهبه وقدراته العلمية من ناحية تربوية بسبب ما يتحرك في فلكه من مقارنات وموازنات للفكر، وتعريفات لأعلامه وتنويهات بعطائهم وإسهاماتهم في خدمة هذا العلم»[١].

والإنتاج العلمي والثقافي المتعدد **للعلامة الفضلي**، لا يؤسس للعزلة والقطيعة مع العالم الحديث، وإنما هو يبلور خيار الفهم الإسلامي الذي لا يتناقض في مسيرته وخياراته مع التواصل الفعّال مع العصر والعالم الحديث.

والإسلام ـ في المحصلة النهائية ـ يمتلك قدرة فكرية ومنهجية وثقافية هائلة، على التطور والانفتاح والتفاعل مع مكاسب العلم والحضارة الحديثة.

وتجربة **العلامة الفضلي** العلمية (الحوزوية والأكاديمية) والثقافية والاجتماعية والسياسية، غنية ومليئة بالعبر والدروس، وفيها الكثير من المحطات التي تثير العديد من الأسئلة. لذلك من الصعوبة بمكان الإلمام بتجربة غنية ومتعددة الأبعاد كتجربة **العلامة الفضلي**.

والذي يزيد هذه الصعوبة أن **العلامة الفضلي** ـ أمدَّ الله في عمره ـ لازال حيًّا يرزق ويواصل نشاطه وعطاءه العلمي والثقافي والاجتماعي.

---

(١) الدكتور عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ج١/ ٩٠.

وإذا كانت تجارب المصلحين وجهودهم الفكرية والعلمية تحتمل أكثر من قراءة، فإن الميزة الأساسية لتجربة العلامة الفضلي أنه كسر الحدود وألغى الفواصل بين الحوزة والجامعة، وأضحى علمًا ومتميزًا وقديرًا في الحقل الحوزوي بكل تفاصيله ومقتضياته، كما كان بارعًا ونوعيًّا في جهده الجامعي والأكاديمي.

ولبَّى في شخصه الكريم متطلبات كلا الدورين والوظيفتين (وظيفة العالم - الفقيه، ووظيفة الأستاذ الجامعي).

وبهذا التكامل المعرفي أضحى العلامة الفضلي نموذجًا متقدمًا للمؤسسة العلمية التي عمل فيها العلامة أستاذًا وكان ناشطًا في أروقتها ألا وهي مؤسسة جمعية منتدى النشر وكلية الفقه في جامعة النجف الأشرف التي أسسها مجدد التعليم الديني في النجف الأشرف في العصر الحديث المرحوم **الشيخ محمد رضا المظفر** (١٩٠٣ - ١٩٦٣).

وبناء الجسور العلمية والثقافية بين الحوزة والجامعة، لا يفيدهما فحسب، وإنما يفيد المجال الإسلامي بأسره، لذلك فنحن مع كل خطوة ومبادرة لتجسير الفجوة بين هذه الروافد العلمية والثقافية.

وتجربة العلامة الفضلي على هذا الصعيد تؤكد أهمية القيام بخطوات مدروسة في سياق التكامل العلمي والثقافي بين الحوزة والجامعة.

فنقاط القوة في التجربة الحوزوية ينبغي أن يطَّلع عليها أساتذة وأبناء الجامعة، كما أن نقاط التميز الجامعية، من الضروري أن يتواصل معها ويستوعبها الأستاذ والطالب الحوزوي.

وهذه العلاقة التفاعلية، التي لا تنحبس في الشكل، وإنما تتعداه إلى المضمون والمنهج، ستساهم في خلق فضاء ثقافي حر ومبدع.

وفي هذا السياق استطاع العلامة الفضلي بعمقه الفقهي والأصولي الذي تتلمذ فيهما على أساطين العلم الحوزوي **كالإمام أبو القاسم الخوئي والإمام محمد باقر الصدر** ـ رضوان الله عليهما ـ، وثقافته المنهجية والعصرية التي تعمقت لديه من خلال الالتحاق بالسلك الأكاديمي الجامعي درسًا وتدريسًا، وتعدد أبعاد تجربته الاجتماعية والسياسية؛ استطاع أن يساهم في تأسيس مكتبة إسلامية، غنية في علومها

ومعارفها، ومتنوعة في مجالاتها وأبعادها، وعميقة في مقاصدها ومآلاتها، وناضجة في خياراتها وموضوعاتها.

٣- تعدد وتنوع العطاءات العلمية والثقافية، ونظرة سريعة إلى عناوين المؤلفات التي ألفها العلامة الفضلي تكشف وبشكل سريع أن هذه المؤلفات متعددة ومتنوعة في موضوعاتها ومجالاتها.

فهو من أوائل من كتب الكتب المنهجية الحوزوية، وهي تجربة رائدة تستحق الدراسة والتقدير، كما كتب في علوم النحو واللغة والمنطق، إضافة إلى عطاءاته الثقافية، التي تعالج بعض الموضوعات والقضايا التي تهم الإنسان المسلم، وتضغط عليه فكريًّا واجتماعيًّا.

فالعطاء العلمي والثقافي **للعلامة الفضلي** متعدد ومتنوع، ولقد استطاع بإصراره العلمي وكدحه الفكري والمعرفي أن يساهم ـ كما أشرنا ـ في بناء مكتبة إسلامية علمية فكرية واسعة، ولقد تغذت عليها أجيال الأمة، وأفادوا منها إفادة جليلة، بحيث أضحى العلامة الفضلي أحد مفكري الساحة الإسلامية في العصر الحديث.

واهتمام **العلامة الفضلي** بكتابة المناهج الدراسية الحوزوية وفق رؤية ومنهجية جديدة، تنبع من إيمانه العميق بأن تطوير التعليم وإصلاحه في مختلف المجالات، هو حجر الزاوية في مشروع الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي. فلا يمكن أن تتبوأ الحوزة العلمية مواقع متقدمة في الحياة العامة للمسلمين دون تطوير المناهج الدراسية واستجابتها إلى ضرورات العصر وحاجاته، كما أن عالم الدين لا يستطيع أن يؤكد حضوره النوعي في الأمة دون تأهيل علمي ومعرفي ومنهجي، يُمكِّنه من مواكبة التطورات والتفاعل الخلاَّق مع الحاجات والتحديات.

فإصلاح المناهج التعليمية، وتطوير منهجيتها وإعادة صياغة كتبها وموادها العلمية بما يناسب لغة العصر ومنهجيته، كلها عناوين لمشروع إصلاحي - تعليمي، عمل **العلامة الفضلي** عليه، واستطاع عبر كتاباته الحوزوية أن يبدع فيه، ويسجل اسمه في عداد الشخصيات العلمية والفكرية التي ساهمت بشكل مباشر في تطوير الدرس والمنهج الحوزوي.

والنهضات العلمية والثقافية في كل الأمم والشعوب بحاجة إلى مؤسسة علمية - نوعية وقادرة على استيعاب المنجز المعرفي والتواصل الفعَّال مع العصر.

وهذا لا يتأتى إلاّ بالتطوير الدائم لمناهج التحصيل والدراسة، التطوير الذي يستوعب القديم دون الانحباس فيه.

ولعلنا لا نجانب الصواب حين نقول: إن تجربة العلامة الفضلي على هذا الصعيد كانت نموذجًا للمحاولات التي استوعبت القديم، وأعادت صياغته وقولبته في قالب حديث، يتماشى وحاجات النص الدراسي الحديث. فهي تجربة حافظت على الثوابت، كما انفتحت على العصر ومكاسبه ومنجزاته.

والذي عزز هذه التجربة وأثراها، هو أن جهود العلامة الفضلي العلمية والتدريسية لم تقتصر فقط على الحوزة العلمية، وإنما تعدتها إلى الحقل الأكاديمي الجامعي. فكان العلامة الفضلي أستاذًا متميزًا وقديرًا في الحوزة العلمية، كما كان أستاذًا متميزًا وقديرًا في حقل تخصصه الأكاديمي في الجامعة.

وبفضل هذا التكامل، أضحت تجربة العلامة الفضلي على هذا الصعيد، تجربة ثرية وعميقة، وتتطلب الكثير من الجهود لقراءتها من مختلف الأبعاد والزوايا.

ولقد تخرج على يد العلامة الفضلي أجيال ونخبة من العلماء والمشايخ والأكاديميين سواء في حوزة النجف العلمية أو جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وعلى كل حال، نستطيع القول: إن العلامة الفضلي هو أحد رواد تجديد التعليم الديني، وأحد أعمدة تجربة التكامل والتواصل بين الحوزة والجامعة.

وكما يبدو فإن حجر الأساس في تجربة العلامة الفضلي على هذا الصعيد هو أن تقدم العلم مرهون بتقدم مناهجه، لذلك اعتنى العلامة الفضلي بصياغة المناهج الدراسية للعديد من المواد العلمية التي تدرس في الحوزة والجامعة.

كما أن الإصلاح بكل مستوياته ودوائره لا يمكن أن ينغرس في جسم الأمة بعمق، إلاّ بتراكم المعرفة والجهود الإصلاحية التي بذلها الفقهاء والعلماء والمفكرين عبر حقب زمنية عديدة ومتواصلة.

ولعل تدوين هذه التجارب، والتعرف العميق إلى هذه الجهود، هي الخطوة الأولى الضرورية لخلق التراكم المعرفي والثقافي المطلوب، وهي وسيلتنا لنقل هذه التجربة بكل أبعادها وآفاقها إلى الأجيال اللاحقة.

الدولة الإسلامية في فكر العلامة الفضلي رحمه الله(*)

■ السيد الدكتور عادل الحسين(•) ■

في النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم تناولت عدة دراسات مفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الشيعي من عدة زوايا. وهذه بعض الدراسات التي كتبت في الموضوع ذاته وفقا للترتيب الزمني:

- الأسس الإسلامية، للشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله، ١٩٥٨م.
- في انتظار الإمام، للشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله، ١٩٦٤م/ ١٩٦٨م.
- الحكومة الإسلامية، للإمام السيد روح الله الخميني رحمه الله، ١٩٦٩م.
- الإسلام يقود الحياة، للشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله، ١٩٧٩م.
- الدولة الإسلامية، للشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله، ١٩٧٩م.
- الخميني والدولة الإسلامية، للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله، ١٩٧٩م.
- نظرية ولاية الأمة، للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، ١٩٨٩م.

وتعتبر الدراسات الثلاث الأولى هي اللبنة الأساس في تأصيل وبلورة مفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الشيعي. وتأتي الدراسات الأخرى اللاحقة إما كمناقش أو مفسر أو موسع لتلك الأصول والأسس التي بحثت من قبل كل من الشهيد الصدر والشيخ الفضلي والإمام الخميني، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

☐ الأسس الإسلامية

الأسس الإسلامية عبارة عن دروس قد ألقاها الشهيد الصدر على طلابه فى الحوزة العلمية فى النجف الأشرف وذلك عام ١٩٥٨م. وكان الشيخ الفضلى من ضمن طلبة العلوم الدينية الذين حضروا تلك الدروس، وقد أشار الشيخ الفضلي

(*) نشرت في مداد العرفان، إعداد: فؤاد الفضلي، ص ٣٦٥ ـ ٣٧٣.

(•) كاتب من الأحساء، استشاري مالي واقتصادي، كان من الملازمين لمجلس العلاّمة الفضلي في جدّة.

إلى هذه المعلومة فى حوار أجراه معه الباحث الأستاذ حسين منصور الشيخ، وتم نشر هذا الحوار في كتاب (الدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار)، ٢٠٠٩م.

وقد سرد الشيخ الفضلى تسعة من تلك الأسس فى بحثه تحت عنوان: (الأسس الإسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول للدستور الإسلامى)، المنشور فى مجلة المنهاج، العدد ١٧، ٢٠٠٠م، وهى: (١) الإسلام، (٢) المسلم، (٣) الوطن الإسلامى، (٤) الدولة الإسلامية، (٥) الدولة الإسلامية دولة فكرية، (٦) شكل الحكم فى الإسلام، (٧) نظام الشورى، (٨) الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم، (٩) مُهِمّتا بيان أحكام الشريعة وتعيين القضاة ليستا من مهام الحكم.

وأشار الشيخ الفضلى إلى أن الأسس التى درسها على يد الشهيد الصدر كان عددها أكثر من تسعة، قد يصل عددها إلى أكثر من ثلاثين أساسًا إذا أضيفت هذه التسعة إلى المخطوط من الأسس. لكن لا يُعلم مصير هذا المخطوط.

وقد كانت هذه الأسس الإسلامية الأنموذج المحتذى لما جاء بعدها من مؤلفات سياسية. وهنا يعتبر الشهيد الصدر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ مؤصلًا ومنظرًا لمفهوم الدولة الإسلامية.

وقد ذكر الشيخ الفضلي أن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية اقتبس الكثير من أفكار ورؤى الشهيد الصدر وتجد ذلك جليًّا عند المقارنة بين ما جاء في بنود الدستور الإيراني وبين ما كتبه الشهيد الصدر تحت عنوان: «لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران»، فقد انتهى من كتابة هذه اللمحة الفقهية في ٤/ ٢/ ١٩٧٩م، أي قبيل الانتصار الأخير للثورة الإسلامية.

□ في انتظار الإمام

يمثّل كتاب «في انتظار الإمام» أحد أهم المصادر البحثية التي سلطت الضوء على فكرة إقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، ومن خلاله تستشف إلى أي مدى وصل إليه الشيخ الفضلي من وعي سياسي في سن مبكرة من عمره الشريف.

انتهى الشيخ الفضلي من تأليف كتابه (في انتظار الإمام) في عام ١٩٦٤م وطبع في عام ١٩٦٨م. وقد تناول الكتاب الموضوعات التالية: تمذهب فكرة المهدي المنتظر مع أنها فكرة إسلامية عامة، وشخصية الإمام، ووجود الإمام، ودولة الإمام، وانتظار الإمام، ورئيس الدولة، وتكوين الدولة، والدعوة إلى الدولة. وقد ألف

الشيخ الفضلي هذا الكتاب ليبين للناس أن مفهوم الدولة الإسلامية موجود في الفكر الشيعي على مر العصور. ومن خلال تصفح أقسام هذا الكتاب يلاحظ القارئ وجود بصمات واضحة لفكر الشهيد الصدر في متن الكتاب.

وفيما يخص الدولة الإسلامية فقد أفرد الشيخ الفضلي عدة أقسام تناول فيها رئيس الدولة، وتكوين الدولة، والدعوة إلى الدولة.

رئيس الدولة:

هو نائب الإمام (الحاكم الأعلى زمن الغيبة)، وهو على ثلاث أقوال:

- الحاكم الأعلى هو المعين من قبل المسلمين.
- الحاكم الأعلى هو الفقيه العادل.
- الحاكم الأعلى هو الفقيه الأعلم.

وفي القول الثاني والثالث يتعين على حاكم الدولة الإسلامية أن يكون فقيهًا، وتجد في هذين القولين تأصيلا لمفهوم «ولاية الفقيه».

تكوين الدولة:

فيما يخص تكوين الدولة، تطرق الشيخ الفضلي لعدة موضوعات، وهي:

- تشكيلات الحكومة في التشريع.
- الخط العام للحكومة.
- السلطات الثلاث:
  - السلطة التشريعية.
  - السلطة التنفيذية.
  - السلطة القضائية.
- شكل الحكومة: حكومة دستورية.
- مبدأ الحق الإلهي.
- دور الأمة في المراقبة.
- الدولة في مجالها الواسع: وقد خلص الشيخ الفضلي إلى أن الدولة في مجالها الواسع هو:
  - الأرض وتعني الوطن.

- الأمة وتعني المواطنين.
- الحكومة وتعني السلطة.

الدعوة إلى الدولة:

وهنا خلص الشيخ الفضلي إلى وجوب الدعوة إلى بناء الدولة الإسلامية:

- إما عن طريق الثورة عند توافر شروطها.
- أو عن طريق التدرج باتباع الطرق السلمية من خلال توعية الأمة وتثقيف المجتمع، والتركيز على الناشئين في جميع مراحل التعليم.

وهذا ما دأب عليه شيخنا الراحل الفضلي ﵀ في مسيرته الرسالية وتجد ذلك جليا في كثير من كتبه. أذكر على سبيل المثال: «التربية الدينية»، و«مشكلة الفقر»، و«ثورة الحسين ﵇ في ظلال نصوصها ووثائقها»، و«في انتظار الإمام»، و«حضارتنا في ميدان الصراع»، و«لماذا اليأس؟»، و«الإسلام مبدأ»، وغيرها.

وقد نهج شيخنا الفضلي في كثير من كتاباته الثقافية منهجًا وسطًا يجمع بين القديم الاستنتاجي والجديد الاستقرائي. وعرض كتاباته بأسلوب وسط أيضًا يجمع بين البحث العلمي والمقالة الصحفية ليكون قريبًا من القارئ فيكون معه في مختلف مستوياته الثقافية والذهنية.

وتتلمس هذا الأسلوب جليًا في كتابه «في انتظار الإمام» بحيث حاول أن يبسط الأفكار المعمقة والمتشابكة حول مفهوم الدولة الإسلامية وعرضها بأسلوب مقروء ومفهوم من قبل القراء والباحثين مما يمهد للبحث فيها بشكل أعمق وأوسع.

وامتاز كتابه «في انتظار الإمام» عن غيره من الكتب التي تناولت مفهوم الدولة الإسلامية في أن الشيخ الفضلي مزج بين فكرة «انتظار الإمام» وفكرة «إقامة الدولة» على أسس إسلامية، بحيث وظف فكرة إقامة الدولة الإسلامية إيجابيًا لدعم فكرة انتظار الإمام. فيكون إقامة الدولة الإسلامية في زمن الغيبة هو مطلب شرعي في التمهيد لدولة الإمام المهدي ﵇. وبهذا تكون الدولة الإسلامية ترجمان إيجابي لهذا الانتظار.

ويمتاز هذا الكتاب أيضًا بأنه كتاب استدلالي، حيث استعرض الشيخ الفضلي نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة والآراء المختلفة التي تناولت عناصر

الموضوع كلا على حدة. ومن ثم خلص إلى رأيه. وفي هذا الأسلوب فائدة تربوية يضعها الشيخ الفضلي بين يدي الباحثين للتعرف على كيفية الاستدلال.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الأولى التي تحدثت عن الدولة الإسلامية وولاية الفقيه وعن إمكانية تطبيقها في عصر الغيبة واعتبارها ممهدة لدولة الإمام المنتظر عليه السلام. إذ لم يعرف في الفكر الشيعي كتاب قبله تناول الدولة الإسلامية بالمفهوم الحديث.

□ الحكومة الإسلامية

يضم الكتاب آراء الإمام السيد الخمينى قدس سره الاجتهادية حول الحكومة الإسلامية، وحول عدم إمكانية الفصل بين الدين والسياسة، وحول «ولاية الفقيه» فى زمن الغيبة، وقد عرضها الإمام السيد الخمينى على شكل سلسلة من الدروس كان قد ألقاها على تلامذته فى الحوزة العلمية فى النجف الأشرف، وذلك فى عام ١٩٦٩م. وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات باللغة العربية والفارسية قبل وبعد انتصار الثورة.

□ الإسلام يقود الحياة

وهو عبارة عن سلسلة من الدراسات كتبها الشهيد السيد الصدر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، أي في عام ١٩٧٩م. وكانت هذه الدراسات عبارة عن أجوبة لأسئلة واستفسارات وجهت إليه من قبل مجموعة من علماء الدين في لبنان حول قضايا أساسية تتعلق بالدولة الإسلامية، مثل: الدستور الإسلامي وصلاحية السلطة وغير ذلك من المواضيع التي تعد مسائل مستحدثة وحساسة في الواقع الإسلامي الجديد. وقد قدم فيها الشهيد السيد الصدر الرؤية الإسلامية بصورة متطورة تواكب الحياة الاجتماعية والسياسية.

□ الدولة الإسلامية

يعتبر هذا الكتاب «الدولة الإسلامية» إصدارًا جديدًا وإعادة نظر للشيخ الفضلي في محاولته السابقة لكتابه «في انتظار الإمام» لدراسة موضوع (الدولة الإسلامية) منهجًا وفكرًا. وقد حذف وأضاف ووسع في بعض الفصول. وقد طبع هذا الكتاب في عام ١٩٧٩م.

وقد صنف الكتاب إلى خمسة فصول كالآتي:

- **إقامة الدولة**: وقد دلّل فيه على لزوم قيام الدولة الإسلامية وبشكل خاص في المجتمع الإسلامي.
- **أركان الدولة**: عرف فيه الدولة وعناصرها المكونة لها.
- **رئاسة الدولة**: استعرض فيه أقوال الفقهاء المسلمين في رئيس الدولة الإسلامية، وأدلة تلك الأقوال ومناقشتها، وأضاف إليه رأيه في المسألة، وقد أوضح أيضًا مفهوم الولاية.
- **تكوين الدولة**: عرض فيه شكل الدولة الإسلامية وعرف الدستور الإسلامي، وسلط الضوء على السلطات داخل إطار تكوين الدولة الإسلامية.
- **مراقبة الدولة**: وبه ختم دراسته موضحًا معنى المراقبة من قبل الأمة، عارضًا بعض الأمثلة لذلك.

□ الخميني والدولة الإسلامية

هذا الكتاب للشيخ محمد جواد مغنية ﷺ، طبع في عام ١٩٧٩م بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. والكتاب يستعرض الآراء والمتبنيات الفقهية للشيخ مغنية. ويسجل الشيخ مغنية في هذا الكتاب شدة تفاعله في الدفاع عن الثورة الإسلامية في إيران، ويبين بصراحة تامة موقفه الداعم والمؤيد للإمام الخميني وشدة إعجابه به.

□ نظرية ولاية الأمة

هذا الكتاب للشيخ محمد مهدي شمس الدين ﷺ، طبع في عام ١٩٨٩م. وفيه يستعرض الشيخ شمس الدين فكرة «ولاية الأمة على نفسها»، وهي فكرة تختلف عن فكرة «ولاية الفقيه»، لكنهما فكرتان متكاملتان من حيث الأسس. حيث إن فكرة «ولاية الأمة على نفسها» لا تعني عدم اختيار الأمة فقيهًا لقيادتها، وفكرة «ولاية الفقيه» لا تعني أي فقيه، وإنما تحصر الأمر بالفقيه الذي تقبله الأمة كما ينص عليه الدستور الإيراني. ولكن الجديد في فكرة الشيخ شمس الدين أنها تعطي الأمة الحق في اختيار من تشاء لولاية أمورها وإن لم يكن فقيهًا.

□ الخلاصة:

بعد استعراض جميع الدراسات التي ابتدأت هذه الورقة بها، يتبين للقارئ أن الدراسات الثلاث الأولى: الأسس الإسلامية، وفي انتظار الإمام، والحكومة الإسلامية، وأضم معها أيضًا كتاب الدولة الإسلامية للشيخ الفضلي، بأنها تعتبر

اللبنات الأساسية التي أصّلت ونظرت لمفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الإسلامي الشيعي. وفي مجملها اتسمت هذه الدراسات بأنها اشتملت على «مادة علمية بحثية أولية». بحيث تناولت هذه الدراسات موضوعًا لم يبحث من قبل بشكل معمق.

أما الدراسات الثلاث الأخرى، وهي: الإسلام يقود الحياة، والخميني والدولة الإسلامية، ونظرية ولاية الأمة، تعتبر في مجملها دراساتٍ تفاعليةً مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، مع شيء من الاختلافات في تفاصيلها. حيث تجد دراسة الشهيد السيد الصدر «الإسلام يقود الحياة» ملهمة لكثير من مواد الدستور الإيراني. ودراسة الشيخ مغنية «الخميني والدولة الإسلامية» تعتبر إشادة بالثورة الإسلامية. ودراسة الشيخ شمس الدين «نظرية ولاية الأمة» في المجمل ناقشت فكرة «ولاية الفقيه» وطرحت فكرة «ولاية الأمة على نفسها».

☐ المصادر:

- الخميني، روح الله. الحكومة الإسلامية، ١٩٦٩م.
- شمس الدين، محمد مهدى. نظرية ولاية الأمة، ١٩٨٩م.
- الشيخ، حسين منصور. الدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار، ٢٠٠٩م.
- الصدر، محمد باقر. الإسلام يقود الحياة، ١٩٧٩م.
- الصدر، محمد باقر. لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٩٧٩م.
- الصدر، محمد باقر. الأسس الإسلامية، ١٩٥٨م.
- الفضلي، عبد الهادي. الأسس الإسلامية: عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول للدستور الإسلامي، مجلة المنهاج، العدد ١٧، ٢٠٠٠م.
- الفضلي، عبد الهادي. الدولة الإسلامية، ١٩٧٩م.
- الفضلي، عبد الهادي. في انتظار الإمام، ١٩٦٨م.
- الفضلي، عبد الهادي. الإسلام مبدأ، ١٩٦٦م.
- الفضلي، عبد الهادي. لماذا اليأس، ١٩٦٦م.
- الفضلي، عبد الهادي. حضارتنا في ميدان الصراع، ١٩٦٤م.
- الفضلي، عبد الهادي. ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها ووثائقها، ١٩٦٣م.
- الفضلي، عبد الهادي. مشكلة الفقر، ١٩٦٢م.
- الفضلي، عبد الهادي. التربية الدينية، ١٩٦٠م.
- مغنية، محمد جواد. الخميني والدولة الإسلامية، ١٩٧٩م.

ثانيًا

قراءة في تجربة تجديد المناهج



إنَّ الفكر الديني ـ بعمومه ـ يدعو إلى توسيع دائرة مصادر المعرفة بما يشمل المعارف التي تلقاها المتدينون عن طريق الوحي، ذلك أن التشريع الإلهي يقوم في أساسه على تلقي التعاليم الدينية الموحاة إلى الأنبياء ﷺ.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

قراءة في كتاب: دروس في فقه الإمامية(*)

■ الأستاذ جواد الكسار (خالد توفيق)(•) ■

□ **المقال الأول**

مناهج تجديد الدرس الحوزوي: لمحات ومؤشرات سريعة في الخلفية التاريخية

صدور كتاب جديد للعالم والمفكر الإسلامي **الشيخ عبد الهادي الفضلي**، أتاح لنا فرصة ثمينة لفتح ملف تجديد مناهج الدراسات الحوزوية، وتصفح أوراقه والوقوف عند محطاته البارزة في غضون ما يناهز القرن من السنين.

فكتاب الفضلي **«دروس في فقه الإمامية»** (٧٢٦ صفحة من القطع الكبيرة، مؤسسة أم القرى، ١٩٩٥م) يقع في سياق مشروعه الفردي لتجديد مناهج الدراسة في الحوزة العلمية، بل هو كما يقول المؤلف في المقدمة الحلقة الأخيرة في هذا المشروع؛ وبالتالي فإن مهمة إدراك هذه المبادرة تتطلب أولاً الكشف عن السياق الذي ينتظمها، وذلك في طبيعة الدوافع التي تحرك المجددين، والشوط الذي قطعه الخط التجديدي في قيمة المحاولات التي قدمها في هذا المضمار.

وقضية فتح هذا الملف ليست مسألة سهلة، إذ ليس بوسع الباحث أن يعود إلى مصدر واحد يحوي حيثيات القضية ويضمها بين دفتيه، بل عليه أن يعود إلى شتات متفرق بين كتب ومصادر مختلفة، بعضها موسوعات أدبية (كموسوعة شعراء الغري مثلاً) أو كتب تراجم تنطوي على نُتف دالة على الموضوع (كمعارف الرجال في

(*) نشرت القراءة على حلقتين في جريدة كيهان العربي، العدد ٣٤٠١، السنة ١٥، الخميس ٢٣ محرم ١٤١٦هـ/ ٢٢ حزيران ١٩٩٥م، والعدد ٣٤١٣، السنة ١٥، الخميس ٧ صفر ١٤١٦هـ/ ٦ تموز ١٩٩٥م.

(•) باحث في الفكر الإسلامي من العراق.

تراجم الأدباء والعلماء للشيخ حرز الدين، أو هكذا عرفتهم للمرحوم الخليلي). وربما أيضًا احتاج الباحث أن يتتبع مادته التي ينشدها في مجلات عفت عليها الذاكرة ولفها النسيان بعد الحصار السياسي الذي كان قد أصابها منذ زمان، ومثال ذلك: مجلة النجف وبعض الأعداد القديمة من مجلة العرفان.

وهناك عامل آخر يزيد في تعقيد المتابعة، إذ كانت أبرز المحاولات التجديدية تنصرف في السابق إلى حوزة النجف الأشرف في العراق، ولكن منذ عقد ونصف، وإزاء التمركز المتزايد في دور حوزة قم في إيران، أخذت المبادرات تتجه صوب هذه الحوزة النامية.

وربما استطعنا القول أن المحاولات التي انبثت من قم وأطرافها، وهي تروم التجديد وتصبو إليه، زادت في حجمها على الأقل، على تلك التي تحركت من النجف وأطرافها خلال عقود. وحينئذ على المتابع ألا يهمل الكم الواسع الذي كتب باللغة الفارسية ونشر على شكل حوارات وملفات، وأحيانًا اكتسبت القضية شكلاً أعمق، فخُصّص لها ما يشبه الندوات والبحوث الجماعية المتخصصة، بالإضافة إلى أهمية المبادرات التي اضطلعت بها بعض المواقع الرسمية العليا، ومنها مشروع الإمام الخميني الراحل، ومشروع آية الله السيد الخامنئي اللذان ينطويان على رؤية شمولية تعكس رغبة الإصلاح الحوزوي حينما تتضافر جهود دولة في دعمه.

والمسافة بين المبادرات التاريخية والمشروعات الراهنة شاسعة جدًّا.

فما كان في السابق، لم يعدُ أحيانًا النوايا الطيبة، ومع ذلك كانت هذه النوايا حبيسة الصدور، كتومة تخشى على نفسها، ولا تمثل في التعبير عن مكنونها والإفصاح عنه أكثر من همسات تتردد في أطراف دائرة ضيقة من الإخلاء وأصحاب الهم المشترك.

كان هذا حتى مع رموز كبيرة أصبح لها فيما بعد مكانة مرموقة في الجوّ الحوزوي وفي الأفق الإسلامي العام، كما هي حال بدايات مبادرات تجديدية اقترنت باسم المرحوم رائد الإصلاح والتجديد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والمرحوم المجدد الشيخ محمد رضا المظفر التي تكشف ذكرياته عن منتدى النشر وكلية الفقه وغير ذلك عن آهات تحملها وغصص تجرعها في هذا الطريق.

أما اليوم، فإن تيار الإصلاح والتجديد أصبح يمتلك الكثير من مواقع التأثير والقوة، له أنصاره الكثر داخل الحوزة العلمية ذاتها، حتى أضحى رمزًا من رموز الإصلاح يدعو دون اكتراث إلى أن يصل التجديد إلى كتب دراسية من قبيل الرسائل والمكاسب والكفاية، التي كان لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها أو مسها بعد أن كانت قد لفت بقداسة كبيرة، كما فعل ذلك آية الله **السيد الخامنئي**.

ومثال آخر ربما يكون دالاً على المسافة بين ما كانت عليه البدايات التاريخية للتجديد قبل حوالي قرن، وما آلت إليه الآن. فهذا **مطهري**، وهو من طليعة رواد الإصلاح والتجديد خلال العقود الأربعة الأخيرة وأكثرهم جرأة، يذكر لنا في سياق دراسة نقدية للحوزة نشرها بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين إبان الستينيات، وتحديدًا بعد وفاة المرجع **السيد البروجردي**، أن المرحوم **الشيخ عبد الكريم الحائري** مؤسس الحوزة العلمية في قم رام أن يحث بعض طلاب العلوم الدينية لتعلم أهم اللغات الأجنبية وبعض العلوم العصرية كمقدمات، كي يكون بمقدورهم عرض الإسلام والدعوة إليه في أوساط البيئة المثقفة والمتعلمة، فما كان من بعضهم إلاّ أن تحرك من طهران قاصدًا قم وذكروا للمرجع الديني أنهم لا يدفعون الحقوق الشرعية كي يتعلم بها الطلاب لغة الكفار، فاضطر المرحوم حينئذ إلى التخلي عن مشروعه التجديدي[1].

أما الآن فإن دراسة اللغات الأجنبية وإتقانها بشكل كامل، أضحى في متن مناهج بعض المعاهد الحوزوية، من قبيل معهد باقر العلوم. والأكثر من ذلك أنه أصبح ضرورة لا مفر منها للانفتاح على آفاق المعرفة الأوروبية والتوفر على التعاطي معها حوارًا ونقدًا من موقع المعرفة المباشرة بها من مصادرها الأصلية وليس عبر الترجمات كما كان يحصل في السابق.

بل ولشد ما أصبحت هذه الدعوة ضرورية، رأينا أستاذًا للفلسفة في الحوزة العلمية، هو **الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي**، يعلن صراحة ألاّ مجال لتعاطٍ فاعل مع اتجاهات الفلسفة الغربية إلاّ عبر قراءتها بلغاتها الأصلية وعبر مصادرها مباشرة، مؤكدًا في هذا السياق على الألمانية والإنكليزية، وإلاّ فإن التعاطي مع الفلسفة الغربية اعتمادًا على الكتب المترجمة وحدها، لا يوفر لنا في أحسن الأحوال، أكثر من تعرف

(١) يلاحظ بالفارسية، كتاب روحانيت ومرجعيت، وبالعربية: المشكلة الأساس مع علماء الدين، مرتضى مطهري، ترجمة: جعفر الخليلي، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

الاتجاهات التقليدية القديمة في الفلسفة الغربية، كتلك التي تعود إلى رموز ومدارس ظهرت قبل القرن العشرين.

الطريف في الأمر أن الشيخ مصباح أدلى بهذه الآراء بعد جولة علمية دامت عدة أشهر أمضاها في كندا والولايات المتحدة.

□ الكلام والدراسات العقائدية

ثمة أمثلة أخرى دالة على الموضوع في دائرة الفلسفة والكلام والدراسات العقائدية. فالذي يؤسى له أن الحوزة شهدت عبر القرون الأخيرة انحسارًا في طبيعة الآفاق المعرفية التي تتناولها، ففيما كانت في السابق أشبه ما تكون بالجامعة الشاملة المنفتحة على أبرز الاختصاصات وأكثرها أهمية للأمة، وجدنا هذا الأفق يتضاءل ويتلاشى حتى أضحت كلية تقتصر على دراسة الفقه وحده على حد وصف **الشهيد مطهري**.

ليس هذا وحده، فقد انحسر اهتمامها بضروب الفقه، ليقتصر فيما بعد على لون واحد يتمثل بالفقه الفردي في دائرة العبادات والمعاملات، حتى كاد فقه الدولة وفقه النظم وفقه المجتمع والفقه المقارن يغيب بشكل كامل.

إزاء ذلك شهدت الأمة فقرًا مدقعًا على صعيد الدراسات العقائدية خصوصًا الحديثة والمعاصرة تعود أسبابه إلى ضمور الاهتمام بالكلام والفلسفة، أو الاهتمام بهما في إطار المسائل والشبهات والاتجاهات القديمة لهذين الفنين.

على سبيل المثال بقيت الدراسة في هذا المضمار ـ الكلام ـ مقتصرة على كتابات **الطوسي والمرتضى والخواجة والحلي** وأضرابهم تدور في نطاق مسائلهم ولا تخرج إلاّ نادرًا عن أسئلتهم والشبهات التي يتداولونها والتي تعكس في الأغلب شبهات وأسئلة عصرهم.

وإلاّ ما شأن الجيل المعاصر وأين هو من شبهة ابن كمونة التي لم تزد أمنية البعض إذ وفق للقاء **الإمام المهدي** ـ سلام الله عليه ـ يومًا من أن يسأله عن جواب هذه الشبهة! ويقول **السيد الخامنئي** أن شبهة ابن كمونة ليست مطروحة اليوم، وإنما هناك شبهات وأسئلة غيرها تشغل الأذهان وتساور الوعي الإنساني في مجتمعاتنا.

ومع ذلك، لم يجرؤ من وعى هذه المشكلة على أن يأخذ خطوات شجاعة في هذا المضمار في البدايات التاريخية التي اقترنت مع تحسُّس الحاجة للإصلاح والتجديد في

هذا المجال، فإذا عدنا إلى **مطهري** مرة أخرى نراه يعيد إلى الأذهان ذكرى حادثة دالة على الموضوع، إذ حصل وأن اجتمع في عهد مرجعية **السيد أبو الحسن** بعض أفاضل الحوزة العلمية في النجف واقترحوا إدخال بعض المناهج الدراسية في العقائد وأصول الدين، وحين قدم المقترح إلى **السيد أبو الحسن** للموافقة عليه، رفض ذلك بشدة وكان رفضه كما يعلل ذلك **مطهري** واقعًا تحت إيحاء التجربة المرة التي خاضها **الشيخ الحائري** قبله على صعيد حث الطلاب لتعلم اللغات الأجنبية.

أما الآن، فإن أجزاء مهمة من الصورة قد تغيرت، بل يمكن أن يقال إنها انقلبت على مستوى الوعي العام للمسألة، إذ أضحى هناك إدراك بضرورة أن تتوفر الحوزة على الدراسات الفلسفية والكلامية بقدر معقول يوفر رصيدًا لإنتاج بحوث عقائدية معاصرة تلائم الوعي الاجتماعي الراهن وتماشي أسئلة العصر، وذلك في إطار الدعوة الناشطة لإعادة بناء علم الكلام وتجديد الفلسفة.

لا يمكن أن نزعم أن الصورة أصبحت مثالية أو متكاملة، بل غاية ما نروم تأكيده أن الزمن وبعد المسافات بين المنبثق التاريخي والواقع الراهن كفل تخطي الكثير من العقبات والممانعات التي كانت تحول دون التجديد، بل لا تسمح حتى بالتفكير به جهارًا.

لاحظوا ـ على سبيل المثال ـ ازدهار الدراسات الفلسفية في حوزة قم واشتهار بعض الأساتذة في الدرس الفلسفي بما يضاهي اشتهار زملائهم أساتذة الدعوة إلى تجديد علم الكلام والكثير من الثوابت على صعيد المناهج القديمة المقررة والمواضيع المطروحة، بحيث أضحت الحوزة مضطرة لمناقشة الموضوع بشكل عاجل وجاد أمام ضغط الوعي الاجتماعي وتكاثف التيارات الفكرية. فمسألة علم الكلام بين الجديد والقديم وإن لم تحسم بعد، إلاّ أن أصداءها رمت بأحجار كثيرة في المياه الراكدة حتى أخذت الأمواج تتدافع، فكان من ثمارها مئات الدراسات وعشرات الكتب في هذا المضمار، ومجلة تصدر عن أحد معاهد قم تحمل عنوان: (علم الكلام).

والمتصور أن الساحة الحوزوية لا تلبث أن تشهد بفضيلة الوعي الجديد وتدافع الأفكار والتيارات، سلسلة جديدة من الكتب العقائدية الفاعلة تقوم كثمرة للتجديد الذي أخذ يطال مناهج الفلسفة والكلام والدراسات العقائدية العامة.

□ مبادرات ومشاريع رائدة

بديهي أن الوعي الذي تنبثق اليوم موجاته بحماس منقطع النظير، وهو ينشد الإصلاح الشامل، ويضمنه خوض تجربة التجديد على مستوى مناهج الدرس الحوزوي، يرتبط بعوامل متكاثرة، من بينها ـ دون ريب ـ الأساس المتين الذي وفرته خلال العقود الماضية، مبادرات ومشاريع رائدة ارتبطت بأسماء علمية لامعة.

فالممارسة العلمية التجديدية في النطاق التاريخي، لم تكن تسمح على الأغلب بأكثر من انبثاق مبادرات ومشاريع فردية. أما البرامج الشاملة، فقد ولدت في نطاق تجارب محدودة، ثم ما لبثت أن انتهت لأسباب تتصل على الأغلب بالتحولات السياسية التي ألمت بالحوزة عامة، وحوزة النجف الأشرف بشكل خاص.

فالطابع الفردي إذن هو الذي يكاد يشغل معظم معالم صورة التجديد في مناهج الدرس الحوزوي خلال العقود السالفة، وهذه المحاولات تتوزع بين مبادرة ومشروع، وذلك بفرق نتصوره بين الاثنين، يضع المشروع في إطار رؤية شاملة إصلاحية أو تغييرية، بحيث يصدر عن هذه الرؤية برنامج تتتابع خطواته وتتكامل فيما بينها، ويكون العمل واضحًا لصاحب المشروع منذ بداية خطواته، مرورًا بأشواطه وانتهاءً بالنقطة التي ينبغي بلوغها.

أما المبادرة فهي عمل جزئي يروم إصلاح أو تغيير مساحة محدودة أو مجال واحد من مجالات الدراسة الحوزوية.

وقد تتعدد المبادرات، إلاّ أنها تبقى في نهاية المطاف حركات جزئية ما لم تنتظم في إطار مشروع شامل وكلي.

والمبادرات الفردية كثيرة في غضون القرن الأخير. أما المشاريع، فيمكن أن نميز من بينها مشروع المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.

إن الذي نعتقده أن **المظفر** تحرك بمشروع فردي ائتلفت معه جماعة، ولم يكن العمل الجماعي في منتدى النشر وكلية الفقه سوى أداة أو آلية لتنفيذ طموحات المشروع الفردي الذي تلاقت عليه نوايا وهمم وأفكار البعض.

والعجيب أن شيئًا عظيمًا من الظلامة لا يزال يحيط الجهود الخيرة لهذا الرمز المضيء ولا يزال لم يأخذ بعد موقعه الكافي في وعي الجيل الراهن.

ومن المشاريع الفردية، يمكن أن نشير إلى مشروع **الفقيه الشهيد السيد محمد باقر الصدر**، قد يعترض البعض محتجًّا بالقول أن الصدر من أصحاب المبادرات الجزئية وليس المشاريع الشاملة.

وفي الواقع أن الوثائق الثابتة التي تؤرخ أعمال هذا الرائد القائد لا تدع مجالاً للشك أبدًا في أنه كان من رواد الإصلاح والتجديد، ليس على مستوى الدروس الرسمية وحدها (الفقه والأصول تحديدًا)، بل رام - رضوان الله عليه - أن يؤسس للجديد في الفلسفة وعلم الكلام في مستوى صوغ الدراسات العقائدية الحديثة، وفي مستوى مواجهة تيارات الفكر الآخر ومناهجه.

كما كانت له إنجازات على صعيد التاريخ ودرج هذا الضرب من ضروب المعرفة في أساسيات عمل الحوزة ودراساتها. وهكذا يقال بالنسبة للمجالات الأخرى.

وطالما كنا على ذكر هؤلاء الرواد فعلينا ألا ننسى المرحوم **السيد محمد حسين الطباطبائي** الذي كان له الباع الأكبر على صعيد وضع مناهج الدرس الفلسفي والدرس القرآني.

يبقى أن هناك ثلة من الجهود الخيرة انطلقت في جهود بعض الرموز وقد وفرت دفقات دفعت بقوة مسار الإصلاح والتجديد وأمدته برصيد ضخم على هذا الصعيد، **فمطهري** بذل الكثير في هذا المضمار، وثمة الآن في حوزة قم تيار ضخم تتعاضد في تشكيله رموزًا علمائية مهمة وتساهم في إخصابه مجلات ومساهمات فكرية متعددة.

يبقى أن نذكر أن الذي دعانا إلى هذه الجولة هو مشروع **الشيخ عبد الهادي الفضلي** الذي نترك فرصة الحديث عنه مفصلاً إلى الأسبوع القادم وذلك بمناسبة صدور الحلقة الأخيرة في هذا المشروع.

□ المقال الثاني

لمحات حول مشروع الشيخ الفضلي في تجديد مناهج الدرس الحوزوي: ثلاثة مرتكزات و(١٤) كتابًا

□ خلفية المشروع

مهدنا الحديث في مقال سابق لمشروع العالم والمفكر الإسلامي **الشيخ عبد الهادي الفضلي** في تجديد الدرس الحوزوي، وذلك بمناسبة صدور الحلقة الأخيرة في هذا المشروع متمثلة بكتابه الضخم (**دروس في فقه الإمامية**).

ومشروع **الفضلي** يضعنا في الواقع في مفترق طريق بين أن نتوفر على عرض كتابه الأخير وتلمس مواطن التجديد فيه، وبين سبيل آخر يوفر لنا رؤية جامعة عامة إلى هذا المشروع على مستوى المرتكزات التي يقوم عليها، والبواعث التي تحركه، والشوط الذي قطعه.

وللحق، رأينا أن المسار الثاني أكثر فائدة ونفعًا للقارئ، لكونه يلم بالمشروع بأكمله (والإلمام أدنى المعرفة، كما يقال). ويوفر لذوي الشأن فرصة للتعاطي معه وتقييمه انطلاقًا من واقع معرفته والإحاطة به.

حين نعود إلى البدايات، نجد أن نقطة الانطلاق تمثلت بكتيب صدر عن المؤلف في النجف الأشرف يحمل عنوان (التربية الدينية)، كي يكون منهجًا مقررًا في معهد من المعاهد الدراسية في حوزة النجف، ومنذ ذلك الحين، وقد توالت على مدى عدة عقود الحلقات الأخرى من المشروع إلى أن بلغت مع الكتاب الذي بين أيدينا (١٤) كتابًا، هي كما يلي: **التربية الدينية، مختصر الصرف، مختصر النحو، تلخيص البلاغة، تلخيص العروض، خلاصة المنطق، خلاصة علم الكلام، أصول البحث، أصول التحقيق، تاريخ التشريع الإسلامي، مبادئ أصول الفقه، مبادئ علم الفقه**، وأخيرًا **دروس في فقه الإمامية**.

والذي يبدو لنا دون أن نقطع بالأمر أن الكتب الستة الأولى تنتمي إلى مرحلة النجف الأشرف حين كان الفضلي أستاذًا في الحوزة العلمية فيها، في حين صدرت الكتب الأخرى في مدد متفاوتة طوال ما يناهز العقد والنصف من السنين.

والمغزى الذي نروم إبانته من هذه الإشارة، أن الحلقات المتأخرة في المشروع جاءت أكثر نضجًا واكتمالاً من التي سبقتها، وربما أيضًا توفرت جدية أكثر لباحثنا كي يستمر بمشروعه بعد التحولات التي ترافقت مع مطلع الثمانينات ودفعت الحوزات العلمية لممارسة دور أكثر جدية على صعيد التفاعل مع العصر والتعاطي مع قضايا الحياة المستحدثة.

☐ ثلاثة مرتكزات للمشروع

لم يزعم الفضلي ولم يدّع أبدًا في كتبه التي أصدرها في هذا المضمار أنه بصدد مشروع تجديدي جامع ومانع، بل قراءة آثاره في هذا السياق وتأملها هما اللذان جعلانا أن نضعها في مصاف مشروع فردي شامل ينطلق من رؤية ويقوم على خطة، وبالتالي يتجاوز حدود المبادرات الجزئية.

وللإنصاف، علينا أن نشير أن الفضلي لم ينعت كتبه في هذا المشروع بأكثر من وصف الواحد منها بأنه «محاولة متواضعة وجدّ متواضعة»، ولم يزد على ذلك بأكثر مما يلفت إليه عناية الباحثين من ذوي الشأن للتعاطي ـ نقديًّا ـ مع مفردات المشروع لتقويم أوده وتصويب خطأه، كما يقول.

وإذا كان هذا المنحى إيجابيًّا على صعيد تواضع الباحث، وتركه لكتبه تأخذ مكانها اللائق دون توجيه مسبق أو تضخيم زائد، فإنه في الوقت نفسه ينطوي على سلبية ترافقه، إذ جاءت مقدمات الكتب وجيزة مقتضبة على الأغلب، لا تفصح بالشيء الكثير عن منطلقات المشروع وبواعثه وغير ذلك مما يرتبط به.

لذلك لا نملك في التعريف بالمشروع إلاّ أن نحوم حول نتفٍ متناثرة صدرت من المؤلف في هذا المجال أو ذاك، نجمع بينها لبناء رؤية نرجو أن تكون وافية.

وفي هذا المضمار يمكن أن نعيد بواعث التجديد في مشروع الفضلي إلى عدة مرتكزات، ربما كان أبرزها ثلاثة هي:

أولاً: الإيمان بالتجديد على مستوى الفكر الإسلامي عامة، والمؤسسة الحوزوية خاصة:

والذي نلمسه من متابعة آراء الشيخ الفضلي أن له إيمانًا راسخًا بفكرة التجديد، حيث تتأكد بواعثها لديه من زوايا متعددة، فمن ناحية أضحى العالم المعاصر يعيش اليوم ثورة عظيمة في المعلومات، ولا مفر للعالم الإسلامي من أن ينخرط في هذا المسار، إذا شاء أن يعيش عصره.

أما الفكر الإسلامي، فهو يعيش تحديًّا ضخمًا بإزاء الغزو الذي يمارسه الفكر الآخر، الغربي تحديدًا. والمعركة ضخمة لأن استشفاف أفقها الآتي يكشف عن حقيقة

مرة، مؤداها إما أن «ينتصر (الفكر الإسلامي) فنكون وإما ألا ينتصر فلا نكون»[١]. وقضية انتصار الفكر الإسلامي تتوقف في أحد المقدمات الضرورية على ممارسة التجديد في ساحته الحوزوية وغير الحوزوية.

والمسألة ملحة لدى د. **الفضلي**، إذ لا نملك لكي نكون في العصر، وبمستوى الإسلام إلاّ «أن نسرع الخطى في هذا التجديد لنسد كل الفراغات ونلبي كل المتطلبات، فنحن وتجديدنا في سباق مع الزمن، والسابق هو الفائز»[٢]، كما يقول **الفضلي**.

وبالنسبة لقضية الحوزة بشكل عام، **فالفضلي** يؤمن بـ «تطوير الحوزات العلمية وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة»، وفيما يتعلق بتطوير الدرس الحوزوي الذي نحن بصدده، يذهب **الفضلي** إلى فتح الملف على مصراعيه، بحيث يشمل التجديد مقررات الدراسة الحوزوية من حيث الكم والكيف وبواعث هذا العمل ترتبط من ناحية «بالتطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم، وبتغيير وتكثر متطلبات الحياة المعاصرة» كما يتمثل من جهة ثانية «بالتطور العلمي للمواد الدراسية المقررة في الحوزات»[٣].

وبشكل عام يخلص الباحث للقول إلى أن التجديد مطلوب في كل حقول الفكر التي لا تسري فيها الروح الحركية الفاعلة.

ولكي يكون واضحًا يعرض الشيخ الفضلي إلى جوانب مؤثرة في مستجدات النظريات الحديثة على أكثر من صعيد، ربما كان أخطرها قضية فهم النص الإسلامي.

يقول بشأن الإشارة إلى التطور في العلوم المتواضع على دراستها حوزويًا: «ففي النحو والصرف استجدت نظريات ذات مفعول مؤثر في فهم النص واكتساب دلالته.

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، حوار مع الشيخ الفضلي، مجلة الكلمة، العدد ٤، السنة ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وكذلك في المنطق وبخاصة فيما نشاهده من تغير في مناهج البحث من القديم إلى الحديث.

وأيضًا في البلاغة حيث دخول النقد الأدبي إلى ميدان معرفة الأساليب البيانية، وكذلك دخول الألسنيات وعلم الأسلوب في دراسة وتركيب وبنية النص الأدبي»[١].

ثم يضيف مشيرًا إلى الفقه والأصول: «والأمر في علم أصول الفقه واضح جدًّا، فقد جدت نظريات مهمة بعد عصر صاحب الكفاية.

وفي الفقه حيث التغير الكبير في المعاملات المالية والعلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية، والأعمال الطبية والتقنيات المختلفة، كلها لا بدَّ لمن يريد التخصص في الفقه من معرفتها والإلمام بها»[٢].

في ضوء هذه الخلفية ذات الأفق المنفتح، يخلص الفضلي إلى تسجيل هذه النتيجة: «لا بدَّ من أن نغير في المقرر الدراسي بحذف ما لا بدّ من حذفه، لأنه أصبح من النظريات التاريخية، ويسري هذا في النحو والصرف ودراسة أسلوب النصوص، والمنطق وأصول الفقه وعلم الفقه والعلوم الشرعية الأخرى»[٣].

والمسألة لا تقتصر على الحذف، بل تتكامل بإضافة ما لا بدَّ من إضافته مما يحتاج إليه الدارس والباحث، «ليكونوا بمستوى مقتضيات حياتنا الراهنة، أمثال: مناهج البحث ومبادئ العلوم الإنسانية، ومبادئ العلوم الطبيعية، وأصول تحقيق النصوص وما إليها»[٤].

بودنا ألا نفوّت هذه الفرصة من دون أن نشير إلى أهمية ما ذكره الفضلي من تكاشف النظريات المستجدة ذات الأثر في فهم النص، وكذلك تغيّر مناهج البحث.

فمسألة فهم النص الإسلامي أصبحت اليوم عُرضة في الساحة الثقافية لمناهج ونظريات جديدة تستلهم الكثير من العلم الغربي وتفيد مناهجه.

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

وقضية الإفادة من العلم الغربي ومناهجه، ليست قضية محايدة يُمرّ عليها مرّ الكرام. فلنا أن نلاحظ على سبيل المثال أن أعمالاً بل مشاريع فكرية أساسية تقوم في العالم العربي اليوم على قاعدة هذه المناهج والعلوم. فدعوة **محمد أركون** إلى إخضاع النص القرآني للقراءة الدلالية المعاصرة ومحاولة السوري **محمد شحرور** في كتابه **(الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)**، وكذلك الكتب الأربعة التي تنظم المشروع الفكري للمصري **نصر حامد أبو زيد** فيما يروم إلى تحقيقه من فهم جديد للنص الإسلامي عامة والقرآني خاصة، هي جميعًا ـ وثمّ غيرها أيضًا ـ تقوم على أساس النظريات الجديدة في قراءة النص. وإذا جاز لنا أن نصرف وجوهنا بعيدًا عن محاولات تشتغل على النص بالطريقة الحديثة كتلك التي تمثلها في الساحة العربية أعمال **مطاع صفدي وكمال أبو ديب وعلي حرب**، بحجة أن الاثنين الأولين، تعكس ممارستهما تطرفًا يبلغ حد الشذوذ، ومجالهما على أي حال هو الأدب، فيما ينهمك الثالث بالدراسات النقدية، فإنه لا يسعنا أبدًا أن نغض الطرف عن أعمال أمثال **أركون وشحرور وأبو زيد**، ويقينًا أن الضجة الراهنة حول الأخير، لا تعكس الموقف المطلوب فكريًّا إزاء كتبه.

وبشأن مناهج البحث، لا تكاد المسألة تقل أهمية عما هي عليه في مسألة فهم النص.

ومع ذلك، يكاد المرء أن يجزم أن الحوزات تكاد تكون غريبة بالمطلق على هذه المحاولات، والأهم من ذلك الأسس التي تقوم عليها.

أجل، يمكن أن نشير إلى تفاعل بعض الأوساط الحوزوية في قم مع بعض هذه الاتجاهات المحدثة، وذلك بفعل الإثارات التي شهدتها ولا تزال الساحة الفكرية في إيران، والتي ربما كان في طليعتها نظرية **عبد الكريم سروش** حول تجدد المعرفة الدينية وتأثرها بضروب المعرفة الأخرى فتحت ضغط هذه النظرية ودعوة البعض إلى اقتحام العلوم الإنسانية في الجو الحوزوي وكذلك انبثاق الدعوة إلى تأسيس علم كلام جديد وما أثارته مقولة **الإمام الخميني** حول دور الزمان والمكان في الاجتهاد توفر الباعث للانفتاح نسبيًا على مواضيع معاصرة، بيد أن المسألة لم تصل بعد في مستوى الموقف العام إلى تيار كلي يهيمن على الساحة الحوزوية ويحرك سواكنها ويثير فيها اشتغالات تمليها الاهتمامات الجديدة.

بين الحوزة والجامعة:

ثانيًا: المرتكز الآخر الذي يمكن أن نرد إليه المشروع التجديدي للفضلي ربما استطعنا تلخيصه بما يلوح لنا من إيمان الباحث بتجسير العلاقة بين الفقيه والمثقف انطلاقًا من إعادة تأسيس العلاقة بين الحوزة والجامعة.

وهذا المرتكز يمكن أن نستشفه من دعوة **الفضلي** في قوله: «كنت ـ ولا أزال ـ أدعو إلى تحقيق شيئين من أجل خدمة الفكر الإسلامي، هما:

- إنشاء جامعات إسلامية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي.
- تطوير الحوزات العلمية وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة»[1].

و**الفضلي** يؤمن بهذا الطرح أن الجامعة تملك مناهج حديثة قادرة على أن تساهم ـ من خلالها ـ في عملية التجديد، في حين تساهم الحوزة في خط التجديد وتتكامل مع النخب الجامعية المؤمنة عبر ما تملكه من فكر إسلامي أصيل.

ورغم أن كتب **الفضلي**، في تجديد الدرس الحوزوي، تهدف إلى تيسير مهمة طالب العلم الديني، إلاّ أننا نجد في أغلبها قابلية النهوض بمهمة التجسير المطلوبة بل الضرورية بين الفقيه والمثقف، وذلك من واقع انفتاح الفقيه والحوزة التي تقف وراءه على العصر ومن واقع تأصل المثقف إسلاميًا.

وآية ذلك أن **الفضلي** حاول أن يقدم المادة الحوزوية في كتبه من خلال المنهج الأكاديمي الحديث وبالإفادة من معطياته.

ثالثًا: يبقى المرتكز الثالث، والأخير، وهو يتمثل بإيمان الفضلي بمسألة التنظيم وعنصر التخطيط وإيلائه مسألة الوقت وكيفية إدارته وموقعه في عملية النهوض الإسلامي المنشودة اهتمامًا فائقًا.

وإذا سمحنا لأنفسنا أن نعود بهذا الشأن إلى محاضرة كان قد ألقاها **الفضلي** مطلع شهر رمضان الماضي لوجدناه يترسم للنهضة ثلاث دعائم أحدها (التنظيم)، حيث يقول في هذا المضمار: «التنظيم: وهو الذي يرتبط بالوقت وأهميته، الفوضى لا تؤدي إلى شيء يحمد، لا بدَّ من تنظيم أعمالنا وحياتنا»، وربما نستطيع أن نستفيد من

(١) المصدر السابق نفسه.

خلفية الرجل والإشارة إلى أن التنظيم والجدية والمثابرة هي من السمات التي لازمت شوطه الحياتي في مختلف الفترات.

ولا ريب أن تنظيم الحوزة بالمساهمة في إعادة بناء مناهجها يعد أبرز مصاديق هذه الدعامة، ولا يسع الإنسان الجاد أن يذعن إلى المقولة المسموعة والمتوارثة «من أن نظم الحوزة في عدم نظمها».

وللتاريخ، فقد هاجم **الإمام الخميني** هذه المقولة، وعدّها من أسباب تخلف الحوزة في مضمار التنظيم كشرط للتجديد.

□ التقييم

في مسألة تقييم أهمية مشروع **الفضلي** وجدواه، تواجهنا عدة أبعاد يمكن أن نقصر الإشارة على اثنين منها:

أولها يعد خاص يتمثل بنزوع يستبد بنا في المشرق الإسلامي، ينحو إلى عدم الاهتمام بمشاريع الأفراد التجديدية ومبادرتهم الإصلاحية إلاّ بعد حياتهم، حيث يكون قد فات الأوان، فيما يمكن تداركه بوجود صاحب المشروع أو المبادرة.

الأسماء والأمثلة كثيرة بل لا تكاد تعد ولا تحصى.

فالإهمال أو عدم الاهتمام الكافي أحاط رجالاً كبارًا، من أمثال **محمد حسين كاشف الغطاء والسيد محمد حسين الطباطبائي والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد جواد مغنية وحتى الصدر ومطهري**، فهؤلاء ـ وغيرهم كثير ـ شاركوا ـ كلّ بحسبه وفي مجاله الذي نبغ فيه ـ في دفع عجلة الإصلاح والتجديد. بيد أن أعمالهم لم تلقَ الاهتمام اللائق في حياتهم، بل أهمل بعضهم حتى أحاطه الكثير من الظلم؛ ثم عدنا بعد وفاتهم نرسل الحسرات عليهم.

والذي يحصل مع **الفضلي** في الجانب الذاتي هو شيء من هذا القبيل. وكل الذي نتمناه هو أن نتحرر مع **الفضلي** ومع غيره من هذه العادة التي تدفعنا للإهمال كلما كان صاحب المشروع حيًّا وللاحتفاء به بعد أن يكون قد فصلته الوفاة عن عمله.

أما من جهة البعد الآخر، وهو البعد الموضوعي، فكلنا يعرف **والشيخ الفضلي** أيضًا يعرف، أن تجديد مناهج الدرس الحوزوي يمثل أحد شروط التجديد اللازمة في البناء الحوزوي العام.

والتجديد في بعد واحد لا يعطي أكله كاملة، بل ربما لا يترك أحيانًا أي أثر إيجابي على الإطلاق، إلاّ إذا تكامل مع الأبعاد الأخرى وتوازت حركته مع بقية المسارات.

ثم إن مسألة التجديد الحوزوي هي قضية في غاية التعقيد والصعوبة. إذ هناك من المواريث التاريخية ومن صعوبات الحاضر ومن تعقيدات أوضاعنا الدينية والثقافية والاجتماعية، وبعد ذلك السياسية، وموقعنا على خريطة المنطقة والعالم ما يزيد في مشقة المهمة.

وربما كنا جميعًا متفقين على أن التغيير لا يتم بالفكر وحده، حتى لو كان هذا الفكر صائبًا سليمًا وحقًا صراحًا.

وبديهي أن التغيير لا يحصل بالنوايا ولا أيضًا بالخطط والمشاريع، مهما بلغت من العمق والدقة والشمول، بل هذه جميعًا مقتضيات أو جزء العلة، كما يقال، تحتاج لتتكامل مع أجزاء العلة الأخرى حتى تنبثق الحركة المنشودة.

ومن الواضح أن هذه الملاحظة لا تقلل من جهود الشيخ الفضلي وأضرابه، كما أنها لا تريد أن تقول للآخرين كفوا عن السعي والعمل، بقدر ما تريد أن تلتزم نظرة موضوعية لا تجعلنا نفرط في الوهم أو الخيال.

رؤية جديدة للخطاب التربوي الإسلامي: قراءة في كتاب (دروس في فقه الإمامية)[*]

■ الشيخ حبيب آل جميع[•] ■

صدر مؤخرًا عن مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ـ بيروت كتاب **الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي**: (**دروس في فقه الإمامية**)، الجزء الأول.

والكتاب يمثل رؤية جديدة للخطاب التربوي الإسلامي، يمكن أن نتبينها بإيجاز في قراءتنا التالية له:

☐ الطرح الوافي في صياغة جديدة

على الرغم من أن العلامة **الشيخ عبد الهادي الفضلي** لم يدّعِ في يوم من الأيام أنه بصدد مشروع يتعلق بالدرس الحوزوي وتجدد طرائقه وفق رؤى تتجدد باتساع مجالات التلقي وإمكاناته لدى الطالب واتساع ذهنية الطرح وشموليته لدى الأستاذ، إلاّ أن تواصل العلامة يجعلنا نؤمن أنه، أي **الفضلي**، ما يزال دؤوبًا على إظهار أفكاره وفق منهجية تربوية رشيدة، امتدت منذ مؤلفه التربوي الأول: كتاب (**التربية الدينية**)، وحتى مؤلفه الأخير: كتاب (**دروس في فقه الإمامية**)، وما بينهما من أربعة عشر مؤلَفًا أثرت المكتبة الإسلامية الحوزوية، وجعلت الطالب والباحث لا يستغنيان عنها في معرفة الزوايا التفصيلية المكثفة من مبتغاه.

يضعنا **الدكتور الفضلي**، في كل عمل جديد، أمام مرتكزات أساسية تحدد بواعث القراءة الجديدة للنص التراثي، خصوصًا نص الحكم، الذي يخلو طرحه من أي مسوغات جمالية، ويعتمد لغة الاختزال والكثافة القصدية، حتى إن الفضلي

(*) مجلة المنهاج البيروتية، العدد ٤، السنة ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(•) باحث من القطيف، رئيس تحرير مجلّة الساحل التي تعنى بتاريخ وتراث الجزيرة العربية.

وصف في كتابه: (**دروس في فقه الإمامية**) منهجه بالالتزام والتسويغ، وقال: «.. وأطلت الحديث عن (اجتهاد الرأي)؛ لأنه الفارق بين مدرستي الفقه الإسلاميتين الأولين: مدرسة أهل البيت ومدرسة الصحابة، حيث انتهجت الأولى مبدأ النص الشرعي من الكتاب والسنة، وأضافت إليها الثانية مبدأ الاجتهاد بالرأي».

ورغم أن **الدكتور الفضلي** من المنظرين المهمين، في المدرسة الإمامية، إلاّ أنه لا يتوانى عن مواجهة العصر بسبل فقهية جديدة حيال القراءة البنيوية للنص الفقهي، وهذه، في كل حال من الأحوال، لا تشترك مع القراءة الجديدة التي يطالب بها **د. نصر حامد أبو زيد** أو القراءة النقدية الانتقائية التي يوحي بها دائما **جابر عصفور**، أو طروحات الاستقراء والنقد التي يتداولها **محمد بنيس**.

الفضلي، ابن الدائرة الفقهية التراثية، تربى في كنفها منذ عشرات السنين، وفيها تربى وعيه وفكره وممارسته الفكرية، المتمثلة بالتوعية في حوزات النجف الأشرف، حيث استمع إلى أعلام حججه من السيد **الخوئي** إلى **الأصفهاني**، مرورًا بكبار علماء الفقه والفكر الإسلاميين.

وهذّب **الفضلي** من ديباجة كل مشاربه ومسامعه، حتى صاغ للجيل الجديد الطرح الوافي بصياغة عصرية تتحدث وفق مقتضيات العصر ومتطلبات التثاقف القسري بين أبناء العالم الذي أصبح قرية واحدة.

□ التجديد في الخطاب التربوي الإسلامي

قبل أن نثير هذه المسالة المهمّة في مشروع **الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي**، تحضرني حادثة تاريخية حدثت في الأندلس حينما فوضت الدولة (منصب كاتب الديوان) في الدولة إلى **ابن خلدون**، وهو في العقد الثالث من عمره. حيث تولى هذه المهمة وصدرت الكتب عنه خالية من السجع، فاستغرب أهل الدولة هذا، واتبعوه في طريقته وكانت الدولة الإسلامية لا يصدر عنها في تلك العصور إلا المسجع والمزدوج، وعلى هذه الطريقة سار ابن خلدون، وتبعه الكتاب الباقون[1]. فعد مجددًا في خطاب الدولة الرسمي.

(١) محمد كرد علي، كنوز الأجداد، دار الفكر ـ دمشق، ط ١٩٨٤م، ص ٣٧١.

ما نبغيه من هذه الحادثة هو: أن مجرد التغيير في خريطة النص، لا من محتواه، عد تجديدًا، فكيف بمن خلق تسويغات تحببية للخطاب الفقهي الذي لا يمتلك مقومات التحبب؛ لأنه محض معلومة وامتثال!

وأهمية هذه الصيغ التحببية جاءت خلال الطرح المعرفي الذي يوليه **الفضلي** أهمية قصوى، فأنت تجد في **(دروس في فقه الإمامية)** مجموعة كبيرة من البحوث التمهيدية، وهذه البحوث من شأنها أن تخلق وعيًا معرفيًّا لدى المتلقي، تتعلق بتاريخ الفقه بشكل عام وإشكالياته من وجهة نظر خاصة، ووجهة نظر عامة، وجميع الاستشكالات العقائدية وبواعثها ورجال الفقه من أبواب مذاهبهم وبدئها.

ثم أولى **الفضلي** اهتمامًا لا يستهان به للحياة الاجتماعية المعاصرة، ليثبت تواصله عبر محاور المجتمع والنخبة العلمية التي انبثقت منه وانطلقت لذاتها في أحوال كثيرة غير آبهة لنقطة انطلاقها.

فشرع بعد ذلك بتعريف الرأي والاجتهاد واستعرض أهم الانعطافات التاريخية في تاريخ هذين الموضوعين، منذ الخليفة الثاني حتّى ابن قيّم الجوزية وأتباعه السلفية، مرورًا بمواكبات الباقين من الفقهاء.

وفي هذا الوقت الذي أثبت فيه الخطاب الديني ضرورة تواصله واستناده إلى آليات تعريفية وتطابقية أكثر إلزامًا من التداول في الأمور الماضية، البعيدة أحيانًا كثيرة عن جوانب مختلفة من الواقع الاجتماعي العصري، نجد أن **الفضلي** نجح إلى حدٍّ ما في تجاوز القدر الممكن من التهميش الاستقرائي وطرح المختصر المفيد وفق معيار الاستقبال وإمكانية العودة إلى كتب الحديث والتاريخ.

وقد تعامل **الفضلي** في مؤلفه مع النص الفقهي وفق أساسين: الأول قدم النص وتوافقيته والثاني اعتراضيته.

أما الأول، فهو النص المتفق عليه. وعليه لا يمكن أن يكون الرأي قبالته إلاّ ما جاء موثقًا تاريخيًّا من طريق **الرسول الأكرم** ﷺ وسيرة **الأئمة** عليهم السلام الهداة من بعده.

أما الثاني، فإنه يخضع لمراحل الاستدلال والتقرير وقيمة الخطاب وشروط الفتوى من خلاله.

وكانت هذه المعالجات (الأساسية والاعتراضية) مورد تجديد في الخطاب التربوي الإسلامي الذي يضع النص على طاولة النقاش الذهني العقلي القرآني،

ويوجد ـ من ثم ـ مراحل تسويغ تبعاته الأولية حتى يتم الوصول إلى مبتغياته الذاتية، بغرض تحديد موقف التشريع منها كأحداث لا تكتفي ببيان الموقف الإسلامي منها.

إن أسلوب البحث في هذا المجال، رغم وسعه وقدمه، إلاّ أنه لم تظهر لدينا دروس فقهية حازت على مقدمات تمهيدية تحاول خلق الاسترخاء التام تجاه الرأي الإمامي بعد الاستعراض الموفق من قبل المؤلف للآراء الأخرى.

والجدير ذكره أن النظرة الواقعية إلى الوضع الإنساني أولاً هي السمة الغالبة على تركيبة وجهات النظر التي طرحها الفضلي في دراسته الفقهية هذه، حيث تجد أن هناك تدرُّجًا يبدأ بالتاريخ ثم الواقع، ثم خلق حالة متزنة من الوعي بالقيم والاستدراجات العامّة ومداركها الخاصة التي تنبع من ذواتها نحو تحقيق الذات الرئيسة لمذهب ما أو لفتوى ما.

□ فتح باب الحوار

ويستطيع قارئ مؤلفات الشيخ الفضلي أن يلاحظ السمة التصاعدية في طرحه وتسويغه لنفسه فتح باب الحوار مع القارئ ونفسه، وإحالة التاريخ عبر ومضات اجتماعية عقائدية في خضم الطرح الفقهي. وهو ما يجعل الفتوى تخضع لمسوغاتها، واستقراءاتها المتحصلة النتائج وفق روية واضحة المعالم.

وتجده، بعد ذلك كله، يقدم بين يدي (قارئه الكريم) «محاولة متواضعة وجد متواضعة» هدف من إعدادها إلى تيسير المادة الفقهية المدونة في كتب الفقه الإمامي الاستدلالية، تنظيمًا وعرضًا، وقولبتها داخل إطار مقرر دراسي. وحاول قدر طاقته (الضعيفة) أن يتمشى تأليفه ومنهج البحث العلمي الحديث، ويسير في أهدافه مع تعليمات التربية الفكرية الحديثة[1].

(١) انظر: مقدمة الكتاب، ص ٥.

تجربة المنهجة في مبادئ علم الفقه ودروس في فقه الإمامية للشيخ الفضلي(*)

■ الشيخ جعفر الشاخوري(•) ■

يمثل الفقه الإسلامي القاعدة القانونية أو البنية التحتية للتشريع في المجتمعات الإسلامية منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى أواسط القرن الماضي مع سيطرة القوى الاحتلالية الغربية للمنظمة الإسلامية والعربية والدخول في مرحلة تجميد العمل بالتشريعات الإسلامية لمصلحة العمل بتشريعات ممسوخة من الدساتير الغربية المختلفة مع شيء من بعض القوانين الإسلامية، والتي فرضتها القوى المحتلة المتجددة والمتعاقبة على عالمنا الإسلامي.

وقد كانت الحوزات الإسلامية الكبرى ـ خاصة في عهد انطلاق الحريات، فيما عرف بظاهرة الدويلات الشيعية البويهية والحمدانية والفاطمية والإدريسية في القرنين الثالث والرابع الهجرية ـ هي المصدر القانوني والينبوع المتجدد لمختلف الاجتهادات الفقهية والكلامية، وكانت بمثابة الجامعات العلمية المفتوحة التي تضم أفضل النخب التدريسية في الجوانب العلمية والأدبية واللغوية والفقهية القانونية، وذلك من أمثال: **أبي منصور الثعالبي** صاحب فقه اللغة، **وأبي الفتح عثمان بن جني** صاحب الخصائص، **وابن قتيبة الدينوري** صاحب كتاب أدب الكتاب، وغيرهم كثير من الأسماء الكبيرة التي أثرت على الفكر الإسلامي واللغوي والعلمي بنتاجات علمية مهمة لاتزال محط التدريس والبحث والتنقيب.

وعندما يدرس الإنسان تلك المرحلة دراسة علمية موضوعية لا يجد أن هناك كتبًا دراسية درجت عليها تلكم الحوزات كما في عرفنا المعاصر، وإنما يدرس طلاب الحوزة ـ سواء كانت دينية أو أدبية أو علمية ـ الكتب المؤلفة من أستاذ الحوزة،

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

(•) باحث وأستاذ بالحوزة العلمية من البحرين.

ويعكف عليها الطلاب درسًا وقراءة وتعليقًا، وهذا ما تعمل به **الجامعات العريقة** اليوم. كجامعة هارفرد الأمريكية، حيث يختار أفضل الأساتذة المتخصصين ليعطوا محاضراتهم على أساس الأبحاث التي توصلوا إليها.

وهذا العرف القديم يمكن أن نلاحظه بشكل واضح من تصفح كتاب فهرست **ابن النديم**، وفهرستي **الشيخ الطوسي والشيخ النجاشي**، فنجد مثلاً أن طلاب **الشريف المرتضى** علم الهدى ـ ومنهم النجاشي ـ قد عكفوا على دراسة كتبه الأصولية كالذريعة، وكتبه الفقهية كشرح مسائل الخلاف، وكتبه الكلامية وغيرها مما عدده النجاشي في ترجمته لأستاذه المرتضى[1].

□ تاريخ الكتب الدراسية

وهكذا تعاقبت عشرات الكتب الفقهية والأصولية المهمة في مدى الألف سنة الماضية، ككتاب المقنعة **للشيخ المفيد** وكتابي النهاية والمبسوط **للشيخ محمد بن الحسن الطوسي**، وكتاب غنية النزوع في علمي الأصول والفروع **لابن زهرة الحلبي** ـ الذي يعدُّ من أهم الكتب توفرًا على الخصائص العلمية ـ، وكتاب شرائع الإسلام للفقيه المحقق **الشيخ جعفر الحلي** ومختصره النافع ـ الذي بلغت شروحه العشرات ـ وصولاً إلى شرح **الشهيد الثاني**، زين الدين العاملي، على كتاب اللمعة الدمشقية **للشهيد الأول** محمد بن مكي العاملي، وكتاب المكاسب المحرمة ورديفه فرائد الأصول للفقيه **الشيخ مرتضى الأنصاري**، وكتاب القوانين المحكمة في الأصول **للميرزا أبي القاسم القمي**، ومن ثم كتاب كفاية الأصول **للملا كاظم الخراساني**، وكتاب الحلقات **للشهيد السعيد محمد باقر الصدر** الذي يمثل كتابه الأصولي آخر الحلقات في سلسلة الحلقات الطويلة من الكتب المدرسية التقليدية والتي كان في ضمنها كتاب أصول الفقه **للشيخ المظفر** وكتاب أصول الفقه المقارن **للفقيه السيد محمد تقي الحكيم**.

ولكن مع صدور كتاب «**مبادئ علم الفقه**» وكتاب «**دروس في فقه الإمامية**» ورديفة «**دروس في أصول فقه الإمامية**» لأستاذنا **الفقيه الشيخ عبد الهادي الفضلي** ـ حفظه الله ـ، أصبح أمامنا تجربة جديدة ولأول مرة في تاريخ الفقه الإمامي يحاول فيها فقيه ينتمي إلى مدرسة **أهل البيت** ﷺ كتابة منهج فقهي وأصولي متكامل يتوفر على الخصائص المطلوب توافرها في الكتاب المنهجي مما سيأتي تفصيله لاحقًا.

---

(١) فهرست الشيخ النجاشي ص ٢٧١ طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

ويبدو أن هذا القلق العلمي تجاه عدم توفر الكتاب المدرسي الفقهي والأصولي ومقدماتها كان يراود هاجس **أستاذنا الشيخ الفضلي** منذ عقود طويلة، إذ أصدر مجموعة من كتب مقدمات الدرس الحوزوي منذ ما يقرب من الأربعين عامًا، وذلك بانتظار اكتمال هذه السلسلة العلمية لوقت آخر.

وربما كان هذا الهاجس يؤرق آخرين من العلماء الكبار، من أمثال: الفقيه **الشيخ محمد جواد مغنية** الذي أصدر مجموعة من الكتب الدراسية المهمة، ككتاب الفقه على المذاهب الخمسة في مجلدين، **وفقه الإمام الصادق** عليه السلام في ستة مجلدات، وكتاب **أصول الفقه في ثوبه الجديد** في مجلد واحد. مما شجع بعض الأوساط العلمية للمساهمة بكتب متعددة تدخل في هذا الإطار، ومنها كتاب الموجز في أصول الفقه **للشيخ جعفر السبحاني**، وكتاب دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي **للشيخ الإيرواني**.

□ خصائص الكتاب المدرسي الفقهي والأصولي

ولكن مع هذا، يبقى أن تجربة شيخنا الفضلي تمثل التجربة الفريدة في نمطها عن باقي المحاولات الأخرى، وذلك لتوفرها على عدة خصائص تمثل روح الكتاب المدرسي، وإليك بيانها:

الأولى: المسح الشامل للنظريات الفقهية تاريخيًّا ومنذ مرحلة التأسيس ـ قبل الغيبة وبعدها ـ إلى آخر مراحل النهج الفقهي وما طرحته الأوساط العلمية المعاصرة. وهذا ما يلاحظه الدارس من أول الكتاب إلى آخره، بحيث إن شيخنا المصنف قد التزم هذا الخط في كل أبحاث الكتاب مما له شواهد كثير،ة نذكر منها هذا المثال: عندما تعرض شيخنا الفضلي إلى مسألة ـ صرف الخمس ـ، وهي ضريبة تشبه ضريبة الدخل في الوقت الحاضر، بما يخص حق الإمام، حيث أوصل الأقوال في المسألة إلى أحد عشر قولاً، بما ملخصه:

١. سقوط وجوبه وتحليله لمن عليه الحق من الشيعة، وقد ذهب إليه **القاضي سلار الديلمي**[1] في المراسم العلوية، **والسيد العاملي**[1] صاحب المدارك، **والشيخ**

(١) حمزة بن عبد العزيز الديليمي الطبرستاني الشيخ الأجل أبو يعلي، ثقة عظيم الشأن فقيه مقدم في العلم والأدب، صاحب المقنع في المذهب، والتقرب في الأصول والفقه، والمراسم العلوية، وكان تلميذًا للشيخ المفيد والسيد المرتضى. توفي سنه ٤٤٨هـ.

حسن صاحب المعالم[٢] في منتظر الجمان، والفيض الكاشاني[٣] في مفاتيح الشرائع، وكذا صاحب الحدائق[٤].

٢. وجوب عزله وإيداعه والوصية به عند الموت من ثقة إلى آخر حتى ظهور الإمام المهدي، واختاره المفيد[٥] في المقنعة، والقاضي[٦]، والحلبي[٧]، والحلي[٨] صاحب السرائر، واستحسنه العلامة الحلي[٩] في المنتهى، وهو مذهب السيد المرتضى في المسائل الحائرية.

٣. وجوب دفنه كما عن بعض الأصحاب.

٤. وجوب صرفه إلى المحتاجين من بني هاشم واختاره المفيد في الرسالة الفرية، والمحقق الحلي[١٠] في المهذب، ونسبه الشهيد الثاني[١١] في الروضة البهية إلى المشهور من المتأخرين، و ذهب إليه الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني والشيخ الحر العاملي، كما في وسائل الشيعة، إلاّ أنه قال: «مع عدم حاجة الأصناف يباح للشيعة. وإليه ذهب السيد عبد الله شبر في رسالته «فقه الإمامية».

---

(١) السيد السند محمد بن علي بن الحسين الموسوي العاملي الجبعي، كان يشارك خاله الشيخ حسن صاحب المعالم في الدرس. توفي سنة ١٠٠٩هـ.

(٢) أبو منصور جمال الدين حسن بن زين الدين الشهيد الثاني، خال صاحب المدارك المتقدم ذكره ورفيق عمر وبحث ودرس. تتلمذ على المقدس الأردبيلي، ويقال إنهما كلما حضرا للصلاة في المسجد أيهما سبق الآخر إلى المسجد يقتدي به الثاني، وكلما صنف أحدهما شيئًا عرضه على الآخر. توفي صاحب المعالم سنه ١٠١١هـ، وقبره في قرية جبع من قرى اليمن.

(٣) الشيخ محمد بن المرتضى المعروف بالمحسن الكاشاني. توفي سنة ١٠٩١هـ

(٤) الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني صاحب الكتاب المعروف بالحدائق الناضرة. توفي سنة ١١٨٦هـ.

(٥) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي، توفي سنة ٤١٣هـ

(٦) القاضي عبد العزيز بن تحرير بن عبد العزيز الملقب بالقاضي لكونه قاضيًا في طرابلس مدة عشرين سنة، قرأ على السيد المرتضى والشيخ الطوسي، توفي سنة ٤٨١هـ.

(٧) أبو الصلاح تقي بن النجم الحلبي، من كبار شيوخ وعلماء الشيعة وكان معاصرًا للشيخ الطوسي.

(٨) محمد بن أحمد الحلي المعروف بابن إدريس صاحب كتاب السرائر، ويعتبر من أهم كتب الفقه في التاريخ الشيعي. توفي سنة ٥٩٨هـ.

(٩) أبو منصور جمال الدين حسن بن يوسف بن المطّهر الحلي، من كبار علماء الشيعة توفي سنة ٧٢٦هـ.

(١٠) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي توفي سنة ٦٧٦هـ.

(١١) الشيخ زين الدين علي بن أحمد العاملي الجبعي، استشهد عام ٩٦٦هـ.

٥. التخيير بين دفنه أو إيداعه والوصية به من ثقة إلى آخر حتى وقت ظهور المهدي عليه السلام، وهو احتياط **الشيخ الطوسي** في النهاية.
٦. التخيير بين الثلاثة «الدفن أو الإيداع والوصية به» أو صلة الأصناف مع الإعواز، وهو رأي **الشهيد الأول**[١] محمد بن مكي في كتابه الدروس الشرعية.
٧. التخيير بين الإيداع والوصية به أو قسمته في المحتاجين من بني هاشم، وهو ما استقربه **العلامة الحلي** في مختلف الشيعة و**السيد القزويني** في فلك النجاة.
٨. وجوب صرفه في فقراء الشيعة الموالي، وهو رأي **ابن حمزة** في كتابه الوسيلة[٢].
٩. وجوب إجراء حكم المال المجهول مالكه، وهو ما قواه **الشيخ النجفي** صاحب كتاب الجواهر.
١٠. وجوب إيصال حقه إليه مع الإمكان، وفي حالة عدم التمكن مع إيصاله يصرف في الأصناف من بني هاشم مع حاجتهم إليه، وهو رأي **الحر العاملي**.
١١. وجوب صرف الخمس بكامله إلى مستحقيه، كما كان الشأن في وقت حضور الإمام، إلا أنه يشترك في عصر الغيبة إحراز رضا **الإمام المهدي**، وهو رأي أكثر فقهائنا المتأخرين[٣] ثم ذكر المصنف آخر النظريات الفقهية في موضوع الخمس وأنه ليس ملكًا شخصيًا للإمام وإنما هو لمقام الإمامة أو الدولة، كما هو رأي **الشيخ المنتظري والسيد محمود الهاشمي**.

وهذا العرض التاريخي لا تجده في أي كتاب آخر مما يعطي القيمة العلمية الكبيرة له.

☐ المسح العمودي والأفقي للفقه

وهذا ما ذكرناه يمكن أن نصطلح عليه بالمسح العمودي للتأريخ الفقهي في المسألة، وهذا غير مسألة الاستقراء التالية، التي نصطلح عليها بالمسح **الأفقي**.

الثانية: الاستقراء الشامل لكل التيارات والنظريات الفقهية والأصولية، وهذا ما يعكسه كل فصول كتاب «المبادئ»، ومن الأمثلة البسيطة على ذلك استعراض

(١) الشهيد محمد بن مكي الجزيني، تتلمذ على تلامذة العلامة الحلي وولده فخر المحققين، وأجازه الأخير سنة ٧٥١هـ. عاش اثنين وخمسين سنة، واستشهد بتاريخ ٧٨٦هـ، وكان تولده سنة ٧٣٤هـ.
(٢) وهو رأي الشيخ حسين العصفور في الأنوار الوضية.
(٣) مبادئ علم الفقه ٣/ ٢٣٩-٢٤٣ بتصرف واختصار مع بعض التوضيح.

سماحة الشيخ النظريات المختلفة في مسألة حكم صلاة الجمعة في عصر الغيبة بما نوجزه بما يلي:

«الحرمة، كما ذهب إليه كلّ من الشيخ حمزة بن عبد العزيز الديلمي المعروف بسلاّر، والشيخ محمد بن إدريس الحلي صاحب السرائر.

والقول الآخر «الوجوب التعييني» كما هو اختيار الشيخ أبي الصلاح الحلبي صاحب كتاب الكافي من المتقدمين، والمحدّث البحراني صاحب الحدائق من المتأخرين.

ورأي بالوجوب التخييري بينها وبين الظهر، حيث أطلق عليها عنوان «الاستحباب»، وهو رأي مشهور الفقهاء، ومنهم السيد الخميني، ثم يفصّل المصنّف في دائرة القائلين بالوجوب العيني وأن هناك من يشترط الفقيه العادل كالسيد ابن زهرة الحلبي في الغنية، والقاضي ابن البراج في المهذّب، والشيخ حسين العصفور في السداد، وبين من لا يشترط الفقيه، بل يكفي شروط إمام صلاة الجماعة، وهو ما ذهب إليه صاحب الكافي أبو الصلاح الحلبي والمحدّث البحراني صاحب الحدائق.

وهكذا في كتاب دروس في أصول فقه الامامية، نجد المصنف يستعرض كل الآراء التاريخية في مسألة خبر الآحاد ومنها أراء الشريف المرتضى ـ التي مر عليها الآخرون بشكل مقتضب جدًا لا يعود ونسبة رفض أخبار الآحاد إليه ـ و بشكل مسهب مما يعطي المسألة وضوحًا لدى الباحث والدارس.

والكلام في درس نظرية الأجزاء هو الكلام في مسألة خبر الآحاد، حيث ناقش المصنف مختلف التيارات الاجتهادية والأصولية المعاصرة ومنها نظرية القول بالأجزاء مطلقًا التي يتبناها الفقيهان البروجردي والسيد عبد الأعلى السبزواري وآخرون من تلامذتهم.

☐ مرجعيّة اللغة

الثالثة: مرجعية اللغة كقاعدة في تعريف الموضوعات الشرعية، وهذا ما يشارك الأستاذ الفضلي فيه الفقيه الكبير محمد بن إدريس الحلي صاحب كتاب السرائر، حيث نجد أن صاحب كتاب السرائر قد أكثر من الرجوع إلى أئمة اللغة وأهل الخبرة في بيان الموضوعات الشرعية، وهذا ما نلاحظه بشكل واضح في الكتب الدراسية التي كتبها شيخنا الفضلي، فنجد أن تعريفات أهل اللغة وتعريفات الموسوعات

العلمية المتخصصة هي الأساس في تحديد الموضوعات قبل الدخول في تفصيل الأحكام الشرعية أو المحمولات، ومن أمثلتها التعريف اللغوي للحيض ثم إرداف ذلك بأقوال أهل الخبرة حيث يقول:

«يقول **الدكتور دوجالد** بيرد في كتابه المرجع في أمراض النساء والولادة: «أما لون دم الحيض فهو أسود أما الدم الأحمر المشرق فإنه دم غير طبيعي، ودم الحيض لا يتجلط «لا يتجمد» ويمكن إبقاؤه سنين طويلة على تلك الحالة دون أن يتجلط، فإذا ظهر دم متجلط «متجمد» أثناء الحيض فإن الحائض سرعان ما تعرف ذلك، ويعتبر ذلك غير طبيعي وعند فحص دم الحيض بالمجهر فإننا نرى كرات الدم الحمراء والبيضاء وقطعًا من الغشاء المخاطي المبطن للرحم»[١].

وهكذا نجد المصنّف يتوسع بين أهل اللغة وأهل العلم في تعريف الموت والذي يبدو للوهلة الأولى من الأمور الواضحة، ولكن القوانين الدولية لحد اليوم تختلف في تعريف الموت بين من يرى في الموت الدماغي أو الإكلينيكي أنه السبب في اعتبار الإنسان ميتًا وبين من لا يرى ذلك.

يقول شيخنا المصنف: «وهنا تأتي المشكلة من ناحية شرعية وقانونية أو تتلخص بالسؤال التالي: هل يعد موت الدماغ في مثل هذه الحالة التي لا يزال القلب والرئتان تتحرك فيهما صناعيًا، موتًا للإنسان، أو ينتظر فيه حتى يموت قلبه ورئتاه؟

ويتحقق موتًا القلب والرئتين بفك أجهزة الإنعاش عنه.

ولأن هذه المشكلة حديثة لم تتناولها النصوص الشرعية، ولا فتاوى الفقهاء المتقدمين، حيث لم ينبه عليها إلا في عام ١٩٥٩م من قبل الأطباء الفرنسيين.

وقد قامت بعض الدول بدراسة المسألة، وقرّر بعضها اعتبار موت الدماغ في مثل هذه الحالة الخاصة موت للإنسان، ورفض البعض ذلك»[٢].

وفي الجزء الثاني من كتاب **دروس في فقه الإمامية** نجد دراسة وافيه لموضوع المال والمعاملات والاتفاقيات والحقوق وهذا ما يحل كثيرًا من الإشكالات التي وقع فيها الفقهاء من عدم اعتبار حق الابتكار أو التأليف من الأمور القابلة للبيع.

---

(١) مبادئ علم الفقه ١/ ١٧٧.

(٢) مبادئ علم الفقه ١/ ١٩٩.

□ مرجعية التاريخ

الرابعة: مرجعية التاريخ في إلقاء الضوء على كثير من الموضوعات الشرعية، وهذا ما نلاحظه في دراسة مسألة الطواف بين المقام والبيت، حيث ألقى المصنّف الضوء على تاريخ الكعبة وبنائها منذ بناء **إبراهيم** عليه السلام إلى بناء قريش **وعبد الله بن الزبير**، ومن ثم تغيير الحجاج للبناء وامتدادات ذلك إلى العصر العثماني، ومن ثم إلى العقد الحالي[١].

وهكذا نجد أن المصنفات الأخرى تعيش في حالة من التجريد في تحديد مواقيت الإحرام للحج، حتى إن كثيرًا من المواقيت التي تذكر في الرسائل العملية المعاصرة هي من التاريخ البائد ولا وجود لها، بل تبدلت وتغيرت مواقعها، وهذا ما أفاض في بيانه الشيخ مفصّلاً في المجلد الثالث من المبادئ مدعمًا بالخرائط الجغرافية وتوضيح الطرق الحديثة.

□ اللغة العلميّة

الخامسة: اللغة العلمية الفقهية التي تركز على التعمق في النظريات بدل تضييع الوقت في التفتيش في دهاليز الألفاظ المعتمة في لعبة اكتشاف عود الضمائر مما لا يستفيد الطالب أو المدرس أو الباحث منها أي شيء.

وعلى هذا الأساس يمكن لهذا المنهج الجديد أن يسهم في عملية التبريد الطائفي من جهة بين التيارات المتصارعة تاريخيًا، ومن جهة أخرى يعمل على توسيع آفاق الطلاب لمختلف الآراء، ما يلغي أو يحاصر حالة التعصب التي هي الآفة الخطيرة في المجتمعات الحوزوية والدراسية.

(١) لاحظ: المبادئ ٣/ ١٦٠

نقد وتعريف الجزء الأول من (دروس في فقه الإمامية) للدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي(*)

■ الشيخ أبو الفضل شكوري(•) ■

يُعتبر الفقه من بين العلوم والمعارف الإسلامية المختلفة بمثابة الروضة الغنّاء والدائمة الخُضرة، وقد أعطى الفقه أُكُله في مختلف المراحل وأغنى المحتاجين بآثاره الخصبة، وكان في هذه الآثار دومًا الحلّ الشافي للمعضلات الحقوقية عند الأمة الإسلامية. وقد سعى الفقهاء دومًا إلى تطوير علم الفقه لمواكبة مسيرة المجتمعات التكاملية، ولم يألوا جهدًا في الإجابة عن المسائل المستحدثة، وبفضل هذه الجهود الثمينة لم تفقد روضة الفقه – وعلى الأخص فقه أهل بيت العصمة الأطهار ﷺ – رونقها وشذاها، ولم تتخلّف عن التغيرات الجذرية في العلوم البشرية.

ورغم ذلك قلّما طُرِق الحديث حول تاريخ تدوين الفقه، والبحث في مختلف قوالبه الكتابية في مراحل العصور المختلفة، والتعريف بأهمية كل واحد من أساليب التقسيم والتبويب والتدوين الفقهي، وربما لهذا السبب أيضًا لم يتمكّن البعض إلى الآن من التعرّف على أهمية الفقه الحيوية ودوره الفاعل في العصر الحاضر.

وفي هذا المقال، نسعى إلى نقد وتعريف كتاب فقهي جديد تطرّق مؤلّفه في القسم الأكبر منه إلى هذه المسألة المهمة، وتحدّث عن المباحث التاريخية والنظرية لفقه أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، وسعى بذلك إلى عرض منهج جديد في تأليف الكتب الفقهية؛ على الخصوص في مجال الكتب الدراسية.

(*) نشرت بالعربية في مجلة التراث الصادرة عن مؤسسة المصطفى ﷺ لإحياء التراث ـ قم، العدد ١، السنة ١، شوال ١٤١٨هـ/ شباط ١٩٩٨م، ص ٧٣ ـ ٨١.

(•) باحث ومحقّق من الحوزة العلمية في قم.

يتمتع الكتاب بمزايا كثيرة، وفيه أيضًا بعض نقاط الضعف، ولكن رغم ذلك يمكن عدّه غصنًا طريًّا في مزرعة الفقه. ولأنّ ما قد طبع منه هو الجزء الأول فقط والمشتمل على (البحوث التمهيدية) و(كتاب الطهارة)، فيجب، أولاً، تصفّحه بُغية التعرّف على مزاياه، وبعد ذلك نلقي عليه نظرة أخرى لنتعرّف على مواطن الضعف الموجودة فيه، حتى نصل بشأنه إلى تقييم صحيح ومنصف.

☐ أ- جولة في محتوى الكتاب ومزاياه

يتألف الكتاب من قسمين رئيسين: القسم الأوّل يحمل عنوان (بحوث تمهيدية)، ويشتمل على دراسة للمسائل والمباحث التي نحتاجها كمقدمات للمطالعات الفقهية، وقد استوعبت هذه البحوث الصفحات الأولى حتّى ص ٢٦٨.

والقسم الثاني بعنوان (بحوث استدلالية في الطهارة التوصلية)، وقد ضمّته بقية صفحات الكتاب، وقد سلك منهجًا جديدًا في دراسة مسائله.

والمحاور الأصلية والعناوين العامة الواقعة موردًا للبحث في القسم الأول من الكتاب هي: تعريف علم الفقه، موضوع علم الفقه، الحاجة إلى علم الفقه، مقدمات علم الفقه، مقارنة بين فقه أهل البيت وفقه الصحابة على الأخص في مسألة الرأي، مناقشة الأقوال المختلفة في معنى أهل البيت، مراكز علم فقه الإمامية، مدارس علم فقه الإمامية، تبويب الفقه، بحث في التكليف الشرعي ومسألة العبادة.

وقد قدّم المؤلّف القدير في كل بحث من هذه البحوث أسلوبًا نافعًا وتتبعًا بديعًا في المناقشة، وتمكّن من إعطاء المطلب حقه بشكل مستحسن، وبيّن الكثير من الأمور الجديدة واللطيفة.

فمثلاً، في تعيين موضوع علم الفقه وازَنَ بين وجهة نظر القدماء ووجهة نظر بعض المعاصرين، ورجّح رأيًا جديدًا مفاده أنّ موضوع كلّ علم - ومن بينها علم الفقه - هو (مسائل ذلك العلم) (ص ٢٠ ـ ٢٣).

كما كان له الكثير من الالتفاتات في المباحث الطويلة المتعلقة بمقدمات الفقه؛ من بينها أنّه بيّن مرتبة (القواعد الفقهية) من بين العلوم التمهيدية لعلم الفقه بأسلوب جيد (ص ٤٠).

وفي هذا البحث، حدّد حاجة الفقيه إلى علمين جديدين من بين المقدمات الضرورية لتحصيل الفقه، وهما: (التاريخ الاجتماعي لعصر التشريع) و(الاطلاع

على الحياة الاجتماعية المعاصرة). وبرّر حاجة الفقيه إلى العلم الأول، وقال: «وأعني بالتاريخ الاجتماعي لعصر التشريع: أن يدرس الباحث الفقهي حضارة ومدنية العصر الذي صدرت فيه النصوص الشرعية، فيتعرف المجتمع العربي آنئذ في مختلف أطواره العرفية وتقاليده الاجتماعية وشتى شؤون حياته المعاشية؛ ليعرف بهذه القرائن المعنوية وما إليها مما له مدخلية في إلقاء الضوء على تفسير محتوى النص وبيان مؤدّاه. وبخاصة أنّ أكثر النصوص الحديثية هي أجوبة لأسئلة عن واقع كان يعيشه السائل ويعايش أحداثه، وقد لا نصل إلى تحديد أمثال: الأوزان والمكاييل ووحدات القياس الأخرى والعملات النقدية، وبعض المفاهيم الاجتماعية التي كانت تسود عرف ذلكم العصر إلاّ بهذا». (ص ٣٨).

وكذلك استدل مبرّرًا حاجة الفقيه إلى الدراسة التفصيلية للحياة الاجتماعية المعاصرة له، وقال: «لأنّ الفقه هو النظام الشامل والقانون العام لحياة الإنسان المسلم، فإذا لم يعرف الفقيه حياة المسلم - الذي يريد أن يقدّم له فقهه - في جميع أبعادها وأنماطها وأطوارها الاجتماعية حضارية ومدنية، فلن يكون فقهه قادرًا على تنظيم حياة المسلم المعاصر له» (ص٣٨). وهذا هو ما يعبّر عنه بدور الزمان والمكان في عملية الاجتهاد، وهو ما أكّد عليه الإمام الخميني ﵀ كثيرًا.

وقد قام المؤلّف ضمن التعريف بالمذاهب الفقهية في تاريخ الإسلام إلى جنب التعريف بمذهب الإمامية - وهو المدرسة الفقهية لأهل بيت النبي ﷺ - بالتعريف بالمذهب الفقهي عند الصحابة والمتبلور في المذاهب الفقهية المعروفة عند أهل السنّة، فذكر المذاهب الفقهية: الإباضية، الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية، الظاهرية، الزيدية والسلفية. وذكر أنّ الفرق الرئيس بين هذه المذاهب وبين فقه أهل البيت هو البناء على الرأي في مذاهب الصحابة ورفضه من قبل مذهب أهل البيت. ومن ثم ذكر بعض الأمثلة من المسائل والأحكام التي ابتدعت في الإسلام بسبب إعمال الرأي في مذاهب الصحابة، من قبيل حذف جملة: «حي على خير العمل» من الأذان، وإشاعة النداء (الأذان) الثالث في يوم الجمعة، وقراءة الأذان والإقامة في صلاة العيدين، وأمثال ذلك. (ص٥٩-٨٨).

وقد ناقش المصنّف في البحث المتعلّق بالمعنى الاصطلاحي لأهل البيت ضمن عرضه للمواضيع المختصرة والجامعة أربعة عشر احتمالاً أو قولاً في هذا الخصوص،

وفي الختام، أثبت بالاستدلال التاريخي والفقهي والحديثي أنّ المصداق الصحيح له نجده في (أصحاب الكساء) (ص ١١٤-١٤٦).

ومن بين إبداعات المؤلّف: أنّه استعرض بحثًا مفعمًا بالفوائد تحت عنوان (مدارس علم فقه الإمامية)، وعمد ضمن هذا البحث إلى تقسيم مدارس الإمامية الفقهية أساسًا إلى ثلاث مدارس رئيسة ظهرت حسب التسلسل التاريخي، وهي عبارة عن: (مدرسة الفقهاء الرواة)، (مدرسة الفقهاء المحدّثين) و (مدرسة الفقهاء الأصوليين).

والمدرسة الأولى ترتبط بعصر وجود المعصوم ﷺ، ومعه لم تكن هناك حاجة لا إلى الاجتهاد ولا إلى الفقهاء؛ لامتياز فقه الإمامية في هذه المرحلة من ناحية الأسلوب بعنصري (السماع من الإمام)، و(نقل الرواية المسموعة إلى الناس). طبعًا في هذه المرحلة بيّن الأئمةُ المعصومون ﷺ بعض القواعد العامة لحل مشكلات الفقهاء الساكنين في البقاع البعيدة، مثل: «الناس مسلّطون على أموالهم»، «لا ضرر ولا ضرار»، «المسلمون عند شروطهم»، «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي» وغير ذلك، فكانت تفريعات هؤلاء الفقهاء الرواة على هذه الأصول هي الخطوات الأولى في طريق الاجتهاد الفقهي. (ص١٩٥-١٩٧).

وبعض الوجوه الشاخصة في هذه المدرسة هم: أبو بصير الأسدي، أبان بن تغلب، زرارة بن أعين، جميل بن درّاج، الحسن بن محبوب، أبان بن عثمان، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، بريد بن معاوية العجلي، زكريا بن آدم القمي، شاذان بن جبرائيل القمي، حمران بن أعين، محمد بن مسلم مولى ثقيف، يونس بن عبد الرحمن، وغيرهم.

والكتب الفقهية في هذه المرحلة هي (أصول الحديث) التي تمخضت عنها (الجوامع الحديثية) فيما بعد.

أمّا المدرسة الثانية فقد ظهرت في عصر الغيبة وفي القرن الرابع، وقد امتازت هذه المدرسة عن مدرسة الرواة الفقهاء بالظاهرتين العلميتين التاليتين:

١. تبويب الأحاديث وتدوينها حسب الموضوعات الفقهية، فجمعوا بين الأشباه والنظائر، وظهرت الكتب الفقهية المستقلة، مثل كتاب «الطهارة»، كتاب «الإرث»، كتاب «الصلاة»، وغير ذلك.

٢. تقويم سند الأحاديث للحصول على القطع والاطمئنان بصدورها عن المعصوم عليه السلام، ولذا في هذه المرحلة صارت مسألة وثاقة الراوي أو تلقّي الأصحاب لحديثه بالقبول معيارًا لقبول الأحاديث وتأليف الكتب الفقهية، وكان التأليف الفقهي في هذه المرحلة قائمًا على التزام الفقهاء بنقل الحديث بنصّه في كتب الفتوى.

ومن زعماء ومشاهير هذه المدرسة يمكننا عدّ الفقهاء الآتين: الصدوقان (علي بن الحسين بن بابويه القمي، وابنه محمد الملقّب بالصدوق)، محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب الكافي، والشيخ الطوسي في النهاية والتهذيب والاستبصار، وقبل تأليفه كتابي (العدّة) و(المبسوط).

لذا جاء في أوّل رسالة الشرائع لابن بابويه: «إنّ كل ما في هذا الكتاب مأخوذ عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، فكل ما فيه خبر مرسل عنهم». (ص ٢٠١).

وفي معرض التعريف بمدرسة الأصوليين يقول المصنّف: «وفي رحاب هذه المدرسة تطوّر علم الفقه من مجرّد كونه حديثًا يُسمع ويروى إلى علم له قواعده وأصوله وفروعه وتطبيقاته، واستخرجت قواعده وأصوله من القواعد العامّة الموروثة من عصر الرواة الفقهاء عن الأئمة، مضافًا إلى البديهيات والمسلّمات الاجتماعية العامة والعرفية المسمّاة بسيرة العقلاء أو الدليل العقلي (المستقلاّت العقلية)». وأوّل روّاد هذه المدرسة الفقهية الأصولية من الإمامية الفقيهان الشامخان الحسن بن علي العماني الشهير بابن أبي عقيل ومحمد بن أحمد الإشكافي المعروف بابن الجنيد في القرن الرابع، وبعدهما كان للشيخ المفيد (ابن المعلّم) والشيخ الطوسي الأثر الكبير في بلوغ هذه المدرسة ذورتها وكمالها.

وأدلّة أو مصادر هذه المدرسة عبارة عن: القرآن الكريم (كتاب الله)، السنة، إجماع الفقهاء، والعقل.

ثمّ أضاف المصنّف قائلاً: «وفي القرن الحادي عشر الهجري انشعبت المدرسة الأصولية إلى شعبتين، هما: الأصولية والأخبارية، وقد بدأت المدرسة الأخبارية على يد الميرزا محمد أمين الاسترآبادي من خلال تأليفه كتاب (**الفوائد المدنية في الردّ على من قال بالاجتهاد والتقليد في الأحكام الإلهية**)، وألغت هذه المدرسة الفقهية اعتبار الإجماع والعقل وجمدت على ظاهر الروايات والأخبار، ورأت استحالة فهم القرآن

من غير هذين الطريقين، وادّعت صحّة كل حديث موجود في الكتب الأربعة». (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧).

وادّعى الأخباريون أنّهم يتّبعون الأسلوب الفقهي المعمول به عند الرواة الفقهاء القدماء، إلاّ أنّنا بعد الجهد الكبير لا نرى إلاّ شبهًا قليلاً بينهما.

ثمّ أضاف المؤلّف، وقال: «إنّ الفقهاء الأصوليين قاوموا طريقة الأخباريين، ومن أشهر مَن مثّل الاتّجاه الأصولي هو: الشيخ فخر الدين الطريحي، والسيد حسين الخوانساري، والملاّ محمد باقر وحيد البهبهاني، والسيد علي الطباطبائي، والشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الطهراني. ومن خلال مؤلّفات هؤلاء، انتعش أسلوب الفقه الأصولي في الحوزات، وأفل نجم الأخبارية «بوصفها بدعة».

وبعد أن عرّف المؤلّف بالمدارس الفقهية الإمامية، شرع بالتعريف بمصادر فقه الإمامية ولخّصها في الأمور التالية:

- كتب آيات الأحكام.
- كتب أحاديث الأحكام.
- كتب الفتوى.
- كتب الفقه الاستدلالي.
- كتب بين بين (كشرح اللمعة الدمشقية).

ومن البحوث المهمّة الأُخرى في الكتاب بحث يرتبط بـ (تبويب الفقه)، وفي البداية نقل المصنّف في هذا المبحث التقسيم والتبويب المعروف للمحقّق الحلي في الشرائع مع توضيحات الشهيد الأوّلا، وقسّم مجموع الفقه إلى العبادات والمعاملات، وقسّم المعاملات إلى عقود وإيقاعات، وبعد ذلك نقل تقسيمًا جديدًا عن الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وهو كالتالي:

- **القسم الأول**: العبادات (كالصلاة والصيام).
- **القسم الثاني**: الأموال (ويشتمل على: الأموال العامّة والخاصّة، كأسباب التمليك، والبيع، والصلح، ...)
- **القسم الثالث**: السلوك الخاص (ككتاب النكاح، والطلاق، والأشربة والأطعمة، و...)

- **القسم الرابع**: السلوك العام (كأحكام الولاية، القضاء، الشهادات، الجهاد، و...) (ص ٢٣٩ ـ ٢٤١).

وبعد مؤاخذاته على جميع هذه التقسيمات والتبويبات، قام بتبويب الفقه بالنحو التالي:

١. أحكام العبادات.
٢. الأحكام الفردية.
٣. أحكام الأسرة.
٤. الأحكام الاجتماعية.
٥. أحكام الدولة.
٦. أحكام الحقوق المالية العامّة.
٧. أحكام المعاملات الاقتصادية. (ص ٢٤٢).

وبعد هذه المقدّمات، شرع في بحث مطوّل حول التكليف الشرعي وتعريفه وأحكامه، وبعد ذلك دخل في بحث العبادات، ثم دخل في صلب الموضوع، يعني (كتاب الطهارة)، وبحث مسائله بأسلوب استدلالي خاصّ، ورغم كل ما في هذا القسم من الكتاب من الإيجابيات، إلاّ أنه لا يخلو أيضًا من مواطن الضعف الكثيرة، وهي جديرة بالنقد، ومن هنا سنشير إلى بعض تلك المواطن:

□ ب ـ نماذج من نقاط ضعف الكتاب

إنّ المنهج الذي سلكه المؤلّف في بحث كل فرع من الفروع والمسائل الفقهية هو أن يذكر الفرع أولاً، ثم يقوم بتعريفه ويستعرض الآراء المختلفة ويذكر أدلّة كل رأي من الآراء، وفي الختام بعد المقارنة وموازنة الآراء المختلفة يقوم ببيان «النتيجة»، وهذه النتيجة هي رأيه الخاصّ أيضًا. ويمكننا أن نأخذ من كتابه مسألة: (تنجّس المواد السائلة) كمثال، فإنّه بعد ذكر المسألة وتعريفها يشرع في ذكر اختلاف الآراء الموجودة فيها، فيقول:

«المشهور بين فقهائنا أنّ الماء القليل يتنجّس بمجرّد ملاقاته المادّة النجسة سواءً تغيّر لونه أو طعمه أو رائحته أو يم يتغيّر. وذهب قلّة من فقهائنا كابن أبي عقيل والمحدّث الكاشاني وغيرهما إلى عدم تأثّره بالنجاسة بمجرّد الملاقاة للعين النجسة، بل لا بدّ في ذلك من تغيّر أحد أوصافه الثلاثة (الطعم أو اللون أو الرائحة)».

ثم يذكر أدلة كل واحد من الأقوال، وفي الختام يصل إلى هذه النتيجة: «وعلى ضوء الجمع الدلالي العرفي، تكون النتيجة هي الحكم بتنجّس الماء القليل عند ملاقاة النجاسة مطلقًا، أي: مع التغيّر وبدونه». (ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤).

إنّ بحث المسائل الفقهية بهذا الأسلوب مفيدٌ جدًّا، خاصّة بالنسبة إلى طلاب الفقه الاستدلالي، ومن هنا يمكن أن يكون هذا الكتاب نموذجًا لتأليف الكتب الدراسية في الفقه الاستدلالي، إلاّ أنّ وجود النواقص ومواطن الضعف في تضاعيف بحوثه تكون أحيانًا من الخطورة أو الكثرة، بحيث تدعو الإنسان إلى التأمّل في جعله نموذجًا كاملاً للكتاب الدراسي. والآن سنشير إلى مواطن من تلك العثرات والنواقص:

١) اعتماد الكتب اللغوية المعاصرة:

إحدى كبوات الكتاب هو رجوعه إلى الكتب اللغوية المعاصرة، كالمعجم الوسيط أو ما هو أقلّ منه أهمية، بدلاً من رجوعه إلى الكتب اللغوية القديمة، كما في الصفحات: ٣١٣، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣٧، ٤٦٨، ٦٦٠، ٦٦٦ وغيره.

٢) افتقار الكتاب إلى العبارة الفقهية في بعض الموارد:

أحيانًا يخرج المؤلّف عن الأسلوب الفقهي المعمول به في استدلالاته، فيدخل مسائل وأبحاث غير فقهية مضافًا إلى اعتماد المصادر غير الفقهية، كما في الصفحة ٤٦٨، إذ قام بتعريف الماء علميًّا وبيّن عناصره الكيمياوية بُغية تبيين طهارته أو نجاسته، وكذلك في الصفحات من ٣١٤ إلى ٣١٨ تابع بحث الكلب والخنزير بهذه الطريقة، وهكذا في الصفحات من ٣١٩ إلى ٣٢١ في البحث المرتبط بالكافر، ويغلب هذا الأسلوب أيضًا في الصفحات ٣٣٧، ٣٣٨ والصفحات ٦٥٩، ٦٦٠ و٦٦٣.

وخَطَرُ سلوك هذا الأسلوب في الفقه الاستدلالي يكمن في أنّه قد يؤدّي في المستقبل إلى تفسير المسائل الفقهية بذكر فلسفة الأحكام، ولا يخفى على أحد حجم الخطورة في ذلك.

وكذلك يمكن مناقشة استخدامه بعض التعابير الشاذّة وغير المألوفة في هذا الكتاب، كتعبيره بـ «الرقابة الاجتماعية» بدل «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في الصفحة ٢٤٣.

٣) عدم ذكره النصوص الفقهية الفارسية:

إنه في البحوث التمهيدية من الكتاب إذ تحدث عن المؤلّفات الفقهية الشيعية، لم يشر أبدًا إلى النصوص الفقهية الشيعية المتعدّدة المكتوبة باللغة الفارسية، رغم وجود النصوص الفتوائية المثيرة والنصوص الاستدلالية المتعدّدة أيضًا بهذه اللغة، بحيث لا يمكن لأي مؤرّخ في الفقه أن يتجاهلها، فإذ أهمل ذكرها بالتفصيل، يكفي منه مجرّد الإشارة إليها.

٤) وجود بعض الأخطاء المطبعية:

نشاهد أحيانًا بعض الأغلاط المطبعية في الكتاب، كالزاقي بدل النراقي (ص ٢٣٠)، الأوردكاني بدل الأردكاني (ص ٢٣١)، جزيؤه بدل أجزائه (ص ٤٦٨)، وغيرها مما يبدو طبيعيًّا.

كما أنّ التعريف بالكتب أحيانًا غير مضبوط وغير دقيق، من قبيل ما في الصفحات ٢١٢ (زبدة البيان ـ الطبعة الحجرية)، ٢١٣ (جامع أحاديث الشيعة)، ٢١٣ (كتاب الوسائل للخاقاني) وغيرها.

وقد ذكر تاريخ ولادة ووفاة بعض الأعلام في الكتاب وأهمل تواريخ البعض الآخر من دون سبب، كما في الصفحة ٢١٥ التسلسل ١٨، والصفحات ٢١٤ و٢١٦ وغيرها.

ورغم كل هذه النواقص، فإنّ الكتاب يحظى بأهمية وقيمة كبيرة، وبمعرفة نقاط ضعفه يمكن عدّه نموذجًا مناسبًا لتجديد النظر في كتب دروس الفقه في الحوزات العلمية، على أمل أن نشاهد بقية أجزائه الأخرى في المكتبات.

قراءة في كتاب (مبادئ علم الفقه)

■ حسين منصور الشيخ ■

العلوم الشرعية تقوم في أساسها على فهمها للشريعة الإسلامية من خلال تتبّع النصوص الشرعية الأولى، من القرآن الكريم والسنة الشريفة، لذلك أولى المسلمون اهتمامًا كبيرًا بالقرآن الكريم لحفظه ورعايته، فنشأت حوله العلوم والمعارف والفنون، كما أن المسلمين لم يغفلوا السنّة الشريفة، حيث دوّنت لها المجاميع الحديثية وما عُرِف لاحقًا بعلوم الحديث، وإن بدأ ذلك متأخّرًا بالمقارنة مع نصّ القرآن الكريم.

وقد تضافرت هذه العلوم جميعها من أجل حفظ النصوص الشرعية القرآنية والحديثية، وذلك صونًا لهما من أي تحريف أو ضياع، فالتعاليم والقيم والأحكام التي تَضُمُّها هذه النصوص تمثّل المنظومة الإسلامية العامّة في إدارة المجتمع الإسلامي، من النواحي: القانونية والعلاقات الإنسانية وإعمار الأرض.

لذلك، فإن علم الفقه الذي يمثّل القانون الذي على وفقه ينتظم المجتمع الإسلامي يأتي في طليعة العلوم الشرعية من حيث المكانة، ذلك أن كثيرًا من العلوم نشأت في أساسها من أجله وصونًا للنص الشرعي الذي يستند إليه الفقيه في بيان ما يستنبطه من أحكام تنظّم حياة المسلم، وعلى أساسها يُقاضى أو يتقاضى.

هذا من الناحية الدينية البحتة، أما من الناحية الأخرى، نجد أن المجتمعات الإنسانية في تجمعاتها المختلفة المدنية والاجتماعية عانت عبر تاريخها من الظلم السياسي السلطوي، إلى أن ظهرت الثورات التي أجبرت الحكومات على نمط مختلف من الحكم وتداول السلطة، يقوم على أساسٍ من العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم الذي تنظّمه دساتير وقوانين هذه الدول، وهي القوانين التي ساهمت في تطوير الرؤية السياسية والحياة الاجتماعية في تلك الدول.

لذلك تعدّ المعرفة القانونية والتخصص في مجال القانون من المعارف المهمّة في تحضر الأمم والشعوب وتقدّمها، وأساسًا مهمًّا من أسس الحضارة، يقول مؤلّفنا العلاّمة الفضلي حول هذه الفكرة: «ومن أهم ما يصنع الحضارة ويعطي للأمة وجهها الحضاري، ويخصها بحضورها المتميز بين الأمم هو الفكر التشريعي (الفقهي أو القانوني).

فالأمة التي لديها نتاج فكري تشريعي فبركته في قواعد حوّلته إلى علم = (الفكر المنظم)، ثم قولبته في مواد قانونية نقلته بواسطتها إلى نظام = (الفكر المقنن)، هي أمة متحضرة، لها مركزها الخاص بين الأمم المتمدنة، ذلك أن تحويل الفكر الخام إلى فكر منظم ثم إلى فكر مقنّن، عمل يعرب عن سمو في التفكير ونضج في أدواته من ذهنيات وخلفيات ثقافية.

ولعل من مزايا قواهر الظرف الإسلامي الراهن أن وَضَعَ المسلمين في بدايات خط الإرادة الاجتماعية، فرأينا في عام ١٩٧٥ يصدر الدكتور العوّا كتابه (في النظام السياسي للدولة الإسلامية)، ورأينا إيران تصدر في عام ١٩٧٩ الدستور الإسلامي، وفي عام ١٩٨١ يعلن المجلس الإسلامي الدولي للعالم البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام.

إن هذه الأعمال الفكرية التشريعية تلمسنا أن المسلمين تأهبوا للعودة لتسلم قيادة العالم»[١].

انطلاقًا من هذه الرؤية التي يقدّمها المؤلِّف إلى دور الفكر التشريعي لأي حضارة، يعطي لهذا العلم مكانته ودوره من خلال مساهمته في إبراز ما قدّمته الحوزات ومراكز الدراسات الدينية الإمامية من جهد علمي كبير في المجال الفقهي، وهذا ما سنطالعه أثناء مرورنا بأبواب وفصول الكتاب.

□ إضاءة على منهج الدرس الفقهي الإمامي

علم الفقه من العلوم الإسلامية الأصيلة التي نشأت وتطوّرت داخل البيئة الإسلامية، وهو من العلوم الذي كان منذ نشأته الأولى ذا مذاهب ومدارس مختلفة لكلٍّ منها منهجه ومسائله، كانت المدرسة الإمامية فيه من المدارس الفكرية الأولى

(١) رأي في السياسة، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص ٤٦ ـ ٤٨، مختصرًا.

التي انطلقت من حلقات المساجد، حيث كان أئمة أهل البيت ﷺ يعقدون دروسهم ويوجهون فيها أصحابهم، وهي لا تزال قائمة فيها يعرف اليوم بـ «الحوزات العلمية»، وهي مراكز الدراسات الدينية ذات الصبغة الإماميّة.

وقد امتازت هذه المدرسة بخصائص عدّة، يشير المؤلّف إلى بعضٍ منها في إحدى محاضراته العامّة، فيقول: «تتميّز الحوزة العلمية في النجف ـ والحوزات العلميَّة الشيعيَّة عمومًا ـ باستمرارية باب الاجتهاد المطلق مفتوحًا، فما هو متعارف عليه في بقية مراكز الدراسات الدينية الأخرى: اجتهاد المذهب ـ وهو قليل جدًّا الآن ـ، واجتهاد الترجيح ـ وهو المعروف بكثرة في هذه المراكز ـ، واجتهاد التخريج، واجتهاد المسألة.

والمايز الآخر الذي يفرّق الحوزة العلمية في النجف الأشرف عن مراكز الدراسات الإسلامية التي أشرت إليها هو أبعاد البحث العلمي، فالبحث العلمي في الحوزة النجفية سواءً كان في صورته الدرسية أو في مجال التأليف يتميّز بأبعاد ثلاثة، هي: الأصالة، والعمق، والاستقلالية.

حيث نعني **بالأصالة** عدم التقليد في مجال البحث، إذ إنّ هناك من الباحثين من يكرّر ما ألّفه الآخرون من دون أن تظهر شخصيته العلمية فيما يرِد من نظريات وآراء في بحثه العلمي.

ونعني **بالعمق** ما يقابل السطحية، فهناك من يبحث المسألة دون أن يذهب عميقًا معها فيمتدّ في جذورها وامتداداتها العلمية، بل يكتفي بالمرور العابر الذي لا يفيها حقّها، وهذا بخلاف واقع الدرس الفقهي النجفي، حيث يبذل الفقيه جهدًا كبيرًا، ويستفرغ كلّ وسعه من أجل بحث المسألة الواحدة، فلا يعطي رأيًا إلا بعد أن يمحّص ويوازن بين الأدلّة.

أما ما نريده **بالاستقلالية** هو عدم التبعية، وفي هذه النقطة يجب التنبيه على أنّ الاستقلالية إنما تكون في بنية البحث ومادّته وموازنة الأدلة، ولا علاقة لها بالمنهج المتّبع في البحث، فلا يضرّ الباحث أن يتّبع ما هو دارج في تبويب وتقسيم البحث»[(١)].

(١) محاضرة للشيخ الفضلي في تأبين السيد محمد تقي الحكيم ﵀، ألقاها بمحافظة القطيف شرق السعودية، بتاريخ ٦/ ٣/ ١٤٢٣هـ، مع تصرّف يسير.

وهذه المراكز العلمية الدينية كما تحتفظ بنقاطٍ مهمّة من القوّة، يمكن ملاحظة بعض النقاط التي ينبغي استدراكها لتطوير الدرس الفقهي الإمامي، ذلك أن علم الفقه نشأ مع بدايات ظهور العلوم الإسلامية في القرن الثاني الهجري مع استقرار الدولة العبّاسية وتتابع حركة الترجمة في ذلك الوقت، إذ تأثّرت معظم هذه العلوم ـ في تبويبها وتقسيماتها وتفصيلات المسائل فيها ـ بالمنهج اليوناني العقلي في تبويب وتقسيم العلوم، وهو التقسيم الذي لا يزال علم الفقه محافظًا عليه، فالفقه يقسّم إلى أقسام أربعة، هي العبادات الملاحظ فيها جانب العلاقة مع الخالق جلّ وعلا، فما كان من المسائل مشترطًا فيه النيّة الخالصة يندرج ضمن هذا القسم، والعقود التي يُلحظ فيها وجود طرفين لا يجري الحكم الفقهي دون وجودهما، والإيقاعات، وهي الأحكام التي يمكن إيقاعها وتنفيذها من طرفٍ واحد، وما عدا ذلك يندرج ضمن قسم الأحكام.

وهو التقسيم الذي لا يحصر جميع الأحكام الفقهية الواردة في النصوص الشرعية، فلا تندرج فيه أحكام: الغيبة أو النميمة، أو التعزير أو القصاص وغيرها، فضلاً عن الأحكام المستحدثة وما تتطلّبه من تبويب وبحث جديدين.

كما أن المتون الفقهية مليئة بالمصطلحات القديمة غير المستعملة اليوم، وبخاصّة فيما يرتبط بالأوزان والمقادير.

☐ العلاّمة الفضلي والمنهج الفقهي المقترح

وقد تنبّه العلاّمة الفضلي مبكّرًا لمثل هذه الملاحظات منذ أكثر من أربعين عامًا، مقترحًا منهجًا جديدًا للبحث الفقهي، وذلك في دراسة منشورة في مجلّة الإيمان النجفية في عددها المزدوج الخامس والسادس لسنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، إذ يقول هناك: «إن الذي أقترحه حول المنهج يدور حول جوانب، هي:

١ ـ (حول طريقة التبويب):

إن الطريقة القديمة المتبعة في تبويب الفقه تقوم في عامّة مؤلفاته ومدوناته المتقدّمة على أساسٍ من تقسيمها ـ على ضوء تقسيمه ـ إلى أربعة أقسام، هي:

أ. العبادات.

ب. العقود.

ج. الإيقاعات.

د. الأحكام.

والشيء الملاحظ ـ هنا ـ وجود الاستطراد بكثرة ربما تذهب إلى حدّ بجامعية الباب ومانعيته، أما متى حاولنا مماشاة متطلّبات الأوضاع الاجتماعية للمسلمين بغية تيسير فهم الفقه لديهم، فالمقترح مراعاة المناهج الحديثة في التبويب، أمثال:

أن يبوّب الفقه إلى:

أ. أحكام الفرد، ويراعى فيه أصنافه، وهي: الطفل، والرجل، والمرأة.

ب. أحكام الأسرة.

ج. أحكام المجتمع.

د. أحكام الدولة.

٢ـ (حول طريقة الاستدلال):

الملاحظ ـ هنا ـ أن طريقة الاستدلال تنطوي على خلط، ولعل أهمه فيما يلي:

١. في مراتب الأدلة.

٢. البحث حول حجّية قاعدة الأصل، ثم الاستدلال بها.

٣. البحث حول دلالة الرواية بعد تضعيف سندها ...»[1].

ثمّ يقدّم الشيخ الفضلي مقترحه حول مراتب الأدلّة، إذ يقترح البدء بالقرآن الكريم، والسنة القطعية، ثم بالأمارات، ومقترحًا آخر للبحث حول مدى دلالة الرواية أو عدمها بعد تضعيف سندها وإسقاط حجيتها، ومقترحًا حول عرض الأقوال في المسألة الفقهية مسلسلةً وفق صدورها الزمني، ثم ينتقل إلى الحديث حول طريقة المتن والشرح، فيقول: «

٣ـ (حول طريقة المتن والشرح):

الملاحظ ـ هنا ـ أنّ أكثر الكتب الفقهية تتّبع طريقة المتن والشرح، وهي بأن يعمد الفقيه إلى كتاب لفقيهٍ سابق عليه، فيشرحه شرحًا استدلاليًا، وهي طريقة قد تفوّت عليه بحث الكثير من الفروع ذات الأهمية والابتلاء التي لم يتطرّق لها المتن،

(١) قضايا وآراء، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار الزهراء ـ بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٩ ـ ٦٢، مختصرًا.

وقد تضطره إلى بحث الكثير من الفروع غير ذات الأهمية أو الابتلاء؛ لأنها مذكورة في الكتاب.

والمقترح ـ هنا ـ: اتباع طريقة التأليف المستقلّ تلافيًا لما ذكر»[١].

ثم يعرض مقترحاته حول المادّة الفقهية، فيقترح أن نستبدل بالمصطلحات القديمة ـ من قبيل: ما له نفس سائلة أو غير سائلة ـ المصطلحات الحديثة المقابلة، كما يقترح أن تُستَبْدَل بالمقادير القديمة ـ من قبيل: الصاع والمُدّ والفرسخ ـ مقادير حديثة، ويقترح إعطاء المسائل المستحدثة «من الأهمية ما تتطلّبه، نظرًا لشيوع الابتلاء بها»، أمثال: أحكام المصارف، والتأمين، والتجارة في الموانئ الحرّة وغيرها[٢].

وبعد هذا المقال بأكثر من ٣٠ عامًا، رجع المؤلّف إلى مناقشة الفكرة من جديد بصورة موسّعة أكثر نضجًا واستيعابًا في كتابه الفقهي «دروس في فقه الإمامية ـ الجزء الأول»، حيث أشار هناك إلى أهمية إعادة النظر في تبويب علم الفقه، إذ يقول: «استمدادًا من الواقع التطبيقي الذي يعيشه الإنسان المسلم، ومما يقرّره المنهج العلمي الحديث من وجوب مراعاة الحاجة إلى الفقه في عالم الحياة المعاشة للمسلم، وبغية أن تترابط موضوعاته ترابطًا عضويًّا وفق ما لها من أهداف، رأيتُ أن أقسّمه إلى الأبواب التالية:

١. أحكام العبادات.
٢. الأحكام الفردية.
٣. أحكام الأسرة.
٤. الأحكام الاجتماعية.
٥. أحكام الدولة.
٦. أحكام الحقوق المالية العامّة.
٧. أحكام المعاملات الاقتصادية.

ويشمل قسم أحكام العبادات أمثال: الطهارة. الصلاة. الصوم. الاعتكاف. الحج. العمرة. الزيارة ... إلخ.

---
(١) م. س، ص ٦٤.
(٢) انظر: م. س، ص ٦٤ ـ ٦٥.

ويندرج في باب الأحكام الفردية أمثال: أحكام التكلّم. أحكام الاستماع. أحكام القراءة. أحكام اللباس. أحكام الزينة. الرياضة البدنية. أحكام البصر. أحكام الأكل. أحكام الشرب. أحكام السكن. أحكام الالتزامات (النذر والعهد واليمين) ... إلخ.

ويدخل في قسم الأسرة أمثال: الزواج. الطلاق. الخلع والمباراة. الظهار. الإيلاء. اللعان. الرضاع. الحضانة. التربية. النفقة. الولاية. الميراث ... إلخ.

وفي الأحكام الاجتماعية أمثال: الرقابة الاجتماعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). التكافل الاجتماعي. تولي الأمور الحسبية من قبل عدول المؤمنين. المنشآت الاجتماعية الخيرية ... إلخ.

وفي أحكام الدولة أمثال: رئاسة الدولة. الجهاز الحكومي. أجهزة الإدارة المحلية. الوظائف الاجتماعية للدولة. الوظائف الدولية للدولة. الدفاع. الجهاد ... إلخ.

وفي الحقوق المالية العامّة أمثال: الزكاة. الخمس. الكفارات المالية. الصدقات العامّة. الأوقاف العامّة. ردّ المظالم. النذور المالية. التبرّعات الخيرية. الأنفال. الخراج ... إلخ.

وفي المعاملات الاقتصادية أمثال: التجارة. الزراعة. الصناعة. الملكية. الصرافة والمصارف (البنوك). الشركات. المضاربة. القرض. الحوالة. الكفالة. الإجارة .. إلخ»[1].

لذلك، فإن كتاب (مبادئ علم الفقه) بأجزائه الثلاثة يمثّل الباب الأول من أبواب الفقه، حسب الرؤية التي يقدّمها العلاّمة الدكتور الفضلي، فهو يشمل ـ بكتبه الثمانية ـ باب أحكام العبادات كاملاً، وبعضًا من أحكام الحقوق المالية العامّة.

---

(١) دروس في فقه الإمامية، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مؤسسة أم القرى ـ بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ١/ ٢٤٢ـ ٢٤٣.

☐ ملامح التجديد في «مبادئ علم الفقه»

١. إعادة النظر في تنظيم أبواب ومسائل علم الفقه

ما يميّز العلم عن مطلق المعرفة أنّ العلم مجموعة من المعارف المنظّمة حول موضوع واحد، يمهّد السابق فيها للاّحق ويجمع العنوان فيه وحدة موضوعية، وما يمكن ملاحظته بخصوص علم الفقه ومسائله هو كثرة الاستطرادات وبعض الخلل في مواضع بعض المسائل، مما يتطلّب من الباحث إعادة النظر في تقسيم بعض الأبواب الفقهية، وكذلك بعض المسائل داخل هذه الأبواب.

ومما أضافه العلاّمة الفضلي في كتابه «مبادئ علم الفقه» أن أعاد تنظيم بعض الأبواب، فعندما تناول النجاسات وجد أنه يمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة، بدل أن تسرد دون جامع يجمع شتاتها، فقسمها إلى: ما له علاقة بالإنسان، وما له علاقة بالحيوان، وبعض المشروبات، ثم أدرج تحت كل قسمٍ منها ما يتعلّق به من أقسام(١).

وعند الحديث عن المطهرات بوّبها إلى: مطهرات مادية، مثل: الماء والأرض والشمس وغيرها، ومطهّرات غير ماديّة، مثل: الاستحالة وغياب المسلم والإسلام وغيرها.

كما أنه في استعراضه لأفعال الصلاة وجد أنّ ما يذكره الفقهاء من الترتيب والموالاة لا ينطبق عليه أنه فعل من أفعالها، فذكرهما ضمن عنوان مستقلّ، هو: أوصاف الصلاة، وأضاف إليهما موضوع الطمأنينة. وبالإضافة إلى ذلك استعمل عنوانًا خاصًّا سمّاه: حالات الصلاة، أشار فيه إلى الحالات التالية: صلاتي الحضر والسفر، وصلاتي المضطر والمختار، وصلاتي الأداء والقضاء.

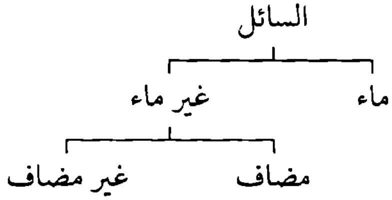
وفيما يرتبط بتفصيلات المسائل، نجده دقيقًا في ملاحظاته حول بعض التقسيمات، وذلك في الأمثلة التالية:

١. في تقسيم الطهارة إلى توصلية وتعبدية، يشير إلى الخلل في هذا التقسيم، فيقول: «المقصود من الطهارة هنا [في تقسيمها إلى تعبّدية وتوصلية] معناها المصدري، وذلك لاشتراط مقارنة النية للعمل، والطهارة بمعنى اسم المصدر ليست عملاً، وإنما هي أثر العمل ونتيجته، والمقارن لأثر العمل هو مفعول النية (وهو ما

(١) انظر: الجزء الأول من الكتاب، ص ٩١ ـ ١٠٦.

يطلقون عليه استدامة النية). فالتقسيم ـ في واقعه ـ هو تقسيم للتطهّر والتطهير؛ ولكن لأن الطهارة قد تطلق ـ فقهيًّا ـ ويراد بها التطهّر والتطهير صح الإتيان بها هنا»(١).

٢. في تقسيم الماء إلى مطلق ومضاف، وجد أنّ الفقهاء حينما جعلوا المقسم هو الماء وأدرجوا بعض السوائل تحته قد وقعوا في خطأ منطقي، حيث من المفترض أن يكون المقسم يعمّ جميع ما تحته من أقسام، لذلك اقترح تقسيمًا آخر، هو التشجير التالي:



٣. وعند استعراض تقسيمات الماء المطلق، يسرد ما يذكره الفقهاء من أنواع للماء المطلق، فيعلّق بقوله: «والذي ينبغي أن يتبع في التقسيم ملاحظة الموضوع الذي يحتويه، فإن كان (التنجّس والتنجيس) يكون الأساس في القسمة هو (الاعتصام) و(اللا اعتصام)، وإن كان الموضوع هو (التطهّر والتطهير) يكون الأساس (تأثيره الطهارةَ في الغير)»(٢).

٢. التأريخ للعبادات الإسلامية

تناول المؤلّف في الكتاب ـ بأجزائه الثلاثة ـ ثمانية كتب فقهية، أرّخ فيها للعبادات الأساسية، إذ أرّخ للصلاة والصوم والزكاة والحجّ والعمرة، فربط عباديتها في واقع الدين الإسلامي بما كانت عليه الديانات الإلهية السابقة، مستفيدًا في ذلك بما ورد في النصوص الشرعية من القرآن والسنّة.

وهي نقطة ـ مع أهميتها ـ غالبًا ما تغفلها الدراسات الفقهية الإمامية، فيدرس طالب الدراسات الشرعية دون أن يكون هناك ما يلفته إلى ما يربط عباداته الإسلامية بما كانت عليه واقع الديانات الإلهية السابقة، وهي نقطة التفت إليها المؤلّف، وذلك التزامًا منه بالمنهج العلمي الحديث، حيث تشتمل مقدّمة أي باب من الأبواب على

(١) الجزء الأول من الكتاب، ص ١٣٢.
(٢) الجزء الأول من الكتاب، ص ١٤٣.

تعريف الموضوع وبيان أهميته وتأريخه وارتباطه ببقية العلوم والمعارف، وهذا ما التزمه المؤلِّف في كتابه هذا.

٣. إثارة بعض المسائل المرتبطة بالواقع الاجتماعي الحديث

طرأت كثير من التغيّرات على الواقع الاجتماعي الإسلامي، وهو ما يستلزم إعادة النظر في بعض الأحكام التي قد تتغيّر بسبب تغيّر موضوعها، وهي نقطة تبحثها الكتب الفقهية الاستدلالية، ولا تكون المقرّرات الدراسية التي خصِّصت لعرض الآراء الفقهية مجالاً لذكر مثل هذه الموضوعات، ولكن الشيخ الفضلي كان يلتزم في جميع ما يضع من مقرّرات دراسية أن تحتوي على عنصرين، هما: التربية التي تحاول أن تنمّي الروح العلمية في الدارس، والتعليم الذي يزوّد الدارس بالمعلومة لكل علم يدرسه، فمتى ما وجد أن إثارة بعض الموضوعات من شأنها أن تساعد في تنمية الروح العلمية التي تتناسب والعصر الذي يعيشه هذا الدارس، قام بإثبات هذه الإثارة. لذا نجد بين ثنايا الكتاب ذكرًا لبعض الموضوعات الحديثة التي من المهم الحديث عنها وإثارة النقاش حولها.

ومن الأمثلة على ذلك التالي:

(١) بيان مسألة الاعتماد على الحسابات الفلكية الحديثة وسيلةً لمعرفة دخول الشهر القمري كما يُعتمد على الوسائل الأخرى المماثلة في المجالات الأخرى، كالساعات الآلية في معرفة أوقات الصلاة، والبوصلة في تحديد جهة القبلة.

(٢) عند حديثه عن زكاة النقدين، تطرّق للحديث عن العملة الورقية، ذلك أن الناس في تعاملاتهم التجارية اليوم لا يتعاملون إلا بها بدلاً من التعامل بالنقدين الذهب والفضّة، يقول في ذلك: «وإذا رحنا نلتمس الإجابة عن ترديد السؤال المتقدم حول تعلّق حق الزكاة في النقود، هل لأنها ذهب وفضة، أو لأنها عملة؟، نلتمسه من دلالات النصوص الشرعية في الموضوع، ربما عثرنا على ما يستظهر منه أن الزكاة إنما وجبت في النقدين الذهب والفضة، لا لأنها ذهب وفضة، وإنما لأنهما دنانير ودراهم، أي لأنهما عملة»[1].

(٣) وفي الحديث عن خُمس فاضل المؤونة، نجده يقدّم بحثًا تاريخيًا عن المؤونة، فيشير إلى أن الواقع الاجتماعي اليوم تغيّر فيما يرتبط بتموين المنزل من قبل عامّة

(١) الجزء الثاني من الكتاب، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

الناس، يقول في ذلك: «من المفيد أن أشير إلى منشأ التعبير بـ(فاضل المؤونة)، أي من أين جاء هذا التعبير؟، إذ يرتبط هذا التعبير بواقع اجتماعي كان الناس يعيشونه في عصر صدور النصوص الشرعية.

وهو أن الناس كانوا يمتارون قوت سنتهم من الطعام ومستلزماته، كالحطب وخلافه يدخرونه ميرةً. ومنه أخذ تعريف الميرة بأنها الطعام يدخره الإنسان.

وكذلك تعريف المؤونة بأنها ما يخزنه الإنسان من مواد غذائية، كالرز والبر والتمر والزيت والسمن وما إليها. وله ـ أيضًا ـ سُمي مكان ادخار الطعام مخزن الميرة، ومخزن المؤونة، ...

فالنصوص الشرعية التي قالت: على المسلم أن يخمس ما فضل من مؤونته، تعني أن يخمس الباقي مما ادخره من ميرة السنة.

أما الآن وحيث تغيّر الوضع الاجتماعي وتغيّرت معه أساليب المعيشة، ولم يعد ادخار الميرة مألوفًا، ينظر المسلم إلى الموجود عنده من المواد الغذائية ومستلزمات طهيها كالنفط والغاز والفحم يوم نهاية سنة الدخل ـ التي سنذكرها ـ فيخمسه»[1].

٤ . الاستفادة من الدراسة التاريخية والجغرافية لمسائل الحج

جميع العبادات الإسلامية ـ تقريبًا ـ يستطيع المسلم أن يؤديها في بلده ومنطقته، باستثناء فريضة الحج التي يلزم منه السفر إلى مكّة المكرّمة لأدائها، وهي فريضة ارتبطت مناسكها وأحكامها بمواقع جغرافية محدّدة، بدءًا من الإحرام وانتهاءً بالهدي، حيث يلزم الحاج الإحرام من مواقيت معينة طبقًا لموطنه الآتي منه، والسعي بين جبلي الصفا والمروة والطواف حول الكعبة في البيت الحرام، والمبيت في منى، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والهدي في حدود منى ـ على رأي كثير من الفقهاء.

وبسبب عوادي الزمان، اختلفت هذه المواقع الجغرافية عمّا كانت عليه أيام الرسول ﷺ، كما أن عدد الحجيج يزداد عامًا بعد آخر، مما يستلزم طاقةً استيعابية كبيرة في هذه المواقع، وهو ما يتطلّب بحثًا فقهيًّا يضع العديد من الخيارات الشرعية لحلّ هذه المستجدّات، وهي النقطة التي تنبّه إليها الدكتور الفضلي في تناوله لمسائل الحج والعمرة، وهذا ما نجده في تناوله لمواقيت الإحرام التي بحثها بحثًا فقهيًّا

(١) الجزء الثاني من الكتاب، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

تاريخيًّا وجغرافيًّا ميدانيًّا، فرسم خارطة لميقات يلملم في الطرق الموصلة إليه، وكذلك فعل مع ميقات قرن المنازل الذي بيّن ما وقع فيه بعض الفقهاء من بعض الخلل في تحديد موقعه بسبب اعتمادهم على بعض كتب اللغة التي أخطأت في تحديده وبيان معالمه. وهكذا مع ميقاتي الجحفة وذي الحليفة.

وقد استفاد في دراسته الجغرافية لمعالم الحج في تحديد الوقوف في مزدلفة، يقول في ذلك: «يجب أن يكون الوقوف داخل حدود المزدلفة، أي في الوادي. واستثني من هذا الحكم حالة الزحام التي تحدث بسبب كثرة الناس وضيق الوادي بهم، فقالوا: يجوز الارتفاع إلى أحد موضعين ورد ذكرهما في الرواية والفتوى، وهما: المأزمان ... والجبل، ... وعَدَّ بعضهم الرواية الأولى مفسرة للرواية الثانية في أن المراد بالجبل، المأزمان.

ولكن الواقع الجغرافي للموقع يعرب عن خلاف هذا، ذلك أن المأزمين مضيق بين جبلي الأخشبين ـ كما تقدم ـ أي إنه ثنية، والثنية في الغالب تكون مرتفعة عن الوادي، فـ «يرتفعون» في الموثقة لا يعني الصعود، وإنما يعني العلو عن المكان الذي هو فيه. وأن المراد بالجبل ـ هنا ـ هو جبل ثبير الذي هو حدٌّ آخر من حدود الموقف ـ كما مرَّ ـ. والارتفاع إليه ليس المقصود به الطلوع إليه أو الصعود عليه، وإنما العلو إلى حواشيه وأوائل سفوحه»[١].

كما أنه لم يكتفِ بالدراسة الجغرافية لهذه المواقع، بل درسها تاريخيًّا، ففي أثناء بحثه لمسألة بدء السعي بين الصفا والمروة، أشار إلى ما يذكره الفقهاء من البدء بالدرجتين أسفل الجبلين، فعلّق على ذلك بقوله: «ومن الواجب ـ هنا ـ أن يحافظ الساعي على الابتداء من مواضعه، والانتهاء كذلك. ويتم هذا بالشروع من أول جزء مرتفع، والختم بأول جزء مرتفع، على أن يكون هذا في كل شوط، سواء كان بدء الشوط بالصفا وختمه بالمروة أو العكس.

ولا بدَّ ـ هنا ـ من التنبيه إلى ما جاء في جملة من مناسك الفقهاء المعاصرين من ذكر الدرجات في أول جبل الصفا وأول جبل المروة ووجوب إلصاق عقب الرجلين بها عند البدء بالشوط وإلصاق رؤوس أصابع الرجلين عند الانتهاء من الشوط، التنبيه إلى أن هذا لا مشروعية له الآن حيث أزيلت الدرجات ـ كما أشرت إلى هذا ـ

---

(١) الجزء الثالث من الكتاب، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

وأصبح منحدر أو سفح الصفا وكذلك منحدر أو سفح المروة مسرحين، وعليه تكفي الكيفية التي ذكرناها.

ولأن هذا التغيير في منحدري الجبلين تم سنة ١٣٧٦هـ ـ كما تقدم ـ كان الذي ينبغي منهجيًّا أن يتبع في كتب المناسك بعد هذا التاريخ عدم ذكر الدرجات، وتغيير عبارة الفتوى إلى ما يتناسب والوضعية في التغيير الحادث»[١].



كما يُحمِّل القرآن الكريم الإنسان الفرد مسؤولية الوعي الذاتي بنفسه، يحمّل الأمة بمجموعها وعيَ ذاتها ومكانتها بين الأمم لترتقي بنفسها إلى ذلكم المستوى الذي يتناسب وما تحمله من فكر وحضارة.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

(١) الجزء الثالث من الكتاب، ص ٢٧٦.

تاريخ التشريع الإسلامي للدكتور الفضلي.. رؤية مغايرة لنشأة المذاهب الفقهية وبحث في مراحل الفقه الإمامي(*)

■ حسين منصور الشيخ ■

خلق الله الإنسان وأنزله على هذه الأرض، فعاش عليها يتنقّل من حالته البدائية في أنماطها الحياتية إلى حالات أكثر يسر وسهولة، ولم يكن إذ ذاك ما يؤرّخ لتفاصيل تنقلاته تلك، فظلّت الكثير من الظواهر الاجتماعية في تلكم الحقبة التاريخية غامضة إذ لا يزال الإنسان حائرًا في تحليلها والوصول إلى نتائج مؤكّدة حولها، لعل من أهمها: ظاهرة التخاطب الإنساني، حيث لا تزال البحوث والدراسات المدوّنة حول نشأة اللغة وتطوّرها مجرّد فرضيّات لا يمكن الجزم بإحداها في مقابل الفرضيات الأخرى.

فحينما يذهب البعض منهم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية توقيفيّة وهبها الله للإنسان، ويذهب آخر إلى أنها ظاهرة اجتماعية نمت مع نموّ المجتمعات بسبب الحاجة الملحّة إليها في تواصل الإنسان مع أخيه الإنسان، ثمّ يذهب ثالث إلى أنها محضُ تواضعٍ إنسانيٍّ بدأ بما يشبه التصويت الصوتي إلى أن تطوّر إلى هذه الصور من الأصوات المفيدة للمعنى، ورابع إلى غير تلكم الفرضيات السابقة، إنما يظلّ كل ذلك مجرّد فرضيات لا يمكن الجزم بإحداها فترقى إلى مستوى الحقائق العلمية المثبتة من خلال التتبّع الخارجي الواقعي، ذلك أن بدايات النشأة الإنسانية لم تدوّن في سجلّ التاريخ، ولا يمكن الجزم بفرضية دون أخرى ما لم تعضّد بدليل حسّي مشهود.

وقريبًا من هذه الظاهرة اللغوية: ظاهرة التديُّن عند المجتمعات البشرية، حيث نجد وفرةً من الفرضيات والنظريّات العلمية التي يدرسها علم الاجتماع الديني

(*) مجلة الكلمة، العدد ٧٣، السنة ١٨، خريف ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ ص ١٢٨ ـ ١٤٤.

حول نشأة الظاهرة الدينية أو «الدِّين»[١]، وهي تبقى مجرّد فرضيّات لا يمكن الجزم بإحداها مقابل البقية منها، ولذلك عندما يدرس الدكتور حليم بركات أصول الدين ونشأته في المجتمع العربي ضمن نظريات علم الاجتماع الديني يشير إلى أنهم لا يتفقون على نظرة واحدة، فيقول: «تشكّل مهمّة تحديد الدين وتحليل أصوله في المجتمع قضايا مركزية في حقل علم الاجتماع الديني والعلوم الاجتماعية والنفسية الأخرى. وليس من مقاربةٍ واحدة في العلوم، فيشدّد البعض على أصول الدين في المجتمع ودوره في تعزيز وحدة الأمة والانتماء، والبعض الآخر على كونه تعبيرًا عن الحاجات الإنسانية للقيم والمبادئ الأخلاقية، أو للتغلّب والتحرُّر من القلق والخوف والبؤس، أو لفهم معنى الحياة والإجابة عن أسئلة غامضة محيّرة للعقل البشري، كمسألة نشوء الكون والمخلوقات، أو عن كل هذه مجتمعةً.

وفي تحديد الدين، قد يكون التركيز على الآلهة أو القوى الخارقة المتفوّقة على الإنسان، أو على الصراع بين المقدّس والمدنّس والله والشيطان ووحدانية الألوهة أو تعدّدها، أو على التجارب الذاتية، أو على الوظائف والأدوار التي يؤدّيها الدين في المجتمع وحياة الفرد.

بسبب ذلك، لا يتّفق الباحثون الاجتماعيون حول أصول الدين وطبيعة وظائفه في المجتمع ونوعيّة علاقته بالبنى الاجتماعية والاقتصادية والنظام السائد»[٢].

وقريبًا من هذا المعنى ما تشير إليه الموسوعة العربية الميسّرة في حديثها عن الدين، إذ تشير إلى أن «النظريات المتصلة بتاريخ الأديان تقوم على مجرّد افتراضات أكثر من قيامها على علاقات واضحة بين السبب والمسبِّب، ... ولا تعتمد هذه الآراء التطوّرية في الدين على بحث علمي، وإنما هي مجرّد فروض يمكن أن يبرهن الإنسان على عكس ما تذهب إليه، ولذلك وضعت تصانيف متعدّدة للأديان، درس كل منها الدين من زاوية مختلفة خاصّة في مظاهره التاريخية والاجتماعية»[٣].

---

(١) انظر في ذلك: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ميرتشيا إلياده، ترجمة: الدكتور سعود المولى، المنظّمة العربية للترجمة - بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

(٢) المجتمع العربي في القرن العشرين، الدكتور حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٢٦.

(٣) الموسوعة العربية الميسّرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب - القاهرة، ط ١٩٦٥م، ج١/ ٨٣٨ - ٨٣٩، مادة (دين).

□ بين الديني والعلمي في مناهج البحث

تعتمد العلوم الحديثة الطبيعية منها والإنسانية نمطًا محدّدًا في مناهج البحث العلمي، ذلك أنها تعتمد إلى حدٍّ كبير منهجية الاستقصاء والتتبّع للمفردات المطلوب بحثها ومن ثَمَّ جمعها للخروج بمجموعة من الفرضيات التي تخضعها للتجربة، ومن ثَمّ الوصول إلى النظرية التي يراها الباحث أنها الأقرب إلى الواقع الذي تتبّع مجموعة كبيرة من جزئياته الخارجية.

ولذلك فإن مصدر المعلومة وما يتلوها من فرضيات ونظريات علمية: الحسّ الذي يتوسّل به للوصول إلى الواقع الخارجي، ويضاف إليه العقل الذي يتوصّل به إلى العملية الاستنتاجية التي تؤدي إلى النظريات العلمية.

وتطبيقًا على ذلك، نجد أن العالم في علم الاجتماع الديني ـ أحد فروع العلوم الإنسانية ـ عندما يريد تفسير الظاهرة الدينية، أو دراسة نشأة الدين سيواجه صعوبةً في مهمّته تلك، ذلك أن تاريخ الأديان ظهر مع بدايات الوجود الإنساني على هذه البسيطة، وهي المرحلة غير المدوّنة من التاريخ البشري، وإذ ذاك لا يكون الباحث أمام وقائع حيّة يمكن دراستها وتحليلها للوصول منها إلى النظرية المفترضة.

كما أن نشأة الدين ـ حسب التصوّر الإسلامي وتشاركه بقية الديانات الإلهية ـ تستند إلى عالم الغيب وما وراء الطبيعة، ولا يمكن دراستها دراسةً مبنية على ظواهر يمكن مشاهدتها بالحسّ ومن ثَمَّ تحليلها تحليلاً ماديًا بحتًا.

وفي هذا الموضوع تحديدًا يتبيّن الفرق بين المنهجية المعتمدة في تحصيل المعرفة لدى العلوم الطبيعية والإنسانية وبين العلوم الشرعية، إذ «دأب دارسو نظرية المعرفة ـ فلسفيًا أو علميًا ـ على حصر مصادر المعرفة في مصدرين، هما: الحسّ والعقل.

كما دأبوا على استعراض الصراع الفكري والجدلي بينهم في أن المصدر هو الحسّ فقط أو هو العقل فقط، أو هما معًا.

وكان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم للسبب الذي ذكرته آنفًا؛ ولأننا نؤمن بالدين الإلهي ـ كما تقدّم ـ تتربّع المصادر لدينا، وكالتالي:

١. الوحي.

٢. الإلهام.

٣. العقل.

٤. الحسّ»[١].

إن دراسة الظاهرة الدينية وفق المنهجية العلمية الحديثة دون الاكتراث بما تشير إليه الرؤى والنظريات الدينية يرجع في جانب كبير منه إلى ما بين الديني والعلمي من قطيعة، لعلّها ترجع إلى أمور نشير إلى بعضها، وذلك كالتالي:

أ. التداخل الكثيف بين الأسطورة والتراث/ الثقافة الدينية، ذلك أن كثيرًا من الأحداث المرتبطة بالتاريخ النبوي تروى بطريقة فيها جانب كبير من المبالغات في حدوث الخوارق والمعجزات، ما يجعلها أقرب للأسطورة منها إلى الواقع، وحول هذه الفكرة يحدّثنا الدكتور الفضلي فيقول: «أما عن علاقة الدين بالأسطورة، فتقول (الموسوعة العربية الميسّرة، ط٢، ١٩٧٢م، ص ١٤٨): «وبين الأسطورة والدين علاقة، وكثيرًا ما تحكي الشعائر أحداث أسطورة»[٢]. وهي تشير بهذا إلى معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، أمثال: عمر نوح، وفوران التنور بطوفانه، وتحوّل نار النمرود مع إبراهيم إلى بردٍ وسلام، وقصّة قصر بلقيس، وعصا موسى، وكذلك خلق الكون .. وإلخ. فإن جميع هذه وأمثالها كانت قبل التاريخ المدوّن، ولم نعثر على ما يشير إلى شيء منها من آثار، وإنما تعرفناها من الكتب الدينية والحكايات الأسطورية، وهي بهذا تدخل إطار الغيبيات، والعلم الحديث لا يؤمن إلا بالمشاهد والمحسوس، أو ما يمكن أن يخضع للملاحظة أو التجربة»[٣].

ب. معظم العلوم الحديثة نشأت في الغرب الذي تحتضن شعوبه ومجتمعاته مجموعة من الأديان، وهذه لا تتساوق في مبادئها وقيمها، بل إن كثيرًا منها يعتمد على مجموعة من الأساطير والخيالات الذهنية، ولذلك قد يعذر الباحث في أن تكون لديه هذه النظرة حول المعرفة الدينية وعدم علمية الاعتماد عليها في مسألة التقنين والتنظير العلمي.

(١) أصول البحث، الدكتور عبد الهادي الفضلي، منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) بهامشه: هكذا في المطبوعة، وإخال أنها خطأ مطبعي، صوابه: أحداثًا أسطورية.

(٣) أصول البحث، مصدر سابق ١٦.

ج. بسبب هذا النوع من القطيعة ـ ويضاف إليه صعوبة تغيير ما يرتبط بالشأن الديني لما يحمله من قداسة ـ تطوّرت هذه العلوم في بيئتين مختلفتين، ما جعل لكلٍّ منهما نمطًا مختلفًا في البحث ومعالجة وتبويب وتقسيم مسائل العلوم، كما أن لكل منهما اللغة والمصطلحات المختلفة في المعنى والمؤدّى.

وقريبًا من هذا المعنى نقرأ للمؤلِّفة زهية جويرو إشارتها إلى هذا النوع من القطيعة، إذ تقول: «إن الإقرار بالاختلاف وبتعدُّد المستويات في إطار المنظومة الدينية الواحدة، وبأن الدين ظاهرة متحوِّلة شأنها شأن سائر الظواهر الاجتماعية، ما كان ليتحقّق إلا في إطار الدرس السوسيولوجي [الاجتماعي] للظاهرة الدينية، ذلك **أنه درس قائمٌ على القطع مع التصوُّر اللاهوتي** الذي اهتمّ بالدين المعياري، فصوّره معطًى ثابتًا ومطلقًا ونهائيًّا ومتعاليًا على تغيُّر الأزمنة والأوضاع»[١].

وقد تميّزت العلوم الدينية بتلكم النمطية القديمة في التعليم، ما يجعل من مخرجاتها العلمية حاملة ومتأثّرة بالجوّ التراثي القديم، فيما تميّزت العلوم المدنية ـ التي تضمّ داخل دائرة درسها وبحثها العلوم الإنسانية والأخرى الطبيعية وما إليهما ـ بالحداثة وسرعة التقدّم فيها، ما يجعل مخرجاتها أكثر ملاءمة للحياة المعاصرة[٢].

□ الدكتور الفضلي في رؤيته للواقع الإسلامي وتحدياته المعاصرة

أشرنا بعاليه إلى أن هناك نوعًا من الضبابية حول الدين ونشأته في المجتمعات البشرية فيما تنتجه النظريات الحديثة في العلوم الاجتماعية والنفسية، وهي حالة ما كانت لتنشأ لولا القطيعة بين نتائج البحث العلمي المدني وبين ما تذهب إليه النظرات الدينية. وهذه الضبابية لا تنحصر في التأريخ لهذه الظاهرة في بعدها الاجتماعي، بل هي تتجاوز ذلك لتعمّ معظم الشأن الديني، ذلك أنّ كثيرًا من علماء الاجتماع عندما يؤرخون لهذه الظاهرة ولظروف نشأتها يُعنَون بما يجدونه من طقوس وممارسات عبادية، ذلك أنهم يعرّفون الدين بأنه: «تعبير الإنسان عن إيمانه بقدرةٍ أعظم منه وإجلاله لها، بوصفها خالقة هذا الكون ومسيّرته، ... والدين ـ من ناحية ثانية ـ هو: كل مجموعة متكاملة من الشعائر والطقوس المبنية على أساس هذا

---

(١) الإسلام الشعبي، زهية جويرو، دار الطليعة ورابطة العقلانيين العرب ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٧.

(٢) انظر: تجربتي مع التعليم الحوزوي، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجلة الجامعة الإسلامية ـ لندن، ع١، كانون الثاني ـ آذار ١٩٩٤م، رجب ـ رمضان ـ ١٤١٤هـ، ص ١٩٣ ـ ٢٠٤.

الإيمان»[١]، أو يعرفونه بأنه: «مؤسسة اجتماعية لها جانبان، أحدهما روحي مؤلَّف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر مادي، مؤلَّف من الطقوس والعادات، .. والدين اعتراف بالخوارق والمعجزات والقوى فوق الطبيعة»[٢].

وهذه التعريفات ـ عندما تحاول أن تجمع في مضمونها جميع المعتقدات والأديان بحيث تشملها في عبارة جامعة ـ تقصر الشأن الديني في مجموعة من الطقوس والشعائر والعبادات، في حين أن «الدين ـ فيما يعرّفه به الإسلاميون ـ: وضعٌ إلهيٌّ يرشد إلى الحقّ في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»[٣]، أي إن الدين كما يشمل مجموعةً من الطقوس العبادية بحيث تمثّل ركيزة أساسية من ركائز أي دين، فهو في بعض تمظهراته ـ كما هي الحال مع الدين الإسلامي ـ يحمل فكرًا شاملاً للكون والإنسان والحياة تمثّل رؤية عامّة يستطيع الإنسان المسلم اليوم الاحتكام إليها لتنظيم شؤونه الحياتية المعاصرة.

وفي ذلك نقرأ للدكتور الفضلي تعليقًا مهمًّا حول هذه التعريفات، إذ يقول: «هناك تعريف غربي للدين، وهو: «الدين: علاقة فردية بين الإنسان وخالقه»، وهو تعريف لا يلتقي وواقع ديننا الإسلامي، ذلك أن الإسلام لم يقتصر على توجيه وتنظيم علاقة الإنسان بربّه فقط، بل شمل كل علاقات الإنسان: فردية واجتماعية، بين الإنسان وربّه، وبين الإنسان وجميع ما في الكون والحياة»[٤].

ولذلك عندما يعرّف الفضلي الإسلام يعرّفه بالتالي: «**الإسلام** هو: الدين الذي بعث الله تعالى به نبينا محمدًا ﷺ إلى البشريّة كافّة، ويتألف من ركنين أساسين، هما: العقيدة والنظام.

(١) موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، إعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج١/ ٥١٦، مادة (الدين).

(٢) الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية ـ دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ج٩/ ٥٦٣، مادة (الدين).

(٣) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة ـ الرياض، ط٢، ١٩٩٩م ـ ١٤١٩هـ، ج١٠/ ٥٨٤، مادة (الدين).

(٤) التربية الدينية .. دراسة منهجية لأصول العقيدة الإسلامية، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٥، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص ٢٥، بتصرّف.

العقيدة هي: الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه وما أنزله عليهم وبأوصيائهم وباليوم الآخر. وتسمّى أصول الدين. **والنظام** هو: التشريع الإلهي الذي وضع لتنظيم الحياة البشرية كافّة، ويسمّى: فروع الدين»[1].

وانطلاقًا من ذلك يؤكّد الدكتور الفضلي أن «الإسلام يعرض رؤيةً للإنسان بحيث يضعه فيها الموضع الوسط بين التهميش والتأليه، فالإنسان ـ في الرؤية القرآنية ـ خليفة الله في الأرض، بمعنى أنه موكَّل على هذه الطبيعة، فيتصرَّف فيها موكَّلاً وليس مستقلاً، وذلك وفق وثيقة ومعاهدة بينه وبين الله سبحانه لها بنودها وأحكامها الضابطة لها، وهي ما تعبِّر عنها الرسالات الإلهية بـ«الدين».

إن هذه الرؤية التي يقدّمها الإسلام تضعه نظامًا وفكرًا قادرين على قيادة الحياة على هذه الأرض، بمرونة وصلاحية عالية، تعطي للإنسان الأمل في أن يعيش بسعادة وكرامة وهبتها له السماء، ودون مِنّة من نظام أو قوّة مسيطرة، كما هي الحال مع بقية الأنظمة والحضارات الأخرى»[2].

كما يؤكّد في الدراسة ذاتها بأن «الإسلام اليوم يطرح نفسه بديلاً حضاريًّا عالميًّا، وهو بذلك ينافس ويتحدّى الحضارة الغربية، وذلك فيما يقدّمه من قيم ومبادئ وقوانين وفكر إنساني سامٍ ينسجم والطبيعة الإنسانية السليمة، وهو الأمر الذي دفع بالفكر السياسي الغربي إلى محاصرته تمهيدًا للمواجهة والصراع اللذين يراهما الغربيون أمرين حتميَّين، وبخاصّة بعد انهيار قطب النظام الاشتراكي الشرقي (الاتحاد السوفييتي السابق)، وذلك لعدم إمكانية تعايش هاتين الحضارتين جنبًا إلى جنب، وإذ ذاك لا مناص من حالة الصراع والتحدي والغلبة»[3].

وما تحتاجه الأمّة لاستنهاض قواها هو تمكين مكامن القوّة فيها، ومن أهم ما تمتلكه الأمة الإسلامية هو الفكر التشريعي، ذلك أن «من أهم ما يصنع الحضارة ويعطي للأمة وجهها الحضاري، ويخصّها بحضورها المتميّز بين الأمم هو الفكر التشريعي (الفقهي أو القانوني).

---

(١) م. س ٢٦.

(٢) تعدّد السُّبُل: الإسلام بين حفظ الهوية الحضارية للشعوب والتزام النظام الإسلامي، الدكتور الفضلي، مجلّة الكلمة، العدد ٧١، السنة ١٨، ربيع ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، ص ١٧.

(٣) م. س، ص ٦.

فالأمة التي لديها نتاج فكري تشريعي فبركته في قواعد حوّلته إلى علم = (الفكر المنظم)، ثم قولبته في مواد قانونية نقلته بواسطتها إلى نظام = (الفكر المقنن)، هي أمة متحضرة، لها مركزها الخاص بين الأمم المتمدنة، ذلك أن تحويل الفكر الخام إلى فكر منظم ثم إلى فكر مقنّن، عمل يعرب عن سمو في التفكير ونضج في أدواته من ذهنيات وخلفيات ثقافية»[1].

وهذه الإشارات التي يذكرها الدكتور الفضلي حول الإسلام فيما يختزنه من نظام وفكر يؤهل الحضارة الإسلامية لأن تكون الحضارة العالمية السائدة، يدرك أنها لا تزال في كثير من مواقع الفعل والتأثير لا تزال مختزنة وتحتاج إلى ما يحوّلها إلى أنظمة وقوانين وتشريعات تتلاءم والعصر الحاضر، ذلك أن واقع مراكز الدراسات الدينية لا تزال بحاجة إلى مزيد من التطوير لكي تستطيع النهوض بهذه المهمّة، إذ نجده أثناء حديثه عن تجربته مع التعليم الحوزوي دراسةً وتدريسًا يشير إلى بعض المقترحات التي يرى أن من شأنها تطوير الوضع القائم، إذ يقول: «فإن كان لي أن أقترح فإني أضع بين يدي أسيادنا وشيوخنا العلماء الأجلاّء من المسؤولين عن الحوزات العلمية سواء في النجف الأشرف أو في قم المقدّسة أو غيرهما، المقترحات التالية:

١. وضع شروط للقبول، ومن أهمها حصول الطالب على شهادة الثانوية العامّة أو ما يعادلها، ...
٢. إعادة كتابة المواد العلمية المقررة في مرحلتي المقدمات والسطوح بأسلوب علمي يقوم على الوضوح في التعبير، والشمول لأطراف وأبعاد الفكرة موضوع الدرس، وبشكل يربط بينها ربطًا عضويًا، ووفق منهج تربوي، ...
٣. إضافة المواد التالية:
   - أصول علم الحديث.
   - أصول علم الرجال.
   - المعاملات المالية الحديثة كالبنوك والشركات توضع ضمن موضوعات قسم المعاملات من علم الفقه.
   - أصول البحث العلمي.
   - الأديان والمذاهب المعاصرة.

(١) رأي في السياسة، الدكتور الفضلي، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص ٤٦ ـ ٤٧.

- الفقه المقارن.
- القانون والنظم المعاصرة.
- تاريخ التشريع الإسلامي.

ومن المسلّم به أن انفتاح المسلمين على العالم، وانفتاح العالم عليهم يضخّم من مسؤولية المراكز العلمية الإسلامية، وذلك بأن تكون بمستوى رسالتها، وبمقدار ما يتطلّبه الواجب الشرعي في هذا المجال»[١].

☐ الدكتور الفضلي في رؤيته لنشأة التشريع الإسلامي

أشار الدكتور الفضلي ـ في مقدّمة الكتاب ـ إلى أنه خصّص كتابه هذا لتأريخ نشأة وتطوّر الدرس الفقهي الإمامي، معلِّلاً ذلك بأن «تاريخ الفقه الإمامي ـ فيما وقف عليه ـ يشكّل الحلقة المفقودة في تاريخ التشريع الإسلامي، فقد أُلِّفت عشرات الكتب في تاريخ فقه المذاهب الأربعة، ولم يقدّر للفقه الإمامي أن يفرد بكتاب مستقل، فتأتي الكتابة عنه مكملة لحلقات السلسلة»[٢]، مرجعًا ذلك إلى «العامل السياسي، وهو أن المذهب الرسمي للدولة العربية هو المذهب السني، ولم يضف إليه في الدراسات الجامعية المذاهب الإسلامية الأخرى كالمذهب الإمامي والمذهب الزيدي والمذهب الإباضي»[٣].

والشيخ الفضلي في وضعه لمقرّر دراسي في مادة (تاريخ التشريع الإسلامي) إنما ينطلق في ذلك من منطلقين، أحدهما: المشاركة في تحديث نظام الدراسة الدينية في شقّها الإمامي ـ كما أشرنا لمقترحه أعلاه، والمنطلق الآخر هي الرؤية التي يقدّمها حول التأريخ لنشأة هذا العلم إسلاميًّا، ذلك أن المؤرّخين للفقه الإسلامي يفترضون أصالة مذهب وفرقة محدّدة تعدّ امتدادًا للسيرة النبوية، ومع نشوء الدولة الأموية ظهرت بقية الفرق الإسلامية، وذلك بخلاف ما يعرضه الدكتور الفضلي في هذا الكتاب، وكان قد سبق أن أشار إليه في كتابه «دروس في فقه الإمامية»، حيث يذهب هناك إلى «أن التأريخ لنشأة مذهب الإمامية يعني التأريخ لنشأة مذهب الشيعة بعامّة، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يعني التأريخ لنشوء مذهب السنّة، إذا أراد الباحث أن

(١) تجربتي مع التعليم الحوزوي، مصدر سابق، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور الفضلي، منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٦.

(٣) م. س، ص ١٢.

ينصف نفسه فيكون موضوعيًّا وأن يخلص لمبدئه فيكون عادلاً، والسبب في ذلك أن ما كُتِبَ في نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية كان كاتبوه يصدرون من اتجاهاتهم السياسية وميولهم المذهبية، ويدل على هذا إغماض الجميع عن البحث في نشأة التسنُّن، وعن البحث في تاريخ السنّة، ... وتركيزهم على نشأة الفرق الأخرى كالشيعة والخوارج»[١].

وتتميمًا لهذه الفكرة، نقرأ له مؤرِّخًا لتطور الدرس الفقهي الإسلامي، إذ يقول: «كانت هاتان الطائفتان [الشيعة وأهل السنة والجماعة] في بدء انبثاقهما في القرن الأول الهجري بمثابة مدرستين، ثم ـ وبفعل عوامل مختلفة ـ تحولتا إلى طائفتين، وكان لكل طائفة منهما مدارسها.

والفارق بين مدارس الطائفة منهما والأخرى أنها عند أهل السنة بدأت بمدرسة الرأي، وكان رائدها ورئيسها الخليفة عمر بن الخطّاب، وبعد وفاته وتبريز ابنه عبد الله فقيهًا من فقهاء المسلمين المشار إليهم، تركّزت على يديه مدرسة الحديث، وسارت المدرستان جنبًا إلى جنب، واتخذت مدرسة الرأي الكوفة مركزًا لها عن طريق عبد الله بن مسعود الذي كان يعدّ أبرز تلامذة عمر بن الخطّاب، وأبرز من تبنّى منهج وفكر مدرسة الرأي، وأخذت طابعها الواضح على يد إمام المذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.

أما مدرسة الحديث فاتخذت من المدينة المنوّرة مركزًا لها، واشتهر من أعلامها الفقهاء السبعة: سعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي، وعبيد الله بن عبد الله، وخارجة بن زيد بن ثابت، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسليمان بن يسار، وانتهت رئاسة هذه المدرسة إلى إمام المذهب مالك بن أنس، وعن طريقه انتشرت في البلدان الإسلامية، ...

بينما كان التطوّر عن الشيعة، أو قل: في مذهب أهل البيت تطوّرًا طوليًّا أو امتداديًّا»[٢]، وأخذ العلاّمة الفضلي ببيان دور الإمام علي بن أبي طالب الذي تزعّم مدرسة النصّ في مقابل مدرسة الرأي التي تبنّاها الخليفة عمر، حيث سار أبناؤه من

(١) دروس في فقه الإمامية، الدكتور الفضلي، مؤسسة أم القرى ـ قم، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ج١/ ٤٩.

(٢) الشيخ المفيد مؤسس المدرسة الأصولية الإمامية، الدكتور الفضلي، أعمال مؤتمر ألفية الشيخ المفيد ـ قم، الدراسة رقم ١١٧، ١٤١٣هـ ـ ١٣٧١هـ. ش، ص ٥ ـ ٦، بتصرّف واختصار.

أئمة أهل البيت ﷺ على المنهج ذاته في محاربتهم للقياس في الأحكام الشرعية، وهو ما سنطالعه مع مزيد من التفصيل في فصول وأبواب الكتاب.

وهذه الرؤية التي يقدّمها الدكتور الفضلي بخلاف ما يذكره مؤرخو التشريع الإسلامي في شقّه السنّي، إذ يشيرون هناك إلى أن مدرستي الرأي والحديث لم تظهرا إلا في عهد صغار الصحابة والتابعين، أي مع بدء نشوء الدولة الأموية، بل إنهم لا يشيرون إلى وجود أي خلاف بين الصحابة أو انقسامهم إلى مدارس متعدّدة، وأن بدء ظهور الفرق والمذاهب نشأ فيما يسمّى العهد الثاني من عهود التشريع، وهو عهد صغار الصحابة[١].

بل إننا نقرأ للدكتور عبد العظيم شرف الدين واصفًا حال الصحابة ما بعد رسول الله ﷺ بقوله: «على الرغم من وجود أسباب الخلاف بين الصحابة، فقد كان الخلاف بينهم يسيرًا لم يتشعّب، وذلك نظرًا لوجود أسباب اجتماع كلمتهم، ونوجزها فيما يلي:

١. كان مبدأ الشورى ساريًا فيما بينهم.
٢. كان الصحابة لا يزالون في المدينة لم يتفرّقوا في الأمصار.
٣. كان الاستنباط في هذا الدور قاصرًا على فتاوى يفتيها من سئل عن حادثة»[٢].

☐ إضاءة على الكتاب

صنّفت العلوم وبوّبت في القرن الثاني الهجري، وهي إذ ذاك كانت متأثّرة بالأجواء العلمية السائدة، وبخاصّة ما وردها من الفكر اليوناني من ترجمات ظهرت مع نشوء الدولة العباسية وتمكّنها من مفاصل المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ التشريع الإسلامي، الشيخ محمد الخضري، دار العمير للثقافة ـ جدّة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص ١٢٤ ـ ١٢٩؛ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، الدكتور عبد الكريم زيدان، بدون ناشر، ط٧، ص ١٣٦ ـ ١٤٠؛ تاريخ التشريع الإسلامي وأحكام الملكية والشفعة والعقد، الدكتور عبد العظيم شرف الدين، منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازي، ط٤، ١٩٩٣م، ص ١٢٠ ـ ١٢٨؛ تاريخ التشريع الإسلامي، بوجينا غيانة ستشيجفسكا، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص ١٤٠ ـ ١٤١؛ المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية، الدكتور نصر فريد محمد واصل، المكتبة التوفيقية ـ القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٨٨ ـ ٩٢؛ المدخل في الفقه الإسلامي، الدكتور محمد مصطفى شلبي، الدار الجامعية ـ بيروت، ط١٠، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص ١٢١ ـ ١٢٨.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي، عبد العظيم شرف الدين، مصدر سابق ١١٧ ـ ١١٨، مختصرًا.

وقد استطاعت تلكم العلوم أن تلبي ما وضعت من أجله من حاجة علمية واجتماعية وشرعية في العصر الذي ظهرت فيه، وسوف يمرّ بنا تلكم المراحل والعهود التي مرّ بها الفقه الإسلامي في شقّه الإمامي مثالاً على العلوم الإسلامية فيما سلكته من خطوات وتشعّبت فيه من اتجاهات ومدارس ورؤى مختلفة.

ولذلك عندما يشير الدكتور الفضلي إلى بعض المقترحات لتطوير الوضع القائم في مراكز التعليم الديني، لا ينبغي إغفال ما قدّمته هذه العلوم التي تدرس اليوم في هذه المراكز في مجال الدرس الشرعي، وهي نقطة لا تغيب عن الشيخ، بل إنّ من بين أهداف وضع مثل هذه المقرّرات هو الإشارة إلى تلكم الجهود التي نما وتطوّر علم الفقه في ظلالها.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا اعتبرنا هذا الكتاب من المصادر الأولى في دراسة نشأة علم الفقه الإمامي والتأريخ لمراحل تطوّره وبيان ما قدمته مراكزه العلمية وما بذله أعلامها من جهود، وهو بجانب هذه المهمّة تميّز بنقاط، نشير إلى بعضٍ منها، وهي كالتالي:

أ) بيان الاتجاهات الفكرية في الفقه الإمامي

وقف أئمة أهل البيت ﷺ موقفًا حازمًا ضدّ ظاهرة القياس التي قد تتّخذ وسيلة لحرف مسار الأحكام الفقهية عن مسارها الصحيح، حيث توسّع البعض إلى درجة مخالفة النصّ الشرعي بمبرّرات المصالح العامّة والقياس، وقد بذل الأئمة ﷺ جهدهم في نشر وتدوين السنّة بما يمنع من الحاجة إلى اللجوء إلى غير القرآن والسنة في مجال التشريع، وقد أجمل المؤلّف دور الأئمة «في عهودهم ﷺ، حيث تمثّل ذلك في توفير المادّة الفقهية للتشريع الإسلامي، وذلك:

- بتفسير القرآن الكريم، وبخاصة ما يرتبط منه بالتشريع، وهو ما يعرف بآيات الأحكام.
- إملاء السنة الشريفة وتدوينها، والتربية على كيفية استفادة الحكم منها.
- تكوين الفقهاء بتعويدهم على الاستنباط واستخلاص قواعد المنهج.

وقد كانت هذه الأدوار تمهيدًا للدور المهم الذي قام به الفقهاء في عهد ابتداء الغيبة الكبرى حيث انتقلت مهمة الدور الأساسي فيه من الأئمة إليهم»[1].

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور الفضلي، مصدر سابق ٣٢٨ ـ ٣٢٩، مع بعض التصرّف.

وفي بدء المسيرة الفقهية في القرن الرابع الهجري انشعب المسار العلمي إلى اتجاهين، أحدهما مال إلى مدرسة الحديث عند السنة (مدرسة الصدوقَين = الفقهاء المحدثين)، بينما مالت المدرسة الأخرى إلى مدرسة الرأي (مدرسة القديمَين)، ولم تلبث هاتان المدرستان أن توحدتا بفضل جهود الشيخ المفيد الذي أسس للمدرسة الأصولية الإمامية في الفقه.

ولكنّ هذين الاتجاهين لا بدّ أن يظهر أثرهما بين الفينة والأخرى، وهو الأمر الذي كان قد تنبّه له العلاّمة الفضلي في إشاراته المتناثرة في طوايا الكتاب، من ذلك ما ذكره حول الفترة التي تلت الشيخ الطوسي التي كان الفقهاء قد جمدوا فيها على تراثه إلى أن ظهر ابن إدريس الحلّي، إذ يقول هناك: «إن السبب الذي ذكر لتعطيل ممارسة عملية الاجتهاد من قبل تلامذة الشيخ الطوسي، وهو تقديسهم له التقديس الذي سد عليهم منافذ التفكير فتوقفوا عن إبداء الرأي وإعطاء الفتوى، لا يصلح ـ فيما يبدو لي ـ أن يكون عاملاً مبررًا لذلك الركود، وذلك أن التقديس ـ كما هو معروف ـ يكون عامل دفع، فالمفروض أن يكون هو الدافع لهم على السير وفق منهج الشيخ الطوسي في الاستنباط، وهو الاتجاه الوسط الذي رسمه أستاذه الشيخ المفيد، وأنضجه نظريةً وتطبيقًا تلامذته، وكان الشيخ الطوسي من أبرزهم وأكثرهم حماسة له وبذلاً للجهد فيه، ذلك أنهم إذا كانوا مؤمنين حقًا بسلامة هذا المنهج ومعطياته، يكون إيمانهم الحافز القوي لهم إلى العمل به، وتطوير الفكر الفقهي على أساس منه .. **ولكن الذي يبدو أنهم كانوا يتهيبون السير عليه، ولعله لأنه كان يعتمد أصول الفقه، وهو مرتبط في الذهنية الشيعية بالقياس واجتهاد الرأي لأنه المألوف والمعروف عند أهل السنة، وبخاصة أن أصول الفقه الشيعي تأثر به في طريقة العرض وأسلوب التعبير وتبويب الموضوعات.**

وقد يكون لبعض تلامذة الشيخ الطوسي في النجف ممن له علاقة باتجاه جماعة الفقهاء المحدثين دور في التثبيط والتوقيف، فقد ذكر في قائمة من قرأ على الشيخ الطوسي في النجف: الشيخ الحسن بن الحسين بن بابويه القمي نزيل الري المدعو بحسكا، ونحن نعلم أن الحركة العلمية في قم والري تميل إلى اتجاه جماعة الفقهاء المحدثين.

وقد يؤيد هذا أيضًا نزوع الشيخ ابن إدريس في منهجه في الاستدلال والبحث إلى الإكثار من استعمال القواعد الأصولية، وذلك ليدخل المعركة الفكرية بكل ثقله، كي يعيد الوضع العلمي الطوسي إلى مركزه، ويعيد له تأثيره في الوسط العلمي»[١].

وفي موضع آخر أثناء حديثه عن إدخال (الإجماع) مصدرًا من مصادر التشريع، يشير هناك إلى أنّ «الإجماع ـ في حقيقته ـ ليس دليلاً لذاته، وإنما لأنه كاشف عن السنة، فتبقى ـ على هذا ـ مصادر التشريع من حيث الواقع محصورة في الكتاب والسنة.

ولعل التنصيص على الإجماع دليلاً فقهيًا كان في مقابلة موقف الفقهاء المحدثين السلبي منه، وليس لاعتباره دليلاً مستقلاً قسيمًا للكتاب والسنة»[٢].

ولعلّ من أهمّ الإشارات ذات العلاقة بهذه المسألة هو تحليله الدقيق لأسباب ظهور الحركة الأخبارية، إذ يقول حول دوافع ظهور هذه الحركة في الدرس الفقهي الإمامي: « وترجع الأسباب عند أولئكم النفر من العلماء الذين كانوا يميلون إلى اتجاه الصدوقين، أو طريقة الفقهاء المحدِّثين، ويتهيَّبون من المنهج الأصولي، ويتوجسون منه الخيفة، إلى التالي:

١. **أن المنهج الأصولي كان منهج اجتهاد وطريقة استنباط، وكلمة (اجتهاد)** ـ كمصطلح علمي شرعي ـ كانت تحمل معنيين خلال مرحلتين متعاقبتين: ففي المرحلة الأولى كانت تحمل أيام الصحابة معنى استعمال الرأي الذي اصطلح عليه بـ (اجتهاد الرأي). وفي المرحلة الثانية، وبعد أن تطور واقع الفقه الإسلامي عند أهل السنة، إلى استعمال القدرة العلمية على الاستنباط واستعمال وسائل البحث العلمي لذلك، أصبحت تحمل معنى آخر ـ بالإضافة إلى معناها السابق ـ وهو ملكة الاستنباط، أو القدرة العلميَّة على الاستنباط. والذي استعارته المدرسة الأصولية الإمامية من الفقه السني وأصوله، واستعملته مصطلحًا علميًا في الفقه الإمامي وأصوله هو المعنى الثاني أي القدرة العلمية على الاستنباط. وقد فهم بعضهم الاجتهاد المستعار أنه اجتهاد الرأي وما تفرع عنه من القياس والاستحسان والاستصلاح.

---

(١) م. س، ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٢) م. س، ص ٣١٦.

٢. أن علماء المدرسة الأصولية الإمامية عندما ألفوا في علم الدراية أفادوا من الجانب الفني للتأليف السني في علم مصطلح الحديث، وكذلك في علمَي: الرجال وأصول الفقه، لسبق علماء أهل السنة في ذلك، إن هذه الأعمال من المدرسة الأصولية أثارت الطرف الآخر، فظنوا أن الاستفادة من هذه العلوم السنية كانت في الجوانب الفكريّة أيضًا، وهذا يعني تسرب الأفكار المخالفة لنا من العلوم السنية إلى علومنا»[1].

ب. بيان أثر العامل السياسي في مسيرة التشريع الإسلامي

أشرنا بعاليه إلى أن تدوين الدكتور الفضلي لتاريخ التشريع الإسلامي في تشعباته الفكرية والمذهبية يختلف عن مدوّنات تاريخ التشريع في اتجاهها السنّي، ذلك أنه يرى أن بدء انشعاب المسلمين إلى مدرستين متمايزتين كان بعد رحيل رسول الله ﷺ وفي عهد كبار الصحابة، ولمّا لم يكن لهذا الخلاف الأثر السياسي أو الحدّة في حالة الصراع كما حدث مع نشوء الدولة الأموية، حيث كان معاوية عنيفًا في محاربة أعدائه، واصفًا محازبيه ومؤيديه بأهل السنة والجماعة، فيما كان الشيعة والخوارج من المخالفين لنهج السنّة والجماعة ـ حسب الرواية والإعلام الأموي ـ، حيث ظهرت هذه التسميات في عهد الدولة الأموية، ولذلك قد يبدو للوهلة الأولى أن بدء انشعاب المسلمين إلى مذاهب وفرق واتجاهات كان في مرحلة صغار الصحابة والتابعين ـ كما يذهب مؤرخو التشريع الإسلامي من أهل السنة.

وهي نقطة، وإن لم يصرّح بها الدكتور الفضلي أثناء حديثه عن عهد الإمام علي عليه السلام، ولكنها قد تفهم من حديثه عن عهد الأئمة الحسنين وزين العابدين عليهم السلام، إذ يقول هناك: «ومن أهم الحوادث التاريخية في مسيرة التشريع الإسلامي في هذا العهد هي أن بلغ الصراع بين المدرستين، مدرسة أهل البيت ومدرسة الصحابة، قمة العنف، وذلك في أيام الحسين عليه السلام. وكان هذا حول شرعية خلافة يزيد بن معاوية، حيث صارت من أهم المسائل التي دار حولها النقاش في المدينة المنورة.

فمدرسة أهل البيت كانت ترى أن شروط الإمامة لم تتوفر في يزيد، ومن أهم وأجلى هذه الشروط شرط العدالة الذي اشترط توافره فيمن يتولى إمرة المؤمنين

(١) م. س، ص ٤١٩ ـ ٤٢٢، مختصرًا.

بنص القرآن الكريم، وهو قوله تعالى في قصة إمامة النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

وصرح رأس مدرسة أهل البيت ـ يومذاك ـ الإمام الحسين عليه السلام بأكثر من تصريح يوضح فيه مدى الانحدار الذي انتهى إليه التشريع الإسلامي في مجال تطبيقه، حيث يصل الأمر لأن يكون يزيد بن معاوية أمير المؤمنين وإمام المسلمين.

ولمّا لم تُفِدْ هذه التصريحات في إرجاع مدرسة الصحابة في المدينة ـ وكان من رؤوسها آنذاك عبد الله بن عمر ـ عن قبول خلافة يزيد، قرر الإمام الحسين التضحية، ليفجر بدمه الشريف الموقف فيضع المسلمين أمام مسؤوليتهم ـ وجهًا لوجه ـ في مقاومة هذا الانحراف في النظرية والانحدار في التطبيق، بعد أن أعلن هدفه من مغادرته مكان الصراع النظري»[٢].

وكان سلوك الإمام الحسين عليه السلام ذلكم المسلك الفدائي الثوري نتيجة للسياسة الأموية القمعية التي «شدّدت الخناق على مدرسة أهل البيت من قبل معاوية ويزيد وآلهما لئلاّ تنشر شيئًا من فكرها»[٣].

وقد أشار مؤرخو التاريخ الإسلامي إلى أن للعامل السياسي الذي بلغ أشدّه في عهد معاوية أثره في انقسام الناس إلى ثلاث فرق: شيعة وخوارج وجماعة[٤]، وقد سبق أن أشرنا إلى أن انشعاب المسلمين إلى مدرستين: مدرسة الرأي (الصحابة) ومدرسة النصّ (أهل البيت) قد سبق ذلكم التاريخ بكثير، ولم يبدُ أثره واضحًا إلا حينما بلغ الصراع بين هاتين المدرستين في عهد بني أمية الذين «استباحوا أشياء من الأمور المشتبهات في الإسلام، وغلّبوا جانب الرأي فيما يجدُّ من مسائل النزاع وأمور المعاملات، كما استباحوا مكّة التي حرّمها الله، والمدينة التي حرمها رسوله، حيث استباح يزيد بن معاوية المدينة وانتهبها ثلاثًا، وثنّى عبد الملك بن مروان، فأذن للحجّاج في أن يستبيح مكّة، واستباحها الحجّاج، ففعل فيها الأفاعيل، كل ذلك لتخضع البلاد المقدّسة لبني أبي سفيان ولبني مروان من بعدهم»[٥].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) ص ٨٨ ـ ٨٩ من الكتاب، مختصرًا.

(٣) م. س، ص ٩٤.

(٤) انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، منّاع القطان، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(٥) تاريخ التشريع الإسلامي، منّاع القطّان، مصدر سابق، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠، مختصرًا.

وفي إشارةٍ أخرى تتعلّق بالجانب السياسي ودوره في حركة التشريع الإسلامي، نقرأ له تحليله لحادثة استشهاد الشهيد الأول محمد بن مكّي العاملي (ت ٧٨٦هـ)، إذ يقول هناك: «أما الإدانة ـ حقيقةً ـ فكانت لأنه كان يقول [أي: الشهيد الأول] بولاية الفقيه، وكوّن له تحت مظلتها مرجعية كبيرة في ربوع الشام، حفزته لأن ينتقل من جزّين إلى دمشق، ويصبح من الأعلام البارزة فيها، وذا مكانة مرموقة وشخصية محترمة حتى عند أهل السنة. وبدفع قوي من هذه المرجعية تحرك في ربوع الشام لتجميع فلول الشيعة وجمع أمرهم، وإقامة سلطة سياسية شرعية لهم، فجبى الأموال وأعدَّ الرجال، واتصل بحكومات الشيعة في وقته سرًّا وعلانيةً، ومنها ما ذكر من المكاتبة بينه وبين الملك علي بن المؤيد، عاهل خراسان وما والاها.

ولعل النظام الحاكم في دمشق آنذاك أراد أن يغطي على هذا، فنسب إلى الشهيد ﷺ تهمة الاعتقاد بما يخالف السنة»[1].

ج) إبراز الجانب التربوي والعلمي لأئمة أهل البيت ﷺ

بلغت مسيرة الدعوة الإسلامية ٢٣ سنة، قضى رسول الله ﷺ ١٣ سنة في مكّة المكرّمة التي سيطرت عليها أجواء الصراع العقائدي ومرحلة تثبيت قواعد الدعوة، ولم يكن هناك تركيز ونشر واسع للأحكام الشرعية التفصيلية، وبخاصّة أن بعض الأحكام لّما تفرض بعدُ. وعندما انتقل ﷺ إلى المدينة المنوّرة انشغل بمعاركه مع المشركين واليهود، وكذلك في تأسيس النواة الحقيقية للدولة الإسلامية، وذلك في سنواتٍ عشر تخللتها أكثر من ٨٠ معركة.

ولم يختلف الوضع كثيرًا بعد رحيله ﷺ، إذ انشغل المسلمون بما عُرف بالفتوحات الإسلاميّة وتثبيت أركان الدولة، كما أن منع تدوين السنّة ونشرها شكّل عاملاً مهمًّا في غياب النصّ النبوي الذي كان يمثّل الدعامة الثانية ـ بل لعلّه الأولى ـ في معرفة الأحكام الشرعية، لما تتضمّنه الأحاديث الشريفة من تفاصيل تشريعية لا تحتويها الآيات القرآنية، ففي ظلّ هذا الغياب نشأت مدرسة الرأي التي عمل الأئمة من أهل البيت على محاربة التوسّع فيها، وتثبيت مدرسة النصّ.

لقد قام أهل البيت ﷺ بدور مهمّ وواسع في نشر السنّة النبوية التي كانوا يروونها متصلةً إلى أمير المؤمنين ﷺ عن رسول الله ﷺ، دون عوادي الزمان

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور الفضلي، مصدر سابق، ص ٣٩١.

وأفاعيل المكذّبين والمضلّلين الذين كانت السلطلت السياسية آنذاك تستفيد مما كان هؤلاء يدسّونه من أحاديث وأخبار كاذبة يروّجون بها لسياساتهم الظالمة وما كان يصحبها من تشريعات فقهية غير صحيحة.

وقد أكّد المؤلّف الدور المركزي لأهل البيت ﵈ في هذا الجانب، بدءًا من الإمام علي ﵇ الذي مارس دورًا مهمًّا في تركيز مدرسة النصّ، في: تدوينه لأحاديث الرسول ﷺ، وذلك فيما عُرِف بصحيفة علي، وفي تأصيله العلمي في مسألة تصنيف رواة الحديث من الصحابة[1]، وليس انتهاءً بما قام به الأئمة من بعده من دور في التربية والتأهيل العلمي، حيث عمد الأئمة ﵈ «إلى تكوين شخصيات مثقفة تتمتع بالذهنية العلمية في مجال التفكير، والنظرة العلمية في مجال التحليل، بغية إنماء وإثراء مدرسة أهل البيت بالمتخصصين في حقول المعرفة المختلفة التي هي موضع حاجة الإنسان المسلم في ذلكم العصر، وكانت طرقهم إلى ذلكم الهدف تتلخّص بالتالي: التمرين والتأليف، والتوثيق»[2]، ولبيان هذه المهام الثلاث بذل الدكتور الفضلي جهدًا بحثيًّا متميّزًا، ففي مجال التوثيق يشير إلى الدور المحفّز الذي كان يمارسه الأئمة ﵈ تجاه تلاميذهم، يقول في ذلك: «وأعني بالتوثيق:

أ) **توثيق الراوي الذي يعني الشهادة له بأنه في المستوى الموثوق به تديُّنًا وعلمًا**، فينبغي الرجوع إليه، وهذا ـ كما هومعلوم ـ حافز تربوي قوي يدفع ـ وباعتزاز ـ إلى الاهتمام في مجال الرواية للأخذ من الإمام والإعطاء لأتباعه وشيعته.

ب) **توثيق الفقيه الذي يعني الشهادة له بالفقاهة** وجواز الإفتاء، وهذا ـ بدوره ـ عامل قوي أيضًا في الحفز على الاهتمام بالفقه والاجتهاد به، وإفادة الناس منه»[3].

وبالإضافة إلى هذه الخصائص، تميّز الكتاب بسلوكه المنهج العلمي الحديث في التبويب وتنظيم المادّة العلمية وأسلوب العرض، ما يجعله من أهم المصادر العلمية في هذا الباب. كما حوى الكتاب تعريفًا تفصيليًّا بأهم المراكز العلمية الإمامية ومسردًا بأهم أعلامها ومدوّناتهم العلمية ودورها في تنمية وتطوير الدرس الشرعي الإمامي.

---

(١) انظر: م. س، ص ٧٤ ـ ٧٦.

(٢) م. س، ص ١٢٠، مع شيء من التصرّف.

(٣) م. س، ص ١٣٤.

قراءة في كتاب (مبادئ أصول الفقه)

■ حسين منصور الشيخ ■

تُعَدُّ رسالة الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) (أصول الفقه) «أوّل مؤلَّف إمامي في علم الأصول، إذ لم تكن الحاجة إليه في عهد الأئمة ماسّة؛ وذلك لإمكان الرجوع إلى الإمام ومعرفة ما يتطلّبه الأمر من مقتضيات وشؤون»[(١)]. وقد وضعها الشيخ المفيد إدراكًا منه لحاجة الفقيه إليها في عصر الغَيبة، «وللاستعانة بقواعده في عملية الاستنباط، ليستكمل بها كل الوسائل العلمية المطلوبة في مجال الاجتهاد، وليكون كتابه (أصول الفقه) الخطوة الأولى لتلامذته في مواصلة المسيرة التطويرية في هذا المجال.

ثمَّ ألّف الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) كتابه (الذريعة إلى أصول الشريعة)، الذي بدأه بالنقد للطريقة والمنهج الذي قامت عليه مصنّفات علماء أهل السنّة في أصول الفقه، حيث تأثروا بالنزعة الكلامية»[(٢)]. ثم وضع بعده الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) كتابه (العُدَّة)، وهكذا توالت المصنّفات الأصولية في المدرسة الفقهية الإمامية.

□ النجف ودورها في تطوير الدرس الشرعي

وأخذ علم الأصول في التوسُّع والتطوُّر في التبويب وتفريع المسائل، حيث يمثّل مع رصيفه علم الفقه مدار الدرس الشرعي في الحوزات والمعاهد العلمية الإمامية، وصولاً إلى المرحلة المتقدّمة التي وصلت إليها الحوزة النجفية، حيث أسهمت في تطوير الدرس الأصولي، ليصل فيها إلى قمّة سامقة على يد أكابر أساتذة الحوزة هناك، وبخاصّة فيما يطلق عليه الدكتور الفضلي بعصر السيد محسن الحكيم، أو العصر الذهبي للحوزة العلمية النجفية.

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٤.

إذ عاشت النجف حينها حركة إصلاحية واسعة، طاولت معظم الشأن الثقافي والحركي والعلمي. حيث ظهرت على المستوى الثقافي العديد من الجمعيات الثقافية والأدبية، ورافقها ظهور العديد من المجلاّت والسلسلات والإصدارات الثقافية المتنوّعة[١]. وإلى جانبها خاضت النجف تجربة سياسية وإسلامية حركية رائدة في نمطها ووعيها الحركي والفكري، تمثّلت في تأسيس وفاعلية حزب الدعوة الإسلامية على مستوى الساحة العراقية[٢].

وعلى الصعيد العلمي، شهدت النجف الأشرف نهضة علمية واسعة، تمثّلت في وجود العدد الكبير «من المجتهدين وأصحاب درس البحث الخارج، وخرج من تحت أياديهم العدد الكبير من المجتهدين.

وفي هذا العصر كانت المؤلفات الموسوعية، من قبيل المستمسك للسيد الحكيم، وموسوعة الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، والذريعة في تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني في ٢٥ مجلّدًا، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي الذي طبع في أكثر من ٢٠ مجلّدًا، والقواعد الفقهية للملا حسن البجنوردي، حيث طبع في (٧) مجلدات، ويعدّ أوسع كتاب في القواعد الفقهية لدى الشيعة والسنّة من حيث سعة البحث وعمقه وجودته، وكتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر في (٨) مجلّدات، والموسوعات الأخرى، فهذا العصر قد أنجب وأعطى عطاءً خصبًا جدًّا»[٣].

وإلى جانب هذا العطاء العلمي المدوّن، شهدت النجف حِراكًا علميًّا آخر في مجال تطوير الدرس الشرعي، تمثّل في ظهور أكثر من تجربة تهدف إلى تحديث الدراسة الدينية، منها:

- مدرسة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.

(١) انظر: دليل النجف الأشرف في ستينيات القرن العشرين، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، ص ١٠٥ ـ ١٤٣.

(٢) انظر: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: دراسة في التطوّر السياسي والعلمي، الدكتور جودت القزويني، دار الرافدين ـ بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ص ٢٥٣ ـ ٣٠٧.

(٣) في ظلال النبوة، الدكتور عبد الهادي الفضلي، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، ص ٢٦.

- مدرسة النجف الدينية، سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.
- جامعة النجف الدينية، سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
- كلية الفقه التابعة لجمعية منتدى النشر، سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- مدرسة العلوم الإسلامية، سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م[1].

وكان ظهور هذه التجارب مجالاً خصبًا لنموّ حركة إصلاحية شاملة في الدرس الحوزوي، هدفت إلى تجديد نظام الدراسة وإلى تطوير بِنية المقرّر الدراسي بما يتلاءم والغاية منه في إعداد ذهنية الطالب العلمية فيما له علاقة بالدرس الشرعي الإمامي المعاصر.

□ الدعوات إلى تطوير المقرّر الأصولي

وانسجامًا مع ما كانت تعيشه الحوزة النجفية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين من حركة إصلاحية واسعة، ظهرت في حينها دعوات إلى تجديد المقرّر الحوزوي، وبخاصّة المقرّر الأصولي، نظرًا إلى ما تعانيه مقرّرات الدرس الأصولي من ملاحظات منهجية وتنظيمية وتربوية تدفع إلى ضرورة أن يستبدل بها ما يتجاوز هذه الملاحظات ويراعي ما وصلت إليه المدرسة الأصولية الحديثة.

وممن أشار إلى بعض هذه الملاحظات السيد محمّد باقر الصدر، إذ يقول منتقدًا: «إن «المعالم» [معالم الدين للعاملي] تعبّر عن مرحلة قديمة تاريخية من علم الأصول، و«القوانين» تمثّل مرحلة خطاها علم الأصول واجتازها إلى مرحلة أعلى على يد الشيخ الأنصاري وغيره من الأعلام، و«الرسائل» و«الكفاية» نفسهما نتاجٌ أصولي يعود لما قبل مئة سنة تقريبًا، وقد حصل علم الأصول بعد الرسائل والكفاية على خبرة مئة سنة تقريبًا من البحث والتحقيق على يد أجيال متعاقبة من العلماء المجدّدين. وخبرةُ ما يقارب مئة سنة من البحث العلمي الأصولي جديرةٌ بأن تأتي بأفكار جديدة كثيرة وتطوّر طريقة البحث في جملة من المسائل، وتستحدث مصطلحات لم تكن تبعًا لما تتكوّن من مسالك ومبانٍ، ومن الضروري أن تنال الكتب

---

(١) للاطلاع، انظر: الحوزة العلمية في النجف: معالمها وحركتها الإصلاحية ١٣٣٩ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠م، علي أحمد البهادلي، دار الزهراء ـ بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص ٣١٢ـ ٤٠٩.

الدراسية حظًّا مناسبًا لها من هذه الأفكار والتطوّرات والمصطلحات لئلاً يفاجأ بها الطالب في بحث الخارج دون سابق إعداد»[١].

ويضيف بعد ذلك إلى أن «الطريقة المتّبعة في تحرير المسائل وتحديد كل مسألة بعنوان من العناوين الموروثة تاريخيًّا في علم الأصول لم تعد تعبّر عن الواقع تعبيرًا صحيحًا؛ وذلك لأن البحث الأصولي، من خلال اتّساعه وتعمّقه بالتدريج منذ أيام الوحيد البهبهاني إلى يومنا هذا، طرح قضايا كثيرة جديدة ضمن معالجاته للمسائل الأصولية الموروثة تاريخيًّا، وكثير من هذه القضايا تعتبر من الناحية الفنية ومن الناحية العلمية معًا أهم من جملة من تلك المسائل الموروثة»[٢].

وفيما يتعلّق بالجانب التربوي في المقرّر الدراسي، يذكر السيد الصدر بأن تلكم المقرّرات «لم تؤلَّف من قبل أصحابها بهدف أن تكون مقرّرات دراسية، وإنما ألفت لكي تعبّر عن آراء المؤلّف وأفكاره في المسائل الأصولية المختلفة، وفرق كبير بين كتابٍ يضعه مؤلّفه لكي يكون كتابًا دراسيًّا، وكتاب يؤلّفه ليعبّر عن أعمق وأرسخ ما وصل إليه من أفكار وتحقيقات؛ لأن المؤلّف في الحالة الأولى يضع نصب عينيه الطالب المبتدئ الذي يسير خطوة فخطوة في طريق التعرّف على كنوز هذا العلم وأسراره. وأما في الحالة الثانية، فيضع المؤلّف في تصوّره شخصًا نظيرًا له مكتملاً من الناحية العلمية ويحاول أن يشرح له وجهة نظره ويقنعه بها بقدر ما يتاح له من وسائل الإقناع العلمي. ومن الواضح أن كتابًا يوضع بهذا الاعتبار لا يصلح أن يكون كتابًا دراسيًّا، مهما كانت قيمته العلمية وإبداعه الفكري»[٣].

ويشارك الدكتور الفضلي أستاذَه السيد الصدر في نقده على المقرّرات الأصولية، فيضيف على ما ذكره السيد الصدر ملاحظاتٍ أُخر، يقول في إحداها: «إننا لو رجعنا إلى كتب الفقه الاستدلالية، كالرياض والمسالك والمستند والجواهر وأمثالها، وتتبّعنا وبدقّة القواعد الأصولية المستعملة فيها، ثمّ وبعد استخلاصها منها ووضعها في قائمة نقوم بمقارنة بينها وبين محتويات كتاب الكفاية، رأينا أن جملةً ممّا يُذكر في الكفاية لا علاقة له بالاستنباط والاجتهاد، وأن جملة ممّا له علاقة بالاجتهاد

(١) دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف ـ بيروت، ط ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ج١/ ٢١٥.
(٢) المصدر السابق، ج١/ ٢٢٢.
(٣) المصدر السابق، ج١/ ٢١٧.

والاستنباط غير موجود في الكفاية، ولأقْل هو غير موجود بعنوانه وباحتوائه كلّ أطرافه، كقاعدة الظهور وقاعدة الجمع العرفي والدلالي»[(١)].

□ «مبادئ أصول الفقه» لبنة في مشروع التجديد

انطلاقًا من الملاحظات أعلاه وغيرها، تبنّى مجموعة من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف المبادرة في إيجاد مناهج ومقرّرات دراسية بديلة تُسهِم في تطوير الدرس الحوزوي، وكذلك في بناء الذهنية العلمية لدى الطالب بما يتلاءم وما وصلت إليه الدراسات الشرعية حينها.

وممّن رادَ هذه التجربة الشيخ محمد رضا المظفّر، الذي بادر بإنشاء كلية الفقه التابعة لجمعية منتدى النشر، التي مثّلت مؤسّسة دينية عالية، يتخرّج فيها الطالب حاملاً لشهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية واللغة العربية، ووضع لها الشيخ المظفّر كتابيه: «أصول الفقه» و«المنطق»، حيث صاغهما ونظّمهما بما يتلاءم والمقرّر الأكاديمي الجامعي.

وتمهيدًا لهذين الكتابين، شارك الشيخ الفضلي بوضع كتابيه المدخلَين لهما: «مبادئ أصول الفقه» و«خلاصة المنطق»، وإلى جانبهما، وضع: «مختصر النحو» و«مختصر التصريف»، مقرّرين للكلية أيضًا.

وقد أثبت كلٌّ من «مبادئ أصول الفقه» و«خلاصة المنطق» حضورهما الواسع في العديد من الحوزات والمعاهد العلمية، باعتبارهما المقرّرين الأولين في مادّتي الأصول والمنطق.

ولعلّ لاختصارهما وصغرِ حجمِهما، ويُسْرِ لغتهما دور في الانتشار، ذلك أن الطالب في مراحله الأولى بحاجة إلى هذه المواصفات في المقرّر الدراسي.

وإضافةً إلى تلكم السمات، يتميّز «مبادئ أصول الفقه» للدكتور الفضلي بسمات منهجية أخرى، نشير إلى بعضٍ منها، وكالتالي:

(١) تجربتي مع التعليم الحوزوي، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجلة الجامعة الإسلامية ـ لندن، العدد ١، يناير ـ مارس ١٩٩٤م/ رجب ـ رمضان ١٤١٤هـ، ص ٢٠١.

أ) الترابط العضوي الميسّر في التبويب

يعدُّ علم أصول الفقه في الدرس الحوزوي العلم الأساس في استنباط الحكم الشرعي؛ وذلك «لاشتماله على أعلى نسبة من القواعد التي يحتاج الفقيه إلى استعمالها في مجال الاجتهاد واستخلاص أو استنباط الحكم من دليله ومصدره»[١].

ولهضم المادّة العلمية الأصولية، يحتاج الطالب إلى منهجية تُعينه على فهم مسائل الكتاب واستيعاب ترابط تلكم المسائل وعلاقتها بعملية الاستنباط الفقهية. ومن هنا تأتي أهمية التبويب العلمية.

ولعلّ من أهم ما يميّز المقرّر الدراسي لدى العلاّمة الفضلي هو حُسن الافتتاح ووضوح المقدّمة العلمية التي تُدخِل الطالب إلى مسائل العلوم. وحول هذه الفكرة يقول الشيخ محمد جواد مغنية في تعليقه على كتب الأصول التي يخلو الكثير منها من المقدّمات العلمية: «ولستُ أعني بالأستاذ المعاصر من يحمل شهادةً عليا في التربية والتعليم، كلاّ، وإنما أردتُ: مَنْ يحكي للطالب ـ قبل أن يفتح الكتاب ـ ويروي له قصّة ما سيلقيه عليه، ويبيّن موضوعه وحدوده وما يهدف إليه، ويحاول جاهدًا أن يُدخِل الطالب في جوّ الدرس وما يدور حوله من نقاط ومحتويات قبل أن يأخذ بالفروع والتفاصيل.

أمّا أن يفتتح البيان بـ «إن قلتَ، قلتُ»، ويُفرغ كل ما لديه من كلمات وتصوّرات قبل أن يطرح الفكرة وبوضوح، أو قبل أن يعرف الطالب ماذا قيل ويقال. أما هذا الأسلوب الجادّ والتقليدي، فتتلاشى معه رغبة التلميذ وتتبخّر مع الريح، وتصعب عليه المادّة العلمية، وييأس منه ومن فهمها»[٢].

وما يزيد كتاب «المبادئ» تنظيمًا هو تهيئة تلكم المقدّمة لبقية أبواب وفصول الكتاب، فترى الشيخ يختم المقدّمة بعنوان: «أدلّة التشريع الإسلامي»، وذلك ليكون العنوان الجامع لبابي الكتاب: «الأدلة الاجتهادية» و«الأدلة الفقاهية»، ثمّ يسير الكتاب في فصوله منسابًا مع عملية الاستنباط الشرعي وفق ما هو متّبع في كتب الاستدلال الفقهية. وهي نقطة يبيّنها في مقدّمته للطبعة الثانية من المبادئ، فيقول

(١) تجربتي مع التعليم الحوزوي، الدكتور الفضلي، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٢) علم أصول الفقه في ثوبه الجديد، محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد ودار الجواد ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ٧ ـ ٨، مع تصرّف يسير.

فيها: «تعرض هذه المحاولة المتواضعة مبادئ أصول الفقه في ضوء المذهب الإمامي بطريقة تربوية ميسّرة ومنهج دراسيّ يربط بين مسائلها وقضاياها ربطًا عضويًّا متسلسلاً حسب الرجوع إليها في مجال الاجتهاد واستنباط الحكم الإسلامي في ضوئها كأدلّة تشريع».

وهي نقطة يتّفق فيها مع أستاذه السيد محمد تقي الحكيم الذي يرى بأن المنهجية الصحيحة في تبويب الأصول هو بناؤه «على أساس ما لهذه الأصول من ترتُّبٍ في مقام إعمال المجتهد وظيفته في مجال الاستنباط»[١].

وفي تناول الشيخ الفضلي للأدلة الاجتهادية، لا يغفل عن مسألة المقدّمة والعناوين التمهيدية، فلم يُدخل الطالب مباشرةً في مباحث الألفاظ، كما هي الحال مع معظم المقرّرات الأصولية، وإنما افتتح الباب بتعريف ميسّر للدليلين الأولَين: الكتاب والسنة، حيث يمثّلان النصوص الشرعية التي يرجع إليها الفقيه في عملية الاستنباط، ليدرس متونها وما تحويه من ألفاظ. ذلك أن الطالب المبتدئ قد لا يدرِك وجه العلاقة بين مباحث الألفاظ ودورها في عملية الاستنباط وارتباطها بالكتاب والسنة، وسرّ تقدمها على بقية العناوين في كتب الأصول، ما لم يوضّح من البدء وجه هذه العلاقة. وهو مدخل تفرّدت به مقرّرات الشيخ الفضلي الأصولية عن بقية كتب الأصول الأخرى.

كما أنّ الشيخ الفضلي، وزيادةً في تنظيم مسائل الكتاب وربطها عضويًّا ببعضها، يخصّص في نهاية مباحث الألفاظ التي هي مباحث مشتركة للكتاب والسنّة عنوانًا حول «علاقة الكتاب بالسنّة»، وذلك بيانًا لما لهذه العناوين من رابط علميّ عضوي. كما أنه بعد الانتهاء من دليل الإجماع، يشير إلى وجه العلاقة بينه وبين دليل السنة، فيخصّص عنوانًا حول «علاقة الإجماع بالسنّة».

وقد أشار الدكتور الفضلي في أحد حواراته إلى أن بيان الترابط العضوي بين مسائل العلم ووجه تناول أي مسألة منها كان قد استرشده منذ بواكير كتاباته المنهجية وارتباطه بالدرس الحوزوي من الآية الكريمة: «﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

---

(١) الأصول العامّة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم، دار الأندلس ـ بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٨٦.

عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ؟!﴾[١] التي يمكن اعتبارها قانونًا وسنّةً إلهية، حيث تفيد هذه الآية أن هناك خطًّا وهدفًا يمشي نحوه الإنسان، ولا يوجد ما هو عبثي في هذه الحياة، بل هناك ما يتوخّاه الإنسان من حياته التي يعيشها، وهذه الغاية ـ بالاستفادة من النصوص الأخرى ـ تكون لمصلحة الإنسان، وهذا ما جعله يضع أمامه هذا السؤال في كل كتاب يُدرّسه وكل موضوع وباب فيه، بحيث يضع نصب عينيه الفائدة من دراسته وموقع هذه الفائدة داخل العلم وفي كل باب منه»[٢].

ب) الأمثلة التطبيقية والخلاصات

يعدّ علم أصول الفقه من العلوم الآلية التي لا تدرس لذاتها، وإنما باعتبارها «مُوصِلاً إلى العلم بالفقه، أو متعلّقًا به»[٣]، وليدرك الطالب، وبخاصّة المبتدئ، مدى حضور وفاعلية هذا العلم، وحضور كل مسألة من مسائله فيها له علاقة بعملية الاستنباط في الفقه، فمن المهمّ تربويًّا ومنهجيًّا إرفاق القاعدة الأصولية بأمثلة تطبيقية تُري الطالبَ مجالَ تطبيقها في الواقع الفعلي لعلم الفقه. وهو ما تنبّه له العلاّمة الفضلي أثناء تأليفه للكتاب، فأرفق معظم القواعد الأصولية وعناوين الكتاب بأمثلة تطبيقية تعين الطالب في فهم واستيعاب القاعدة بنحوٍ آخر في قبال الشرح التفصيلي للقاعدة.

وإمعانًا في بيان تلكم القواعد والمسائل، قد يخصّص الشيخ عنوانًا مستقلاً حول «كيفية استفادة الحكم الشرعي من الأمر» أثناء حديثه عن دلالة الأوامر في النصوص الشرعية على الوجوب أو الاستحباب، وكذلك يخصّص عنوانًا حول «كيفية استفادة الحكم من النهي»، وفي مثالٍ ثالث حول «كيفية استفادة الحكم من المفهوم» و«العامّ والخاصّ»، وهكذا.

وإضافةً إلى التطبيقات العملية، لا يخلو أي عنوانٍ رئيسٍ من خاتمة يلخّص فيها الشيخ أهم وأبرز العناوين الفرعية والتقسيمات التي حواها ذلكم العنوان، وعن طريق تشجيرات تيسّر على الطالب رسم خارطة ذهنية لمعظم عناوين الكتاب ومسائل علم أصول الفقه.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) حوارات في الدين والفكر واللغة مع الدكتور عبد الهادي الفضلي، منشورات لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي ـ القطيف، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، ص ٢٠٦.

(٣) الذريعة إلىٰ أصول الشريعة، الشريف المرتضىٰ (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ٢٩.

ج) تحليل بعض القواعد الأصولية

على الرغم من الإيجاز الذي يتّسم به كتاب المبادئ باعتباره مقرّرًا للمرحلة الأولى في دراسة الأصول، إلا أن الشيخ الفضلي طعّمه ببعض الإشارات العلمية لتوضيح أسس ومرجعيات بعض القواعد الأصولية التي تتطلّب ذلك، وبما يتلاءم وطبيعته في اليُسر والإيجاز.

فمن ذلك إشارته إلى الإجماع باعتباره أحد الأدلة الاجتهادية التي يرجع إليها الفقيه في الاستنباط، إذ يؤكّد هناك على أن الإجماع لا يكون دليلاً إلاً في حال تأكّد الفقيه بأن المعصوم عليه السلام أحد المُجمِعين، وإلاً لا يصحّ الاستدلال به. ليشير، أثناء حديثه عن «علاقة الإجماع بالسنّة»، إلى أن الإجماع إنما يستقي حجّيته في الاستدلال من كون المعصوم أحد المجمعين، فالإجماع حنيها «كالخبر المتواتر، فكما أن الخبر المتواتر طريق موصِلٌ إلى السنّة (أو إلى رأي المعصوم)، كذلك الإجماع طريق إلى السنة أيضًا. والفارق بينهما: أنّ الخبر المتواتر طريق لفظي، والإجماع طريق غير لفظي». وهذه من المسائل العلمية الدقيقة التي يتوسّع فيها البحث الأصولي المتقدّم.

وفي مثالٍ ثانٍ، أثناء بحث المؤلّف عن العامّ والخاصّ وآلية الجمع بينهما، يشير إلى مسألة تاريخية ترتبط بمسألة التدرّج في التشريع الإسلامي وعلاقتها بمسألة العامّ والخاصّ في النصوص الشرعية، فيقول: «لا يجوز الاستدلال بالعامّ والأخذ بمعناه الذي هو ظاهر فيه والذي يدلّ عليه إلاً بعد الفحص عن مخصِّصاته وعند التأكّد من عدم وجود أي خاصّ يخصّصه.

وذلك لأنه قد ثبت في تاريخ التشريع الإسلامي أن تبليغ الأحكام كان تدريجيًا، فكثيرًا ما كان يبلّغ الحكم عامًّا، ثمّ بعده بفترة من الزمن يبلّغ بما يخصّص ذلك العامّ».

قراءة في كتاب: (أصول البحث)(*)

■ الشيخ الدكتور عبد الجبار الرفاعي(•) ■

تعود محاولات تجديد وتطوير كتب الدرس الشرعي في الحوزة العلمية إلى ما يربو على نصف قرن مضى، عندما كان **الشيخ محمد رضا المظفر** ونخبة من العلماء المجددين منهمكين في بناء مؤسسة حديثة في النجف الأشرف تتجسد فيها أطروحتهم في التجديد.

وقد نجحوا ـ آنذاك ـ في إرساء الأسس العلمية (لجمعية منتدى النشر) التي ضمت مجموعة مدارس، تحتضن الطالب منذ بداية حياته العلمية حتى ينهي تعليمه الجامعي. ونشطت في المنتدى عدة فعاليات ثقافية، أقلها المحاضرات والندوات وإصدار النشرات والكتب.

وكان الرائد **الشيخ المظفر** من أبرز أولئك الرواد الذين حملوا هذا الهم، وواصلوا جهدهم من أجل بلوغ الأهداف سنين طويلة، بصبر وثبات، وجدية وإصرار، حتى استطاعوا أن يقدموا إنجازات مهمة في تطوير مناهج الدراسة، والدعوة للتخصص، وتقنين الدراسة والتدريس، وتحديد مراحل حديثة للسلم التعليمي، وتحديث أسلوب الإجازات العلمية باعتماد الشهادات والدرجات العلمية المعاصرة.

وربما لم يبلغ **المظفر** وأصحابه الهدف النهائي الذي كانوا يطمحون إليه، إلاّ أنهم قطعوا خطوات مهمة على الطريق، من خلال إرساء أسس منهجية للتجديد، وخلق نموذج عملي متميز للجيل اللاحق.

(*) مجلة التوحيد، العدد ٦٣، رجب ١٤٠٩هـ ـ فبراير (شباط) ١٩٨٩م.

(•) أستاذ الدراسات العليا في الفلسفة الإسلامية وعلوم الشريعة من العراق، أصدر ورأس تحرير مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ويدير حاليًّا مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد.

وحين نراجع خطواتهم نجد أن مشروعهم تبلور عام ١٩٣٥م، بعد أن تقدموا بطلب إلى وزارة الداخلية العراقية في ٤ شوال ١٣٥٣هـ (الموافق ١٠ كانون الثاني ١٩٣٥م)، لتأسيس جمعية دينية في النجف الأشرف باسم «منتدى النشر».

ثم أعقبتها محاولة لتنظيم الدراسة، وتبسيط الكتب الدراسية.

ثم حقق المشروع في عام ١٩٣٧م نقلة نوعية، حين وضعوا خطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهاد، بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم: الفقه الاستدلالي، والتفسير، وعلم الأصول، والفلسفة على شكل محاضرات، تقدم بلغة سهلة واضحة[(١)].

وفي سنة ١٩٣٩م، أسس صف لدراسة العلوم العربية، والمنطق، والفقه، والأدب العربي، وبعض الفروع الأخرى، واعتبر الطلاب المتخرجون من الصف السابق نواة لها، حيث بلغ عددهم ١٥٠ طالبًا.

وتم في عام ١٩٤٦م افتتاح أربعة صفوف، باعتبارها قسمًا متوسطًا للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها.

وتوجت هذه الأعمال بتأسيس «كلية الفقه» عام ١٩٥٨م، التي استوعبت مقرراتها الدراسية المواد التالية:

الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث والدراية، والتربية، وعلم النفس، والأدب وتاريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتاريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو، والصرف، وإحدى اللغات الأجنبية[(٢)].

وقد كان لمثابرة **الشيخ المظفر** وكفاحه الدور الأساس في تشييد هذه المؤسسة وتطويرها، فمثلاً، حين نلاحظ المناهج الدراسية في كلية الفقه، نجد الشيخ قد أسهم مساهمة كبيرة في وضع مجموعة كتب فيها.

---

(١) الآصفي، الشيخ محمد مهدي، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، ص ١٢٧-١٢٨

(٢) المصدر نفسه ١٢٨-١٢٩

إذ كان يلقيها لأول وهلة كمحاضرات على طلابه، ثم تم تدوينها فيما بعد، وأضحت مقررات دراسية في الكلية، كما في كتاب (**المنطق**)، وكتاب (**أصول الفقه**)، وكتاب (**الفلسفة**)، وإن كان الأخير لم يرَ النور حتى هذه الساعة، ولكن الأولين نشرا منذ ما يربو على ثلاثين عامًا، واعتمدا في الكتب الدراسية المقررة في الحوزة، بعد أن زحزح كتاب (**أصول الفقه**) كتاب (**القوانين**) وحل محله، وتقبل الكثير من طلاب الحوزة كتاب (**المنطق**) كبديل لكتب المنطق القديمة التي كانت تدرس في الحوزة.

ولم يقتصر دور الرائد **المظفر** على ذلك، وإنما كان ـ كما ذكر تلميذه **الشيخ الآصفي** ـ: «يباشر مهام الإدارة، والعمادة، والتأليف، وحتى تدوين السجلات في بعض الأحيان.

وكم رأيت الشيخ ـ والكلام **للآصفي** ـ، وهو يقوم بتدوين بعض سجلات الطلبة، أو مراجعتها أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الكاتبة»[1].

ولم تتوقف محاولات التجديد بعد **الشيخ المظفر**، وإنما واصل السير في الطريق نفسه بعض العلماء الذين تميز فيهم **الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر** في مشروعه التحديثي الواسع، الذي كان يطمح لإعادة بناء النظام التعليمي في الحوزة العلمية بتمامه، وقد استطاع بالفعل أن ينجز المرحلة الأولى من هذا المشروع العملاق، من خلال تجديد مقرر أصول الفقه، بتأليف كتاب مدرسي يتكون من ثلاث حلقات، تتدرج في مستويات ثلاثة للدراسات التمهيدية والمتوسطة (قبل مرحلة البحث الخارج) في هذا العلم، إلاّ أن يد نظام البعث الغادرة في العراق اغتالت **السيد الصدر**، ولما يتم مشروعه، الذي تجمد بعد استشهاده.

ولكن تلميذ هذين الرائدين (**المظفر والصدر**) **الدكتور عبد الهادي الفضلي** حاول أن يواكب المحاولات التحديثية في مناهج الحوزة، التي أرسى أسسها من قبل أستاذاه، فانبرى لتنفيذ المرحلة الثانية من ذلك المشروع الطموح، كما ألمح لذلك في مقدمة كتابه هذا الذي نحاول مراجعته الآن، بأنه منشغل في إعداد كتاب فقهي يمهد لحضور البحث الخارج الحوزوي ـ والدرس العالي الجامعي.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٠

وليست هذه هي الخطوة الأولى التي يخطوها الشيخ الفضلي على هذا الطريق، وهو الذي عرفته الحوزة العلمية وكلية الفقه في النجف الأشرف، من ألمع أساتذة اللغة العربية وآدابها، والفقه، والأصول، كما عرف كأستاذ متمرس في الأكاديميات العلمية في العراق، والعربية السعودية، والجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن أخيرًا.

وقد أسهم أيضًا في تطوير المناهج الدراسية في الحوزة والجامعة في أعماله التي طبعت غير مرة في النجف الأشرف وبيروت وإيران... وغيرها، والتي تمثلت في:

- مختصر الصرف.
- مختصر النحو.
- تلخيص البلاغة.
- تلخيص العروض.
- خلاصة المنطق ومناهج البحث.
- خلاصة علم الكلام.
- مبادئ أصول الفقه.
- تحقيق التراث.

وآخرها وليس أخيرها كتاب (**أصول البحث**) الذي صدر أخيرًا، والذي نحاول أن نستخلص أهم موضوعاته في الصفحات الآتية.

ماذا يعني أصول البحث؟

عرّف المؤلف في التمهيد للكتاب (البحث) بقوله:

البحث: هو استخعمال الوسائل العلمية من أفكار وأدوات، وفق قواعد المنهج، لمعرفة مجهولٍ ما.

أما أصول البحث، فتعني: قواعد البحث. وعلم أصول البحث يعني: دراسة قواعد البحث.

ثم أشار إلى تاريخ هذا العلم، موضحًا أن تاريخ أصول البحث يرتبط بتاريخ التفكير، ذلك أن البحث يعني التفكير، والمنهج يعني الطريقة، وكل تفكير ـ بدائيًّا

كان أو غير بدائي، أصيلاً أو غير أصيل ـ لا بدَّ من اعتماده على طريقة تساعده في الوصول إلى النتيجة.

ولذا كان المنهج توأم التفكير في الولادة، فهو قديم قدم التفكير.

□ مدخل إلى المنهج

بعد بيان معنى أصول البحث، وتقديم إلمامة مكثفة حول تاريخه، انتقل المؤلف إلى فصل آخر جعله كمدخل للمباحث الآتية في الكتاب، وفي هذا المدخل أنجز دراسة موجزة حول المعرفة وأنواعها ومصادرها.

وخلص إلى أن المعرفة تعني: مطلق الإدراك تصورًا كان أو تصديقًا، منظمًا أو غير منظم فيما حدد مصادرها بالوحي، والإلهام، والعقل، والحس.

والمقصود بالوحي ـ بحسب الاصطلاح الشرعي ـ هو:

- جبرائيل وسيطًا في نقل ما يؤمر بنقله من الله تعالى إلى الأنبياء.
- ما يتلقاه الأنبياء من علم من عالم الغيب، ويتمثل في شريعتنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وبذلك يكون الوحي مصدرًا من مصادر المعرفة، وبخاصة فيما يتعلق بالغيبيات وعالم الغيب.

أما الإلهام فهو مصدر آخر من مصادر المعرفة، وقد عدّه البعض من أنواع الوحي، فيما جعله آخرون رافدًا معرفيًّا مستقلاً.

والإلهام، كما عرفه المعجم الوسيط، هو: «إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يختص الله به بعض أصفيائه».

بينما عدد المؤلف للعقل أكثر من معنى، وهي:

(العقل الشرعي) الذي يميز بين الحق والباطل، والصواب من الخطأ، والنافع من الضار.

وإنما اصطلح عليه (الشرعي)، لأنه هو الذي يعتبر شرطًا في التكليف والخطابات الشرعية، وترتُّب الأحكام القانونية عليه في النظم الوضعية.

و(العقل الفلسفي) الذي يعني المبادئ العقلية (الفلسفية) التي يلتقي عندها جميع العقلاء.

و(العقل الاجتماعي) وهو المبادئ العقلية التي تطابقت واتفقت عليها آراء الناس العقلاء جميعًا، في مختلف مجتمعاتهم وشتى أزمانهم وأماكنهم.

و(العقل الخُلُقي) نسبة إلى الأخلاق حيث تقسمه الفلسفة الأخلاقية إلى قسمين:

- نظري: وهو الذي يتجه إلى ما ينبغي أن يعلم.
- وعملي: وهو الذي يتجه إلى ما ينبغي أن يعقل.

هكذا حاول المؤلف أن يصنف العقل، وربما تداخلت هذه المعاني الأربعة فيما بينها.

أما المصدر الأخير من المصادر التي ذكرها المؤلف للمعرفة، فهو (الحس). ويعني العلم والإدراك المتحصل من خلال الحواس الخمس، التي تمثل رافدًا مهمًا في اكتساب المعرفة.

ثم انتقل المؤلف إلى بيان أنواع المعرفة التي صنفها إلى:

الدين، والفلسفة، والعلم، والفن.

وما يريده بالدين هو الإسلام الذي عرّفه بقوله: «عقيدة إلهية يقوم على أساس منها نظام كامل وشامل لجميع شؤون الحياة».

بينما تختص الفلسفة بدراسة ما بعد الطبيعة (أو الميتافيزيقيا).

أما العلم، فيهتم بدراسة الطبيعة، ولذا يقال (العلوم الطبيعية)، كما يهتم بدراسة الإنسان، ولذا يقال: (العلوم الإنسانية).

والنوع الرابع للمعرفة هو الفن، وهو عبارة ـ حسب المعجم الفلسفي ـ عن: تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثرات بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ، ويشمل الفنون المختلفة كالنحت والتصوير.

وعلى هذا الأساس؛ يكون الفن ألصق بالعلوم الإنسانية، ونحسب أن هنالك تفاعلاً بين الأنواع الأربعة المذكورة للمعرفة، فالفلسفة تهتم بالغيب كما أن مساحة

كبيرة في الدين ترتبط بالغيب، ويلتقي العلم بالإيمان، والإيمان بالفن، كما ألمح المؤلف لذلك.

□ مناهج البحث

المنهج، هو مجموعة القواعد العامة التي يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة.

وباختصار، (المنهج) هو: طريقة البحث. ومن هنا تنقسم المناهج العامة إلى:

المنهج النقلي، والمنهج العقلي، والمنهج التجريبي، والمنهج الوجداني.

والمراد بالمنهج النقلي: طريقة دراسة النصوص المنقولة، وهو يعتمد على: توثيق إسناد النص إلى قائله، والتحقق من سلامة النص، وفهم مدلول النص.

وبذلك يستخدم هذا المنهج في دراسة كل المعارف التي يكون مصدرها النقل.

والمنهج العقلي يعني: طريقة دراسة الأفكار والمبادئ العقلية، ويقوم على قواعد المنطق الأرسطي، فيلتزم الحدود والرسوم في التعريف، والقياس والاستقراء والتمثيل في الاستدلال.

وهذا المنهج هو المتّبع في الدرس الفلسفي، والدرس الكلامي، والدرس الأصولي الآن.

أما المنهج التجريبي، فهو يعني: طريقة دراسة الظواهر العلمية في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وهو المنهج العلمي الحديث الذي يقوم على الاستقراء عن طريق الملاحظة والتجربة.

بينما يعني المنهج الوجداني: طريقة الوصول إلى معرفة التصوّف والأفكار العرفانية، والوجدان، وهو يوازي الحصول، ذلك أن الحصول على المعرفة يعني إعمال الفكر، بينما الوجدان يعني وجود المعرفة من غير إعمال لفكر.

ويعتمد على الرياضة الروحية، بغية أن تسمو النفس فترتفع إلى مستوى الأهلية والاستعداد الكافي لأن تلهم ما تهدف إليه.

ويستخدم هذا المنهج في طريقتي العرفان والتصوف.

وأشار المؤلف إلى مناهج عامة أخرى، هي:

- المنهج التكاملي: الذي يعني استخدام أكثر من منهج في البحث، بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزمات البحث.
- والمنهج المقارن: وهو الطريقة التي يتبعها الباحث في الموازنة بين الأشياء.
- والمنهج الجدلي: وهو يعني وفق المنطق الأرسطي المناظرة أو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات.

تلك هي مناهج البحث العلمي العامة، أما المناهج الخاصة التي عرّفها المؤلف بأنها: «مجموعة من القواعد وضعت لتستخدم في حقل خاص من حقول المعرفة، أو علم خاص من العلوم، وبذلك فهي تتعدد بعدد المعارف والعلوم».

وقد حاول هذا الكتاب أن يستوعب نموذجين من مناهج البحث الخاصة، وهما:

- منهج أصول الفقه.
- منهج الفقه.

لأن الهدف الذي وضع لأجله هذا الكتاب هو أن يكون مقررًا دراسيًّا لمادة أصول البحث في كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، التي تتركز الدراسة فيها على الفقه وأصوله.

□ مناهج أصول الفقه

لم يدون منهج خاص بأصول الفقه ـ كما صرح المؤلف بذلك ـ، مع أن علم الأصول هو علم المنهج في التراث الإسلامي، كما هو معروف، إلاّ أن أسس هذا المنهج لم تصغ وتستخلص من ذلك التراث، ولذا سعى المؤلف لاستخلاص الخطوط العامة لمنهج البحث الأصولي من عموميات الدرس الأصولي.

وقد اتضح لديه أن البحث الأصولي يسير وفق المناهج العامة التالية:

- المنهج النقلي في جملة من مسائله، كما في تعارض الخبرين.
- المنهج العقلي في مسائل أخرى، مثل البحث في حجية الظهور.
- المنهج التكاملي (النقلي والعقلي) في بعض المسائل، مثل الاستصحاب.

بعد ذلك، أعدّ المؤلف لائحة ببليوغرافية بمراجع أصول الفقه **الإمامي** المطبوعة، اشتملت على (٨٢) عنوانًا، وهي لائحة وافية، وإن لم تكن شاملة لكل ما هو مطبوع في هذا العلم.

ثم أتبع المؤلف هذا البحث ببحث آخر في مناهج البحث في الفقه، واقتفى فيه الطريق نفسه الذي سلكه في مناهج البحث الأصولي، ولكن بصورة تفصيلية موسعة، حيث انتقى نماذج لأبحاث فقهية استدلالية من كتابين، الأول بحث (الكر) اقتبسه من كتابه المخطوط (**دروس في فقه الإمامية**)، والثاني (أرض الصلح) من كتاب (**الأراضي**) **للشيخ محمد إسحاق فياض**.

كما اختار مجموعة مسائل مختلفة أخرى، وقام بتطبيق عدة قواعد لغوية، وأصولية، وفقهية، ورجالية، وتاريخية، وتفسيرية عليها.

وختم هذا الباب بذكر لائحة لأهم المراجع التي ينبغي أن يرجع إليها الباحث الفقهي عند إعداد بحثه.

وقد توافرت على خمسة عشر نوعًا من المراجع.

وتضمن الكتاب أيضًا، قراءة سريعة لأنواع البحث، ومجالاته، وأسلوبه. وقد اقتبس المؤلف نموذجًا للأسلوب العلمي للبحث، وهو بحث (المصالح المرسلة) من كتاب أستاذه **السيد محمد تقي الحكيم** (**الأصول العامة للفقه المقارن**).

ولم يهمل الحديث عن مسائل مهمة أخرى ذات علاقة مباشرة بأصول البحث، وهي: (صفات الباحث) و(طريقة أداء البحث) و(طريقة إعداد البحث).

فجاء كتابه هذا مستوعبًا للأسس المنهجية للبحث العلمي، مدوّنة بأسلوب علمي مدرسي مكثّف، يؤمّن للدارس مادة ضرورية في مناهج البحث العلمي، تُغنيه عن مراجعة العشرات من المراجع الخاصة بذلك؛ لأن المؤلف استطاع – بما اكتسب من خبرة علمية وعملية متراكمة في إعداد مقررات الدرس الشرعي – أن يحشد مادة علمية كثيرة ودقيقة في هذا الكتاب، في أصول البحث العلمي، الذي تعاني الدراسات الإسلامية ـ وبالأخص في الحوزة العلمية ـ من فراغ أساسي لدراسته.

وربما كان هذا الكتاب أفضل كتاب يمكن أن يُعتمد كمقرر دراسي في مناهج الحوزة العلمية، في مادة مناهج البحث العلمي، التي يلزم دراستها بموازاة دراسة الطالب للمنطق الأرسطي.

كتب وصلتنا: (القراءات القرآنية)(*)

■ الدكتور بكري شيخ أمين(•) ■

- **المؤلّف:** الدكتور عبد الهادي الفضلي.
- **الناشر:** دار القلم ـ بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

لو تتبعنا جهود العلماء المسلمين منذ نزل القرآن الكريم على الرسول الكريم ﷺ حتى يومنا هذا، لهالنا العدد الهائل من المؤلّفات العظيمة التي تخدم كتاب الله، وتحيطه بالاهتمام والإعظام، والخدمة والاهتمام، ولا أرفع من هذه الخدمة.

ولو أخذنا نقطة واحدة من هذا البحر العلمي الزاخر، تتصل بموضوع «القراءات القرآنية» على سبيل المثال، لوجدنا فيها مئات المصنّفات والمجلّدات، في قديم الزمان وحديثه، ومن أقصى بلاد الدنيا إلى أقصاها، في اللغة العربية وفي كل لغة من لغات الدنيا.

الطريف في هذا الأمر، أن عالمًا ينظر إلى موضوعٍ مّا من جانب من الجوانب، فيأتي عالم آخر فينظر إليه من جانب آخر ويؤلّف فيه كتابًا، ثمّ يأتي ثالث فينظر نظرة جديدة ويكتب كتابًا جديدًا، ثم يأتي رابع فيوضح وجهة نظر الرجل الأول، أو يصوّبها، أو يزيد فيها، ويؤلّف في ذلك كتابًا جديدًا .. وهكذا تمتدّ المكتبة القرآنية الشريفة غنائم فوق غنائم، وتزداد ثورة وغنى..

وأحبَّ الدكتور عبد الهادي الفضلي أن يكون بعض علمه خدمةً لكتاب الله، ابتغاء الأجر والمثوبة، وإرضاءً لله ولرسوله، واختار سبيله إلى ذلك البحث في القراءات القرآنية.

(*) المجلة العربية ـ الرياض. (لم نستطع ـ في لجنة المؤلّفات تحديد رقم وتاريخ العدد)

(•) أستاذ الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة حلب.

وعَرِفَ أنه ليس أول من سلك هذه السبيل، ولن يكون آخر سالكيها.. وقلّبَ المكتبة القرآنية واستعرض ما تركه الأوائل من آثار في موضوع القراءات، فوجد كتبًا كثيرة، ورائعة.

وكان من بعض ما وقف عليه، على سبيل المثال لا الحصر: كتاب السبعة لابن مجاهد، وكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، والروضة في القراءات الإحدى عشرة للبغدادي، وغاية الاختصار للهمداني، والموضح لنصر بن علي، والموجز للأهوازي، والشاطبية نظم أبي القاسم الشاطبي، وشروحها المتعدّدة.

كذلك وجد في المكتبة القرآنية رجالاً درسوا جوانب مختلفة من القراءات، وقد تمثّل هذا واضحًا في كتاب «كنز المعاني» لشعلة، الذي كشف عن كنوز ثرّة من اللهجات العربية في القراءات القرآنية. وكتاب «إبراز المعاني» لأبي شامة، الذي توافر فيه مؤلّفه على إبراز ثروة كبيرة في القراءات من المعاني النحوية والصرفية والصوتية. وكتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» لمكي بن أبي طالب، الذي ربط فيه كل وجه من وجوه القراءات بأصله من واقع الاستعمال العربي. وكتاب «المحتسب» لابن جنّي، الذي درست فيه وفرة من القراءات الشواذّ نحويًّا ولغويًّا.

ومن المحدثين كتب الدكتور عبد العال سالم علي «أثر القراءات في الدراسات النحوية»، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي «الإمالة في القراءات واللهجات العربية»، والدكتور عبد الصبور شاهين «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة»، والدكتور عبده الراجحي «اللهجات العربية في القراءات القرآنية».

غير أنه بقي مجال مهم في القراءات القرآنية لم يقدّر له أن يوفّى حقّه من الدراسة والبحث، وهو: «تاريخ القراءات القرآنية والتعريف بها»، فقد ذكر شيء كثير منه متفرِّقًا في طبقات القرّاء، ومقدّمات كتب القراءات، ومقدّمات كتب التفسير، وفصول من كتب تاريخ القرآن، إلى جانب إشارات هنا وهناك، وكلها بالقدر الذي لم يأتِ مستوعبًا لكل أطرافها ـ على قول مؤلّفنا ـ أو مستوفيًا لجميع جزئياتها، مما يجعل المجال المذكور حلقة تكاد تكون مفقودة في سلسلة الدراسات العربية والإسلامية.

ومن هنا، بدأ بحث الأستاذ الدكتور بمحاولة تدوين ما قد يعرف بالقراءات ونشأتها وتطوّرها، ومعناها، والاختلاف في حقيقتها، ومصادرها التي استقيت منها، وأسباب الاختلاف فيها، وأقسامها والفروق بينها، وأركان كل قسم، ومعنى الاختيار فيها، وما إليها..

لقد كان الباحث موفّقًا فيما ذهب إليه، وأضاف إلى المكتبة القرآنية أثرًا جديدًا.

ولئن كنّا نتمنّى عليه شيئًا، فهو التوسعة في الحديث عن المصحف المرتّل، وقيمة هذا العمل، بل قضائه على التشويه الرهيب الذي عمدت إليه دويلة العدو إسرائيل حين وزّعت في الدول الإفريقية بخاصّة مئة ألف نسخة من القرآن الكريم مفعمة بالأخطاء والنقص والتشويه، وجاء المصحف المرتّل فقضى على آمال إسرائيل، وزعزع كل بناء هدفت إلى إقامته.

إن حديثه في هذا الموضوع كان موجزًا، اعتمادًا على كتاب سابق ألفه السيد لبيب سعيد بعنوان: «المصحف المرتّل»، وفيه فصّل القول تفصيلاً كبيرًا.

على أن هذه الأمنية الصغير لا تقدّم ولا تؤخّر في تقدير أثر الدكتور الفضلي والثناء عليه.. جزاه الله خير الجزاء، وأدام توفيقه إلى صالح الأعمال.

قراءة في كتاب (التربية الدينية)

■ حسين منصور الشيخ ■

صدع رسول الله ﷺ بالإسلام في شبه الجزيرة العربية في مدينة مكّة المكرّمة، العاصمة الدينية للجزيرة العربية التي لم يكن كثير من أهلها يعيشون حالة من التديّن بأحد الأديان الإلهية، ولم تكن كثير من المفردات الدينية متداولة بينهم، ما خلا بعض الطقوس العبادية التي توارثوها.

فكانوا يحجّون ويطوفون حول الكعبة المشرّفة ويمارسون بعض أعمال الحج والعمرة التي هي من آثار الديانة الحنيفية الإبراهيمية.

ولّما صدع الرسول ﷺ بدين الإسلام حاول أن يغرس في نفوس هؤلاء العرب الإيمان بالله سبحانه ويعمّق هذا الإيمان في نفوسهم ليكون وسيلة لإيقاظ الفطرة الإنسانية فيهم، ولينعكس ذلك على واقع سلوكهم اليومي.

وقد حاول الرسول ﷺ عن طريق تعريف المسلمين بالعقائد الإسلامية الحقّة ـ التي كان من أهمها بيان صفات الخالق وإعطاء صورة موجزة عن النبوات السابقة ويوم المعاد ـ ربط المسلمين نفسيًّا وتاريخيًّا بالله سبحانه مصدر الوجود ومنتهاه.

وقد ساهم القرآن الكريم في وضع أسس العقيدة الإسلامية بجانب أحاديث ووصايا وتعاليم النبي محمد ﷺ.

وكان الغرض الأساس من توضيح هذه الأسس وشرحها هو تعميق هذه العقائد في نفوس المسلمين وربطهم بالله سبحانه بشِكْل أوثق وأعمق وأكثر تعلّقًا، وذلك لما لهذه الأسس من دور في إعطاء صورة مشرقة عن الدين الإسلامي مبدًا ومعادًا مقارنة بما سواه من معتقدات في ذلك الوقت. وتشكّل النصوص الإسلامية الأولى (القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ) العناصر الأولى لنشوء علم الكلام فيما بعد.

هذه النصوص التي صيغت بطريقة تتناسب والدور الذي كان من المفترض أن يؤدّيه علم الكلام لاحقًا، وهو تعميق الروح الإيمانية التوحيدية لدى الفرد المسلم وربطها بخالقها الذي يهبها الصفاء والإخلاص النفسيَّين.

ولكن بعد رحيل الرسول ﷺ واختلاف أمته على عدّة مذاهب وطرق واتجاهات أخذ كل فريق منهم يضع تصوّره الخاص حول مسائل العقيدة وأصول الدين، وأخذ ـ كذلك ـ يستدلّ على هذه التصوّرات، ما جعل علم الكلام ينحصر دوره في التدليل على المسائل العقدية وردّ شبهات كل فريق على الفريق الآخر، الأمر الذي حرف هذا العلم في أن يكون له الدور الإيجابي في مسألة تعميق العقيدة وتمكينها في نفوس المؤمنين بها.

☐ علم الكلام والمنهج العقلي

يعدّ علم الكلام من العلوم العقلية، وذلك لغلبة رجوع أهل الفن فيه إلى الاستدلال بالمبتنيات العقلية على جانب الاستدلال بالمنقولات من أصول الشريعة.

وهذا ما أبعد علم الكلام كثيرًا عن معطيات الوحي والنصوص الشرعية الأخرى وما لابس ذلك من وقائع تاريخية في كثير من بحوثه. فالإسلام عندما صدع به الرسول ﷺ واجه العديد من التساؤلات من بني محيطه وبيئته في أساس وأصل هذا الدين ونشأة الخلق ومنتهاه. وكان للنصوص الدينية ومواقف الرسول ﷺ دور بارز في الردّ على هذه التساؤلات.

بل إن جزءًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم معقود لبيان هذه الأصول ومناقشتها والردّ عليها، خصوصًا السور المكّية منها.

وهذه الإشارات نادرًا ما تواجه الدارس لعلم الكلام، وكأن المسلم يعيش تناقضًا بين تاريخه الإسلامي في عرض وردّ هذه المسائل وبين ما يدرسه كعلم متخصّص حولها وفيها، وكأنّ هناك افتراقًا واضحًا بينها.

وتتعمّق هذه النقطة لدى المسلم الناشئ الذي يدرس أسس العقيدة الإسلامية وَفْقَ المنهج الكلامي العقلاني، فحين يدرس تاريخ السيرة النبوية ويرى كيف كان النبي ﷺ يواجه قومه بالردّ على تساؤلاتهم واعتراضاتهم، وفي الوقت نفسه يرى ما كان يقوم به القرآن من عرض لهذه المسائل وردّها بالدليل السهل اليسير، إذ عادةً ما يدرس الناشئة السور القرآنية القصار التي غالبًا ما تكون سورًا مكّية تعالج مسائل

المبدأ والمعاد، لا يجد تناغمًا بين هذا الواقع التاريخي الإسلامي. وما يعطى كتأصيل لهذه العقيدة داخل علم الكلام، بسبب المعالجة العقلية الصرفة في كثير من مسائله.

□ المنهج التكاملي في دراسة علم الكلام

بين هذه المفارقة التي يقع فيها علم الكلام، وبين وضع مسائله وَنَظْمِها على شِكْلِ مسائل علمية مترتّبة في أبواب وفصول وعناوين تتناسب والنصوص الإسلامية المؤسِّسة، يقع المنهج التكاملي الذي يقترحه العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي في تدريس ووضع مسائل علم الكلام.

حيث يقترح سماحته أن تدرّس مسائل علم الكلام بالدمج بين معطيات الوحي والنصوص الدينية وبين مبتنيات العقل، خصوصًا أنه يذهب إلى أن مصادر المعرفة الإنسانية لا تنحصر في الحسّ والعقل ـ كما يعبّر الفلاسفة ـ، بل يضيف إليها الوحي والإلهام الإلهيين، ويعدّ إضافة هذين المصدرين من معطيات وإضافات الدين، فالفلاسفة ـ بدون النظرة الدينية ـ يحصرونها في الحس والعقل، ولكن واقع الدين يوسّع هذه المصادر ويربّعها[١].

وباعتبارٍ من هذا، لا يمكن إغفال معطيات الوحي في تأصيل المعرفة الإنسانية، بالخصوص العقدية منها، خصوصًا أن العلاّمة الفضلي يذهب ـ كما يذهب جميع المتديّنين بالإسلام ـ إلى ألاّ تعارض بين العقل والشرع/ الوحي، ويؤكّد هذا في أكثر من موضع. وربما انفرد بهذه النقطة في الجدل الدائر بين الأشاعرة والعدلية (المعتزلة والشيعة) في مسألة التحسين والتقبيح: هل يدرك العقل ذلك أو لا يدركه، حيث يذهب هناك إلى أن الجدل دائرٌ بين أمرين لا تعارض بينهما في الأصل، فسواء قلنا بإمكانية التقبيح العقلي أو لم نقل فلا ثمرة واقعية له، لأن ما يقبّحه العقل يقبّحه الشرع وما يحسّنه العقل يحسّنه الشرع والعكس صحيح.

وهو بهذا يبيّن ـ وبوضوح ـ أهمية هذه النقطة في تأصيل العقيدة وتقعيدها في علم الكلام والفكر الديني لدى المثقّف المسلم.

(١) انظر: أصول البحث للمؤلف، عنوان «مصادر المعرفة»، نشر الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٨ ـ ٣٢. وكذلك محاضرة للمؤلف بعنوان: «الإسلام والمفاهيم الضيقة».

وقد بيّن سماحته معالم المنهج التكاملي في دراسة علم الكلام في تقديمه لكتابه «خلاصة علم الكلام» تحت عنوان: «منهج علم الكلام».

◻ كتاب «التربية الدينية» ودوره في الموازنة

حينما ألف سماحة العلاّمة الفضلي كتابه «التربية الدينية» ـ وكان أول ما وضع من مقرّرات دراسية ـ كانت معظم المؤلّفات الكلامية المبسّطة ـ والمعمّقة منها ـ في الجوّ النجفي الحوزوي تتوسّل المنهج العقلي في عرض المادّة العلمية لعلم الكلام، وتتبع التقسيم الخماسي لأصول الدين: (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد).

ولكن سماحته سلك طريقًا آخر في استعراضه لهذه المادّة في «التربية الدينية»، حيث وضع الدليل العقلي بجانب الدليل القرآني والروائي (النقلي/ الوحي)، كما أنه ربّع أصول الدين، فحدّدها في: التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد.

مستثنيًا منها أصل العدل، حيث عدّه إحدى صفات الله تعالى التي تبحث ضمن أصل التوحيد تحت عنوان «كمال الله»، دون الحاجة إلى عدّه أصلاً مستقلاً، يقول في ذلك: «عدلتُ عن التقسيم الخماسي المعروف لأصول الدين، الذي يتضمّن (العدل) بالإضافة إلى الأصول الأربعة المذكورة؛ لأن منهجة البحث تفرض أن يدرج العدل ضمن (التوحيد)، لأنه صفة من صفات الله تعالى، ولأن إفراده من صفات الله تعالى، وعدّه أصلاً مستقلاً، نشأ نتيجة صراع فكري بين طائفتين من المسلمين اختلفتا في مفهومه، وليس في أصل وجوده واتصاف الله تعالى به»(١).

والشيخ الفضلي حينما سلك هذا المنهج في وضع «التربية الدينية» إنما انتخب ذلك انتخابًا من بين المناهج والطرق المطروحة في معالجة مادّة ومسائل علم الكلام، وذلك لما يتميّز به هذا المنهج مِنْ إبرازٍ للدور الذي من المفترض أن يقوم به علم الكلام، وهو ترسيخ العقيدة الإسلامية وأصولها من خلال معطيات العقل وما يعضّد ذلك من إشارات ونصوص الوحي الإلهي، وكذلك تطعيم هذه المواد والمسائل بشيء غير يسير من التاريخ الإسلامي الذي يصب في هذا الاتجاه.

◻ منهج المؤلّف في الكتاب

قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول: مقدّمة اشتملت على تعريف بأهم المصطلحات الأساسية في الكتاب. أصل التوحيد. أصل النبوّة. أصل الإمامة. أصل

(١) التربية الدينية، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٥، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص ٢٧، هامش (١).

المعاد. وقد تنوّع منهج المؤلّف في معالجة موادّ ومسائل الكتاب إلى نوعين، وذلك تبعًا لطبيعة المادّة المبحوثة، فمعظم مسائل التوحيد والمعاد تدور حول الأمور الغيبية، ولا يمكن التعامل معهما تعاملاً ماديًّا أو طبقًا لقوانين وأحكام الواقع المادّي، كما أنه لا يمكن الاعتماد في التحليل والتدليل عليهما على نتائج العقل وحده، وذاك لقصور العقل الإنساني عن إدراك بعض متعلقاتهما الغيبية الخالصة.

لذلك حاول المؤلّف في هذين الأصلين ـ وأصل التوحيد بالذات ـ أن يأتي بالأدلة العقلية التي يذكرها الكلاميون ليعرضها عرضًا ميسّرًا معضِّدًا ذلك بالآيات القرآنية التي تناولت هذه الأدلة مع شرح لكل آية يتناسب والمرحلة العمرية التي يخاطبها الكتاب (١١ ـ ١٣ سنة).

وقد قسّم المؤلف أصل التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وجود الله تعالى. وحدانية الله. كمال الله، حيث عرض في هذا القسم مظاهر كماله تعالى في صفاته من العلم والقدرة والعدل والحياة وغيرها.

بينما قسّم أصل المعاد إلى قسمين: الأول: أدلة المعاد، مقسِّمًا الأدلة إلى: نقلية قرآنًا وسنةً وإجماعًا، وعقلية. والآخر: مراحل المعاد.

ولذلك فإن المؤلف قد اقتصر في هذين الأصلين على عرض مسائلهما والتدليل عليها من العقل والنقل. بينما سلك في أصلي النبوّة والإمامة مسلكًا مغايرًا، وذلك لاختلاف طبيعة هذين الأصلين عن سابقيهما، باعتبار أن النبي والإمام كما يرتبطان في جانب من جوانبهما بالغيب، فهما أقرب في كثير من الجوانب الأخرى إلى الحالة التاريخية الواقعية، ولذلك ترتبط كثير من مسائلهما ارتباطًا وثيقًا بالجانب التاريخي، ولا يمكن فهم كثير من ملابسات هذه المسائل إلا من خلال البحث التاريخي ودراستها من خلال واقعها العملي الميداني وربطها بالأحداث والوقائع الأخرى.

وبحث هذين الأصلين بالالتفات إلى هذه النقطة هو مما تميّز به الكتاب، وقد تطلّب ذلك من المؤلِّف أن يبدأ الفصل بذكر الأسس النظرية والمصطلحات العلمية الخاصة بالأصل لينتقل بعدها إلى عرض تاريخي لحياة نبينا الأكرم محمد ﷺ في أصل النبوّة، وذلك كنموذج لسيرة وصفات الأنبياء. وهكذا في أصل الإمامة، حيث يبدأ بذكر الأسس النظرية لأصل الإمامة من الأدلة والمفاهيم، لينتقل بعدها إلى سرد

تاريخي مختصر لحياة الأئمة الاثني عشر ، يتعرّف الدارس من خلاله إلى أصل الإمامة من واقعه التاريخي لا النظري فقط.

□ إضاءات على كتاب «التربية الدينية»

ومما تميّز به الكتاب:

١. دراسة أصول الدين وَفْقَ المنهج التكاملي

تمّت الإشارة في صدر الحديث إلى أن المؤلِّف سلك في ترتيب وعرض موادّ ومسائل الكتاب المنهجَ التكامليَّ الذي اقترحه في دراسة علم الكلام، وهذه النقطة تعدّ من مميزات الكتاب، وذلك لما يحمله هذا المنهج من ربط وثيق بين معطيات الدين الإلهية ومعطيات العقل البشرية، ما يؤسِّس تاليًا لثقافة دينية عقلانية عند المسلم تتعقّل المسائل الدينية بعمق إيماني خالص.

٢. التخلّص من المصطلحات القديمة

وُضِعَ هذا الكتاب/ المقرّر للأعمار ١١ ـ ١٣ سنة، وقد تطلّب هذا الأمر من المؤلّف أن يراعي مسألة المرحلة العمرية في مصطلحات الكتاب وأسلوب الخطاب فيه، فبدلاً من التعبير بِـ «دليل السببية» عبّر بِـ «الشعور بالسببية»، وعوضًا عن «الدليل الفطري» عبر بِـ «فطرة التديّن»، كما عبّر بِـ «استقامة النظام الكوني» بدلاً عن «دليل النظام»، وغيرها من التعابير القديمة التي قد لا تتناسب وهذه المرحلة.

٣. خضوعه للتجربة والمراجعة

أشار المؤلِّف في مقدّمة الطبعة الرابعة للكتاب بأنه كان «خلاصة وافية في التعريف بأصول العقيدة الإسلامية في إطار دراسة منهجية، أخضعت للتجربة عشر سنوات في مجال دراسة الحلقات الدينية ومجال الدراسة المتوسطة الصفية، أجري عليها شيء من التعديل والتهذيب بما يعطي الوثوق بصحة المنهج واستقامته».

وهذه النقطة من أهم مميزات الكتاب، حيث إنه كان يخضع لعملية مراجعة وتطوير من خلال ملاحظات المعلمين والتربويين، وهذا كفيل بظهور أثرٍ بارز فيه للفترة الزمنية لتجربة الكتاب.

٤. تطعيمه بالنصوص المساعدة

بعد نهاية كل موضوع رئيس، يطعّم الشيخ الكتاب بنصوص مساعدة تصب في الموضوع نفسه، ففي نهاية الفصل الثاني (أصل التوحيد) حيث تناول هناك مواضيع: توحيد الله ووحدانيته وكماله، يختم الفصل بذكر آيات سورة التوحيد التي تحتوي على عدد من صفات الله تعالى، ومنها صفة الوحدانية. وكذلك ذكر آيات من وصايا لقمان التي تحتوي على ذكر لبعض صفات الله تعالى.

وبعد استعراضه لسيرة مختصرة عن نبينا محمد ﷺ، يعرض حديثًا عن النبي ﷺ بعنوان «المسؤولية العامّة»، يتحدّث فيه عن سيرة الرسول ﷺ في توزيع المسؤوليات داخل المجتمع الإسلامي.

وهكذا، بعد الانتهاء من الحديث عن الأئمة ﷺ، يورد شيئًا من وصاياهم أو آثارهم المهمّة، كنهج البلاغة للإمام علي عليه السلام أو الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام، أو الحديث عن بعض تفاصيل المعاد، حيث ينهي الحديث هناك بذكر لسورتي الزلزلة والقارعة.

٥. التحليل التاريخي للأحداث

سبقت الإشارة إلى أن المؤلِّف حينما تناول أصلي النبوّة والإمامة سلك في تناولهما عرضَ شيءٍ من السرد التاريخي لحياة النبي محمد ﷺ في أصل النبوّة وسرد مختصر لسيرة الأئمة الاثني عشر ﷺ، ولكن هذا السرد لم يكن عرضًا تاريخيًّا مجرّدًا، بل حاول العلاّمة الفضلي أن يضفي عليه شيئًا من التحليل لبعض المواقف، حتى يفهمها المتلقي ضمن سياقها وملابساتها المحيطة بها.

فعند بدء استعراضه لحركة الدعوة الإسلامية على يد النبي محمد ﷺ بيّن أن أي حركة إصلاحية لا يمكن أن تؤدّي مفعولها وتحدث تغييرًا داخل بيئتها الاجتماعية ما لم تتوفّر على ثلاث قوى، هي القوة الفكرية والمالية والاجتماعية، ثم بيّن أن النبي ﷺ ـ في حركته الدعوية ـ قام بتأمين هذه القوى الثلاث، حيث تمثّلت القوة الفكرية في إعداده الفكري والرسالي للإمام علي عليه السلام، والقوّة المالية في الدعم المالي الذي قدمته زوجه السيدة خديجة ﷺ، بينما تمثّلت القوّة الاجتماعية في الدعم والمساندة التي كان يقدّمها عمّه أبو طالب عليه السلام بسبب ما كان يملكه من وجاهة اجتماعية في قريش.

وهكذا، عندما تناول حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته في معركة كربلاء، بيّن الأثر السياسي والاجتماعي والفكري لهذه الواقعة من خلال استعراضه لأهم نتائج هذه الحركة، يقول في هذا الصدد:

«وأهم ما استفاده المسلمون من شهادة الإمام الحسين عليه السلام في القضاء على الأمويين ما يلي:

١) كشفت شهادته عليه السلام واقع الحكّام الأمويين. وفضحت أن تستّرهم بالإسلام كان خديعة للمسلمين.
٢) بعثت الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الواعين من المسلمين فكانت العامل الوحيد لثورة التوّابين.
٣) دفعت المسلمين إلى الثورات المتتالية ضدّ الأمويين، وقد تمثل هذا الدفع في ثورات العلويين.
٤) ساهمت كعامل أهم في سقوط الدولة الأموية»[(١)].

□ التربية الدينية وحركة النشر

ظهرت في النجف الأشرف في خمسينيات القرن الماضي جمعيات ومؤسسات ثقافية عديدة، كان همّها النهوض بالحركة الثقافية في مدينة النجف، كان من بينها: «جمعية منتدى النشر»، التي «أُسست عام ١٣٥٤هـ، وقامت بدور تطوير الحياة الدراسية والثقافية في النجف الأشرف، ففتحت «المجمع الثقافي» الذي قام بإعداد عدّة مواسم ثقافية، وألقيت فيها الكثير من المحاضرات العلمية والأدبية، وبإصدار ونشر بعض الكتب، أمثال: حقائق التأويل (الجزء الخامس) للشريف الرضي، والشيعة الإمامية للشيخ محمد حسين المظفّر ... وفتحت مدرسة ابتدائية، تمتاز بتخصيص حصّة في كل يوم لدرس الصلاة التطبيقي، وبالتوسع في منهج التربية الدينية.

ومدرسة ثانوية، تمتاز بالتوسع في منهج التربية الدينية، وبإضافة مناهج خاصّة لعلم العقيدة الإسلامية وعلم الفقه وأصول الفقه وعلم المنطق»[(٢)].

---

(١) التربية الدينية، مصدر سابق، ص ١١٢.

(٢) دليل النجف الأشرف للمؤلّف، منشورات مكتبة التربية في النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، ص ١٠٢.

وهذه المدارس الأهلية التي أسستها «جمعية منتدى النشر» كان بإمكانها ـ حسب نظام وزارة المعارف العراقية في ذلك الوقت ـ أن تتوسّع في مادّة التربية الدينية، بأن تضيف على المقرّر الرسمي الذي تصدره الوزارة ما تراه مناسبًا من مقرّرات تضعها أو تختارها.

وقد طلبت الجمعية ـ التي كان يرأسها مؤسِّسُها الشيخ محمد رضا المظفّر ﴿رحمه الله﴾ ـ من الشيخ الفضلي وضع مقرّر التربية الدينية ليعتمد في مدارس جمعية منتدى النشر مقررًا دراسيًّا رسميًا.

يقول المؤلّف عن تأليفه ووضعه لهذا المقرّر: «أُخضع الكتاب للتجربة فترة من الزمن قمتُ خلالها بتدريسه، وسجلتُ ملاحظاتي التي ظهرت لي أثناء عملية التعليم، ثم قام معلمون آخرون بتدريسه وسجلوا عليه ملاحظاتهم. وبعد هذه التجربة، قمتُ بصياغته صياغة نهائية وتعديله وَفْق الملاحظات التي ظهرت أثناء قيامنا بتدريسه.

وكانت أول طبعة منه بمساعدة من السيد محسن الحكيم ﴿قدس سره﴾، وبعد ذلك تكررت طبعات الكتاب. فالسيد الحكيم ﴿قدس سره﴾ قام بطبعه عدّة مرات ليبعثه مع الرسالة العملية ككتاب مبسّط عن أصول الدين، حيث كانت الطريقة المتبعة قديمًا أن يُقدَّم للرسالة العملية بمقدّمة بسيطة عن أصول الدين، ليشرع الفقيه بعد ذلك بتناول فروع الدين التي تمثّل مجمل أبواب الفقه.

كما أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﴿قدس سره﴾ ساهم في طبعه ونشره. وبعد ذلك أخذ الكتاب طريقه إلى النشر من قبل الناشرين دون علم أو متابعة من قبلي.

وفي الفترة التي اعتمد الكتاب كمقرّر دراسي في متوسطات جمعية منتدى النشر سلك طريقه أيضًا في حلقات الدراسة الحوزوية، بجانب ما يدرسه الطالب في مرحلة المقدّمات، حيث يدرسه مقدّمةً لدراسة علم الكلام فيما بعد»(١).

وعن سبب اختياره من بين علماء ومنتسبي الحوزة في النجف لوضع المقرّر، يقول: «ربما كان القائمون على جمعية منتدى النشر يقدّرون بأني الأكثر معرفة وخبرة في مسألة الكتابة المنهجية؛ لأن الكتاب الدراسي لا بدَّ أن يكون منهجيًا يجمع بين

---

(١) مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ حوار مع العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي حول تحديث نظام الدراسة الدينية، ص ١٦٥.

عنصري التعليم والتربية، وعلى هذا الأساس تمّ اختياري، لما يعتقدونه من أني الأقدر على تحقيق هذين العنصرين»[١].

وعن انتشار الكتاب في مناطق العراق يشير المؤلف إلى أن الكتاب: «كان ـ في البدء ـ مقرّرًا دراسيًّا لمدارس جمعية منتدى النشر فقط، ثم أخذ طلبة الحوزة المبتدئون دراسته كمقرّر من مقرّرات مرحلة المقدّمات بجانب المقدّمة الآجرومية وغيرها من الكتب الأولى التي يدرسها طالب الحوزة في هذه المرحلة.

هذا بالإضافة إلى اعتماده في الدورات التي كانت تفتح للتعليم الديني في فترة الصيف في مكتبات السيد الحكيم المنتشرة في مناطق العراق، وذلك لسهولة تناول المادّة العلمية فيه بالمقارنة مع غيره من المقررات»[٢]. وقد تعدّدت طبعات الكتاب بعد ذلك في العراق ولبنان وإيران.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٦.

قراءة في كتاب (خلاصة المنطق)

■ حسين منصور الشيخ ■

احتاج الإنسان منذ القدم إلى أن ينظّم معلوماته ومعارفه ضمن علوم محدّدة وقواعد منظّمة، وذلك لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة من هذه المعلومات والمعارف في إعمار الأرض وتحسين ظروف عيشه عليها.

ويعدّ اليونانيون من أوائل الشعوب التي حاولت أن تقوم بهذه التجربة، فنظّموا معارفهم تحت منظومة ما عُرِفَ آنذاك بِـ (الفلسفة) أو الحكمة.

فكانت الفلسفة اسمًا عامًّا «لجميع العلوم الحقيقية، وكانوا يقسّمونها [اليونانيون] إلى قسمين رئيسين، هما: العلوم النظرية والعلوم العملية.

فالعلوم النظرية تشمل الطبيعيات والرياضيات والإلهيات. والطبيعيات تشمل بدورها علمَ الفلك والمعادن والنبات والحيوان، وتتشعّب الرياضيات إلى: الحساب والهندسة والهيئة والموسيقى. وتنقسم الإلهيات إلى قسمين: ما بعد الطبيعة أو البحوث العامّة للوجود ومعرفة الله.

والعلوم العملية تتشعّب إلى ثلاثة أنواع، هي: الأخلاق وتدبير المنزل وسياسة المدن»[1]. ومع تقدّم الإنسان واتساع معارفه تقدّمت العلوم والمعارف، وما عاد التقسيم القديم ـ الذي كانت تجمعه أقسامُ الفلسفة اليونانية ـ صالحًا، فنشأت بعد ذلك تقسيمات وعلومٌ جديدة.

وقد أدرك العلماء والحكماء منذ القدم حاجتهم إلى علم يختص بتنظيم هذه العلوم وضبطها، فوضعوا ـ لأجل ذلك ـ ما عُرِفَ لاحقًا بِـ (علم المنطق).

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي المصباح اليزدي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، ط ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ج١/ ١٧ ـ ١٨.

وهو العلم الذي ينسب إلى الفيلسوف الإغريقي أرسطو طاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م.)، حيث يعدّ «أول من هذّب علم المنطق ورتّب مسائله وفصوله»[١]، وأول من ألف فيه[٢].

وانطلاقًا من وظيفة هذا العلم تعدّدت تسمياته، فكانت كلها تدور حول معنى واحد، وهو العلم الذي ينظّم قواعد التفكير العلمي الصحيح.

فـ «سَماه أرسطو بِـ (علم التحليل)، وبقي على هذا الاسم حتّى أطلق عليه شرّاح كتب أرسطو اسم (علم المنطق). وعرف عند العرب بهذا الاسم، كما أنه عرف عندهم أيضًا بِـ (علم الميزان).

وأطلق عليه أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ = ١١١١م) عنوان (معيار العلم)، وعنون كتابه في فن المنطق به.

وسمّي عند فلاسفة بور رويال (Port-Royal Logic) بِـ (فنّ التفكير).

[كما] أن مجموعة كتب أرسطو في المنطق عرفت [قديمًا] بِـ (الأورگانون Organon)، وهي كلمة يونانية معناها آلة العلوم؛ لأن المنطق يقوم بوظيفة المنهج العلمي العام لكل العلوم، فهو آلة ووسيلة يعتمدها العالِم في تنظيم بحثه ليصل إلى نتائج علمية سليمة.

وتبعه في ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) فوصفه بأنه «خادم العلوم؛ لأنه آلة لها ووسيلة إليها»[٣].

ونعته أبو نصر الفارابي (٨٧٤ ـ ٩٥٠م) بِـ (رئيس العلوم)؛ لأنه الجذر الأساس لشجرة المعرفة، من حيث إنه المنهج العام في البحث عن تحصيل المعرفة.

وأطلق عليه الشيخ الرئيس في كتابه (منطق المشرقيين) اسم: العلم الآلي؛ لأنه آلة العلوم، أي منهجها العام في كل بحث»[٤].

(١) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ط ١٩٨٢م، مادّة المنطق، ج٢/ ٤٢٨.

(٢) من النبذة التاريخية لعلم المنطق في مقدّمة الكتاب.

(٣) المعجم الفلسفي، مادّة المنطق.

(٤) من النبذة التاريخية في مقدّمة الكتاب.

☐ علاقة علم المنطق ببقية العلوم

حينما يؤسَّس علم من العلوم لا بدَّ أن يراعي واضعوه بعض الخطوات التي عادةً ما تتبّع في وضع أي علم، ومن هذه الخطوات:

- التأسيس النظري لأهمّية ومبادئ العلم.
- وضع آلية محدّدة لتبويب العلم وتقسيمه.
- وضع المصطلحات العامّة له والخاصّة بكل فصل من فصوله.
- الاستدلال على النظريّات المؤسّسة له.

وغيرها من الأسس والقواعد والضوابط العلمية المتبعة.

ويشير الباحثون إلى أن التأسيس النظريّ لأهمية العلم ووضع مبادئه الفكرية أصبحت من أبرز إسهامات الجهد الفلسفي في العلوم، وهو ما يسمّى بفلسفة العلم[١].

بينما تتولى مناهج البحث العلمي مسألة التبويب والتقسيم داخل الفصول، وإن كانت الخلفية النظرية لطبيعة وتراتب الفصول لها ارتباط بعلم المنطق وفلسفة العلوم. وفيما يخص وضع المصطلحات وتعريفها والاستدلال على النظريّات وقضايا العلوم، فهي من أهم إسهامات علم المنطق في خدمة بقية العلوم.

ولأنَّ أي علم من العلوم لا يبقى على الحال التي أسّس عليها بل يواصل علماؤه وباحثوه تطويره وتحديثه والزيادة فيه والنقص منه، فتظل مسألة الحاجة إلى المنطق متلازمة ما بقيت هذه العلوم.

وفي هذه النقطة يقول المؤلّف: «علم المنطق يهيئ لنا قواعد التعريف وقواعد الاستدلال وقواعد المنهج أو طريقة البحث العلمي، فيعلمنا: كيف نعرِّف الأشياء تعريفًا يبيّن حقيقتها أو يوضح معناها ... ويعلمنا: كيف نستدل على صحّة الفكرة أو خطئها .. ويعلّمنا: كيف نبحث المعلومات بحثًا منظمًا يبعّد البحث عن العقم أو الوقوع في الخطأ»[٢].

---

(١) انظر: المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، مصدر سابق، ج١/ ٦١ ـ ٧١.

(٢) موضوع علم المنطق في مقدّمة الكتاب.

□ علم المنطق وعصمة الذهن عن الخطأ في الفكر

المناطقة في تعريفهم للمنطق يشيرون إلى الغاية من دراسته، فيقولون في تعريفه: «**المنطق**: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر»[١].

وعلم المنطق من أوائل العلوم التي يتعلّمها المختصّ في دراسة العلوم الدينية ويبدأ بها مشواره الدراسي، فعندما يواجهه تعريف المنطق بهذه الصورة عادةً ما تصيبه نشوة من الفرح والسعادة؛ لأنه مقبل على دراسة علم ستعصمه موادّه وقواعده عن الوقوع في الخطأ في الفكر مستقبلًا.

وربما تظلّ هذه الفكرة مسيطرة عليه، لدرجة ترى البعض يتمسّك ـ في محاوراته ـ بتلك العبارات والمصطلحات المنطقية ظنًّا منه أن هذه القواعد والمصطلحات المنطقية تعصم فكره عن الوقوع في الخطأ.

وحول هذه النقطة، يشير المؤلّف في حوار نشرته مجلة الكلمة في عددها الـ ٥٥ إلى الخلل الموجود في هذا التعريف، فيقول: «في كتاب خلاصة المنطق لم أُشِرْ إلى هذه النقطة (عصمة الفكر عن الوقوع في الخطأ) تحت عنوان الغاية من دراسة العلم، وإنما ذكرتها كأحد القيود التي يضعها بعض المناطقة في تعريفهم للمنطق. ومن الجيّد الالتفات إلى هذه النقطة حيثُ يُغفل الإشارة إليها في تدريس المنطق، فالمناطقة في تعريفهم لعلم المنطق يعرّفونه بأنه: «آلة قانونية تعصم مراعاتها الخطأ في الفكر»، وفي مجال التطبيق نجد أن هذه النقطة غير متوفّرة من أكثر من جهة:

الأولى: أن المنطق علم يدرس كيفية تعريف المفردات والاستدلال على القضايا، ولكنّه يدرسها شكلًا لا مضمونًا، بمعنى أن علم المنطق لا يدرس صحّة مضمون كل عبارة في التعريف، وكذلك لا يدرس صحّة مضمون كل عبارة في الاستدلال، وإنما يدرس الآلية الشكلية للتعريف أو الاستدلال، وما دام الأمر لا يطال صحّة المضمون فلا يمكن أن يعصم المنطقُ الإنسانَ من الخطأ.

والثانية: أن من يدرس المنطق لا يُعْصَم فكره من الخطأ في الواقع العملي.

(١) انظر: تعريفات الجرجاني: مادّة منطق. شرح الشمسية للقطب الرازي ص ١٦، والمنطق للشيخ المظفّر ١/ ١٠ وغيرها.

ومن جهة ثالثة: كان المفترض من علماء المنطق أن يتبينُوا الغاية من علم المنطق من خلال تتبّع مفردات العلم نفسه، ومن الواضح أن علم المنطق يركّز في دراسته على نقطتين أساسيتين، هما: التعريف والاستدلال»[1].

□ علم المنطق والواقع الإسلامي

تُرجِمَت كتب أرسطو في علم المنطق «إلى العربية في القرن الثاني الهجري، وقيل في القرن الأول، من قبل النَّقَلَةِ السريان، وأشهرهم إسحاق بن حنين (ت ٩١١م) الذي ترجم كتاب (المقولات)»[2].

ثم توالت الترجمات لكتب منطقية كثيرة إلى اللغة العربية، ولم يعد المنطق مجرّد علمٍ وافد، بل أصبح له حضوره الطاغي والمؤثّر في معظم علوم الحضارة الإسلامية، بما فيها العلوم الدينية.

بل يُعَدُّ حضوره في الدراسات والعلوم الدينية هو الأبرز، وبخاصة في عصرنا الحاضر، ذلك أن أكثر العلوم الحديثة قد تخلّصت ـ تقريبًا ـ من طغيان الأسلوب الفلسفي في الاستدلال، الذي يقوم ـ في واقعه ـ على المجرّدات الذهنية، وهو المنهج الذي يتعارض وأسلوب البحث العلمي الحديث الذي يقوم ـ أساسًا ـ على عدم الاكتفاء بالتحليلات الذهنية المجرّدة، وإنما تكون التجربة والملاحظة والتتبع هي قوام مسائله ونظرياته.

ولذلك ظلّ علم المنطق ـ حتّى اليوم ـ متداولًا في معاهد الدراسات والحوزات الدينية.

□ «خلاصة المنطق».. حلقة في مشروع التجديد

لا يزال يشكو نظام الدراسة الدينية في الواقع الإسلامي من مسألة عدم المعاصرة وعدم كفايته بحاجة المسلم المعاصر، وذلك يعود إلى أسلوب الدراسة القديمة، التي ما زالت ـ في كثير من مواقعها ـ تدرّس بأسلوب الحلقات الجوامعية، وكذلك إلى المقرّرات الدراسية القديمة، إذ يعود تأليف معظمها إلى فترات زمنية بعيدة لا تتناسب والعصر الراهن، لا من حيث عرض المادّة العلمية ولا من حيث

(١) مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، حوار مع العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي حول تحديث نظام الدراسة الدينية، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) من النبذة التاريخية لعلم المنطق في المقدّمة.

المنهج المتبع في التأليف، إضافةً إلى أن المادّة العلمية نفسها لم يُجْرَ عليها شيء من التغيير والتطوّر إلاّ القليل.

من هذه الخلفية، انطلقت في منتصف القرن الماضي كثير من دعاوى التجديد في نظام الدراسة الدينية في النجف الأشرف، وكانت هذه الدعاوى تتضمّن التجديد في الأسلوب الدراسي بجانب تجديد المناهج والمقرّرات الدراسية للعلوم الدينية.

وتعدّ تجربة كلية الفقه بالنجف الأشرف أولى تلك التجارب، وهي «مؤسّسة دينية عالية، فتحت عام (١٩٥٨م) من قبل (جمعية منتدى النشر) برئاسة الشيخ محمد رضا المظفّر (١٣٢٢ ـ ١٣٨٣هـ) لتخريج ذوي اختصاص بالعلوم الإسلامية واللغة العربية. ومدّة الدراسة فيها أربع سنوات»[(١)].

ولخلق بيئة علمية ملائمة، لم يكتفِ الشيخ المظفّر بإحداث أسلوب جديد في الدراسة الدينية، بل وضع مقرّرات دراسية تتلاءم وهذه البيئة الحديثة، فألّف كتابه (المنطق) بديلًا عن كتب المنطق القديمة، وألّف (أصول الفقه) بديلًا عمّا كان يدرس في وقتها ككتاب معالم الدين للعاملي الجباعي (ت ١٠١١هـ).

في جوّ هذه التجربة التحديثية يبرز دور العلاّمة الفضلي، ذلك أن «جمعية منتدى النشر» طلبت منه تأليف مقرّر دراسي يكون مقدّمة لكتاب المنطق للشيخ المظفّر، فألف سماحته خلاصة المنطق، «ليكون مقدّمة لكتاب المنطق للشيخ المظفّر، ومبادئ أصول الفقه كمقدّمة لأصول فقه المظفّر أيضًا»[(٢)].

وعن سبب اختياره لوضع المقرّرات الدراسية من قبل «جمعية منتدى النشر» يقول موضِّحًا: «ربما كان القائمون على «جمعية منتدى النشر» يقدّرون بأني الأكثر معرفة وخبرة في مسألة الكتابة المنهجية؛ لأن الكتاب الدراسي لا بدَّ أن يكون منهجيًّا يجمع بين عنصري التعليم والتربية، وعلى هذا الأساس تمّ اختياري؛ لما يعتقدونه من أني الأقدر على تحقيق هذين العنصرين»[(٣)].

---

(١) دليل النجف الأشرف للمؤلف، منشورات مكتبة التربية في النجف الأشرف، ص ٧٦.

(٢) مجلّة الكلمة، مصدر سابق، ص ١٥٩.

(٣) م. س، ص ١٦٥.

□ « خلاصة المنطق، ومشروع التجديد عند العلاّمة الفضلي

يشير الدكتور الفضلي في حوار مجلة الكلمة إلى أن العامل المساعد في **أن يتوجّه** هو وغيره «للاهتمام بمسألة التجديد في الحوزة ذلك **الجوّ العام في النجف في ذلك الوقت**، حيث كانت هناك عوامل كثيرة تحفّز بهذا الاتجاه، فهناك من يعملون ويحاولون تطوير الدراسة أو الوضع الدراسي الديني في النجف الأشرف حتى يصبح أكثر فائدة»[(١)].

ولكن الشيخ الفضلي ـ في هذا الحوار ـ يلفت النظر إلى نقطتين رئيستين في مسألة تجديد المقرّرات الدينية: تتعلق المسألة الأولى منهما بالجانب التربوي في وضع المنهج الدراسي، بينما تتعلّق النقطة الأخرى بمحتوى ومضمون المنهج الدراسي.

رافضًا أن يكون مجرّد الاقتصار على تبسيط لغة العلم كافيًا لإطلاق هذا المعنى على هذه العملية، وإنما يشترط لذلك «أن يحتوي المنهج على عنصرَي:

الجانب العلمي والجانب التربوي. والتربويون يذكرون أن المناهج يجب يتوزّع فيها هذان الجانبان (العلمي والتربوي) بما يتلاءم والمرحلة العمرية، وذلك على النحو التالي:

- في مقرَّرات المرحلة الابتدائية يركّز المؤلِّف فيها على العنصر التربوي أكثر، بنسبة ٧٥ ٪ لصالح الناحية التربوية، بينما يترك الـ ٢٥ ٪ لصالح الجانب العلمي.
- والمرحلة المتوسّطة يتوزّع هذان الجانبان النسبةَ بينهما، بحيث يكون لكل منهما ٥٠ ٪ من المقرّر.
- وفي الثانوية يكون للجانب العلمي ٧٥ ٪ والجانب التربوي ٢٥ ٪.
- بينما المقرّرات الجامعية يتركّز المنهج التعليمي فيها بحيث يكون الجانب العلمي فيه ١٠٠ ٪»[(٢)].

هذا فيما يتعلّق بالجانب التربوي في المنهج، أما بخصوص محتوى ومضمون المنهج فإن الدكتور الفضلي ينبّه إلى أهمية الاستفادة ـ في مجال تحديث المناهج ـ من التجارب الحديثة وعدم الاقتصار عمّا هو موجود داخل الحوزة، بل «ينفتح علماء الدين على المؤسّسات الأخرى والمؤلّفين الآخرين من الاتجاهات الأخرى ويرون ما

---

(١) م. س، ص ١٥٨.

(٢) م. س، ص ١٦٣.

لديهم، فيحاولون أن يستفيدوا منهم؛ لأن الطريقة الحوزوية هي طريقة موروثة لأكثر من ٥٠٠ عام، بينما نحن نحتاج الآن إلى الطرق والأساليب الحديثة للتعبير. ولذلك فإن أهم ما يؤخذ على هذه التجارب أنها تفتقد الاستفادة من التجارب الحديثة في تطوير المناهج الحوزوية»[١].

انطلاقًا من هذه النظرة المتقدّمة في مسألة تحديث مقرّر الدراسة الدينية وضع العلاّمة الفضلي جميع مؤلّفاته المنهجية، ومنها خلاصة المنطق، وهو الكتاب المنهجي الثاني في سلسلة مؤلفاته الدراسية بعد كتابه الأول «التربية الدينية».

□ من ملامح التجديد في « خلاصة المنطق »

أ. سهولة تناول المادّة العلمية

إن من أبرز ما تشكو منه المقرّرات الحوزوية القديمة هو تعقيد العبارة وحشوها بما هو من المادّة وما هو من خارجها، ولذلك لا تغيب هذه النقطة عن العلامة الفضلي وهو الحامل لواء النظرة التحديثية الأكثر تقدّمًا من بين قافلة دعاة التحديث في نظام الحوزة.

وقد برزت هذه النقطة جيدًا مع بدايات ظهور الكتاب، فكانت العامل الأبرز في سعة وسرعة انتشار الكتاب، حيث يرجع المؤلّف سبب انتشار كتاب خلاصة المنطق إلى: «سهولة تناول المادّة العلمية فيه من حيث التعبير ومن حيث تنظيم المادّة»[٢].

ثمّ يبيّن بعض ملامح تسهيل المادّة العلمية فيه، فيقول: «فالمنطق كان يدرّس ولا يذكر في المقرّرات السابقة الغاية من دراسة المنطق إلا على نحو مجمل أو غير واضح، كأن يذكر في البدء أن الغاية من دراسة المنطق هو التصوّر والتصديق، من غير أن يشار إلى المقصود من هذه العبارة. ولذلك عندما قمتُ بتأليف «خلاصة المنطق» أوضحتُ أن المنطق يبحث في نقطتين أساسيتين، هما: التعريف والاستدلال، حيث يمثلان القسمين الرئيسين في المنطق، فالغاية من دراسة المنطق أن يتمكّن الدارس له من التعريف والاستدلال وفقًا للقواعد المنطقية الصحيحة»[٣].

(١) م. س، ص ١٦٢.
(٢) م. س. ص ١٦٩.
(٣) م. ن.

ب. الهدفية في دراسة المنطق علمًا ومسائل

من المفترض أن يكون من مميّزات العلوم الحديثة ـ في مقرّراتها ـ ربط واقعها النظري بالحياة العملية، وذلك عن طريق بيان الهدف أو الفائدة العملية من دراسة العلم، ثم بعد ذلك بيان الفائدة العملية في كل عنوان من العناوين التي يدرسها الطالب.

وهي نقطة ركّز عليها المؤلف في حواره مع مجلة الكلمة، حيث قال هناك: «من البدايات كنت أتأمل الآية القرآنية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ؟!﴾[1] التي يمكن اعتبارها قانونًا وسنّةً إلهية، حيث تفيد هذه الآية أن هناك خطًّا وهدفًا يمشي نحوه الإنسان، ولا يوجد ما هو عبثي في هذه الحياة، بل هناك ما يتوخّاه الإنسان من حياته التي يعيشها، وهذه الغاية ـ بالاستفادة من النصوص الأخرى ـ تكون لمصلحة الإنسان، وهذا أمر جعلني أضع أمامي هذا السؤال في كل كتاب أدرسه وكل موضوع وباب فيه، بحيث أضع نصب عيني الفائدة من دراسته وموقع هذه الفائدة داخل العلم وفي كل باب منه».

ثم يعقّب بعد فيقول: «تجد هذه النقطة واضحة جدًّا في كتاب خلاصة المنطق، حيث كنتُ أكتب في نهاية كل موضوع الفائدة من البحث. وهذه النقطة كانت مفقودة في المقرّرات القديمة، وللأسف أن هذا الأمر لا يزال قائمًا في كثير من المقرّرات الدراسية التي تظهر مؤخّرًا، فطالب الحوزة يبدأ دراسته الحوزوية بغرض الدراسة، ولا تجد لديه هدفًا وراء ذلك»[2].

ج. الاستفادة من التجارب الحديثة

لم يُبْقِ العلاّمة الدكتور الفضلي أبواب المنطق في هذا الكتاب على ما كانت عليه، بل أضاف إليها ما وجد الحاجة إلى إضافته، وأنقص منها ما رأى في وجوده عدم الفائدة.

فأضاف بابين جديدين، هما: «التحليل والتركيب» و«مناهج البحث العلمي»، وذلك استفادة من مقرّرات المنطق الحديث، وهي نقطة يوضحها جيدًا في الحوار، فيقول: «استفدتُ إضافة هذين البابين [«التحليل والتركيب» و«مناهج البحث

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) مجلة الكلمة، مصدر سابق، ص ١٥٧.

العلمي»] من كتب المنطق الحديثة، التي كانت تُدرَّس في ثانويات مصر والبلاد العربية الأخرى، وقد لجأتُ إلى كتب المنطق الحديثة؛ لأنها تحاول أن تجمع ـ إلى حدٍّ ما ـ بين المنطق القديم والحديث، حيث تأخذ قدرًا بسيطًا من المنطق القديم، فتأخذ بمبادئ القياس والاستقراء وتطعّمها بالمصطلحات والأبواب الحديثة، مثل باب مناهج البحث العلمي. وقد حاولتُ أن أطعّم كتابي «خلاصة المنطق» بما هو سائد في الحوزة، ومما هو في كتب المنطق الحديثة، حيث استفدتُ من كتاب عفيفي: المنطق التوجيهي الذي كان يدرّس في ثانويات مصر»[1].

وحذف باب «الصناعات الخمس» التي «ما عادت من المنطق الآن، وأصبح لكل صناعة منها المناهج الخاصة التي تتناولها، [فلا يرى] من داعٍ لإدراجها ضمن أبواب المنطق»[2].

د. التجديد بين القطيعة والامتداد

ألّف الشيخ الفضلي خلاصة المنطق لكلّية الفقه، وهي كلية أكاديمية أسّسها الشيخ المظفّر في مدينة النجف ـ حاضرة العلوم الدينية وَفق المذهب الجعفري، وكانت تجربة كلية الفقه ـ كما سبق أن أوضحنا ـ من التجارب العملية لتحديث نظام الدراسة الدينية.

وفي تلك الفترة كان الجوّ العام في النجف ينحو باتجاه التطوير، ولكن عملية التطوير والتغيير تتطلّب قبولًا من المحيط الذي يحتضنها، وهذا الأمر يتطلّب ألاّ يكون هناك قطيعة تامّة بين الجديد والقديم، وإلا سيرفض من قبل محيطه.

وهذه نقطة كان يتنبّه لها العلاّمة الشيخ الفضلي جيّدًا، فتجده متوازنًا فيما يطرحه فلا يقطع صلته بالقديم، وإنما يستفيد منه ويطعّمه بما هو جديد.

وهو أمر ملحوظ في كتاب «خلاصة المنطق»، ويمكن الاستشهاد لذلك بمثالين أشار إليهما المؤلّف في حواره مع الكلمة، الأول منهما يرتبط بتعريفه لعلم المنطق، إذ يقول في ذلك: «في تعريفي لعلم المنطق اتخذتُ طريقًا وسطًا بين ما يذكره القدماء وبين واقع العلم، فعرّفته بقولي: «المنطق: دراسة قواعد التفكير الصحيح»، فهذا التعريف لعلم المنطق يتوافق بشِكْل قريب مع التعريف القديم، وكذلك يتوافق

---

(١) م. س، ص ١٦٩.

(٢) م. ن.

بشِكْل غير صريح مع واقع العلم؛ لأن تعلُّم تعريف المفردات والاستدلال على القضايا بصورة صحيحة يشكّل قاعدة مهمّة من قواعد التفكير العلمي الصحيح»[١].

والشيخ الفضلي أراد بهذا أن لا يصدم جمهور طلبة العلوم الدينية ـ في ذلك الوقت ـ برفض التعريف القديم لعلم المنطق، وفي الوقت نفسه أراد عدم اعتماد ذلك التعريف الخطأ ـ حسبما يرى ـ في مقرّر يدعو فيه إلى تصحيح الوضع القائم في المقرّرات القديمة.

والمثال الآخر يرتبط ببحث الدلالة، حيث إن الدكتور الفضلي يرى أن المناطقة أسرفوا في تناولهم لهذه المسألة، إذ المنطقي ليس بحاجة إلا لبحث الدلالة الوضعية اللفظية، ولا حاجة له ببحث بقية الأنواع الخمسة الأخرى، ولكن الشيخ الفضلي بحثها كما جرت عادة القوم. ويرجع سماحته سبب ذلك إلى أنه «كان بغرض أن لا تنفصل مقرّرات الحوزة عن القديم تمامًا، خصوصًا عندما يكون الإبقاء على بعض القديم لا يضرّ كثيرًا بفهم العلم والاستفادة الحقيقية منه، هذا بالإضافة إلى أنني أشرتُ إلى المخالفة المنهجية في الكتاب، وهذا بحدّ ذاته إلفاتة جيدة للطالب»[٢].

يحاول العلاّمة الفضلي، في مسألة التجديد فيما يخصّ عرض المادّة العلمية للمنطق والاستفادة من التجارب الحديثة، ضبط إيقاع هذا التغيير بحيث لا ينفصل تمامًا عن القديم، بل يظلّ على امتداده له (اتصال به)، وهذا أمر مطلوب خصوصًا فيما له علاقة بالدراسات الدينية التي يكون التغيير فيها أمرًا صعبًا ويحتاج إلى وقت أطول من بقية الدراسات المتعلّقة بالعلوم والمعارف الأخرى. وفي الوقت نفسه لا يغفل الإفادة من التجارب الحديثة التي من شأنها تطوير الدرس المنطقي ومواكبة الطالب للواقع العلمي الراهن.

□ علم المنطق بين القياس والاستقراء

قامت النهضة الأوروبية الحديثة على مبدأ رفض المنطق الأوروبي القديم (المنطق الأورسطي).

وهو المنطق القائم على الأساس العقلاني في معالجة القضايا والاستدلال عليها.

(١) م. س، ص ١٧١.

(٢) م. س، ص ١٧٠.

وللاستدلال في هذا المنطق ثلاث طرق مباشرة: القياس والاستقراء والتمثيل. ولكن ما يوصل منها للنتيجة اليقينية هو القياس فقط، فالاستقراء والتمثيل غاية ما يوصلان إليه الظن.

ولذلك يعدّ القياس عمدة طرق الاستدلال ـ كما يعبّر الشيخ المظفر(١).

والصناعة التي تكون نتائجها يقينية هي صناعة البرهان، وهي أُولى الصناعات الخمس. ولكي يكون القياس برهانيًّا لا بدَّ أن يكون قياسه منتجًا من حيث الشكل. ومن حيث المضمون، يجب أن تكون قضاياه من الأوليات (اليقينية) أو ما يرجع إليها.

والخلاف مع المنطق الحديث يقع في مسألة قيمة الاستقراء، ذلك أن النهضة العلمية الحديثة قائمة على نتائج التتبع والملاحظة والتجربة التي تُمارَس ضمن نطاق الاستقراء، كما أن المنهج العلمي الحديث يرفض ذلك المنهج العقلاني الصِّرف الذي يعتمد التفكير الذهني المجرّد الذي لا يقوم على أساس من التجربة والملاحظة.

وتعطي هذه النهضة الأهمية الكبرى لما يُكْتَشَف من خلال التجربة والملاحظة، وهو ما يعطي الجانب الأكبر للاستقراء، والقياس ما هو إلاّ مرحلة من مراحل الاستنتاج وما يتطلّبه وَضْعُ القوانين والقواعد العامّة التي يُنْتِجُها القياس المنطقي(٢).

وعندما نطالع كتاب «خلاصة المنطق» نجد العلاّمة الفضلي يضع تصوّرًا متوازنًا في مسألة طرق الاستدلال، فلا يبخس القياس حقّه وقيمته في المجال العلمي، وكذلك لم يبخس الاستقراء حقّه، بل عدّه من طرق الاستدلال المباشرة الرئيسة كما القياس تمامًا.

بل أضاف إليه عنوانًا مهمًّا لا تتطرّق إليه كتب المنطق القديمة، وهو كيفية الاستدلال بالاستقراء، ذاكرًا المراحل العملية لذلك، وهي:

(١) التجربة أو الملاحظة. (٢) الفرض. (٣) القانون.

---

(١) المنطق، الشيخ محمد رضا المظفّر، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، ط ٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ج٢/ ٢٠٢.

(٢) انظر: أصول البحث للمؤلّف، منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ١٣ ـ ٢٠.

ويمكن تقدير أهمية الإضافة النوعية التي أضافها العلاّمة الفضلي في هذا الباب إذا قوبلت العناوين التي طرقها المؤلّف فيه ببقية مقرّرات المنطق، فالشيخ المظفّر في تناوله للاستقراء بحثَ تعريفه وقسميه التام والناقص، وناقش شبهة حوله فيما لا يتجاوز الصفحات الأربع(١).

وكذلك حاشية ملا عبد الله على التهذيب، حيث لم يبحث ـ في موضوع الاستقراء هناك ـ سوى التعريف وذكر القسمين(٢).

ومثيل ذلك في أحد المقرّرات الجامعية الحديثة، وهو كتاب «المنطق الصوري» للدكتور يوسف محمود ـ مدرّس الفلسفة والعقيدة بجامعة قطر، إذ يتناول الاستقراء فيه بالطريقة القديمة نفسها(٣).

بل إنّ نجم الدين القزويني في الرسالة الشمسية يعدّ الاستقراء مجرّد لاحق من لواحق القياس، ولا يعدّه طريقًا مستقلًا من طرق الاستدلال يوازي القياس(٤).

ويشير إلى هذه الإشكالية الدكتور عبد الكريم سروش في قراءته النقدية لكتاب السيد محمد باقر الصدر «الأسس المنطقية للاستقراء»، فيقول: «مشكلة عقم الدليل الاستقرائي ليست جديدة، فمنذ بداية تدوين المنطق والمنطقيون مذعنون دائمًا: بأن مجرّد مشاهدة اقتران (أ) و(س) في موارد معدودة لا تسمح لنا في الحكم بصدق هذا الاقتران في سائر الموارد، فَنَسْتَلّ حكمًا كليًا من خلال مشاهدة الجزئيات. ومن هنا عدُّوا «القياس» ـ في باب الحجّة ـ الدليل الوحيد، بينما عدّوا التمثيل والاستقراء عقيمين.

ليس هناك خلاف حول ما تقدّمَ بين المناطقة القدامى والمحدثين، إنما تبدأ بينهما المشكلة حيث إن هناك قسمًا كبيرًا من القضايا الكلية التي تستعمل في العلوم ليس لها

---

(١) انظر: المنطق للشيخ المظفّر، مصدر سابق، ج٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

(٢) انظر: حاشية ملا عبد الله التهذيب، تعليق: السيد مصطفى الدشتي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ١٧١ ـ ١٧٤.

(٣) انظر: المنطق الصوري التصوّرات والتصديقات، الدكتور يوسف محمود، دار الحكمة ـ الدوحة، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ص ٢٢١ ـ ٢٢٧.

(٤) تحرير القواعد المنطقية لقطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت ٧٦٦هـ) شرح الرسالة الشمسية لنجم الدين عمر بن علي القزويني (ت ٤٩٣هـ)، حاشية السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مكتبة أحمد عيسى الزواد ـ سيهات، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

مصدر ومنبع سوى الحسّ والمشاهدة. وإذا كان عمل الحسّ مشاهدةَ الجزئيات واستقراءها، وكان الاستقراء عقيمًا عندنا فسوف تتزلزل كل هذه القضايا الكلية، ويضحي صدقها وصحّتها موضع شكّ وتردّد»[١].

وقد أفرد السيد عمّار أبو رغيف الفصل الأول من كتابه «منطق الاستقراء» بعنوان: «الاستقراء ما قبل نظرية الاحتمال» لبحث هذه الإشكالية تعرض فيه لبحث الموضوعات التالية: «الاستقراء عند أرسطو» و«الاستقراء في المدرسة الأرسطية» و«الاستقراء منذ النهضة الأوروبية الحديثة».

إننا إذا أدركنا هذه المفارقة جيدًا علمنا مقدار الوعي الذي امتلكه الدكتور الفضلي منذ ما يزيد على أربعين سنة في خصوص هذه النقطة، وندرك ـ كذلك ـ ما قام به من تجسير العلاقة بين القديم والحديث والمساهمة في ردم الهوّة الفاصلة بينهما، خصوصًا مع الموازنة بين محتوى الخلاصة وسائر كتب ومقرّرات المنطق الأخرى.

(١) مناظرة في الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة الدكتور سروش، السيد عمّار أبو رغيف، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ١٧.

قراءة في كتاب (خلاصة علم الكلام)

■ فؤاد عبد الهادي الفضلي ■

□ مادة الكتاب وقالبه

لقد سألت الشيخ الفضلي عن سبب كبر حجم واتساع مادة الكتاب مقارنة مع مثيلاته من كتبه الدراسية الأخرى، فأجاب أن الأمر يعود لسببين:

الأول: يتعلق بأهمية علم الكلام ذاته؛ فهو علم الاجتهاد في مسائل العقيدة عند المسلمين، فلا بدَّ أن يأخذ المؤلِّف فيه أكبر شمولية ممكنة بدون استطرادات مخلة، وكذلك لا بدَّ أن يشمل آراء المذاهب الإسلامية المختلفة وأدلة كل منها والموازنات فيما بينها.

والثاني: يتعلق بالجانب التربوي، فقد جهد الشيخ الفضلي كثيرًا كي ينقل العلم في تبويبه وعباراته القديمة إلى اللغة العلمية الجامعية الحديثة. وهذا الانتقال يتطلب منه المحافظة على القالب القديم في عبارات المتكلمين ويشرحها للطالب بلغة معاصرة يفهمها.

ويعدّ هذا الكتاب من أكثر كتب الشيخ الفضلي الدراسية من الناحية الاستيعابية، فقد جاء هذا الاستيعاب لمادة علم الكلام الإسلامي أفقيًا ليشمل آراء علماء الكلام من تسعة مذاهب إسلامية، وقد أشار إليها في مقدمة الطبعة الأولى.

وعموديًا ليدرس هذه الآراء دراسة تحليلية مناقشًا أدلتها وموازنًا فيما بينها، وكانت بعض هذه المناقشات مطولة؛ نظرًا لأهمية الموضوع، كنظرية الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد، أو لشدة الاختلاف فيها بين المذاهب، كخلق القرآن والبداء ونفي التجسيم ونفي الرؤية.

☐ مقدمة العلم وتاريخه

وكما سلك الشيخ الفضلي في كل مؤلفاته الدراسية، بدأ الكتاب بمقدمة عن نشأة العلم وتاريخه، أشار فيها إلى أن التسلسل في الأرقام التاريخيـة يثبت أن الشيعة الإمامية هم مؤسسو هذا العلم من خلال المسائل التي تكلم فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مستشهدًا في ذلك بكلام لابن أبي الحديد.

وشملت المقدمة التاريخية إحصائية مفيدة بأسماء أشهر المتكلمين في المذاهب الإسلامية الأوسع في علم الكلام، وهي الإمامية والمعتزلة والأشاعرة، وأشهر المؤلفات التي دونها كل منهم.

حدّد بعدها تسلسل كتابه التزامًا منه «بالمنهج المنطقي في تدوين العلوم الذي يفرض على المؤلف في علمٍ ما أن يبدأ بتدوين مقدمته مضمنًا إياها: تعريفه، وبيان موضوع بحثه، والغاية من تعلمه.

ثم وبعد المقدمة، يعرض موضوعاته حسب تسلسلها الفني وترابطها العضوي.

ومن بعدها، يأتي بالخاتمة منهيًا بها علمه المؤلَّف فيه»[1].

وفي هدي هذا المنهج، شملت مقدمة المؤلف التعريفية للعلم مدارك وفوائد ضرورية للطالب كي يتعرف على العلم الذي يقبل على دراسته.

وفي مبحث موضوع العلم، أشار المؤلف أنه يبحث في أصول الدين وحددها بأربعة هي التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، ولكنه عاد في مبحث الحاجة إليه فأشار إلى أن التوحيد هو الأصل بقوله: «ومن هنا كان التوحيد هو الأصل والأساس لسائر أصول الدين وجميع فروعه وشؤونه»[2].

☐ منهج البحث

بعد أن عدّد المؤلف مناهج البحث في علم الكلام بقوله أنها: «خمسة مناهج معتمدة في البحث والدراسة، وهي:

١. المنهج النقلي.

(١) خلاصة علم الكلام، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨.

٢. المنهج العقلي.
٣. المنهج التكاملي.
٤. المنهج الوجداني.
٥. المنهج العرفاني»[١].

عرّف كلاً منها مبينًا الأسس التي اعتمدها والمذاهب التي اتبعته، ثم حدّد منهجه في البحث بقوله: «وسأنتهج وسع الطاقة المنهج التكاملي فيما أبديه من ملاحظات، وفيما أقوم به من معالجات ومناقشات»[٢].

وقبل الدخول في مباحث العلم التفصيلية، أورد المؤلف «تعريفًا مختصرًا لأهم المصطلحات التي يتردد ذكرها في لغة علم الكلام ومحاورات أساتذته وطلابه، وقدّم بيانًا مختصرًا أيضًا لأهم المسائل التي لها ارتباط بقواعد العقائد وقضاياها»[٣]، وهذه ـ من ناحية منهجية ـ ضرورية تنبّه إليها المؤلف معللاً ذلك بقوله: «لينطلق القارئ والدارس فيه بيسر ومن غير عناء مراجعة خارج الكتاب لفهم ذلك، ولئلا أثقل هوامش الكتاب بذكرها تعريفًا أو بيانًا عند ورودها»[٤].

□ إضاءات على الكتاب

١- حاكمية اليقين في المسائل الكلامية

اتبع المؤلف في مباحث الكتاب المنهج التكاملي كما أشار، فيذكر في كل مبحث أدلة المتكلمين والحكماء العقلية رابطًا إياها مسترشدًا وموازنًا بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ويثبت في أحد بحوث الكتاب حقيقة مفادها أن «العقلانية ليست وليدة الفلسفة ولا علم الكلام وإنما هي طبيعة البشر التي أقرها القرآن الكريم، وطبّقها في استدلاله على وجود الله ووحدانيته وكماله المطلق وعظمته المتفردة»[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر السابق، ص ٢١٢.

ويمكن، من تتبع مناقشات المؤلف للآراء وأدلتها، أن نستنتج أنه يرى حاكمية اليقين المستنبط من النقل أو العقل، وينصّ على هذه القاعدة في مبحث نفي الرؤية بقوله: «وإنما القطب المركزي الذي تدور حوله رحى الخلاف على مدى هذه الأجيال المتعاقبة، هو:

لو تعارض ما يدركه العقل مع ما يظهر من خبر الواحد المفيد للعلم ماذا نعمل؟

الذي أراه أن العمل: هو الجمع بينهما.

وذلك لأن خبر الواحد المفيد للعلم، مفيد للعلم بصدوره لا بدلالته، فهو قطعي الصدور ظني الدلالة.

ودليل العقل المثبت لوحدانية الذات الإلهية ـ الوحدانية المستلزمة لنفي الرؤية للزومها التجسيم قطعي الدلالة.

وعليه يصبح التعارض في الحقيقة بين دلالة العقل اليقينية ودلالة الخبر الظنية.

ولأن الظن لا يعارض اليقين نرفع اليد عن ظهور الخبر بتأويله بما يتمشى وأصل التوحيد، فنجمع بين الأخذ به والأخذ بالعقل»[1].

وكذلك، فالمؤلف عندما يتعارض الدليل العقلي مع ما جاء به الدليل النقلي، نجده يحاول البحث في جذور المسألة التي تبين أسباب هذا التعارض ليصل إلى نتيجة علمية يقينية واضحة، ونجد ذلك جليًّا في مباحث البداء وحرية إرادة الإنسان.

٢- الكلام والفلسفة

ومن الأمور التي عالجها المؤلف: استقلالية علم الكلام عن الحكمة الإلهية التي هي باب من أبواب الفلسفة، فبيّن نقاط التلاقي والتمايز بينهما، وفي رأيه أن الحكمة الإلهية يعدُّ من العلوم التي وجدت قبل الإسلام وأضاف الفلاسفة المسلمون إضافات مهمة له من خلال الرؤى والأبعاد التي استنبطوها من الشرع الإسلامي، بينما علم الكلام يعدُّ علمًا إسلاميًّا خالصًا.

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

ومن أجل ذلك، فإنه في المواضيع المشتركة بين العلمين، كان يذكر رأي الحكماء السابقين على الإسلام والحكماء المسلمين وأدلتهم، ويذكر آراء متكلمة المسلمين وأدلتهم لأجل إيضاح الفرق بين العلمين في المسألة.

ومناقشاته لنظرية (الواحد لا يصدر عنه إلا واحد) وتأثر فلاسفة ومتكلمة المسلمين بآراء الفلسفة اليونانية خير شاهد على ذلك. يقول في بداية عرضه للمسألة: «ولما للموضوع من أهمية رأيت أن أكون معه في سخاء البحث أكثر من لداته، فأبدأ معه منذ نشوء النظرية متعرفًا سبب النشأة ثم ما طرأ على النظرية من تطور وما وجه لها من نقد»[١].

٣- المنهج اللغوي

ومما أضافه المؤلف للبحوث الكلامية التي تنطبع في مصنفات المتكلمين بطابع البحوث العقلية والنقلية، أضاف بعدًا جديدًا لهذه البحوث، وهو البحث اللغوي، كما يمكن ملاحظته في معظم بحوث الكتاب (انظر كمثال: بحثه عن الفرق بين (الكلام) و(التكلم)، وبحثه في مسألة خلق القرآن).

والشيخ الفضلي يرى أن المنهج المتّبع في علم الكلام ـ وكذا بعض العلوم الشرعية الأخرى ـ كالفقه وأصوله ـ يفتقد لعنصر مهم يجب أن يدخل في مناهج بحثها، وهو عنصر البحث اللغوي؛ لأن الرأي أو الحكم المستنبطين من الأدلة النقلية يستندان إلى نصوص باللغة العربية، فينبغي لفهمها فهمًا صحيحًا أن ندرسها من خلال علوم اللغة العربية التي تساعد الباحث، وتكون أدوات تضيف لمنهج الاجتهاد قدرات تقربه لاستنطاق النص العربي، ونستطيع أن نستنتج من المباحث اللغوية في هذا الكتاب أهمية هذا الأمر.

ويرى العلاّمة الفضلي أن المجتهد في العقيدة والتشريع الإسلامي ينبغي أن يكون ملمًّا بأدوات البحث اللغوي المختلفة بشكل وافٍ، لا باعتبار أن يكون مجتهدًا في علوم اللغة العربية، ولكن ليكتفي بما يحتاج إليه في بحثه. وقد وضع الشيخ الفضلي أسسًا عامة لذلك في بعض كتبه الأخرى، ككتاب (أصول البحث) وكتاب (دروس في أصول فقه الإمامية).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠١.

وفي رأينا أن أهم ما أضافه الشيخ الفضلي في كتبه وأبحاثه في العلوم الشرعية هو إدخاله المنهج اللغوي في مناهج البحث الشرعي، وقد أغنى مواد هذه البحوث بذلك باعتباره أحد المتبحرين في علوم اللغة العربية.

ونقدّم بين يدي الباحثين اقتراحًا يقوم على قراءة كتب الشيخ الفضلي وأبحاثه قراءة تفصيلية ليضع للباحثين منهجًا لغويًا شاملاً من الناحيتين النظرية والتطبيقية، يمكن أن يُطلق عليه المنهج اللغوي في الاستنباط.

وختامًا..

مما يؤخذ على الكتاب، هو عدم اشتماله على باب خاصٍّ عن أصل الخلق، وكذلك في باب المعاد الذي جاء مختصرًا جدًّا، فلم يتطرق المؤلف فيه لمسائل وبحوث متعددة حوتها مصنفات متكلمة المسلمين في هذا الباب، كعذاب القبر والبعث والحشر ويوم القيامة والمعاد الجسماني والروحاني والجنة والنار وتجسّد الأعمال وشبهة الآكل والمأكول، وغيرها.

وقد سألته عن ذلك، فأجاب أنه اقتصر على المسائل الأصل في الباب، وترك المسائل التفريعية؛ لأنها تقع ضمن إطار الغيب الذي تطرقت له النصوص الشرعية بشكل إجمالي، والمسائل الخلافية فيه غير مهمة في أصل عقيدة المسلمين، ويمكن أن يُقتصر فيه على الإيمان بما أفادته وصورته لنا النصوص الشرعية.

قراءة في كتاب (خلاصة الحكمة الإلهية)

■ الشيخ عبد الغني أحمد العرفات ■

إن التفكيرَ الفلسفيَّ في الإسلام قديم قِدم الإسلام نفسه، فقد جاء هذا الدين منذ انطلاقته الأولى ليفجر ثقافة جديدة تصلح لكل العصور.

وقد طرح مبادئه الأولى ـ في المجتمع المكيِّ ـ بشكل ثورة فكرية تناولت: أصول العقيدة، وفلسفة الحياة والإنسان والوجود، وعبودية الخلق وتوحيد الخالق، ومبدأ العدالة الإنسانية التي يجب أن يُبنى على أساسها المجتمع في الإسلام. وشكّلت هذه الثورة صدمة للمجتمع المكيّ الذي لم يكن أرضًا خصبة لقبول التغيير في ذلك الوقت، وأدت إلى نزاع عنيف بينه وبين النبي ﷺ والدعاة الأوائل.

وجاءت المرحلة المدنية لينطلق النبي ﷺ منها في إكمال أسس ومقاصد العقيدة الإسلامية، ووضع تشريعاتها التي قامت على هذه الأسس والمقاصد.

وسرعان ما وجد الإسلام طريقه إلى قلوب العرب في شبه الجزيرة العربية وما حولها. وقد كان لحداثة عهد المسلمين بهذا الدين وكذلك لتتابع الأحداث والمعارك على مجتمع المسلمين الفتيّ دور في أن يتلقّى المسلمون عقائدهم على نحو التلقي والقبول المجرّد، دون مراعاة لتأصيل كثير من مسائله وقضاياه[1].

فالمسلمون أيام النبي ﷺ يعلمون ـ من الدين ـ بأن الله واحد لا شريك له، وأن من صفاته: الرحمة والغفران والرزق والحكمة والقدرة والحياة. كما يؤمنون بيوم القيامة وما فيه من جنة ونار. وغيرهما من أصول العقيدة الإسلامية. ولكنهم ـ في كل ذلك ـ لم يكن عندهم التأصيل الفكري والعقدي لهذه الأصول.

---

(١) انظر في هذه المسألة: خلاصة علم الكلام، عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص ٢٠٨.

□ الإمام علي عليه السلام ودوره في تأصيل العقائد الإسلامية

مع انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، انتقل كثير من المسلمين للإقامة خارجها، وكانت البصرة من أوائل المدن التي مَصَّرَها وأقام فيها العرب المسلمون، وتبعها بفترة وجيزة تمصير الكوفة على أنقاض مدينة الحيرة ـ عاصمة المناذرة ـ.

وقد أدى احتكاك المسلمين بغيرهم في مثل هاتين المدينتين [البصرة والكوفة] إلى إحداث تغيير فكري جذري في حياة المسلمين، ففيهما نشأ علم النحو، وهو العلم الذي نشأ لحفظ لغة القرآن، وفيهما ظهرت كثير من مسائل العقيدة وعلم الكلام لاحقًا.

ومدينة الكوفة ـ التي جعلها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عاصمة لخلافته ـ كان يمثّل مجتمعها ـ حينها ـ بيئة تلاقٍ لمجموعة من الحضارات، بحيث لقي فيه أمير المؤمنين البيئة المناسبة لتأسيس أول مجتمع حضري يقوم على الأسس الإسلامية وتنطلق منه أوليات علوم الدين الإسلامي، ومن هذه العلوم التي أسسها الإمام علي عليه السلام في الكوفة علم العقيدة، وكان دوره ـ ابتداءً ـ أن عمّق عقيدة التوحيد بصورة كبيرة مفصّلاً كل ما يتعلق بها من صفات الله تعالى وما يتعلّق بذلك من مسائل الخلق والحياة ومصير الإنسان. ويمكن للباحث ـ من خلال مطالعة نصوص نهج البلاغة ـ أن يستخلص الكثير من أصول علم العقيدة والفلسفة الإسلامية.

ثم يأتي بعده دور حفيده الإمام الصادق عليه السلام، حيث «يعدّ دوره عليه السلام الدور الأهم في مهمة بناء الحضارة الإسلامية بعد دور جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ويرجع هذا إلى أن الفترة التاريخية التي عاشها الإمام الصادق كانت فترة الانتقال بين الدولتين الأموية والعباسية، حيث انشغال مسؤولي كل من الدولتين بحوادث اللااستقرار السياسي.

كان عطاء الإمام الصادق عليه السلام الفكري عطاء سخيًا، وفي مجالات عديدة، كشؤون الإنسان، وعالم ما وراء الطبيعة، والعلوم الطبيعية والأخرى الإنسانية»[1].

---

(١) انظر: خلاصة الحكمة الإلهية. الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص ٥٩ ـ ٧٢.

□ مادة الكتاب

خلاصة الحكمة الإلهية أحد المقررات الدراسية الّذي أعده الشيخ الفضلي لدراسة الفلسفة الإسلامية، إحدى مواد الدرس الديني في الحوزات والمعاهد الدينية والأكاديمية.

وقد شمل الكتاب مقدمة تعريفية عن الفلسفة استعرض فيها ـ إضافة لتعريفها ـ: عامل نشأتها، مصدر الفكر الفلسفي، تاريخها.

والباب الأول خصصه المؤلف لموضوع الحكمة الإلهية: تعريفها، موضوعها، مصدرها.

وشمل الباب الثاني: تاريخ الفلسفة الإسلامية وترجمات لأهم أعلام الفلاسفة المسلمين.

فيما تناول الباب الثالث مقدمات الحكمة الإلهية، وهي:

(١) المفاهيم، بحث فيه الموضوعات التالية:

- مفهوم الوجود.
- مفهوم الماهية.
- العلاقة بين الوجود والماهية.
- أقسام الوجود.
- أقسام الماهية.

(٢) نظرية المقولات العشر: تعريفها وأمثلتها وتعريف مفرداتها.

(٣) نظرية المواد الثلاثة.

(٤) المبدآن: التناقض، العلية.

(٥) موقع الفلسفة الإسلامية.

ثم في الباب الرابع تناول مباحث الحكمة الإلهية، فشمل العناوين التالية:

(١) الألوهية:

- وجود الله.
- ظاهرة التجلي.
- وحدانية الله.

- كمال الله.
- كيفية الاتصاف.

(٢) النبوة:

- تعريفها.
- ضرورتها.
- النبي: مسؤوليته، وتصديقه.
- نبينا محمد ﷺ: سيرته، معجزته، شريعته.

(٣) الإمامة:

- تعريفها.
- خط الإمامة.
- خط الخلافة.

(٤) المعاد:

- تعريفه.
- أدلته.

□ مميزات الكتاب

هذا الكتاب الماثل بين أيدينا ـ وهو آخر ما صدر عن يراعة العلامة الفقيه: الشيخ الفضلي ـ عافاه الله وشفاه ـ في الحكمة الإلهية، امتاز بعدة مميزات منهجية تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها، ولعلّ من أهمّها ـ فيما أرى ـ الأمور التالية:

(١) الفرز الموضوعي:

حيث اختلط على كثير من الباحثين موضوع الحكمة الإلهية وعلم الكلام، فخلطوا موضوعات هذه بذاك دون تفريق.

ومن هنا رأى سماحة العلاّمة الفضلي ضرورة أن يحتفظ كل من علم الكلام والحكمة الإلهية باستقلاليته. فنرجع في علم الكلام إلى بداياته الأولى، حيث كان مقصورًا على المسائل الخلافية من موضوعات العقيدة الإسلامية، ونقتصر في إلهيات الفلسفة الإسلامية (الحكمة الإلهية) على المسائل العامة من موضوعات العقيدة

الإسلامية، وهي: مسائل الألوهية والنبوة والإمامة والمعاد، أو ما يُعَنْوَنُ ـ اختصارًا ـ بـ «المبدأ والمعاد».

وضمن هذا الفرز الموضوعي، درس العلامة الفضلي موضوع الفلسفة تاريخيًّا؛ فرأى أن موضوع الفلسفة كان البحث عن المبدأ الأول أو العلة الأولى للوجود، ثم صار مقتصرًا على حقيقة الوجود، ثم أضيف إليه مصدر المعرفة.

وبقيت الفلسفة تدور في بحثها بين الجمع بين نظريتي المعرفة والوجود والاقتصار على نظرية الوجود. ولأن المعرفة أصبحت علمًا مستقلاً، لذا اقْتُصِرَ ـ في الفلسفة حديثًا ـ على بحث موضوع الوجود، وبشِكْل خاص، الحكمة الإلهية، التي تبحثه من وجهة النظر الدينية، فتبحث في أصل الوجود ومنتهاه والغاية منه وما يتطلّبه ذلك من إيمان بالنبوة والإمامة.

(٢) توضيح علاقة النص بالعقل في موضوع العقيدة:

بما أن الحكمة الإلهية تندرج ـ منهجيًّا ـ ضمن المعارف العقلية، كان من الضروري ورود مفردة العقل كمصدر من أهم مصادر الحكمة الإلهية.

وهذا ما التزمه المؤلّف، وذلك من خلال بحثه لمصادر الحكمة الإلهية، حيث حدّدها في: العقل والدين. ومن ثَمَّ بحث ـ تحت هذا العنوان ـ مفردة العقل، فبيّن أن العقل في استعمالاته الاجتماعية والعلمية يحمل عدّة معانٍ، قام المؤلّف بسردها، واختار منها المعنى المقصود كمصدر من مصادر الحكمة الإلهية.

مشيرًا إلى أن المعنى المقصود بالعقل هنا هو المبادئ العامّة في التفكير، مثل:

- مبدأ العلّية.
- مبدأ استحالة التناقض.
- مبدأ الهوية.

وغيرها من المبادئ.

ومنبِّهًا إلى نقطة مهمّة، وهي أن النصوص الإسلامية الشريفة لا تعارض بينها وبين هذه المبادئ، وإنما كل منهما يعضّد الآخر.

ثمَّ بيّن أن العلاقة الصحيحة في نظره تقرّر بِـ «أن النص الديني هو المؤسس والدليل العقلي مؤيد له.

... والعقل الشخصي ـ لأنه عقل بشري غير معصوم ـ يصيب ويخطئ ... بينما النص الديني ـ لأنه وحي أو إلهام ـ لا يحتمل فيه الخطأ ... ومن الشواهد على خطأ العقل الشخصي: الخلاف بين قدامى الفلاسفة في حقيقة الشيء هل هي بمادته أو بصورته؟»[١].

(٣) توضيح مسألة العقلانية في الإسلام:

يبرز المؤلف هنا أن العقلانية في الإسلام ليست تأثُّرًا بالفكر اليوناني، بل ثمرة للمنهج القرآني، وقد استعمل القرآن مبدأ العلية ـ مثلاً ـ كما في آية سورة الطور: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[٢]، وهو مبدأ عقلاني.

ولو كانت العقلانية ـ في العصور الأولى للإسلام ـ تأثرًا بالفكر اليوناني، لكانت متناغمة ومتناسخة معه، ولكننا نجد عكس ذلك. ففي نهج البلاغة ـ وهو تفسير وتوضيح للمنهج القرآني يساير القرآن أينما سار ـ الكثير من العقلانية التي فجرها أمير المؤمنين عليه السلام، ولم نجد فيه ما يتوافق مع الفكر اليوناني.

فهذا (كزينوفانس ٥٧٠-٤٨٠ ق. م) ـ وهو من الفلاسفة اليونانيين الإيليين، وأفضل من وصف الإله منهم ـ يصف الإله بأنه: «ليس مركبًا ... ولا متحركًا ولكنه ثابت»[٣]، فهل وصف الإمامُ عليٌّ عليه السلام اللهَ تعالى بهذا؟!

وهذا فيلسوف العرب الكِنْدي قد نقل الكثير من الفكر اليوناني، فهل وُجد تشابه بين نهج البلاغة ـ وهو ترجمان القرآن ـ وذلك الفكر اليوناني؟!

وقد أوضح المؤلّف هذه النقطة خلال استعراضه لتاريخ الفلسفة الإسلامية وإسهامات الفلاسفة المسلمين في وضع لَبِنَاتِها الأولى وتفريعاتها العلمية، فأشار هناك إلى ما قام به الفلاسفة المسلمون من دور في التوفيق بين النص الديني والمعطيات العقلية في الفلسفات اليونانية القديمة.

---

(١) خلاصة الحكمة الإلهية، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٥.

(٣) خلاصة الحكمة الإلهية، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٤) توضيح أثر اللغة على التفكير الكلامي والفلسفي

بسبب وثاقة العلاقة بين اللفظ ومعناه، قد يصعب على الإنسان في كثير من الأحيان التفكير المعنوي المجرّد دون ظهور أثر الألفاظ وما يحيط بها من معاني لصيقة بمحيط وبيئة الإنسان.

وهذا أمر امتاز الكتاب بالإشارة والتنبيه عليه، في مسألة من أكثر المسائل الكلامية خلافًا بين مذاهبه، وهي مسألة «كيفية اتصاف الذات المقدّسة».

فقد بيّن سماحة العلاّمة الفضلي أن المسلمين ـ في هذه المسألة ـ يختلفون على مذهبين:

١. من يذهب منهم إلى أنَّ الصفات الثبوتية الحقيقية التي تتصف بها الذات الإلهية المقدسة هي عين الذات.

٢. من يذهب إلى أن صفاته تعالى زائدة على ذاته لازمة لها، وهذا يعني أن الصفات قديمة بقدم الذات.

ويرجع المؤلف هذا الاختلاف إلى سببين:

١. «أن العقول قاصرة عن إدراك حقائق الغيب.

٢. تأثير علاقة اللغة بالفكر على التفكير الفلسفي والكلامي، فاللغة وعاء الفكر ... فالإنسان عندما يفكر فإنه يفكر من خلال اللغة ... إننا لو أخذنا مثالاً الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] سنقول ـ في ضوء ما أملته لغتنا علينا ـ: إنَّ في الآية ذاتًا موصوفة، ومعنًى هو صفة، وعلاقةً قائمة بينهما هي الاتصاف. فَـ «الله» موصوف، و«قدير» صفته، ولأن الموصوف ذات، والصفة معنى، يكون الموصوف غير الصفة، وهذا يعني زيادة الصفة على الموصوف.

وجاء هذا (القول بالزيادة) من تأثير العلاقة بين اللغة والفكر ... غير أن أصحابنا الإمامية ـ لئلا يقعوا فيما وقع فيه الآخرون من غائلة تعدد القدماء وغائلة أن يكون القديم محلاً للحوادث ـ قالوا بعينية الصفات.

(١) سورة البقرة آية: ٢٠.

وهذا التعبير (عينية الصفات) أيضًا هو الآخر من نتائج تأثير علاقة اللغة بالفكر؛ لأن واقع الأمر ـ من خلال كل ما هو متعلق ببساطة ووحدانية الذات المقدسة ـ ليس هناك موصوف وليس هناك صفة كما يستفاد من فقرات خطبة الإمام المذكورة في أعلاه، وإنما الموجود هو الله القدير من غير اتصاف قائم بين صفة وموصوف، وإنما هو معنى خاص بالذات المقدسة لا يشبه ما أفدناه من لغتنا كما أنه ليس في لغتنا لفظ أو ألفاظ تعبّر عنه، ولعله لهذا التجأ أصحابنا إلى استعمال عبارة عينية الصفات»[1].

(١) خلاصة الحكمة الإلهية، مصدر سابق، ص ١٥٢.

قراءة في كتاب (أصول الحديث)

■ فؤاد عبد الهادي الفضلي ■

الكتاب ـ كما أشار المؤلف في مقدمته ـ ألّفه ليكون مقرّرًا دراسيًّا لمادة (دراية الحديث) أحد مقررات البرنامج الدراسي لكلية الشريعة الإسلامية في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن.

وبالنظر إلى شموليته لمادة العلم وللبعد المنهجي في كتابات الشيخ الفضلي، فقد اعتمد مقرّرًا دراسيًّا لعدد من الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية العربية.

ولهذين السببين، تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية في الجمهورية الإسلامية في إيران، على يد محمد مهدي حقي وإبراهيم إقبال، وقامت بنشره شركة «چاپ ونشر بين الملل» بالتعاون مع مؤسسة «انتشارات أمير كبير» بتاريخ ١٣٨٤ هـ ش.

وقد اختير ـ مؤخرًا ـ من قبل كليات الأديان والدراسات الشرقية في بعض الجامعات الغربية ببريطانيا وأمريكا ليكون ضمن مقرراتها الدراسية، وعليه قامت مؤسسة Islamic College for Advanced Studies Press بترجمته إلى اللغة الإنجليزية ومعه كتاب الدراية للشهيد الثاني، وقام بالترجمة (Nazmina Virjee)، وطبع في لندن سنة ٢٠٠٢م، وتقوم بتوزيعه دار الساقي.

□ نظرة عامة على الكتاب

الكتاب كان أحد الكتب التي بذل الشيخ جهدًا كبيرًا في إعدادها، كما ذكر ذلك لنا وأشار إلى بعض هذا الجهد في مقدمته، فقد راجع جميع الموسوعات الحديثية القديمة والحديثة، واستخرج منها كلّ ما يتعلق بعلم الحديث من قواعد وشواهد وآراء. وقد قام بعمله وفق خطوات البحث التي حددها في مقدمة الكتاب، وذلك في إشارته التالية، يقول:

«حاولت في حدود الممكن أن أنظم المادة المستخرجة من كتب الحديث الإمامية، لتكون عملية أكثر منها نظرية، ذلك أن هذا العلم ـ كما هو معلوم ـ من العلوم التطبيقية، ومجال تطبيقه ـ عندنا ـ هو كتب الحديث الإمامية:

- فحذفت مما هو مبحوث في كتب الدراية السابقة ما هو غير موجود في حديثنا،
- وأضفت إليها مما هو غير مذكور فيها، وهو موجود في حديثنا،
- كما غيّرت قليلاً في التبويب لتترابط مفردات المادة ترابطًا عضويًّا يمهد السابق فيها للاحق،
- وحاولت ـ قدر الجهد ـ أن أجلي وأيسّر في العرض والتعبير، مستعينًا بالأمثلة والشواهد،
- وكذلك حاولت أن أختصر فيما لا فائدة في الإطالة فيه، وأن أطيل فيما رأيت ضرورة التطويل فيه».

وكتابه بهذه الجهود التي جمع فيها بين تهذيب وتنظيم وإعادة تبويب مادة كتب الدراية السابقة والمعالجة النقدية لمادتها مع إضافة ما هو غير موجود فيها من مواد، يعدّ طرحًا تجديديًّا من حيث الشمولية والتنظيم لعلم الحديث الإمامي بجانبيه النظري والتطبيقي.

□ مقدمة العلم

كما في كل مؤلفات الشيخ الفضلي الدراسية، وبما التزمه من منهج في تأليفها، فإنه يبدأ بمقدمة تعريفية وتاريخية للعلم، تضع الطالب في موقفٍ ورؤية تساعدانه تربويًّا على الاستعداد لتحصيل العلم والولوج في مباحثه التفصيلية.

ومقدمة هذا الكتاب، ضمت الحصيلة المطلوبة في ثلاثة أقسام، الأول مدخل تعريفي شمل: تعريف العلم وتسميته وموضوعه وفائدته وعلاقته بالعلوم الشرعية الأخرى، ومما يشار إليه ـ كمبحث مهم في هذا القسم ـ هو توضيح المؤلف لعلاقة علم الحديث مع كل من علم الرجال وأسماء الرجال وعلم أصول الفقه ووظيفة كل منها في عملية الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية الفرعية من السنة الشريفة، فإن هذا التوضيح يعرّف الطالب تكامل أدوار ووظائف هذه العلوم، ويحلّ شبهة التعارض بينها.

وأما القسم الثاني من المقدمة، فكان عن تاريخ علم الحديث: نشأته وتطوره والتأليف فيه وأشهر مؤلفاته، وقد قام المؤلف بعملية استقصاء وبحث كانت نتيجتها بيان أن بدايات نشأة العلم كانت على يدي أئمة أهل البيت ﷺ، وأولى الوثائق العلمية في الفكر الحديثي كانت من أمير المؤمنين عليه السلام في رواية الكافي (المذكورة في باب تاريخ العلم) التي كانت «المنطلق الواعي لتدارس الفكر الحديثي وتوالده».

وأضاف الإمام الصادق عليه السلام في عدد من الروايات مجموعة من قواعد علم الحديث، منها: الأمانة، والتوثيق في نقل الحديث، وطرق تقييم الحديث، وطرق حلّ تعارض الأحاديث ... وغيرها.

كما أوضح أن أول كتاب في علم الحديث عند الإمامية ـ نقلاً عن فهرست ابن النديم ـ كان كتاب أبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١هـ)، وعنوانه: «الأصول في الرواية على مذهب الشيعة».

وأوضح في هذا القسم التطور في عالم الفكر الحديثي منذ إدراجه عند القدماء من الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في كتاب أصول الفقه، حتى القرن السابع، حيث بدأ التأليف فيه يستقل على يدي السيد ابن طاووس ومدرسة الحلة، ومن ثم استقلاله الكامل في مؤلفات الشهيد الثاني التي كانت رائدة في التأليف في علم دراية الحديث.

ثم ذكر المؤلف في هذا القسم أشهر مؤلفات علم الحديث في مراحله التاريخية حتى عصرنا هذا، شارحًا باختصار ما أضافه كل مؤلفٍ من إسهامات ومباحث.

هذه المعرفة التاريخية التي تضع الطالب في صورة ذهنية وتصور جلي للعلم، منذ بداياته الأولى وتطوره عبر الزمن حتى وصل إلى بنائه الحالي، وتضع أمامه المصادر والمؤلفات التاريخية التي ساهمت في هذا البناء لمادة العلم، فإنها تساعده كذلك على البحث والدراسة في علم الحديث، منطلقًا من حصيلته الغنية لمصادر العلم ومراحل تطوره.

وفي القسم الثالث من المقدمة، كتب المؤلف فهرستًا للمصطلحات العامة في هذا العلم، مبينًا معانيها في اللغة العربية، وفي اصطلاح علماء هذا العلم، ومناقشًا كل تعريف وصدق دلالته على المعنى، ومحدِّدًا التعريف السليم منها أو واضعًا تعريفًا للمصطلحات غير المعرّفة ممن سبقه.

ومن جميل ما قرره في هذا القسم وفي أقسام أخرى ـ وهو المتبحر في لغته العربية ـ في معرض نقده لتعريفات اللغويين وعلماء الحديث لبعض المصطلحات: «أن الاختلاف في دلالات المصطلحات جاء من الخلط الذي وقع فيه اللغويون المعجميون عند تعاملهم مع الألفاظ ودلالاتها، حيث لم يفرقوا ـ فيما ذكروه في معاجمهم ـ بين المستوى اللغوي لاستعمال الألفاظ والمستوى العلمي، والمطلوب ـ منهجيًّا ـ هو التفرقة بين هذين المستويين».

وفي رأيه أن «تسليط الضوء على واقع هذه المصطلحات يتم من خلال استقرائها في استعمالاتها على ألسنة المحدثين والفقهاء، وفي كتاباتهم، أي من خلال دراستنا للمستوى العلمي لها ... وعندما نقول: هذا مصطلح من مصطلحات علم الحديث، نعني أن علماء هذا العلم هم الذين حددوا له ـ معناه العلمي (الاصطلاحي) ... والطريق السليم لمعرفة هذا هو ملاحظة ومتابعة استعمالهم للفظ المصطلح في لغتهم العلمية».

☐ مادة العلم

وزّع المؤلف الكتاب على الأبواب التالية:

١- مصادر الحديث

وضم العناوين التالية: رواية الحديث، وتدوين الحديث عند أهل السنة، وعند أهل البيت ﷺ، وتدوين الحديث عند الشيعة، والأصول الأربعمئة، وكتب الحديث الأخرى، والجوامع الأربعة المتقدمة، والجوامع الأربعة المتأخرة.

وهذا الباب يكاد يكون موسوعة مصغرة في مجال رواية وتدوين الحديث عند المسلمين؛ لسعة ما حواه من معلومات مستفيضة وبحوث مطولة، واستعمل المؤلف طريقة البحث المقارن المتسلسل لمراحل تدوين الحديث بين المدرستين السنية والشيعية، وضمنه نقاشات وحوارات مع ما ذكره علماء المسلمين من اجتهادات وآراء وأسباب ... ثم توسع في وصفٍ وافٍ لمراحل تدوين الحديث عند الإمامية ومعالم ونتاجات كل مرحلة منها، مدعّمًا إياها بإحصاءات لعدد الأحاديث والأبواب في الموسوعات الحديثية الكبرى.

ومما أشار إليه وأثبته أن المجموعات الحديثية في الفكر الإمامي من حيث العدد كثيرة جدًّا، «وأن حديث أهل البيت ﷺ بالوفرة الوفيرة التي تغطي مساحة التشريع

الإسلامي كلها، وتوفّي جميع احتياجات الفقيه من النصوص الشرعية في مجال الاستنباط».

٢- عناصر الحديث

وهي السند والمتن، حيث شرح كلاً منهما تعريفًا ومفردات ودلالات.

٣- أقسام الحديث

وهو بحث مطوّل جدًّا؛ لأنه يقع في صلب مادة العلم، ضمّ أنواع تقسيمات الحديث وتعريف وشروط ومشروعية كل قسم من أقسام الحديث، مع الاستدلال المفصل في كل مبحث منها.

وتوسع المؤلف في مباحث خبر الآحاد، بفرعيه المسند والمرسل، فأفرد لها أبوابًا مستقلة، شارحًا أقسام كلٍّ منها وحجيته، وذاكرًا كافة الآراء في مسائله، ومناقشًا أدلة كل رأيٍ منها بالتفصيل.

وقد أفاض المؤلف في بعض مباحث هذا الباب، كتحليله لعوامل الإضمار للخبر المضمر، وتوضيحه المفاهيم الركائز التي قامت عليها أقسام الحديث، وهي التعديل والتحسين والتوثيق والتضعيف، وحصره الألفاظ الدالة على كل منها المستعملة من قبل الرجاليين، وشرحه لبعض هذه الألفاظ والعبائر المستعملة التي تحتاج لتوضيح معانيها.

كما أفرد للحديث الموضوع عند المسلمين ـ سنة وشيعة ـ قسمًا خاصًّا، تناول فيه كل ما يتعلق به من بحوث، وأسهب في حديثه عن تحليل عوامل الوضع في الحديث، مع ذكر الأمثلة والشواهد لكل عامل منها، وأمارات الوضع، والمؤلفات في الموضوعات.

ومما ذكره في هذا الموضوع ـ نتيجة الاستقراء والإحصاءات ـ: «والذي يُتَوَصَّل إليه من مراجعة كتب الحديث لأهل السنة، وكتب الحديث للإمامية، أن شيوع الوضع وانتشاره عند أهل السنة كان أكثر بكثير من عند الإمامية».

ويشير إلى السبب في موضع آخر: «يرجع هذا إلى العامل السياسي الذي فتح بابه معاوية بن أبي سفيان ـ كما تقدم ـ، وكذلك إلى العاملين الاقتصادي والاجتماعي، حيث كان الحكام يقربون ويشجعون ويعطون الوضاعين».

٤ - أهلية الراوي للرواية

ويُعدّ «هذا الموضوع من أهم موضوعات علم الحديث، لأن به، ومن خلال ما يذكر فيه من مؤهلات، يلزم توافرها في الراوي، يُميّز ويُفرّق بين الرواية المعتبرة والأخرى غير المعتبرة.

ولأن على أساس منه يقوم الرجاليون بمهمة التعديل والتجريح، والتوثيق والتفسيق، ليعرف في ضوء ما يذكرون من قيم للراوي مدى اعتبار السند وعدم اعتباره.

وليعرف أيضًا مستوى السند من حيث الصحة والحسن والوثاقة والضعف .. وغيرها.

ويستفاد منه أيضًا في مجال الترجيح بين الأسانيد، من خلال معرفة مستوى السند من حيث العلو والدنو والتوسط.

إلى غير هذه مما يعرف في مواضعه من بحوث الرجاليين والمحدثين».

وضم الباب بحوثًا أخرى ذات علاقة، كطرق معرفة العدالة والجرح، واجتماع الجرح والتعديل، والرواية عن المرأة ... وغيرها.

٥ - التصحيحات العامة

وهو بحث جديد أضيف من قبل علماء الإمامية المتأخرين عبر استقراء «كتب الحديث وكتب الرجال وكتب الفقه الاستدلالي واستنباط عبائر تنبيء أنها ضوابط أو قواعد حديثية أفيدت من واقع علمي الرجال والحديث، إلا أنها لم تدوّن في كتب الأقدمين بشكل بحوث، وإنما ذكرت على صورة نتائج لبحوث علمية، طويت صفحاتها فلم تصل إلينا.

وقد حاول علماؤنا المتأخرون، لاسيما المعاصرين منهم دراستها في ضوء مبادئ وأصول علْمَي الرجال والحديث، للخروج منها بنتائج مقرونة بأدلتها، ومستنداتها».

وعنونها المؤلف بـ «(التصحيحات العامة) لأنها ـ في حقيقتها ـ هي تصحيح لمجموعة من الأحاديث يضمها إطار خاص».

واختار منها «أهمها مفادًا، وأكثرها شمولية، وهي:

- تصحيح روايات أصحاب الإجماع.
- تصحيح مراسيل الثلاثة: ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.
- تصحيح أحاديث الكتب الأربعة».

وتحدث عن كلٍّ واحد منها، ومفصّلاً في تحليل نقاط الخلاف في مسائله وفوائده.

٦- كيفية تحمل الحديث وطرق نقله

وفي هذا الباب تعرض لتعريف وبيان أهلية وشروط تحمل الحديث وطرق نقله التي حددها بثماني طرق شرح كلاً منها بالتعريف والشواهد.

وأخيرًا،

فإن هذا المقرر الدراسي يدخل في المقدمات الضرورية التي يلزم طالب العلوم الشرعية أن يتعلمها ويتقنها كجزءٍ أساس لتحصيله وممارسته لعملية الاجتهاد والبحث الفقهي.

وهو ـ كما أشرنا ـ يعدّ أحد أهمّ إنجازات الشيخ الفضلي في تطوير وتجديد مناهج الدرس الحوزوي الإمامي.

قراءة في كتاب (أصول علم الرجال)

■ حسين منصور الشيخ ■

يُعدُّ علمُ الرجال من العلوم الإسلامية النفيسة التي نشأت في ظل المنهج البياني (النقلي) الذي يُعنى بالنصِّ تأصيلاً ودراسةً.

وإذا كانت مادة هذا العلم في (الفوائد الرجاليّة)، وفي (الكليّات الرجاليّة)، فإنَّ ما يجعل من المادة علمًا هو المنهج الذي ينتظمها فيعلي من شأنها، لينقلها من نثير المعارف إلى سلك العلوم.

ولعلَّ من نافلة القول إنَّ هناك شيئًا آخر غير المنهج يرجع إليه التمايز بين مدوَّنات العلوم، وإلاّ ما الذي يجعلنا نفاضل بين كتابٍ وآخر على الرغم من اشتراكهما في الموضوع والمنهج.

الشيء المعنيُّ ـ هنا ـ هو ثقافة المنهج التي تتفاوت بين مدوِّني العلوم، وكتَّابِهِ، وروَّاده.

إنَّ عالمًا يشتغل على التدوين، والكتابة، ولا تجاوزه الريادة في كثيرٍ من إنتاجه العلمي هو، وبلا ريب، أكثر تمثُّلاً للمنهج ولثقافة المنهج.

وإلى ذلك ترجع المنهجيَّة إلى فرادتها، وبها تتأطَّر المؤلَّفات المنهجيَّة لأستاذنا الكبير العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

وكتاب (أصول علم الجال) أحد حلقات مناهج الدرس الشرعي التي استوعبتها تلك التجربة المنهجية الرائدة.

يُشكِّل هذا الكتاب (أصول علم الرجال) مع كتاب (أصول الحديث) للعلامة الفضلي، وحدة أساس لدراسة السُنَّة الشريفة/ المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد الكتاب العزيز.

ومن دون الدرس الرجالي لا يمكن الوصول إلى مرتبة الاجتهاد؛ لأنه أحد مقدمات البلوغ لتلك الرتبة العلميّة العالية، وإلى تسهيل تلك الغاية الأسمى لقاصديها، كانت جهود شيخنا العلامة الفضلي في مشروعه الرائد. وكان هذا الكتاب من تلك الجهود.

☐ بين يدي الكتاب

امتدّت تجربة الكتابة المنهجية لدى العلاّمة الدكتور الفضلي لأكثر من أربعين عامًا، غطّى فيها سماحته معظم العلوم الشرعية (الفقهية والأصولية والعربية والعقلية والقرآنية)، ولم يكن غائبًا عن مشروعه ـ في تحديث الدراسة الدينية ـ علوم الحديث ورجاله، فأفرد لكلٍّ من علمَي الحديث والرجال مقرّرًا دراسيًّا، تمشّى فيهما وفق النسق التحديثي الذي اصطبغت به مؤلّفاته المنهجية.

وفي هذه الوجيزة، يمكن تسليط الضوء على بعض السمات التي تميّز بها عن بقية مقرّرات علم الرجال الإمامية، وذلك ضمن النقاط التالية:

أ. سهولة تناوله للمادّة العلمية

أنجز الدكتور الفضلي هذا المنهج ليكون مقرّرًا دراسيًّا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ومن طبيعة المناهج الجامعية الأكاديمية تناول المادّة العلمية بلغة سهلة معاصرة، وهذا ما قد يكون محفِّزًا لتناول المنهج بهذه الطريقة، ولكنّ الشيخ الفضلي قد اتخذ منهجًا محدَّدًا منذ بدء انخراطه في مشروع تحديث الدراسة الدينية، الذي تبنّاه مشروعًا وهمًّا أوليًّا دون بقية الاهتمامات الأخرى، وهو كتابة هذه المقرّرات وفق المنهج العلمي الحديث، وهو المنهج الذي يتناسب واللغة العلمية الميسّرة، فكانت جميع مدوّناته المنهجية تسير في هذا الاتجاه، سواءً تبنّتها الجامعة أم الحوزة العلمية.

ولهذا لا يجد غير المنتمي للدراسات الحوزوية التقليدية صعوبة في تلقّي مادة علم الرجال عندما يطالع هذا المقرّر دونما بقية المقرّرات الأخرى، التي لا تراعي هذه المسألة بعين الاعتبار.

ب. المقدّمة العلمية الواسعة

من الخطأ أن يندرج الطالب في مسائل العلوم دون تمهيد وحصيلة جيّدة من مقدّمات هذه العلوم، فكلما كان الاستعداد والتهيئة العلمية جيّدة، كان ذلك أكثر عونًا للطالب على دَرْكِ مفاهيم ومسائل العلوم التي يدرسها.

وهذا ما قام به الشيخ الفضلي في مقرّره هذا، ذلك أنه قسّم الكتاب إلى أقسامٍ ثلاثة:

- مقدّمات علم الرجال.
- قواعد علم الرجال.
- فوائد علم الرجال.

مستغرقًا في بحث المقدّمات بما يقرب من نصف الكتاب، إذ بدأها بعناوين المقدّمة العلمية، فبحث: تسميته، وتعريفه، وموضوعه، وفائدة دراسته، وعلاقته بالعلوم الشرعية الأخرى، والفرق بينه وبين مادّة أسماء الرجال.

ثم انتقل للحديث عن التأريخ لتدوين مادّة أسماء الرجال (الرواة)، ومن ثمّ الحديث عن بدء تدوين مبادئ علم الرجال إلى عصرنا الحاضر، منهيًا المقدّمات بالحديث عن المصطلحات العامّة في هذا العلم.

ومن أبرز سمات مؤلفات الدكتور الفضلي الاهتمام بالمقدّمة العلمية؛ لأنها المدخل الحقيقي لأيّ علمٍ من العلوم، وبقدر ما يتقن الطالب هذه المقدّمات، تكون استفادته فيما بعد من مسائل العلم.

ج. التأريخ لعلم الرجال

لقد اهتمّ الشيخ الفضلي بالكتابة في العلوم الشرعية وفق المدرسة الإمامية، ولكنّه حاول ألا يكون حبيس المنهجية الحوزوية القديمة التي تسلكها معظم الدراسات الإمامية، ذلك أنه يؤمن بأن المنهج العلمي الحديث هو المنهج المفترض أن تدوّن وفقه العلوم، وليس المنهج العقلي المتّبع، ومن أساسيات هذا المنهج دراسة تاريخ العلم وتطوّره في مراحله المتعدّدة، ولذلك أغنى العلاّمة الدكتور الفضلي المكتبة الإسلامية الإمامية بتأريخه لمعظم علومها الشرعية، ومن هذه العلوم التي أرخ لها: علم الرجال، وهي النقطة التي تفتقدها معظم المدوّنات الرجالية الإمامية، وهي من أهم سمات هذا المقرّر، حيث استغرقت معظم صفحات مقدّماته العلمية.

د. التفريق بين أسماء الرجال وعلم الرجال

من بين أبرز النقاط التي أولاها الدكتور الفضلي اهتمامًا واضحًا في مقرّره هذا: مسألة التفريق بين كتب مادّة أسماء الرجال، وبين كتب علم الرجال، «فالمادة الموجودة في المدونات المعروفة بكتب الرجال، أمثال: (رجال الكشي) و(رجال الطوسي) و(خلاصة الأقوال) للعلامة الحلي و(تنقيح المقال) للشيخ المامقاني، تحوي اسم الراوي ونسبه أو نسبته، وتقييمه من قبل الرجاليين، ... بينما مادة علم الرجال تحوي الأصول العامة والقواعد الكلية التي تطبق من قبل الباحث أو الفقيه على الجزيئات الموجودة في كتب الرجال التي هي تعريف الراوي وتقييم حاله، من أجل أن نعرف أنه ثقة أو غير ثقة»[1].

وهي نقطة بيّنها بشكل أوضح عندما أرّخ لنشأة علم الرجال، حيث فرّق هناك بين نشأة تدوين كتب أسماء الرجال، وبين نشأة المؤلّفات التي تهتمّ بوضع القواعد الكلّية لعلم الرجال، وهي نقطة لم أجدها ـ فيما لديّ من مصادر ـ في مدوّنات علم الرجال، وبخاصّة الكتب الدراسية منها، حيث لا يفرّق المؤلّف هناك بين كتب أسماء الرجال ـ مثل كتاب الكشّي ـ وكتب علم الرجال ـ مثل الفوائد الرجالية للشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي الشهير بالبهائي ـ، فيخرج الطالب بعد دراسته لهذا العلم في تلك المقرّرات غير مفرّقٍ بين هذه وتلك[2].

هـ. تقسيم علم الرجال إلى: قواعد وفوائد

قسّم الشيخ الفضلي مسائل العلم في مقرّره هذا إلى: قواعد كلية، وفوائد، بحيث جعل القاعدة العامّة ضمن قسمٍ مستقلٍّ عن تلك الفوائد الرجالية التي لا تنطبق إلا على جزئية خاصّة وفي مورد محدّد، وهي المسألة التي غابت عن المقرّرات الأخرى، إذ أُدرِجَت مع المسائلِ الكُلِّيَّةِ (القواعدِ) الفوائدُ الرجاليَّةُ، دون تمييز واضح بينهما، فلا يفرّق الطالب بعدها بين ما هو قاعدة عامّة، وبين الفائدة الرجالية محدودة التطبيق، ومن أمثلة ذلك: أن الشيخ الفضلي أدرج مسألة أسانيد كتاب الكافي للشيخ الكليني

(١) أصول علم الرجال، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) راجعتُ ـ للموازنة بين منهج الدكتور الفضلي وغيره في المقرّرات الرجالية ـ الكتب التالية: كليات في علم الرجال للشيخ جعفر السبحاني؛ ودروس تمهيدية في القواعد الرجالية للشيخ باقر الأيرواني؛ وتحرير المقال في كليات علم الرجال للشيخ مهدي الهادوي الطهراني.

ضمن الفوائد؛ لأنها لا تُطبّق إلا في كتاب الكافي بخاصّة، بينها أدرجت هذه المسألة مع المسائل العامّة في المصادر الأخرى.

ولا يبعُد أن يكون عدم تقسيم هذه المقرّراتِ العلمَ إلى قواعدَ وفوائدَ سببًا في عدم إدراج العديد من الفوائد الرجالية التي ذكرها الشيخ الفضلي هنا، كما هي الحال في بعضها.



إننا نفهم السياسة في سياقها الإسلامي على أنها سياسة مبادئ، الغرض منها قيادة الناس وفق مبادئ وتعاليم المبدأ الذي تنتمي إليه الأمة واندمجت تحت رايته، وهو مبدأ توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له دون سواه، وليست سياسة مصالح ومطامح شخصية تخدم شريحة على حساب بقية شرائح المجتمع.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

العلامة الفضلي مؤرِّخًا للعلوم الإسلامية

أضواء عامّة على تجربة «أصول علم الرجال»(*)

■ الشيخ أحمد عبد الجبار السمينّ(•) ■

□ تمهيد

عُرف شيخنا العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي واحدًا من روّاد التّجديد في المقررات الدّراسيّة في الحوزات العلمية، إلى جانب أساتذته: الشيخ محمَّد رضا المظفّر (١٣٨٣هـ) والسيّد محمَّد باقر الصدر (١٤٠٠هـ) والسيّد محمَّد تقي الحكيم (١٤٢٣هـ)، الذين انعطفوا بالمقررات الدّراسيّة الحوزوية إلى اتّجاه أكثر معاصرة ومواكَبة لما هو جديد على المستويات العلمية والتربوية؛ لتكون الحوزات وطلاّبها بمستوى المواجهة الثقافية/ الحضارية التي يخوضها المسلمون اليوم ضد الاتجاهات الفكرية الأخرى.

وريادته هذه حصرته لدى الآخر في هذه الزّاوية، زاوية تحديث مقررات الدّراسيّة، وغَيّبت ظواهر علمية مضيئة أثارها الشيخ الفضلي، في ثنايا كتاباته الدّراسيّة وغير الدّراسيّة، لا تقلّ في الأهمّية عن مشروعه الأساس. ومن هذه الظواهر: التّوسع في المقدّمات العلمية (المبادئ التصورية) للعلوم، توظيفه للفروع العلمية المعرفية المتنوّعة في العلوم الشّريعة، إعادة هيكلة العلوم بما يتناسب مع التّرتيب المنطقي والتربوي، إعادة صياغة اللغة العلمية الحوزوية من جديد، وغيرها من الظّواهر التي تستحق الرّصد فالتقييم والتّقويم.

وفي هذه الأوراق الماثلة، أتناول إحدى هذه الظواهر المُثارة وهي: التأريخ للعلوم الإسلامية، التي درسها في غير واحد من كتبه الدّراسية وغير الدراسية كما

(*) مداد العرفان، إعداد: فؤاد الفضلي، ص ٣٩٥ ـ ٤١٠.

(•) باحث وأستاذ بالحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة، من مدينة الدمام، شرق السعودية.

سأبيّن إن شاء الله تعالى، حيث سأقتصر على الإضاءة العامّة على تجربته في التأريخ لعلم الرّجال من خلال كتابه (**أصول علم الرجال**).

☐ تاريخ العلوم، إطلالة عامة

١ - من الواضح أنّ العلوم كالكائنات الحيّة، لها تكوّن ونشأة ونموّ ونضج وقوّة و... إلى أن تبدأ بالكبر والشيخوخة، إلى أن يصل حال بعضها إلى الموت والاندثار، لتحلّ علوم أخرى محلّها.

فالعلوم لا تتكوّن دفعة واحدة، إنّما هي مجموعة من الأفكار التي يثيرها ويثريها العلماء في علوم شتّى لتتشكَّل منها فيما بعد مسائل مختلفة تدور كلّها حول محور واحد، هو ما يُعبّر عنه بـ «موضوع العلم» الذي يكون هو المعيار في ضمّ أيّ مسألة تحت مظلّة هذا العلم أو ذاك، لتتطوّر العمليّة أكثر فيكون لعلاج هذه المسائل والبحث فيها منهجٌ خاص يميّزها عن غيرها من العلوم، فتصنَّف المصنَّفات الباحثة فيه، وتتكوّن المدارس والاتّجاهات في هذا العلم وهكذا[1].

٢- إنّ الجهود العلميّة التي يبذلها العلماء والباحثون في أي علم من العلوم تكون قائمةً على التّعاطي «المنحاز» مع العلم والمعطيات العلميّة فيه؛ بمعنى أنّ الباحث حال قيامه بالعملية البحثية يكون نظره مركّزًا على الحقيقة ومحاولة الكشف عنها في داخل العلم نفسه، فيدخل البحثَ بذهنيّة التّصويب والتّخطئة، ومعياره لقياس الآراء والنّظريات هو مدى مطابقتها للواقع أو قربها منه، ولا تعنيه إلى حدٍّ مّا الفترات الزمنية بين هذه الآراء وسيرها التاريخي.

فالأصوليّ مثلاً، عند بحثه في العلاقة بين اللفظ والمعنى (حقيقة الوضع) ما يهمّه في هذا البحث هو الخروج بنظريّته الخاصّة به أو ترجيح إحدى النظريات المطروحة بعد نقده للنّظريات الأخرى، فالمعياره عنده مدى حكاية إحدى هذه النّظريات أو نظريته للواقع، وإثبات أنّ ما سواها لا تُطابق الواقع أو تطابقه بنسبة معيّنة، فهو بهذا منحاز للحقيقة التي ينشدها من خلال بحثه.

٣- وفي مقابل التّعاطي «المنحاز» مع العلم، هناك تعاطٍ آخر، وهو ما قد يُعبّر عنه بالتّعاطي «الحيادي»[2]، وهو الدّراسات التي يقف فيها الباحث أمام العلم

(١) كأنموذج على هذا لاحظ: السيد محمَّد باقر الصدر، دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى)، تحقيق وتعليق: مجمع الفكر الإسلامي - قم، ط٢، ١٤١٩هـ، ص ١٤٩.

(٢) الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني: وقفات وملاحظات، دار الانتشار العربي، ط١، ١٤٢٧هـ، ص ٩٣.

ومعطياته موقفًا بعيدًا عن أيِّ انتصارٍ لنظريّة أو رأي، فالمسافة بين الباحث وبين كل الأطراف من آراء ونظريات مسافة واحدة؛ لأنّ غرضه هنا ليس معرفة مدى مطابقة معطيات هذا العلم للواقع، بل قراءة العلم قراءةً تاريخيّةً بعيدة عن ذهنية التخطئة والتصويب، وهو ما يراد بتاريخ العلوم، «فتاريخ العلوم سعيٌ فكريٌّ لدراسة المعرفة الإنسانية دراسةً تاريخيّةً تستبعد في أكثر الأحيان عناصر الصواب والخطأ والحكم والتحكيم، وإن كانت نتائجه نافعة في الدّرجة الثانية لتأكيد مقولات أخرى»[1]. وبتعبير آخر: يمكن القول بأنَّ تاريخ العلم هو رصد لحركة العلم الكلّية والجزئية رصدًا تاريخيًّا؛ فالباحث يلاحظ فيه حركةَ العلم منذ نشأته إلى تطوّره ونضوجه وبروز الاتّجاهات المختلفة فيه وتكوّن المدارس المتنوّعة داخله وعلاقاتها ببعض وأنواع مصنّفاته وأبرز أعلامه و...، وهذا ما يمكن أن يُطلق عليه الحركة الكلّية للعلم، في مقابل الحركة الجزئية فيه، وهي الرّصد التاريخي لظواهر ومفردات داخل العلم، كالتأريخ للمدارس العلمية أو مدرسة منها، المراكز العلمية أو مركز منها، اتّجاه معيّنٍ في العلم، مسألة من مسائله يؤرّخ فيه الباحث لأوّل انبعاث لها وحركتها ضمن المدارس والاتّجاهات العلمية وما صنّف فيها، وهكذا بقيّة مفردات العلم.

٤- بناءً على ما ذُكر أعلاه، يتّضح أنّ دراسة التاريخ العلمي تتطلّب مواصفات إضافية على مواصفات الباحث في غيره.

ولو أردنا أن نخصص الحديث بالباحث في تاريخ العلوم الإسلامي، فلعلّ أهم هذه المواصفات هي:

- **الاطّلاع المفصّل على التّراث الإسلامي**: فكلّما اتسعت دائرة إلمام الباحث بالتّراث وجزئيّاته، كان تأريخه للعلم أدق، والعكس بالعكس؛ لأنّ طبيعة البحث التاريخي تعتمد على وفرة المعطيات التي سيربط بينها الباحث لإيضاح خط سير العلم.

وفي داخل هذا الإطار أيضًا، فإنّ تعدد نوعيّة التراث الملَمّ به سيؤثّر كذلك في دقّة الصورة التاريخية التي سيحصل عليها الباحث، فالمطّلع على التراثين السّني والشيعي ستختلف نتائجه التاريخية عن المقتصِر على تراث إحدى الطّائفتين، وهكذا.

(١) المصدر السابق: ٩٢

- **المطالعة الفوقانية للتّراث**: هناك مَن يمتلك اطلاعًا مفصّلاً في التّراث الإسلامي إلا أنّه لا يمتلك القدرة على ملاحظة هذا التراث بنظرة فوقانية يحدّد من خلالها المسارات المختلفة التي يسير عليها العلم، وهذا ما يفترق به الباحث الحيادي عن المنحاز، فإنّ ما يهمّ الثاني هو رصد المعلومات التي تسلمه إلى النتيجة، من دون أن يهتمّ بنشأة هذه المعلومات وطبيعة حركتها وتطوّرها، خلافًا للباحث التاريخي.

٥- وبعد هذا العرض الإجمالي للتاريخ العلمي، يمكن الإشارة إلى بعض الفوائد الأساسية للبحث التاريخي، وأذكر هنا فوائد ثلاث:

الأولى: الكشف عن علاقات العلوم لفهم أوعى لها:

من أهم الموضوعات التي تشغل ذهن المؤرِّخ هو بداية تكوّن العلم، فكيف نشأ هذا العلم أو ذاك؟ ليكتشف المؤرِّخ بعد عمليّة الرصد التاريخي أنّ العلم الذي هو في صدد التأريخ له يلتقي في أساسه مع علم آخر، انفصلا عن بعضهما البعض لأسباب معيّنة يكشف عنها البحث التاريخي، وهذا ما سيؤثّر في فهم طبيعة بعض الظواهر في العلم الجديد؛ فمثلاً «لو رجعنا لعلم الرجال عند الإماميّة في الحدّ الأدنى، سنجده ـ في بعض حقبه الزّمنية على الأقل ـ مستقرًّا في رحم علم التّراجم، ولم يُفصل بينها بشكل واضح ونهائي وصريح إلا مع **الحرّ العاملي** (١١٠٤هـ)، وذلك في كتابه (**أمل الآمل في علماء جبل عامل**)، فقد خصَّص العاملي هذا الكتاب للحديث عن علماء عامل لأسباب ذكرها، وقبل ذلك كانت كتب الرجال مختلِطة ـ في الجملة ـ بكتب التراجم»[١]. ولن نستطيع فهم سبب ذكر علماء الرجال ـ مثلاً ـ لمصنّفات الرّاوي إلا إذا أدركنا ـ عبر البحث التارخي ـ أنّ أحد أهم جذور علم الرجال هو علم المصنّفات، فالمصادر الرجاليّة الأولى **كفهرستي النجاشي والطّوسي** هما في الأساس كتابان لرصد مصنّفات وكتب الشيعة[٢].

الثّانية: إعطاء الصورة الشّاملة للمشهد العلمي، وإبراز ما هُمّش من نتاج:

إنّ الأجواء العلمية والتّعليمية تُبرز مجموعة من الشّخصيات أو المدارس التي يُختزل من خلالها المشهد العلمي في علم ما، وهذا الاختزال غير صحيح لأنّه يؤثّر

---

(١) أحمد عبد الجبار السمين، دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية.. تقريرات محاضرات الشيخ حيدر حب الله، دار الفقه الإسلامي المعاصر ـ قم، ط١، ١٤٣٣هـ، ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٥.

على آخرين أسهموا في تطوير الحركة العلمية؛ فينتج من ذلك صورة غير واقعيّة عن المشهد العلمي وتفاعلاته، ففي علم الكلام ـ مثلاً ـ «تبرز أسماء المفيد والصدوق والحلّي والمظفّر وكاشف الغطاء والمطهري والإيجي واللاهيجي والقاضي المعتزلي وابن روزبهان و... فيما تختفي أسماء العشرات الاخرين من ذوي النّشاط والفاعلية في تنمية علم الكلام ومداولته على الأقل كالحلبيين؛ أبي الصّلاح [في] (الكافي في الفقه)، وابن زهرة [في] (غنية النزوع) والحرّ العاملي [في] (إثباة الهداة) والفيض الكاشاني [في] (علم اليقين) والسيد شبّر [في] (حق اليقين) وغيرهم»[١].

الثّالثة: إرجاع المسائل والنّظريات العلمية إلى أصولها الأصليّة:

لبعض النّظريات والمسائل في علم ما أصول وجذور في علم آخر، لا نستطيع الوصول إليها إلا من خلال البحث التاريخي، ولمعرفة هذه الجذور دور مهمّ في فهم النّظريات وكشف المُرادات الغامضة لبعض مَن تناولها، فرُبَّ مسألة أصولية بالتَّتبع التاريخي تظهر لنا أصولها الكلاميّة أو الفلسفيّة أو... وقد قام الشهيد مرتضى مطهري (١٣٩٩هـ) بهذا النّوع من الاكتشافات بشكل واسع في علم الفلسفة، فأرجع بعض النّظريات التي اشتهرت بها بعض الشّخصيات إلى شخصيات أخرى سابقة، كما أرجع أصول بعض المسائل الفلسفية إلى علوم أخرى كالكلام والعرفان، يقول في بحث تاريخ مسألة «وحدة الوجود وكثرته»: «لم تُطرح هذه المسألة في كتب الفلاسفة القدماء بالصورة التي هي عليها الآن من حيث عنوانها والشّكل الذي نراها عليه في الكتب الحديثة. فالفلاسفة السابقون لملا صدرا لم يذكروها كما هي عليه بعده ... ومن المحتمل أن يكون العامل الذي أدخل بحث «أصالة الوجود» في الفلسفة، هو نفسه الذي أدخل بحث «الوحدة والكثرة» في أبحاث الفلسفة، وربما كان العرفان الإسلامي أحد أهم العوامل المؤثّرة في ذلك، ولعلّ أوّل من أدخل هذه المسألة إلى العرفان الإسلامي وذكرها بهذا العنوان الصّريح هو محيي الدين بن عربي في القرن السّابع الهجري»[٢].

وغيرها من الفوائد[٣].

(١) الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني: ١١١، مصدر سابق.

(٢) الشيخ مرتضى مطهري، دروس في الفلسفة الإسلاميّة، ترجمة: الدكتور عبد الجبار الرفاعي، ط١، ١٤٢٩هـ، مركز دراسات فلسفة الدين ـ بغداد، ١: ١٦٣.

(٣) لتفصيل أكثر حول بعض فوائد تاريخ العلوم، يمكن مراجعة: الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الإسلامي: ١٠٤-١٢٤، مصدر سابق.

□ نزعة القراءة التاريخية للعلوم الإسلامية

القارئ لتراث العلامة **الفضلي** ـ سيلاحظ وبوضوح ـ عمق اهتمامه بمسألة التاريخ العلمي، وهذا الاهتمام يكشف عن إيمان بأهمّية أمثال هذه البحوث والدّراسات؛ ولعلّ أهم ما يُميّز تجاربه في هذا الميدان هو: الشّمولية، والتنوّع.

أمّا **الشّمولية**، فقد طالت تجاربه في التاريخ أكثر من علم، فباستقراء سريع في مؤلّفاته سيبدو الأمر جليًّا، فأرّخ للفقه في (**تاريخ التّشريع الإسلامي**) وفي الجزء الأوّل من (**دروس في فقه الإماميّة**)، كما أرّخ لعلم الأصول في مقدّمة كتابه (**دروس في أصول فقه الإماميّة**)، وتناول تاريخ علمي الدراية والرجال من خلال (**أصول علم الحديث**) و(**أصول علم الرجال**)، وأرّخ أيضًا للفلسفة بشكل عام وللفلسفة الإسلامية بشكل خاص في كتابه (**خلاصة الحكمة الإلهية**)، ولعلم الكلام في كتابه (**خلاصة علم الكلام**)، وللمنطق في (**خلاصة المنطق**)، كما تناول تاريخ الفكر الإنساني في كتاب (**أصول البحث**)، وأيضًا أرّخ للعلوم القرآنية؛ للتّجويد في (**الموجز في علم التجويد**) وللقراءات القرآنية في (**القراءات القرآنية.. تاريخ وتعريف**). هذه نماذج من أعماله في العلوم الإسلامية، أمّا في غيرها فأذكر نموذجين الأوّل (**مراكز الدّراسات النحوية**) كتأريخ لعلم النحو، والثاني لنشأة التحقيق في أوروبا والبلاد العربية في (**تحقيق التراث**).

أمّا **التنوّع**، فيظهر من الجزئيات التي تناولها بالبحث التاريخي، منتقِّلاً بين تاريخ المدارس والمسائل والتّصانيف والمصطلحات وموضوعات الأحكام وغيرها.

وكنماذج على بعض هذا، أذكر: تاريخ التقليد[١]، تاريخ المصنّفات في بحث (الاستصحاب)[٢]، تاريخ التّصنيف في (العام والخاص)[٣]، تاريخ (أسباب التّملك عند الإنسان)[٤]، تاريخ (البنوك)[٥]، تاريخ (الصلاة)[٦]، تاريخ (الغناء)[١]، تاريخ مصطلحيّ (البراءة والاحتياط)[٢]، وغيرها الكثير في ثنايا كتبه ومقالاته.

(١) التقليد والاجتهاد.. دراسة فقهية لظاهرتي التقليد والاجتهاد الشرعيين، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٤٣-٤٧.

(٢) دروس في أصول الإمامية، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢: ٤٧٣-٤٧٤.

(٣) المصدر السابق ٢: ٣٠٣-٣٠٤.

(٤) دروس في فقه الإمامية، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٥هـ، ٤: ١٣-١٧.

(٥) المصدر السابق ٥: ١٧.

(٦) مبادئ علم الفقه، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ، ١: ٧٥.

هذه الوفرة تكشف لنا مدى حضور تاريخ العلوم في عقليّة **شيخنا الفضلي**، ولعلّ السبب في ذلك هو تأثّره بأصول البحث الأكاديمي؛ لأنّ أمثال هذه البحوث لم تكن مصبَّ اهتمام الحوزات العلميّة كما كانت مصبّ اهتمام الجامعيين، يقول في «التطوّر الفكري الأصولي» مشيرًا إلى هذا الأمر: «لم أرَ ـ في حدود مراجعاتي وقراءاتي ـ من كَتَبَ في هذا الموضوع نظير ما رأيته وقرأته في كتابات الأساتذة الجامعيين، باستثناء ما جادت به يراعة أستاذنا المجدد الشهيد الصدر في مقدّمة الحلقة الأولى... »[٣].

□ العلامة الفضلي ومنطلق التأريخ لعلم الرجال

تعدّ تجربة العلامة الفضلي في التأريخ لعلم الرجال في مقدّمة كتاب **(أصول علم الرجال)** من التّجارب الأولى والقليلة عند الإمامية، والتي منها:

- الأصول الأربعة في علم الرجال للإمام الخامنئي.
- تاريخ علم الرجل في القرون الخمسة الأولى للشيخ حسين الرّاضي.
- علم الرجال الشيعي.. مدخل إلى مراحل تكوينه وانطلاقته للدكتور مجيد معارف.
- دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية، تقريرات لمحاضرات الشيخ حيدر حب الله.
- ولعلّ هناك غيرها.

إلاّ أنَّ ما ميّز تجربة الفضلي في مقدّمة كتابه أنّها انطلقت في البحث التاريخي من منطلَق آخر غير ما هو سائد عند غيره، فقد حاول تفكيك البناء الكلّي لعلم الرجال، فلم يتعامل معه على المستوى التاريخي ككتلة واحدة يؤرّخ لها، إنّما كشف عن مكوّنات هذا البناء عبر أمور:

الأمر الأوّل: تعريف العلم، وإعطاء الضابط لإطلاق العلم على مجموعة المعارف والمسائل المنظَّمة، فهل كل معرفة منظَّمة هي علم أم لا؟ لأنّه بهذا التحديد سيكون هناك معيار تُقاس من خلاله أيّ معرفة تمرّ علينا لتحديد انتمائها إلى دائرة العلوم.

---

(١) مجلة المنهاج، العدد ٩، السنة ٣، ربيع ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ٣٩-٤٦.

(٢) دروس في أصول فقه الإمامية، مصدر سابق، ٢: ٥٠١-٥٠٢.

(٣) دروس في أصول فقه الإمامية، مصدر سابق، ١: ٨٩.

فالعلم عند الدكتور **الفضلي** هو: «مجموعة الأصول العامة أو القواعد الكلّية لهذا النّوع من المعرفة الّذي نحن بصدد دراسته»[١].

فالمائز الأساس للعلم عن غيره من المعارف المجتمِعة؛ هو كون المعارف العلميّة ذات طابع عامٍّ أو كلّي يمكن انطباقها على جزئيّات، والملاحَظ أنّ المسائل والمعارف الرّجالية منها ما يكون ذا طابع كلّي له جزئيّاته التي ينطبق عليها، ومنها ما ليس كذلك، فموضوع «توثيق الرجالي لأسانيده» قاعدة كلّية لها جزئيات منها: توثيق **علي بن إبراهيم** لرجال أسانيد تفسيره.

أمّا ما ذكره الشيخ **النّجاشي** ـ مثلاً ـ من أنّ **عبد العزيز العبديّ الكوفي**: روى عن **الإمام الصادق** عليه السلام، وهو ضعيف[٢]، فإنّها مسألة جزئية.

الأمر الثّاني: باستقراء المدوَّنات الرجالية بشكل عام، يظهر أنّها على صنفين مختلفين؛ **الصّنف الأوّل**: ما يكون مختصًّا بذكر قيم رواة الحديث من وثاقة وضعف وسواهما، ككتاب **(اختيار معرفة الرجال)** للشيخ **الطوسي**، و**(الفهرست)** للشيخ **النجاشي**، و**(خلاصة الأقوال)** للعلامة **الحلّي**، وغيرها.

والصّنف الثاني: هي تلك المدوّنات التي تتناول الأصول العامة والقواعد الكلّية التي تُطبَّق على جزئيّاتها (رواة السّند) من أجل معرفة قيمة الرّاوي الرّجالية؛ ككتاب **(الفوائد الرجالية)** للسيّد **محمَّد مهدي بحر العلوم**، و**(وجيزة في علم الرجال)** للميرزا **المشكيني**، و**(درر المقال في شرح الدراية والرجال)** للشيخ **إبراهيم الكرباسي** وغيرها.

الأمر الثّالث: إنّ المدوّنات الأولى في علم الرجال كانت من الصّنف الأوّل، أعني بها تلك التي تَذكر قيم الرّواة، ولا يظهر من عناوينها التي نُقلت إلينا أنّها ذات طابع كلّي، وما يؤيّد هذه الفكرة هو أنّ المؤرِّخين وإن وقع بينهم خلاف في أوّل من صنَّف في علم الرجال[٣]، إلا أنّ عناوين كتب هؤلاء المختَلف حولهم هي من

---

(١) أصول علم الرجال، مركز الغدير ـ بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ، ١٩.

(٢) النجاشي، رجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٩، ١٤٢٩هـ، ٢٤٤.

(٣) لمزيد من التفصيل، راجع: السيد حسن الصدر، الشيعة وفنون الإسلام، تحقيق: السيد مرتضى الميرساجدي، مؤسسة السبطين العالمية، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٢٦ وما بعدها؛ أحمد عبد الجبار السميّن، دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال، مصدر سابق، ٧٢ وما بعدها.

الصّنف الأوّل من المدوّنات. واستمرّ الحال على هذا إلى القرن الحادي عشر **الهجري** مع الشيخ **البهائي** (١٠٣١هـ) في كتابه **(الفوائد الرجالية)** حيث عُدَّ **أوّل مصنَّف** مستقل في القواعد الرجالية، لتتوالى التأليفات بعده(١).

إذًا، هناك تفاوت زمني بين ظهور مدوّنات علم الرجال من الصّنف الأوّل ومدوّناته من الصّنف الثاني.

من مجموعة هذه الأمور الثلاثة استطاع العلامة **الفضلي** أن يفكّك بناء علم الرجال بالنّظرة المشهورة إلى نوعين:

النّوع الأوّل: هو ما أطلق عليه اسم «**مادّة أسماء رجال الحديث**»، أو«**أسماء الرجال**»، أو «**مادّة رجال الحديث**»؛ وهو عنوان أطلقه على «قيم الرّواة من توثيق وتحسين وسواهما، تلكم القيم المذكورة في كتب الرجال قرين اسم كلِّ راوٍ»(٢)، أمّا مادّة هذا النّوع، فيقول عنها: «وقد تمثّلت مادّة أسماء الرجال فيما يعرف بكتب الرجال التي هي بمثابة معاجم تشتمل على تعريف الرّاوي وتقييم حاله»(٣)، ويقول أيضًا: «فالمادّة الموجودة في المدوّنات المعروفة بكتب الرجال، أمثال: **(رجال الكشي)** و**(رجال الطوسي)** و**(خلاصة الأقوال)** للعلامة **الحلّي** و**(تنقيح المقال)** للشيخ **المامقاني**، تحتوي اسم الرّاوي ونسبه أو نسبته، وتقييمه من قِبل الرجاليين»(٤).

النّوع الثاني: وهو ما أطلق عليه اسم «**علم رجال الحديث**»، أو«**علم الرجال**»؛ وهو ما يحتوي على «الأصول العامة والقواعد الكلّية التي تُطبّق من قِبل الباحث أو الفقيه على الجزئيات الموجودة في كتب الرجال التي هي تعريف الرّاوي وتقييم حاله، من أجل أن نعرف أنّه ثقة أو غير ثقة»(٥)، يقول مبيّنًا مادّة علم الرجال «وقد تمثّلت مادّة علم الرجال فيما يعرف بـ(الفوائد الرجالية) و(الكلّيات الرجالية)»(٦).

إذًا من هذه النّظرة الخاصة لعلم الرجال، انطلق الشيخ **الفضلي** في بحثه التاريخي، ليسير مع كلٍّ من هذين النّوعين في مساريهما، ويحدد أبرز معالمهما.

(١) أصول علم الرجال، مصدر سابق، ١١١.
(٢) المصدر السابق: ٢٠.
(٣) المصدر نفسه: ٣٤.
(٤) المصدر السابق: ٣٣.
(٥) المصدر السابق: ٣٤.
(٦) المصدر نفسه: ٣٤.

□ من التاريخ الكلّي للرجال إلى تاريخ الجزئيات

مرّت الإشارة فيما سبق إلى أنّ التاريخ العلمي يرصد الحركتين الكلّية الجزئية للعلم، ففي التاريخ الكلّي يتحرك الباحث مع العلم منذ تكوّنه ونشأته إلى بلوغه أوج قوّته وعطائه، عبر المرور على المحطّات الرئيسة في العلوم من مدراس أو اتّجاهات ومصنّفات و...، لتكون مادة التاريخ الكلّي مدخلاً لتأريخ أكثر تخصصًا من خلال تركيز البحث مرّة أخرى على مفردة من مفردات ذاك البحث الكلّي، كأن يتناول تاريخ مدرسة علميّة معيّنة، أو نوع من مصنّفات هذا العلم، أو فكر أحد أعلامه إلى ما سواها من موضوعات.

في كتاب (**أصول علم الرجال**)، يمكن إعطاء مجموعة من النماذج التي قام الشيخ **الفضلي** بممارسة عامّة للتأريخ الجزئي لعلم الرجال؛ ولأنّ الكتاب دوّن كمقرر دراسي فقد راعى المؤلِّف فيه الجانبين التربوي والتعليمي، الجانبان اللذان يفرضان عليه مراعاة الطالب من حيث الكمّية والكيفيّة، لذا سيجد القارئ أنّ النماذج جاءت مختصرة.

١) تاريخ المصنَّف الرّجالي:

من المشكلات التي ابتُلي بها المسلمون في مصنّفاتهم هي مشكلة ضياع المصنَّف الإسلامي وفقدانه، ولهذه المشكلة التاريخية أسباب عديدة، لعلّ أهمّها العوامل السياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد شكّل فقدان المصنَّف الإسلامي أزمة أثَّرت على الحركة العلمية عند المسلمين، فمثلاً بسبب ضياع ما يُعرف بالأصول الأربعمئة التي تُعدّ أهم مصادر الحديث عند الشيعة ـ بسبب ضياعها ـ تشكّلت أزمة الوثوق بصدور الحديث، مما اضطرّ علماء الشيعة إلى طرح الكثير من الحلول لهذه الأزمة، وغيرها الكثير.

وعلى المستوى الرجالي، هناك عدد من المدوّنات التي فقدت فترة من الزمن لتظهر مرّة أخرى متأخّرةً عن زمان مؤلِّفيها، وحتى يثق الباحث بأنّ ما ظهر متأخرًا هو عين ما فُقد، ينبغي دراسة تاريخ المدوَّن منذ تدوينه وظروف فقدانه وظهوره.

لقد أشار العلامة **الفضلي** إلى شيء من هذا في ثنايا كتابه، **محاولاً** رصد تاريخ بعض المصنَّفات، هنا أسرد بعض هذه الموارد:

- وقع خلاف بين الأعلام في كتاب (**الضعفاء**) في أكثر من جهة، **يؤرّخ الدكتور الفضلي** للكتاب لعلاج بعض هذا الخلاف، فيذكر كيف أنّه لم يُذكر في **فهرسي النجاشي والطوسي** اللذين كانا معاصرين **للغضائري** أو ابنه، ليعثر عليه السيد **أحمد بن طاووس الحلّي** (٦٧٣هـ) ويدرجه ضمن كتابه (**حلّ الإشكال في معرفة الرجال**) الذي ألّفه سنة ٦٤٤هـ، ليستفيد منه تلميذاه **ابن داوود والعلامة الحلّيين** في تأليف كتابيهما (**الخلاصة**) و(**الرجال**)، ليذكر أنّ كتاب (**حلّ الإشكال**) يُفقد من بعد الحلّيين، ليحصل **الشهيد الثاني** (٩٦٦هـ) على نسخة (**حلّ الإشكال**) المدرَج فيها (**الضعفاء**)، لتنتقل النّسخة إلى **الشيخ صاحب المعالم** (١٠١١هـ) من والده **الشهيد**، لتختفي هذه النسخة بعدها وتظهر عند الشيخ **عبد الله التستري** (١٠٢١هـ) فيستخرج منها ما أدرجه **ابن طاووس** في كتابه من (**الضعفاء**)[1].
- نسبته إلى **ابن الغضائري** (القرن ٥) كتابين لم يصلا إلينا، وهما: (**فهرس المصنّفات**) و(**فهرس الأصول**)، معتمدًا في نسبتهما إليه على نصّ **للشيخ الطوسي** في مقدّمة كتابه (**الفهرست**)[2].
- كما أنّه ينسب إلى **ابن الغضائري** نفسِه كتابًا آخر هو (**كتاب الممدوحين والموثَّقين**) اعتمادًا على ما نقله **ابن داوود والعلامة الحلّيين** من هذا الكتاب[3].

٢) التاريخ الفكري لعلم الرجال:

تحت هذا العنوان يتناول المؤرِّخون موضوعات ومسائل متعددة، كلّها تصب في قراءة التطوّر الفكري الذي يمرّ به علم الرجال، وأحد مفردات هذا التطوّر هو ما جدَّ من مسائل ونظريات في العلم، وبتعبير آخر: دراسة تاريخ المسألة العلمية، ليجيب عن هذين السؤالين: متى تكوّنت وكيف نشأت؟

في ثنايا مقدمة هذا الكتاب ـ أعني كتاب (**أصول علم الرجال**) ـ أشار **شيخنا الفضلي** إلى نشأة بعض القواعد الرجالية مكتفيًا بذكر أقدم من تناولها.

من هذه القواعد هي:

---

(١) المصدر السابق: ١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٦-٥٧.

(٣) المصدر السابق: ٥٧.

١. **قاعدة: أصالة العدالة في حال الشّك في المسلم**: يحتمل **الفضلي** أنّ أوّل من أشار إلى هذا الأصل هو الشيخ **ابن الجنيد الإسكافي** (٣٨١هـ)، ليأتي الشيخ **الطوسي** (٤٦٠هـ) فيؤصِّل لها من خلال قوله: «إنّ الأصل في المسلم العدالة، والفسق طارئ عليه يحتاج إلى دليل»[١]، ليبيّن مقدار الفاصل الزمني بين إشارة **الإسكافي** وتأصيل **الطوسي**، فيترك تفصيل البحث لباحثين آخرين ليثروه.

٢. **قاعدة: الوكالة عن الإمام**: يَذكر أنّ أوّل من أثارها هو **الوحيد البهبهاني** (١٢٠٥هـ) في كتابه (**الفوائد الرجالية**)، والمعروف أن **البهبهاني** أثار الكثير من النّظريات التّوثيقية نتيجة الصراع الذي عاشه مع المدرسة الأخبارية التي كان لها موقف خاص اتجاه علم الرجال[٢].

□ الخاتمة

حاولت هذه الأوراق أن تلقي شيئًا من الضوء العام على تجربة شيخنا العلامة في تأريخه لعلم الرجال عند الإماميّة، والموضوع فيه الكثير من العناصر التي تستحق المتابعة والدراسة، وكلّي أمل أن يقوم بهذه المهمّة العلماء والباحثون المهتمون بمثل هذه الموضوعات.

وأودّ في خاتمتي أن أطرح على المهتمّين بفكر العلامة الدكتور **الفضلي** اقتراحًا، هو أن تُدرس شخصيّة الفقيد في جانبيها التاريخي والعلمي، أمّا التاريخي فمن خلال توثيق وعرض سيرته العطرة بدءًا بولادته ونشأته في مدينة البصرة (١٣٥٤هـ) إلى رحيله ودفنه في مدينة سيهات (١٤٣٤هـ)، على أن يكون التّوثيق مفصلاً في كل محطّة من محطات حياته.

أمّا الجانب العلمي في شخصيّته، فعبر دراسة مناهجه في بناء منظومته الفكرية والتي شملت: علوم القرآن الكريم، علوم الحديث، العقيدة والمعارف العقلية، علم الفقه وأصوله، اللغة العربية وآدابها، المعارف العامة، والفكر السياسي الإسلامي، فضلاً عن مئات المحاضرات والنّدوات، وعدد كبير جدًا من المقالات.

إنّ دراسة شخصيّة الفقيد بجانبيها ومن قِبل المعاصرين له، سيعطي الأجيال الأسوة الحسنة الحاضرة في كلّ ميادين الحياة برؤية إسلامية معاصرة.

---

(١) المصدر السابق: ١٥١.

(٢) لمزيد من التفصيل، راجع: أحمد عبد الجبار السمين، دروس في تاريخ علم الرجال، مصدر سابق، ٣٣٦-٣٤٠.

فهرست الكتب النحوية المطبوعة(*)

■ الدكتور عبد الباقي الخزرجي(•) ■

صدر عن دار المنار في الأردن (الزرقاء) كتاب جدير باهتمام علماء العربية وطلابها ومحبيها موسوم بـ (فهرست الكتب النحوية المطبوعة)، تأليف الأستاذ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

تكمن أهمية الكتاب في إسهاماته المعطاءة لسد فرجة واسعة بما تعانيه المكتبة العربية من فراغات وثغور، وبخاصة اللغوية منها. فالناتج الفكري اللغوي لا يقف عليه إلا النزر من الباحثين في اللغة ومتعلقاتها، فكيف تكون حال طلابها ومحبيها معها وحتى أقسام اللغة العربية وكلياتُها ومعاهدها لا علم لهم – على الأغلب – بما صدر وما يصدر من مطبوعات ومنشورات في اللغة والنحو؟، فمختصوا العربية يعانون معاناة الجائع للقوت من أجل الوقوف على ما كتب في مجال اختصاصهم أو ما حقق من تراث لغوي، فكم باحث عِيبَ عليه ولم يُعْذَر في بحثه لنقص عدم اطلاعه على كتابٍ مّا طبع في مكان ما أو في زمن ما؟، ومن مفارقات هذا الفراغ وهذه الفرجة هو تكرار إصدار كتاب واحد دونما فرق مفيد.

والمؤلف الفاضل ممن تعرفه الساحة النحوية باحثًا قديرًا ومسهمًا إسهامات جمة موفقة في خدمة العربية لغة الكتاب الكريم سواء أكان هذا الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به أو في غيره من مؤلفاته ومحققاته المتنوعة، فقد زود المكتبة العربية وأثراها بما لا يستغني عنها الباحثون ولا يزهد فيها المحققون في شتى مجالات الفكر اللغوي والنحوي أضيف إلى مرجعيته في القراءات القرآنية وعلاقتها بهذا الفكر، وله لفتات رائعة في كثير من مسائلها مبثوثة في مؤلفاته وكتبه ومحاضراته سعيا منه لتقريب اللغة

(*) جريدة النصر، الأربعاء ١٤/ ١٢/ ١٩٨٨م العدد ٤٦٩٤، قسنطينة – الجزائر.

(•) يشغل ـ حاليًا ـ منصب معاون عميد كلية الآداب للشؤون الادارية بالجامعة المستنصرية.

وعلومها إلى أذهان طلابها وتحبيبها إلى نفوسهم وتوسيع البحث العلمي فيها من خلال تعامله مع اللغة تدريسًا وتحقيقًا وتأليفًا.

واستهدف هذا الفهرست – كما جاء في مقدمته – تحقيق ما يلي:

- الاطلاع على ما نشر من التراث النحوي العربي فيعاد نشر ما لم يستكمل شروط التحقيق العلمي وعناصره ويكتفي بما استوفى ذلك فلا يكرر .
- الاطلاع على ما نشر من بحوث ودراسات نحوية فيها المفيد من الجديد في العرض أو الرأي أو النقد أو الموازنة ليستفاد منه في البحث والتأليف والتربية والتعليم.
- وضع قائمة بالصادر والمراجع النحوية المطبوعة أمام الدارس والباحث من أساتذة النحو وطلابه وشداته، أو من غير أمثال المختصين في علم المكتبات والمعلومات فيفيدون منها في معرفة التطور التاريخي لطبع الكتاب النحوي.

وهذا العمل العلمي المزوج فنًّا، مسحٌ بيلوجرافي للمطبوع النحوي بدءًا من بداية الطباعة النحوية حتى نهاية سنة ١٩٨٤م.

ولم يقتصر على رقعة جغرافية معينة وإنما شمل كل بلاد طبع فيها كتاب نحوي حتى اتسع رحبه بان شمل إيراد الكتب النحوية العربية بلغات غير عربية.

وقد حوى على ١٢٦٥ عنوانًا، وأقدم كتاب نحو عربي ضمه هذا الكتاب يرجع إلى سنة ١٥٠٥م.

ورتب الكتاب ترتيبًا ألفبائيًّا مراعيًا الحرفين الأول والثاني على الترتيب التالي:

عنوان الكتاب: اسم المؤلف، بيانات النشر، فاسم الكتاب، المراجع – بضم الميم وكسر الجيم (المترجِم)، إن وجد، الملحوظات المرتبطة بالكتاب إن وجدت.

وعدد صفحات الكتاب ٢٢٧ صفحة.

وأخيرًا، مرحى بكل نتاج فكري يهدف خدمة العربية وحي على خير العمل.

الدكتور الفضلي وعوامل النهوض بين الرؤية والتحليل

■ حسين منصور الشيخ ■

- **الكتاب:** الحضارة الإسلامية بين دواعي النهوض وموانع التقدّم.
- **نشر:** مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ـ بيروت.
- **الطبعة:** الأولى ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
- **الصفحات:** ٢٧٠ من القطع الوسط.

المجتمعات الإسلامية تجمعها الهويّة الفكرية الواحدة، والتاريخ الحضاري الواحد، كما أنها تجمعها الوحدة الجغرافية المتقاربة. ولهذه العوامل الثقافية والتاريخية والجغرافية ما يكفي لتوحيد هذه المجتمعات وتشكيل قوّة إقليمية وعالمية مهابة. وما يمنع من تحقّق هذه الوحدة عوامل خارجية تتقاطع مصالحها وما تعيشه هذه البلدان من حال التفرقة والتشرذم الحالية. وإلى جانب العامل الخارجي هناك ما تعانيه هذه المجتمعات من دواعي التفرقة التي يأتي في مقدّمتها التنكّر لهذا التاريخ والهويّة وعدم قيام أنظمة تتوافق وهذا الانتماء.

وقد استعرض الدكتور الفضلي في طوايا كتابه (الحضارة الإسلامية) العديد من موانع النهوض والوحدة بين البلدان الإسلامية، نشير ـ هنا ـ إلى بعضٍ منها:

□ الثقة بالذات

لا يمكن لأي أمة أن تنهض بشعبها ما لم تمتلك ثقة كبيرة بقدرتها على الوفاء بمتطلّبات النهوض واستيعاب المتغيرات القادمة. ولهذا فإن الدكتور الفضلي عندما يتناول المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، يشير إلى بعض العوامل التي كان لها تأثيرها في تأخر هذه المجتمعات، فيعدّ الحقبة العثمانية من الحقب التاريخية السيئة

التي مرت بالتاريخ الإسلامي من حيث الفاعلية والحضور الفكري الإسلامي. إذ يشير إلى عدم وجود أي معارضة داخل المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت تقوم على أساس فكري يخالف توجهات الدولة العثمانية. وهو الأمر الذي أفسح المجال للتيارات الفكرية الأخرى، وبخاصّة مع ظهور التيار القومي الذي ظهر بادئ الأمر ردةَ فعلٍ تجاه ما كانت تمارسه السلطة العثمانية من سياسة التتريك في ذلكم الوقت. وبجانب التيار العروبي ظهر في ذلكم الوقت التيار اليساري الذي كان مدعومًا من الاتحاد السوفييتي السابق، وهما التياران اللذان نشآ في ظلّ حقبة الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية، حيث مارس المستعمِر دوره في تغريب المسلمين عن حضارتهم، «وعندما يبتعد الجمهور عن حضارته وثقافته وهويته تكون الأنظمة التي يحتكمون إليها أشبه ما تكون بالأنظمة الملفّقة التي لا تجمعها وحدة موضوعية. وإذ ذاك يكون الوليد الاجتماعي مشوّهًا. ومما يؤسف عليه أن هذه المسألة مما لم يُلتَفَت إليها. ذلك أن المجتمعات الإسلامية نشأت فيها حركات التحرّر الوطني التي قاومت المحتلّ إلى أن حصلت جميع هذه الدول على الاستقلال. ولكنّها ظلّت إلى يومنا الحاضر واقعة تحت تأثير التوجّهات الفكرية التي زرعتها تلكم الدول»[(١)].

◻ تعزيز الانتماء إلى المبدأ

تعيش المجتمعات الإنسانية أزمات اجتماعية ومعيشية حادّة، وما ينتشلها من واقعها المتردّي هي تلكم المبادرات التي يقوم بها بعض أفرادها غِيرةً وحميّةً تجاه مجتمعهم بما يستشعره كل إنسان من عاطفة جيّاشة تجاه ما يؤمن به من مبدأ بإنسانية ومحبّة فطرية خالصة. وما يحصل من خطوات رائدة في هذا المجال إنما هو بفعل هذا الشعور الإنساني الفطري.

إن من دواعي النهوض والتقدّم في أي مجتمع هو ما يستشعره الفرد من انتماء قوي يربطه بالمكان والمحيط الذي ينتمي إليه، ما يدفعه تاليًا إلى البذل والتضحية والتطلّع دائمًا إلى استنهاض المجموع العام. وهو أمر ركّز عليه الدكتور الفضلي في محاضراته، إذ يقول في إحداها: «مسألة الانتماء الوطني والديني تعدّ ضعيفة لدى الفرد المسلم عمومًا، وغير ذات فاعلية اجتماعية في الأعمّ الأغلب. ففي الوقت الذي نجد مظاهر الانتماء وحبّ الوطن ظاهرة لدى الآخرين من خلال ما نجده من

(١) الحضارة الإسلامية بين دواعي النهوض ومواع التقدم، الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الحضارة ـ بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، ص ١٤١.

مشروعات اجتماعية واسعة هي عبارة عن تبرّعات ومشاريع وأوقاف علمية يقوم بها أصحاب رؤوس الأموال في المجتمعات الغربية، لا نجد هذا حاضرًا في مجتمعاتنا الإسلامية. وهذا له دور كبير في تقدّم ورقيّ المجتمعات الإنسانية»[١].

ثم يشير إلى بعض تبعات هذه الظاهرة في مجتمعاتنا الإسلامية، فيقول: «ولذلك نجد ذلك الطالب الذي ينتسب إلى المدرسة فيمرّ بالمرحلة الابتدائية والمتوسّطة لو لا الخوف من العقاب والإخفاق الدراسي لا تراه راغبًا في التعلُّم وبلوغ المراتب العلمية وامتلاك المهارات المهنية ليكون فردًا ناجحًا وله دور في الترقّي بالمجتمع الذي ينتمي إليه. وعندما يصل ذلكم الطالب إلى المرحلة الثانوية ويتوقّع بعد تخرّجه أن يحصل على وظيفة يستطيع أن يلبي براتبها الشهري القليل احتياجاته الضرورية، نراه يقبل بوضعه الوظيفي هذا، ولن يجد نفسه مضطرًّا إلى أن يصل إلى مستوًى أعلى»[٢]. وتوضيحًا لهذا المثال، يعلّق الدكتور بقوله: «إن القبول بالمستوى الوظيفي المتدنّي من شأنه أن يؤمّن للفرد قوت يومه هو وعياله، ولكنّه ليس من شأنه أن يرقى بهذا الفرد وبمجتمعه إلى مراتب ودرجات أعلى.. إن مجتمعاتنا ـ لتنهض ـ بحاجة إلى كفاءات علمية واقتصادية ووظيفية عالية، وعلينا أن نلقي على عاتقنا هذا النوع من الواجب تجاه مجتمعنا، فالكلّ مسؤول عمّا يستطيع أن يؤديه من دور وفاعلية في المجموع الذي ينتمي إليه»[٣].

☐ الأخذ بقيم الحضارة الإسلامية

أشرنا أعلاه إلى أن من عوامل النهوض ـ كما يطرحها الدكتور الفضلي ـ الثقة بالذات ويضاف إليها تعزيز الانتماء إلى المبدأ، وهما يفرضان ـ تاليًا ـ الأخذ بقيم وتعاليم الحضارة التي تمثّل هذا المبدأ. ذلك أن الإيمان والاعتقاد يجب أن يتولّد عنهما عملٌ ينسجم وما يؤمن به الإنسان، وإلا بقيا في حيّز الفكر والنظر فقط. إذ نقرأ له قوله: «ما لم يكن هذا الفكر واقعًا تمثّله مجتمعاتنا الإسلامية وتراعيه في جميع خطواتها، لن تكون المحاولات النظرية بديلاً مقنعًا للآخر بتميّز النظرة الإسلامية في مقاربتها للقضايا الحياتية المعاصرة. إن فهم الإسلام من خلال مقارنته بالفلسفات المعاصرة ومن ثمّ التحرّك بروح هذا الفكر في جميع خطواتنا ـ أفرادًا وجماعات ـ من

(١) المصدر السابق، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

شأنه أن يساهم بصورة فاعلة في أن نعيش روحية الإسلام من خلال ما نعيشه من واقع. وهي خطوة إلى الأمام من شأنها أن تبشّر بهذا الفكر وتعطي الصورة الحضارية المشرقة عن ديننا الحنيف، وأن يكون ذلك تمهيدًا لظهور إمامنا المهدي (ع)»[١].

وما يدعو إليه الدكتور الفضلي من تحويل الفكر الإسلامي إلى واقع عملي تعيشه الأمة إنما ينطلق بناءً على دراسات مقارنة «تثبت تفوّق النظام الإسلامي على بقية الأنظمة الأخرى من الناحية التشريعية وتوافُقَهُ والطبيعة الإنسانية، ... وفي هذا الجانب على الأنظمة الإسلامية أن تخطو خطوات عملية في أن تكون الشريعة الإسلامية اليوم هي مصدر التشريع الأول، ولأن يكون بالشكل الذي يمهّد لكونه النظام العامّ لحياة المسلمين ولرفاهية العيش لديهم»[٢].

التشريع الإسلامي ودواعي التطوير

فيما يرتبط بالتشريع الإسلامي، يركّز الشيخ الفضلي على أن الدين نظام شامل للحياة وليس مقتصرًا على الجوانب العبادية فقط، بما يعني أنه يحتوي على الأنظمة والأحكام التي يستند إليها الإنسان في حياته المعاصرة ويتعامل وفقها فرديًا وجماعيًا. وانطلاقًا من ذلك، يؤكّد الفضلي مرونة وحيوية الأحكام الإسلامية واستيعابها لتطورات العصر. ولذلك يدعو إلى تطوير الدرس الفقهي الإسلامي بما يتوافق والمتطلبات الحديثة، مستشهدًا في ذلك بالمعاملات المالية المصرفية، إذ يرى أن «المعاملات المالية المتعدّدة حينما ترد إلى البيئة الإسلامية يجب دراستها من الناحية الفقهية دراسة متأنّية؛ لأنها لم تكن معهودةً عصرَ صدور النصّ الشرعي، فلا هي مضاربة ولا جعالة ولا استدانة أو غيرها من المعاملات التقليدية، فهي تختلف عنها جميعًا. نعم، قد تقترب من هذه أو تلك، ولكن لكلٍّ من هذه المعاملات الحديثة طبيعتها الخاصّة التي لا تشبه أيًا من تلك المعاملات التقليدية السابقة. كما أنها معاملاتٌ نشأت في البيئة الرأسمالية، وهي بيئة اقتصادية بالدرجة الأولى، تراعي المصلحة على حساب أي أمر آخر. ولهذا لا يمكن القبول بتلك المعاملات على صيغتها وطبيعتها الحالية ما لم تهذّب وتشذّب بما يتوافق والروح الإسلامية في التشريع»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

وإلى جانب المعاملات المصرفية، يشير إلى مسألة الموت السريري، إذ يثار تساؤل قانوني: «هل يعدّ المرضى سريريًّا أمواتًا (بسبب موت الدماغ) أم أحياءً (بسبب نبضات القلب التي لا تزال تعمل)؟

وحول هذه المسألة شكّلت بعض الدول لجانًا مؤلفة من القانونيين الشرعيين والأطباء وبعض المختصّين، وصدرت عن تلكم اللجان دراسات وقوانين ونتائج، بعضها يحكم بالموت والبعض يحكم بالحياة. فيما تتوقف بعض الدول عن إعطاء الرأي النهائي في مثل هذه القضية. ومما يؤسف عليه أن تكون الدول الإسلامية في آخر ركب تلكم الدول التي تعطي رأيًا فقهيًّا وقانونيًّا في هذه القضية وأمثالها»[1].

وتحليلاً لهذه المسألة، يشير الدكتور الفضلي إلى أن من أسباب إغفال هذه المسائل هو اقتصار الدرس الشرعي على المسائل والمعاملات القديمة وعدم إدخال هذه المعاملات في صلب الدرس الحديث في المقرّرات الدراسية، ولذلك يوجّه لدخول «هذا النوع من المعاملات الحديثة في الدرس الفقهي المعاصر. ويجب على الحوزات العلمية أن تقتحم موادُّها الدراسية هذه المعاملات، لتكون مجالاً خصبًا للبحث والدرس والمقارنة والموزانة. وبدون ذلك لا نستطيع أن نلبي متطلّبات العصر التشريعية»[2]، ثم يضيف: «وبالإضافة إلى ذلك لا بدّ من تطوير الحالة المرجعية، من حالتها الفردية إلى الوضع المؤسسي الذي يضمّ العديد من الأقسام واللجان والتخصصات التي ترفد الفقيه بالجوانب الفنية والتقارير المفصّلة لفهم هذه الموضوعات الحديثة بغرض إعطاء الحكم الفقهي الصحيح بما يتناسب وحقيقة المسألة الموضوعية»[3].

كما أن محاضرنا يدعو إلى إبراز الصورة الواقعية للأحكام الشرعية بما يتلاءم والعصر الراهن، وتحسين تلكم الصورة المغلوطة عن المجتمعات الإسلامية فيما يرتبط بحقوق الإنسان، وبالخصوص فيما يتعلّق بحقوق المرأة، فيشير إلى «أن ما يفرضه الإسلام على المرأة من وجوب الستر لم يكن يومًا عائقًا أمام المرأة من أن تمارس كامل حقوقها وحريتها الفكرية أو الاجتماعية أو الإنسانية. ونحن اليوم أمام تجارب ناجحة للمرأة المسلمة التي تمارس كامل حريتها مع التزامها بالحجاب

(١) المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٣) م. ن.

الشرعي، كما هي الحال اليوم في معظم المجتمعات الإسلامية. إذ تمارس المرأة المسلمة حقّ الانتخاب والترشّح وإدارة المؤسسات والمشاريع وتشارك الرجل في بناء المجتمع دون فارق في المستوى وحجم المسؤوليات»(١). وفي هذه النقطة يتحمّل المسلمون المسؤولية في إبراز هذه الصورة إلى الآخرين، ذلك أننا «متى ما نجحنا في إعطاء المرأة كامل حقوقها وتمكّنت من إبراز دورها في المجتمع سيكون ذلك عاملاً مساعدًا أن يتفهّم الغرب الصورة الواقعية لمثل هذه الأحكام الخاصّة بالمرأة»(٢).

وفيما يتعلّق بالديموقراطية أسلوبًا في ممارسة الحكم والتشريع، يركز الدكتور الفضلي على عدم ممانعة النصوص الشرعية لتلكم الديموقراطية في الحكم والتنفيذ، مع التحفّظ فيما يتعلّق بحقّ التشريع، «ذلك أن الثقافة الإسلامية تقوم على أساس أن للدين رؤيته الخاصّة للإنسان الذي له من القدرات الذهنية والعقلية ما تمكّنه من تطوير وتغيير أنماطه الحياتية من جيل إلى آخر. وليس بالضرورة أن يكون هذا التغيير في مصلحة المجموع الإنساني العام. وتأثير الإنسان لا يقتصر على علاقاته بأخيه الإنسان، بل يمتد إلى الكون والحياة بمجملها. ولضبط التشريعات التي تحكم حركة الإنسان في هذه الحياة لا بدّ من أن يكون المشرِّع ـ وفق الرؤية الإسلامية ـ محيطًا بجميع تلكم العلاقات وطبيعتها بصورة شاملة. وذلك بغرض تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإنساني، وكذلك للمحافظة على الكون واستمرارية الحياة فيه وإعماره بصورة متقنة»(٣).

□ المشاركة الحضارية للإسلام

برزت الحضارة الإسلامية وازدهرت أيام الخلافة العباسية، إذ أُسِّست العديد من العلوم وتوسّعت العديد من الحقول المعرفية على يد المسلمين في ذلكم الوقت. كما تميزت الحضارة الإسلامية عن مثيلاتها من الحضارات الأخرى بطابعها المعماري المتميّز وبالجوانب الفنية ذات الهوية الإسلامية الخاصّة، ومعها الجانب الأدبي الرفيع، وجوانب أخرى متعدّدة.

والمجتمعات الإسلامية اليوم تمتلك من اللمسات الفنية والمشاركات العلمية ما تنافس به الأمم والشعوب الأخرى. ولكن تبقى هذه المشاركة الحضارية متواضعة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) م. ن.

(٣) ص ١١٦.

مقارنة مع بقية الأمم والشعوب. وفي هذا الجانب يشير إلى أهمية إبراز المشاركة الحضارية للمسلمين انسجامًا مع ما يشهده عصرنا الحاضر من منافسة محمومة بين الحضارات والدول، كلٌّ يريد عرض حضارته وثقافته. يقول حول هذه النقطة: «إننا في عصر المعلومات نعيش تحديًا حضاريًّا يتسابق فيه الجميع اليوم من أجل عرض حضارته، فكل أمة وكل أصحاب مبدأ ومذهب يريدون أن يعرضوا فيه حضارتهم مستفيدين من الإمكانيات التي أتاحتها التقنية الحديثة. والعالم اليوم يترقّب ذلك الانقلاب الذي سيغيّر العالم بسبب هذا التسابق المحموم بين الأمم في عرض فكرهم ونتاجهم المعرفي الذي يحاولون أن يضاهوا به بعضهم، ... وما نقوم به في هذا المجال يعدّ متواضعًا، فنحن مطالبون بأن نقدّم ما لدينا من فكر حضاري يسهم في استقبال هذا العصر وأن نهيئ أنفسنا للوضع العالمي الذي سيأتي. وما نحمله من فكر إسلامي قادر على عرض نفسه نظامًا حضاريًّا بديلاً للنظام القائم والمسيطر اليوم، وهو النظام الرأسمالي»[1].

وتوثيقًا لما تمتلكه الحضارة الإسلامية من عطاء وفكر متميّز، يدعو الدكتور الفضلي إلى الاهتمام برصد المساهمات العلمية فيما يعرف اليوم بدوائر المعارف التي من شأنها أن تقوم بالتعريف بمنجزات الحضارة الإسلامية، إذ «مما يؤسف عليه أن العالم الإسلامي لا يمتلك إلى الآن أي دائرة معارف تعرِّف بالحضارة الإسلامية ومنجزاتها ورجالاتها. ولو أرادت الأمة الإسلامية التعريف بما تمتلكه من حضارة لا يوجد لديها ما تعرض به منجزاتها العلمية والحضارية والثقافية موثقة في دائرة معرفية خاصّة بها. والآخرون عندما يحاولون تعرّف حضارتنا وما يعرضه الفكر الإسلامي لن يجدوا ما يرشدهم إلى منجزات هذه الحضارة وإسهاماتها العلمية في المجالات المتعدّدة. ونحن لا نستطيع أن نثبت وجودنا بين هذه الحضارات والأمم ما لم تكن هذه المساهمات حاضرةً بيّنة للعيان»[2].

المساهمة الفكرية وفق المنهج الحديث

يشير الدكتور الفضلي إلى أن بعض التجارب الغربية التي لم تكن ترتكز بالضرورة على فلسفة قائمة بذاتها تحوّلت مع التقادم إلى فلسفة تمتلك رؤية نظرية

(١) ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

حول أبرز القضايا والموضوعات الفكرية، وبخاصّة ما يرتبط منها بالإنسان والمجتمع والكون والحياة، وواقعًا خارجيًّا منسجمًا مع هذه الرؤية. ومن هذه الفلسفات: العلمانية، إذ يقول حولها: «أصبحت العلمانية ـ مع تقادم التجربة الاجتماعية والسياسية ـ إلى فلسفة يعيشها الإنسان الغربي وينظر من خلالها ويحاكم الأمور وفقها. ولذلك يمكننا أن نعدّ العلمانية اليوم من الفلسفات المعاصرة التي تملك رؤية شبه متكاملة حول كثير من القضايا الفكرية التي كانت تعالجها الفلسفات القديمة»[1].

والأمر نفسه مع الديموقراطية التي «أصبحت مبدًا فكريًّا يُنظر إليها على أنها فلسفة قائمة بذاتها في نظرتها إلى الإنسان والمجتمع والكون والحياة. وبخاصّة مع تلكم الدراسات والمؤتمرات العلمية والأطروحات الأكاديمية. وهو الأمر الذي ساعد بصورة كبيرة على ترسيخ وتطوير هذه الآلية من مجرّد آلية في الحكم إلى نظرة فكرية فلسفية لديها الرؤية المتميّزة حول هذه الموضوعات الرئيسة»[2].

وفي مقابل هذه الفلسفات المعاصرة، يشدّد الفضلي على أن يكون للفكر الإسلامي حضوره ومشاركته عالميًّا، ولكنّه يشترط في هذا الحضور أن يكون باللغة والمنهج العلمي الحديث، وذلك لتكون المشاركة بما هو متبع في مراكز الدراسات الحديثة. فعندما يتعرّض لما يذكره علماء الاجتماع الديني من تحليل للظاهرة الدينية يشير إلى أن «طبيعة التعامل مع أصحاب المنهج الاجتماعي في تحليل الظاهرة الدينية في مجتمعاتنا الإسلامية كان ـ ولا يزال في كثيرٍ من مواقعه ـ تعاملاً سيئًا ولا يتناسب وما نحمله نحن المسلمين من فكر عميق يقوم على الحوار وتعميق الفكرة. كما أنه لا يساعد على التغلب على ذلكم الفكر، بل في كثير من الأحيان يساهم على نشره والتعصّب له ضدّ الاتجاه الديني، ... إذ يجب الالتفات إلى أمر مهم في هذا السياق، ذلك أن من أسباب الافتراق بين فهم طبيعة الظاهرة الدينية بين منهجي الاجتماع الديني والدرس الشرعي هو الاختلاف البيّن في طبيعة وأسلوب البحث لدى المنهجين. فبينما يتّبع الدرس الشرعي ـ لبيان حقيقة الظواهر الدينية ـ المنهج الكلامي في إثبات صحة نسبة تلكم الظواهر إلى الوحي الإلهي، لا نجد حضورًا لهذا المنهج في الدراسات الحديثة التي يعدّ علم الاجتماع الديني أحد مفرداتها. فالمنهج الكلامي ـ

(١) ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) ص ١١١.

طريقةً في البحث ـ غير متبع في مراكز الدراسات الحديثة. وحوار الطرف الآخر عن طريق هذا النوع من أسلوب البحث لا يوصل إلى نتيجة مثمرة»[١].

ويقترح بدلاً من ذلك أن «يتولّى المسلمون بيان طبيعة ما يعتقدونه تجاه تلكم الظواهر وفق مناهج البحث الحديثة. وذلك بغرض إيصال الفكرة وفقًا للأسلوب المتبع هناك وتجليةً لحقيقة ما نعتقده تجاه هذه القضايا ببيانٍ عصريٍّ واضح»[٢]، وأن تتعدى المشاركة الإسلامية الحقول التقليدية إلى تلكم الحقول المعرفية الحديثة، إذ أشار إلى أهمية المشاركة البحثية من قبل المسلمين في علم الأديان المقارن الذي له دور كبير في تعريف الآخرين بحقائق ومعارف كل دين من قبل معتنقيه وبلغة علمية حديثة مقارنة ببقية المعتقدات والديانات الأخرى.

□ **استقلالية وتميّز الحلّ الإسلامي**

انطلاقًا من الثقة بالذات ومعها الإيمان بقدرة الإسلام على الوفاء بمتطلّبات العصر، يشيد الدكتور الفضلي ببعض الدعوات إلى رفض النموذج الغربي في بعض الممارسات والمنتجات الفكرية، ولكنّه في الوقت نفسه يشدّد على أن هذا الرفض يجب أن يصاحبه الإتيان بالبديل الإسلامي، وإلاّ فإننا نكون قد «أخفقنا في منع الفكر الدخيل من التسرّب والنفوذ، إذ إننا اتبعنا أسلوب المقاطعة فحسب. وهي لا تكفي لتزويد حضارتنا بالمناعة الخارجية، وإنما هي أحد عاملين مهمّين يشكّلان ـ حيث يكمّل أحدهما الآخر ـ العامل الوحيد في تزويد الحضارة بالمناعة الخارجية، وهما: **المقاطعة والعمل**»[٣].

وحينما يطالب الدكتور الفضلي بالإتيان بالبديل، يشير إلى نقطة مهمة، وهي مسألة أصالة المنهج في إنتاج البديل الإسلامي. وذلك فيما نقرؤه له تعليقًا على تأثر المسلمين بالفلسفة اليونانية، إذ يقول: «إن الفلسفة اليونانية حينما دخلت إلى أجواء المسلمين رأوا فيها فكرًا عملاقًا محكمًا ولم يخطر ببال الكثير في ذلكم الوقت إمكانية تفكيك تلكم الفلسفة والإتيان بأسس جديدة. وهذا قد يأتي في بعض الأحيان من عدم الاعتزاز بالهوية والخصوصية الحضارية للإسلام. ذلك أن على المسلم أن

(١) ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٢) ص ٨٠.
(٣) ص ٢٥٦.

يتحسّس هذا الجانب في النظام الإسلامي وأن يحاكم الحضارات والثقافات الأخرى وفقًا لهذا المعيار، وأن يقبل هذا الفكر أو ذاك وفقًا لمبادئ وأسس الإسلام التي أرستها الآيات القرآنية والنصوص الحديثية الشريفة»(١).

وحينما يصل إلى حقبة الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين، ينتقد الذين حاولوا التوفيق بين الفكر الاشتراكي والدين الإسلامي، مثمِّنًا الدور الذي مارسه السيد محمد باقر الصدر ﷺ في نقده للنظرية الاشتراكية وتأسيسه لمذهب في الفلسفة الإسلامية وآخر في الاقتصاد الإسلامي ينبثقان من الرؤية الإسلامية الأصيلة.

دور الجمهور في النهوض الاجتماعي

عندما يشير الدكتور الفضلي إلى قدرة الدين الإسلامي على الوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة إنما يستند في ذلك إلى العديد من الدراسات الفقهية والفكرية الحديثة المقارنة التي تثبت تفوّق الحلّ الإسلامي على بقية الأنظمة الأخرى. ولكنّه في الوقت نفسه يشير إلى أن السبيل إلى تحقيق نهضة إسلامية واقعية يجب ألا يكون ذلك بعيدًا عن الجمهور. ولذلك يشدّد على أهمية الدور الإعلامي في توجيه الرأي والثقافة العامّة، وبجانبه مناهج التعليم العامّ والعالي، إذ يقومان (الإعلام ومناهج التعليم) بدور كبير في صناعة الثقافة العامّة للأجيال القادمة. وفي ذلك يشير إلى أن القوى المستعمِرة استطاعت أن تتمكّن من تغيير الثقافة العامّة للمجتمعات الإسلامية من خلال هذين العاملين، وهما من الحقول التي لا تزال الثقافة الغربية تسيطر عليهما في معظم بلداننا الإسلامية(٢).

□ الصحوة الإسلامية ومرحلة المواجهة

بعد أن يشير الشيخ الفضلي إلى ما مرّت به الأمة الإسلامية من حالٍ هي أشبه بالسبات في الحقبة العثمانية، ومن ثمّ انتقالها إلى أيديولجيات وتبعيات غربية وشرقية متنقّلة من القومية العربية ومن ثَمّ إلى حضن الاشتراكية واليسارية، وصولاً إلى ما تعيشه مجتمعاتنا اليوم من صعود للصحوة الإسلامية بفعل ما عاشته الأمة من حدث الثورة الإسلامية في إيران وتداعياتها على مستوى المنطقة ككل، بعد إشارته هذه، يستشهد بأحداث ونتائج تنمّ بقوّة التيار الإسلامي وتمكّنه من المجتمع وتشكّله على

(١) ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) انظر الصفحات: ١٣٩ ـ ١٤٢.

نحوٍ يعدّ هو التيار والقوّة الصاعدة التي تواجه المشروع الاستعماري الغربي وتنذر بحالٍ من الصراع لا يستبعد الدكتور الفضلي انتصار الحل الإسلامي في النهاية.

وما يدعو إلى هذا التفاؤل هو هوية هذا المشروع المبدئية التي تنتمي إلى الفكر الإسلامي الذي تتوحّد فيه جميع القوى الفاعلة اليوم في وجه مشروع الهيمنة الغربي. وبخاصّة أنه يترافق مع ما تعيشه المجتمعات الغربية من تململ وإحباط تجاه ما أنتجته من أنظمة لم تحقق لها ما تطمح إليه الشعوب من الطمأنينة والعدالة والنزاهة والاستقرار النفسي والاجتماعي، وهي أمور يبشّر بها المشروع الإسلامي ويملك من الأدوات ما يحقّق هذه الطموحات الإنسانية بواقعية ومرونة عالية.



إن المشاركة الفاعلة من قبل المسلمين في الجهود العلمية التي تتناول دراسة الظاهرة الدينية على المستوى العالمي له أكبر الأثر في بيان حقيقة الظاهرة كما يقدّمها الدين الإسلامي، ذلك أننا نعتقد بأننا نملك رؤية متقدّمة في هذا المجال ومتوافقة مع كثير من الجهود الفكرية الناضجة التي تلقى قبولاً عقليًا أكثر من الرؤى والنظريات الأخرى.

الشيخ عبد الهادي الفضلي



«لما كان الحديث أحد الأصلين الأصيلين المتفق على لزوم الأخذ والعمل به بين الفريقين، جرت سيرة السلف الصالح من أصحابنا ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ على ضبط الأحاديث وحفظها وتحمّلها بإحدى الطرق الثمانية المقرّرة عندهم، وأسهلها: الإجازة، فتأسّى بهم: الشيخ الفاضل البارع الشاب المقبل الواصل في حداثة سنه إلى أعالي مراقي الكمال، والبالغ من الفضائل مبلغًا لا يُنال إلا بالكدِّ الأكيد من كبار الرجال المدعو **بالشيخ عبد الهادي بن الشيخ الميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي** البصري المولد في (١٣٥٣هـ)، والنجفي المنزل والاشتغال، وفقه الله تعالى لصالح الأعمال والأقوال».

الشيخ آغا بزرك الطهراني

ثالثًا

شهادات وفاء وعرفان



«نحن الآن بحاجة إلى دراسات موسعة أو موسوعات علمية في مجال الأنظمة الإسلامية في الإدارة والاقتصاد والاجتماع والحكم والقضاء والأخلاق، وفي مجال الفلسفة الإسلامية، والمعارف العامة .. كما أننا بحاجة لدائرة معارف إسلامية تصدر عن مؤسسة خاصة وتساير التطور لإضافة كل ما يستجد، شأنها شأن الدوائر الأخرى.. كذلك نحن بحاجة إلى موسوعة تاريخية تعتمد التوثيق والتحقيق والتحليل والتعليل .. نحن بحاجة إلى هذه وأمثالها لتكون حضارتنا بين أيدينا، وبين أيدي الآخرين في أصالتها وشموليتها».

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

علم من أعلام العربية وفخر للنحويين السعوديين المعاصرين(*)

■ الدكتور محمد خضر عريف(•) ■

كم من العلماء الأفذاذ من يبتعد عن الأضواء، وكم من المبدعين الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم المحلقة النافعة، من لا تطلق عليه الألقاب الرنانة الطنانة.. وذلك لأنه لا يحتاج إلى بريقها، فيكفيه شرفًا أن الآلاف يقرؤون كتبه ومؤلفاته.. فإنه لما يشرف المرء أن يكون علمه من نوع العلم الذي ينتفع به وليس علمًا لا ينفع أو علمًا يضر.

تلك قصة **الدكتور عبد الهادي الفضلي** أحد المفكرين اللغويين البارزين في العالم العربي، وأحد النحويين السعوديين الذين خدموا لغة القرآن لمجمل علومها بإخلاص وتفان فألف في النحو وألف في الصرف وألف في العروض وفي غير ذلك.. وهذه الكلمات القليلة التي سأكتبها اليوم لا تفي هذا العالم الجليل بعض حقه.. وإنني وإن لم أتتلمذ على **الدكتور الفضلي**، فقد تعلمت منه الكثير، وما زلت أتعلم إلى اليوم.. فهو مرجع في كل علوم اللغة لا يسأل في مسألة لغوية إلاّ وأجاب ووفى.. وإن يكن الآلاف من طلاب جامعة الملك عبد العزيز قد درسوا اللغة على **الدكتور عبد الهادي الفضلي**، فإن المئات من الأساتذة كذلك أفادوا كثيرًا من كتبه القيمة في تدريس العربية.. ومن ذلك كتاباه القيمان: «مختصر النحو» و«مختصر الصرف» .. وكتاب مختصر النحو كان مقررًا دراسيًا على طلاب الجامعة لأكثر من عشر أعوام.. وصدرت منه طبعات عدة.

(*) جريدة الندوة، العدد ٩١٤٣، الثلاثاء ٢٢ رجب ١٤٠٩هـ ص٣.

(•) أستاذ علوم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة، تلمذ على الشيخ بالجامعة.

والدكتور **عبد الهادي الفضلي** هو أحد الرواد المؤسسين لقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز .. فقد تم تأسيس هذا القسم على يد الدكتور **عمر الطيب الساسي** ويده جزاهما الله خيرًا.

وقد تولى رئاسة قسم اللغة العربية، كما أشرف على مجلة الرائد التي كان يرأس تحريرها عندما كان معيدًا بقسم اللغة العربية في عام ١٣٩٩هـ. وهي مجلة ثقافية كانت تصدرها اللجنة الاجتماعية بكلية الآداب.

ومعرفتي **بالدكتور عبد الهادي الفضلي** تعود إلى بداية تأسيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب.. حيث كان القسم يضم كلاً من **الدكتور عمر الطيب الساسي والدكتور عبد الهادي الفضلي**، وكنت وقتها المعيد الوحيد بالقسم، لذلك فقد تعاملت معه إداريًا كما تعاملت معه أدبيًا وعلميًا، وبعد عودتي من البعثة سعدت بزمالته، واستفدت من علمه الشيء الكثير.. فقد كنت أعود إليه في كثير من المسائل اللغوية التي تشكل علي، أو أطلب منه أن يرشدني إلى بعض ما كتب في موضوع ما أو ما ألف في علم ما.

ولا أذكر أن أي مسألة قد استعصت عليه أو انه استغرق وقتًا ليتذكر ما ظهر من مؤلفاته حول قضية لغوية ما.. فقد كان دائمًا مستحضرًا لأهم المؤلفات قديمها وحديثها في مجال اللغة.. وقد أخبرني أنه أصدر مؤخرًا فهرسًا للمطبوعات النحوية، يضم كل ما طبع في علم النحو من كتب ومؤلفات تراثية وحديثة.. وذلك يدل على إلمامه الكبير بكل ما يتصل بهذا العلم العظيم من مؤلفات قديمة وحديثة.. وعلمت أنه قد قضى أعوامًا طويلة في جمع هذه المؤلفات، حتى ظهر الفهرس المنشود على خير صورة ممكنة.

ولعل كتابيه العظيمين: «**مختصر النحو**» و «**مختصر الصرف**» جزء من إلمامه الموسوعي بعلوم اللغة العربية.. فهما مرجعان لكل متخصص ولا غنى لكل مكتبة عربية عنهما فقد بذل **الدكتور الفضلي** جهودًا ضخمة لإخراج هذين الكتابين، إذ هما عصارة قراءته لكل كتب النحو والصرف القديمة والحديثة.. وقد ضمنهما كل أبواب النحو والصرف المهمة بعد أن شذبها وهذبها وأخرجها في ثوب عصري فريد يعج بالأمثلة العصرية ويمتلئ بالتطبيقات، خاصة التطبيقات الإعرابية التي يزخر بها كتابه «**مختصر النحو**».. والذي هو أشهر الكتابين، إذ يضم مع صغر حجمه أهم أبواب النحو بدءًا بباب الكلمة وانتهاءً بالأساليب الإنشائية.

ويعتبر هذا الكتاب ثروة لغوية، إذ يغني كل مدرس للنحو عن أن يرجع إلى الكتب الأمهات ليعد درسًا لطلابه. فقد قام الدكتور الفضلي بذلك عنه، ورجع إلى ما يزيد عن مئة وعشرين مصدرًا ومرجعًا في النحو لإخراج هذا الكتاب.. ولا يلزم مدرس النحو أكثر من أن يرجع إلى كتاب الفضلي في أي موضوع نحوي ليجد فيه شفاءه وكفايته.

ورغم صغر حجم الكتاب، فقد ضمنه بعض المسائل الأخلاقية المهمة بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ووضع رأيه في كل مسألة على حدة بين تفضيل لرأي مدرسة على رأي المدرسة الأخرى.

وكان أميل إلى رأي مدرسة البصرة في معظم تلك المسائل.

كما استعمل الدكتور الفضلي في كتابه القيم «مختصر النحو» الرسوم البيانية لتوضيح مسائل نحوية معينة كالشجرة التي رسمها للاسم والفعل بكل أقسامها وفروعها والجداول التي تضمنها الكتاب لتوزيعات كثيرة، كجدول توزيع أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

ومن ألطف ما يميز الأمثلة التي أوردها الدكتور الفضلي في هذا الكتاب هو استعماله لأسماء أبنائه في تلك الأمثلة، لذلك يحس كل من يستعملها بحيويتها وعفويتها.

وبالإضافة إلى الكتب السابق ذكرها، فإن للدكتور الفضلي مؤلفات أخرى في علوم اللغة العربية، ومن ذلك كتابه «دراسات في الإعراب» وكتابه «دراسات في الفعل».. وقد استفدت من الكتاب الأخير كثيرًا في أحد أبحاثي العلمية.. وكتاب «دراسات في الفعل» صادر عن دار القلم ـ بيروت.

ويتناول كل ما يخص الفعل العربي من موضوعات نحوية وصرفية لتعريف الفعل ودلالة الفعل واشتقاقه وتقسيمه وبنائه وإسناده وغير ذلك.. ورغم صغر حجم الكتاب، فقد رجع الدكتور الفضلي إلى حوالي ستين مرجعًا لإخراجه.. ويجد فيه القارئ آراءً خاصة في كثير من قضايا الفعل في العربية، كما يجد إيجازًا وافيًا لآراء أوردها النحويين في مسألة فعلية معينة.. ولا يخلو الكتاب من تبويب مختصر لما طال تبويبه في كتب النحو، كمسألة اشتقاق الفعل مثلاً.

وهو كتاب لا يقل في أهميته كذلك عن كتب **الدكتور الفضلي** الأخرى.. ولا غنى لكل مكتبة أدبية أو لغوية عنه.

وللدكتور عبد الهادي الفضلي باع طويل في خدمة التراث الإسلامي والعربي.. فهو ذو خبرة طويلة في تحقيق المخطوطات. فبجانب المخطوطات التي حققها، درّس مادة تحقيق المخطوطات في قسم المكتبات في جامعة الملك عبد العزيز، وهي مادة فريدة، لا يتأتى تدريسها إلا لصاحب علم غزير وخبرة مديدة في هذا المجال.

وقد ظهر **للدكتور الفضلي** كذلك مؤلف في علم تحقيق المخطوطات، ضمنه حصيلة خبرته الطويلة في هذا المجال.. وبمثابة دليل مقنن لكل من أراد أن يتمرس في هذا العلم.. ولا يقتصر ذلك على المعلومات النظرية فقط، بل تضمن المؤلف نماذج حية لبعض المخطوطات مع نماذج لخطوات تحقيقها، مع شرح وافٍ لكل خطوة وبيان مفصل لما ينبغي عمله لإخراج أي مخطوطة من عزلتها وإصدارها عملاً مطبوعًا تعم به الفائدة. ويرجع إليه القراء والمتخصصون.

وهذا المؤلف هو من المؤلفات النادرة في هذا المجال التراثي الحيوي، وقد جمع فيه **الدكتور الفضلي** بين خبرتين: خبرته في تحقيق المخطوطات، وخبرته في تدريس مادة تحقيق المخطوطات لطلاب الجامعة.

ويبدو أن **الدكتور الفضلي** ممن يصرون على الخوض في الموضوعات النادرة التي لا تطرق كثيرًا.. فكما ندرت المؤلفات في تحقيق المخطوطات، ندرت المؤلفات الحديثة المبدعة في علم العروض.. ولا أقصد بذلك بالطبع الكتب التي اختصرت هذا العلم أو بوبته أو أخرجته في حلة جديدة، فذلك كثير.. ولكن النادر والقليل هو المؤلفات التي تصدت لعلم الخليل بالنقد والمساءلة.

وهو ما فعله **الدكتور الفضلي**، ولم يفعله معه الكثير.. وذلك في كتابه العظيم **«في علم العروض: نقد واقتراح»**، الذي صدر عن نادي الطائف الأدبي في عام ١٣٩٨هـ، وقد قدم **الدكتور الفضلي** في هذا الكتاب نقدًا لمنهج العروض القديم الذي اعتمد فيه **الخليل** على طريقته الرياضية التي اعتمدها في وضعه لكتابه **«العين»**، إذ أحصى عن طريق الاستنتاج العقلي كل التفعيلات التي يمكن أن يتألف منها بيت الشعر العربي، ثم صنفها إلى مجموعات سماها الدوائر ثم قام بفرزها وتعرض للتفعيلة المهملة والتفعيلة المستعملة والبحور المهملة والبحور المستعملة ثم صنف البحور المستعملة

التي لها شواهد من شعر العرب وفق منهج رياضي أيضًا، وفي وحدات منفردة وممتزجة وبسيطة ومركبة، وهكذا.

وقد قام منهج الفضلي الجديد على مجموعة من التغييرات في المنهج القديم منها:

١. إلغاء نظام الأسباب والأوتاد والفواصل والاستعاضة عنه بنظام الحركة والسكون.
٢. إلغاء مصطلحات صفات البحور.
٣. إلغاء مصطلحات العلل جميعها، والزحافات الملتزمة جميعها، والاستعاضة عنها بضبط التفاعيل بهيئاتها التطبيقية.
٤. إلغاء مبدأ التأصيل والتفريع في التفاعيل، واعتبار جميع التفعيلات في البيت أصولاً.
٥. تقسيم التفاعيل إلى ثابتة ومتغيرة.
٦. حصر مصطلحات الزحافات بالمتغيرات التطبيقية والاحتفاظ لها بأسمائها وهي الإضمار والعصب والخبن والطيّ والكف.

ذلك بعض ما أتحف به الدكتور عبد الهادي الفضلي المكتبة العربية من مؤلفات وإنتاج عقلي لغوي ثرّ، و موضوعات لم يؤلف فيها إلا القليل.. ذلك عدا ما أخذه آلاف الطلاب عنه من علوم كثيرة.

إنه عَلَم من أعلام العربية في بلادنا، ومفخرة من مفاخرها. وأمثاله من العلماء جديرون بأن يقدروا حقهم وفضلهم، وحقيقون بكل التكريم والعرفان.

الفضلي عاشق العربية(*)

■ الأستاذ عبد الله بن أحمد الشباط(•) ■

يعتبر الاهتمام باللغة العربية التي هي لغة القرآن والتي حفظت لنا الشعر وغيره من الآثار الأدبية صافية خالية من الشوائب أهم أسس الثقافة العربية، إلا أنه مع المد الحضاري والتطور الاجتماعي دخلت إلى اللغة العربية كلمات وتعابير من لغات أخرى فأثرت عليها مع قلة الاهتمام بدراسة اللغة العربية، حيث طغت على الحياة الاجتماعية لغة الصناعة والتجارة وأصبحت لغة (البزنس) في الصدارة لتكون لأصحابها الصدارة في التوظيف وفي التعامل ليكونوا هم الأعيان الذين يديرون شؤون البلاد.

وبذلك أخذت اللغة العربية تتوارى لولا أن كتاب الله كان لها خير حافظ، لذلك بقيت صامدة رغم ما تلقاه من الصدود والجحود، ولولا تصدي نخبة من المتعلمين قلة قليلة أخذت على عاتقها الاهتمام بهذه اللغة الأم التي هي مستودع ثقافتنا وتاريخنا وتشريعنا السماوي في محاولة لإعادة المجد الغابر كنوع من الإصرار على التمسك بالجذور ووقوف بعض الجامعات في البلاد العربية في وجه هذا التغريب والتخريب وتعاون بعض الأساتذة لإعادة المجد للغتنا الأم وإعادة المجد لدروس النحو والصرف وتكريس جل أوقاتهم للبحث عن مصادر تلك العلوم ومراكز تحقيق الكتب اللغوية.

ومن بين هذه النخبة، الأستاذ الدكتور عبد الهادي بن محسن الفضلي المولود عام ١٣٥٤هـ والحائز على شهادة الدكتوراة في النحو والصرف والعروض من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٩٥هـ، حيث يقول في مقدمة أحد كتبه:

(*) جريدة اليوم العدد ١٠١٨٤، الخميس ٩ صفر ١٤٢٢هـ الموافق ٣ مايو-أيار ٢٠٠١م.
(•) أديب وكاتب صحفي من الأحساء، رأس تحرير مجلة هجر الثقافية.

«يأتي النحو حضاريًا في طليعة العلوم العربية الإسلامية، وذلك لأنه يدرس نظام الجملة العربية، فيقدم للذين يتعاملون معه مجموعة القواعد والضوابط التي في ضوئها تعرف كيفية تأليف الكلام العربي ومختلف أحكامه ومعاني عناصره التي تكشف عن مدلوله ومحتوى مفرداته.. ولأنه أيضًا، من المقاييس والوسائل العلمية التي تتعامل مع نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة في إطار الدراسات الإسلامية كالتفسيرات والقراءات والحديث والفقه».

وقد عمل أديبنا أستاذًا مشاركًا بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز حتى عام ١٤٠٩هـ، حيث أختير أستاذًا لمبادئ المنطق وأصول البحث في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن، ولقد ألّف هذا الأستاذ كمًّا لا بأس به من الكتب التي تبحث في اللغة العربية وفروعها، ومن تلك الكتب:

- أسماء الأفعال والأصوات
- قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية
- اللامات - دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية
- مختصر النحو
- مختصر الصرف
- القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف
- في علم العروض: نقد واقتراح
- خلاصة المنطق
- مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية
- فهرست الكتب النحوية المطبوعة
- تلخيص العروض
- دراسات في الإعراب
- خلاصة علم الكلام
- أعراف النحو في الشعر العربي
- مراكز الدراسات النحوية

وإلى جانب هذه الكتب، فهناك العديد من المحاضرات والدراسات التي لا تبعد كثيرًا عن هذا المحيط المفعم بنكهة العروبة والإسلام، مثل كتاب: تحقيق التراث، وكتاب: إقبال: المفكر الإسلامي العملاق. ويحدثنا الدكتور عن هذا الكتاب

بل عن شخصية الشاعر الإسلامي محمد إقبال في مقدمة هذه الدراسة المختصرة عن محمد إقبال فيقول:

«قرأت الدكتور محمد إقبال من خلال ما ترجم إلى اللغة العربية من نتاجه شعرًا ونثرًا فرأيته الشاعر المرهف الحس، والعالم الواسع الأفق، والمفكر العميق النظرة، والسياسي الواعي القدير.. وعرفته فوق هذا كله الإنسان العرفاني الذي صفى الحب الإلهي فطرته، ورققت الروحانية مشاعره وأحاسيسه فعاد يقول الخاطر رأيًا صائبًا ويرسل الفكرة قولاً حقًّا، ولمسته ملتقى لثقافات مختلفة استوعبها تفكيرًا وفهمًا، وأفرغها نظريات وأفكارًا، وأحسسته متأثرًا بالإسلام وحضارته تأثرًا متينًا ومكينًا، ساعده إلى أقصى الحدود في بوتقة وتنقية ما وعى واستوعب من حضارات الأديان الأخرى، وثقافات الأمم الغابرة.

ورأيتني وأنا أغوص في أعماق فكره أستلهم عطاءه وأستدر خيراته أمام رأيه في (المسؤولية الخلقية) تلك المسؤولية التي أكد عليها في أكثر من موقع من نتاجه، يستوقفني عنده ويدفعني إلى البحث فيه دفعاً، وإلى تجسيد فكرة الدكتور إقبال في المسؤولية الخلقية تجسيدًا حيًّا يعرض صورة رائعة من فكر إقبال الإسلامي».

ومن بعض كتبه، نقتبس هذه التعريفات من تلخيص البلاغة:

البلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ويشرح هذا التعريف بقوله: الكلام: هو ما يلقيه المتكلم مع توفره على قصده لمعناه وعلى إفادته السامع والقارئ.

والفصاحة: هي خلو ألفاظ الكلام مفردات وتراكيب مما يؤدي به إلى خروجه عن الطريقة المألوفة للعرب في نطقه والتلفظ به.

ثم ينتقل إلى تعريف المعاني، وهو العلم الذي يبحث في أساليب الكلام التي يطابق بها مقتضى الحال.

والإنشاء: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب.

ثم ينتقل إلى البيان (في فصل آخر)، فيقول: البيان هو العلم الذي يبحث فيه عن أساليب الكلام المعنوية التي بها يطابق مقتضى الحال.

وفي فصل البديع، يقول: هو العلم الذي يبحث فيه عن الصور المعنوية واللفظية التي تكسب الكلام قوة وجمالاً.

إن لكل فرع من فروع البلاغة التي قدمها الدكتور الفضلي في هذا الكتاب شروحًا وافية استطاع من خلالها أن يضع البلاغة بين يدي طلابه بصورة مبسطة تضع مداركهم على بدايات الطرق لدراسة تلك العلوم المهمة لهذا الفرع من الدراسات العربية التي يستطيعون بواسطتها أن يتعاملوا مع كتاب الله قراءة وفهماً لمعانيه.

وفي تعريف الصرف أو التصريف، يقول: يتوفر علم الصرف على تبيان كيفية تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها وحركاتها وترتيبها وما يعرض لذلك من تغيير أو حذف وما في حروف تلك الكلمة من أصالة وزيادة.

وبعد هذه الجولة في بعض مؤلفات هذا الأديب المتمكن، لا يسعنا إلا أن نشيد بجهوده المتميزة في النهوض باللغة العربية وترسيخها في أفهام طلاب المعرفة وهواة الأدب.



الصراع في عصرنا الحاضر بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وعلينا أن نعي هذا الواقع بعين الاعتبار ليأخذ أبعاده في تضافر جهودنا جميعًا من أجل المرور به إلى ما هو أرقى وأبعد غورًا مما نحن عليه اليوم.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

أسماء عربية: الدكتور عبد الهادي الفضلي(*)

■ الأديب الأستاذ حسين محمد بافقيه(•) ■

عادة ما كنا نراه يذرع الحرم الجامعي بخطواته المتئدة، يتأبط حقيبته ميمِّمًا وجهه شطر كلية الآداب، والصمت يغلف سمته بوقار العلماء، ولم أكن قد رأيته طيلة دراستي الجامعية يقود سيارة إلاّ مرة أو مرتين، حتى أنني لا أحسبه الآن، وقد قطع تلك الأشواط الطويلة جيئة وذهابًا أحد الفلاسفة المشائين في الثقافة اليونانية القديمة، لم يكن ليختلط بأحد، بل كانت وجهته معروفة، فكأنه وضع بوصلة ثابتة تحدد اتجاهه، من بيته إلى المباني الدراسية، ومن ثم التوجه إلى مكتبه، في صورة مرسومة المعالم، وهو في ذلك كله يعيش عوالم من الصمت الرائع، ذلك الصمت الذي يتحول إلى حكمة، أو إلى عبادة..

كان يدرس لنا المستويين النهائيين من النحو العربي، أي إنه يمثل بالنسبة لنا نهاية المطاف بالنسبة للدرس الجامعي، وهذا ما يجعل صورته مرتبطة في الأذهان، بذلك العالم الفسيح الذي يفصل بيننا وبينه، كما تفصل تلك السنوات ما بين المستوى الأول من النحو والمستويين الأخيرين، إنه مرتبط بالتخرج، أي إن احتكاكنا به، وتعرفنا إليه سوف يتأخر إلى تلك المرحلة. ولذا فإن معرفتنا بالقسم وبأساتذة القسم سوف تكون أكثر تبكيرًا وألفة من تعرفنا إلى ذلك الأستاذ الذي نراه أمام أعيننا ولكن لا نجسر على التقرب منه، إن ملامحه هادئة، وهو صامت أبدًا، ثم إنه فوق ذلك أستاذ للنحو، بكل ما يحمله مصطلح «نحو» من صرامة في ثقافتنا العربية التي ننتمي إليها. ولكن الزمان رغم ذلك ما لبث أن أخذ في القرب من عالمه. إننا غدونا حينها على بعد زماني يسمح لنا بأن نهيئ أنفسنا روحيًّا ونفسيًّا للدخول إلى عالم هذا الأستاذ، حينها لم نكن لنمنع أنفسنا عن أسئلة ساذجة، أو قل طفولية، عن أسلوب

(*) جريدة الرياض، ٢٨ محرم ١٤١٥هـ، ٧ يوليو ١٩٩٤م العدد ٩٥٠٩ السنة ٣١، ص٢٢.

(•) أديب وناقد من جدّة، رأس تحرير مجلة الإعلام والاتصال الصادرة عن وزارة الإعلام السعودية، ورأس تحرير صحيفة أم القرى. تلمذ على الدكتور بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة.

هذا الأستاذ، كيف يقيم صلته بالطلاب، وأسئلة كثيرة... وكان زملاؤنا ممن شرفوا بالدراسة على يديه قبلنا يتحدثون عن عالميته، عن خلقه الرفيع، عن هدوئه، وتعامله الأبوي مع الطلاب.. إلاّ أن ذلك لم يحل دون تلك المسافات من الجسور التي أقمناها بيننا وبينه، وكان القدر شاء أن نعيش تلك اللحظات من الأسئلة، كي نتعرف إلى عالمه معاينة، أن نعيش عالم ذلك الأستاذ بأنفسنا، أن نلمس ذلك الصمت، وذلك الوقار. ولقد كان ذلك لنا، ولقد كانت تجربة من أمتع تجاربنا الدراسية..

أوشكت سنواتنا الجامعية على الانتهاء وقد شرفنا بالدراسة على يد أستاذنا العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، ذلك الأستاذ الذي كنا نرقب من كثب مشيته، حركاته المتئدة، وقاره، هدوءه، وقبل ذلك، تلك الهواجس التي كان سمته الرزين يوحي بها إلينا. ولكن تظل تلك التجربة، تلك المعاينة ملحمة من ملاحم الحب والتقدير والوفاء ما بين الطلاب وأستاذهم، ذلك الأستاذ الذي أحسبني غير مبالغ لو عددته أحد أكثر العارفين بالتراث والمتصلين به اتصالاً وثيقًا من المشتغلين به (نحوًا وبلاغة وأصول فقه ومنطقًا).. كنت أجدني مشدودًا إلى محاضراته في النحو العربي، والتي استطاع من خلالها أن يقدم لنا ذلك العلم العتيد بطريقة عصرية، تجعله سائغًا مقبولاً بكل شواهده، وتفريعاته المعهودة، وهو يحمل في حقيبته ذلك الكتاب القديم الطبع، أوراقه متهالكة بحكم صروف الدهر، إلاّ أن قدمه سر خلوده، لا أدري ما عمر تلك الطبعة من شرح الألفية التي يستند إليها أستاذنا، ولكن الذي يمكن لي تخمينه أنها تمتد إلى عمر طباعي يضمن لها أن تكون ثروة ممتازة من كتاب تراثي بالغ القدم..

حين تبدأ المحاضرة، ينصرف كلية إلى السبورة بأكملها، وحتى ليظن الواحد منا أن الوقت سوف ينتهي وهو لم ينتهي من كتابة الدرس، إلاّ أن ذلك الوهم سرعان ما يتبخر، إذ تعودنا على ذلك الانضباط العجيب في حساب وقت الكتابة على السبورة، ومن ثم الانصراف إلينا وشرح الموضوع المدروس، وما ينبع من أسئلة ومناقشة تتعلق به أو بمسائل متفرقة في النحو العربي. ولم يكن أستاذنا الدكتور الفضلي نحويًّا منصرفًا إلى النحو باعتباره إعرابًا أو تراكيب ليس لها صلة بالحياة، بل إنني لمست من خلال محاضراته لنا، بعض نظرات عميقة لصلة النحو العربي على مستوى البنى والتراكيب بالحياة العربية، والتركيبة الاجتماعية للإنسان العربي في الجاهلية وصدر

الإسلام. مما جعلني أعرف أن أستاذنا الفضلي أقرب ما يكون إلى فيلسوف يريد ربط الظواهر اللغوية بالمعطيات الحضارية والاجتماعية العربية، بحيث لا يكتفي من النحو بالجوانب التعليمية التي تعزله عن المجتمع والناس، والتي قد تحيل اللغة إلى عالم معزول، عن حركة الواقع، وكأنها أحجية أنزلت عليهم من كوكب آخر غير كوكبهم، ومن عالم آخر غير عالمهم، ولكن تلك النظرات الرائعة من أستاذنا الفضلي المتعلقة بتفسير الظواهر النحوية من خلال ربطها بالظواهر الاجتماعية للعرب قديمًا، كانت تأتي في معرض حديثه في ما يشبه الخواطر، أو لحظات التجلي؛ لأن المحاضرة محكومة، منهجًا، يكون النحو الذي ندرسه، نحوًا علميًّا يفسر طرق الأداء النحوي، وهذا ما حرمنا من الاستزادة من تلك اللمحات التي أحسب أن لو أعطيت الوقت والدرس منهجًا خاصًّا بها لأمكن الخروج بالنحو العربي من عوالمه المدرسية التي نكبله بها..

حين دراستي الجامعية، كنت مغرمًا بقراءة مراجع متنوعة عن المواد التي أدرسها، قبل أن يحين موعدها، أذكر أنني قرأت درس العروض والقافية والقراءات القرآنية وتاريخ النحو ـ على سبيل المثال ـ مراجع عدة تهيئ لي معرفة تلك العلوم التي سوف أدرسها في وقتها، ولكم كانت كتابات **الدكتور عبد الهادي الفضلي** المختصرة والمفيدة في بابها خير عون لي في التعرف الأولي لتلك العلوم، فكانت كتبه المطبوعة والمعروفة والمتداولة بين طلاب المعرفة (**تلخيص العروض، القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، دراسات في الإعراب، مراكز الدراسات النحوية، دراسات في الفعل**) من المراجع المهمة التي رجعت إليها، حينها، وما تزال إلى يومي هذا، أرجع إليها من وقت إلى آخر، فهي تمتاز بكونها مادة مختصرة لتلك العلوم، والتي تدل من ناحية أخرى على ذلك الجهد، وتلك القدرة على جعل تلك العلوم قريبة، إلى طلاب العلم في الدراسات القرآنية والنحوية، وإن كنت أعتقد أن تلك المختصرات الممتازة، على الرغم من أهميتها ووجاهتها، قد حرمتنا من علم هذا الأستاذ القدير، فيما لو انصرف إلى التآليف الموسعة في مسائل بعينها في الثقافة العربية التراثية، وفي حقول مختلفة، وعلى رأسها الدراسات النحوية والقرآنية، لأن من يعرف **الدكتور الفضلي**، وخبر علمه ودرايته، لا بدَّ أن يسدي إليه ذلك العتاب اللطيف، ذلك العتاب المرتبط بأن الدراسات النحوية ـ على سبيل المثال ـ كان يمكن لها أن تفيد الشيء الكثير، وخاصة في تلك المسائل التي يغلب عليها الطابع الإشكالي ذو الصلة الوثيقة بالخلاف النحوي بين المذاهب النحوية في تراثنا..

وقد شرفنا بالدراسة على يد هذا الأستاذ القدير، وتعرفنا إليه من كثب، وعرفناه معرفة أبانت لنا عالميته وإنسانيته، في نموذج لعله يعيد إلى أذهاننا صورة أولئك العلماء العاملين، من الأساتذة الذين يرون دورهم الحقيقي بناء كيان علمي قوي بناء. هل انزاح من وهمنا حينها ذلك القمقم الذي نسجناه لأستاذنا الصامت أبدًا، نعم، كان أستاذًا عالمًا، كان أبًا لطلابه، أحبهم بصدق، فأخلصوا له الحب، وبقيت صورته في الأعماق راسخة، لا تلك الصورة التي خيلت إلينا وقتها أنه منفصل عن عالمنا، ولكنها الصورة التي لمسناها واقعًا جميلاً عشناه بكل مشاعرنا، صورة ذلك الأستاذ المتواضع، الممتلئ علمًا، المتجلي بأستاذيته. أقول هذا وقد طال بنا العهد منذ تخرجنا، ومنذ انقطعت أخباره عنا، حين أحيل على التقاعد، ولكنه الشوق لذلك الأستاذ العالم الإنسان، لذلك الرجل الذي أحببته عالمًا، وأحببته إنسانًا، وأحببته وقارًا يشع علينا.



ظهور الدين الإسلامي انطلاقًا من تلكم البيئة البدوية لهو دليل أقوى على إلهيته، وأن ما مثّلته حركة الدعوة الإسلامية صادر عن الوحي الإلهي وامتداد لبقية الشرائع السابقة.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

ورقة للتاريخ: الدكتور الفضلي النحوي الأكاديمي(*)

■ الأستاذ جعفر عمران(•) ■

الدكتور عبد الهادي بن الشيخ محسن آل عباد العلي الفضلي يعود نسبه إلى (عقبه بن فضل بن ربيعة)، ولد في ١٠/ ٩/ ١٣٥٤هـ. وهو من أسرة ذات مكانة مرموقة في الأحساء في مدينة العمران. منهم العلماء والأدباء، نشأ نشأة علمية دينية في كنف والده الميرزا محسن الفضلي. أحب العلم والاطلاع منذ صغره، تلقى علوم اللغة العربية وتخصص وأبدع فيها، حيث درس الشروح في النحو والبلاغة والصرف، منها شرح ابن عقيل والأجرومية وقطر الندى وجواهر الأدب للهاشمي. حصل على شهادتي البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية. وكانت لديه الرغبة الملحة في الحصول على الدكتوراه، في العام ١٣٩١هـ. عين مدرسًا في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ثم ابتعث من قبلها إلى مصر في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعاد منها في العام ١٣٩٦هـ حاملاً الدكتوراه، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبد العزيز لمواد النحو والصرف والعروض ومادة تحقيق المخطوطات بقسم المكتبات، حتى سنة تقاعده عام ١٤٠٩هـ، ثم اختير أستاذًا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن.

يعدُّ الدكتور الفضلي أول رئيس لقسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز بصفته مؤسسًا لهذا القسم، وهو عضو دائم في لجنة المخطوطات بمكتبتها المركزية، وشارك في مناقشة بعض الرسائل الجامعية للدراسات العليا وأشرف على بعضها، كما اختير خبيرًا محكمًا لجملة من أبحاث الترقيات العلمية للجامعة.

كما يعدّ أحد المفكرين اللغوين البارزين في العالم العربي، وأحد النحويين السعوديين الذين أسهموا في إضافة وإمداد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات في

(*) جريدة اليوم، الثلاثاء ٩ رمضان ١٤٢١هـ - ٥ ديسمبر ٢٠٠٠م، العدد ١٠٠٣٥.

(•) كاتب وصحفي من الأحساء.

اللغة العربية بكافة فروعها، وقد بلغت مؤلفاته (٤٥) مؤلفًا في علوم القرآن الكريم واللغة والأدب والإعراب والبلاغة والصرف وفقه اللغة والعروض والتربية والثقافة والتاريخ، وله العديد من البحوث العلمية والأدبية، كذلك حقق العديد من الكتب في علوم القرآن الكريم واللغة والتفسير.

ورغم انشغاله بالتدريس والتأليف وتحقيق المخطوطات، إلاّ أن ذلك لم يشغله عن قول الشعر.

ويبقى **الدكتور الفضلي** أحد المهتمين والمشجعين للمؤلفين الشباب، حيث قدّم عددًا من مؤلفاتهم إيمانًا منه بواجبه في تشجيع الشباب ودعم حركة التأليف والأدب والثقافة في الأحساء.



بُعثَ الأنبياء مبشرين ومنذرين ليغيروا واقع المجتمعات البشرية ويرجعونها إلى ما كانت عليه من التعايش الواحد القائم عل القيم الفطرية، ولكنّها في هذه الحال لن تكون مجتمعات فطريّة تعيش حالاً من السذاجة والبساطة، وإنما ترجع إلى قيم الفطرة الإنسانية على بصيرة ووعي عميق لموقعية الإنسان في هذه الحياة.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

عَرُوض الدكاترة(*)

■ الأستاذ حبيب محمود(•) ■

تكمن مشكلة علم العَروض في تدريسه، وتكمن مشكلة تدريسه في المصطلحات المتراكمة في مناهجه والتأليف التي تطرق له.

ومع أنه علم يضع قوانين للذائقة الشعرية التقليدية، إلا أن أساليب تدريسه، أكثرها، تعتمد على الحفظ والتلقين.. وهنا جوهر المشكلة..!

الخليل بن أحمد الفراهيدي، نفسه وجد صعوبة في تدريسه لطلابه، وأبو عثمان الجاحظ، هذا العبقري العظيم، كان يعتبره علمًا مستبردًا.

والمعترضون على تفاعيله وعقده الاصطلاحية «ربما» زادوا عن المتحمسين له !..

وليس ثمة غرابة إذا قلنا: إن هذا العلم من أسهل علوم العربية، في الواقع، ولعله أسهل ـ لو ركز الباحثون والمعلمون على سره ـ من النحو والصرف البلاغة!

ومن يدرس آراء **نازك الملائكة**، وأبحاث **الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور شوقي عيد** يدرك أين تكمن سهولة هذا العلم المعقد.

وأعتقد ـ اعتقادًا شخصيًا ـ أن ما طرحه **الدكتور عبد الهادي الفضلي**، وهو من علماء العربية لدينا في المملكة بلا مبالغة، في كتابه الصغير المركز «**في علم العروض: نقد واقتراح**» يعد من أهم الأطروحات الناضجة جدًا في تقنين قواعد جديدة لتدريس العروض الحديث ..!

(*) جريدة اليوم العدد ٩١٤١، بتاريخ ١/ ٣/ ١٤١٩هـ.

(•) أديب وصحفي من القطيف.

هؤلاء الباحثون ركزوا على السر الذي يتجاهله دكاترة الجامعات في تدريس العروض، والسر ليس سرًّا في الواقع. فمعظم مدرسيه، الدكاترة يتحدثون عن الأذن الموسيقية، لكنهم لا يصنعون شيئًا إزاء تفعيل هذه القيمة الذوقية في محاضراتهم وبحوثهم، بل يحشون كتبهم، التي يبيعونها بيعًا، بطرق تدريس وظيفتها الحقيقية هي زيادة هم الطالب وغمه، بدلاً من أن تربي فيه حسًّا موسيقيًّا جميلاً.

كل ما ذكرت سابقًا هو سبب إبراز مقال الأخت خلود الواو في هذه الصفحة، فهي (رغم أنها خريجة فقط ولا تحمل حرف الدال قبل اسمها) وضعت يدها على المشكلة الرئيسية في «تدريس» العروض، ولم تكتف بالتشخيص، بل اقترحت أسلوبًا علميًّا وبسيطًا، في تدريس هذا العلم الذي عقده مدرسوه منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي حتى عهد دكاترة الجامعات.



في مقابل الحمية والعصبية، أنزل الله على رسوله والمؤمنين السكينة في قلوبهم ليقوموا بين الناس ويحكموا على ما يواجههم من قضايا بروح عقلية هادئة لا تشوبها العصبيات المقيتة التي تحول دون تحقّق العدالة الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية. وذلك بما ألزمهم به من صفة التقوى التي تمنعهم من مخالفة الأحكام الشرعية التي يتحقّق بالتزامها تحقيق العدالة المنشودة.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

شذرات من مجلس العلامة الفضلي

■ المرحوم الأستاذ سعيد مهدي الخويلدي(•) ■

هذه بعض الفوائد من أقوال سمعتها ودونتها خلال زياراتي الأسبوعية لمجلس أستاذنا العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، وهي تمثل المجموعة الأولى من هذه الفوائد، تتبعها مجموعة ثانية لاحقًا، سجلتها ثم عرضتها على سماحته فأضاف تعليقات وتعديلات وإعادة كتابة لكل منها بخط يده، فأصبحت من تعبيره وبخطه، نرجو أن تعمّ بها الفائدة للقراء الكرام من المثقفين والكتّاب وتلامذة شيخنا الفضلي.

□ الفائدة الأولى

إن من أهم الشعارات الدينية التي طرحها أحد مراجعنا الدينيين في هذا العصر للدعوة إلى جمع كلمة المسلمين في مقابل الزحف الامبريالي لاحتلال بلاد المسلمين والاستيلاء على خيراتهم عن طريق تفريقهم تحت قاعدة (فرّق تسد)، وطريق استلاب حضارتهم الاسلامية وإحلال حضارته العلمانية (اللادينية) محلها.

أقول: إن من أهم الشعارات الدينية التي طرحت في هذا المجال هو شعار «توحيد الكلمة في ظل كلمة التوحيد».

والشعار - كما تراه - مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والآية الكريمة ـ كما هو واضح ـ تدل على وجود الاعتصام بالدين، والاعتصام ـ هنا ـ يعني التمسك بالدين باتباع هديه للحصول على العصمة من الوقوع فيما يؤدي إلى ضعف الأمة الإسلامية.

(•) كاتب من القطيف، جمع بين الدراستين النظامية والحوزوية، وكان من ملازمي مجلس العلاّمة الفضلي. توفي إثر حادث مروري في شهر شعبان ١٤٢٨هـ.

ومن أظهر ظواهر ضعف الاعتصام عند المسلمين المعاصرين هو إشاعة فكرتي «النصب» و«الغلو»، وهما ـ كما أفادت التجارب الكثيرة ـ من أقوى عوامل تفرقة المسلمين.

ومن خلال نظرة الامبريالية العالمية للتجارب التاريخية التي أشرتُ إليها عاد الإمبرياليون يوقّعون على الوتر نفسه، وعدنا نرى جمعًا غير قليل يدعون إلى الغلو، وآخرون يدعون إلى النصب.

ولهذا، فمن الواجب علينا في ضوء ما أفادته الآية الكريمة أن نقف أمام هذه الدعوات لنعود إلى توحيد كلمتنا في ظل كلمة التوحيد.

ولهذا أيضًا، كنا نسمع دائمًا الشيخ الفضلي يكرر عندما ينقل إليه جانب من جوانب الغلو، يكرر المقولة المأثورة: «أنتم تسبونهم في العراق ونحن نقتل في الحجاز». أي إنه يريد أن يقول: علينا أن نبتعد عن الغلو؛ لأن فتنته قد تؤدي إلى قتل المسلمين بعضهم بعضًا.

□ الفائدة الثانية

من المصطلحات الإسلامية في مجال العقيدة الإسلامية: مصطلح (الحقيقة المحمدية).

ويراد به في الفكر الشيعي: حقيقة الخمسة أصحاب الكساء (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﰸ)، ويعنى بذلك أن حقيقة النبي محمد ﷺ هي النموذج الأعلى والأمثل للإنسان الكامل الجامع لجميع المقامات العالية والصفات الفُضلى التي تصنعه في مستوًى هو فوق مستوى المخلوقين، ولكن في الوقت نفسه هو دون مستوى الخالق.

وأن هذه الحقيقة ـ بما لها من كمال ـ تمثلت أيضًا في حقيقة علي وفاطمة والحسن والحسين ﰸ امتدادًا لكمال النبي ﷺ.

وأشار الشيخ الفضلي إلى معنى آخر للحقيقة المحمدية في فكر المتصوفة، ذهب إليه ابن عربي، وهو: أن الحقيقة المحمدية هي حقيقة النبوة المتمثلة في الأنبياء جميعًا من أولهم حتى خاتمهم نبينا محمد ﷺ وكانت حقيقة النبوة فيه ﷺ أعلى وأمثل، أي إن ظاهرة النبوة في النبي محمد ﷺ هي النموذج الأعلى والأمثل للنبوة، وهذا كما

نقول: «ظاهرة القرآن»، بمعنى أن القرآن الكريم يمثل النموذج الأعلى والأمثل للكتاب الإلهي المنزل.

فالحقيقة المحمدية تعني في الفكر الشيعي الإمامي: أصحاب الكساء المعصومين الذين نزلت فيهم آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والذين كانوا خيرة الله من خلقه.

وهي في الفكر الصوفي الإسلامي: ظاهرة النبوة المتمثلة في جميع الأنبياء، ولكنها في نبينا محمد ﷺ كانت النموذج الأعلى والأمثل.

☐ الفائدة الثالثة

أشار الشيخ الفضلي في بعض مجالسه، وهو في معرض حديثه عن علم عبد الله بن عباس، إلى أن ابن عباس كان أعلم الصحابة في الفكر الإسلامي بعد أهل البيت ﷺ. وكان أقوى وأكثر الصحابة دفاعًا عن حق أهل البيت في الأفضلية والخلافة، وفي بيان معنى الإمامة واختصاصها - حقًّا شرعيًّا - بالإمام علي عليه السلام.

☐ الفائدة الرابعة

وذكر في مجلس من مجالسه: أن الفقيه التابعي جابر بن زيد ربما كان أقدم من أفتى بجواز الاغتيال السياسي. ثم قال: رأيت هذا في كتاب (فقه جابر بن زيد) المطبوع حديثًا.

☐ الفائدة الخامسة

ومما أفدناه من الشيخ الفضلي: أنه ينفي وقوع ما سمي بالصلح بين الإمام الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، وقال: إنه تناول هذا بالتفصيل في محاضرة دينية ألقاها في القديح بمناسبة مولد الإمام الحسن عليه السلام، وركّز على أن الذي وقع بين الإمام الحسن ومعاوية هو من نوع الهدنة كما سماه عَلَم الطائفة الشيخ المفيد في كتابه التاريخي (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد).

☐ الفائدة السادسة

قال مرة: إن المأثورة التي تقول: «لا يفهم القرآن إلا من خوطب به» تتحدث عن حالات تعارض أقوال أهل البيت ﷺ مع أقوال غيرهم، فيقدم قولهم حينئذٍ لأنهم أعرف بالقرآن.

☐ **الفائدة السابعة**

وأفاد بأن المذهب الإمامي أكثر ثراءً وعطاءً في الجانبين الفكري والروحي من المذاهب الأخرى، ولكن تعوزه الدعاية.



إن الإسلام لم يؤلّف بين المسلمين بحيث جعلهم وكأنهم قبيلة واحدة متجانسة، فذلك كان موجودًا سابقًا، بل ألّف بين قلوبهم ووحد بين عقولهم. لقد أحدث الدين الإسلامي تغييرًا وانقلابًا في الذهنية العربية في ذلكم الوقت، فجعل في قلب كل مسلم محبّة وإخلاصًا قلبيًا تجاه أخيه المسلم، بدلاً من البغضاء والشحناء التي ولدتها أحقاد وضغائن الصراعات القبلية.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

العلاّمة الدكتور الفضلي وجامِعية الثقافة والوعي(*)

■ السيد الدكتور عدنان الشخص(•) ■

إنه لشرف لي أن أقف في هذا الموقف الذي أقدّم فيه بعضًا مما تميّز به أستاذنا ورائدنا فضيلة العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي. واسمحوا لي أن أذكره بلقب الدكتور الشيخ الفضلي اختصارًا، وذلك لأنه اللقب الذي اشتهر به.

في البدء، لا يسعني إلا أن أذكر أن للدكتور الشيخ الفضلي خصائص كثيرة يحملها، ولا يمكن أن نغطيها في هذا الموقف المختصر، وإنما أريد أن أسلّط الضوء على بعض صفاته التي تفرّد بها، وكان لها أثر بارز في مسيرته الحافلة والمعطاءة، إضافة إلى أني أستمدّ من عنوان اللقاء عنوانًا لكلمتي، وهو: «المثقف الواعي».

المثقف ـ **لغةً** ـ: من ثقف الشيء، أي حذقه وتمكّن منه[١]. والواعي من وعي، بمعنى: حَفِظَ القلبُ الشيءَ[٢].

واصطلاحًا: المثقف هو الذي لديه اطّلاع ونفوذ على نتاجات فكرية متعدّدة ومتنوّعة، وهذه النتاجات لها ارتباط بالإنسان والمجتمع الذي ينتمي إليه المثقف. والمثقف هو الذي يحول ما اطّلع عليه من ثقافات إلى لغة مفهومة من قبل إنسان مجتمعه، بينما الواعي هو الذي يستطيع أن يستوعب موقعه، وموقع مجتمعه من قضية التطوّر. فهي يعي المراحل التي مرّت، والمرحلة الحالية، ولديه تصوّر عمّا يحتاجه مجتمعه وإنسانه لكي ينمو ويتقدّم.

(*) نشر ضمن أوراق المؤتمر المصغّر في «مهرجان الفقيه المثقف»، مساء الخميس ٢٠/ ١/ ١٤٢٨هـ = ٨/ ٢/ ٢٠٠٧م.

(•) عضو هيئة التدريس في قسم علوم الرياضيات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران، وأحد أبرز الناشطين على المستويين الثقافي والاجتماعي شرق المملكة العربية السعودية.

(١) انظر: لسان العرب، مادة: ثقف.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة: وعي.

والمثقف الواعي هو الذي يستطيع أن يصيغ الرؤى، ويحدّد المواقع، **وأيضًا هو** قادر على مخاطبة مجتمعه وجمهوره بوسائل مختلفة، وبما يجعله (أي المجتمع) **متأثرًا** ومتفاعلاً مع هذه الرؤى، لذا قد نجد الكثير من المثقفين الذين لا يمتلكون الوعي الاجتماعي المطلوب، وقد يكون هناك بعض الواعين (من ذوي البصائر كما يوصفون في التراث العربي/ الإسلامي القديم)، ولكنهم لا يستطيعون التأثير على مجتمعهم. ولكن المثقف الواعي هو المطّلع على حاجات مجتمعه والقادر على سلوك الطريق المناسب للتأثير في المجتمع.

فالمثقف الواعي الملتصق بمجتمعه هو الذي يستطيع أن يحوّل الثقافة التي يرى من المناسب لمجتمعه أن يتبنّاها إلى عصارة سهلة الهضم تساهم في نموّ وتطوّر هذا المجتمع.

وحين الحديث عن الدكتور الشيخ الفضلي نجده مصداقًا للمثقف الواعي، وهذه الصفة قد تكون واضحة جدًّا للإخوة الذين شاهدوا حضوره في المنطقة هنا. ولكن للدكتور مواقفه التي بدأت منذ أيام الدراسة في النجف، واستمرّت طوال مسيرته، ونحن هنا نسلّط الضوء على بعض هذه المواقف، فبالإضافة إلى ذكائه، وقدرته الذهنية العالية والصفات الشخصية التي يجب أن يتمتّع بها أي مفكر مبدع، فإننا نجد أن الدكتور الفضلي يتميّز بخصلتين رئيستين نجدهما واضحتين:

الخصلة الأولى: القدرة على تنظيم الجهد وإدارة القدرات الذاتية

فبرغم نشاطه الاجتماعي، فإن لديه من المؤلّفات ما يربو عددها على الأربعين كتابًا، وعشرات التحقيقات والمقالات، وغير ذلك من أنواع النشاط الفكري. وهذا نادر بين الفضلاء، فتجد من المفكرين من ركّز على التأليف وليس لديه نشاط اجتماعي واضح، وبالعكس، فهناك من لديه نشاط اجتماعي جيّد، ولكنه ليس لديه إنتاج فكري مدوّن ملحوظ. وبعض هذه الكتابات طرقت مواضيع جديدة أو طرحت الموضوع من زاوية جديدة، وقد ذكر مؤلّف أعلام هجر (السيد هاشم الشخص) عن كتاباته حول مناهج الحوزة: **«تمتاز مؤلّفاته العلمية ـ غالبًا ـ بالمنهجية الرائعة والاختصار المفيد. وهذا ما جعل بعض مؤلفاته ـ مثل: خلاصة المنطق، ومختصر الصرف وغيرها ـ تدرّس في الحوزة، وبعضها يدرس منذ أكثر من عشرين سنة».**

الخصلة الثانية: روح المبادرة

فقد تجلّت مبادرته للتصدّي لمعالجة قضايا تهمّ المؤمنين، وتمثّل حاجة ملحّة لهم، «وهذه الخصلة كانت معه منذ أيام النجف، فقد تعلق نشاطه وعمله بحاجة الناس من ناحية، وكان التصدّي فيه ريادة».

نجد أن هاتين الخصلتين قد مكنتاه من القيام بدور مميّز أينما حلّ، ولإلقاء الضوء على ذلك، سوف نختار بعض المواقف في كل مرحلة مرّ بها الدكتور الشيخ الفضلي:

□ مرحلة النجف الأشرف

إن وعيه وثقافته قادته إلى تدارس الوضع القائم مع مجموعة رائدة من رجال المجتمع، من أمثال: السيد محمد باقر الصدر ﷺ، والسيد محمد حسين فضل الله ﷺ، والسيد مرتضى العسكري ﷺ، والشيخ التسخيري ـ حفظه الله ـ .. وغيرهم، فقد قادهم وعيهم إلى التنادي للتصدّي لمواجهة التحديات التي تمثّلت بالحاجة إلى صياغة مشروع إسلامي ناضج، ومعالجة الأسس التي أدّت إلى ضعف الأمة، والبحث عن الطرق المناسبة لرفع مستوى الوعي، ومواجهة الهجمة الفكرية التي تتعرَّض لها الأمة. كل هذه القضايا أدت بالدكتور الشيخ الفضلي ورفاقه إلى التصدّي والمبادرة كما هو معروف لكم. وتمثّل بعض نشاط الدكتور الشيخ الفضلي في تأليفه كتاب **مشكلة الفقر**، وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية اجتماعية وفكرية، حيث إن الفقر كان يعدّ مدخلاً مهمًا للحديث عن الاشتراكية، وحينما تكوّنت **جماعة العلماء** من كبار أساتذة الحوزة، وكان الدكتور الشيخ الفضلي مع المجموعة الرائدة نفسها التي أحاطت بجماعة العلماء، يوفرون لهم المعلومة، ويقومون بتبيان الموقف المطلوب، فكانت بيانات جماعة العلماء تصاغ من قبل المجموعة، وهم تولوا تحرير مجلّة الأضواء. فكان شيخنا الدكتور ضمن أسرة تحرير الأضواء، إن هذا التمازج بين الطاقات (الشباب الواعي والأساتذة الكبار) هو الذي أعطى لجماعة العلماء وبياناتها وقراراتها وزنًا كبيرًا، مما كان له الأثر الواضح على الحياة السياسية والاجتماعية في العراق في تلك الحقبة، كان لشيخنا الدكتور الفضلي دور مهم ورائد.

إن الدكتور الفضلي كتب عدّة كتب وبحوث متعلّقة بالتحديات التي تواجه المجتمع في ذلك الوقت، ومن أهم هذه القضايا موضوع قيادة الأمة في زمن الغيبة، فكتب كتابه **في انتظار الإمام**، لقد كان هذا الموضوع حسّاسًا ورائدًا في الوقت نفسه، وشيخنا العزيز له أبيات شعر توضح علاقته بالانتظار، منها هذا البيت:

انا في انتظارك طال أو قصــر المـدى   لا البعدُ ييئسني ولا جـور العـدى

في انتظار الإمام ـ عجل الله فرجه الشريف ـ يعالج فيه أزمة قيادة الأمة في زمن الغيبة، وقضية العمل السياسي الاجتماعي العام في زمن الغيبة، والآراء الفقهية حول الموضوع، إضافةً إلى مناقشة الموضوع من نواحي اجتماعية وسياسية.

ولا نريد أن نتوقّف كثيرًا عند تحليل الكتب التي كتبها، فهي كثيرة، وهذه الورقة ليست مخصّصة لتحليل الكتب والمؤلّفات، وإنما إلقاء الضوء حول النقاط التي يتميّز بها الدكتور الفضلي. فمما لاحظه الدكتور الفضلي أن المناهج في الحوزة ـ على عمقها ـ تحتاج إلى أن تعرض بصورة أفضل، كي يسهل على الطالب استيعابها، فتصدّى لكتابة عدّة مناهج، وقد تميّزت ـ كما ذُكر في أعلام هجر ـ: «بالمنهجية الرائعة والاختصار المفيد. وهذا ما جعل بعض مؤلفاته ـ مثل: خلاصة المنطق ومختصر الصرف ـ تدرّس في الحوزات العلمية وبعض الجامعات».

☐ مرحلة جدّة

أودّ أن ألقي الضوء على بعض مبادراته حين توجهه إلى جدّة/ جامعة الملك عبد العزيز، فبالإضافة إلى علاقاته الواسعة واتصالاته المتعدّدة، فقد قام بالتحقيق حول المواقيت، وهذا الموضوع يكتسب أهمية كبيرة؛ لأن التوسّع العمراني الذي مرّت به مناطق الحرمين الشريفين غيّرت الكثير من المعالم. وبعد أن أنشأت الدولة مباني جديدة وحديثة للمواقيت، فقد نشأت شبهة، وهي أن بعض هذه المواقيت قد تغير مكانها، ولك أن تتصوّر المعاناة التي سيواجهها حجاج بيت الله الحرام لو شاعت مثل هذه الشبهات في أوساط المؤمنين، مما كان سيترك آثارًا سلبية على أدائهم للمناسك، وقد يتسبّب بمشاكل متعدّدة، فتصدّى شيخنا الدكتور للتحقيق حول المواقيت، وأن أماكنها لم تتغير، وإنما هي المواقيت المعروفة.

☐ مرحلة المنطقة الشرقية

منذ استقراره في المنطقة شكل شيخنا الدكتور ملجأ لمختلف الطاقات، وقد لجأ إليه الشباب على وجه الخصوص لما وجدوا عنده من فكر ورؤية، وتوجيه الطاقات نحو العطاء والإبداع، وقد لجأ إليه الكثيرون من مختلف الأطراف العاملة في الساحة الإسلامية في المنطقة.

لقد رعى نهضة ثقافية ذات توجّه جماهيري تمثّل في مخاطبة الجمهور من خلال المناسبات والاحتفالات الدينية المختلفة، وإطلاق مواسم ثقافية مميّزة، لقد كان للمشاركات التي قام بها الدكتور الفضلي أثرًا في إثارة الوعي الثقافي، خصوصًا في طرحه للمواضيع، ومستوى العمق الذي يطرح به المواضيع، وكمثال جميل على ذلك، أنه في إحدى المناسبات حول الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف ـ طرح السؤال حول ظهور الإمام عليه السلام، بعنوان: «مَن ينتظر مَن؟»، مما قدح في الأذهان أهمية أن تكون الأمة جاهزة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، إن طرح السؤال بهذه الصورة نقل مسؤولية الإصلاح ـ بطريقة عميقة ـ على عاتق الواعين من أبناء الأمة، كي يهيئوا لظهور الإمام عليه السلام، ولا يكتفوا بالدعاء للتعجيل بظهوره.

كما أشير إلى موقف رائع يذكر لشيخنا الدكتور، وذلك حينما صدر كتاب جديد لمادة التوحيد للمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية، وقد احتوى الكتاب على كثير من الآراء التي فيها تهجّم ـ وبشكل جارح ـ على بعض الطوائف الإسلامية (والشيعة الاثنا عشرية بالذات)، فعلى إثر ذلك انتفض بعض الطلبة في المدارس، وتنادى بعض الغيارى من مجتمعنا لمواجهة الموقف، فتوجّه الكثير إلى الأسلوب المعتاد، وهو إعداد معروض موجّه للمسؤولين في الدولة اعتراضًا على هذا الموضوع، ولكن شيخنا الدكتور الفضلي أضاف إلى ذلك موضوعًا مهمًا، قائلاً بأننا يجب أن نعالج جذور المسألة بالردّ الفكري والعقائدي على ما ورد في الكتاب، وبالفعل كان الردّ واضحًا من ناحية، ويمثّل نقلة نوعية في التعاطي مع مثل هذه المسائل.

وإذا أردنا أن نواصل الحديث حول خصائص الدكتور الفضلي، فسوف يطول المقام. وعليه، نكتفي بما ذكر.

وفي الخلاصة: إن شيخنا الدكتور الفضلي خلال مسيرته الفكرية والثقافية والاجتماعية يمثّل ريادة بكل ما للكلمة من معنى، وقد ترك أثرًا فعالاً في كل بيئة حلّ لها، ولو أن أعمال الأشخاص أو إنجازاتهم تقاس بعدد الأشخاص الذين استفادوا أو تأثّروا بها، لوجدنا أن الدكتور الفضلي يقف بين الرموز الساطعة التي أنجبتها المنطقة.

عالم العربية وفخر النحاة المعاصرين(*)

أسس قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز وترأسه حتى التقاعد

■ الأستاذ صالح الذكير(•) ■

«أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي»: حديث شريف تتشرف العربية وأهلها به، وهل بغير ذلك يليق الاستهلال بتقديم فذٍّ من أفذاذ لغة الضاد ليس في المملكة فحسب، بل في الوطن العربي قاطبة!

فقلّما وجد علم من علوم اللغة العربية لم يكن للشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي شأن فيه. فهذا المفكر العربي أحد أبرز علماء اللغة العربية في العالم قاطبة. ألّف وخدم هذه اللغة، فكان في كل ما أعطى يسدي خدمة كبيرة لطلاب العلم والأدب، لذا يصعب وصفه بالنسبة إلى أي فرع من علوم اللغة العربية، فلقد أجاد وأبدع في علم النحو، ولا غرابة أن نعته الكثير بـ «حجة النحاة العرب» الذين يُرجع إليهم إذا ما حُجبت العلوم وأعيت الحِيَل. فمؤلفاته في علم النحو والصرف والعروض خير شاهد على نبوغه وعلى ما قدم للغة العربية، فهو ـ بفخر ـ أستاذ آلاف الطلاب الذين درسوا وتلمذوا على يديه في جامعة الملك عبد العزيز، ومرجع زملائه الأساتذة الذين يدرسون اللغة العربية. ففي كتبه العديدة يدوّن الإجابة عن كل مسألة تعترضهم أو مشكلة يستعصي حلها.

ونحن في (الذاكرة الضوئية) عندما نصعد للوصول لأمثال شيخنا من ذوي العلم والفضل والأدب، نشعر وكأننا نرقى إليه بسلم لا نستبين كل درجاته، فنراه كبدر ساطع وهو في عليائه، نقتبس من أنواره للقراء، ونجليها سطورًا في سجل الخلود، فإذا لم نوفِهِ الحق، فلا أقل من أن نحاول، فواجبنا تجاه السادة الأفاضل

(*) جريدة اليوم، الاثنين ٢٧ شوال ١٤٢١هـ (٢٢ يناير ٢٠٠١م)، العدد ١٠٠٨٣.

(•) كاتب ومؤرخ، وعضو اتحاد المؤرخين العرب.

والعلماء الأجلاء يفرض علينا ما يكسبنا الشرف، ولا يضيف لمقامهم جديدًا، فهم في عقولنا وقلوبنا ملْءَ السمع والبصر.

□ نسبه

يعود الشيخ عبد الهادي بن الشيخ الميرزا محسن الفضلي بنسبة إلى قبيلة طيء العربية المعروفة بعراقة المتحد وكرم الخلال والطبع، التي منها يتفرع أجداده المتصلون بآل عباد، أجداد أحمد بن عمران الذي ينتهي نسبه إلى (فضل بن ربيعة).

وتذكر الروايات: أن عمران بن فضل بن علي، أحد أجداد الشيخ الدكتور الفضلي، كان في بدء حياته يسكن مع عشيرته قرية (ملهم)، إحدى قرى نجد في قلب الجزيرة العربية، وقد ورد ذكرها في (معجم البلدان) لياقوت الحموي ووصفها بأنها من قرى اليمامة التي يكثر في فيها النخيل. كما ورد في شعر جرير ذكرها، فهي من (أيام العرب) وفيها يقول:

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غرقٌ ... هل يا ترى تاركٌ للعين إنسانا
كأن أحداجهم تُحْدى مقفيّةً ... نخلٌ بملهمَ أو نخلٌ بقُرّانا
يا أم عثمان، ما تلقى رواحلنا ... لو قستِ مصبِحَنا من حيث ممسانا

وتذكر الروايات بأنه قد نزح من ملهم سنة ١٠٥٠هـ إلى الأحساء، وقطن في الجهة الشرقية منها. وعرفت قراها باسمه بعد أن اشترى معظمها وأطلق عليها اسم (العمران). ولأنه كان يتمتع برئاسة قبيلته التي كانت بدورها تمتاز بالتفوق العشائري في المنطقة، فقد حافظت على اسمها. وما تزال هذه المنطقة من الأحساء تعرف بهذا الاسم حتى الآن.

هاجر والد الدكتور عبد الهادي الشيخ ميرزا إلى العراق في طلب العلم، وسكن مدينة النجف، وهناك درس الفقه وأصوله والحديث ورجاله والفلسفة وعلم الكلام وأصبح من كبار العلماء المجتهدين ثم سكن مدينة البصرة مدة أربعين سنة. وفي بداية الحرب العراقية الإيرانية، عاد إلى المملكة العربية السعودية، وسكن مدينة سيهات في المنطقة الشرقية إلى أن وافاه الأجل في اليوم الرابع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٠٩هـ ودفن في المدينة المنورة حسب وصيته ﵀.

□ ولادته ونشأته

ولد الشيخ الدكتور عبد الهادي ليلة الجمعة العاشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٤هـ الموافق للسادس من كانون الأول سنة ١٩٣٥م في قرية (صبخة العرب) من قرى محافظة البصرة في العراق، حيث كانت تسكن العائلة بعد رحيلها من قرية العمران في الأحساء.

تخرج من كلية الفقه في مدينة النجف سنة ١٣٨٢هـ بدرجة البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتابع تحصيله العلمي ونال شهادة (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها من جامعة بغداد سنة ١٣٩١هـ، ثم درجة (الدكتوراه) من جامعة القاهرة سنة ١٣٩٦هـ. وبعد عودته إلى المملكة، عمل بجامعة الملك عبد العزيز بجدة محاضرًا. وقد أسس ورأس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة، ليبقى فيها إلى أن تقاعد مبكرًا عن العمل، ليتفرغ للكتابة والتأليف.

□ مؤلّفاته

كان الدكتور الفضلي ممن يتمحصون في اللغة ويخوضون في موضوعاتها النادرة وشواردها التي يتجنبها العلماء ويعزف عنها طالبوا العلم. ومع أن مكتباتنا الإسلامية والعربية مليئة بالكتب والرسائل والموسوعات الثقافية، فإن شيخنا الفاضل العلامة الدكتور عبد الهادي يعدّ في مقدمة المفكرين اللغويين الذين أثروا المكتبة الإسلامية والعربية بمؤلفاتهم العلمية الغزيرة والمنهجية في كثير من العلوم والمعارف الإسلامية والعربية.

فهو بحق عَلَم من أعلام العربية وفخر للنحاة السعوديين المعاصرين. وبوصف شامل: هو عالم ومفكر وأديب وشاعر وكاتب له قيمته العلمية ومكانته الأدبية العالمية، وقد بلغت مؤلفاته ستة وثمانين كتابًا ومخطوطة، نذكر أهمها:

مختصر النحو ومختصر الصرف

بذل الدكتور عبد الهادي الفضلي جهودًا ضخمة لإخراج هذين الكتابين اللذين يعدّان خلاصة قراءاته لكل كتب النحو والصرف القديمة والحديثة، وقد ضمنهما كل أبواب النحو والصرف المهمة بعد أن هذبها وأخرجها في ثوب عصري فريد يعجّ بالأمثلة العصرية ويمتلئ بالتطبيقات، ولا سيما الإعرابية منها التي يزخر بها كتابه

(مختصر النحو)، وهو أشهر الكتابين. ويضم ـ على الرغم من صغر حجمه ـ أهم أبواب النحو من (باب الكلمة) وانتهاء بالأساليب الإنشائية.

يعدّ هذا الكتاب ثروة لغوية، إذ ينبغي لكل مدرس للنحو أن يرجع إلى الكتب الأمهات ليعد دروس طلابه، وقد كفاه الدكتور الفضلي مؤونة، ذلك فهذا العالم قد رجع إلى ما يزيد على مئة وعشرين مصدرًا ومرجعًا في النحو، إلا أن يرجع إلى كتاب الفضلي في أي موضوع نحوي فسيجد فيه ضالته وكفايته.

وهذا الكتاب الصغير يضم بعض المسائل الخلافية المهمة بين (مدرسة البصرة) و(مدرسة الكوفة)، وقد ضمنه رأيه في كل مسألة على حده بين تفضيل لرأي مدرسة على رأي المدرسة الأخرى، وكان أميل إلى مدرسة البصرة في معظم تلك المسائل. والكتاب منذ طبعته الأولى عام ١٤٠٦هـ ما يزال مقررًا دراسيًّا على طلاّب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وقد اختارته جريدة الشرق الأوسط واحدًا من أوسع الكتب السعودية انتشارًا.

دراسات في الفعل

يتناول هذا الكتاب كل ما يخص (الفعل) العربي من موضوعات نحوية وصرفية، كتعريف الفعل ولادته واشتقاقه وتقسيمه وبنائه وإسناده إلى غير ذلك. وفي هذا الكتاب، رجع الدكتور الفضلي إلى حوالي ستين مرجعًا لإخراجه. ويجد فيه القارئ آراء خاصة في كثير من قضايا الفعل في العربية، كما يجد إيجازًا وافيًا لآراء أوردها النحويون في مسألة فعلية معنية، ولا يخلو الكتاب من تبويب مختصر لما طال تبويبه في كتب النحو، كمسألة اشتقاق الفعل مثلاً وهو كتاب لا يقل في أهميته عن كتب الفضلي الأخرى ولا غنى لكل مكتبة أدبية أو لغوية عنه.

تحقيق المخطوطات

للدكتور عبد الهادي الفضلي باع طويل في خدمة التراث الإسلامي والعربي، فهو ذو خبرة طويلة في تحقيق المخطوطات في قسم المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز، وهي مادة فريدة لا يتأتى تدريسها إلا لصاحب علم غزير وخبرة مديدة في هذا المجال.

ظهر للدكتور الفضلي كذلك مؤلف في علم المخطوطات ضمنه خبرته الطويلة، وهو بمثابة دليل متقن لكل من أراد أن يتمرس في هذا العلم. ولا يقتصر ذلك على

المعلومات النظرية فقط، بل ضمَّن المؤلف الكتابَ نماذج حية لبعض المخطوطات وتحقيقها مع شرح وافٍ لكل خطوة وبيان مفصل لما ينبغي عمله لإخراج أية مخطوطة من مخبئها وإصدارها عملاً مطبوعا تعمُّ به الفائدة ويرجع إليه القراء والمتخصصون.

والمؤلف التراثي والنحوي هذا هو من المؤلفات النادرة، جمع فيه الدكتور الفضلي بين خبرتين: خبرته في تحقيق المخطوطات، وخبرته في تدريس مادة تحقيق المخطوطات لطلاب الجامعة.

علم العروض نقد واقتراح

قدَّم الدكتور الفضلي في هذا الكتاب نقدًا للمنهج القديم الذي اتبعه الخليل على طريقته الرياضية التي اعتمدها في وضعه لكتابة (العين)، إذ أحصى عن طريق الاستنتاج العقلي كل التفعيلات التي يمكن أن يتألف منها بيت الشعر العربي، ثم صنفها إلى مجموعات سماها (الدوائر)، ثم فرزها بعد ذلك. وقد قسّم الأوزان إلى تفعيلة مهملة وأخرى مستعملة، وكذلك البحور إلى مهملة ومستعملة، ثم صنف البحور المستعملة حسب شواهدها من شعر العرب وفق منهج رياضي أيضًا يتبع وحدات منفردة وممتزجة وبسيطة ومركبة.

وقد قام منهج الفضلي الجديد على مجموعة من التغييرات في المنهج القديم، منها: إلغاء نظام الأسباب والأوتاد والفواصل، والاستعاضة عنه بنظام الحركة والسكون. كما ألغى مصطلحات صفات البحور ومصطلحات العلل والزحافات جميعها، والاستعاضة عنها بضبط التفاعيل بهيئتها التطبيقية، وألغى مبدأ التأصيل والتفريع في التفاعيل، واعتبار جميع التفعيلات في البيت أصولاً، وبعد ذلك قام بحصر مصطلحات الزحافات بالمتغيرات التطبيقية، والاحتفاظ لها بأسمائها، وهي: الإضمار والعضب والخبن والطي والكفّ.

□ عضو النوادي الأدبية

انتخب الدكتور الفضلي عضوًا في جمعية منتدى النشر، وجمعية الرابطة الأدبية في النجف والنادي وتحرير مجلة الأضواء التي تشرف عليها جماعة العلماء في النجف.

وقد ترجم له في معجم (رجال الفكر) لمؤلفه محمد هادي الأمين، و(معجم المؤلفين العراقيين) لمؤلفه كوركيس عواد، و(شعراء الرابطة الأدبية) لمؤلفه محمد الخليلي، و(شعر الحسين) للشيخ جعفر الهلالي، و(دليل الشخصيات السعودية).

☐ قالوا عنه:

عندما كان الشيخ الدكتور عبد الهادي في العشرين من عمره، قال عنه الشيخ المرحوم آغا بزرگ الطهراني صاحب (الذريعة)، وقد أجازه في الرواية عنه، فقال: «الشيخ الفاضل البارع الشاب المقبل الواصل في حداثة سنه إلى أعلى مراقي الكمال، البالغ من الفضائل مبالغ لا تُنال إلا بالكد من كبار الرجال، المدعوّ بالشيخ عبد الهادي بن الشيخ ميرزا محسن، وأجزته أن يروي عني جميع ما صحت لي روايته وساغت لي إجازته».

☐ مفخرة العلماء

وقال عنه الاستاذ محمد خضر عريف: «الدكتور عبد الهادي الفضلي، أحد المفكرين اللغويين البارزين في العالم العربي، وأحد النحويين السعوديين الذين خدموا لغة القرآن لمجمل علومها بإخلاصٍ وتفانٍ، فهو مرجع في كل علوم اللغة، لا يُسأل في مسألة لغوية إلا وأجاب ووفى.

ولا أذكر أن أية مسألة قد استعصت عليه، أو انه استغرق وقتًا ليتذكر ما ظهر من مؤلفات حول قضية لغوية ما، فقد كان دائمًا مستحضرًا لأهم المؤلفات قديمها وحديثها في مجال اللغة. وذلك يدل على إلمامه الكبير بكل ما يتصل بهذا العلم العظيم. ويبدو أن الدكتور ممن يصرون على الخوض في الموضوعات النادرة التي لا تطرق كثيرًا. إنه علم من أعلام العربية في بلادنا، ومفخرة من مفاخرها، وأمثاله من العلماء جديرون بأن يقدروا حقهم وفضلهم، وحقيقون بكل التكريم والعرفان».
وفي موسوعة (أعلام هجر) للأستاذ هاشم الشخص ما نصه: «الدكتور الفضلي علاّمة شهير، وكاتب معروف، وكان منذ صغر سنه موضع إعجاب الكثيرين؛ لقوة ذكائه ومثابرته في طلب العلم، وتفوقه الواضح على أقرانه. كتب عنه معجم رجال الفكر والأدب: (تابع البحث وأصبح من أحد المفكرين اللغويين البارزين)».

ختام القول

يشرف (الذاكرة الضوئية) أن تقدم شخص الدكتور عبد الهادي الفضلي، فهو مفخرة عربية سعودية، أبدعت في مجال العلم والأدب، وخدمة لغتنا على مدى عقود من السنين. هذا العالم الجليل الذي يبتعد عن الأضواء ويكره الضوضاء، كرّس حياته للعلم وخدمة العلماء، والأخذ بأيدي الطلاب ليتابعوا مسيرة الأجداد في إرساء قاعدة علمية وأدبية ترفع عليها أركان المجتمع الصالح الذي تفاخر الأمم الحية في بلوغه وإعلاء شأنه.

عظمة العالم ومقدار ما يقدمه لطالبي العلم لا تنحصر في مقدرته وكفاءته فحسب، بل فيما يترك من أثر يعم فيضه،و ينهل منه الآخرون. وهذا هو شأن الدكتور الفضلي، وشاهده في ذلك مؤلفاته وكتبه التي أصبحت زاد الطالب، ومعين أساتذة اللغة. ونحن إذ نكرم علماءنا وأدباءنا، فإننا في الواقع نكرّم العلم ذاته، فبه فقط تبني الأمم والشعوب حضاراتها وتعلي نهضتها.

لغـة السماء إذا الملائـك أنشـدت فالسـحر في ألفاظهـا مكنـون
وإذا تفـرد لفظهـا بقـلادة در الكـلام بلفظهـا مفتـون
ملـك البيـان بعلمـه لكأنـه علـم عـلى هـام النحـاة يكـون
مـن فضـله يهـدي ذخـائر علمـه فتـزول مـن متن العلـوم ظنـون

علم الدكتور الفضلي علم ينتفع به، فليجزه الله به خير الجزاء. ونسأله أن يفيض عليه بعمر مديد يمد به اللغة العربية وأدباءها بفيض علمه وغزير علومه، وإذا كان الدكتور الفضلي يكره الأضواء ويبتعد عنها، فكتبه ومؤلفاته مصابيح تشع بالأنوار وتضيء لنا فسحات الأمل من نور علمه وبهاء فكره. أمد الله في عمره. وكأنني بالأدباء والعلماء يجمعون على رفعة الدكتور الفضلي قائلين:

الفضـل فضـلك والنحـاة تكرمـوا فلأنـت فخرهـمـو وأنـت مقـدم
عقدوا بإسـمك في العلـوم لـواءهم فتشـرفوا فـي ظلـه وتكرمـوا

بعد كل هذا العطاء والتفاني، ألا يستحق هذا الرجل أن يكرم؟!

فتكريم العلماء تكريم لنا جميعًا، وفخر للوطن.

منهج التأليف الأصولي عند العلامة الفضلي[*]

■ الأستاذ علي المحمد علي[•] ■

بعد أن كتبت عن (منهج التأليف اللغوي عند الدكتور **عبد الهادي الفضلي**) كرسالة جامعية في قسم اللغة العربية، أحببت الكتابة عن المنهج الأصولي والفقهي عند أستاذنا **المحقق الشيخ الفضلي** ـ حفظه الله ـ.

ونظرًا لزحمة الأعمال وقلة الزاد، ارتأيت أن أكتب ما يخدم الفكر الإسلامي بعرض مختصر للمنهج الأصولي الذي طرحه أستاذنا **المحقق الفضلي** في ثلاث محاولات قيمة طبعت في فترات متباعدة نسبيًّا خصوصًا في محاولاته الأولى، أعني كتاب (**مبادئ أصول الفقه**) الذي ألفه عام ١٣٨٦هـ في النجف الأشرف بإشراف أستاذه المفكر الإسلامي **آية الله السيد محمد تقي الحكيم** ﵀ صاحب كتاب (**الأصول العامة للفقه المقارن**).

وقبل كتابة هذا المقال، كتبتُ دراسة قبل سنوات عن (التجديد في أصول الفقه الإمامي) وذكرت فيها ملامح التجديد عند **المحقق الفضلي** في المنهج الأصولي. وفي هذا المقال، أعود لأكتب مرة أخرى حتى نقدم **المحقق الفضلي** كأنموذج لتطور علم الأصول في المدرسة النجفية منذ أن كتب **الشيخ الأنصاري** ﵀ كتابه الأصولي (فرائد الأصول) المعروف بـ (**الرسائل**)، إلى نظريات لفقهاء كبار، أمثال: **الشيخ حبيب الرشتي والسيد ميرزا حسن الشيرازي والمحقق الآخوند الخراساني** صاحب (**الكفاية**)، وتلامذته الأعلام **النائيني والعراقي والأصفهاني** ثم جاء تلميذهم الفذّ **آية الله المحقق السيد الخوئي** وتلميذه العبقري **الشهيد السعيد آية الله السيد محمد باقر الصدر** ﵀.

(*) مجلة الكلمة، العدد الخاص بالعلامة الفضلي، العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.
(•) كاتب من الأحساء، من المهتمّين بتراث الشيخ الفضلي.

ويأتي في هذا السياق محاولة آية الله الشيخ محمد رضا المظفر بكتابه **(أصول الفقه)** وتلميذه المخلص ورفيق دربه المجدد الأصولي **السيد التقي الحكيم** بكتابه الرائد **(الأصول العامة للفقه المقارن)**.

لم يكن أستاذنا **المحقق الفضلي** بعيدًا عن هذه الأجواء العلمية، خصوصًا وأنه تتلمذ في (علم الأصول) على هؤلاء الأساطين، أمثال: أستاذه **السيد الخوئي** وشيخه **المظفر والتقي الحكيم** الذين لازمهم طالبًا مجدًّا في كلية الفقه، وأيضًا لازم المجدد **الشهيد الصدر**، وكان له بمثابة الموجه والمربي.

وفي هذه الأجواء العلمية (الأصولية)، تربى أستاذنا المحقق على هؤلاء الأعلا.، وكان أشدهم تأثيرًا ـ كما أعلم ـ أستاذه **السيد محمد تقي الحكيم** الذي أولاه عناية ورعاية خاصة، وأشرف على كتابه **(مبادئ أصول الفقه)**، كما هو مذكور في مقدمة الكتاب[1].

والشيخ **العلامة الفضلي** كان منذ بدايات حياته العملية يقرأ بجد واجتهاد الكتب الحديثة، ويحاول ـ بكل إتقان ـ المزاوجة والجمع بين الدراسة الحوزوية والأكاديمية، حتى استطاع في فترة قصيرة أن يحظى بفضيلة علمية راقية، كما تشهد له مؤلفاته في علوم اللغة والمنطق والأصول والفكر الإسلامي، وملازمته لجيل الرواد في النجف الأشرف في عصرها الذهبي.

ولعل هذا يرجع ـ فيما أقدر ـ إلى فكره الثاقب ونظرته التجديدية، من خلال معايشته للمناهج الحوزوية، ومعرفته بالنواقص الأسلوبية والمنهجية، خصوصًا وأنه متابع بشكل كبير للإصدارات الحديثة في كتب التربية ومناهج البحث العلمي وطرق التدريس، كما هو واضح في سيرته العلمية.

من هنا، بدأ **المحقق الفضلي** مشروعه الثقافي الرائد بتأليف أول محاولة ودراسة أصولية، وهو كتابه **(مبادئ أصول الفقه)**، وهي دراسة منهجية ومختصرة كتبها للمبتدئين، وقد اقتصر فيها على أهم المسائل الأصولية، عارضًا للتعاريف وشروحها ومكتفيًا بالإشارة إلى المسألة ودليلها. فبدأ بالمقدمة، ثم مصطلحات العلم، ثم عرض لموضوعات العلم وأبحاثه. وقد كتبه بأسلوب تربوي، ولغة سهلة يسيرة غير معقدة.

---

(١) انظر مبادئ أصول الفقه، ص ٤.

وقد أصبح هذا الكتاب الصغير من المقررات المعتمدة في كثير من الحوزات العلمية الإمامية.

ويعود هذا إلى المنهجية العلمية الواضحة وسهولة اللغة، حيث نرى اهتمام المحقق الفضلي في أغلب مؤلفاته باستخدام هذه الطريقة العلمية في تدوين العلوم والمعارف.

وبعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على إصدار هذا الكتيب، يعود أستاذنا المحقق ليكتب من جديد في علم الأصول كتابًا دراسيًّا وسيطًا بين الكتاب الأول (**مبادئ أصول الفقه**) وكتابه الأخير ـ كما سيأتي ـ (**دروس في فقه الإمامية**) كتابه الموسوم بـ: (**الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية**) المطبوع في (مؤسسة الانتشار العربي) عام ٢٠٠١م، وهي محاولة تجديدية في علم الأصول كتبها للمرحلة الثانية لطلاب العلوم الدينية، ولنا وقفة مع هذا الكتاب الرائد لنتعرف على المنهج الأصولي الذي طرحه **المحقق الفضلي** في مشروعه الثقافي الحوزوي، حيث استطاع أن يطور مادة العلم وييسرها لطلابه، ولأن علم الأصول هو رحى علم الفقه، والأداة لاستنباط الأحكام الشرعية فإن دخول النظريات الحديثة كنظرية (حساب الاحتمالات) التي طرحها الشهيد الصدر في كتابه الأصولي الرائد شجّع تلميذه المحقق الفضلي للدخول في هذا الميدان والكتابة بهذا المستوى، وعلى هذه الطريقة العلمية، حتى نجد أنه أبدع فيما قدم من نتاج ثرّ العطاء.

وفي كتابه (الوسيط)، قدم للكُتّاب بحثًا علميًّا عن (الاجتهاد)، طبع مستقلاً في كتاب (المنهاج) الصادر عن دار الغدير عام ١٤٢١هـ.

وكانت هذه المقدمة القيّمة بمثابة مدخل مهمّ في دراسات علم الأصول. وقد قسّم كتابه إلى أبواب وفصول، كتب في الفصل الأول عن (القاعدة الأصولية) تعريفها، ومصدرها، والغاية من دراستها. وهي ـ كما نرى ـ الطريقة العلمية لإثبات حجية القاعدة الأصولية التي يستخدمها (الفقيه) في طريق استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها المقررة. وقد أوضح **المحقق الفضلي** أن الطريق السليم لإثبات حجية هذه القواعد هو (تباني العقلاء) نتيجة الظواهر الاجتماعية العامة التي يتفق عليها جميع البشر والتي تتسم بـ (الشمولية، العقلانية، الإلزام)، وقد دلل على ذلك بالظواهر أمثال:

- الاعتماد على ظواهر الألفاظ في إفهام الآخرين[١].

إن هذه الظواهر لها سمات الشمولية والعقلانية والإلزام، ونتيجة ذلك تباني عليها العقلاء. ولكي يكون هذا التباني مشروعًا، لا بدَّ له من أمور لإثبات شرعيته، وهي:

- تصريح المشرع الإسلامي بذلك.
- عمله على وفقه.
- عدم منعه المسلمين من سلوكه.
- قيام قرائن حالية أو مقالية على إفادة ذلك[٢].

وحصول أحد هذه الأمور يفيدنا أن المشرع الإسلامي قد أمضى هذا السلوك المعين. وعرض في الفصل الثاني (النص الشرعي) متمثلاً في الكتاب والسنة، ثم درس في الفصل الثالث (حجية الظهور) التي تقع (كبرى) ـ كما يقول علماء الأصول ـ في عملية الاستنباط.

وفي الفصول اللاحقة عرض لمباحث أصولية مهمة، مثل: الأساليب الإنشائية، وتعيين مراد المشرع من النص. ويشمل (الحقيقة والمجاز)، ودرس النص الشرعي، المتمثل في توثيق النص كحجية خبر الثقة، ودلالة النص المتمثل بدراسة عناصر النص كالمشترك والمشتق. وفي الفصل الأخير تعرض لعلاقة النصوص، كظاهرة التخالف ومشكلة التعارض.

وبهذا يقدم المحقق الفضلي هذه الدراسة عارضًا للمنهج الأصولي أحدث النظريات والآراء الأصولية، مستفيدًا من الدراسات الحديثة وإبداعاته المتميزة، ومحاولة الريادة في عرض هذا المنهج المبسط للدارسين، وكخطوة أولية لدراسة علم الأصول بطريقة أكاديمية حديثة، تعتمد على:

١. العمق والشمولية.
٢. الدقة العلمية.
٣. سهولة التعبير ومتانة اللغة.
٤. الأسلوب التربوي المبسط.

(١) الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، ص١٠٧.
(٢) م. ن.

٥. إدخال الآراء والنظريات الحديثة في علم الأصول.

وفي عام ١٤٢٠هـ قدَّم **المحقق الفضلي** كتابه الأصولي الرائد **(دروس في أصول الفقه الإمامي)** كمحاولة جديدة تعرض (المنهج العلمي) بعيدًا عن التعقيدات الفلسفية التي رانت على كتب الأصول، وأصبحت دراسة الكتاب تحتاج إلى وقت طويل لفك لغته المطلسمة. وإن كانت هذه المؤلفات - بحق - من الكتب العميقة والدقيقة في هذا العلم الشريف، ولكن تحتاج إلى إعادة صياغة وتطوير في المنهج بالإضافة إلى دخول نظريات حديثة في علم الأصول، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا.

وقد لاحظ المحقق الفضلي على هذه الكتب عدم اهتمامها بالجانب التربوي، وعدم مسايرة هذه الكتب للمنهج العلمي الحديث، ومن قبله أشار إلى ذلك أستاذه **الشهيد الصدر** ﵀ في مقدمة (الحلقات)، من عدم مواكبة هذه الكتب لذهنية الطالب العلمية من التدرج في عرض الأفكار من البسيط إلى المعقد ومن الأسبق رتبة إلى المتأخر[1].

من هنا، انطلق **المحقق الفضلي** في عرض هذا المنهج الأصولي الجديد، خدمةً للدارسين لمرحلة ما قبل (الخارج)، حتى يواكب الطالب أحدث النظريات الأصولية التي ابتكرها أعلامنا الكرام نظرًا لمشروعية (الاجتهاد) عند الشيعة الإمامية.

والتجديد بطبيعته يحتاج إلى عقلية واعية، وذهن وقاد، وشجاعة أدبية لا تتوافر عادة إلا للعباقرة. وإن كانت هناك صيحات تنادي بعدم التجديد في الحوزات العلمية، وهذا بحث طويل ومتشعب لا مجال لذكره في هذا المقال المختصر.

نعود فنقول: إن المحقق الفذ **الشيخ الأستاذ الفضلي** طرح كتابه الأصولي في مجلدين من القطع الكبير، وقد طبع عن (مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر) عام ١٤٢٠هـ، وسوف نقوم بعرض شامل لهذا الكتاب وقراءة سريعة لأبحاثه ومنطلقاته، ومباني الأستاذ الفضلي الأصولية التي دوّنها في هذا الكتاب القيم.

وفي الجزء الأول كتب مقدمة كبيرة عن مواد البحث الأصولي، تعد من المصادر الأصولية المهمّة كمدخل إلى دراسة هذا العلم الشريف، متمثلة في:

١. مادة العلم.

٢. منهج البحث.

(١) انظر: (دروس في علم الأصول)، المقدمة، ص١٤.

٣. تاريخ العلم.
٤. التطور الفكري للعلم.
٥. مصطلحات العلم.
٦. أعلام العلم.
٧. الدراسات المقارنة.
٨. المدارس العلمية.
٩. فهرست النتاج العلمي.

وقد كتب فهرسة للكتب الأصولية المطبوعة من أول كتاب أصولي إمامي، وهو كتاب (أصول الفقه) للشيخ المفيد، إلى آخر الدراسات الأصولية الحديثة، وكقراءة سريعة لهذا الكتاب نقول: إن المحقق الفضلي رسم منهجه الأصولي وفق الطريقة العلمية في تدوين العلوم، ونجد ذلك في أغلب مؤلفاته الأخرى.

فكان منهجه على النحو التالي:

١. علم أصول الفقه: (تعريفه، موضوعه، فائدته، حكم تعلمه، علاقاته بالعلوم الأخرى).
٢. التمهيد، ويشمل: (مصدر علم أصول الفقه، وظيفته).
٣. تصنيف المباحث على أبواب:
- مباحث الدليل والحكم (القرآن والسنة والإجماع والعقل).
- تقسيمات أدلته وعرض لـ (القطع والظن وخبر الثقة).
- تعيين مراد المتكلم (لوازم الدليل الشرعي).
- ثم درس (قاعدة الظهور، قاعدة تعارض الخبرين، قاعدة الاستصحاب).
٤. الحكم الشرعي: (تعريفه، تقسيماته، مفردات الحكم التكليفي، مفردات الحكم الوضعي).
٥. مباحث الدلالة والألفاظ، ويشمل: (الدلالة، التباين، الترادف، الاشتراك، التضاد).

هذه هي أهم الموضوعات التي احتواها الجزء الأول من الكتاب، وقد احتوى الجزء الثاني على عرض (الحقيقة والمجاز) وعلامات الحقيقة والمجاز، المشتق في اللغة العربية وكيفية الاشتقاق، ثم تطرق (للجملة اللغوية) وعناصرها وأقسامها

ووظيفتها. وهذه الموضوعات تدخل في القسم الأول من المنهج القديم، وهو: (مباحث الألفاظ)، كما سارت عليه أغلب الكتب الأصولية.

وحاول **المحقق الفضلي** أن يعرض آراءه اللغوية، مثل: قضية (حقيقة الإعراب) و(وظيفة الإعراب) التي درسها في كتابه (دراسات في الإعراب). ودرس أيضًا (الأساليب الإنشائية) (الأوامر والنواهي)، ودرس (المفاهيم) كمفهوم الوصف ومفهوم الشرط ومفهوم الغاية. وبحث موضوع (العام والخاص)، وطرح آراء علماء اللغة، أمثال: **ابن فارس والسيوطي**.

وتعرض لمسألة (التخصيص) ومصادره (القرآن والسنة)، وعرض لموضوعات قيمة في هذا السياق.

ولم يخرج **المحقق الفضلي** كثيرًا عن المنهج الأصولي السائد ونظرياته في قضايا العام والخاص، حيث عرض للشبهة المفهومية والمصداقية والمخصص اللبي. وجاء بعرض للمطلق والمقيد باختصار يتناسب وحجم الدراسة.

وفي الباب الثالث تعرض لبحث (الملازمات العقلية)، وتطرق لأهم مباحثها الموجودة في كتب الأصول، كمقدمة الواجب، والنهي عن الضد واجتماع الأمر والنهي واقتضاء النهي الفساد. وحرر هذه المسائل مع عرض لبعض الأمثلة التطبيقية حتى تتكامل هذه الدراسة الرائدة.

وختم كتابه، كعادة السلف من قبله، بالتطرق إلى مباحث (الأصول العملية) أو (الأدلة الفقاهية)، كما يعبر بذلك علماء الأصول.

وبحث مسألة (الاستصحاب) بتعريفه وذكر عناصره وأطرافه وتقسيمه ومشروعيته وأدلته، ودمج بين مبحثي (البراءة والاحتياط). وذلك لاشتراك البراءة والاحتياط في موضوع واحد، وهو الشبهات الحكمية التحريمية، يجريان فيه ويطبقان عليه[1].

وعرض **المحقق الفضلي** لموضوع (التخيير)، الأصل الرابع في موضوع التعارض.

(١) انظر دروس في أصول الفقه الإمامي، ص٤٢١.

ومن خلال قراءتي لهذا الكتاب توصلت إلى نتائج، وتعرفت على منهجية الشيخ الفضلي الأصولية، واستخرجت بعض المباني الأصولية لدى سماحته من خلال قراءة كتبه والمناقشة الشفهية مع سماحته.

فمن هذه الآراء الأصولية:

١. الابتعاد عن المنهج الفلسفي كما أشار في مقدمة كتابه (دروس في أصول الفقه الإمامي)، ومحاولة الرجوع إلى الأساليب اللغوية الاجتماعية، يقتضينا تحليل النص تحليلاً لغويًا اجتماعيًا لا تحليلاً فلسفيًا عقلانيًا[١].

٢. الابتعاد عن المباحث التي ليست لها علاقة بعملية الاستنباط، مثل: مبحث (التجري) الذي يذكر في مبحث (القطع)؛ فقد ذكر لي شفهيًا أن هذا البحث ليست له مدخلية مباشرة في عملية الاستنباط[٢].

٣. الاعتماد على أوثق المصادر اللغوية، خصوصًا المعاجم الحديثة. وقد سمعت ذلك منه شفهيًا في سياق الحديث عن حجية قول اللغوي.

٤. الأخذ بنظرية أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وقد أشار إليها في بعض كتبه اللغوية.

٥. الدمج في الأصول العملية بين (البراءة والاحتياط).

٦. إن الفقيه الذوقي أقرب إلى فهم النصوص من الفقيه الصناعي، فالفقيه الأديب أدرى بشعاب مكة لأنه من أهلها[٣].

والخلاصة أن ما اعتمده أستاذنا المحقق العالم الشيخ الفضلي ـ حفظه الله ـ في كتاباته الأصولية هو تقديم (المنهج العلمي) البعيد عن غلواء المنهج الكلامي الذي طغى على الدراسات الأصولية، وتقديم المنهج الحديث الذي يعتمد على فهم النصوص الشرعية وفق القواعد العلمية والذوق العرفي الذي يعيشه الفقيه من خلال خلفياته الثقافية ودراساته لعلوم اللغة والأدب العربي.

(١) دروس في أصول الفقه الإمامي، ج ٢/ ص١٧٢.

(٢) لقاء شفهي عام ١٤٢٥هـ.

(٣) انظر: الشيخ محمد أمين زين الدين ودوره في أنهاء الحركة الأدبية، ص٤٩.

آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي الأب والأستاذ والعالم الرباني(*)

■ السيد الدكتور عادل الحسين ■

يجد المتتبع للمسيرة العلمية والثقافية في منطقة الخليج وعلى مدى الخمسين سنة الماضية قلّة العلماء المبدعين في تخصصهم والذين نهضوا بالأمة وألزموا أنفسهم بالقيام بهذه المهمة الصعبة حتى يبرئوا ذمتهم أمام الله ﷻ حين يسألهم عن علمهم فيم أبلوه، لما لنتاجهم العلمي والفكري الأثر الكبير في وعي المجتمع ورقي الأمة. حيث تقاس الأمة ورقيها بعلمائها وبنتاجهم العلمي والفكري في شتى الميادين.

لذا نجد أن المجتمع الذي يخلو من وجود العلماء يتفشى فيه الجهل والتخلف وبلادة التفكير، بينما ينعم المجتمع الذي يعيش العلماء في كنفه بالوعي والثقافة وحسن التدبير لأمورهم.

ومن العلماء القلة في منطقة الخليج هو العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي نذر نفسه لخدمة الدين ولخدمة الأمة من خلال علمه الغزير ومؤلفاته الكثيرة التي بلغ عددها ما يقارب السبعون كتابًا، منها الكتب الحوزوية والكتب الجامعية والكتب الثقافية وكتب تحقيق التراث.

عرفت العلامة الفضلي من خلال مؤلفاته وأعجبت به قبل أن أراه، وزاد إعجابي به عندما رأيته وجالسته في جدة، وجدته عالما ربانيًا، وأستاذًا فاضلاً، وأبًا رؤوفًا، وكاتبًا بارعًا.

(*) موقع جهينة الإخبارية بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠١٣م: https://www.juhaina.net.

☐ **الشيخ الفضلي العالم الرباني**

فهو عالم رباني، يمتاز بغزارة علمه وشموليته، واتساع دائرة معرفته، إذا ما سأله أحد عن مسألة فقهية، تراه لا يكتفي بإعطاء الحكم أو الفتوى فحسب، بل يحلل المسألة إلى عناصرها الأولية ويفصلها تفصيلاً دقيقًا ويبين المباني - أي النصوص والقواعد الفقهية - التي اعتمد عليها الفقيه في إصدار الفتوى؛ لأنه لا يعتبر السائل متلقيًا للفتوى، وإنما يعتبره متفقهًا يحتاج إلى معرفة الاستدلال الفقهي الذي تم على أساسه إصدار الفتوى، حتى يثقفه فقهيًا ويحببه بالفقه.

لم أرَه متفاخرًا بعلمه قط، بل كان على درجة كبيرة من التواضع، حتى مع أصغر الناس علمًا وفقهًا. وامتاز أيضًا بسعة صدره في تقبله للانتقاد، تراه مصغيًا جيدًا للطرف الآخر دون أي مقاطعة. يعطي المتكلم الوقت كله حتى ينتهي من حديثه.

ومن المواقف التي شهدتها في بيت العلامة الفضلي: أننا كنا مجموعة من الطلاب ندرس في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، اعتدنا أن نذهب إلى بيت الشيخ الفضلي كل عصر جمعة. وذات مرة وجدت عنده رجلين لم أرَهما من قبل، فعرفنا الشيخ ببعضنا، وعرفت أنهما من المنطقة الشرقية أتيا ليدرسا في الجامعة وفقًا لنظام الانتساب. يومها سألت الشيخ عن مسألة فقهية، فشرع في الإجابة، وفجأة ثار أحد الرجلين في وجه الشيخ، متهمًا إياه بالرجعية والتقوقع والتقاعس عن كثير من قضايا الأمة وتهميش تلك القضايا، كان يقول: «إلى متى سنظل نسأل مسائل فقهية عن الصلاة والصوم والحيض، متناسين القضايا المهمة في حياتنا، مثل قضية فلسطين وغيرها؟»، واستمر على هذا المنوال وقتًا طويلاً، وكنا مستغربين من الأسلوب الذي تكلم به الرجل، وكان بعض الطلاب يغلي من الداخل والبعض الآخر يحاول الردّ على الرجل وإسكاته لكن دون جدوى، وما أثار دهشتي بشكل كبير هو أن الشيخ الفضلي كان منصتًا لحديث الرجل دون أن يقاطعه، بل كان يهدئ من غضب الطلاب، إلى أن انتهى الرجل من هجومه وقد قال كل ما عنده من اتهامات لجناب الشيخ، وفي الوقت نفسه كان يذكر جماعته بالخير. عندها بدأ الشيخ الفضلي في مناقشته بهدوء وثقة متناهيين، والردّ على جميع إشكالاته، مع بيان أهمية الفقه لضمان صحة وسلامة تصرفات العباد اجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا، فالفقه هو صمام الأمان من الوقوع في الخطأ.

□ الشيخ الفضلي الأستاذ

كان الشيخ الفضلي أستاذًا محبوبًا من طلابه دون استثناء. ومن الشواهد على ذلك أنني كنت ذات مرة متوجهًا إلى مكتبه في كلية الآداب، وبينما أنا في طريقي إليه، سمعت طالبين أحدهما يسأل الآخر: «مع أي الأساتذة تنصحني أن أسجل مادة النحو العربي؟»، فرد عليه صاحبه: «أفضل أستاذ يدرس هذه المادة هو الدكتور عبد الهادي الفضلي»، وكان يثني كثيرًا على الشيخ الفضلي، ويتحدث عنه بإعجاب.

ومن أروع ما كتب عن الشيخ الفضلي بأقلام طلابه هو ما كتبه حسين بافقيه، أحد طلاب الشيخ الفضلي، حيث كتب في جريدة الرياض تحت عنوان: «أسماء عربية» كلامًا جميلاً يصف فيه أستاذه الدكتور عبد الهادي الفضلي، حيث قال: «عادة ما كنا نراه يذرع الحرم الجامعي بخطواته المتئدة، يتأبط حقيبته ميممًا وجهه شطر كلية الآداب، والصمت يغلف سمته بوقار العلماء، ولم أكن قد رأيته طيلة دراستي الجامعية يقود سيارة، إلا مرة أو مرتين، حتى إنني لا أحسبه الآن، وقد قطع تلك الأشواط الطويلة جيئة وذهابًا أحد الفلاسفة المشائين في الثقافة اليونانية القديمة، لم يكن ليختلط بأحد، بل كانت وجهته معروفة. فكأنه وضع بوصلة ثابتة تحدد اتجاهه، من بيته إلى المباني الدراسية، ومن ثم التوجه إلى مكتبه، في صورة مرسومة المعالم، وهو في كله يعيش عوالم من الصمت الرائع، ذلك الصمت الذي يتحول إلى حكمة، أو إلى عبادة».

ثم استرسل قلمه كاتبًا: «كان يدرس لنا المستويين النهائيين من النحو العربي، أي إنه يمثل بالنسبة لنا نهاية المطاف بالنسبة للدرس الجامعي. وهذا ما يجعل صورته مرتبطة في الأذهان بذلك العالم الفسيح الذي يفصل بيننا وبينه، كما تفصل تلك السنوات ما بين المستوى الأول من النحو والمستويين الأخيرين. إنه مرتبط بالتخرج، أي إن احتكاكنا به وتعرفنا إليه سوف يتأخر إلى تلك المرحلة، ولذا فإن معرفتنا بالقسم وبأساتذة القسم سوف تكون أكثر تبكيرًا وألفة من تعرفنا إلى ذلك الأستاذ الذي نراه أمام أعيننا ولكن لا نجسر على التقرب منه. إن ملامحه هادئة، وهو صامت أبدًا، ثم إنه فوق ذلك أستاذ للنحو، بكل ما يحمله مصطلح «نحو» من صرامة في ثقافتنا العربية التي ننتمي إليها، ولكن الزمان رغم ذلك ما لبث أن أخذ في القرب من عالمه. إننا غدونا حينها على بعد زماني يسمح لنا بأن نهيئ أنفسنا روحيًا ونفسيًا للدخول إلى عالم هذا الأستاذ. حينها لم نكن لنمنع أنفسنا عن أسئلة ساذجة،

أو قل طفولية، عن أسلوب هذا الأستاذ، كيف يقيم صلته بالطلاب، وأسئلة كثيرة .. وكان زملاؤنا ممن شرفوا بالدراسة على يديه قبلنا يتحدثون عن عالميته، عن خلقه الرفيع، عن هدوئه، وتعامله الأبوي مع الطلاب .. إلا أن ذلك لم يحل دون تلك المسافات من الجسور التي أقمناها بيننا وبينه، وكان القدر شاء أن نعيش تلك اللحظات من الأسئلة، كي نتعرف إلى عالمه معاينة، أن نعيش عالم ذلك الأستاذ بأنفسنا، أن نلمس ذلك الصمت ، وذلك الوقار، ولقد كان ذلك لنا، ولقد كانت تجربة من أمتع تجاربنا الدراسية».

ثم أردف قلم بافقيه كاتبًا: «أوشكت سنواتنا الجامعية على الانتهاء وقد شرفنا بالدراسة على يد أستاذنا العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي ، ذلك الأستاذ الذي كنا نرقب عن كثب مشيته، حركاته المتئدة، وقاره، هدوءه ، وقبل ذلك، تلك الهواجس التي كان سمته الرزين يوحي بها إلينا، ولكن تظل تلك التجربة، تلك المعاينة ملحمة من ملاحم الحب والتقدير والوفاء ما بين الطلاب وأستاذهم، ذلك الأستاذ الذي أحسبني غير مبالغ لو عددته أحد أكثر العارفين بالتراث والمتصلين به اتصالاً وثيقًا من المشتغلين به نحوًا وبلاغةً وأصول فقه ومنطقًا، كنت أجدني مشدودًا إلى محاضراته في النحو العربي، والتي استطاع من خلالها أن يقدم لنا ذلك العلم العتيد بطريقة عصرية، تجعله سائغًا مقبولاً بكل شواهده، وتفريعاته المعهودة، وهو يحمل في حقيبته ذلك الكتاب القديم الطبع، أوراقه متهالكة بحكم صروف الدهر، إلا أن قدمه سر خلوده، لا أدري ما عمر تلك الطبعة من شرح الألفية التي يستند إليها أستاذنا، ولكن الذي يمكن لي تخمينه أنها تمتد إلى عمر طباعي يضمن لها أن تكون ثروة ممتازة من كتاب تراثي بالغ القدم.

حين تبدأ المحاضرة، ينصرف كلية إلى السبورة بأكملها، وحتى ليظن الواحد منا أن الوقت سوف ينتهي وهو لم ينتهِ من كتابة الدرس، إلا أن ذلك الوهم سرعان ما يتبخر، إذ تعودنا ذلك الانضباط العجيب في حساب وقت الكتابة على السبورة، ومن ثم الانصراف إلينا وشرح الموضوع المدروس، وما ينبع من أسئلة ومناقشة تتعلق به أو بمسائل متفرقة في النحو العربي. ولم يكن أستاذنا الدكتور الفضلي نحويًا منصرفًا إلى النحو باعتباره إعرابًا أو تراكيب ليس لها صلة بالحياة ، بل إنني لمست من خلال محاضراته لنا بعض نظرات عميقة لصلة النحو العربي على مستوى البنى والتراكيب بالحياة العربية، والتركيبة الاجتماعية للإنسان العربي في الجاهلية وصدر

الإسلام، مما جعلني أعرف أن أستاذنا الفضلي أقرب ما يكون إلى فيلسوف يريد ربط الظواهر اللغوية بالمعطيات الحضارية والاجتماعية العربية، بحيث لا يكتفي من النحو بالجوانب التعليمية التي تعزله عن المجتمع والناس، والتي قد تحيل اللغة إلى عالم معزول عن حركة الواقع، وكأنها أحجية أنزلت عليهم من كوكب آخر غير كوكبهم، ومن عالم آخر غير عالمهم. ولكن تلك النظرات الرائعة من أستاذنا الفضلي المتعلقة بتفسير الظواهر النحوية من خلال ربطها بالظواهر الاجتماعية للعرب قديمًا كانت تأتي في معرض حديثه فيما يشبه الخواطر، أو لحظات التجلي؛ لأن المحاضرة محكومة، منهجًا، أن يكون النحو الذي ندرسه نحوًا علميًّا يفسر طرق الأداء النحوي، وهذا ما حرمنا من الاستزادة من تلك اللمحات التي أحسب أن لو أعطيت الوقت والدرس منهجًا خاصًّا بها لأمكن الخروج بالنحو العربي من عوالمه المدرسية التي نكبله بها».

بعد ذلك أخذ قلم بافقيه يسطر شيئًا من الإطراء والإعجاب بكتابات العلامة الفضلي: «حين دراستي الجامعية، كنت مغرمًا بقراءة مراجع متنوعة عن المواد التي أدرسها، قبل أن يحين موعدها. أذكر أنني قرأت درس العروض والقافية والقراءات القرآنية وتاريخ النحو - على سبيل المثال - مراجع عدة تهيئ لي معرفة تلك العلوم التي سوف أدرسها في وقتها. ولكم كانت كتابات الدكتور عبد الهادي الفضلي المختصرة والمفيدة في بابها خير عون لي في التعرف الأولي لتلك العلوم، فكانت كتبه المطبوعة والمعروفة والمتداولة بين طلاب المعرفة (تلخيص العروض، القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، دراسات في الإعراب، مراكز الدراسات النحوية، دراسات في الفعل) من المراجع المهمة التي رجعت إليها، حينها، وما زالت إلى يومي هذا، أرجع إليها من وقت إلى آخر. فهي تمتاز بكونها مادة مختصرة لتلك العلوم، والتي تدل من ناحية أخرى على ذلك الجهد وتلك القدرة على جعل تلك العلوم قريبة إلى طلاب العلم في الدراسات القرآنية والنحوية، وإن كنت أعتقد أن تلك المختصرات الممتازة، على الرغم من أهميتها ووجاهتها، قد حرمتنا من علم هذا الأستاذ القدير، فيما لو انصرف إلى التآليف الموسعة في مسائل بعينها في الثقافة العربية التراثية، وفي حقول مختلفة، وعلى رأسها الدراسات النحوية والقرآنية؛ لأن من يعرف الدكتور الفضلي، وخبر علمه ودرايته، لا بدَّ أن يسدي إليه ذلك العتاب اللطيف، ذلك العتاب المرتبط بأن الدراسات النحوية - على سبيل المثال - كان

يمكن لها أن تفيد الشيء الكثير، وخاصة في تلك المسائل التي يغلب عليها الطابع الإشكالي ذو الصلة الوثيقة بالخلاف النحوي بين المذاهب النحوية في تراثنا».

وفي نهاية المطاف ترى قلمه يثني كثيرًا على العلامة الفضلي: «وقد شرفنا بالدراسة على يد هذا الأستاذ القدير، وتعرفنا إليه من كثب، وعرفناه معرفة أبانت لنا عالميته وإنسانيته، في نموذج لعله يعيد إلى أذهاننا صورة أولئك العلماء العاملين، من الأساتذة الذين يرون دورهم الحقيقي بناء كيان علمي قوي بناء، هل انزاح من وهمنا حينها ذلك القمقم الذي نسجناه لأستاذنا الصامت أبدًا؟ نعم، كان أستاذًا عالمًا، كان أبًا لطلابه، أحبهم بصدق، فأخلصوا له الحب، وبقيت صورته في الأعماق راسخة، لا تلك الصورة التي خيلت إلينا وقتها أنه منفصل عن عالمنا. ولكنها الصورة التي لمسناها واقعًا جميلاً عشناه بكل مشاعرنا، صورة ذلك الأستاذ المتواضع، الممتلئ علمًا، المتجلي بأستاذيته، أقول هذا وقد طال بنا العهد منذ تخرجنا، ومنذ انقطعت أخباره عنا، حين أحيل على التقاعد، ولكنه الشوق لذلك الأستاذ العالم الإنسان، لذلك الرجل الذي أحببته عالمًا، وأحببته إنسانًا، وأحببته وقارًا يشع علينا».

أما بدوري، لم أتتلمذ على يدي الشيخ الفضلي، ولكني تعلمت الكثير منه، تعلمت منه حب القراءة. فقد عرفت الشيخ الفضلي شخصية فذة قلَّ نظيره في حبه واهتمامه بالقراءة، فتراه يقرأ للحوزويين والأكاديميين والمثقفين. فهو يبحث عن كلِّ جديد في الفقه والعقائد واللغة والأدب والسياسة والاجتماع. فقد خصّص لنفسه وقتًا بشكلٍ يومي ليخلو فيه مع الكتب والمجلات والصحف كي ينهل من معينها الصافي؛ لإيمانه أن القراءة تصنع الرجال وتبني الفكر وتهذب التفكير. فالقراءة فن قلَّ المبدعون فيه، وقد برع شيخنا الفاضل في هذا الفن، فسبر أغوار الكتب والمجلات والصحف، وعاش معها لينهل منها.

تعلمت منه أيضًا كيف أصل إلى الحل الأمثل إذا ما ألَمّت بي مشكلة ما، من خلال التسلسل المنطقي في التفكير المفضي إلى الاطمئنان بصحة الاختيار.

□ الشيخ الفضلي الأب

لقد عرفت الشيخ الفضلي أيضًا أبًا عظيمًا يغمر أبناءه بالحب والعطف والحنان. وترى ذلك جليًّا في معاملته لهم. كما أنه ترجم حبه وعطفه وحنانه لأبنائه في قصائده التي كتبها فيهم. وجدير بالذكر أن شهرته العلمية لم تشغله ولم تلهه عن تربية أبنائه

تربية صالحة. فقد امتاز أبناؤه بالأدب والحياء، وبخفة الظل وطيب المعشر. تجدهم دومًا يقابلوك بابتسامة وبشاشة، وكأنهم يفرغون عن أبيهم فيما اتصف به من أخلاق عالية.

وأبوته لم تقتصر فقط على أبنائه، بل امتدت لتشمل كثيرًا من أبناء أخوته وأبناء أخواته وأبناء عائلته الكريمة. ولا أبالغ لو قلت أن أبوته شملت أيضًا كثيرًا من أبناء المجتمع الذين جالسوه وعاشروه. وهذا ما لمسته شخصيًا عن قرب، فقد اعتدت أن أزور الشيخ الفضلي مرتين في الأسبوع عندما كنت في جدة، حيث أذهب مع زوجتي كل ليلة ثلاثاء تقريبًا، والزيارة الثانية مع طلاب الجامعة في كل عصر جمعة كما أسلفت سابقًا. و داومت على هذا فترة من الزمن ليست بالقليلة. وفجأة انقطعت عن زيارة الشيخ مدة أسبوعين وذلك لانشغالي بالنقل من الشقة التي أسكن فيها إلى شقة أخرى، فاستغرب الشيخ من غيابي المفاجئ. وتشوش كثيرًا من جراء هذا الغياب. وفي ذات ليلة قال لزوجته الفاضلة «أم عماد»: دعينا نذهب إلى «السيد عادل»، لنطمئن عليه وعلى عائلته، فجاء الشيخ مع «أم عماد» إلى شقتي فلم يجدوا أحدًا، عندها زاد قلق الشيخ كثيرًا، فلما عاد إلى البيت طلب من ابنه «معاد» أن يذهب إلى سكن طلاب الجامعة ليسأل عني عند الطلاب الذين أتردد عليهم كثيرًا، فأخبروه بأني بخير والحمد لله، وأعلموه بسبب تغيبي عن زيارة الشيخ، فلما علم الشيخ بذلك اطمأن، وقد عاتبني عتابًا خفيفًا، عتاب أب لابنه، وأذكر يومها أني فرحت فرحًا شديدًا لسؤال الشيخ عني واهتمامه بزيارتي إياه، وكان إعجابي به لا يوصف.

الشيخ الآصفي يؤرخ للعلاقة الحركية مع العلاّمة الفضلي

جمعتني بالعلاّمة الفضلي ساحات العمل والحركة والهموم المشتركة(*)

ونحن نحضر لهذا العدد الخاص بالعلاّمة الفضلي، لم يفتنا أن نطّلع على صورة سماحته من خلال شهادة أحد مجايليه الذين صحبوه في رحلة الدرس في النجف الأشرف، وكان من التوفيق أن حظينا بشهادة عن العلاّمة من قبل شخص قريب منه ومحبّب إلى نفسه توثقت علاقتهما حتى كان إذا حضر أحدهما ذكر الثاني ـ على حد قول سماحة الشيخ محسن الأراكي ـ، ذاك هو سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي.

وإذ نقدّم من خلال هذا الحوار شهادة عن الرجل، فإننا لم نحد عن الأسلوب الأمثل في تناول سيرة الشخصيات العلمية، والذي يتوسّل عادة بشهادات من الرفاق والمجايلين؛ لأن القيمة التاريخية لهكذا شهادات هي ما يحوّلها إلى وثيقة معتبرة يعتمدها المؤرّخ ويستفيد منها كتّاب سير الأعلام..

■ علمنا أن بينكم وبين الدكتور الشيخ الفضلي ـ حفظه الله ـ صداقة وعلاقة حميمة وقديمة، فهل يمكن أن تحدثونا عن بدايات هذه العلاقة وامتداداتها وذكرياتها؟

□ تعرفت إلى الأخ الحجّة العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ حفظه الله ـ في النجف الأشرف في أجواء مجلة الأضواء وكلية الفقه، والحركة الإسلامية. ثم توقفت العلاقة بيننا، وتعاونا، ومعنا الأخ العلاّمة السيد عدنان البكاء ـ حفظه الله ـ في إصدار وتحرير مجلة النجف فترة من الزمن، ويومئذٍ كانت الساحة الإسلامية في العراق تموج بالفتن، وكان من أبرز هذه الفتن التحدّي الصارخ للمدّ الأحمر الماركسي في العراق، وبسبب الفراغات الثقافية والسياسية والتنظيمية الكبيرة الواسعة في ساحتنا في العراق، تمكّن المدّ الأحمر الماركسي من التمدّد في أوساط

(*) حوار نشر بملحق جريدة المرفأ بمدينة قم المقدّسة الصادر بتاريخ ٢٠ محرّم ١٤٢٨هـ.

الشباب والعمّال والفلاّحين في العراق. وكان هذا التمدّد ـ بالإضافة إلى ما ارتكبه الحزب الشيوعي من حماقات وطيش في العراق ـ سببًا لأن تقوم المرجعية والحوزة العلمية وعلماء العراق وخطباء المنبر الحسيني والمثقفون الإسلاميون بإعادة النظر في مواطن الضعف في عملنا وساحتنا. وربّ ضارّة نافعة، فهبّت المرجعية والحوزة العلمية ومن يحمل معهم هموم العمل والساحة، لمواجهة هذه الحالة الجديدة، وملء الفراغات في العمل وفي الساحة، فكانت (جماعة العلماء)، وكانت (الحركة الإسلامية)، وكانت (مكتبات الإمام الحكيم) و(الأضواء) والإصدارات الإسلامية العديدة، واللقاءات والاحتفالات الحاشدة بالجماهير .. إلى أمور كثيرة مباركة حصلت في هذه الفترة لست بصدد ذكرها وشرحها. وكان لها امتدادات مباركة في كثير من أقاليم العالم الإسلامي، مثل: إيران ولبنان والكويت والبحرين والمنطقة الشرقية في الجزيرة العربية، ثم في المهاجر الغربية في أمريكا وأوروبا وأستراليا.

التقيت بالشيخ عبد الهادي الفضلي في هذه الأجواء الحافلة بالعمل والحركة والنشاط والكتابة والخطابة والتدريس والتأليف .. وكان الشيخ يومئذٍ من شباب الحوزة الفضلاء، الذين آتاهم الله موهبة البيان، والكتابة، والتفكير، والتخطيط، والمعرفة، والوعي. ولا أزال أذكر يوم صدر أول تأليف له تحت عنوان: (مشكلة الفقر)، وكان هذا النوع من الكتابة والتأليف يومئذٍ يمثّل استجابة لحاجة ملحّة في الساحة الملتهية بالأفكار الماركسية الداعية إلى علاج مشكلة الفقر في بلادنا على النهج الماركسي، فقد طرح الشيخ في مثل هذا الجوّ المشكلة وعلاجها على المنهج الإسلامي. وأذكر أننا كنّا إذ ذاك عند الشهيد الصدر ﷺ في داره في محلّة العمارة، وكانت قريبة من دار الشيخ الفضلي، فهنّأه بالكتاب، وبارك له جهده، وكان الشهيد الصدر معجبًا به.

وكنّا نتحرّك في محافظات العراق في البصرة، والناصرية، والحلّة، وبغداد وغيرها من المحافظات للمشاركة في الاحتفالات التي كانت من الوسائل القليلة الممكنة يومئذٍ للقاء بالجمهور، وكانت مباركة ونافعة وتحظى باستجابة وتفاعل كبيرين، وبخاصّة من الشباب الذين كانوا يجدون فيها وعيًا ومعرفة وثقافة وآفاقًا جديدة من الفكر الإسلامي لم يعهدوها من قبل.. في هذه الأجواء كان الشيخ الفضلي من أبرز المتحدّثين والمشاركين في الاحتفالات، يحظى بمحبّة الشباب الذين كانوا يعجبون به وبأسلوبه، وهكذا كانت صداقتي مع الشيخ الفضلي.. جمعتنا ساحات العمل والحركة والهموم المشتركة، والحمد لله.

ولا أنسى هنا أن أذكر والده العلاّمة الحجة الورع التقي الشيخ ميرزا محسن الفضلي ﷺ، فقد التقيته مرّات كثيرة في داره في البصرة وفي الكويت، كان عبدًا من عباد الله الصالحين، آتاه الله علمًا وخُلقًا عاليًا، واهتمامًا بالساحة والعمل، على شيخوخته وكبر سنّه، آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. وكان مجلسه لا يخلو عن موعظة أو ذكر لله أو علم، يسعى لئلاّ يمضي الوقت من غير فائدة، فيثير مسألة في الفقه أو الأصول، أو الأدب ليشغل بها المجلس، وكان محضره عامرًا دائمًا بالمواعظ والذكر والعلم، رحمة الله عليه، هو عبد من عباد الله الصالحين الذين رزقني الله لقاءهم في أيام عمري.

■ على الصعيد الفكري والعلمي.. كتب العلاّمة الفضلي عددًا كبيرًا من المؤلّفات التي أغنت المكتبة الإسلامية والتراث اللغوي والأدبي، كيف تقيّمون كتابات سماحته؟

□ يمتاز الشيخ الفضلي ـ حفظه الله ـ بالمنهجية العلمية في تأليفه، وهي كثيرة، وفي أبواب مختلفة من العلوم التي يتعاطاها طلاّب الحوزات العلمية من (المنطق) و(الأصول) و(الكلام)، وفي كل هذه العلوم كتب الشيخ الفضلي. وكتابه في (المنطق) من الكتب التي يتداولها طلاّب الحوزة العلمية بالدراسة، وكتاب ـ على اختصاره ـ جيّد وقيّم. وفي كل كتبه يتميّز الشيخ الفضلي بالمنهجية، والسداد، والاستقامة العلمية، والدقّة، وجودة البيان، والوضوح.

■ هل من مجال لم يكتب سماحة الشيخ وتودّون لو يكتب فيه؟

□ أتمنى لو يكتب لنا الشيخ عن ذكرياته وعن المرحلة التي عاشها، فهي غنية بكثير من التجارب في حقل العمل الإسلامي والدعوة إلى الله، وتطويرهما وتجديدهما، وتطوير الحوزة العلمية، وقد عاشها الشيخ الفضلي جميعًا، وعاصرها، وتفاعل معها، والشيخ ـ حفظه الله ـ يتمتّع بذاكرة جيّدة، تعينه على استحضار هذه الفترة المباركة من تاريخنا المعاصر وساحات العمل، والحركة الإسلامية، والحوزة العلمية، وأرجو أن يكون ذلك نافعًا لشباب هذا الجيل.

■ إذا تجاوزنا الساحة وهمومها والعلوم وحقولها وأبوابها، ما

هي السمات الشخصية البارزة في الدكتور الشيخ الفضلي ـ حفظه الله ـ كما عرفتموه؟

دين، وأدب، وأخلاق عالية، وخفّة روح، وسداد، واستقامة.

لقد عاش خمسين سنة، نصف قرن تقريبًا ـ أطال الله عمره ـ في وسط الساحة دارسًا، مدرّسًا، عالمًا، كاتبًا، متكلّمًا، متصديًا، في الحوزة العلمية، وفي أجواء الحركة الإسلامية، وفي الأجواء الجامعية، وفي بلاد الله العريضة، وفي مواقع المسؤولية المختلفة. وأخيرًا، في وطنه وبين أهله وإخوانه ومحبّيه. ولم يعرف له أحد خلال هذه الفترة كلمة أو موقفًا، يشذّ فيه عن الخطّ السليم الذي يجري عليه فقهاء مدرسة أهل البيت ﷺ وعلماؤهم. وهذا السداد والاستقامة من أعظم مواهب الله تعالى، يؤتيه الله المتقين من عباده.. الشيخ الفضلي من أولئك الذين رزقهم الله موهبة السداد والاستقامة، في ظروف تكثر فيها الفتن والمزالق، أعاذنا الله منها.

كما عرفت الشيخ في شبابه بأنه خفيف الروح، حسن المعشر، غير متكلّف في معيشته وعلاقاته. فلما التقيته في كهولته وشيخوخته، وجدته على ما أعهده فيه أيام شبابه، خفيف الروح حسن المعاشرة، طيب اللقاء، غير متكلّف في حياته وفي وسط علاقاته الاجتماعية.

■ هل من كلمة أخيرة؟

أرجو أن يجد شباب أهل العلم في الشيخ الفضلي ـ حفظه الله ـ نموذجًا وقدوة في العلم، والعمل، والحركة، والتصدّي ومعاشرة الناس، وتحسس آلامهم، وخدمتهم، وتثقيفهم.

حفظ الله تعالى لنا أبا عماد، وأبقاه الله، وأدام عطاءه لساحتنا وأمتنا.

المتلقي والعلامة الفضلي بين صدمة الكتابة وذهول المجالسة(*)

■ السيد حسين كاظم الخليفة(•) ■

دفعني حبي للشعر- وقد كنتُ طالبًا في المرحلة المتوسطة - أن أخوض عباب البحر وأسبر أغوار علم العروض، لأنجح في كتابة أبيات موزونة سليمة من الكسر ومن الخلط بين البحور. عندها عزمت على ارتياد المكتبات للبحث عن ضالتي ولتحقيق الغرض المذكور، وقع نظري على كتابين تراثيين، الأول يحمل عنوان: (مفتاح العلوم) للسكاكي، والثاني يحمل عنوان: (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.. المؤلفان جعلا للعروض نصيبًا من كتابيهما، ولكنني بعد تجوال متكرر في سفريهما رأيتني أرجع بخفي حنين، فلم أحصل على بعض نصيب من نصيبيهما.

ثم وقع نظري على كتابين خاصين خالصين في تقديم علم العروض وهما لمؤلفين معاصرين، اسم الكتاب الأول: (ميزان الذهب)، واسم الكتاب الثاني: (أهدى سبيل إلى علمي الخليل).. الكتابان المعاصران نهجا نهج أخويهما التراثيين؛ فقد أربكتني المصطلحات الكثيرة للزحافات والعلل ، والتفعيلات المبنية على دوائر الخليل في توزيع وتعيين الأسباب والأوتاد والفواصل. لقد أذهلني رسم دوائر الخليل ، فتصورت أنني أقرأ في كتب السحر والطلاسم!

لكن كتاب (في علم العروض نقد واقتراح) للعلامة الأستاذ الفضلي، بمجرد أن وقع نظري على قسم النقد فيه الذي وجهه إلى نقد المنهج القديم وخلَّص العلم من فرضيات الدوائر ومن كثير من المصطلحات المبنية على أساس منها، ارتحت كثيرًا، لأن الكتاب قد نقد جانبًا شكل عقبة لي حالت بيني وبين تعلم بحور الشعر وأوزانه.

(*) صحيفة الشرق السعودية، العدد ٥٠٣، بتاريخ: ٢٠/ ٤/ ٢٠١٣م.

(•) كاتب وأديب من العراق، ممّن تلمذوا على الشيخ الفضلي.

ثم كان كتاب العلامة الفضلي الثاني (تلخيص العروض) خالصًا لتقديم العلم وفق منهجه الجديد، وكان أوسع من سابقه في التطبيقات.

إن لغة العلامة الفضلي تتمتع بسحر الجاذبية، فتغري القارئ العادي وتدفعه إلى أن يكون جريئًا يقتحم دهاليز العلوم التخصصية، فإن حالفه الحظّ ظفر، وإن لم يحالفه الحظ، فإنه لن يرجع بخفي حنين.. إن استعجالي وولهي بالشعر جعلني أقرأ البحور كلها وأعيد قراءتها عدة مرات، مما سبب لي بعض التشويش من الناحية التطبيقية.. وبمقدار رشفات من (استكانة) شاي، وبمدة زمنية لا تتجاوز نصف دقيقة، قال لي صاحب المنهج الجديد في علم العروض: عليك أن تركز على بحر واحد فتتقنه من خلال التطبيقات، ثم تنتقل إلى البحر الآخر، وهكذا دواليك حتى تتقن البحور كلها؛ ذلك لأن التركيز على بحر سيبعدك عن الارتباك، وبفهمه ستتضح لك الطريقة وتكون بقية البحور بمثابة أمثلة أخرى على كيفية الميزان الشعري.. طبقتُ ما قاله لي المؤلف الأستاذ، فوجدتني أنطلق بسرعة الصاروخ في فهم العلم والوقوف على تفاصيله كلها.

عبقرية العلامة الفضلي في كتاباته تصدم وتذهل، ولكنك لو سنحت لك الفرصة وجالسته، فإن ذهولك سيتعاظم حين تكتشف أن لجج بحر كتاباته التي أذهلتك ما هي إلا قطرات من بحر علمه العجيب.. ستكتشف أنه يقدم العلم في كتاباته وفق خطة تربوية محسوبة تهدف إلى الأخذ بيد المتعلم شيئًا فشيئًا حتى يصلب عوده ويقف على حقائق العلوم.

وعلى طريقة الشيء بالشيء يُذكر، سيكون مثالي الآخر على مستويات علمية الفضلي التي تفوق بكثير مستويات علمية كتاباته من خلال استفساري منه حول علم المنطق.. سألتُ العلامة الفضلي، وهو صاحب كتابين شهيرين في علم المنطق (خلاصة المنطق) و (مذكرة المنطق)، وكان سؤالي حول النقطة التالية: كيف لنا أن نوفق بين ادعاء المنطق بأنه يُعلِّم التفكير الصحيح وأن العلوم كلها تحتاج إليه، بحيث عبر عنه بأنه خادم العلوم وسيدها، وبين طريقة الدراسة الجامعية للعلوم الطبيعية والإنسانية في الدراسات المعاصرة؛ فإن مبدعي التقنيات الحديثة والمنظرين والباحثين لم يدرسوا المنطق، ومع ذلك فإنهم فكروا وكان تفكيرهم صحيحًا أنتج لنا كل التطور التقني الذي نتمتع اليوم بمنتوجاته؟!

تبسم العلامة الفضلي قليلاً، ثم فاجأني بقوله: إن علم المنطق يعتبر من مناهج البحث القديمة التي تعود إلى أيام أرسطو، أما الآن فقد تطورت مناهج البحث، وتفكير الباحثين كانت نتائجه علمية سليمة تبعًا لمناهج البحث الحديثة، وبهذا اللحاظ لم تعد الحاجة إلى منهج بحث عمره بعمر أرسطو..! فما الحاجة - والحال هذه - إلى تسليط الأضواء على منهج بحث بعمر أرسطو؟!

المنحى التربوي لدى العلامة الفضلي سيقول لنا: إن الحاجة تربوية تهدف إلى عرض المنطق القديم بأسلوب واضح ليتسنى للدارس هضم مطالبه بيسر، فلا يقع فريسة التعقيد اللفظي والعبارات المغلقة كما هي حال المصنفات السابقة الكثيرة. وبدراسته يستطيع الباحث أن يفهم العبارات التي حُشيت بمصطلحات منطقية.. ففي علم النحو يأتي ابن صاحب ألفية ابن مالك المعروف بـ (ابن الناظم) حين يشرح قول أبيه:

«كلامنا لفظ مفيد كاستقم   واسم وفعل ثم حرف الكلم»

يبدأ ببيان الفرق بين (الكلام والكلم) فيحشر المصطلحات المنطقية في شرحه ليخبرنا بوجود «خصوص وعموم من وجه بين الكلام والكلم»، ولا يعرف طالب النحو معنى: «الخصوص والعموم من وجه» حتى يدرس (النسب الأربعة) في (علم المنطق). وبإقحام المصطلحات المنطقية في علوم العربية والعلوم الشرعية، ستكون الحاجة إلى دراسة المنطق الأرسطي مطلوبة لغرض فك العبارات الملغزة بالمصطلح المنطقي.

بينما نجد أن ابن عقيل لم يحشر المطالب المنطقية في شرحه للبيت نفسه.. فدارس ابن عقيل لا يحتاج إلى منطق أرسطو ليفهم النحو، مثلما يحتاج إليه دارس ابن الناظم.

وكما وقع كثير من كتّاب اليوم في دائرة الانبهار بالمصطلحات الأجنبية، حتى أنك قد تصادف مقالاً بحجم صفحة واحدة أو صفحتين يحشر فيه كاتبه كلمات من قبيل (آيديولوجيا، ميثولوجيا، سوسيولوجيا، وكل عائلة لوجيا...)، وقع أيضًا الكتّاب القدماء في دائرة الانبهار بالفكر اليوناني إبان حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي.

وقد يحتاج الدارس الحديث إلى الاطلاع على المنطق الأرسطي للاستضاءة والتعرف إلى تاريخ مناهج البحث.

ولهذا وذاك كانت خلاصة الفضلي ومذكرته في علم المنطق، ولتأكيده على أهمية مناهج البحث الحديثة التي تنبع حاجتها من موضوعيتها الذاتية في توجيه البحث العلمي الوجهة الصحيحة، كان كتابه الموسوم بـ (أصول البحث) ملبيًا الحاجة المذكورة، بخلاف المنطق القديم المقتصرة حاجته على فك عبارات المصنفات المغلقة بمصطلحاته، أو المساهمة في إضاءة تاريخ منهجية البحث كما تقدم.

رحم الله العلامة الفضلي، فقد كان متفانيًا في تواضعه، مخلصًا في عطائه، يجبر من يجالسه أيًا كان على تبجيله والإعجاب به إلى درجة الذهول، وكانت ولا تزال آثاره العلمية تشكل بوابة يطل من خلالها القارئ على شخصية علمية فذة سيبقى يراعها معينًا للواردين وكنزًا معرفيًا عظيمًا تُشدُّ إليه رحال القاصدين.



إن كل ما تبذله الحضارة الغربية اليوم من أجل حرف المسلمين عن دينهم ومعتقداتهم بأساليب ملتوية إنما يدل على إفلاس من قبل تلكم الحضارة، ويدل - من جانب آخر - على انتصار من قبل الحضارة الإسلامية. ففي الوقت الذي تُبذل فيه الجهود من أجل تشويه صورة الإسلام والمسلمين على المستوى العالمي، ها هو الإسلام يتقدّم ويغزو الحضارة الغربية، فيما تحافظ البلدان الإسلامية على هويتها الثقافية.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

الشيخ الفضلي سيرة نماذج ومناهج

■ الشيخ عبد الجليل البن سعد(•) ■

العلامة الفضلي كان عالمًا جهبذًا، مواليًا صادقًا، وجهًا من وجوه الأمة الإسلامية، عينًا من عيون الطائفة الإمامية، زينًا للحوزة وأهلها، نورًا للجامعة وفخرها، مربيًا للطليعة، رمزًا للتفاني والإخلاص، وإنَّ فقْده خسارة كبيرة لا يستشعرها إلا من عاشه زميلاً أو تلميذًا أو مستفيدًا من رحيق عطائه.

□ مشروع الحياة

قلّ ما تجد عالمًا يعيش هَمّ مشروع إصلاحي ينذر له نفسه وما حوت يمينه لنصف قرن أو ما يزيد .. وأيُ مشروع؟

إنه أكْدَمَةُ الحوزة من غير انبهار ولا طرب بالأكاديمية، على نقيض من البعض الذين أوغلوا في متاهات الإفراط أو التفريط في هذا الجانب.

هذا هو العلامة اللوذعي الشيخ عبد الهادي نجل الميرزا محسن الفضلي (الراضي المرضي) الذي قد أخضع الحوزة في مرحلتيها: المبادئ والسطوح للتجربة الأكاديمية متأثرًا ببعض أساتذته الذين كان لهم سبق الريادة في بذر هذا المشروع وتركوا له رعايته وسقيه.

وقد شحذ طاقاته لتحويل النص الموروث الفقهي الإمامي وأصوله وفق برامج وأدبيات العرض الحديثة، فأبى عشقه وأَنَفَةُ الولاء لديه أن يبقى فقهنا في مؤخرة القاطرات السائرة على طريق الفقاهة الإسلامية، فمد المكتبات العربية والإسلامية بنفائس مصوغاته كـ (مبادئ علم الفقه) و(دروس في فقه الإمامية)، و(دروس في أصول فقه الإمامية) التي جاءت تمثل فقه العترة الشريفة إلى جنب مشروع الشيخ مصطفى الزرقا في (موسوعة الفقه الكويتية)، والمشاريع التي من بعده كعمل

(•) كاتب، وأستاذ بالحوزة العلمية في الأحساء.

الدكتور المعاصر الشيخ وهبة الزحيلي في موسوعتيه (الفقه الإسلامي المعاصر) و(أصول الفقه الإسلامي).

□ نفَسُ الكاتب وليس كاتب النفَس

ليس مقياس الدقة العلمية ولا علامتها أن يبدي الباحث النهم رأيه أو أن يَدُسَّ اعتراضه بين النظرية والأخرى فحسب، فقد تلوح الدقة والنضج الفكري عندما يكتب العَيْلَم في شتى فنون المعقول والمنقول والدال منها - علوم الآلة - والمدلول، كالمنطق، والعقيدة، والأصول، والفقه، والدراية والرجال... وعندما يجدد المحاولة مع كل علم في شكل مراحل متتالية دون أن يؤخذ عليه خطأ أو اختلاط أو عيب كما برز في كتابة البعض من عدم لـمّ شتات العلم الذي انصبت عليه جهودهم أو عدم المنع لشتات غيره من المعلوم والمهارات الفكرية البشرية والشرعية.

ولكن كان الشيخ الراحل إذا أمسك بريشة حقل من الحقول التي تعزى إلى الدراسة الإسلامية، أوالإنسانية، أو الألسنية لا يغمسها إلاّ في محبرة ذلك القبيل من العلم. فقد نسج لكل بغاة العلم وطلابه بساطًا من ريح يحملهم فوق المصطلحات والطلسمات والتعقيدات، فكان هذا نفس كاتبنا الجليل، ولم يكن ينثر على طريقة البعض ممن يكتب لنَفَس الاجتهاد الذي يسد به ثغرة تكوينه الذاتي أكثر مما يسد به ثغرة العاجز ممن يمشي معه ذات الطريق، فلئن كان كلاهما من شرائف الأنفاس ولطيفها المأجور عليها عند الله سبحانه، فلا مرية في أن النفس الذي تصعد من صدر كاتبنا العظيم أشرف وأحوج لطالب العلم في هذا الزمان.

□ السليقة السليمة

إن حسن السليقة واستقامتها وسداد الطريقة واستيعابها وهدوء التفكير هي ملامح شيخنا المفضال بالمقارنة مع البعض ممن انفتحوا على التيارات الثقافكرية الوافدة:

والضد يكشف زيفه الضد .. وبضدها تتميز الأشياء

فإن البعض - وللأسف الخارق للقلوب - هتك الحجاب بينه وبين هذه التيارات، فاندلعت عليه أشباح يأجوج ومأجوج الملبسين وعفاريت الثقافة المضادة، فطبخوا عقله وتفننوا في طبخه فصار، جاهزًا سائغًا في سرعة لا تجارى إذ تحولوا إلى

معارضة تجيد النقد التصيُّدي والاستفزازي لا النقد الطامح مع الحوزة معلنين مصارحين بالاستقالة منها روحًا، لكن لا يزالون متلبسين بها زيًّا وثوبًا!

ولكن هذا الفارس المغوار وبالرغم من توغله في معسكرات الثقافات البديلة واقتحام أطنابها، لم يُعرف عنه ما يخل بقداسة الكيان العلمي، وبقي محاميًا ذائدًا عن الأصالة، لم يتورّط في شبهة أبدًا رغم تواصله المبكر مع الوجه الثقافي الآخر بكل السبل، حتى ما كان منها موضع ريبة في بيئته التي كانت تتخوف (محقة) من الجديد القادم، وشرع أبوابه أمام الجميع كبيئة النجف آنذاك. ولا يفوتني فيما فات حديث الشيخ مهدي الآصفي ـ بارك الله عطاءه ـ يقول: «كنت والشيخ عبد الهادي الفضلي نستقل بغرفة في النجف الأشرف، وكان لدينا مذياع نخفيه خلف رفوف الكتب لئلا يطلع عليه أحد، وإذا ما أردنا الاستماع إلى النشرات الخبرية أو البرامج الثقافية أغلقنا الباب وأحكمنا إغلاقه»!

ولكنه جاهد في سبيل الأصالة مضمونًا، وتجاوز ما رسمه السابقون عليه ديكورًا، وبهذا الوعي اختار الشيخ العزيز أن يتجاوز مَا رسمه السابقون لكن في حركة نقد ميداني، وذلك بخلق النماذج وابتكار المناهج في عملية أشبه بالزحف إلى أن تتم سيطرة الجديد على القديم.

ومن يوسع النظر ويستقرئ في الجيل الحوزي الذي تخرج على يد الشيخ الفضلي أو جايله، يرى تصدي العديد منهم للتجديد وتنافسهم في إلقاء المحاولات كل وتجربته، ومن أعلاهم صيتًا الشيخ باقر الأيرواني ـ حرسه الله عن الأسواء والضراء، بما قدم من طرح ورسم لمصعد السطح الخاص بحركة الاجتهاد الفقهي، خلا عن اللجان العلمية التي تشكلت في قم، وهي مستمرة في مطالعة السوق بالبديل، فقد كان توجه الكثير منهم مستمدًّا ومستلهمًا من سلفهم الشيخ الفضلي الذي له سبق الفروسية في هذا المعترك وشرف البدء في الانطلاقة الشاملة دعك عما كان لبعض أساتذته من انطلاقة جزئية لم ترمي في مسيرتها إلى نقطة أقصى من الأصول أو المنطق.

☐ التلميذ الماثل والتلميذ الممثل

إن التلميذ متى ما يحرز الاستفادة من صانعه ومربيه فهو تلميذ ماثل مثل نفسه، ولا يكون ممثلاً لأستاذه مخلدًا له إلا بالقدرة على الإفادة بعد الاستفادة وحمل خصائص الأستاذ، وهذا هو النابغة الهجري وهذه هي مثابته ونسبته إلى أساتذته

الذين ومن حسن طالعه أن ألقى به القدر في أحضانهم وهم المميزون في النجف الأشرف فبرمجوا له حياته العلمية وخطوا له دروب المستقبل.

نعود لنروي ثم نحكم فنقول:

لقد مَثُلَ الكثير بين أيدي هؤلاء العمالقة ورأوهم كما رآهم، فالكثير حظوا بدرس السيد الشهيد الخالد محمد باقر الصدر - رفع الله ذكره، والتصق العديد أيضًا بالشيخ المظفر - أجزل الله أجره، وأما من عايش السيد تقي الحكيم - نور الله برهانه - فليس بالقليل، ثم غير هذا السيد وذاك الشيخ الكثير من أعلام الفكر والاجتهاد ومراكز الدفع والطاقة في النجف الأشرف إلا أن الكثير من طلابهم عاد تلميذًا كابن غلبت عليه صفات الأم (الحوزة) ولم يَرِثْ من خلال الأب والأستاذ الذي انقطع شبيهه وعز نظيره إلا الذكريات. ولكن يبقى هذا العلَم السامق واحدًا من الباقيات الصالحات الذي لم ينقطع معه عمل سلفه وآبائه الروحيين، ومهندسي فكره البارعين من المشايخ والسادة المذكورين. فكان التلميذ لأساتذته الذي يخجل سائر التلاميذ؛ إذ ورث الأم والأب معًا.

□ من الحوزة .. إلى الحوزة

إن الانتساب إلى الحوزة المباركة بين العقدين والثلاثة ثم الاندغام في الجامعة والانخراط في سلك الأكاديمية، ثم استئناف الاتصال بالحوزة والتفرغ للحبيب القديم، وهو الورشة الفكرية ومشروع الكتابة الذي يغطي حاجات الدين والجيل الصاعد من طلابه، لم تكن نزوة مثقف أو مشيًا وراء أمل خادع انكشف أمره فيما بعد، بل هي مهمة رسالية نجحت في تثبيت الشخصية الحوزية المميزة مكان القلب من الجامعة، وأحرزت توفيقًا في تكريم الشخصية الجامعية في الحوزة، فهذه وما أدراك ما هذه، إنها الرسالة الإصلاحية العظيمة التي سخر لها المصلحون التربويون من العلماء شعاراتهم وتبليغاتهم ورفعوها في قمة مطالبهم الاجتماعية أمثال الإمام الخميني وكبار الأساتذة المصلحين من خريجي الجامعة أيضًا، ولكن الفقيد أسوة بالشهيد اللامع المطهري - أحيا الله ذكره، قد جسد هذه الرسالة دون شعار ولكن في مسرح ملحمي[1] يرى العمل أنجح من إطلاق الصوت، والحقيقة والواقع أهم من الدعوة والمناشدة.

---

(١) مصطلح أدبي للمسرح الذي يرى الحقيقة أهم من المجاز، والمضمون أولى من الشكل.

□ إبداع يُظهر الإبداع

إن الإبداع مفهوم له معناه المختلف عند شيخنا الكبير والجمال العلمي والحسن والبهاء الفكري في نظره المتوازن لا يمكن اختصاره في شكل من الأشكال، بل هو من نوع الجمال الخلقي في الطبيعة والبشر.. أي تتقاسمه الأفراد ولا ينحاز بكله إلى أحد دون أحد.

فإن هذا من علامات الذوق الحر؛ لأن من يرى الجمال جميعه في إنسان فهو أسير الذوق وسجين النظر! وإن عَلَمَ بلادنا الراحل ـ قدس الله مكنونه ـ ممن يتمتع بهذا الذوق. فهو هو إذا تحدث أو كتب عن أعلام الفكر الجديد كدراسته للحياة الإقبالية اللاهورية، أو دراسته للأدوار الأمينية الزينية البحرانية، ظننت أنه المعرض المستقل لشأن الأعلام التقليديين، إن سمح الاصطلاح. فبينا أنت تسري مع ظن الحداثوية في حق الشيخ، إذ يفاجئك بعرض فاتن وحديث مليح عن أساتذة الفقه والأصول البارعين، وعن مرجعيات وشخصيات علمية لم تتجاوز الرتابة والرتم العام فيما لمس وظهر من نشاطها.

وإن هذه قدرة نادرة على تفهم النجاح ودقة ملاحظته في أخفى صوره بين عشرات الآلاف من صور الرجال، وليس هذا وانتهى.. بل إنه وبهذه السيرة قد حرّر لنا مفهوم النجاح والإبداع وأنه شيء لا يقاس بالجدة والقدم، فليس كل تجدد إبداع وليس كل قديم إرجاع..فإن الفرق بين التجدد والتملص وبين الابداع والابتداع أمر غُمّ على الكثيرين في وقتنا خلا النابهين الفاهمين شروى هذا السلف الذي نرجو أن يكون له بين طلاب الجامعتين الدينية والأكاديمية خلف.

فماذا كان يخبئ لنا من خلال طرحه المشيد الذي جاء في مقالات وكتابات متفرقة لحياة أستاذين متباينين في زاوية منن زوايا الفكر ومختلفين على مستوى بعض الأيديولوجيات، وهما الشهيد الصدر وأستاذه السيد الخوئي؟

لقد صنع منهما لوحة تحمل لونين مستقلين لنرى التجدد الذي لا يؤدي إلا الاستلاب الكلي وانقطاع المرء عن نفسه وعن انتمائه إلى غيره حيث أماني الانتماء المجهول، ولكن تجددًا كما كان عند الصدر المتصدر في القلوب ـ نور الله ضريحه ـ الذي كان يحمل أستاذه الخوئي في وجدانه وينزلق ذكره من لسانه في كل مجلس ومرفأ

مدللاً بذلك على أن الخلاف للانتماء وليس الخلاف للارتماء بعيدًا، كما يصنع البعض.

□ معرفة الرجال تصنع الرجال

إن الشخصيات من ذوي الريادة العلمية والفكرية والأدبية تحمل في سجلاتها لقاح العظمة والسؤدد، ولكن فك رموزها كفك الجوزة الهندية.

فتلك الشخصيات في جوف سيرتها ماء حياة العلم والكمال، وإن رشفه من حتميات الرقي والإزدهار، كما أن الدخول من ماضيهم لنقد الحاضر دخول من أسرع وأوسع الأبواب، ومن هذا الوعي أسهم الشيخ الهادي في تأسيس (علم الأعلام)، أو الترجمة الموضوعية في أيسر تسمياتها من خلال سفره الثر: (هكذا قرأتهم)، هذا الركن الذي أضيف حديثًا إلى المكتبة العربية والإسلامية فالشيعية، عرف أول ما عرف في النجف الأشرف على يد الأستاذ جعفر الخليلي في مجموعته الرجالية (هكذا عرفتهم)، ثم تابعه كل من الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (هكذا رأيتهم)، وعلامة الخليج العربي في عصرنا الشيخ الفضلي في هذه المجموعة (هكذا قرأتهم) وقد توافق إنتاجه وإنتاج الدكتور الصغير في تاريخ واحد. وهكذا أرى بأن العلامة الفضلي وزملائه قد مهدوا بذلك لعلم (البيرو سونولوجيا الإسلامي) أو علم الشخصية الإسلامية.

□ العشق المعدي

إن تحبيب العلم وتزيين البحث في نفوس الشباب والكتاب مسؤولية لا يقبلها الكثير، ولكنها ستعترف - لو خليت - لرجل العلم والفكر في واحتنا بالأمانة وعدم الخيانة لها العمرَ كلَّه! وليس ذلك من جهة ما يتجلى فيه من حراك وعراك فردي مع الكتب أيام فتوته إلى حين ركوعه أمام جبروت الشيخوخة فحسب.. بل فيما يتجلى من رعاية أبوية دائبة راتبة مع كل المحاولات والتجارب المساقة بين يديه الفتية منها و المراهقة للبلوغ العلمي والمسنة ذات العمر الراسخ في العطاء .. نلمس ذلك في مقدماته التي تتصدر الإبداعات وتعرف القراء بالروائع وتمهد للبواكير من الأعمال الفكرية .. ولعل من أصدق الادعاء القول: أنه لا يوجد في دنيا الحوزة العلمية الشيعية المقدسة - بعد شهاب الدين المرعشي - من هو أكثر طرحًا للمقدمات بين يدي الكتب والدراسات والمحققات من النصوص التراثية وغيرها من الفقيد السعيد ـ أكرم الله جواره ـ وهذا ما يبين عن قيمة للشيخ في نفوس العناصر الحوزية

والأكاديمية الفاعلة فقصدوه بأعمالهم وإنجازاتهم، وانتخبوه حكمًا يحكم في جهودهم برأيه المستصحف لما قرأوا فيه من موسوعية وموضوعية بل لما لمسوا قيمتهم عنده بما بدى لهم فيه من بساطة ورحابة خلق.

ويذكرني الشيخ الفاضل الفضلي في ميزته هذه بالشيخ الكوثري الدمشقي أيضًا صاحب المقدمات الفائقة على الإحصاء. والحق أن الكثير (ولا نغلوا في الكل) من تقديمات عالمنا المبجل تملؤك شوقًا لقراءة العمل الذي وطئ بها فترى وكأن ذلك الكتاب هو العروس وأنه قد شفع بين العروس والعريس فجاءت يزفها بكلماته إلى قلب القارئ.

☐ عاش السلام مع نفسه فأثمر طريقه

كان العالم المميز بمقابلة الهزات والصدامات الطائفية والاتجاهوية بالطمأنينة الفكرية والسيطرة النفسية التي تبتني على أساس الوعي بحجم تلك الشكاسات، وليس على أساس الاهمال لما يحدث أو عدم الاكتراث. لقد كان يحاشي لسانه ونثر كلماته ومقالاته عن التورط في شيء من ذلك في العلن، فبقدر ما كان يرحب بالجدل في العلم ويقبل على السجال الكلامي المعقم، إلا أنه كان وفي المقابل يكرم نفسه عن الخوض في السجال الكلامي العقيم وإن كان قد نال منه.

إذا ما أراد المرء إكرام نفسه رعاها ووقاها القبيح وزينا
أليس إذا هانت على المرء نفسه ولم يرعها كانت على الناس أهونا

فكان خبيراً بلغات العالم الاستفزازية المختلفة. وفي قريب الزمان نصب له أحدهم مدفعية ثقيلة ناقدًا له كأخشن ما يكون النقد بعد ظهور أثره البديع (في ذكرى أبي)، ولكنه صد ما كان من هجمات بسلاح الصمت واتخذ الوعي دريئة.

فمن يعش السلام مع نفسه يعش السلام مع قومه.

وفي زمان مقارب أيضًا، فزعت طائفة من المؤمنين الغيارى وأطلقوا أصوات الإنذار فيما يحسبونه غزوًا علمانيًا أو إلحاديًا للمنطقة، فكان يباشر عقولهم ويبشر أرواحهم الثائرة بالقول: إن ما ترونه هو زوبعة لا تهيج إلا في الفضاء الصحراوي الخالي، ولكنها تتفكك وتتبدد بعد وصولها واصطدامها بالبقاع المعمورة من المباني والجبال وواحات الزرع، كما كان يقول أيضًا: هذا ما قد عشناه بالعراق وذعرنا له

بادئ الأمر، ثم عادت الصحوة الإسلامية معلنة انتصارها .. أبشروا ثم ابشروا، فإن ما كفَّ أداة أولئك عن العمل هناك، يكفها عن العمل هنا، بإذن الله، فالتجربة هي التجربة، والنصر هو النصر، والقول قول العجاج: «والدهر بالإنسان دواري».

□ الفضلي في أروقة النقد

مهما بلغت نشوة التذوق لإسهاماته وانبثاقة صيته المدهشة، ومع الاحتفالية به ميتًا التي ربما تكون استدراكًا لما فات من واجبنا تجاهه حيًّا إلا أننا نريد أن نبدأ من حيث انتهى الفضلي لا من حيث بدأ .. وهذا ما يحتم علينا تسليمه إلى أروقة النقد وإخضاع جسده ومكونه العلمي والفكري لمشرحة النقد الواعي وتسلمه ثمة مع النتائج الدقيقة.

فهل كانت كتاباته وأعماله نماذج شكلانية أم هي نماذج عُليا وبأي مستوى؟ هل يزيد الشيخ الفضلي فيما ورثه من علوم آلية، ومقالية، ونقلية[1] على ما ورثه الأقران والأتراب، أم أنه سابق عليهم إلى النسخ والتوظيف والاستخدام فقط؟

ولست أقصد بهذه الأسئلة ما يطرحه البنيويون في نظرية (موت المؤلف).. إنما أنطلق من ضرورة التقييم لما قدمه للمستهلك أو المنتج الثقافي والمعرفي في عالمنا العربي والإسلامي، ومدى استجابة القارئ المنتمي واللامنتمي لآثاره، وهذا ما يستدعي تحليلاً ثقافيًا مجردًا دون تحيزات أيديولوجية معينة ومعتادة على التربص بالمبدعين ممن يمكن أن نسميهم بـ (خصوم النجاح وأهله).

والحذر ينبغي أن يزداد خصوصًا إذا ما أردنا أن نفتش في تألهات الشيخ وولاءاته، إذ إن السجال النقدي (وأقول ما أقول بمرارة) في الأجواء المقدسة غالبًا ما يبرز فيه طرفان في قبال طرف واحد، وهو المنقود، والأخطر بين الطرفين الآخرين هو من يسمع الكلام فيعمل فيه بسحر التأويل وحبال التسقيط؟!

أما عني ذاتًا، فإني أرى تاج الفضل يلوح على رأسه وإن تقدمه، في اعتباري، البعض في الهرمية التفاضلية، فإنما يتقدمونه في بعض الجوانب فقط.. بل وإعجابي بتوازنه كبير، حيث لم أرَه يعمل العقلانية الأوروبية وما تقوم عليه من منطلقات واستراتيجيات معرفية في معالجة الفجوات والفراغات الثقافية، كما فعل بعض

(١) الآلية كالمنطق والنحو وسائر علوم اللغة، والمقالية كالفلسفة، والنقلية أبرز أمثلتها الفقه والحديث.

أنداده والمعاصرين له وما مضى من السطور قادر أن يصل بتلك الصورة إلى خيال القارئ. ولكن هذا لا يمنعني من أن أسلم له في كل شيء، فربما كان لدي تأملات في بعض ما تبرزه كتاباته الشريفة، أو تحفظات على بعض تعبيراته، وإن لم أكن من أنصار المذهب القائل: «إن أي اختلاف في التعبير فهو بالضرورة اختلاف في التفكير»، ولست أبتغي بهذه النهاية للمقال طريقًا إلى زرع الشكوك حول الشيخ .. ولكن لقيمة النقد الحواري .. وليطمئن من يرى أن شراع عقولنا يقوده هوى التقديس للشيخ من غير بصيرة فينا.

رحمك الله يا عماد ويا أبا العماد، صلى الله على روحك ما صلى ويصلي على أهل المداد من العلماء، ربي أخرجه من هالة الظلمة إلى هالة النور إلى محمد وآل محمد ﷺ.



إن الرؤية التي يقدّمها الإسلام ـ نظريًّا وتطبيقيًّا ـ في التعامل مع الحضارات الإنسانية، تضع الإسلام نظامًا وفكرًا له القدرة على قيادة الحياة على هذه الأرض، بمرونة وصلاحية عالية، وتعطي الإنسان الأمل في أن يعيش بسعادة وكرامة وهبتهما له السماء.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

دور الشيخ الفضلي في إحياء زيارة مرقدي الصحابيين الشهيدين جعفر الطيار وعمار بن ياسر رضي الله عنهما

■ فؤاد عبد الهادي الفضلي ■

مما تميّز به أستاذنا الشيخ الفضلي هو وجود علاقة خاصة تربطه بالإمام علي عليه السلام، تلك العلاقة الوجدانية التي عايشتُها وواكبتُها بحكم قربي منه، والتي أخمن أن سكناه ونشأته العلمية في مدينة النجف الأشرف بجوار المشهد العلوي الشريف كانت سرًّا ودافعًا لها.

□ العلاقة المثمرة

وقد كان من أثر هذه العلاقة الوجدانية بالإمام علي عليه السلام أن انعكست على الاهتمام والارتباط بالخلّص من أصحابه رضي الله عنهم، وآثارهم ومراقدهم قراءة وتحقيقًا وزيارة.

فكان من ثمارها اهتمامه بتحقيق آثار المراقد الشريفة لأصحاب علي عليه السلام من خلال منهج سار عليه في التحقيق، اتبع فيه (المنهج التاريخي الميداني) الذي يتبعه الرحالة المكتشفون للآثار والمتمثل بالخطوات التالية:

أولاً: قراءة كتب التراث الإسلامي التاريخية والروائية، وكتب الرحالة المهتمة بتحقيق المعالم التاريخية، ومعها المعاجم الجغرافية الحديثة التي أصبح لها ركن مهم في مكتبته العامرة.

ثانيًا: دراسة وتحليل هذه المصادر التاريخية والجغرافية للتحقق من الموقع المنشود.

ثالثًا: زيارة الموقع وآثاره ميدانيًا، وتصوير معالمه والشواهد الأثرية الباقية، وتحليل وتوثيق ما يشاهده عبر سؤال أهل المنطقة وسكانها.

رابعًا: كتابة البحوث التحقيقية لهذه المواقع وتوثيقها بالوثائق التاريخية والميدانية.

وقد اتبع هذا المنهج كذلك في تحقيقه لبعض معالم الحج، كميقات قرن المنازل (السيل الكبير)، وميقات يلملم، ونشر بحوثه عن هذه المواقع في المجلات والدوريات العلمية والمتخصصة.

وكان من آثار العلاقة الوجدانية التي أشرنا إليها، زيارته الاستكشافية الميدانية لموقعي: (غدير خم) و(مرقد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري) في الربذة، حيث شهدتُها معه، فكانتا ـ بحق ـ حكاية مفعمة بالمغامرة والتحديات، وقد دوّن الزيارتين في مقالين منشورين حولها.

ومن المواقع التي كان للشيخ الفضلي دور مهم في البحث عنها وتعرفها وإحياء زيارتها: مرقدا الصحابيين الشهيدين جعفر الطيار وعمار بن ياسر ـ رضوان الله عليهما.

وإذ لم يقم الشيخ بالكتابة عن هذا الموضوع، نوردِ للقارئ الكريم ـ بشكل مختصر هنا ـ قصة تعرفه هذين المشهدين ودور سماحة العلامة في إحياء زيارتهما.

□ ١- مرقد الشهيد جعفر الطيار

تولى الشيخ الفضلي رئاسة قسم المخطوطات التابع لمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة في الدورة الأولى لتأسيسه بعد أن كان من أول الداعين لتأسيس هذا القسم في الجامعة.

وكجزء من مهامه في القسم، أرسلته الجامعة إلى الأردن للاطلاع على مجموعة من المخطوطات الفلسطينية هناك في عام ١٤٠٣هـ(١٩٨٣م).

وسأل الشيخ أثناء إقامته في الفندق ـ فندق كاميو بعمّان ـ عن موقع معركة مؤتة التي كان قد قرأ أن آثار موقعها الآن موجودة في قرية باسم (مؤتة) بالأردن، فأُرشد إليها، ومن ثم طلب سيارة تقله إلى موقعها.

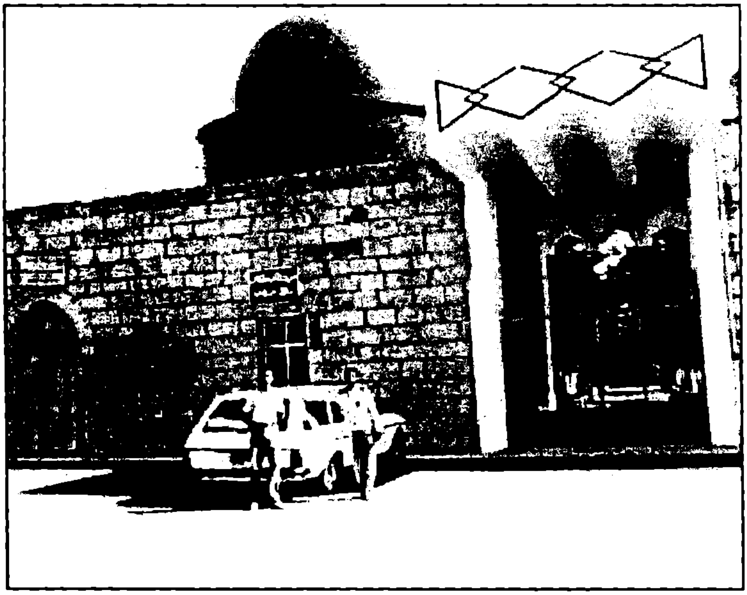
وبالفعل قام بزيارته هذه لموقع آثار المعركة في قرية مؤتة في ٢٠/ ١٢/ ١٤٠٣هـ (٢٧/ ٩/ ١٩٨٣م)، والتي استمدت اسمها من اسم المعركة الشهيرة التي وقعت فيها، وقد استشهد في هذه المعركة - كما هو معلوم - مجموعة من الصحابة الأجلاء،

وعلى رأسهم قادتها الثلاثة: جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ـ رضوان الله عليهم.

وعند سؤاله أهل المنطقة عن قبور هؤلاء الصحابة، أرشده أهلها إلى قرية مجاورة تسمى (المزار). وعند وصوله لها، شاهد هناك مسجدًا مقامًا باسم جعفر الطيار فيه مرقده الشريف، ومشهدين آخرين صغيرين لضريحي زيد بن حارثه وعبد الله بن رواحة.

وكان قد أقام مسجد جعفر ﵁ الملك الهاشمي عبد الله الأول بناء على لوحة في المسجد مكتوب عليها ذلك[1].

ويقع ضريح الشهيد جعفر الطيار ﵁ في جانب من المسجد بارتفاع متر تقريبًا عن الأرض.



مسجد الصحابي الشهيد جعفر الطيار في قرية المزار قبل تجديد بناءه

(١) كتب الشيخ الفضلي في مذكراته اليومية عن هذه الزيارة ما نصه: «زرت مراقد شهداء مؤتة الواقعة في قرية المزار، وهي بعد قرية مؤتة. كما زرت أرض المعركة في قرية مؤتة الواقعة بعد مدينة الكرك بحوالي عشرة كيلوات». كما ذكر أنه التقى في اليوم الذي قبله بأستاذه الدكتور إبراهيم السامرائي ﵀ في قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية.

وبعد رجوع الشيخ الى جدة، أصبح يرشد الحجاج العراقيين واللبنانيين والإيرانيين وشيعة المنطقة الشرقية والخليج إلى مكان القبر الشريف. وابتدأ على إثر ذلك تعرف الزوار إلى المكان وزيارة قبر صاحبه الشهيد ذي الجناحين عليه السلام وقبري جاريه الصحابيين الجليلين زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.



قبر الشهيد جعفر الطيار داخل المسجد قبل تجديد بناءه



آثار معركة مؤتة في قرية مؤتة

وفي زيارة للشيخ محمد علي التسخيري إلى جدة، أخبره الشيخ الفضلي بالأمر، وطلب منه التحرك ـ إن استطاع ـ لتجديد بناء مقام جعفر الطيار والمسجد وتوسعتهما بالشكل الذي يناسب صاحبه. فكان أن طلب الشيخ التسخيري من الملك حسين أن يسعى في تجديد المقام مواصلة لعمل جده الملك عبد الله.

وبالفعل، شُيِّد على إثر هذا المسعى، وبدعم من الجمهورية الإسلامية بإيران بناء جديد للمسجد والمقام، وأصبح مزارًا معروفًا عند الكثير من مؤسسات وحملات الحج وزيارة العتبات المقدسة.

□ ٢- مرقد الشهيد عمار بن ياسر

في إحدى زيارات الشيخ الفضلي إلى سورية لزيارة السيدة زينب عليها السلام في عام ١٤٠٧هـ، كان قد قرأ أن موقع معركة صفين يقع الآن على شاطئ الفرات في شمال شرق سورية قريبًا من الحدود العراقية، وهو ما دفعه أن يبدأ رحلته لتحديد الموقع وزيارته.

وقد صحبته في رحلة الاستكشاف مع أخي (معاد) إلى المنطقة المحددة عبر مدينة حلب بعد مبيتنا فيها وزيارتنا لمشهد النقطة الذي يحوي حجرًا وضع عليه رأس الحسين عليه السلام في رحلة السبي، ويروى أن عليها آثار نقطة من دمه الشريف.

وزرنا كذلك في حلب الجامع الأموي، وكان الشيخ قد قرأ أن فيه شقًّا في أعلى محرابه يقطر دمًا في يوم العاشر من المحرم من كل عام في مجلة المشرق مج ٣٨ / ١٩٤٠ بقلم الأب فردينان اليسوعي بعنوان: «أولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء»، ص ٤١١، والتي ذكر فيها قطر الدم في أبياته التالية:

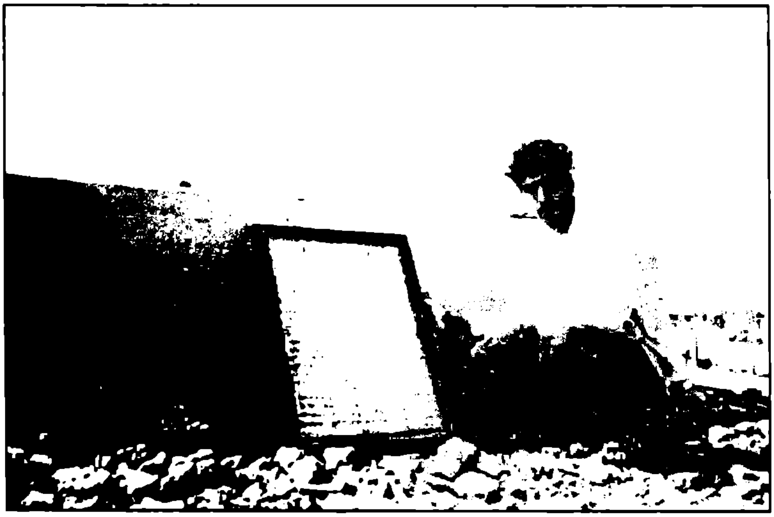
والأمــوي فيــه كـما قيــل حجـر	أســود معــه آخــر قــد اسـتقر
في حــائط القبلــة مــن أعــلاه	غربًــا وفي الــرأس غــدا بنــاه
في يــوم عاشــوراء كــل موســم	يقطــر منــه قطــرة مــن الــدم
لأنهــم بــالرأس يــوم مــروا	مــن حلــب وكــان فــيهم شــمر
فوضــعوا الــرأس عــلى ذاك الحجــر	فخــص بالتشــريف مــن ذاك الأثــر
وجعلــوا الــدرابزين تحتــه	في الأرض للصــون عــن الــوطء لــه

وبالفعل، لما وصلنا الجامع شاهدنا أثرًا في أعلى جدار المحراب بلون أسود أقرب لأثر لون الدم بعد جفافه، وفي أعلاه شقّ صغير يمكن أن يكون موضع تدفق ونزول الدم منه.

ومن ثم توجهنا بعدها بالسيارة شرقًا، قاصدين الوصول إلى موقع المرقد الشريف لعمار بن ياسر ﵁.

ولما وصلنا إلى قرية على الفرات تدعى (الرقّة) في الطريق إلى مدينة (دير الزور)، رأينا فندقًا اسمه عمار بن ياسر، فسأل الشيخ صاحب الفندق عن مرقد الشهيد عمار بن ياسر ﵁ فأرشده إلى مقبرة الرقة، وقد نزلنا في فندق الرقة السياحي قبل ذهابنا إلى الموقع.

وعند وصولنا إلى المقبرة، وجدنا في وسطها قبرًا عليه لوحة تشير إلى أنه قبر الشهيد عمار بن ياسر ﵁، وهناك بناء آخر صغير في المقبرة عبارة عن غرفة في داخلها قبر التابعي الجليل أويس القرني ﵁، أحد شهداء معركة صفين، ويبدو أن أهل المنطقة يقدسون القبر ويزورونه، ولذلك شيدوا عليه هذه الغرفة. وقد رأينا بعض الزائرين من أهل المنطقة هناك.



ضريح الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﵁ قبل بناءه

وبعد الزيارة وأخذ بعض الصور، تجولنا مع الشيخ في القرية والمنطقة لتعرُّف آثارها ومعالمها. وزرنا خلالها باب بغداد ونهر الفرات.

وعند عودته إلى جدة، أخذ الشيخ يخبر زواره من الحجاج والمعتمرين عن المرقد الشريف ويحثهم على زيارته.

ولدى زيارة أحد العلماء الإيرانيين لمنزل الشيخ بجدة، أخبره عن الموقع وطلب منه حث المسؤولين في الجمهورية الإسلامية في إيران أن يزوروا الموقع ويقوموا بتحقيقه ثم بنائه. فكان أن تحقق ما أراد، حيث بدأ البناء من قبل حكومة الجمهورية الإسلامية. وهو الآن مشهد مكتمل بني على طريقة بناء المشاهد المقدسة.

☐ العشق الإيماني

ومن نتائج الاهتمام والارتباط الوجداني الذي أشرنا إليه، نذكر أنه أصبحت لدى الشيخ عادة سنوية (أو نصف سنوية أحيانًا) واظب عليها في كل عام. وهي زيارة المراقد الشريفة في رحلة مرسومة الخطى والمنازل، منذ أن كان في جدة، واستمرت بعد انتقاله إلى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، وقد صحبته في عدد منها.

تبدأ رحلته بزيارة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الطائف، ثم زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة البقيع والحمزة عليه السلام ومسجد الفتح ومسجد الفضيخ.. وباقي مشاهد المدينة المنورة.

ثم ينطلق إلى الأردن لزيارة جعفر الطيار وشهداء مؤتة رضي الله عنهم. ينتقل بعدها إلى سورية لزيارة السيدة زينب عليها السلام والسيدة رقية وحجر بن عدي، ويعرّج في نهاية الرحلة إلى مدينة الرقّة لزيارة شهيد صفين عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وتستغرق رحلته السنوية هذه بين عشرة أيام وأسبوعين، ولم ينقطع عنها منذ سكناه في الجزيرة العربية، إلاّ بعد أن أقعده المرض الأخير، شافاه الله تعالى وأنعم عليه بالصحة والعافية.

وقد عرّج في بعض السنين خلال رحلته السنوية هذه لاستكشاف بعض المشاهد الأخرى وزيارتها. نذكر منها قبر الحسن المثنى بينبع النخل، ومشهد أبي أيوب الأنصاري بإسطنبول، ومشهد الشاعر جلال الدين الرومي في مدينة (قونية) بتركيا.

وبخصوص المرقدين الشريفين لجعفر وعمار ﵄، فقد كان الشيخ - **حفظه الله** - يشهد خلال زيارته السنوية كل عام ما وصل إليه البنيان في كل منهما حتى اكتماله، وكان يخبرنا عن ذلك مسرورًا به.

جزاه الله تعالى خير جزاء المؤمنين، وأسكنه في جنانه مع علي ﵇ وأصحابه الميامين ﵃.



لقد أرسى رسول الله أولى مبادئ المجتمع المسلم، وهو تعايش جميع أطيافه في وحدة اجتماعية واحدة، لا تفرّقهم فيها القبليات كما لا تفرّقهم الشرائع. وفي حال نشب بينهم أي خلاف أو شجار، فالمرجع في ذلك إلى رسول الله ﷺ باعتباره الحاكم العام والناظم لشؤون المجتمع.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

الشيخ الفضلي شاعراً .. رباعية الانتظار نموذجًا

■ قراءة: السيد حسين الخليفة ■

□ رباعية الانتظار

أنـا في انتظـارك طـال أو قصـر المـدى ... لا البُعـدُ يُؤْسُـني ولا جـورُ العِـدا
مـا يومُـك الموعـودُ إلاّ نسـمةٌ ... روحيـةٌ نطفـي بها لهـبَ الصـدا
قسـمًا بسـيف أبيـك حيـدرة الـوغى ... نحـنُ العطاشـى الطـالبو وِردِ الـردى
مـا ضـرَّ مَـن شرب الـولاء مُعتّقـاً ... ألاّ يـرى في خمـرهِ إلا الفِـدا

إن القراءة المتأنية الدالة هي الطريقة المثلى لإثبات شعرية النص المقروء أو عدمها، فإن التأني القرائي للنص هو الكفيل بإطلاعنا على حقيقة النص وجوهره، ذلك أن القراءة النقدية كثيرًا ما تنكشف أمامها الخطابية الفجة لنصوص كثيرة تَتَرَّسَت بالمحسنات البديعية غير العفوية، كما هو ديدن ما يصطلح عليه بأدب الدول المتتابعة ـ مع التحفظ على التحقيب السياسي لتاريخ الأدب ـ، أو أنها اختفت خلف لغة تهويمية، أو غموض غير منتج لتخدع المتلقي وتوحي إليه بعمق النص وإبداعيته، وهو ملمح بارز لكثير مما يُنظم في العصر الحديث.

والناقد الموضوعي هو من يبحث عن جوهر النص من داخله مجردًا من قبليات أو مسبقات منحازة إلاّ إلى الطبيعة النقدية في صفائها وبراءتها المخلصة إلى أدواتها.

وعلى ضوء ما تقدم، ستكون قراءة (رباعية الانتظار) مستنطقة لغة النص في معجمية مفرداته وإيماءاتها السياقية بعيدة كل البعد عن الشفهية أو الانطباعية السريعة أو البتر التجزيئي الشواهدي المأخوذ به في البلاغة المدرسية.

فالملاحظ في (رباعية الانتظار) استخدامها أسلوب الخطاب المتجه من المنتظِر إلى المنتظَر، يؤكد المنتظِر العامل لإمامه المنتظَر على عدم يأسه من حقيقة انتصار

الإسلام وتطبيقه على البسيطة كلها؛ لأن المنتظَر شخصية يراد لها أن تؤدي دورًا بالمستوى المذكور، وبما أن المنتظِر يحمل العقيدة نفسها، فإن تحركه سيكون وفقها وبقدرها، والموانع الكبيرة - بطبيعة الحال - نابعة من تحمّل السير في خط الهدف الكبير هذا، وهي لعظمها تسبب اليأس والإحباط بحسب العادة، لكن المنتظِر يتحلى بإيمان متين يجعله طليقًا من قيود اليأس والإحباط.

ولم يكن عدم اليأس من الفكرة المجرّدة القابعة في الوجود الذهني، بل كان عدم اليأس متعلقًا بالممارسة الإجرائية من قِبل المنتظِر للفكرة تلك في الوجود الخارجي، فقوله: «ولا جور العدا» ما هو إلاّ دالّة لغوية على المعنى المتقدم. فالمنتظِر هنا سائر في معراج التمهيد لتحقيق اليوم الموعود، وهذا الهدف يشكل عنده «نسمة روحية» تشحنه عاطفيًّا وفكريًّا لمواصلة الدرب.

بيد أن الموقف الفكري والحراك العملي هذين لم ينطلقا من نزعة ترفية، بل هما خيار جاء نتيجة (عطش) من جانب المنتظِر الذي يجعله يعدو بكل ما عنده من طاقة في اتجاه (الورد) المقدر له أن يروي ليس عطش المنتظِر فحسب، بل هو عطش النوع الإنساني المعبر عنه بضمير الجمع «نحن العطاشى»، مما يدفع شبهة الذاتية عن المنتظِر ويضاعف مسؤوليته تجاه الرسالة المؤمن بتأديتها.

غير أن عشق المطلب المتقدم وإرادة تحقيقه من قِبل المنتظِر نابع من ذاته. وهو في إصراره على تحقيق الأمر، يقتحم المهالك ولا يخاف المخاطر. فولاؤه المنعكس على فعله يلتقي مع فعل الخمرة في عقل السكران التي تجعله كالمجنون في الحركة، والمجنون لا يخاف من شيء ولا يبالي ولا يتهيب آحدًا.

ويُحسب للشاعر الذي «شرب الولاء معتقًا ولم ير في خمره إلا الفدا» استخدامه الخمرة كرمز يعبر عن هيام العلاقة وذروتها، وهو استخدام كان مطروقًا كرمز في الحب الإلهي وأدب التصوف والعرفان، ذلك أن نقل الرمز من موضوع إلى موضوع ومن غرض إلى غرض يُعَد كسرًا للنمط، مما يساهم في إثراء الأدب ويشكّل سمة وميزة للأديب.

كما ينضاف إلى شاعرنا أن ترميزه المنقول شكلاً هو مرتجل في حقيقته الإبداعيه؛ لأنه خدم الموضوع ورفع منسوب شعرية النص، فالمنتظِر الذي (شرب الولاء المعتق من الخمر) أراد بذلك الشرب أن يذهب العقل الجمعي المتشكل والمنتزع من

الإرادات الضعيفة الذائبة في معقولية المصلحي اليومي والآنيّ فيتخلص منه كعائق ليعود إلى العقل العقدي (المعتق) الأصيل الذي ينبثق منه فعل الانتظار ويأخذ عنفوانه في معترك التمهيد.

.. إن هذا الولاء الإسكاري يذكرنا بعابس الشاكري الذي ركض في ميدان المعركة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام مجردًا من السلاح، فقيل له: «هل جننت حتى تضع نفسك عرضة للمهالك؟!»، فقال ـ وهو يركض ويحمل على الأعداء كلمته الشهيرة ـ: «حب الحسين أجنني».

فالعمل التمهيدي الكبير يحتاج إلى تضحية بالمستوى الجنوني العشقي المذكور...

ولعل لغة الرباعية ـ وهي تتحدث بلسان شخص منتظِر، وبأسلوب الخطاب ـ انطلقت من واقع مهول مثقل بتخرّصات الأعداء وبميوعة المتذبذبين وضعاف النفوس. فكان أداؤها اللغوي يحمل الدلالة تلك الرادة على واقع من هذا القبيل، فألغت التعقل المصنوع، ليكون (الفداء) قرارًا نهائيًّا نابعًا من رؤية خمرية تُذهب العقل المستعار المتلبس بلبوس الأفعى في ملمسها الناعم وفي لسعتها القاتلة.

وخلاصة ما استنطق من النص أن القراءة قد اتجهت إلى استلال خيوط معجمية وسياقية منه كوَّنت النسيج القرائي له، نوجزها في النقاط التالية:

- خطاب متجه من المنتظِر إلى المنتظَر.
- بُعد الغيبة الزمني وعدم اليأس من حتمية الانتصار.
- عدم يأس المنتظِر في السير نحو تحقيق الهدف، رغم جوْر العدا.
- اليوم الموعود يشكل (نسمة روحية) تشحن المنتظِر عاطفيًّا وروحيًّا لمواصلة الدرب.
- الموقف الفكري ليس ترفًا فكريًّا، بل هو خيار عملي جاء نتيجة (عطش) يبحث عن (الورد).
- تأكيد على عقلانية الولاء الصادقة وتشبيهها بـ (الشراب الخمري المعتق) العامل على تغييب العقلية المرتبكة أو الخائفة أو العقلانية البراغماتية ذات النظرة الواقعية القصيرة ليصل المنتظِر إلى تشكيل رؤية عمادها (الفداء) الذي يحقق الغرض بتجاوزه كل عقد الارتباك وانعدام الرؤية والخوف والمصلحية القصيرة.

وهكذا نجد أن القراءة قد حلقت في الفضاء النصي لـ (رباعية الانتظار) فوقفت عند مفرداتها مستنطقة دلالاتها المعجمية وما أنتجته تشكيلاتها الإسنادية وعلاقاتها البنائية من دلائل سياقية ساهمت في إنتاج اللغة الموحية، محققة سمة التكثيف باعتبارها من أهم العناصر التي يقاس بها النص، فيستدل على شعريته بوجودها وعلى تقريريته بعدمها.



للحدّ من غلواء الصراعات الإنسانية، تضع الآيات القرآنية مجموعة من الحلول والضوابط، يمثّل الحوار بين أتباع الديانات الإلهية أحد تلكم الحلول، ولكنّه لا يعني بحال اقتصار هذه الآلية على أتباع الديانات الإلهية فقط، وذلك لأن الغاية الدينية لا تتحقق فقط من خلال الحوار مع أتباع تلكم الديانات، وإنما يشمل ذلك جميع التنوّعات البشرية، إذ إن حفظ النفس الإنسانية من مقاصد الشريعة الإسلامية.

الشيخ عبد الهادي الفضلي



«كان الفكر الشيوعي يعدّ ـ بما يملكه من رؤى ومبادئ ونظريات ـ فكرًا عميقًا وقويًّا كنّا نحترمه ونحترم رجاله، وكان يدفعنا ويشجّعنا على إعادة قراءة تراثنا وتشريعنا ودراستها بعمق واستنباط وفهم وتأصيل جديد، وأن يكون طرحنا الإسلامي بالمستوى العلمي والقالب الحديث الذي يشدّ المثقف لأن يقرأه ويقارنه مع الفكر الشيوعي».

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

القسم الثالث

وثائق من أرشيف الفضلي

- رسائل الشهيد الصدر
- رسائل السيد محمد حسين فضل الله
- رسالتا السيد محمد تقي الحكيم
- رسالتا الشيخ محمد جواد معنية
- رسائل رئيس تحرير مجلة الموسم الأستاذ الطريحي
- رسائل الدكتور عبد الله الجبوري
- رسائل متفرقة

رسائل الشهيد الصدر

□ الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المُعظَّم العلاّمة الجليل الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي

لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمتُ رسالتكم العزيزة وأنا أشوق ما أكون إلى معرفة أحوالكم، وذلك أني فوجئتُ قبل مدّة بنبأ تفكيركم في الهجرة من النجف الأشرف ولا أزال أذكر أنه حدثني بذلك ـ استطرادًا ـ السيد الخرسان في فاتحة لآل بحر العلوم، فشقَّ عليَّ ـ علم الله ـ ذلك، وقصدتكم في اليوم الثاني وحاولت زيارتكم، فتبيّن أنكم كنتم مسافرين، وإن كانت العائلة موجودة.

والواقع أن مما يحزّ في نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد في الإقامة فيها أمثالكم ممن يرفع الرأس عاليًا، ويُشَكِّل رقمًا من الأرقام الحيّة على عظمة هذه الحوزة التي تتيح ـ رغم كل تبعثرها ـ أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاص إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدبًا وثقافةً.

وعلى أي حال، سواءً ابتعدتَ عن الحوزة مكانًا أو قَرُبْتَ، فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها، وأرجو أن لا يكون انقطاعك عنها إلا شيئًا عرضيًا.

في الجوف تجدون جواب الاستفتاءات.

والسلام عليكم أولاً وآخرًا ورحمة الله وبركاته.

محمد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المعظم العلامة الجليل الأستاذ الشيخ عبد الهادي

الفضلي لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمت رسالتكم العزيزة وأنا مشوق جداً إلى

معرفة أحوالكم وذلك لأن فرحتي قد تبددت بنبأ تنقلكم

في البصرة من النجف الأشرف ولا أزال أذكر أنه حتى بعد

استطاعا إليه الرسالة في نافذة ترد والسلام فنشوق على

علم الله بذلك. وقصتكم في البرهنات وحاولت زيارتكم

فتبين أنكم كنتم مسافرين، إن المسألة لا تزال موجودة و

الواقع أن ما يحزن نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد

في الإقامة فيها أمثالكم من يرتبط بالدرس علمياً ويشكل رقماً

من الأرقام الحية في عطاء هذه الحوزة التي تنتج رغم كل تعثرها

أن يمر الطالب في مراحل جهوده كي يصل بعض المستوى

المعروف فضلاً وإنتاجاً وثقافة وعلى أي حال سوف أتحدث

عن الحوزة مكاناً أو قريباً فأنت من آمال الحوزة ومن أعزائها وأرجو

أن لا يكون انقطاعك عنها إلا شيئاً مؤقتاً

في الختام تجدون جواب الاستفتاءات والسلام

عليكم أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

□ الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجّى العلاّمة الجليل أبا عماد لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلمّت بكل تلهّف رسالتكم الكريمة التي تُطَمْئِنُ وتبشّر بصحتكم واستقراركم، وإني في الوقت الذي لا أزال أشعر فيه بأن موضعكم الطبيعي هو النجف لأنكم منه ومن آماله ووجوده العلمي في الصميم، أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يسبغ عليكم في كل حال لطفه وعنايته ويجعل من وجودكم طاقة في خدمة العلم والشريعة.

تأخرتُ عن جوابكم هذه المدّة بانتظار كتاب الأسس المنطقية للاستقراء لكي أرسل منه ومن كتاب شرح العروة الوثقى في وقت واحد، ورغم أن الكتاب أُنْجِزَ طَبْعُهُ قبل شهرين في بيروت، غير أنَّ نُسَخَهُ لم تتوفر حتى الآن في أسواق العراق، ولهذا سوف نقتصر فعلاً على إرسال البحوث الفقهية.

إذا سألتم عنّا، فصحتي بخير، والدروس والبحوث لا زالت بالنحو المعهود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى العلامة الجليل الأغا لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلمت بكل تلهف رسالتكم الكريمة التي تطمئن
وتبشر بصحتكم واستقراركم وأنا في الوقت الذي لا أزال
أشعر فيه بأن مرضكم الطبيعي هو الضعف لا أنكر شيئاً من آثاره
ووجوده الفعلي في الجسم أسأل المولى سبحانه وتعالى أن
يسبغ عليكم في كل حال لطفه وعنايته ويجعل من وجودكم طاقة
في خدمة العلم والشريعة

تأخرت عن جوابكم هذه المدة بانتظار كتاب الأسس
المنطقية للاستقراء لكي أرسل نسخة منه ومن كتاب شرح العروة
الوثقى في وقت واحد ورغم أن الكتاب الأخير قد طبع قبل شهور
في بيروت فإن نسخه لم تصل حتى الآن إلى أسواق العراق
ولهذا سوف نقتصر فعلاً على إرسال البحوث الفقهية

إذ أنه لم تعد فرصتي تفي والدروس والبحوث لا زالت
بالنحو المعهود والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

□ الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمتُ رسالتكم الكريمة، فسرّني ما بَشَّرتْ به من صحتكم وسلامتكم، وأسأل المولى تعالى أن يحفظكم ويمتّعنا بوجودكم.

أما بالنسبة إلى سؤالكم عن الإحرام من جدّة، فقد استندنا في عدم جوازه ولزوم الذهاب إلى الميقات إلى ما يدلّ من الروايات بظاهره على اشتراط الإحرام بأحد المواقيت الخمسة النبوية، راجعوا في ذلك صحيحة الحلبي وصحيحة علي بن جعفر في الباب الأول من أبواب المواقيت من كتاب الوسائل، فقد جاء في الرواية الأولى بعد ذكر المواقيت الخمسة قوله عليه السلام: «ولا ينبغي لأحدٍ أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله»، وجاء في الثانية: «فليس لأحدٍ أن يعدو عن هذه المواقيت إلى غيرها».

هذا، والسلام عليكم وعلى سائر الإخوان المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

٢٠/ ربيع الثاني/ ١٣٩٢هـ محمد باقر الصدر

أرسلتُ نسخة من كتاب «الأسس المنطقية للاستقراء»، أرجو أن تكون قد وصلت الآن.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة الاستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلمت رسالتكم الكريمة فسرني ما بشرت به من صحتكم وسلامتكم ، و
اسأل المولى تعالى ان يحفظكم ويمتعنا بوجودكم

اما بالنسبة الى سؤالكم عن الاحرام من جدة فقد استندنا في عدم جوازه
ولزوم الذهاب الى الميقات إلى ما يدل من الروايات بظاهره على اشتراط
الاحرام بأحد المواقيت الخمسة النبوية ، راجعوا في ذلك صحيحة الحلبي
وصحيحة علي بن جعفر في الباب الاول من أبواب المواقيت من كتاب
الوسائل فقد جاء في الرواية الأولى بعد ذكر المواقيت الخمسة قوله عليه
السلام : « ولا ينبغي لأحد ان يرغب عن مواقيت رسول الله ص»
وجاء في الثانية : « فليس لأحد ان يعدو عن هذه المواقيت الى غيرها »
هذا والسلام عليكم وعلى سائر الاخوان المؤمنين ورحمة الله وبركاته

٧ ربيع الثاني ١٣٩٦

محمد باقر الصدر

□ الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

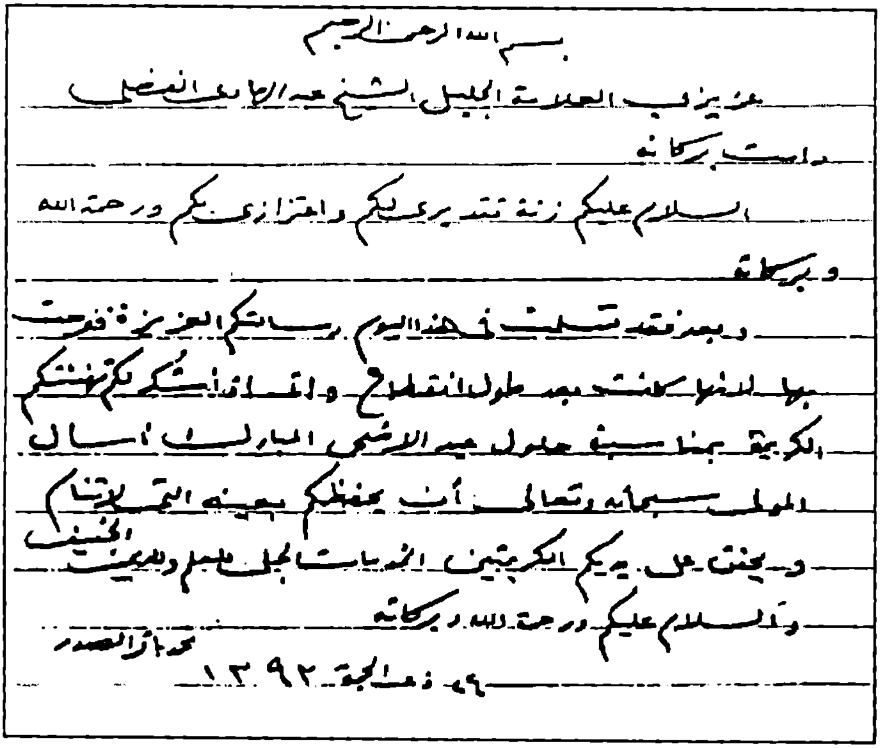
عزيزي العلاّمة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته

السلام عليكم زنة تقديري واعتزازي بكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلمتُ في هذا اليوم رسالتكم العزيزة ففرحت بها؛ لأنها كانت بعد طول انقطاع، وإني إذ أشكر لكم تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم بعينه التي لا تنام، ويحقّق على يديكم الكريمتين الخدمات الجلى للعلم وللدين الحنيف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٤ ذو الحجّة ١٣٩٣هـ محمد باقر الصدر


بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي العلامة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي
دامت بركاته

السلام عليكم زنة تقديري واعتزازي بكم ورحمة الله
وبركاته

وبعد فقد تسلمت في هذا اليوم رسالتكم العزيزة ففرحت
بها لأنها كانت بعد طول انقطاع وإني إذ أشكر لكم تهنئتكم
الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أسأل
المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم بعينه التي لا تنام
ويحقق على يديكم الكريمتين الخدمات الجلى للعلم وللدين الحنيف

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر
٢٤ ذي الحجة ١٣٩٢

□ الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

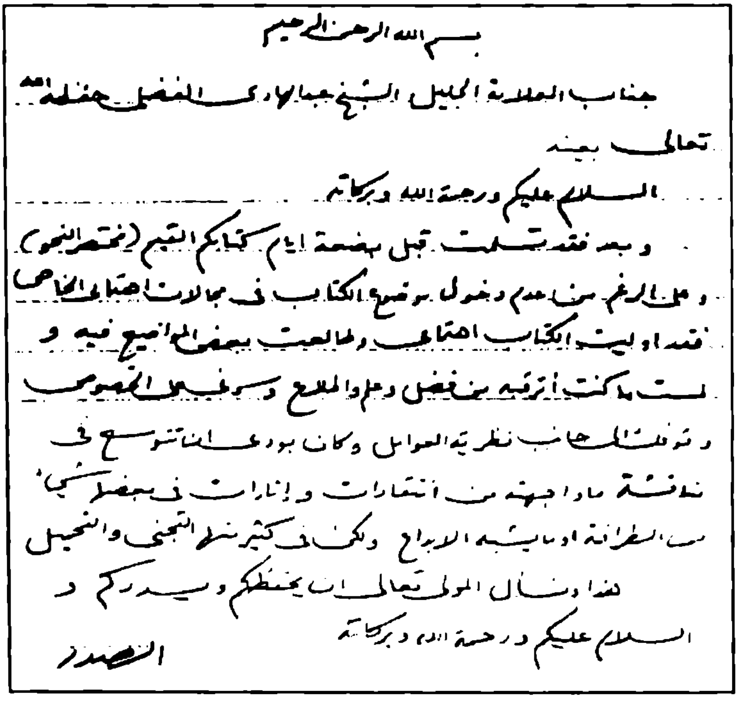
جناب العلاّمة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله تعالى بعينه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعدُ، فقد تسلمتُ قبل بضعة أيام كتابكم القيّم «مختصر النحو»، وعلى الرغم من عدم دخول موضوع الكتاب في مجالات اهتمامي الخاص، فقد أوليت الكتاب اهتمامي وطالعتُ بعض المواضيع فيه، ولمستُ ما كنت أترقبه من فضلٍ وعلم واطلاع، وسرّني على الخصوص وقوفك إلى جانب نظرية العوامل وكان بودّي أن تتوسّع في مناقشة ما واجهته من انتقادات وإثارات في بعضها شيء من الطرافة أو ما يشبه الإبداع، ولكن في كثير منها التجنّي والتحميل.

هذا، وأسأل المولى تعالى أن يحفظكم ويسدّدكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الصدر


بسم الله الرحمن الرحيم
جناب العلامة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله
تعالى بعينه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد فقد تسلمت قبل بضعة ايام كتابكم القيم (مختصر النحو)
وعلى الرغم من عدم دخول موضوع الكتاب في مجالات اهتمامي الخاص
فقد اوليت الكتاب اهتمامي وطالعت بعض المواضيع فيه و
لمست ما كنت اترقبه من فضل وعلم واطلاع وسرني على الخصوص
وقوفك الى جانب نظرية العوامل وكان بودي ان اتوسع في
مناقشة ما واجهته من انتقادات واثارات في بعضها شيء
من الطرافة او ما يشبه الابداع ولكن في كثير منها التجني والتحميل
هذا واسأل المولى تعالى ان يحفظكم ويسددكم و
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الصدر

☐ الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

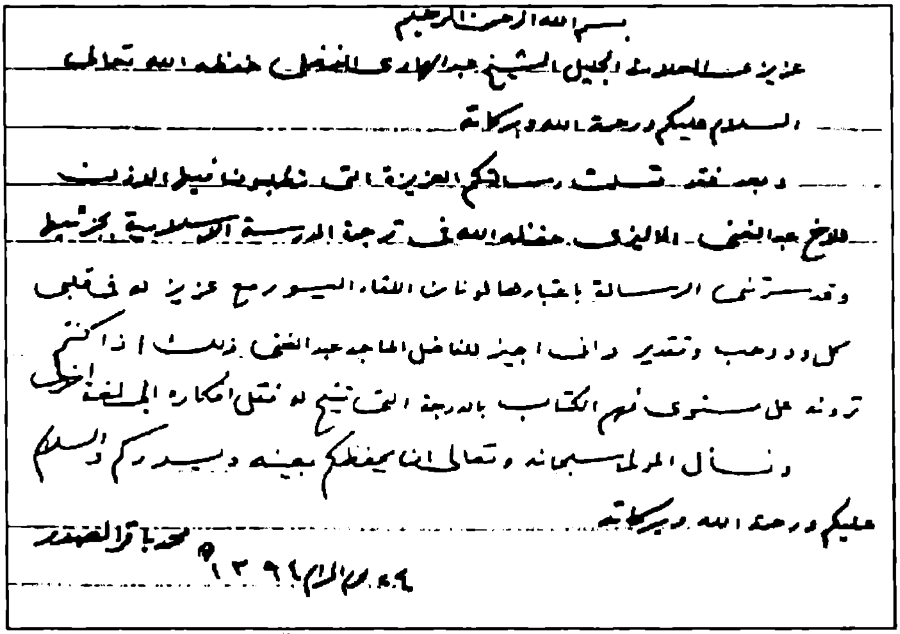
عزيزي العلاّمة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعدُ، فقد تسلمتُ رسالتكم العزيزة التي تطلبون فيها الإذن للأخ عبد الغني الماليزي ـ حفظه الله ـ في ترجمة «المدرسة الإسلامية» بجزأيها، وقد سرتني الرسالة باعتبارها لونًا من اللقاء الميسور مع عزيز له في قلبي كل ودٍّ وحب وتقدير، وإني أجيز للفاضل الماجد عبد الغني ذلك إذا كنتم ترونه على مستوى فهم الكتاب بالدرجة التي تتيح له نقل أفكاره إلى لغةٍ أخرى.

ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم بعينه ويسدّدكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٤ محرم الحرام ١٣٩٤هـ محمد باقر الصدر



بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي العلامة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلمت رسالتكم العزيزة التي تطلبون فيها الإذن للأخ عبد الغني ـ المالیزي ـ حفظه الله في ترجمة المدرسة الإسلامية بجزئيها وقد سرتني الرسالة باعتبارها لونا من اللقاء الميسور مع عزيز له في قلبي كل ود وحب وتقدير وإني أجيز للفاضل الماجد عبد الغني ذلك إذا كنتم ترونه على مستوى فهم الكتاب بالدرجة التي تتيح له نقل أفكاره إلى لغة أخرى ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم بعينه ويسددكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

٢٤ محرم الحرام ١٣٩٤

☐ الرسالة السابعة

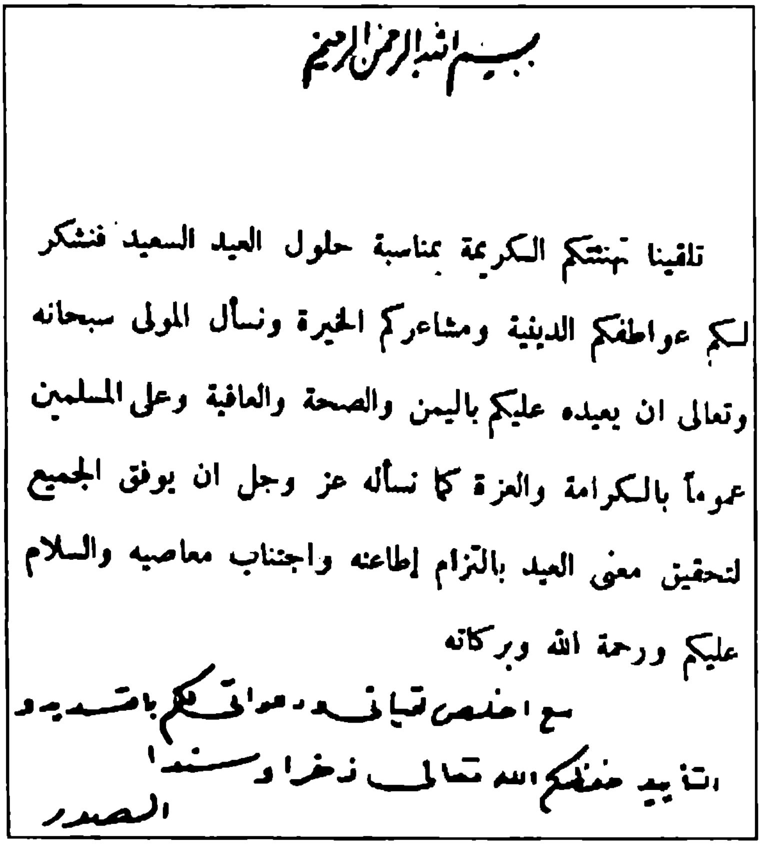
بسم الله الرحمن الرحيم

تلقينا تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول العيد السعيد فنشكر لكم عواطفكم الدينية ومشاعركم الخيرة ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم باليُمن والصحة والعافية وعلى المسلمين عمومًا بالكرامة والعزّة كما نسأله عزّ وجلّ أن يوفق الجميع لتحقيق معنى العيد بالتزام إطاعته واجتناب معاصيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مع أخلص تحياتي ودعواتي لكم بالتسديد والتأييد، حفظكم الله تعالى ذخرًا وسندًا.

الصدر



بسم الله الرحمن الرحيم

تلقينا تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول العيد السعيد فنشكر لكم عواطفكم الدينية ومشاعركم الخيرة ونسأل المولى سبحانه وتعالى ان يعيده عليكم باليمن والصحة والعافية وعلى المسلمين عموماً بالكرامة والعزة كما نسأله عز وجل ان يوفق الجميع لتحقيق معنى العيد بالتزام إطاعته واجتناب معاصيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع اخلص تحياتي ودعواتي لكم بالتسديد والتأييد حفظكم الله تعالى ذخرا وسندا

الصدر

☐ الرسالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم العلاّمة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعدُ، فقد تسلمتُ ـ بكل تقدير ـ رسالتكم الكريمة، وسرّني أن جَدَّدْتُ عهدًا بالاطلاع على صحتكم الغالية وأحوالكم، فنسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم بعينه ويرعاكم بلطفه، وينفع بوجودكم الثمين.

تفضلتم بطلب مجموعة من الكتب، وقد أرسلنا إليكم ما تيسّر منها، وهو:

- **أولاً**: دورة «بحوث في شرح العروة الوثقى» تشتمل على ثلاثة أجزاء.
- **ثانيًا**: دورة «منهاج الصالحين»، تشتمل على جزأين.
- **ثالثًا**: خمس نسخ من «موجز أحكام الحج».
- **ورابعًا**: نسخة من «الفتاوى الواضحة». كل ذلك أرسل بتاريخ العشرين من شهر رمضان المبارك.

وأما تقريرنا الأصولي الذي طبع جزء منه بقلم السيد الهاشمي فلا تتيسر فعلاً نسخة منه، وكذلك الكفاية أيضًا، وعند تيسرهما نرسلهما إليكم إن شاء الله تعالى.

هذا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦ شوال ١٣٩٦هـ محمد باقر الصدر

نرجو أن تطالعوا الفتاوى الواضحة وتتفضلوا بإبداء ملاحظاتكم من ناحية التعبير أو المنهج، لكي نأخذها بعين الاعتبار في الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المعظم العلامة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تشرفت بكل تقدير برسالتكم الكريمة وسررت بأخباركم
عن دوام الصلاح في صحتكم الغالية وأحوالكم فنسأل المولى سبحانه وتعالى أن
يحفظكم بعينه ويرعاكم بلطفه وينفع بوجودكم الشريف
تفضلتم بطلب مجموعة من الكتب وقد أرسلنا إليكم ما تيسر منها
وهي أولاً دورة بحوث في شرح العروة الوثقى تشتمل على ثلاثة أجزاء
ثانياً دورة شرح المعالم تشتمل على جزئين ثالثاً نسخة من
موجز أحكام الحج ورابعاً نسخة من الفتاوى الواضحة مع رسالة أرسلت
بتاريخ العشرين من شهر رمضان المبارك وأما تقريرات الأصول
الذي طبع جزء منه بقلم السيد الهاشمي فلم يتيسر عندنا نسخة منه وكذلك
الكفاية أيضاً وعند تيسرهما نرسلهما إليكم إن شاء الله تعالى

هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

٦ شوال ١٣٩٦هـ

نرجو أن تبلغوا تحياتنا
الواضحة ...
[illegible]
[illegible]
إن شاء الله تعالى

□ الرسالة التاسعة

٢٣ محرم الحرام ١٣٩٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأستاذ العلاّمة الجليل الدكتور عبد الهادي الفضلي
حفظه الله تعالى بعينه التي لا تنام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلمتُ بالأمس رسالتكم الكريمة وسرّني جدًّا اهتمامكم الكبير بمطالعة الفتاوى الواضحة أو بالعكوف على مطالعتها على حدّ تعبيركم والتأشير على العبارات والمواضع التي تحتاج إلى تبديل، وهذا جهد ثمين عندي جدًّا، وهو دليل على ما أحسستموه من أهمية إنجاح هدف «الفتاوى الواضحة» في تطوير الرسائل العملية، فأسأل المولى سبحانه أن يتقبّل منكم هذا الجهد بأفضل ما يتقبل من عباده المخلصين.

وقد وردتني الرسالة والطبعة الثانية للفتاوى الواضحة في ملازمها الأخيرة، وقد لاحظتُ أن الكلمات التي تفضلتم واقترحتم استبدالها بعضها كان قد تم استبداله فعلاً في الطبعة الثانية وبعضها أدرجناه في جدول الخطأ والصواب ليكون مفيدًا في الجملة وأساسًا للإصلاح في الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى، وبعضها وجدنا أنَّ بالإمكان تجاوزه فعلاً إلى حين يقدّر للرسالة أن تطبع طبعة ثالثة.

وسنرسل إليكم من الطبعة الثانية عند خروجها؛ لأن فيها بعض الزيادات. والله ولي التوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد باقر الصدر

٢٣ محرم الحرام ١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأستاذ العلامة الجليل الدكتور عبد الهادي الفضلي حفظه الله تعالى بعينه التي لا تنام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلمت بالأمس رسالتكم الكريمة وسررت
جداً باهتمامكم الكبير بمطالعة الفتاوى الواضحة وبالعكوف
على تسجيل ما يحتاج إلى تصحيح وأنا شاكر على العبارات والمواضع
التي تحتاج إلى تبديل وهذا جهد ثمين جداً وهو دليل
على ما استشعره من أهمية إنجاح هدف الفتاوى الواضحة
في تطوير الرسالة العملية فأسأل المولى سبحانه أن يتقبل منكم
هذا الجهد بأفضل ما يتقبل من عباده المخلصين
وقد وردتني الرسالة والطبعة الثانية للفتاوى الواضحة
في هذه الأيام الأخيرة وقد لاحظت أن الكلمات التي تفضلتم
واقترحتم استبدالها ببعض الكلمات قد تم استبدال معظمها
في الطبعة الثانية وبعضها أدرجناه في جدول الخطأ والصواب
ويكون هذا في الجملة أساساً للإصلاح في الطبعات اللاحقة
إن شاء الله تعالى وبعضها وجدنا أن بالإمكان تجاوزه
نعم المهم حين يقدر للرسالة أن تطبع طبعة ثالثة
وسنرسل إليكم من الطبعة الثانية عند خروجها لدى قبل
بعض الزيارات والله ولي التوفيق والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

رسائل السيد محمد حسين فضل الله

□ الرسالة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ

فضيلة الأخ العلاّمة الدكتور أبي عماد دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإني أعيش الشوق الكبير إلى اللقاء الطيب الأخوي الذي يجمعنا على أسس الأخوة والفكر والإيمان؛ لأن علاقتنا ليست علاقة طارئة بسيطة، بل هي علاقة أساسية عميقة صنعتها المعاناة والجهاد المشترك في سبيل العلم والإسلام. أرجو أن تكون بخير مع العائلة والأولاد، وأن تكون مشاريعك الثقافية الإسلامية التي نحن بأمسّ الحاجة إليها قد تحرّكت في طريق العطاء الفكري السخيّ.

يصلكم مع حامل الرسالة كتاب (الإسلام ومنطق القوّة) و(على طريق الأسرة المسلمة)، أرجو أن أعرف رأيك فيهما، لاسيما الأول.

تصدر جمعية أسرة التآخي مجلة إسلامية اسمها (الحكمة)، وسيصدر عددها الأول قريبًا. وقد طلبت مني اللجنة الثقافية للجمعية أن أكتب إليكم راجيًا كتابة مقال للعدد الثاني، مع رجاء إرساله بوقت قريب. وأظن أنكم لن تبخلوا عليهم بذلك، لاسيما أن للمجلة نوعَ ارتباطٍ وثيق بي..

أرجو أن ألتقي بأخبارك دائمًا. وبالمناسبة، ما هي أخبار سماحة الشيخ الوالد مدّ الله في عمره، كيف هي صحته ونشاطه وعافيته؟

ختامًا، تحياتي للأولاد الأعزاء، ولمن تحبون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٣/ ج١/ ١٣٩٩هـ أخوكم/ **محمد حسين فضل الله**

بسم الله

فضيلة الأخ العلامة الدكتور أبي عماد دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإني أعيش الشوق الكبير إلى اللقاء الطيب الأخوي الذي يجمعنا على أسس الأخوة والفكر والإيمان لأن علاقتنا ليست علاقة طارئة بسيطة بل هي علاقة أساسية عميقة صنعتها المعاناة والجهاد المشترك في سبيل العلم والإسلام أرجو أن تكونوا بخير مع العائلة والأولاد وأن تكون منطلقا في خط الثقافة الإسلامية التي نحن بأمس الحاجة إليها قد تحرككم في طريق العطاء الفكري السخي

يصلكم مع حامل الرسالة كتاب الإسلام ومنطق القوة و((مع طريق الأسرة المسلمة)) أرجو أن أعرف رأيك فيها لاسيما الأول

تصدر هو جمعية أسرة التآخي مجلة إسلامية اسمها ((الحكمة)) وسيصدر عددها الأول قريبا وقد طلبت مني اللجنة الثقافية للجمعية أن أكتب إليكم راجيا كتابة مقال للعدد الثاني مع رجاء إرسالها بوقت قريب وأظن أنكم لن تبخلوا عليهم بذلك لاسيما أن للمجلة نوع ارتباط وثيق بي ..

أرجو أن ألتقي بأخبارك دائما وبالمناسبة ما هي أخبار سماحة الشيخ الوالد مد الله في عمره كيف صحته ونشاطه وعافيته

ختاما تحياتي للأولاد الأعزاء ولمحبيكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٢ ج ١ ١٣٩٩هـ

أخوكم

محمد حسين

فضل الله

□ **الرسالة الثانية**

بِسْمِ ٱللَّهِ

فضيلة الأخ العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد كنتُ أرغب في الاتصال بكم برسالة أو بتلقي رسالة منكم، ولكن الظاهر أن الظروف لم تسمح بذلك. والآن أكتب إليكم لأعرّفكم بأن كتابكم قد طبع بشكل جيّد، وربما تصلكم نسخة منه مع حامله. والظاهر أن رواجه جيد حسبما ذكر لي صاحب دار الزهراء. وفيما يتعلّق بحصتكم منه، هل ترغبون في ثمنها أو في إرسالها إليكم؟، أرجو تعريفنا بذلك. كما إنني في انتظار الأجوبة على الأسئلة المقدّمة إليكم مع كلمة فكرية لعدد (الحكمة) الخاص بالمولد النبوي الشريف الذي قد يصدر بعد شهر، وأرجو ألاّ تكرر الاعتذار بالأشغال الكثيرة.

قدِم أحد أعضاء جمعية التوعية الإسلامية في البحرين، وتحدّث معي حول الدعوة إلى موسم ثقافي هناك كعادتهم في كل سنة، وذكرتُ اسمكم كعنصر أساسي، وطلبتُ منهم الاتصال بكم ووعدته بالاتصال من جهتي بكم، فما هو رأيكم؟ إني أرجّح ذلك؛ لأنه لا صفة سياسية له، كما أن فيه تشجيعًا لهم، فإذا وافقتم، فالرجاء إرسال تفاصيل الجواز إليهم، إذا كان ذلك ضروريًّا للخليجيين حتى يستخرجوا لكم سمة. وختامًا، أرجو أن تكونوا مع جميع أفراد العائلة بخير. سلامي لهم جميعًا. وتقبلوا ـ في الختام ـ تحيات واحترام.. أخيكم

٢٧ صفر ١٤٠٠هـ **فضل الله**

بسم الله

فضيلة الأخ العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد كنت أرغب في الاتصال بكم برسالة أو بتلقي رسالة منكم ولكن الظاهر أن الظروف لم تسمح بذلك، والآن أكتب إليكم لأعرفكم بأن كتابكم قد طبع بشكل جيد وربما تصلكم نسخة منه مع حامله، والظاهر أن رواجه جيد حسب ما ذكر لي صاحب دار الزهراء، وفيما يتعلق ببحثكم من هل تم طبعه في قم أو في إرسالها إليكم أرجو تعرفنا بذلك، كما أننا في انتظار الأجوبة على الأسئلة المقدمة إليكم مع كلمة تكريمية للعدد الخاص بالمولد النبوي الشريف الذي قد يصدر بعد شهر وأرجو أن لا تكرر الاعتذار بالأشغال الكثيرة.

قدم أحد أعضاء جمعية التوعية الإسلامية في البحرين وتحدث معي حول الدعوة لموسم ثقافي هناك كما دأبهم في كل سنة، فلا بد ذكرت اسمكم كمشارك، وطلبت منهم الاتصال بكم ودعوتكم بالمثال من جهتي بكم، فما هو رأيكم؟ إني أرجح ذلك لأنها جمعية سياسية لها ... فيه تشجيعاً لهم، فإذا وافقتم فالرجاء إرسال تفاصيل الحوار إليهم إذا كان ذلك ضروريا للخليجيين حتى يستخرجوا فيكم ... وهنا أرجو أن تكونوا مع جميع أفراد العائلة بخير. سلامي لكم جميعا ولا تنسوا في الختام التحيات والاحترامات

أخيكم

فضل ...

٢٧ صفر
١٤٠٠هـ

☐ الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الجليل أبا عماد دمت بخير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أرجو أن تكون بخير في هذه العزلة الروحية التي أغبطك عليها في حالات الشدّة والضيق من ناحية ذاتية، وإن كنت أتمنى لطاقاتك الرائعة أن تتحرّك بعيدًا في خدمة الإسلام، لاسيما في هذه الظروف الصعبة. وعلى كلٍّ، فإني أفهمك وأقدّر ظروفك الخاصّة والعامّة.

وصلتني رسالتك في العروض التي دلّلت على ذهنية باحثة ناقدة، نرجو أن نجد إبداعها في الفكر الإسلامي في اللفتات الجديدة فيما تتحفنا به من كلمة قصيرة، كالكلمة المنشورة في عدد (الحكمة) الجديد، والتي نرجو أن تتحفنا بأمثالها في كل عدد، وربما كان هذا سهلاً عليك في أيام العطلة.

لا نزال نعيش الصدمة الكبيرة باستشهاد السيد الصدر وشقيقته، فهي من الصدمات القاسية التي نحتاج إلى وقتٍ طويل للتخلّص من نتائجها السلبية من ناحية روحية ونفسية.. كنت أودّ أن أوفّق للعمرة في هذا الموسم، ولكن الظروف لم تسمح، لاسيما في هذه الأجواء الأمنية القلقة التي تحيط بنا من كل جانب. أرجو ألاّ تنساني من الدعاء، كما لا أنساك منه، مع إبلاغ سلامي لسماحة الشيخ الوالد، مع طلب الدعاء منه. سلامي إلى المحروسين، مع تقديم احترامي للعائلة المصونة.

واسلم لأخيك **محمد**

٢٦ رجب ١٤٠٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد حسين فضل الله

أخي الجليل أبا عماد دمت بخير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد أرجو أن تكون بخير في هذه العزلة الروحية التي قد أغلقت عليك في حالات الشدة والضيق من ناحية ذاتية وإن كنت أتمنى لطاقتك الرائعة أن تتحرك بعيداً في خدمة الإسلام لاسيما في هذه الظروف الصعبة، وعلى كل حال فإني أتفهم جيداً وأقدر ظروفك الخاصة والعامة

وصلتني رسالتك في العروض التي دللت على ذهنية باحثة ناقدة نرجو أن نجد إبداعها في الفكر الإسلامي في الفترات الجديدة فيما تتحفنا به من كلمات قصيرة كالكلمة المنشورة في عدد الكلمة الجديد والتي نرجو أن تتحفنا بأمثالها في كل عدد وربما كان هذا سهلاً عليك في أيام العطلة..

لازلنا نعيش الصدمة الكبيرة باستشهاد السيد الصدر وشقيقته وهي من الصدمات القاسية التي تحتاج إلى وقت طويل للتخلص من نتائجها السلبية من ناحية روحية ونفسية كنت أود أن أوفق للعمرة في هذا الموسم ولكن الظروف لم تسمح، لاسيما في هذه الأجواء الأمنية القلقة التي تحيط بنا من كل جانب أرجو أن لا تنساني من الدعاء كما لا أنساك منه مع إبلاغ سلامي لسماحة الشيخ الوالد مع طلب الدعاء منه سلامي إلى المحروسين مع تقديم احترامي للعائلة المصونة والسلام لأخيك

٢٦ رجب
١٤٠٠ هـ

□ **الرسالة الرابعة**

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي فضيلة العلاّمة الدكتور الشيخ أبي عماد دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

تسلّمتُ رسالتكم الأخوية بعد رجوعي من الجولة الأوروبية التي كانت مفيدة ونافعة من حيث اللقاءات الإسلامية المتعدّدة المتنوّعة، والتي أفدتُ منها كثيرًا، وقد كنتُ أودّ أن تتاح لك ظروف مماثلة لذلك من أجل أن يفيد الإخوان منك في هذه الظروف الصعبة التي تحتاج إلى طاقاتك الفكرية الإسلامية.. هذا، وقد اطّلعتُ على مقالة (في ذكرى السيد الصدر)، وستنشر في العدد القادم إن شاء الله. وأرجو أن توفّق لدراسة شاملة عنه، نظرًا إلى وجود ذكريات خاصّة لك معه، لاسيّما في بداية عمله في الحركة الإسلامية وطبيعة الظروف التي عاشها معها وعاشتها معه. فإن قيمة السيرة ـ كما تعلم ـ بالخصوصيات التي تدخل في التقويم الذاتي للشخصية.. وأنت أفضل من يكتب في هذا المجال.. وليس من المشكلة عدم التصريح باسمك، إذا كان لديك بعض الحرج في ذلك.. وأرجو أن تعطيني نظرك في كلمتي في ذكراه في العدد المزدوج (٩، ١٠) من (الحكمة) الخالية من التوقيع.. لقد أصدرنا مجلة إسلامية للأطفال باسم (أحمد)، ولا أدري هل يمكنكم إعطاءنا فكرة عن إمكانية توزيعها في السعودية، وما السبيل إلى ذلك؟، هذا، وقد كنت أودّ التشرّف بالعمرة في هذا الشهر لولا الظروف التي لم تساعد على ذلك.. إني أشكر لك ملاحظاتك للأخ السيد علي السيد ناصر، وأرجو متابعتها من أجل استمرار العمل الحوزوي والإنساني الإسلامي؛ لأن المرجعية خاضعة لأولادها، الأمر الذي يعطل كثيرًا من فاعلية العمل المنتج.. أما عن مختصر البلاغة، فقد سلمته للسيد باقر الخرسان، وذكر لي أنه صفّ حروفه.. ولا أدري ماذا فعل، وسأسأله إن شاء الله وأخبركم.

ختامًا، تحياتي للإخوان، وللأولاد الأعزاء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم **محمد** ١٥ رجب ١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد حسين فضل الله

أخي فضيلة العلامة الدكتور الشيخ أبي عماد دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تسلمت رسالتكم الأخوية بعد رجوعي من الجولة الأوروبية التي كانت مفيدة وناجحة من حيث اللقاءات الإسلامية المتعددة المتنوعة، والتي أفدت منها كثيراً وقد كنت أود أن تتاح لك ظروف مماثلة لذلك من أجل أن يفيد الإخوان منك في هذه الظروف الصعبة التي تحتاج الطاقات الفكرية الإسلامية.. هذا وقد اطلعت على مقالتك في ذكرى السيد الصدر «قده» وستنشر في العدد القادم إن شاء الله، وأرجو أن توفق لدراسة شاملة عنه نظراً إلى وجود ذكريات خاصة لك معه لاسيما في بداية عمله في الحركة الإسلامية وطبيعة الظروف التي عاشتها معه وما اشتملته من قيمة السيرة - كما تعلم - بالخصوصيات التي تدخل في التقويم الذاتي للشخصية.. وأنت من أفضل من يكتب في هذا المجال.. وليس من المشكلة عدم التصريح باسمك إذا كان لديك بعض الحرج في ذلك.. وأرجو أن تعطيني نظرك في كلمتي في ذكراه في العدد المزدوج (٩ و ١٠) من الكلمة الخالية من التوقيع.. لقد أصدرنا مجلة إسلامية للأطفال باسم أحمد.. ولا أدري هل يمكنكم عملياً أن تفكروا في إمكانية توزيعها في السعودية وما يصل إلى ذلك.. هذا وقد كنت أود التشرف بالعمرة في هذا الشهر لولا أن الظروف لم تساعد على ذلك.. إني أشكر لك ما حملته لأخيك السيد علي ناصر وأرجو متابعته من أجل استمرار العمل الحوزوي والرسالي الإسلامي، لأن المرجعية خاضعة لأولاد (5) الأمر الذي يعطل كثيراً من فاعلية العمل المنتج.. أما عن شقة السفارة فقد سلمته للسيد باقر الخرسان وذكر لي أنه صفى حسابه.. ولا أدري ماذا حصل - وشكراً لك، الله وإخوتكم هنا ما تحتاج سلامي، وللأولاد الأعزاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم [توقيع] ١٥ رجب ١٤٠١هـ

رسالتا السيد محمد تقي الحكيم

☐ الرسالة الأولى

المجمع العلمي العراقي — الوزيرية ـ بغداد

العضو العامل
محمد تقي الحكيم — بسمه تعالى — في: ١٨/ ١/ ١٩٧٤م

أخي العلاّمة الجليل الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

تلقيت ـ بريد شعر ـ تهنئتكم ـ المعبرة ـ بالعيد المبارك أعاده الله عليكم باليمن والبركات.

قد كنت [أتمنى] أن أجد إلى جنب التهنئة حديثًا عن جهدكم ونشاطكم العلمي خلال إقامتكم في مصر وعمّا تمَّ إنجازه في رسالة الدكتوراه، وعسى أن أتلقى رسالة مفصلة عن ذلك، وليس لدي إلا أن أدعو الله لكم بالتوفيق والسداد والرعاية.

سلمتم

لأخيكم/ محمد تقي الحكيم

أرجو إبلاغ تحاياي إلى جميع الإخوان وبخاصّة العلاّمة الرفاعي، كما أرجو أن لا يحرم الأولاد مهدي وعبد الأمير من رعايتكم وتوجيهاتكم. ومن الأولاد عبد الهادي وإخوته يهدونكم أعمق التحايا، وكذلك بقية الأسرة والأصدقاء.

المجمع العلمي العراقي
الوزيرية ـ بغداد

العضو العامل
محمد تقي الحكيم

في ١٨ - ١ - ١٩٧٤

إلى سماحة الجليل الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

[illegible]

محمد تقي الحكيم

[illegible]

☐ الرسالة الثانية

المجمع العلمي العراقي — الوزيرية ـ بغداد

العضو العامل
محمد تقي الحكيم — بسمه تعالى — في: ٢٠/ ٢/ ١٩٧٥م

أخي الأستاذ الكبير العلاّمة الشيخ عبد الهادي الفضلي سلّمه الله

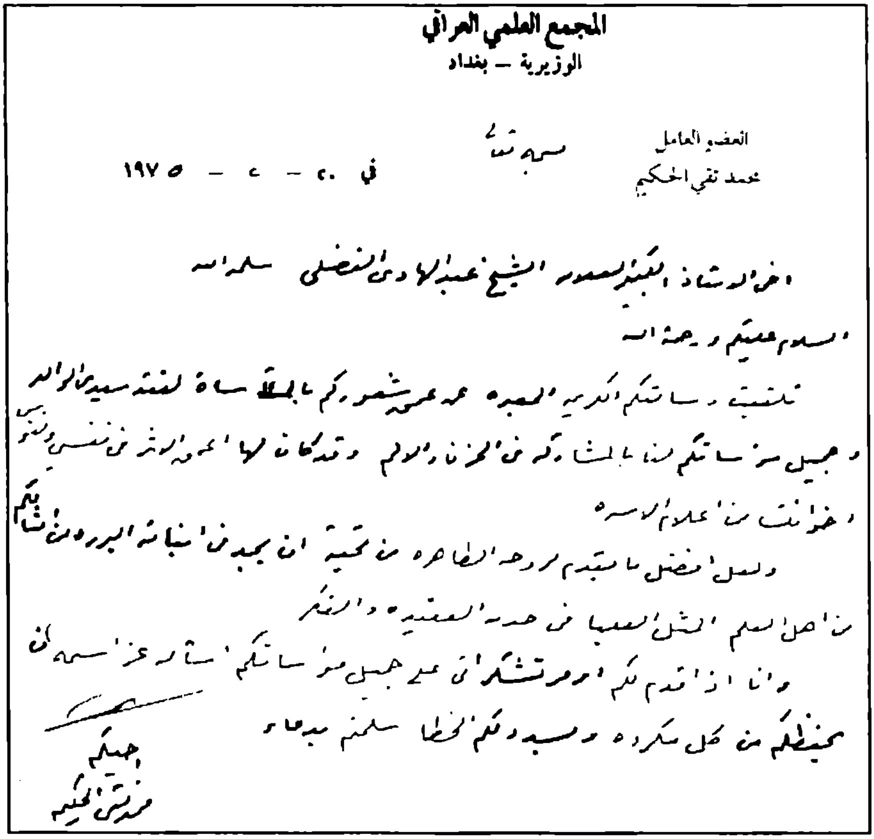
السلام عليكم ورحمة الله

تلقيت رسالتكم الكريمة المعبرة عن عمق شعوركم بالمأساة لفقد سيدي الوالد، وجميل مواساتكم لنا بالمشاركة في الحزن والألم، وقد كان لها أعمق الأثر في نفسي ونفوس إخوانك من أعلام الأسرة.

ولعلّ أفضل ما يقدّم لروحه الطاهرة من تحية أن يجد في أبنائه البررة من أمثالكم من أهل العلم المثل العليا في خدمة العقيدة والفكر.

وأنا إذ أقدم لكم أوفر تشكراتي على جميل مواساتكم أسأله ـ عزّ اسمه ـ أن يحفظكم من كل مكروه ويسدد لكم الخُطَا. سلمتم بدعاء

أخيكم/ محمد تقي الحكيم



المجمع العلمي العراقي
الوزيرية – بغداد

العضو العامل
محمد تقي الحكيم

سري شخصي

في ٢٠ – ٢ – ١٩٧٥

أخي الأستاذ الكبير المصدر الشيخ عبد الهادي الفضلي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله

تلقيت رسالتكم الكريمة المصحوبة بمجموعة شعركم بالمناسبة الفقيد سيدي الوالد
وجميل من سماحتكم هذا [illegible] في الحزن والألم وقد كان لها أعمق الأثر في نفسي ونفوس
إخواني من أعلام الأسرة
ولعل أفضل ما يقدم لروحه الطاهرة من تحية أن يجد في أبنائه البررة من أشباهكم
من أهل العلم المثل العليا في خدمة العقيدة والفكر
وأنا إذ أقدم لكم الشكر الجزيل على جميل مواساتكم أسأل الله عز اسمه أن
يحفظكم من كل مكروه ويسدد لكم الخطا سالمين مع الدعاء

محبكم
محمد تقي الحكيم

رسالتا الشيخ محمد جواد مغنية

□ الرسالة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ

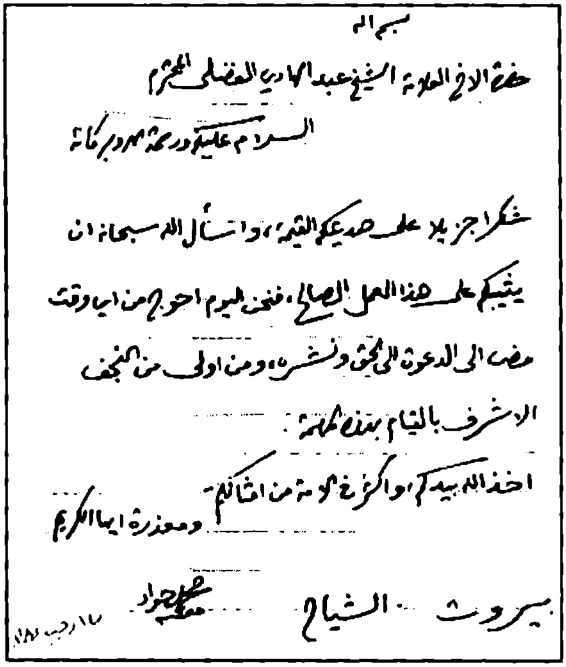
حضرة الأخ العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكرًا جزيلاً على هديتكم القيّمة، وأسأل الله سبحانه أن يثيبكم على هذا العمل الصالح، فنحن اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى الدعوة إلى الحق ونشره، ومن أولى من النجف الأشرف بالقيام بهذه المهمّة. أخذ الله بيدكم وأكثر في الأمة من أمثالكم.

ومعذرة أيها الكريم.

بيروت - الشياح محمد جواد مغنية ١٧ رجب ١٣٨١هـ



بسمه

حضرة الاخ العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكرا جزيلا على هديتكم القيمة، واسأل الله سبحانه ان يثيبكم على هذا العمل الصالح، فنحن اليوم احوج من اي وقت مضى الى الدعوة الى الحق ونشره، ومن اولى من النجف الاشرف بالقيام بهذه المهمة.

اخذ الله بيدكم، واكثر في الامة من امثالكم.

ومعذرة ايها الكريم

بيروت - الشياح محمد جواد ١٧ رجب ٨١

□ الرسالة الثانية

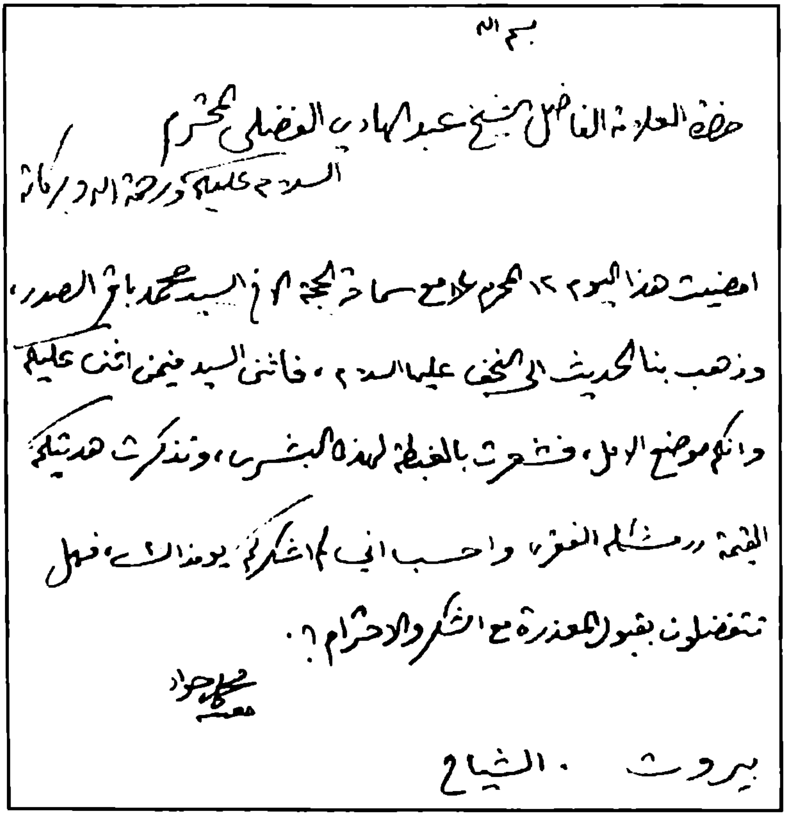
بِسْمِ اللهِ

حضرة العلامة الفاضل الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمضيت هذا اليوم ١٢ محرّم ١٣٨٢هـ مع سماحة الحجّة الأخ السيد محمد باقر الصدر، وذهب بنا الحديث إلى النجف عليها السلام، فأثنى السيد فيمن أثنى عليكم، وأنكم موضع الأمل، فشعرت بالغبطة لهذه البشرى، وتذكرت هديتكم القيمة «مشكلة الفقر»، وأحسب أني لم أشكركم يومذاك، فهل تتفضلون بقبول المعذرة مع الشكر والاحترام؟.

بيروت ـ الشياح محمد جواد مغنية


بسم الله

حضرة العلامة الفاضل الشيخ عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

امضيت هذا اليوم ١٢ محرم ٨٢ مع سماحة الحجة الأخ السيد محمد باقر الصدر، وذهب بنا الحديث الى النجف عليها السلام، فأثنى السيد فيمن اثنى عليكم وانكم موضع الامل، فشعرت بالغبطة لهذه البشرى، وتذكرت هديتكم القيمة «مشكلة الفقر» واحسب اني لم اشكركم يومذاك، فهل تتفضلون بقبول المعذرة مع الشكر والاحترام؟.

محمد جواد مغنية

بيروت ـ الشياح

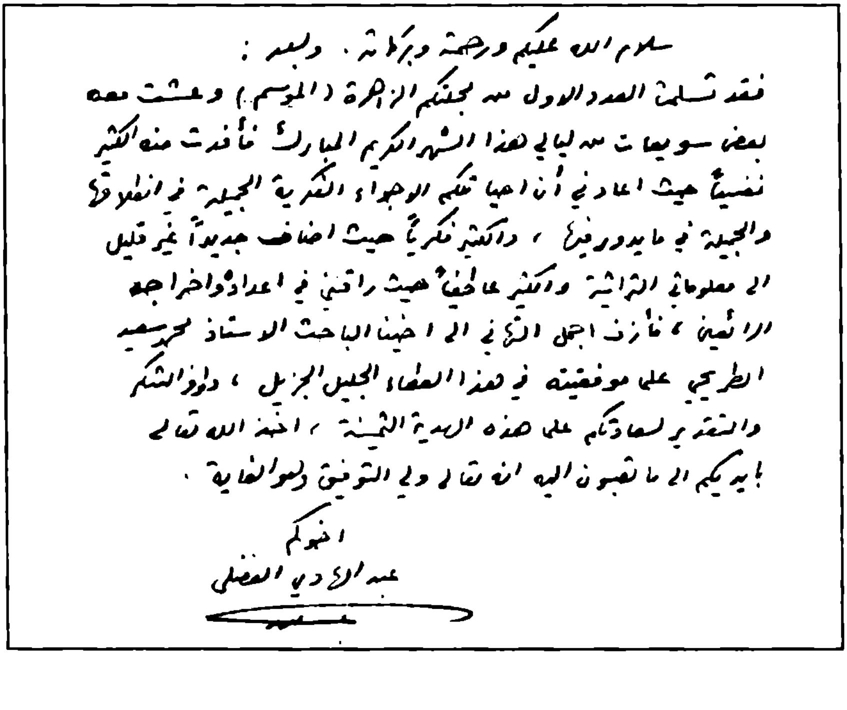
رسائل الفضلي إلى سعادة الأستاذ محمد سعيد الطريحي

□ الرسالة الأولى

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فقد تسلّمتُ العدد الأول من مجلتكم الزاهرة (الموسم)، وعشتُ بعض سويعات من ليالي هذا الشهر الكريم المبارك، فأفدتُ منه الكثير نفسيًّا حيث أعادني أن أحيا تلكم الأجواء الفكرية الجميلة في انطلاقها والجميلة فيما يدور فيها، والكثير فكريًّا حيث أضاف جديدًا غير قليل إلى معلوماتي التراثية، والكثير عاطفيًّا، حيث راقني في إعداده وإخراجه الرائعين، فأزفّ أجمل التهاني إلى أخينا الباحث الأستاذ محمد سعيد الطريحي على موفقيته في هذا العطاء الجليل الجزيل، وأوفر الشكر والتقدير لسعادتكم على هذه الهدية الثمينة، أخذ الله تعالى بأيديكم إلى ما تصبون إليه. إنه تعالى ولي التوفيق، وهو الغاية.

أخوكم/ عبد الهادي الفضلي


سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :
فقد تسلمت العدد الاول من مجلتكم الزاهرة (الموسم) وعشت مع بعض سويعات من ليالي هذا الشهر الكريم المبارك فأفدت منه الكثير نفسياً حيث اعادني أن احيا تلكم الاجواء الفكرية الجميلة في انطلاقها والجميلة في ما يدور فيها ، والكثير فكرياً حيث اضاف جديداً غير قليل الى معلوماتي التراثية والكثير عاطفياً حيث راقني في اعداده واخراجه الرائعين ، فأزف اجمل التهاني الى اخينا الباحث الاستاذ محمد سعيد الطريحي على موفقيته في هذا العطاء الجليل الجزيل ، واوفر الشكر والتقدير لسعادتكم على هذه الهدية الثمينة ، اخذ الله تعالى بأيديكم الى ما تصبون اليه انه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية .

اخوكم
عبد الهادي الفضلي

□ **الرسالة الثانية**

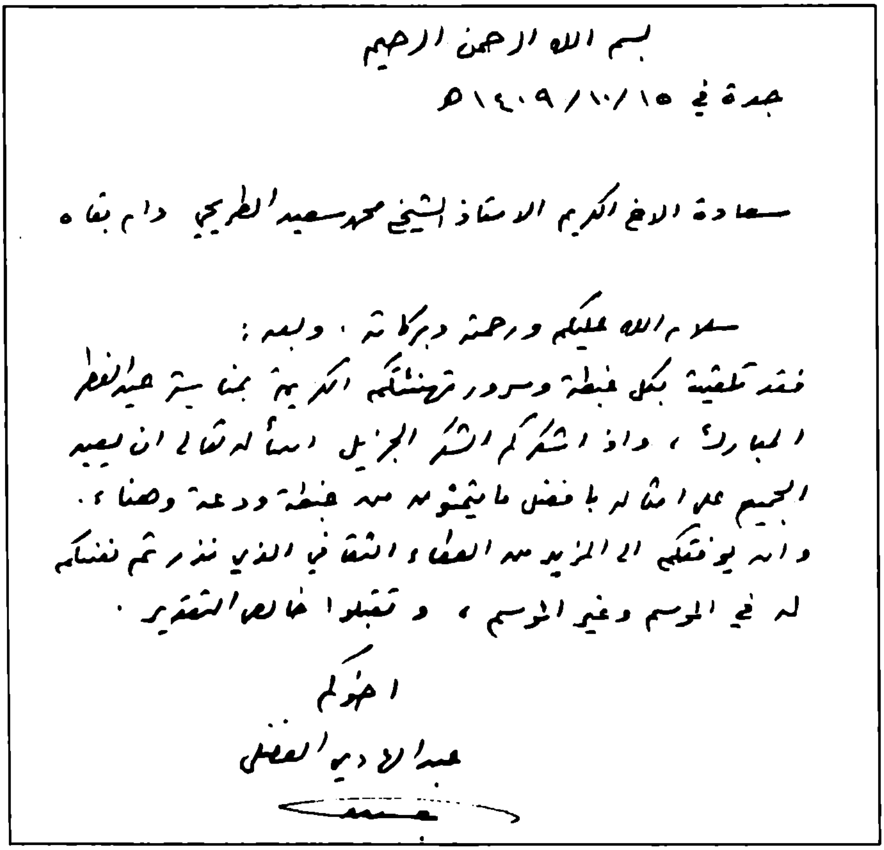
بسم الله الرحمن الرحيم

جدة في ١٥/ ١٠/ ١٤٠٩هـ

سعادة الأخ الكريم الأستاذ الشيخ محمد سعيد الطريحي دام بقاه

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فقد تلقّيت بكل غبطة وسرور تهنتكم الكريم بمناسبة عيد الفطر المبارك، وإذ أشكركم الشكر الجزيل أسأله تعالى أن يعيد الجميع على أمثاله بأفضل ما يتمنون من غبطة ودعة وهناء. وأن يوفقكم إلى المزيد من العطاء الثقافي الذي نذرتم نفسكم له في الموسم وغير الموسم، وتقبلوا خالص التقدير. أخوكم/ عبد الهادي الفضلي



بسم الله الرحمن الرحيم

جدة في ١٥/١٠/١٤٠٩هـ

سعادة الاخ الكريم الاستاذ الشيخ محمد سعيد الطريحي دام بقاه

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

فقد تلقيت بكل غبطة وسرور تهنئتكم الكريمة بمناسبة عيد الفطر المبارك ، واذ اشكركم الشكر الجزيل اسأله تعالى ان يعيد الجميع على امثاله بافضل ما يتمنون من غبطة ودعة وهناء . وان يوفقكم الى المزيد من العطاء الثقافي الذي نذرتم نفسكم له في الموسم وغير الموسم ، وتقبلوا خالص التقدير .

اخوكم

عبد الهادي الفضلي

□ **الرسالة الثالثة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٧/ ٣/ ١٤١٠هـ

سعادة الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد الطريحي المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فقد زرتُ دمشق خلال الشهر المنصرم وحاولت رؤيتكم؛ لأنّ في شديد الشوق لذلك، ولكني لم أوفّق، وعزّ عليّ أن أغادر دمشق ولم أتشرّف برؤياك، أرجو أن أوفق لهذا في فرصة قريبة.

مرفق به بحث عن (يلملم) ـ من مواقيت الحج ـ مع صورتين إحداهما لجبل يلملم والأخرى لمسجده، أرجو التفضل بنشر البحث على صفحات مجلتكم الغراء (الموسم) إن رأيتموه صالحًا للنشر، علمًا بأنه واحد من عدّة بحوث في معالم الحج والزيارة جمعت مادتها منذ أمد غير قصير وبعد قيامي بعدة زيارات استطلاعية لمعرفتها عن كثب.

قدمت كتابي (تحقيق التراث) للطبع ثانيةً عن طريق دار الشروق بجدّة بعد أن أضفتُ على طبعته الأولى، وعند صدوره سوف أرسل لسعادتكم.

تحياتي وأشواقي لأخي العزيز الشيخ الهلالي والدكتور جمال الدين، ولجميع من حولكم من الزملاء والأصدقاء.. ودمتم موفقين.

أخوكم/ عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٧/٢/١٤٢٠هـ

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الطريحي المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

فقد زرت دمشق خلال الشهر المنصرم وحاولت رؤيتكم لأنني شديد الشوق لذلك ولكن لم أوفق ، وحتم عليّ أن أغادر دمشق ولم أتشرف برؤيتك ، أرجو أن أوفق لذلك في فرصة قريبة .

مرفق به بحث عن (يلملم) أحد مواقيت الحج - مع صورتين إحداهما لجبل يلملم والأخرى لمسجده ، أرجو التفضل بنشر البحث على صفحات مجلتكم الغراء (الموسم) إن رأيتموه صالحاً للنشر ، علماً بأنه واحد من عدة بحوث في معالم الحج والزيارة جمعت مادتها منذ أمد غير قصير وبعد قيامي بعدة زيارات استطلاعية لمعرفتها عن كثب .

قدمت كتابي (تحقيق التراث) للطبع ثانية عن طريق دار الشروق بجدة بعد أن أضفت على طبعته الأولى ، وعند صدوره سوف أرسل لسعادتكم .

تحياتي وأشواقي لأخي العزيز الشيخ الخليلي والدكتور جمال الدين ولجميع من حولكم من الأعلام والأصدقاء .. ودمتم موفقين .

أخوكم

عبد الهادي الفضلي

□ **الرسالة الرابعة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ١/ ٤/ ١٤١٠هـ

الأخ العزيز الأستاذ محمد سعيد الطريحي دمت بخير

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

تسلمتُ ـ بكلّ غبطة وسرور ـ رسالتكم الكريم المؤرّخة ١٤/ ٣/ ١٤١٠هـ. فأشكركم على تفضّلكم بالموافقة على نشر بحثي عن (يلملم)، كما أشكركم على العدد (٢ ـ ٣) الذي وصلني عن طريق جدّة، وقد بعثتُ قسيمة الاشتراك بشيك على بنك الاعتماد، ويؤسفني جدًا أن أكون قد ضايقتكم بإرساله على غير العنوان الذي أمرتم بأن أرسل عليه، وذلك لعدم معرفتي بالعنوان الجديد، ولعدم علمي بأن ذلك يضايقكم، فأرجو السماح.

وبشأن العدد الخاصّ(*)، فقد كلفتُ بعض الأصدقاء بذلك، إلاّ أني لا أستطيع أن أرفع لكم الإجابة بـ «نعم» أو «لا» إلاً بعد عودتي من لندن التي ستكون آخر الشهر الجاري، حيث أكون قد عرفتُ ما انتهينا إليه من إعداد للموضوعات.

وبخصوص «ذكرى سيدي الوالد ﷺ»، فقد أعددتُ كتابًا بعنوان: «في ذكرى أبي»، وصل إلى ٢٠٠ صفحة، وأنا الآن في دور تبييضه.

تقبلوا خالص تقديري مع خالص تحياتي إلى الإخوة الأعزة الشيخ الهلالي والدكتور جمال الدين والسيد آل مكي والسيد عبد الزهراء وجميع الأخوة.

أخوكم/ عبد الهادي الفضلي

(*) كان سعادة رئيس التحرير الأستاذ الطريحي قد طلب من الدكتور الفضلي المبادرة بإعداد ملف خاصّ من مجلة الموسم عنه ﷺ. لجنة المؤلّفات

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ١/٤/١٤١٠هـ

الأخ العزيز الأستاذ محمد سعيد الطريحي دمتم بخير

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :

تسلمت - بكل غبطة وسرور - رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٤/٣/١٤١٠هـ فأشكركم على تفضلكم بالموافقة على نشر بحثي عن (ديلمان) ، كما أشكركم على العدد (٢-٣) الذي وصلني عن طريق جدة ، وقد بعثت قيمة الاشتراك بشيك على بنك الاتحاد ، ويؤسفني جداً أن أكون قد ضايقتكم بإرساله على غير العنوان الذي أمرتم بأن أرسل عليه وذلك لعدم معرفتي بالعنوان الجديد ولعدم علمي بأن ذلك يضايقكم خارج السياج .

وبشأن العدد الخاص فقد كلفت بعض الأصدقاء بذلك إلا أني لا أستطيع أن أرفع لكم الإجابة بنعم أو لا إلا بعد عودتي من لندن التي ستكون آخر الشهر الجاري حيث أكون قد عرفت ما انتهيا إليه من إعداد للموضوعات .

وبخصوص ذكرى سيدي الوالد - قدس سره - فقد أعددت كتاباً بعنوان (في ذكرى أبي) وصل إلى ٢٠٠ صفحة ، وأنا الآن في دور تبييضه .

تقبلوا خالص تقديري مع خالص تحياتي إلى الإخوة الأعزة الشيخ الخليلي والدكتور جمال الدين والسيد آل مكي والسيد عبد الزهراء وجميع الإخوة .

أخوكم

عبد الهادي الفضلي

☐ الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

لندن في ٤/ ٧/ ١٩٩٠

أخي الكريم الأستاذ محمد سعيد الطريحي المحترم

تحية كريمة وبعد:

فبين يديك الكريمتين المقال المرفق عن «قبر أبي ذرّ» للنشر في مجلة الموسم الغرّاء، إن رأيتموه صالحًا لذلك.

أرجو أن أراكم في مهرجان الغدير؛ لأنّي شديد الشوق لرؤيتكم.

وتقبلوا فائق الاحترام

المخلص/ عبد الهادي

مع المقال:

١) خريطتان

٢) خمس صور

بسم الله الرحمن الرحيم

لندن في ١٤/٧/١٩٩٠

أخي الكريم الأستاذ محمد سعيد الطريحي المحترم

تحية زكية وبعد

نضع بين يديك أيها الأخ المقال المرفق عن (قبر أبي ذر) للنشر في مجلة الموسم الغراء إن رأيتموه صالحاً للنشر.

أرجو أن أراكم في موسم الحج القادم لأني شديد الشوق لرؤيتكم.

وتقبلوا فائق الاحترام

المخلص

[illegible]

مع المقال:

١- خريطتان

٢- خمس صور

□ **الرسالة السادسة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٢١/ ١/ ١٤١١هـ = ١٢/ ٨/ ١٩٩٠م

الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد الطريحي الموقّر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

شرفتني رسالتك الكريمة مع الصور، فشكرًا لك، ومرفق به بحث عن (الجحفة). أرجو التفضّل بنشره على صفحات الموسم الغرّاء إن رأيتموه صالحًا للنشر.

وسيصلكم في البريد أو غيره بعض الذكريات لعلماء من المنطقة، وموضوعات أخرى للعدد الخاصّ.

وتفضّلوا بقبول تحيات الولد فؤاد، وهو في صدد جمع بعض الصور والموضوعات لإرسالها إليكم. ودمتم موفقين.

أخوكم/ عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٢١/١/١٤١١هـ
١٢/٨/١٩٩٠م

الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد الطريحي المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد:

شرفتني رسالتك الكريمة مع الصور، فشكراً لك، ومرفق به بحث عن (الحويزة) أرجو التفضل بنشره على صفحات الموسم الغراء إن رأيتموه صالحاً للنشر.

وسيصلكم في البريد أو غيره بعض الذكريات لعلماء من المنطقة، وموضوعات أخرى للعدد الخاص.

وتفضلوا بقبول تحيات الولد فؤاد، وهو في صدد جمع بعض الصور والموضوعات لإرسالها إليكم، ودمتم موفقين.

أخوكم

عبد الهادي الفضلي

☐ الرسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٢٥/ ٥/ ١٤١١هـ = ١٢/ ١٢/ ١٩٩٠م

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الطريحي الموقّر

تحية كريمة وبعد:

أرفق به صورة للنصر وصورة وشعرًا لعلي جعفر من شعراء الشباب في سيهات (القطيف)، راجيًا أن يكون آخر ما أرسلته لك في بريدين متتابعين قد وصلك وبخاصّة فهرست مؤلّفات الأحسائية وفهرس كتاب الأزهار الأرجية.

سوف أغادر أواخر الأسبوع الآتي إلى أمريكا لحضور مؤتمر جماعة الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا.

سلامي إلى جميع الإخوة الأساتذة من حولك، ودمت بخير.

المخلص/ عبد الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر في ٢٥/٥/١٤٢١هـ = ١٢/١٢/١٩٩٠م

سعادة الأخ الأستاذ محمد سعيد الطريحي الموقر

تحية كريمة، وبعد

أرفق به صورة للنشر وصورة من شعر الشيخ علي جعفر من شعراء الشباب في سبعينات (القطيف).

راجياً أن تكون من آخر ما أرسلته لك في بريدين متتابعين قد وصلك، وبخاصة فهرسة مؤلفات الإحسائيين وفهرس كتاب الأزهار الأرجية.

سوف أغادر أواخر الأسبوع الآتي إلى أمريكا لحضور مؤتمر جمعية الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا

سلامي إلى جميع الإخوة الأساتذة من حولك، ودمت بخير.

المخلص

رسائل من الدكتور عبد الله الجبوري

□ الرسالة الأولى

بغداد ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ

أخي الدكتور الأستاذ عبد الهادي الفضلي المحترم

لك التحية والحبّ الثابت،

أخي الكريم استقرّ بي المقام أستاذًا في الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب، وقد حرصت أن تبقى وشائج الإخاء قائمة بيننا، أبعث بهذه التحية آملاً أن تكون بخير وعافية وفي نشاط علمي بارع كما أعهد وأحبّ .. بارك الله فيك .. وحفظك..

وهل يعنّ لك شيء من مطبوعات العراق.. التراثية والثقافية .. فأخوك تجده مسرورًا بتشريفه بتلبية ما تريد،

مع خالص الودّ للإخوة أساتذة الكلية ..

وإلى لقاء

المخلص

عبد الله الجبوري

بغداد، كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية

بغداد

١٩ ربيع الثاني ١٤١٠هـ

أخي الدكتور الأستاذ عبد الهادي الفضلي (حفظه الله)

لك التحية والحب الثابت،

أخوك المكرم استقر بي المقام أستاذاً في الجامعة المستنصرية - كلية الآداب. وقد حرصت أن تبقى وشائج الإخاء قائمة بيننا، أبعث بهذه التحية آملاً أن تكون بخير وعافية ونشاط في عمل بارع كما أعهد وأحب.. بارك الله فيك.. وحفظك..

وهل يهمك شيء من مطبوعات العراق.. التراثية والثقافية.. فأخوك تجده مسروراً بتشريفه بتلبية ما تريد.

مع خالص الود للأخوة أساتذة الكلية..

وإلى اللقاء

المخلص

عبدالله الجبوري

بغداد، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

☐ **الرسالة الثانية**

أخي المكرّم الأستاذ الدكتور عبد الهادي الفضلي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخي الكريم، يا وديعة الغريّ الأغرّ، حللتُ الرياض قبل أيام منتدبًا في مكتب التربية العربي لدول الخليج، وهو منظّمة دولية خليجية، مستشارًا ثقافيًّا فيه.. وكم سرّني وملأ جوانحي كم عزّة وسرور أن وَقَعَ بصري في إحدى المكتبات في الرياض على آثارك.. موقعًا إلى جنب اسمك مكانتك العلمية، وأنت أهلٌ لها. بارك الله فيك .. وإلى لقاء قريب إن شاء الله.

المخلص

د. عبد الله الجبوري

الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج

ص. ب: ٣٩٠٨

هاتف: ٤٧٨٩٨٨٩

[*] **ملاحظة:**

أخي الكريم، سألني بعض شباب العراق عن شروط القبول للدكتوراه، هل في قسمكم دراسة لها؟ وما هي شروطها؟

أخي المكرم الأستاذ الدكتور عبدالهادي الفضلي - المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أخي الكريم، يا وديعة الخير الأغر، حللت الرياض قبل أيام للعمل منتدباً في مكتب التربية العربي لدول الخليج، وهو منظمة دولية خليجية، مستشاراً ثقافياً فيه. وكم سرني وملأ جوانحي من عزة وسرور.. أن وقع بصري في إحدى المكتبات في الرياض على بعض آثارك.. موقعاً الالقب اسمك مكانتك العلمية، وأنت أهل لها، بارك الله فيك وأيدك.. وإلى لقاء قريب إن شاء الله

أخوك

د. عبدالله الجبوري

الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص.ب ٣٩٠٨

هاتف ٤٧٨٩٨٨٩

ملاحظة:

أخي الكريم يسألني بعض شباب العراق، عن شروط القبول للدكتوراه، هل في قسمكم ودراسة لها؟ وما هي شروطها.

□ **الرسالة الثالثة**

أخي العزيز الدكتور الأستاذ عبد الهادي الفضلي المحترم

التحية الطيّبة لأخي المكرّم، وبعد

أرجو لك التوفيق والسعادة والتوفيق.. منذ أكثر من ثلاثة أعوام سعدت بردّك الكريم على إحدى رسائلي، ولم أسعد بشيء آخر من رسائلك ـ حفظك الله.

أخي المكرّم، كلفتني كلية العلوم الاجتماعية في الرياض بإلقاء محاضرات على طلبة قسم المخطوطات فيها منذ سنتين.. ولي عندهم درس اسمه: «تحقيق التراث».. وقد علمتُ أن لك كتابًا بهذا الموضوع.. فهل يتكرّم الأخ الكريم بإرشادي إلى جهة نشره أو توزيعه.. لتقريره على الطلاّب، ثمّ أسأل أخي عن عميد شؤون المكتبات في جامعتكم، لمراسلته حول إرسال: دليل التدريسيين السعوديين الذي صدر أخيرًا.

آمل أن يتكرّم الأخ الأعزّ بالإجابة، مع خالص الودّ والإجلال.

المخلص

عبد الله الجبوري

ص. ب: ٣٩٠٨

الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

ARAB BUREAU OF EDUCATION FOR THE GULF STATES

مكتب التربية العربي لدول الخليج

Ref. | الرقم :
Date. | التاريخ :
Inc. | المشفوعات :
Sub. | الموضوع :

أخي العزيز الدكتور الأستاذ عبد الهادي الفضلي المحترم

التحية الطيبة لأخي المكارم، وبعد.

أرجو لك التوفيق والسعادة والتوفيق.. منذ أكثر من ثلاثة أعوام سعدت بزيارتك الكريمة، عاد أحدث رسائلي، ولم أسعد بشيء آخر من رسائلك. حفظك الله..

أخي الكريم، كلفتني كلية العلوم الاجتماعية في الرياض بالقيام بمحاضرات على طلبة قسم المخطوطات نظريًا، منذ سنتين.. ولي عندهم درس اسمه: تحقيق التراث... وقد علمت أن لك كتابًا بهذا الموضوع.. فهل يتكرم دكتوري الكريم بإرشادي إلى جهة نشره أو توزيعه.. لتقريره على الطلاب، ثم أسأل أخي عن عميد شؤون المكتبات في جامعتكم، لمراسلته حول إرسال: دليل التدريسيين السعوديين الذي صدر أخيرًا.

أمل أن يتكرم الأخ الأعز بالإجابة، مع خالص الود والإجلال.

أخوك

عبد الله الجبوري

الرياض. ص.ب ٣٩٠٨

مكتب التربية العربي لدول الخليج.

تلفون : [illegible] ـ برقيا ـ تربية ـ تلكس ٤٠١٤٤١ تربية اس.جي ـ ص.ب ٣٩٠٨ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

Tel. [illegible] - Cable: Tarbiah - Telex 801441 Tarbia SJ - P.O.Box 3908 - Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

رسائل متفرّقة

□ **من الشيخ ميرزا حسين البريكي القطيفي**

حضرة الفاضل الأخ الكريم الشيخ عبد الهادي فضلي الموقَّر

إليكم تحياتي اللايقة، وتسليماتي الفايقة مصحوبة بالتهاني الجليلة.

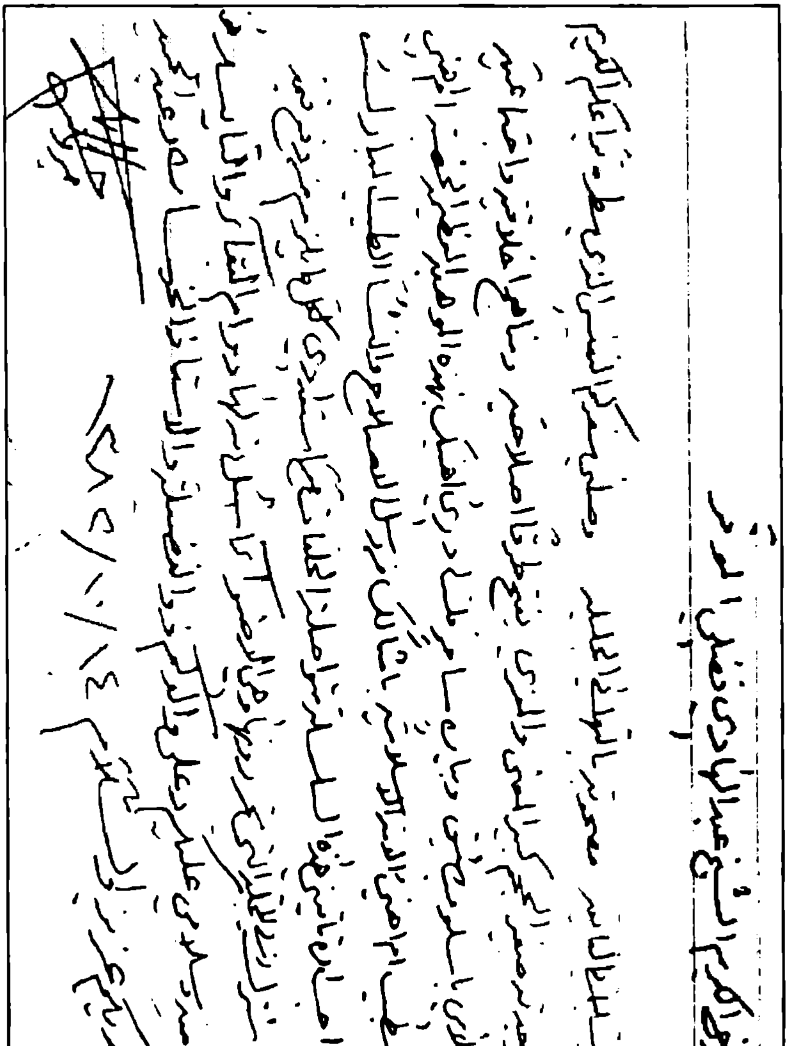
وصلني سِفركم النفيس الذي سطَّره يراعكم الكريم «من البعثة إلى الدولة»، فوجدته صغير الحجم، كبير المعنى والمغزى، يفتح طرقًا إصلاحية، ومناهج أخلاقية واجتماعية، ويوضح أسس المجتمع الإسلامي بأسلوب شيّق وبيان ساحر. فلستُ أدري أهنيك بهذه الموهبة العظيمة الخصبة، أم أهني النجف الأشرف بإنتاجه الطيب، أم أهني الأمة الإسلامية بأمثالك من رسل الإصلاح والنشاط الطيب المبارك، إن الجميع لمُهنَّأون.

وأنا أحب أن تأتيني هذه السلسلة متواصلة الحلقات مع استعدادي لكل ما يلزم من دفع قيمة الاشتراك.

كذلك أرغب أن أشترك في المجلة التي تحرّرونها وهي «الأضواء»، أسأل الله لها دوام البقاء والتأييد.

وأترككم في رعاية الله وأمنه، وسلامي عليكم وعلى والدكم ذي الفضيلة، والأستاذ الخرسان وعبد الحميد الشيخ سلمان، ومَن هو لديكم عزيز.

والسلام. ١٤/ ١٠/ ١٣٨٢هـ **ميرزا حسين**



حضرة الفاضل الأخ الكريم الشيخ عبد الهادي فضلي الموقر

إليكم تحيات الأخوة ورسائل الأشواق مصحوبة بالتهاني الجليلة وصلني سفركم النفيس الذي سطره يراعكم الكريم في المشتركات الدولية فوجدته صغير الحجم كبير المعنى والمغزى يفتح طرقاً إصلاحية ومناهج أخلاقية واجتماعية ويوضح أسس المجتمع الإسلامي بأسلوب شيق وبيان ساحر فلا [illegible] أهنيك بهذه الموهبة العظيمة المحببة أم أهني النجف الأشرف بأنجاب الطيب أم أهني الأمة الإسلامية بأمثالك من رسل الإصلاح والنشء الطيب المبارك إن الجميع لهنا [illegible] وأنا أحب أن تأتيني هذه السلسلة متواصلة الحلقات فإني مستعد لدي لكل ما يلزم من دفع قيمة الاشتراك كذلك أرجو أن أشترك في المجلة التي تحررونها وهي الأضواء كما أسأل لها دوام التقدم والتأييد وأتركم في رعاية الله واحمد وسلامي عليكم وعلى [illegible] الكرام ذوي الفضيلة والأستاذ الخطيب [illegible] الشيخ عبد الحميد الشيخ سلمان ومن هو لديكم عزيز والسلام ١٤/١٠/١٣٨٢

[illegible]

□ من الشيخ عبد الأمير الجمري

بسم الله الرحمن الرحيم

البحرين في ٤/ ١١/ ١٣٩٧هـ

أخي الأعزّ العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي الموقّر

سلام عليكم، وتحية مني إليكم، داعيًا المولى (سبحانه) أن يقيكم كل سوء ومكروه، ويتمّ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً، إنه سميع مجيب.

أما بعد، فإنني أشكرك الشكر كله على تفضلك بالكتابة إليَّ وعلى حسن ظنّك بي وتشجيعك لي فيما ذكرتَ به كتابي من الثناء والقبول، وتلك هي عين الرضا، والعادة الكريمة التي ألفناها فيكم من التشجيع والتسديد، فشكرًا لكم وألف شكر.

عزيزي .. إن تلك السويعات القصيرة، اللمحة الخاطفة، التي وقفنا فيها لرؤيتكم والاجتماع معكم لتجدِّد الشوق وتؤكّد الحرص وتضاعف الرغبة لرؤيتكم والاجتماع بسماحتكم ولو بالشكل الذي يبلّ الصدى، فعسانا نحظى بذلك، وعسى الحظّ يسعفنا بتشريفكم ثانيًا لنستفيد منكم ما نحن في حاجة إليه من فكر وإرشادٍ وتوجيه.

تحياتي إلى الأولاد الأعزاء. والسلام عليكم مني ومن العم الشيخ عطية الجمري والشيخ سليمان والشيخ عيسى وبقية زملائنا في الجمعية. والله يرعاكم.

لأخيك/ عبد الأمير منصور الجمري

بسم الله الرحمن الرحيم

البحرين في ٤ / ١١ / ١٢٩٧هـ

أخي الأعز العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي **الموقر**

سلام عليكم ورحمة من الله لكم وأدعو المولى (سبحانه) أن يقيكم كل سوء ومكروه ويتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة إنه سميع مجيب

أما بعد فإنني أشكرك الشكر كله على تفضلك بالكتابة إلي وعلى حسن ظنك بي وتشجيعك لي فيما ذكرت به كتابك من الثناء والشعور الجليل، وتلك هي عين الرضا، والعادة الكريمة التي ألفناها فيكم من التشجيع والتسديد فشكراً لكم وألف شكر.

عزيزي

إن تلك السويعات **القصيرة، اللمحة الخاطفة**، التي وفقنا فيها لرؤيتكم والاجتماع معكم لتجدد الشوق وتؤكد الحرص وتضاعف الرغبة لرؤيتكم والاجتماع بسماحتكم ولو بالشكل الذي يبل الصدى، فعسانا نحظى بذلك، وعسى الحظ يسعفنا بتشريفكم ثانياً لنستفيد منكم ما نحن في حاجة إليه من فكر وإرشاد وتوجيه.

تحياتي إلى الأولاد الأعزاء والسلام عليكم مني ومن الأخوة الشيخ عطية الجمري والشيخ سلمان والشيخ عيسى وبقية زملائنا في الجمعية والله يرعاكم

أخوكم

عبد الأمير منصور الجمري

(التوقيع)

□ إلى الشيخ محمد أمين زين الدين

سماحة الإمام المجتهد الشيخ محمد أمين زين الدين دامت بركاته وإفاداته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

زارني يوم أمس بجدّة أحد الأصدقاء الخطباء، فأفجعنا والأسرة جميعًا بالنبأ المؤلم بوفاة المغفور له الحجة الكبير الشيخ علي ـ طيب الله ثراه وأحسن له المثوى.

فيا للأسى أن تترى الفواجع فيتلو الرعيلَ الرعيلُ، ويتبع إثر العَلَم الآخرُ، فتعظم الخسارة في مجتمع الحوزة ومجمعها، وأن يكون آخر أنبائها إلينا خسارتها بالفقيد الغالي الذي فقدت برحيله عنها الأستاذ المربّي الذي وقف حياته الشريفة لخدمة العلم درسًا وتدريسًا قاصدًا بذلك رضا الله تعالى وبإخلاص العمل له وحده، الظاهرة التي لمسها فيه الجيل بعد الجيل من طلابه الأوفياء الذين يكنون له كل محبة وتقدير، فنأى بهذا بشرف نفسه وحرمة دينه عن تصادم الطغام وتزاحم اللئام، حتى مضى إلى ربّه تعالى نقيّ الإهاب، لم تدنّسه جاهلية هذه الدنيا بأوضارها وأوزارها.

وإذ أرفع لسماحتكم أحر التعازي وأشجاها بهذا المصاب الجلل، أسأله تعالى أن يتغمّد الفقيد بالرحمة والرضوان، وأن يلهمكم وإيانا الصبر والسلوان، إنه سميع مجيب.

ابنكم المخلص/ عبد الهادي ١٧/ ٢/ ١٤٠٧هـ

سماحة الامام المجاهد الشيخ محمد امين زين الدين دامت بركاته [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

زارني يوم امس [illegible] احد الاصدقاء الكويتيين فاجعنا [illegible]

بالنبأ المؤلم بوفاة الفقيد له الجزاء الجزيل على [illegible] طيب الله ثراه

واحسن لها مثواه

فيا للاسى ان [illegible] المرجع [illegible] العالم الاسلامي

[illegible]

الغالي الذي فقدت [illegible] الذي [illegible] وقف حياته الشريفة

لخدمة العلم ودينه [illegible] ابتغاء مرضاة الله تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالرحمة والرضوان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١٤٠٧/٢/١٧

□ من السيد طاهر أبو رغيف

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا الأستاذ عبد الهادي الفضلي الموقّر

تحية مباركة

قرأتُ رسالتكم القيّمة «مشكلة الفقر»، فوقفتُ مرةً أخرى على آرائكم الجريئة التي لم تكن غريبة عليّ، وقد أكبرتُ فيك الروح التي انطبعت على الإيمان الذي لا يعلوه غبار التدليس أو المداهنة في الأمور التي كانت من ضرورات الدين في صميم التشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وإني لأرجو أن تكون رسالتك هذه أول الغيث وأن تتاح لك الفرصة فتبعث برسائل أخرى تقول للناس: إن في الإسلام قوّة، وإنّ في تلك القوّة ضمانًا لحقوق الإنسان في مختلف نواحي الحياة.

إنّ ما يدعو للإعجاب هو أن تصدر رسالتك هذه وأنت في غمرة الواجبات الدراسية، حيث تعدّ نفسك في معاهد العلم للدفاع عن الإسلام وعن مبادئه المقدّسة.

«إنّك ابنُ مَنْ عرفتُ».

وأنت لِمثل هذا، ولِلأهم من الأمور. فاعمل ما استطعتَ لنصرة الإنسانية في محنتها بأبنائها الذين رغبوا عن الدين، فانقلبوا على أعقابهم يتخبّطون في ظلمات من الجهل والعناد والمكابرة حتّى صار الربا المحرّم عماد للثروة والقمار سندًا للاقتصاد.

إن كلّ ما أرجوه أن تكون موفقًا في مساعيك مجدّدًا في دعوتك إلى الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

المخلص/ طاهر السيد عبد الله أبو رغيف

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا الاستاذ عبد الهادي الفضلي المحترم
تحية مباركة

قرأت رسالتكم القيمة (مشكلة الفقر) فوقفت مرة اخرى على آرائكم الجريئة التي لم تكن غريبة علي .
وقد اكبرت فيك الروح التي انطبعت على الايمان الذي لا يعلوه غبار التدليس والمداهنة في
الامور التي كانت من ضروريات الدين في صميم التشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه .
واني لارجو ان تكون رسالتك هذه اول الغيث وان تتاح لك الفرصة فتبحث برسائل اخرى تقول
للناس ان في الاسلام قوة . وان في تلك القوة ضمانا لحقوق الانسان في مختلف نواحي الحياة
ان مايدعو للاعجاب هو ان تصدر رسالتك هذه ، وانت في غمرة الواجبات الدراسية حيث تعد
نفسك في معاهد العلم للدفاع عن الاسلام وعن مبادئه المقدسة .
وانك ابنُ مَن عرفت
وانت لمثل هذا وللأهم من الامور . فاعمل ما استطعت لنصرة الانسانية في محنتها بأبنائها
الذين رغبوا عن الدين فانقلبوا على اعقابهم يتخبطون في ظلمات من الجهل والعناد والمكابرة حتى
صار الربا المحرم عمادا للثروة والقمار سندا للاقتصاد .
ان كل ما ارجوه ان تكون موفقا في مساعيك مجدا في دعوتك الى الله (ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) .

المخلص

طاهر السيد عبد الله ابو رغيف

□ جواب من الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء عن صحة وصية الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد ٢٥ قعدة ٧٠

سلام عليك ودعاء لك بالسلامة والتوفيق

وردني كتابك تسأل فيه عن وصية الإمام الصادق ـ سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه ـ إلى أصحابه التي رواها ثقة الإسلام الكليني ـ رضوان الله عليه ـ في روضة الكافي، وهل هي صحيحة أو لا؟ وهل رواها غيره من رجال الحديث ... إلخ؟

والجواب: إن رجال سندها الذين روى عنهم الكليني في الطريقين ثقاة، فهي صحيحة معتبرة باصطلاح المتقدّمين من أهل الحديث وإن كان في ابن فضّال وغير لأهل الرجال كلام، ولكن لا يُقدح في صحّتها واعتبارها والوثوق بها، وهي موثّقة باصطلاح المتأخرين ولا يخفى إنّنا كثيرًا ما نصحّح الأسانيد بالمتون. فربَّ رواية تشتمل على حكم أو حكمة أو موعظة أو دعاء ويكون سندها ضعيفًا ولكن مضمونها يكون قويًّا محكمًا بحيث يعرِف مَن لَهُ أُنْس بكلامهم ولحن خطابهم أنه صادر من ذلك المعدن الشريف، فإنّ على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نورًا. ولو أنّ الكليني لم ينسبها إلى أحد الأئمة ـ سلام الله عليهم ـ لعرفنا أنها قطعية الصدور ساطعة من ذلك النور.

مثلاً الزيارة الجامعة المشهورة أو دعاء كميل ليست لهما تلك الصحة المصطلحة، ولكن هل يشكّ من يقرؤهما إن كان له أدنى ذوق وأنس بلحن كلامهم أنها صادرة من المعصوم، ولا يقدر أحد أن يأتي بمثلها.

إذًا، فلا حاجة إلى البحث عن السند بعد شهادة المتن، ولا يهمنا أنّ أحدًا رواها قبل الكليني أم لا. على أنّ الكليني إذا روى، ففي روايته الكفاية على ما ينسب إلى الحجة ـ عجل الله فرجه ـ أنه الكافي لشيعتنا، وحفص المؤذّن هو مؤذّن علي بن يقطين، وفقك الله لكل عمل صالح بدعاء..

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد

من النجف الأشرف
٥ ذي قعدة ٤٠٢ (?)

سلام عليك ودعاء لك بالسلامة والتوفيق

وبعد في كتابك تسأل فيه عن وصية الإمام الصادق سلام الله عليه وعلى آبائه
إلى أصحابه التي رواها ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه في روضة الكافي
فهل هي صحيحة أو لا ؟ وهل رواها غيره من رجال الحديث أم لا
والجواب أن رجال سندها الذين روى عنهم الكليني في الطريقين
ثقات [illegible] معتبرون باصطلاح المتقدمين من أهل الحديث
وإن كان في ابن فضال وغيره [illegible] الرجال كلام ولكن لا يقدح في صحتها
باعتبار رجالها والوثوق بها وإنها موثقة باصطلاح المتأخرين
والذي في [illegible] أكثر الأسانيد بالمتون فرب رواية مرسل
[illegible] أو دعاء وكان سندها ضعيفا ولكن مضمونها
يكون قويا محكما بحيث يعرف من له أنس بكلامهم ولكن خطابهم أنه صادر من ذلك المعدن
الشريف فإن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا ولو أن الكليني لم ينسبها
إلى أحد الأئمة سلام الله عليهم لعرفنا أنها قطعية الصدور ساطعة من ذلك النور
مثل زيارة الجامعة المشهورة أو دعاء كميل ليست لها سلسلة السند المصطلح ولكن لا
يشك من يقرؤها إن كان له أدنى ذوق وأنس بكلامهم أنها صادرة من المعصوم
ولا يقدر أحد أن يأتي بمثلها إذاً فلا حاجة إلى البحث عن السند بعد شهادة [illegible]
ولا يهمنا أن أحداً رواها قبل الكليني أم لا على أن الكليني إذا روى [illegible]
الكفاية على ما ينبغي إلى الحجة عجل الله فرجه أنه الكافي لشيعتنا وجعفر الذي [illegible]
علي بن يقطين وفقك الله لكل عمل صالح ودعاء
محمد [illegible]

☐ استفتاء للمرجع السيد محسن الحكيم عن الأمر بالمعروف وما يستلزمه من وقوع الضرر

حجة الإسلام السيد محسن الحكيم أطال الله بقاءه، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جاء في رسالتكم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس أو في العرض أو في المال». وقد رأينا جملة من المؤمنين الصالحين العاملين قد أمروا بمعروف ونهوا عن منكر، وقد لاقوا ما لاقوه من قوى الشرّ والضلال. فهل إن عملهم هذا غير صحيح؟

سائل

☐ الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ذكرناها وذكرها الفقهاء ـ ضوان الله عليهم ـ إنما هي شرائط للنهي عن المنكرات المتعارفة والمعاصي المعتادة، كترك الصلاة وشرب الخمر وأكل أموال الناس أو أعراضهم، ونحو ذلك مما لا يمسّ أساس الدين وبيضة الإسلام. أما المنكرات التي يُخشى من وقوعها على أساس الدين، فتجب مكافحتها والتضحية في سبيل المحافظة على أصل الدين وأساسه بكلّ غالٍ ورخيص وبالنفس النفيس، كما وجب الجهاد في كثير من الأعصار والأمصار حفظًا لبيضة الإسلام وكيان الدين. وما قام به هؤلاء المؤمنون الصالحون من تضحيات وما لقوه من قوى الشرّ والضلال من هذا النوع. والله سبحانه الموفّق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٣٠ ص ١٣٨١ **محسن الطباطبائي الحكيم**

سماحة الإمام السيد محسن الحكيم أطال الله بقاءه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
جاء في رسالتكم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس أو في العرض أو في المال)
وقد رأينا جملة من المؤمنين الصالحين العاملين قد أمروا بمعروف ونهوا عن منكر
ولقد لاقوا ما لاقوه من قوى الشر والطغيان فهل ا[illegible] عملهم هذا غير [illegible] ؟

سائل

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
إن مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible] الفقهاء رضوان الله عليهم إنما هي مراتب للتصدي [illegible] والمعاصي المعتادة [illegible] كترك الصلاة وشرب الخمر وأمثال [illegible] ونحو ذلك مما لا يمس أساس الدين وبيضة الإسلام أما المنكرات التي [illegible] وهدما على أساس الدين فتجب مكافحتها والتضحية في سبيل المحافظة على [illegible] الدين وأساسه بكل غال ورخيص بالنفس والنفيس كما وجب الجهاد في [illegible] الأعصار والأمصار حفظا لبيضة الإسلام وكيان الدين وما قام به هؤلاء المؤمنون الصالحون من [illegible] والكره من قوى الشر والضلال من هذا النوع والله سبحانه الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٣٨١
٣٠ ص

الطباطبائي
محسن
الحكيم

□ من الدكتور محمد علي آذرشب

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا الكبير والعالم الجليل، سماحة آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

أدام الله عزّه وفضله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنتُ دائمًا أبحث عن فرصة لأسلم عليكم وأكتب إليكم، واغتنمتُ وجود أخٍ من المملكة في دمشق، فأسرعتُ لكتابة هذه السطور، عسى أن تجد طريقها إليكم.

أستاذنا الكريم..

أنا منذ ٢٧ عامًا تقريبًا أدرّس في جامعة طهران، وجئت الآن إلى دمشق مستشارًا ثقافيًّا، وحبّذا لو أكون على اطلاع حين قدومكم إلى سورية أو لبنان لألتقي بفضيلتكم، أو لعلّ لقاء يتوفّر في رحاب بيت الله الحرام أيام العمرة.

دار الحديث مع السيد القائد يومًا حولكم، فقلتَ لسماحته:

«أنا لا أعرف شخصًا يجمع بين أعلى المستويات من العقل والدين والعلم مثل هذا الرجل.. وهذا هو الذي يجعلني مشتاقًا كثيرًا لزيارتكم والاسترشاد بنصائحكم. وفقكم الله وسدّد خطاكم.

العنوان في دمشق:

دمشق ـ المرجة، ص. ب: ٩٣٥١، هاتف: ٢٢١١١٤٩ ـ ٢٣١١١٥١ ـ فاكس: ٢٣١١١٤٧.

لا تنسوني من صالح دعائكم

الدكتور محمد علي آذرشب

١٤/ ٥/ ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا الكبير والعالم الجليل سماحة آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (أدام الله عزه وفضله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت دائماً أبحث عن فرصة لأسلم عليكم وأكتب إليكم ، [illegible] من المملكة في دمشق ، فأسرعت لكتابة هذه السطور عسى أن تجد طريقها إليكم .

أستاذنا الكريم ...

أنا منذ ٢٧ عاماً تقريباً أدرّس في جامعة طهران ، [illegible] الآن في دمشق مستشاراً ثقافياً ، [illegible] أكون على إطلاع حين قدومكم إلى سوريا أو لبنان لألتقي [illegible] العمرة .

دار الحديث مع السيد القائد يوماً حولكم [illegible]

أنا لا أعرف شخصاً يجمع بين أعلى المستويات من العلم [illegible] الرحمن [illegible] يجعلني مشتاقاً كثيراً لزيارتكم والاسترشاد بنصائحكم . [illegible]

العنوان في دمشق :

دمشق - المزرعة ص.ب ٩٣٥١ هاتف : ٢٢١١١٤٩ ٢٣١١١٥١ فاكس ٢٣١١١٤٧

لا تنسوني من صالح دعائكم

الدكتور محمد [illegible]

١١/٥/١٤٢٠

□ أبيات من الشيخ جعفر الهلالي

أبـا عـماد وهـل توفيـك قافيـة ... مـن شـاعر وأخٍ يسـتعذب الأدبـا
مـاذا يخـطّ عـلى القرطـاس مزبـره ... وبحرُ فضـلك حتى الآن مـا نصبـا
سـموتَ بـالعلم تبديـه وتنشـره ... حصـيلةً لألأت مـا بيننـا شـهبا
وكنـتَ للخُلُـقِ العـالي تمثّلـه ... هديًا فسبحان من أعطى ومَن وهبـا
ذاتٌ تسـامت عـن الأحقـاد طيِّبـةً ... منهـا السـجايا إذا مـا أنعـش التربـا
وذا قليـل بـدنيانا نظـائره ... واللؤلؤ الرّطب يعيي الخلقَ مطّلبـا
رغمَ الزمـان الـذي طالـت مسـاحته ... فأنـت لا زلـتَ فيـه المعقـل الأشـبا
روحٌ مـن النبـل لا بُعـدٌ ولا صـدَدٌ ... عن الصديق تربـه العطـف منسـكبا
وهكـذا مـن زكـى أصـلاً وهذّبـه ... دنيٌّ مستبصـرٌ فيـه الجانـبَ العجبـا
وكيـف لا؟ ولـه مـن (محسـن) مثـل ... ذاك الـذي كـان فينـا الوالـدَ الحدِبا
وفي الختـام، تقبّـل مـن أخـي ثقـةٍ ... هذا الشعور الذي باسم الإخـا كتبـا

٢٨/ شهر الصيام
لعام ١٤٢٦هـ

أخوك الذي لا ينساك
الخطيب الشيخ جعفر الهلالي

أبا محمد وهل توفيك قافية ... من شاعر وأخ يستعذب الأدبا

ماذا يخط على القرطاس من زبره ... عن بحر فضلك حتى الآن ما نضبا

سموت بالعلم تبديه وتنشره ... فضيلة لا زالت ما بيننا سببا

وكنت للخلق العالي تمثله ... بدا فسبحان من أعطى ومن وهبا

ذات تسامت عن الأحقاد طيبة ... مثل السحاب إذا ما هطلت [illegible]

قد عشت للخير تعطيه وتمنحه ... مثل السحاب إذا ما أنعش الترب

وذا قليل بدنيا أن نظيره ... واللؤلؤ الرطب يعني الخلق مطلبا

رغم الزمان الذي طالت مساحته ... فأنت لم تزل منه المحفل الرحب

[illegible]

[illegible]

وكيف لا ولك من (أحسن) مثل ... ذلك الذي كان فيه الولد الحدب

وفي الختام تقبل من أخي ثقتي ... هذا الشعور الذي يلهم الأخ الكتب

المخلص

٢٨ شهر محرم الحرام ... أخوك الذي لا ينساك

لعام ١٤٢٦هـ ... الخطيب الشيخ جعفر الهلالي

□ من الشيخ مجيد الصيمري

بسمه تعالى

سماحة آية الله الأخ العزيز أبو عماد الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي دام عزّه

سلام من الله عليكم ورحمة منه وبركات

أخي العزيز سلامي وتحياتي إليكم قدر شوقي، أبقاكم الله ذخرًا لدينه ومبلّغًا لرسالته. كم بودّي أن ألقاك ولو ليوم أستعرض الماضي فيه وأستشرف المستقبل، مع مَعْلَم من معالط طريق ذات الشوكة، وأخٍ خبرته عالمًا أخلص في النصح وواصل في العمل.

أخي «أبو عماد»، إنّني بحاجة إلى عطاء الأخوة، وقد علمتّ أنّك قد أصدرتَ بعض مؤلّفاتك التي أثريتَ بها مدرسة الإسلام ومكتبتها، وأسعفتَ نفوس إخوتك وأولادك المتلهّفة العطشى، فتفضّل على أخيك بما جاد به يراعك المعطاء، كما وإنني أطلب من سماحتكم دورةً من رسالة الأب المربّي سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد أمين زين الدين ﵀.

إنّني أخبركم [بأني] شطّرتُ مرثيتكم للمرحوم الشهيد ميثم المازني ودخلت ضمن مذكراتي «القسم الاجتماعي»، وأنا عازم على طبع الكتاب في القريب العاجل، فأرجو من سماحتكم إرسال صورة للشهيد تكون عنوان رثائي، وصورة لسماحتكم؛ لأنّني كتبتُ عنكم ما تفرضه حياة الصحبة ومودّة الأخوّة.

هذا، وسلامي إلى سماحتكم والأولاد حفظهم الله، وإلى عزيزنا الأخ أبي علاء الحاج حسين المازني وأولاده. ودمتم لمخلصكم..

مجيد الصيمري

لندن أونتاريو ـ كندا

875 – 808 Wonderland Rd, S. London ONT Canada
N6K 3NI – Magid Ali. Tel: (519) 471 5608.

بسمه تعالى

سماحة آية الله الأخ العزيز أبو عماد الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي دام عزه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخي العزيز سلامي وتحياتي لكم وشوقي [illegible] أدام الله [illegible] وبعد [illegible] الرسالة

كم بودي أن [illegible] [illegible] تقبل مع

[illegible] من [illegible] [illegible] العزيز

[illegible] في العمر.

أخي أبو عماد [illegible] [illegible] بعض

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

سماحة آية الله [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الفاضل

لسماحتكم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الأخوة

[illegible] [illegible] الأخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

لندن أونتاريو ـ كندا

875 - 808 wonderland Rd. S. London ONT Canada.

N6K 3N1 - Mayid Ali Tel: 519) 471 5608

□ تعزية المرجع السيد الخامنئي برحيل زوجة العلاّمة الفضلي

بتاريخ الأول من شهر رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ١/ ٨/ ٢٠١١م رحلت زوجة سماحة العلاّمة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، وكان وقع ذلك مؤلمًا عليه وعلى محبيه ورفاق دربه. وكان على رأس المعزين برحيلها جمع من العلماء والقادة، وكان في مقدمتهم سماحة مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران القائد السيد علي الخامنئي ـ حفظه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

سماحة آية الله الدكتور هادي فضلي دام عزّه

تلقّينا ببالغ الأسف خبر وفاة عقيلتكم المكرّمة، مما أثار مشاعر الحزن والأسى لدى سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى الخامنئي ـ مدّ ظله العالي.

وإنني إذ أعبّر عن مواساة وتعازي سماحته لكم وللأسرة الكريمة، أسأل المولى تعالى أن يتغمّد فقيدتكم المؤمنة الصالحة بواسع رحمته، وأن يمنّ على سماحتكم وذويها ـ سيما الأولاد الكرام ـ بجزيل الأجر، ويلهم الجميع الصبر والسلوان. كما نسأله تعالى أن يديم العزّة لأمتنا الإسلامية.

مكتب سماحة قائد الثورة الإسلامية

معاون شؤون العلاقات الدولية

محسن قمّي

الخامس من رمضان ١٤٣٢هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

«انا لله وانا اليه راجعون»

سماحة آية الله الدكتور هادي فضلي دام عزه

تلقينا ببالغ الاسف خبر وفاة عقيلتكم المكرمة. مما أثار مشاعر الحزن والاسى لدى سماحة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى الخامنئي مدظله العالي

واني اذ اعبر عن مواساة وتعازي سماحته لكم وللاسرة الكريمة. اسال المولى تعالى ان يتغمد فقيدتكم المؤمنة الصالحة بواسع رحمته. وأن يمن على سماحتكم وذويها - سيما الأولاد الكرام - بجزيل الأجر. ويلهم الجميع الصبر والسلوان كما نسأله تعالى أن يديم العزة لامتنا الاسلامية.

مكتب سماحة قائد الثورة الإسلامية

معاون شؤون العلاقات الدولية

محمدي

[illegible]

[illegible]

□ رسالة من جامعة أوسلو

UNIVERSITETET I OSLO

Institute of Semitic Studies
University of Oslo
P.O.B. 1005, Blindern,
Oslo 3, Norway

Semittisk institutt
Boks 1005
Blindern, Oslo 3

اوسلو فى 1980/4/28

السيد المحترم الدكتور عبد الهادى الفضلى
رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز .

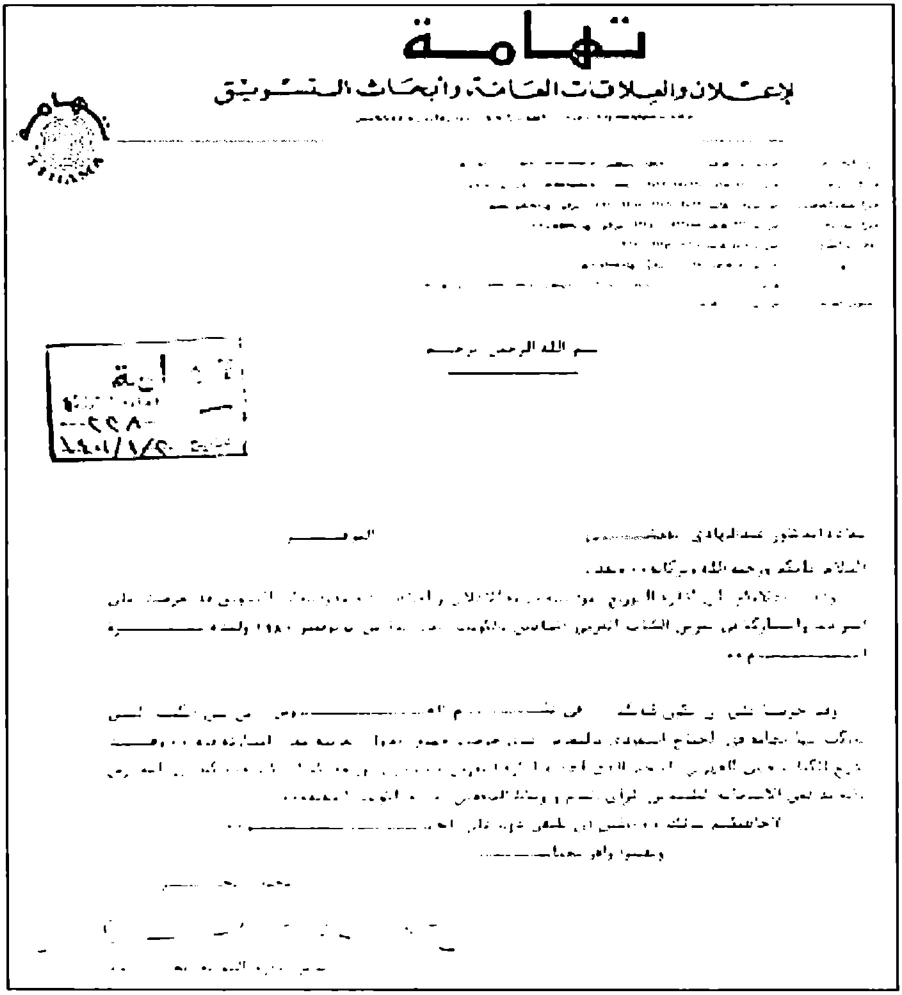
تحية طيبة ....

اود بهذا ان اشكركم على
الكتاب الذى بعثتم به لنا " فى علم العروض " ،
واود بان اخبركم باننا سنستعمله للتدريس فى
الفصل القادم ، فصل الخريف . ويمكننا ان نقول
باننا قد تسلمنا كتابكم فى اللحظة التى كنا نفكر
جديا فى وجود كتاب يقدم شرحا وافيا لهذا العلم ،
نشكركم مرة اخرى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
اينار برج
اينار بيرج
مدير قسم اللغة العربية بجامعة اوسلو

☐ **من شركة تهامة ـ لعرض كتابه (في علم العروض) في معرض**



☐ **من جامعة ندوة العلماء بالهند ـ دعوة لحضور ندوة**

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر الامانة العامة لجامعة ندوة العلماء

دعوتكم لحضور الندوة العالمية عن الادب الاسلامي
التي تعقدها جامعة ندوة العلماء بتاريخ ١١، ١٢، ١٣
جمادى الثانية ١٤٠١ هـ الموافق ١٧، ١٨، ١٩ ابريل ١٩٨١ م
وتتشرف الجامعة باستضافتكم واقامتكم الطيبة إن شاء الله تعالى

الامين العام لجامعة ندوة العلماء
وللندوة العالمية للادب الاسلامي
ابو الحسن علي الحسني الندوي

☐ **من جامعة أم القرى ـ ترشيح لمناقشة رسالة ماجستير**

جامعة أم القرى

الرقم

التاريخ

المرفقات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

☐ من جامعة الدول العربية لنشر بحث في مجلة اللسان العربي

[illegible] الدائم لتنسيق التعريب

في الوطن العربي

[illegible] الدول العربية

[illegible]

الهاتف [illegible]

[illegible] بحثكم

المرجع : ٨١٤

[illegible]

إلى [illegible] الأستاذ عبد الهادي الفضيلي المحترم

كلية الفقه ـ النجف الأشرف

ـ العراق ـ

[illegible] الدائم لتنسيق التعريب [illegible]

[illegible] الأسماء الثنائية في اللغة العربية

[illegible] لكم

[illegible] للعدد [illegible]

[illegible] اللسان

[illegible]

[illegible]

□ من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ إعلام بنشر بحث

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

في الوطن العربي

مكتب تنسيق التعريب في الرباط

ص. ب. ٢٩٥

العنوان البرقي: لتنسيقتعريب

الهاتف: ٣٣٦.٣٥ / ٣١٩.١٢

الرباط في [illegible]

حضرة الأستاذ الدكتور [illegible]

[illegible]

الموضوع:

الرقم: [illegible]

المرجع:

[illegible]

[illegible] أن [illegible] الأول [illegible]

[illegible]

مدير مكتب تنسيق التعريب

[illegible]

□ من مدير عام كلية البنات بجدة لاختياره مناقشًا لرسالة ماجستير

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
الادارة العامة لكليات البنات
بالمنطقة الغربية – جدة
مكتب المدير العام

الرقم ١٢/ك ب/١١
التاريخ ٢٢/١٢/١٤٠٥هـ
الموضوع

سعادة الدكتور عبد الهادي الفضلي المحترم
الاستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب
والعلوم الانسانية – جامعة الملك عبد العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

نفيدكم بأنه قد تم ترشيحكم ممتحنا خارجيا لمناقشة الرسالة المقدمة من المعيدة/ الشفاء عبد الله زيلعي عقيل لنيل درجة الماجستير في موضوع (الرومانسية عند بعض الشعراء السعوديين) باشراف الدكتور/ عمر الطيب الساسي.

نرفق لكم طيه نسخة من الرسالة المذكورة . راجين افادتنا بموافقتكم بمناقشتها وستوافيكم بموعد المناقشة بعد ذلك .

كما نرفق طيه نسخة من بعض التعليمات حول رسائل الماجستير.

وتقبلوا فائق تحياتنا !!

مدير عام
كليات البنات بالمنطقة الغربية
ابراهيم الصبحي

س٠٠ح

شارع الايمان – حي السعدية – هاتف ٦٦١٠٩٣٢/٦٦٠٥٣٨٤ تلكس ٤٠١٩٥١ – اكتيرجد ص.ب ٩٤٧٠

☐ من الرئيس العام لكليات البنات بجدة لاختياره مشرفاً على رسالة دكتوراه

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
وكالة الرئاسة لكليات البنات
ادارة ... الشئون التعليمية

الرقم ...
التاريخ ...
المشفوعات ...

الموضوع

المكرم المدير العام لكليات البنات بالمنطقة الغربية - جدة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

الحاقا بخطابنا المتم رقم ٧٣١٧ وتاريخ ٢٤/٨/١٤٠٧هـ واشارة الى حديثكم الهاتفي الذى أبلغتمونا فيه بورود الموافقة النهائية لعميد كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز ، على اشتراك الدكتور عبد الهادى الفضلى فى الاشراف على رسالة الدكتوراة للطالبة صباح با فاضل ، بعد تصحيح اللبس .

نفيدكم بالموافقة على الخطة المقدمة من الطالبة المذكورة لنيل درجة الدكتوراة تخصص لغة عربية فى موضوع :

"من الظواهر النحوية : الحروف المستخدمة فى القرآن الكريم"

تحت اشراف كل من :

١ - أ.د. مصطفى التهامى الحوفي - استاذ البلاغة والنقد بكلية البنات بجدة .

٢ - د. عبد الهادى الفضلى - استاذ مشارك النحو والصرف بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

والله ولى التوفيق ،،،

نائب الرئيس العام لكليات البنات

د. عبد الله محمد ...

١٢/٩/١٤٠٧هـ

القسم الرابع

من رسائل وبيانات التأبين برحيل العلامة الفضلي

بيان أبناء الفقيد (رض)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾

مـاذا سـيكتبُ في تأبيـكَ القلـمُ ... وفي فـؤاديَ أضـحى يحفـرُ الألـمُ
وها هو الجرحُ منِّي يستحيلُ لظـىً ... من المصابِ وركنُ الصبرِ مـنحطمُ
يـا راحـلاً كـم زهـا بـالعلم مجلسُـهُ ... عِـبْرَ السِّـنينَ يُجـلِّي حُسْـنَه الكَلِـمُ
لله درُّكَ مـا أسمـاكَ مِـنْ عَلَـمِ ... للعلمِ عشتَ وفيـه كنتَ تُحْتَـرَمُ[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الحزن والأسى ووقع الألم وصدى الجراح، ننعى فقيدنا الغالي سماحة الوالد العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي قدس الله تعالى روحه الزكية وتقبله بقبوله الحسن مع أوليائه محمد ﷺ وآله الطاهرين.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، إنها الساعة التي اختارها الله (عزَّ وجلَّ) ليختتم هذا الرجل العظيم حياته الزاخرة بالعلم والجهاد، بعد أن عاش مراحلها في عطاء دائم وإشراقات متواصلة لم يتوقف لحظة في مسيرته العلمية والعملية التي رسمها وأتقن العمل في إنجازها وتحقيق مشاريعه واحدًا تلو الآخر.

(١) الأبيات من قصيدة للشيخ جعفر الهلالي في رثاء الشيخ الميرزا محسن الفضلي ﵀ والد الشيخ، واقتبسنا منها هذه الأبيات؛ لأنها تحكي صورة الأب والابن معًا. وقد ورث الشيخ الفضلي عن والده حب العلم والإيمان والكثير من الخصال والسلوك، رحمهما الله تعالى برحمته ورضوانه.

كان في مرحلته النجفية أستاذًا ورائدًا من رواد الجيل النجفي في عصره الذهبي شارك في بناء النهضة الحضارية النجفية بقلمه المبارك مع أساتذته المظفر والتقي الحكيم وتنظيره وجهاده مع أستاذه الشهيد الصدر والكوكبة المؤمنة العاملة من رفاقه، وكأن القدر أراد أن يحكي لنا عمق علاقته بأستاذه الشهيد الصدر فكان رحيله في يوم ذكراه ـ قدس الله نفسيهما وجمعهما عنده في الأبرار والصالحين.

وواصل بعد خروجه من العراق دوره التعليمي والتربوي والرسالي في الجامعات والمجتمعات التي سكنها فكان دوره الكبير في تربية جيل مثقف ورعاية أقلام واعدة عبر الدرس الأكاديمي والمحاضرات والندوات ومجلسه اليومي المبارك (دارة الغريين)، ويدل هذا الاسم على عمق علاقته الروحية بالنجف الأشرف.

وأهم إنجاز في مسيرته المباركة كان مشروعه في تجديد مناهج الدرس في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، والذي استمر في إكماله خطوة خطوة في كل مراحل حياته حتى أتمها (موسوعةً جامعةً) في ست مجموعات (مجموعة أصول الفقه ومجموعة المعارف العقلية ومجموعة علوم القرآن والحديث والمجموعة الفقهية ومجموعة علوم اللغة العربية ومجموعة المعارف العامة)، إضافة لمؤلفات وبحوث وتراجم في مجالات فكرية متعددة.

لم يكن سماحة الشيخ ـ رضوان الله عليه ـ يحب الظهور والأضواء مقتديًا بتواضع والده ﷺ فعاش في الظل يقرأ ويكتب ويُعلّم ويعمل في سكون، ولعله أراد أن يعطي الدرس العملي للإيمان والتواضع الذي يبتعد دومًا عن زخرف الحياة وزبدها ويهتم بما ينفع الناس من فكر وعطاء.

نودعك اليوم يا أبتاه... بعد أن ملأت دنيانا بروحك الطاهرة وفكرك المنير وقامتك الشامخة التي يشعر ويفخر بها كل من انتسب إليها نسبًا طبيعيًّا أو نسبًا معنويًّا، فكل تلاميذك اليوم افتقدوا فيك الأب المربي والعالم الأستاذ، وكل المجتمعات التي عشت فيها في البصرة والنجف الأشرف وجدة ومثلث البحرين الحضاري تعتبرك من رجالاتها وقادتها، وكل الحوزات والمعاهد العلمية والجامعات الأكاديمية في العالم الإسلامي تنعاك اليوم وتدعو لك بالغفران والرحمة.

فباسم كل هؤلاء وباسمنا نرفع أيدينا بالدعاء لله سبحانه وتعالى أن يتغمد روحك الطاهرة بواسع رحمته ونبتهل إليه تعالى أن يحشرها مع محمد وآله الأطهار وأن يلهمنا وكل إخواننا المؤمنين الصبر والسلوان.

لقد فقدت الأمة الإسلامية اليوم رجلاً من رجالات الفقه وعلومه ورجالات العربية وآدابها ورجالات الحكمة ومعارفها، أفنى حياته في خدمة الفكر والمبدأ، وبكل ما لديه من طاقة، حتى خرج من هذه الدنيا راضيًا مرضيًّا، لأنه قدّم بين يديه في عالمه الآخر الذي ذهب إليه هذه السيرة العطرة، وخلّف وراءه في عالمنا هذا هذه الذكرى الحسنة.

فسلامٌ عليه في هذه، وفي تلك، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أبناء الفقيد العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي
٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ: ٩ أبريل ٢٠١٣م

بيان الإمام السيد علي الخامنئي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

تلقيت ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل العلامة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي إلى جوار ربه.

لقد قضى العلامة الفقيد عمره الشريف في الجهاد العلمي والسياسي والدفاع عن مقدسات الأمة الإسلامية وقضاياها العادلة.

كان الفقيد من رواد الفكر والمنظرين الاسلاميين البارزين وخير دليل على ذلك ما نجده في مؤلفاته وآثاره الجليلة.

كان ﵀ ملاذًا لعلماء الأمة حيث جسد بفكره وحركته وجهاده وجهوده الوحدوية قدوة لتأليف القلوب وتوحيد الصف الإسلامي ولمّ الشمل ونبذ الخلافات وتوجيه الأنظار والأفكار نحو العدو المشترك لأبناء أمتنا الإسلامية العظيمة.

كما قدم الفقيد الراحل من خلال صبره على الابتلاء الإلهي في أواخر حياته حيث ألم به المرض وكبده الكثير من العناء تصويرًا ومثالاً رائعًا للإنسان المؤمن الصابر الشاكر المحتسب المتوكل على الله العلي القدير.

إنني بهذه المناسبة الأليمة إذ أتقدم بأحر التعازي لأعضاء أسرته الكريمة ورفاق دربه وتلامذته ومحبيه ولا سيما لعلماء أمتنا الإسلامية والحوزات العلمية الدينية، أسال الله أن يتغمده برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جنانه ويدخله في سعة رضوانه

ويلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، كما أسال الله جل وعلا أن يمن على جميع علمائنا الأخيار بوفور الصحة ودوام التوفيق والاقتداء بفقيدنا السعيد فكرًا وسلوكًا وجهادًا و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

السيد علي الحسيني الخامنئي

بتاريخ: ثمانية وعشرين من جمادي الأولى من عام ألف وأربع مئة وأربعة وثلاثين



الحوار في الشريعة الإسلامية لا يهدف إلى تغيير عقيدة الآخر أو إلزامه بالإيمان بالإسلام شرطًا للحوار، وإنما الاتفاق على المشتركات، والانطلاق منها للعمل سويًا.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

بيان المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

تلقّينا ببالغ الحزن والألم نبأ رحيل العالم الجليل والمحقق الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي ﴿رحمه الله﴾، الذي كرّس حياته لخدمة الفقه والتاريخ والأدب، وترك آثارًا قيّمة خالدة في حقول مختلفة.

وفقيدنا الغالي منذ أن أتمّ دراساته العالية في الجامعة الدينية الكبرى للشيعة في النجف الأشرف، انتقل إلى وطنه، فخدم العلم والنشء الجديد بقلمه وبيانه، وبذلك زرع في قلوب المؤمنين مكانة سامية.

وها نحن نعزّي إمام العصر والزمان، وعلماء الإسلام، لاسيّما في المنطقة الشرقية وأسرة الراحل وأبنائه ومحبّيه. نسأل الله تعالى له أن يحشره مع من تولاّه من النبي الأكرم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ والأئمة الأطهار ﴿عليهم السلام﴾، وأن يمنّ على أهله وذويه بالصبر والسلوان.

جعفر السبحاني

قم المقدّسة ـ الحوزة العلمية

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

بيان المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

لقد أوجب شديد تأثرنا وتأسفنا الفقدان المؤلم للعالم الرباني المرحوم آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي ﵀.

إن هذا العالم البارز قدم خدمات كثيرة للدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت ﵈، وقد خلّف آثارًا مفيدة ووافرة، كما كان فعالاً بالأخص في طريق الوحدة الإسلامية.

إننا نأمل من الأخوة العلماء الأعزاء في الأحساء والقطيف وسائر المناطق أن يواصلوا نهجه ﵀.

وإننا إذ نعزي في هذه المصيبة جميع العلماء المحترمين في السعودية وعائلته الكريمة نسأل الله تعالى السرور لروح ذلك العالم الخدوم، والصبر والأجر العظيم لذوي الفقيد السعيد.

بسمه تعالی

پیام حضرت آیة الله العظمی مکارم شیرازی (مدظله العالی):

به مناسبت رحلت عالم ربانی مرحوم آیت الله شیخ عبدالهادی الفضلی (قدس سره)

فقدان اسفناک عالم ربانی مرحوم آیة الله شیخ عبدالهادی الفضلی (قدس سره) موجب نهایت تأسف و تأثر گردید. این عالم برجسته در طول عمر با برکت خود، خدمات بسیاری به آیین اسلام و مکتب اهل بیت... داشت و آثار علمی سودمند فراوانی از خود به یادگار گذاشت. ایشان مخصوصاً در راه وحدت امت اسلامی کوشا بود، امیدواریم برادران عزیز روحانی در احساء، قطیف و نقاط دیگر راه او را ادامه دهند. این ضایعه مؤلمه را به همه روحانیون محترم عربستان سعودی و به بیت شریف آن مرحوم تسلیت عرض نموده، شادی روح آن عالم خدوم را از خداوند متعال مسئلت داریم و صبر و اجر فراوان برای بازماندگان آن فقید سعید از خداوند متعال می‌طلبیم

بيان المرجع الديني السيد محمود الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بمزيد من الأسى نبأ رحيل العالم الجليل والعلاّمة الفقيد الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ـ رحمه الله تعالى. والذي كان بحقّ من خيرة علمائنا العاملين والمجاهدين، والذي صرف عمره الشريف والمبارك في خدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الوعي والفكر الإسلامي، ورفد الحوزات العلمية والجامعات الدينية بالكتب الدراسية المفيدة والمثمرة.

ونتقدّم إلى أسرة الفيد العزيز وطلبة الحوزات العلمية، وخاصّة علماء المنطقة الشرقية بوافر العزاء والمواساة.

نسأل الله تعالى أن يتغمّد فقيدنا الكبير برحمته الواسعة، وأن يحشره مع من يحبّ ويتولّى محمد وآله الطاهرين.

السيد محمود الهاشمي ٢٧/ جمادى الأول/ ١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

بمزيد من الأسى تلقينا نبأ رحيل العالم الجليل والعلّامة الفقيد الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله تعالى، والذي كان بحق من خيرة علمائنا العاملين والمجاهدين، والذي صرف عمره الشريف والمبارك في خدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الوعي والفكر الاسلامي، ورفد الحوزات العلمية والجامعات الدينية بالكتب الدراسية المفيدة والمثمرة.

ونتقدم إلى أُسرة الفقيد العزيز وطلبة الحوزات العلمية وخاصة علماء المنطقة الشرقية بوافر العزاء والمواساة.

نسأل الله تعالى أن يتغمّد فقيدنا الكبير برحمته الواسعة، وأن يحشره مع من يحب ويتولى محمّد وآله الطاهرين.

السيّد محمود الهاشمي ٢٧ / جمادي الأوّل / ١٤٣٤

بيان أمين عام العتبة العلوية المقدسة

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا به، وإنا له وإليه راجعون وصلاته وسلامه على سادة أوليائه وهداة أصفيائه محمد وآله الطاهرين.

في هذه الأيام الحزينة نفقد علمًا من أعلام الأمة ومربيًّا من مربيها النجباء.. إنه فقيد العلم والأدب سماحة العلامة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ﷺ.

كان المربي الإيماني الخبير الذي انطلق في تربيته للأجيال الحوزوية من خلال ما يحتاجه الخط الحوزوي من علوم ليرسم المناهج التي لا غنى عنها في هذا الخط القويم.

وانطلق في تربيته للأجيال الإيمانية المثقفة مما تفتقر إليه هذه الثقافة من أصول ثقافية رائدة.

وانطلق في تربيته للأجيال الأدبية مما يهيئ لها انضواءها في غاياتها لتنال بغيها في هذه المجالات ومن معينها الصافي...

ليبقى تراثه خالدًا معطاء لا في الأجيال الحاضرة وإنما إلى عديد من العصور.

وكان المربي الإيماني الخبير الذي استكمل كلمته المربية بسلوكه الأخلاقي والإيماني القويم ليكون المعلم وليكون النبراس وليكون العلم الرفيع الذي تتطلع العقول والأنفس إلى الاهتداء به كما تتطلع الآذان إلى استماع كلمته والأعين إلى قراءة تراثه.

وكان المربي الخبير الذي جمع إلى تربية الأفراد من طلبته ومريديه تربية مجتمعات رأت فيما قال وفيما كتب وفيما فعل غناء حاجاتها من العلم ومن الهدى ومن الأسوة ما طبعها بطابعه الخاص ابنًا وأخًا وأبًا ولعديد من العقود وفي عديد من البلدان بل

وليصبح غطاؤه فيها ركنًا يسمها للعديد من الأجيال وهي تستهدي به في طريق الله القويم.

فرحمك الله أيها الأستاذ والأديب والمربي الخالد وحشرك مع ساداتك الكرام محمد وآله العظام، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ضياء الدين زين الدين



إن الدين في أساس نشأته تحرير للعقل وليس تكبيلاً له، هو دعوة للتأمّل وليس مدعاة للتقليد واتباع الغير، وهو ـ كذلك ـ سبيل إلى مزيد من استقلالية الفكر والمعتقد وليس وسيلة للانقياد الأعمى.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

رسالة الشيخ عيسى أحمد قاسم البحراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الأفاضل عائلة سماحة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ مصابكم الجلل بوفاة والدكم الجليل، وكم كان بودّنا أن نعزّيكم عن قرب إلاّ أن الظروف كما تعلمون لا تسمح لنا بذلك.

وأنتم نعم البقية ونعم الخلف.

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح الجنان، وحشره في زمرة ساداته محمد وآله الأطهار، وألهمكم وذويه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

الاثنين ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ
٨ أبريل ٢٠١٣م

بيان المجلس الإسلامي العلمائي بالبحرين

قامة شامخة.. وخسارة فادحة

بالغ الحزن والأسى، تلقينا نبأ رحيل العالم الرباني والمفكر الكبير العلامة المحقق آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، الذي يمثل فقده ثلمة كبيرة في الإسلام، وخسارة فادحة؛ لِما لسماحته من جهود كبيرة في خدمة الدين ونشر المعارف الإسلامية وتربية نخبة من العلماء والمفكرين، عبر الكثير من حلقات الدرس والمؤلفات العلمية الرصينة والفكرية الأصيلة، التي أثرت المكتبة الإسلامية.

وكان سماحة الفقيد مثال العالم الرباني الذي كان كل همِّهِ خدمة الإسلام وعزّته، ونصرة العقيدة، من خلال منهج إسلامي رائد، يعتمد الاعتدال والعقلائية والمواءمة بين الأصالة والتجديد في طرح الإسلام ورؤاه وأفكاره، كما كان رمزًا من رموز الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، وداعية إلى التسامح والتعايش بين المسلمين بشتى مذاهبهم، عبر مواقفه التقريبية وفكره الوحدوي.

وبهذا المصاب الأليم نرفع التعازي لمقام مولانا صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) وللمرجعية الدينية وعلماء الإسلام وعائلة الفقيد وعموم العلماء الأجلاء والمؤمنين في السعودية وأبناء الأمة الإسلامية، وندعو الله تعالى أن يتغمد الراحل بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّته، ويلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

كما نسأل الله تعالى أن يعوّض الأمة الإسلامية علماءَ ربانيين ورجالاً مخلصين يواصلون الدرب النيّر الذي سلكه سماحته وبذل مهجته وعمره الشريف في السير عليه خدمة للدين الحنيف.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

المجلس الإسلامي العلمائي - البحرين

٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ : ٨ أبريل ٢٠١٣

رفقة فكر ومعرفة

■ الدكتور الشيخ محمود المظفر ■

أتيح لي بتوفيق وتسديد من الله تعالى أن أحظى ومنذ وقتٍ مبكر لأكون رفيق درس وزميل فكر ومعرفة لأخينا الفقيد الفقيه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي نحتفل اليوم بذكراه الأربعينية، وأن نلتقي وإياه في أكثر من موقع ومرحلة دراسية. لذلك رأيت ونحن نمر بهذه المناسبة الأليمة أن نشير على نحو الإجمال إلى أهم هذه المراحل أو المحطات الدراسية التي جمعتنا وعرّفتنا بالشيخ الراحل الفضلي.

وكانت أولى هذه المراحل أو المحطات قد حصلت في بحر الخمسينيات من القرن الفائت، وأتاحت لنا العمل سوية كأعضاء عاملين في نطاق «جمعية منتدى النشر» في النجف الأشرف المعروفة بسعة آفاقها ونطاقها، والتي ما تزال تعتبر إلى اليوم وجها مشرقًا من وجوه هذه المدينة الخالدة.. حيث كانت هذه الجمعية العلمية قد وضعت أول ما وضعت في برنامجها تأسيس المدارس بشكلها ونهجها المتطور الحديث وليس بشكلها التقليدي، لذلك لم يفتنا نحن الاثنين بتوجيه من أولي أمرنا أن ننتمي إلى هذه المدارس الحديثة آنذاك طلابًا أو تدريسيين.

كما عمدت الجمعية بالإضافة إلى ذلك - وهو ما كان يغرينا للعمل تحت مظلة الجمعية - إلى تأسيس مجمع علمي موسوم بالمجمع الثقافي لمنتدى النشر وهو شبيه بالمجمع العلمي بالقاهرة في بعض نشاطاته، وكان هذا المجمع يتولى إصدار سلسلة من الكتب التراثية والحديثة مع تحقيق ما يحتاج منها إلى التحقيق والمراجعة، كما كان يتولى عقد المؤتمرات والندوات الموسمية. وكان الشيخ الفضلي والكثير من شبابنا مغمورين بهذه الإنجازات ومن روّادها، وإن لم نشارك في نشاطها وأدائها، وذلك بحكم السن وقلّة الخبرة.

ولا ننسى أن الجمعية قد لاقت في تأسيس وإدارة بعض برامجها التعليمية كثيرًا من المتاعب والمصاعب وبعض الهزّات الاجتماعية، وبخاصة عند إقدامها على فتح

كلية خاصة بالوعظ والإرشاد إلى جانب كليتها ومدارسها الأخرى المعتادة.. حيث هوجمت من قبل بعض العناصر الساذجة إلى حدّ إلحاق الأذى ببعض أعضائها وهيئتها التدريسية. وحسب علمي، فقد أشار الشيخ الفضلي في بعض كتاباته إلى هذه الكلية وأحداثها وعبر عن تأييده لفكرتها الرسالية.

أما المرحلة أو المحطة الثانية التي تلاقت فيها بشكل واضح رغباتنا ومشوارنا الدراسي، هو: مبادرتنا معًا إلى الالتحاق «بكلية الفقه» في النجف في أول دورة من دوراتها الدراسية وذلك إثر صدور الإجازة من قبل الدولة لفتحها سنة ١٩٥٨م ثم الاعتراف بها من قبل الوزراة ذلك الحين المسماة بوزراة المعارف.

والمعروف أن طلاب تلك الدورة كانوا قد وُصِفوا بالنخبة حيث التحقوا بالكلية لا من منظور شهاداتهم الرسمية وإنما من منظور كفاءاتهم الخاصة.

ومن الأمور التي كنا نعتزّ بها ذلك الحين أن دراستنا ونشاطنا الفكري لم يكن مقتصرًا على كلية الفقه وحدها، وإنما كنا نتخطاها إلى العمل الفكري لمجالات أخرى.. حيث واصل الشيخ الفضلي ﵀ دراساته الحوزوية إلى جانب دراساته الأكاديمية المتمثلة في كلية الفقه.

كما تولى في هذه الأثناء التدريس في بعض مدارس منتدى النشر الأولية ومارس التأليف في عدد من مواد الدراسات الدينية. أما من جهتي، فقد آثرتُ أن ألتحق بكلية الحقوق التابعة إلى جامعة بغداد للحصول على شهادة بكالوريس أخرى مع ممارسة التأليف في عدد من الموضوعات الفقهية والقانونية.

ولم يقف طموحنا الدراسي عند هذا الحدّ وإنما واصلنا دراساتنا العليا متزامنين ومترافقين وذلك من خلال التحاق الشيخ الفضلي بكلية الآداب والتحاقي بمعهد الدراسات الإسلامية العليا التابعين إلى جامعة بغداد وإن اختلف توجهنا في مجال التخصص.. حيث شاء الشيخ الفضلي ﵀ أن يتخصص في العلوم العربية وبخاصة النحو منه، أما أنا فشئت أن أتخصص في فقه المعاملات مقارنًا بالقانون المدني.

ثم واصلنا المسيرة الدراسية هذه المرة في نطاق جامعة القاهرة وذلك طموحًا لنيل درجة الدكتوراه .. حيث آثر الشيخ الفضلي ـ تغمده الله بالرحمة ـ أن يمضي في تخصصه في علم النحو أيضًا بينما آثرت أنا المضي في التخصص بالعلوم الإسلامية

المقارنة. ونُشِرَتْ في هذا المجال رسائلنا العلمية، حيث حصل كل منا بعد مناقشة مستفيضة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى.

وتشاء العناية الإلهية أن نلتقي هذه المرة كتدريسيين وليس كدارسين في رحاب جامعة الملك عبد العزيز بجدة.. حيث مارس الشيخ الفضلي بعد تعيينه بكلية الآدب في هذه الجامعة التدريس في العلوم العربية وبخاصة علم النحو منها حتى بلوغه سن التقاعد.. وكان ـ يرحمه الله ـ يرأس قسم اللغة العربية في هذه الكلية .. بينما مارست أنا التدريس في كلية الاقتصاد والإدارة التابعة إلى هذه الجامعة، وفي قسم النظم «القانون» بالذات.

وقد لاقينا هناك من التقدير والرعاية ما لم نلقه في أية جامعة أخرى، وذلك لما كانت تتمتع به إدارة هذه الجامعة من فكر رصين وخلق قويم.

وساعدنا هذا الجو العلمي الرصين أن نواصل التأليف في بعض المقررات الدراسية حيث لا يزال كتاب الشيخ الفضلي في علم النحو «مختصر النحو» مقرَّرًا ومرجعًا من مراجع هذا العلم.

وتشاء العناية الإلهية كذلك أن ندعى سويةً للتدريس في الجامعة العالية للعلوم الإسلامية بلندن، ولغرض الإشراف على بعض الرسائل العلمية التي تعد من قبل الطلاب لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه.

وقد ظلّ العلامة الفضلي يتردّد على لندن لسنوات عديدة من أجل إلقاء المحاضرات المتخصّصة على طلبة الجامعة المنتظمين أو المنتسبين.

وقد لوحظ أن الشيخ الفضلي كان يشرف على عدد كثير من الرسائل المقدمة إلى الجامعة. كما ظل يمارس التأليف في بعض المواد الدراسية المقررة في هذه الجامعة كعلم النحو، وعلوم الكلام والحديث والرجال وسواها.

كذلك قدر لي أن أشارك العلامة الفضلي في تقويم بعض البحوث والدراسات التي قدمت إلى بعض الهيئات العلمية المتخصصه لتحديد الفائز منها.. وكان ـ يرحمه الله ـ دقيقًا في تقويم جمل من هذه الدراسات، وقد ظلت هذه المسابقات تجري لسنين عديدة في نطاق المنطقة الشرقية حول موضوعات متعددة.

وكذلك الشأن عندما شاركته أيضًا في تقويم بعض الكتب المقدمة للجنة العلمية المشكلة في لندن لتحديد الفائزين من الذين شاركوا في تأليف الكتب العلمية المقدمة عن شخصية الإمام علي عليه السلام وذلك بمناسبة قيام مهرجان الغدير.

وفي ختام هذه الكلمة القصيرة وغير المستوعبة، بالنظر لظروفي الصحية، ليس لي إلا أن أبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد شيخنا وفقيدنا بواسع رحمته ورضوانه وأن يجعله من الخالدين بقدر ما أعطى وما قدم من خدمات علمية وفكرية، جزاه الله خير ما يجزي الرجال العاملين والمؤمنين. والسلام عليكم.

نزيل الدمام بالمنطقة الشرقية

محمود المظفر



إن العقل الجماعي أو الجمعي ظاهرة اجتماعية تحاول النظم الديموقراطية معالجتها، بحيث يكون هناك توازن بين الوحدة النسقية للمجتمع وبين استقلالية الفرد الذهنية وعدم انسياقه وراء المجموع العام دون تفكّر في السبيل التي يسير عليها والانتماء الذي ينتمي إليه. وهي ظاهرة ذكرها القرآن الكريم بأنها من بين عوائق الدعوات النبوية، حيث يتمسّك من يُبعث إليهم الأنبياء بالنهج العام والمألوف، ويخطّئون المنهج النبوي اتباعًا له.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

صلتي بالأخ الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله

■ الدكتور السيد طالب الرفاعي ■

بسم الله الرحمن الرحيم

تمتد الصلة بالأخ الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أكثر من نصف قرن أيام كنا أخدانًا وفي بواكير الشباب.

وكانت يوم ذاك جامعة النجف الدينية في عصرنا تمثل أزهى عصورها العلمية على اختلافها من عصر الشيخ الطوسي في القرن الخامس الهجري، وكان عصره رحمه الله هو الامتداد لعصر مدرسة بغداد الإمامية الجعفرية ممثلةً بالشيخ المفيد والسيد المرتضى وأخيه الشريف الرضي ـ رضوان الله عليهم جميعًا.

هذا هو الازدهار الأول لمدرسة النجف وتلته عصور مدّ وجزر، منها الانتقال إلى مدرسة الحلة العلمية الشامخة ممثلةً بالشيخ ابن إدريس في القرن السادس الهجري ومن بعده بالمحقّق الأول صاحب كتاب «الشرائع» وتلميذه وابن اخته ابن المطهر الحلي الشهير بالعلامة على الإطلاق من بين علماء الشيعة. ثم عاد مجد النجف العلمي في فقه الشريعة وأصولها الاستدلالية ممثلاً بالمقدس الأردبيلي. وقد لمع نجمٌ جديد بمنهج فقهي وأصولي متطور ينفي بقوته وأصالته ما كادت الموجة الأخبارية تغطي الساحة الاستراتيجية الثقافية والعلمية في العالم الشيعي وتتراجع به من فقه الاجتهاد المتطور إلى تداعيات ما ينجم عن النزعة الأخبارية التي انتشرت وكادت أن تغطي، كما ذكرنا.

وهذا النجم العلمي الاجتهادي المتطور الذي لاح في سماء كربلاء المقدسة في القرن الثاني عشر الهجري بمنهجه الفقهي والأصولي المتطور هو الوحيد البهبهاني المعاصر للشيخ يوسف البحراني صاحب كتاب «الحدائق»، رحمة الله عليهما.

وهذا الفكر الجديد أسس مدرسة بمستوى جديد في الدرس العلمي الاجتهادي والكتابة الموافقة له في التطور والتجديد في الفقه وأصوله، فكان لزامًا على مدرسة النجف يوم ذاك أن تلتحق بهذه المدرسة الجديدة المؤسسة في كربلاء المقدسة. والرحلة إلى هذه المدرسة تعتبر ضرورة علمية ودينية بعد أن تعاظم انتشار فكرها على يد مؤسسها الأستاذ الوحيد في عالم التطور والتجديد لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والتزم طلاب هذه المدرسة الهادفة بالمنهج العلمي لأستاذهم الوحيد وعنيَ بعضهم بالتأليف على ضوئه، فظهر كتاب «الفصول في أصول الفقه» للشيخ حسين وكتاب «الرياض في الفقه» للسيد علي الطباطبائي.. وتلاه بعد فترة قصيرة كتاب «كشف الغطاء» للشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي المالكي جدَ الأسرة الشهيرة بآل كاشف الغطاء، وفي الفترة نفسها لمع نجم السيد مهدي الطباطبائي الشهير ببحر العلوم وألّف هذا الأخير في الفقه الاستدلالي الاجتهادي بعض مؤلفاته، وتعاظم انتشار هذه الكتب التي أشرنا إليها في كل مكان من العالم الشيعي.. وأخذ العلماء بتدارسها وتدريسها.

وبعودة السيد بحر العلوم والشيخ جعفر المالكي بدأ عهد جديد في مدرسة النجف الأشرف العلمية وبدأت تتطور في حقلي الدرس الفقهي والأصولي وبان أثر ذلك في تلاميذ بحر العلوم وكاشف الغطاء، فظهر كتاب «مفتاح الكرامة» في الفقه للسيد محمد العاملي تلميذ بحر العلوم وكتاب آخر في الفقه بعنوان «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» للشيخ محمد حسن تلميذ بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء.

وبدأ عطاء جديد تفاقم وتعاظم أثره وتأثيره في مدرسة النجف وغيرها من معاهد العلوم والمعارف في العالم الإسلامي الشيعي بظهور مدرسة الشيخ مرتضى الأنصاري صاحب كتابي «فرائد الأصول» و«المكاسب» وكلاهما لون جديد في الفقه وأصول الفقه، وكل من جاء بعد مدرسة الأنصاري كان متأثرًا بهذه المدرسة كالشيخ رضا الهمداني والكاظِمَين اليزدي والخراساني في كتبهما الأصولية والفقهية، مثل: كتاب «الطهارة في الفقه» وكتاب «الصلاة والزكاة والخمس» للأول وكتاب «الكفاية في أصول الفقه» للخراساني، وكتاب «العروة الوثقى وفروعها الفقهية» للسيد كاظم اليزدي، وتوارث ذلك من بعدهم المشايخ الثلاثة النائيني والأصفهاني

الغروي والشيخ ضياء العراقي وهذا كله من التطور والتجديد في الدرس الفقهي والأصولي السابق لعصرينا أنا والأخ الشيخ الفضلي اللذين أدركا وجيلهما أواخر عصور ذلكم الازدهار في مدرسة النجف وهو الأخير من مراحل التطور، وأرجو ألَّا يكون الآخر، إن شاء الله تعالى.

وكان عصر هؤلاء الثلاثة المتقدمين زميلهم الأصفهاني صاحب كتاب «وسيلة النجاة» والمرجع الأعلى للشيعة في عصره الذي طبقت شهرته الآفاق، وسرت مرجعيته في التقليد مسير الليل والنهار حتى قال فيه معاصره الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء: «لقد دخل السيد أبو الحسن الأصفهاني كل بيت فيه شيعة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام»، وقال فيه أيضًا: «أنسيت من كان قبلك وأتعبت من يأتي بعدك».

وكان من نصيبينا طالب الرفاعي والشيخ الفضلي وجيلهما الطليعي أن ندرك العلماء الفقهاء خلفاء المجد القديم والطريف في عطائه الفقهي والأصولي الذي احتوته مدرسة النجف ممثلاً بالشيخ محمد رضا آل ياسين والسيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي، كما أدركنا فجر طلوع مدرسة الشهيد الصدر.

وهنا يعرج بنا الحديث على مراحل الدراسة والاستفادة من شيوخنا العلماء الآخرين، كالشيخ محمد رضا المظفر وتلميذه النابه الأستاذ محمد تقي الحكيم وشيخنا الاستاذ محمد الأمين زين الدين، وتمرسنا على أسلوبهم في الكتابة ومنهجهم في البحث والدرس، وقد اجتمع الجديد مع القديم في عطائهم الفكري، وتشهد بذلك مؤلفاتهم في جانبها العلمي والفني.

وقد مثل الأخ الدكتور الفضلي رحمه الله ما احتوته تلكم الكتب والمؤلفات لشيوخه وأساتيذه أصدق تمثيل في كتبه المعبرة عن عمق أصالة المعنى والمبنى. وكان أولئك الأفذاذ من علمائنا لهم الأهمية الكبرى في بناء شخصيات تلاميذهم وتوجيههم إلى الجمع ما بين القديم والحديث ثقافيًا وعلميًا ومنهجيًا، فكاد تلاميذه أن يكونوا الامتداد الطبيعي لهم.

وهذا ما انطبع فيه كل ما صدر للشيخ الدكتور الفضلي من مؤلفات قيِّمة.. ولنا أن نضم إلى أولئك العلماء النوابغ الثلاثة: الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي تأثر جيلنا به وبمؤلفاته وإن كان هو من جيلنا إلا أنه كان الطليعي في هذا الجيل الممثل

أصدق تمثيل لمدرسة الشيخ الأنصاري ومن جاء بعدها من طلابها وتلاميذها المتأثرين بها علمًا وتجديدًا.

وهذا التوصيف بواقعه العملي من التأثير قد ظهر جليًّا مضيئًا فيما تضمنته مؤلفات الشيخ الدكتور الفضلي المتنوعة.

تناولت في حديثي هذا النماذج من علمائنا وشيوخنا في الحوزة العلمية النجفية عرفانًا بفضلهم وإشادةً بمكانتهم العلمية وأثرهم وتأثيرهم في أكثر الذين أخذوا عنهم واستفادوا من إنجازاتهم الفكرية وبالأخص الشيخ المظفر ـ رحمه الله تعالى ـ المؤسس للمدرسة للجمع ما بين القديم والحديث والأخذ بأسباب المعرفة ذات المنفعة العامة التي ورد فيها أنها الحكمة، وقد قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، صدق الله العظيم. وقال الرسول الأعظم ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن...». وكانت مؤسسة الشيخ المظفر بعد أن كتب الله لها الانتصار شرعت في تأسيس المدارس والمعاهد الجامعة بين الدرس الحوزوي القديم والمنهج الحديث، وآخر ما تم إنجازه في عصرنا «كلية الفقه» التي تخرج بها الشيخ الدكتور الفضلي والرعيل الأول من زملائه في هذه الكلية كالشيخ مهدي السماوي والشيخ محمد مهدي الآصفي والسيد الدكتور مصطفى جمال الدين والسيد محمد الصدر الشهيد الثاني والدكتور السيد طالب الرفاعي، والدكتور محمود المظفر وغيرهم ... إلخ.

وعن طريق «كلية الفقه» حصل بعض المتخرجين منها على شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد وجامعة القاهرة وغيرهما من جامعات الشرق والغرب.

وأصبح بعضهم من كبار الأساتذة الجامعيين ونخبة المفكرين في العالم العربي والإسلامي. ولما أقيمت للشيخ الدكتور الفضلي بعد وفاته حفلات تأبينية في مؤسسة الإمام الخوئي ودار الإسلام ساهمتُ بكلمتين فيهما عن الشيخ الفضلي ﵀، ذكرت أنه من أفضل أصحابنا الذين تخرجوا في كلية الفقه، وشاهدي على ذلك إنتاجه العلمي والفكري في حقول معرفية متعددة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

ذكرتُ فيما تقدم صلتي بالشيخ الفضلي وقلت إن هذه الصلة تمتد إلى أكثر من خمسة عقود زاملته فيها بدايةً بحضوري وإياه والأخ الشهيد الشيخ مهدي السماوي الدرس على الشيخ محمد علي الخميسي في كتاب «شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثاني. وزاملته أيضًا مع لفيف من أصحابنا في حضور درس الشيخ محمد أمين زين الدين في كتابه الذي كان يقرؤه علينا مجتمعين وعنوانه «الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته». كما زاملته أيضًا السنين الأربع في كلية الفقه وافترقنا في دراسة الماجستير بعد التخرج من هذه الكلية فقد حصل على شهادة الماجستير من جامعة بغداد وحصلت عليها من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بمصر، ثم دارت دورة الزمن فاجتمعت والأخ الفضلي في كلية دار العلوم المذكورة للحصول على شهادة الدكتوراه التي حصل عليها كل منا، ثم فرقنا الزمن بعد كل ذلك الاجتماع والتآخي والمسار في الدرب الواحد الجهادي الإسلامي حتى استقر به النوى في بلاده الأم فأصبح فيما بعد رئيسًا لقسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.. أما صاحبه كاتب هذه الحروف فأخذ الدهر يتقلب به من مكان إلى آخر حتى استقر في مطافه الأخير بالولايات المتحدة الأمريكية.

وكنت بين الحين والآخر ألتقي بالأخ الدكتور الفضلي حينما يدعى لإلقاء بعض المحاضرات هناك.

أقف هنا لأن المجال لا يتسع للحديث التفصيلي عن الأخ الشيخ الراحل، تغمده الله تعالى بفسيح رحمته وأسكنه فراديس جنانه.

وآخر ما تمثلت به من شعري في تأبينه لما بلغني نعيه المفجع قلت:

لفقـد أخـي المفضـال سـالت مـدامعي	وهاجت بي الأحزان وانحسـر الصـبر
وإن عـزّ مفقـودًا فـما أنـا بالـذي	معـزٌّ بـه غـيري وإن قـرب النجـر
فكيـف أعـزي الغـير فيـه وإنـني	لـذو لوعـة وقـادة دونـها الجمـر

أقول معتذرًا إلى الحفل الكريم لأني قد أمليت هذه الكلمات على بعض بناتي بصورة مستعجلة؛ لأن غرضي أن أكون مشاركًا في تأبين أخي ولا يهمني أكانت

الكلمة جامعةً، وهيهات أن تكون كذلك أو فيها ما فيها من النقص المستولي على كافة البشر. وقديمًا قيل العذرُ عند كرام الناس مقبول، وأنتم من كرامهم.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأربعاء في ١٢ رجب ١٤٣٤هـ

٢٢ مايو ٢٠١٣م



من أساسيات حوار الحضارات إشراك المؤسسات التعليمية في خلق بيئة ومناخ علمي وتربوي يسهم في تقريب الأفهام بين أتباع كل حضارة عن الحضارة الأخرى، ويقرّب النفوس ويبعد ما فيها من شحناء تجاه بعضها البعض، وبخاصّة عندما يكون ذلك من خلال مقررات دراسية مقارنة بين ثقافة كلٍّ من الحضارتين المتحاورتين.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

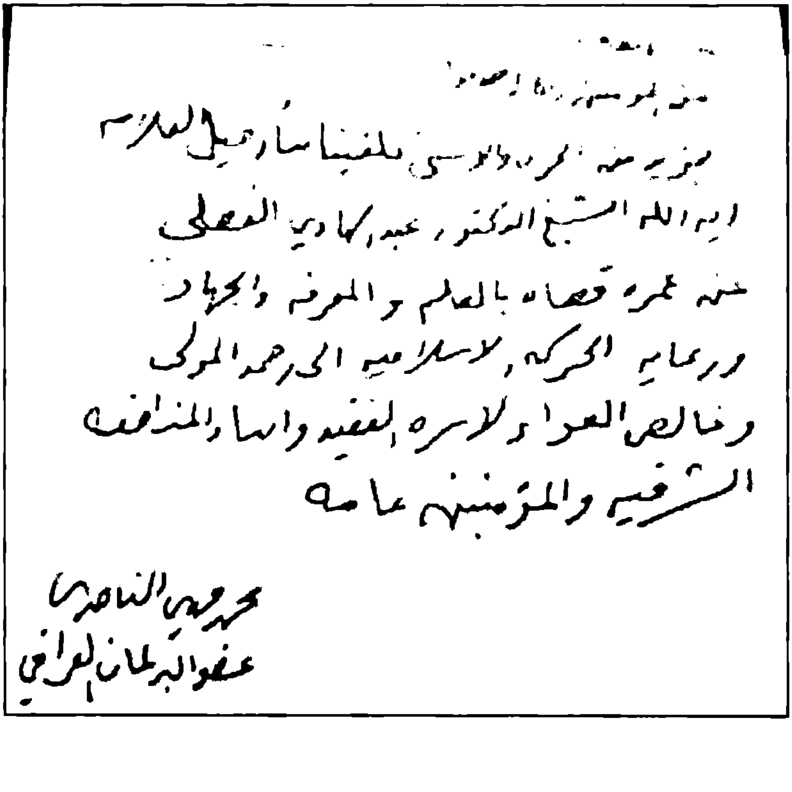
رسالة الشيخ محمد مهدي الناصري

بسمه تعالى

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

بمزيد من الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العلاّمة آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي عن عمر قضاه بالعلم والمعرفة والجهاد ورعاية الحركة الإسلامية إلى رحمة المولى وخالص العزاء لأسرة الفقيد وأبناء المنطقة الشرقية، والمؤمنين عامةً.

محمد مهدي الناصري، عضو البرلمان العراقي



بسمه تعالى

من المؤمنين رجال صدقوا

بمزيد من الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العلامة

آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

عن عمر قضاه بالعلم والمعرفة والجهاد

ورعاية الحركة الإسلامية الى رحمة المولى

وخالص العزاء لأسرة الفقيد وابناء المنطقة

الشرقية والمؤمنين عامة

محمد مهدي الناصري

عضو البرلمان العراقي

رسالة الوكيل الشرعي العام للإمام الخامنئي في لبنان سماحة السيد حسن نصر الله في ذكرى الأربعين

بسم الله الرحمن الرحيم

لمناسبة مرور أربعين يومًا على رحيل العالم الربّاني سماحة آية الله العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ رضوان الله عليه، أتقدّم من عائلته الشريفة ومن السادة العلماء وعموم المؤمنين والمسلمين من أهلنا في الأحساء والقطيف وسائر بلاد المسلمين بأحرّ التعازي ومشاعر المواساة.

إنّ هذا العالم الكبير كان مفخرةً في العلم والعمل والزهد والتقوى ومحبّة الناس والتفاني في خدمتهم، كما في مؤلّفاته الكثيرة والقيّمة التي تركها في العديد من العلوم النافعة، وفي عطائه الذي لم يتوقّف يومًا طوال عمره المبارك، بما فيه سنوات مرضه الطويل، وفي دعوته الدائمة إلى الوحدة الإسلامية والوطنية، ودفاعه عن قضايا الأمة والبشرية.

أسأل الله تعالى للفقيد الكبير والرحمة وعلوّ الدرجات، ولعائلته الصبر، وللعلماء حُسن التوفيق لمتابعة مسيرة عطائه وجهاده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الوكيل الشرعي العامّ للإمام الخامنئي ـ دام ظلّه الوارف ـ في لبنان

السيد حسن نصر الله

بيروت، الثلاثاء: ١٠ رجب المرجّب ١٤٣٤هـ/ الموافق: ٢١ آذار ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل العالم الرباني سماحة آية الله العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي [illegible]، أتقدم من عائلته الشريفة ومن السادة العلماء وعموم المؤمنين والمسلمين من أهلنا في الإحساء والقطيف وسائر بلاد المسلمين بأحر التعازي ومشاعر المواساة.

إن هذا العالم الكبير كان مفخرة في العلم والعمل والزهد والتقوى ومحبة الناس والتفاني في خدمتهم، كما في مؤلفاته الكثيرة والقيمة التي تركها في العديد من العلوم النافعة، وفي عطائه الذي لم يتوقف يوماً طوال عمره المبارك، بما فيه سنوات مرضه الطويل، وفي دعوته الدائمة للوحدة الإسلامية والوطنية، ودفاعه عن قضايا الأمة والبشرية.

أسأل الله تعالى للفقيد الكبير الرحمة وعلو الدرجات، ولعائلته الصبر، وللعلماء حسن التوفيق لمتابعة مسيرة عطائه وجهاده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوكيل الشرعي العام للإمام الخامنئي (دام ظله الوارف) في لبنان

السيد حسن نصر الله

بيروت، الثلاثاء: 10 رجب المرجب 1434هـ الموافق 21 آذار 2013م.

بيان السيد علي فضل الله

لقد فقد العالم الإسلاميّ بوفاة سماحة الشيخ عبد الهادي الفضلي، عالمًا إسلاميًّا كبيرًا، وفقيهًا مجدِّدًا، أثرى المكتبة الإسلاميّة بالمؤلّفات والأبحاث الفقهيّة والفكريّة والأدبيّة، وكان من الشخصيّات الإسلاميّة الوحدويّة الّتي عملت بصدق للوحدة الإسلاميّة، وأرادت للمجتمع الإسلاميّ أن يعيش هذه الوحدة في مواجهة كلّ أولئك الّذين أرادوا الإيقاع بين المسلمين السنّة والشّيعة، وكان من الأوائل الّذين رأوا مرجعيّة سماحة السيّد محمد حسين فضل الله ﵀ منطلقًا لرؤيةٍ علميّة جديدة، وأساسًا لصون الواقع الإسلاميّ وحمايته، وتقديم صورة إسلامية مشرقة للعصر.

لقد شكّل رحيل هذا العالِم الكبير خسارة كبرى لمسيرة العلم والعلماء، وثلمة لا تسدّ. وإننّا إذ نسأل المولى تعالى أن يتغمّده بواسع رحمته، ويسكنه الفسيح من جنّاته، نبتهل إليه تعالى أن يعوّض هذه الأمّة بأمثاله، وبالعلماء العاملين لوحدة الأمّة وعزّتها وكرامتها ومنعتها، إنّه سميعٌ مجيب.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

السيد علي فضل الله

بيان الحوزة العلمية بالأحساء

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

بمزيد من الحزن والأسى تنعى الحوزة العلمية بالأحساء فقيدها الراحل سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي طيب الله ثراه، الذي قضى عمره الشريف في بيان ونشر معارف آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين وخدمة شريعة سيد المرسلين ص وبهذه المناسبة الأليمة ترفع أحر التعازي وفائق المواساة إلى مقام بقية الله الحجة بن الحسن عج والمراجع العظام ومنسوبي الحوزات العلمية وأسرة الفقيد والمؤمنين كافة.

وتفيد المؤمنين أنه سيشيع جثمانه الطاهر عصر يوم غد الثلاثاء الموافق ٢٨/ ٥/ ١٤٣٤هـ من مسجد الامام الكاظم عليه السلام بالقرب من جمعية سيهات الخيرية.

كما تعلن عن إقامة مجلس العزاء على روحه الشريفة في مقر الحوزة العلمية بالأحساء الواقعة بحي النزهة شمال المبرز وذلك لمدة ثلاثة أيام عصرًا وليلاً ابتداءً من يوم الأربعاء ٢٩/ ٥/ ١٤٣٤هـ الى نهاية يوم الجمعة ١/ ٦/ ١٤٣٤هـ.

وتدعو عموم العلماء والمؤمنين للمشاركة في عزاء هذا المصاب الجلل سائلة الله العلي القدير أن يتغمد فقيدها السعيد برحمته ويسكنه فسيح جنته ويحشره مع محمد وآله الطاهرين.

الحوزة العلمية بالأحساء، ٢٧/ ٥/ ١٤٣٤هـ

علماء القطيف والأحساء يعزون برحيل العلامة الفضلي

جريدة البيان العراقية، ١٠ أبريل ٢٠١٣م

أغنى الشيخ الدكتور الفضلي بمؤلفاته وتصانيفه القيمة التي تجاوزت المائة كتاب المكتبة العربية والإسلامية، ونظرًا لما تتميز به مؤلفاته من منهجية علمية، وأسلوب عصري؛ فقد أصبح بعضها يدرس في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

نعى العديد من الفاعليات الشيعية في محافظتي القطيف والأحساء شرقي السعودية رحيل (العلامة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي)، أبرز رجال الدين الشيعة في المنطقة الشرقية والذي وافاه الأجل بعد صراع طويل مع المرض.

ووصف الشيخ حسن الصفار في بيان رحيل العلامة الفضلي بـ «العالم الرباني، والفقيه المجدد، والمفكر الرسالي، الذي تربى على يديه، وعبر مناهجه الدراسية العلمية، جيل من العلماء البارزين، والمثقفين الرساليين، ورفد الحوزات العلمية ببحوثه وطروحاته التجديدية، وأثرى الساحة بعطائه الفكري الأصيل».

ونعى الشيخ فوزي السيف رحيل الشيخ الفضلي «بعد عمر قضاه في العمل الديني والإسلامي، وبعد حياة مليئة بالإنتاج العلمي والمنهجي». وقال الشيخ السيف «يعتبر المرحوم الشيخ الفضلي رضوان الله عليه من الرعيل الأول من قادة الحركة الاسلامية المعاصرة، ومن رواد الدعوة إلى الاصلاح على مختلف المستويات». وأضاف «بدءًا من الحوزة العلمية ومناهج التدريس فيها حيث أنتج عددًا مهمًا من الدراسات المنهجية للسطوح المختلفة، وأيضًا في العمل الثقافي حيث كانت دراساته وكتبه تعد من الأساسيات للتثقيف الديني في المجاميع الشبابية بالإضافة إلى دوره الاجتماعي في التبليغ وإلقاء المحاضرات النافعة».

ونعى السيد حسن النمر الموسوي الراحل الفضلي ووصفه بـ «العالِمَ العامِلَ والراعيَ الكفوءَ والأبَ الحنونَ؛ والفقيهَ الموسوعي والمفكرَ الكبيرَ والكاتبَ المبدعَ».

وأشاد السيد الموسوي بجهود الراحل «بعد عمرٍ مديدٍ زاخرٍ بالعطاءِ للقريبِ والبعيدِ، وبعد مسيرةٍ خيرٍ شهد لها أهلُ الفضلِ والإحسانِ». وتابع «وإننا إذ نستقبل هذا القضاءَ الربانيَّ بالتسليم والرضا فإننا ندعو اللهَ تعالى أن يجزيَ الفقيدَ الراحلَ بأحسنِ الجزاءِ على ما قدَّم في سبيلِ الله؛ مِن خدماتٍ جليلةٍ كانت؛ وستظل بإذن الله، مشاعلَ وضاءةً تنير الدربَ لطلابِ العَلمِ والساعينَ في طريقِ الكرامةِ والاستقامةِ».

ونعى الشيخ الدكتور عبد الله اليوسف في بيان صادر عن مكتبه، رحيل العلامة الفضلي «بعد حياة مليئة بالعلم والعمل، والعطاء والإنتاج العلمي والفكري والأدبي المتميز». وأضاف «إن الساحة الدينية والعلمية قد خسرت بفقده قامة علمية متميزة، ورائدًا من رواد الإصلاح والتجديد، ومفكرًا مستنيرًا ملأ الدنيا بعطائه العلمي، وفكره المتجدد، ومؤلفاته القيمة، ومصنفاته المتميزة؛ وهذا ما سيجعله مخلدًا على مر الأيام والسنين». وذكر بيان الشيخ اليوسف «أغنى الشيخ الدكتور الفضلي بمؤلفاته وتصانيفه القيمة التي تجاوزت المائة كتاب المكتبة العربية والإسلامية، ونظرًا لما تتميز به مؤلفاته من منهجية علمية، وأسلوب عصري؛ فقد أصبح بعضها يدرس في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية».

كما نعى الشيخ فيصل العوامي في بيان رحيل الشيخ الفضلي «بعد مسيرةٍ حافلة وكفاحٍ طويل، وأداءٍ متميز في تثقيف الأمة ودعوتها لعلوم آل محمد». ووصفه أنه «مفخرةٌ من مفاخر هجر الحاضرة التي قدّمت إلى العلم والمعرفة رجالاً خدموا المسيرة الإسلامية بإنجازات وعطاءاتٍ هامة». مقدمًا تعازيه لعائلة الفقيد.

ووصف الشيخ محمد المدلوح «رحيل هذا العالم الكبير ذائع الصيت في الحوزات العلمية ببحوثه القيمة ومؤلفاته العديدة والتي أسهمت في تبسيط بعض المواد ككتابي مبادئ الأصول وخلاصة المنطق وغيرهما من الكتب والآثار العلمية لخسارة كبيرة جدًا».

ونعت حوزة (دار العلم) بالقطيف الفقيد الذي اعتبرته في بيان لها بأنه «كان رمزًا من رموز العلم والعمل والجهاد». وأضاف بيان الحوزة «لقد ملأ بعلمه الجم المكتبة الفقهيّة والأصوليّة والفكرية الإسلامية بالكثير ممّا يُغني السّاحة العلميّة؛ وملأ بجهاده الروح الرسالية المخلصة، وملأ بخطبه ومحاضراته وتوجيهاته ولذلك فإنّ رحيله يعد خسارة كبيرة للأمة».

ونعى أعضاء اللجنة التنظيمية لـ (منتدى الثلاثاء الثقافي) بالقطيف رحيل «علمًا من أعلام الفكر والثقافة في وطننا»، وأعلن المنتدى بتأجيل ندوة هذا الأسبوع الذي كان مقررًا عقدها أمس الأول الثلاثاء.

ووصف الشيخ علي المعلم العلامة الفضلي أنه «علمًا من أعلام الفكر والوعي ورمزًا من رموز الإصلاح في العالم الإسلامي، ومفكرًا من الطراز الأول، ومعلمًا بارزًا من معالم المسيرة الإسلامية، ومربيًّا لجيل من أبناء الأمة، رفد المكتبة الإسلامية بأروع ما صاغه في الفكر والثقافة والدراسات التخصصية».

ونعت (لجان الولاية الإسلامية) بأم الحمام رحيلَ الشيخ الفضلي بعد «صراعٍ طويل تكابده مع انتكاساته الصحية، غيَّبه عن المحافل العلمية، وحلقات درسه وعطائه». واعتبرت «سجله الزاخر يسجل بصمات سماحته التي كانت مفصلاً من مفاصل التغيير الهامة في منطقتنا بل عموم العالم الإسلامي، وقد تفيأ بظلاله الوارفة كلُّ هذا الرعيل الناهض في العالم الإسلامي اليوم، بما امتلكه من نبوغٍ علمي، وطموحٍ متحفز، وبصيرةٍ ثاقبةٍ تُلامس تطلعات الأمة، وتعي جراحَها، وتعرف طِبّها وما تحتاره لإصلاح اعتلالاتها الجمة». كما وصفت «الرصيدَ الضخم الذي خلفه سماحته من المكتوب الحوزوي، والإسلامي الاجتماعي، وسلاسل محاضراته وندواته المسجلة خير شاهدٍ على هذه الهُوّة التي صنعها رحيل هذا العَلَم العظيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ونعى الشيخ حسين الراضي الراحل الفضلي «الذي بذل كل وقته وجهده في سبيل العلم وتطويره من خلال مؤلفاته الكثيرة وقلمه السيال الذي سخّره من أجل تطوير المناهج العلمية الحوزوية وغيرها». واصفًا إياه أنه «مثال للزهد والورع وحب الخير والتواضع. ومثال للجهاد في سبيل العلم والعلماء».

ونعى الشيخ حسين المصطفى في بيان تعزية «برحيل جسد هذا العالم المعرفي الموسوعي إلى بارئها، لا تبقى إلاّ المنجزات العظام التي خلّفها على صعيد العلم والمعرفة والحركة الإسلامية؛ إنه شاهد فريد على عصر مملوء بالصراعات الفكرية العميقة لا غنى لأي باحث عن شهادته وشخوصه».

بيان الشيخ اليعقوبي

فُجع العالم الإسلامي برحيل سماحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وفقد بوفاته عالمًا رساليًّا مصلحًا مثقّفًا أديبًا حصيفًا، ونحن بأمسِّ الحاجة لجهود أمثاله ممن اجتمعت فيه هذه الصفات الكريمة لحل مشاكل الأمة والارتقاء بأبنائها.

عرفتُ سماحة الشيخ الفقيد منذ عقود حينما قرأت ما كان ينشر في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي في النجف الأشرف منذ العام ١٣٨٣/ ١٩٦٣، حيث شخّص بفطرته ووعيه وإخلاصه منذ سنوات دراسته المبكرة حاجة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية إلى التحديث وإعادة النظر لتواكب متطلبات الحياة المعاصرة وتحدّياتها، ولا عجب في ميله إلى المدرسة الإصلاحية فقد كان من طلبة العلاّمة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ في الحوزة العلمية وفي كلية الفقه فتأثّر بآرائه وأفكاره، واختار صفحات مجلة الإيمان ومجلة أضواء التي كانت يصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف ليطلق دعواته تلك، ولم تقف عند حدود التمنّيات والتنظير بل وضع فعلاً بعض الخلاصات للمنطق وأصول الفقه تأسّيًا بأستاذه المظفر ﷺ واستمر بالدراسة والتدريس حتى حضر بحوث الخارج عند أبرز مراجع وعلماء العصر (قدس الله أرواحهم).

كما أدرك (رحمه الله تعالى) في ذلك الوقت الفجوة الكبيرة بين الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية بل الشباب والمثقفين عمومًا الذين انخرطوا في الحركات السياسية والأيديولوجيات البعيدة عن الدين، فرأى لزامًا عليه أن يعمل ما بوسعه لردم هذه الفجوة المصطنعة بمكر أعداء الإسلام وجهل أبنائه والمدّعين لسدانة مؤسسته الإلهية المباركة، وعرف أن العمل المثمر يكون بولوج هذه الجامعات من أبوابها بأن يكون عنصرًا فاعلاً وصاحب قرار فيها فالتحق بكلية الفقه التي أسسها

المرحوم الشيخ المظفر وكان من طلبة الدفعة الأولى التي تخرجت عام ١٩٦٢ ثم واصل دراسة الماجستير والدكتوراه وحصل عليها من القاهرة بامتياز.

كل هذا يدل على أنه ذا همّة عالية وشعور كبير بالمسؤولية وأمل عريض برفعة الإسلام وعزّة أبنائه، ولم يكتف في عطائه بعمره في الدنيا الذي ناهز الثمانين، بل أضاف له عمرًا ثانيًا ممتدًا بإذن الله تعالى حين طبّق الحديث النبوي الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلاّ من ثلاث) فترك لنا مؤلفات نافعة ومؤسسات مثمرة وأنجالاً صالحين لتكون له صدقات جارية.

ومضافًا إلى ذلك فقد كان أديبًا وعضوًا في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف التي أسّسها المرحوم جدّي الشيخ محمد علي اليعقوبي ونخبة من زملائه سنة ١٩٣١ وبقي عميدًا لها أكثر من ٣٠ سنة حتى وفاته عام ١٩٦٥.

لقد رحل فقيدنا الجليل والجميع بحاجة إلى مساعيه الحكيمة للقضاء على الفتن والتوترات التي يعاني منها أحبتنا في أرض الحرمين الشريفين المباركة حرسها الله وأهلها من كل سوء ووقاها شر الأعداء المتربّصين، ونراهن على حكمة العقلاء من جميع الأطراف لتطويق الأزمة وفك عقدها بالحوار البنّاء والابتعاد عن الانفعال والتعصّب، وان يكون هاجس الجميع ازدهار البلد ورفاه أبنائه وعزّتهم وكرامتهم.

تغمّد الله تعالى فقدينا الراحل برحمته الواسعة وألحقه بالصالحين من عباده، وجعل روحه الطاهرة مصدر إلهام لإخواننا في المملكة ولجميع المسلمين في فعل الخيرات، والله ولي المؤمنين.

محمد اليعقوبي ـ النجف الأشرف

٢٨/ جمادى الأولى/ ١٤٣٤هـ : ٩/ ٤/ ٢٠١٣

بيان مكتب السيد كمال الحيدري

«إذا مات العالم، ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء»

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العالم المجاهد الكبير والمفكر الإسلامي، عضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام «العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي» صباح يوم الاثنين الموافق ٠٨/ ٠٤/ ٢٠١٣م، بعد حياة مليئة بالعلم والعمل، والعطاء والانتاج العلمي والفكري المتميز، عن عمر مديد في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل.

نسأل الله عز وجل أن يتغمد الفقيد السعيد بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يحشره مع محمد وآله الأطهار، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾..

مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة

بيان مكتب السيد حسين الصدر

الكاظمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

تلقينا ببالغ الأسى والأسف وفاة فضيلة العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ رحمه الله تعالى، هذا العالم الجليل الذي نذر نفسه لخدمة الاسلام والمسلمين وعمل بجد وإخلاص لإعلاء كلمة الحق من خلال تهذيب العقول، وتنوير النفوس بنور الايمان.

لقد كان فقيدنا الراحل، من الشخصيات العلمية المرموقة، التي قدّمت الأفكار الناضجة من أجل توحيد صفوف المسلمين، ومحاربة جميع مظاهر الانحرافات الفكرية، التي تحاول تصديع صفوف الأمة الاسلامية، بإشاعة التطرف والتعصب ورفض الإصغاء للرأي الآخر.

وبهذا المصاب الجلل يقدم المكتب الإعلامي للمرجع الصدر أحرّ تعازي سماحة المرجع الصدر إلى عائلة الفقيد ـ رحمه الله تعالى ـ وإلى جميع محبيه، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يتغمّد هذا العالم الكبير بالرحمة والرضوان، وأن يمنّ على ذويه ومحبيه بالصبر والسلوان، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

المكتب الإعلامي للسيد حسين الصدر/ الكاظمية المقدسة

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ : ٨ / ٤ / ٢٠١٣ م

بيان الشيخ محمد مهدي الآصفي

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

تسليمًا ورضًا بقضاء الله تعالى وقدره، ننعى إلى المؤمنين علمًا من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وحجة من حجج الإسلام في الأرض، ورائدًا من رواد الوعي الإسلامي المعاصرين... المفكر والمنظر والكاتب والمؤلف الإسلامي المعاصر حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله.

وبفقده فقدنا خبرة وتجربة لنصف قرن في العمل الميداني الإسلامي، والحركة الإسلامية المعاصرة، والدعوة إلى الله، والكتابة والتأليف والتنظير العلمي والمنهجي، وفقدت أخًا عزيزًا عاشرته طويلاً، وعرفت فيه التقوى والوعي والمعرفة والاهتمام بشؤون المسلمين والإخلاص.

اشتهر بالوعي، والعلم، والتقوى، والاعتدال، والمثابرة، في ساحات الحوزة العلمية والأوساط الجامعية، والحركة الإسلامية والأوساط العلمية المعاصرة... وخلّف من بعده تراثًا نافعًا للحوزات العلمية والجامعات ولساحات الحركة الإسلامية الناهضة في العالم الإسلامي.

تغمده الله برحمته الواسعة، وتعازينا إلى المؤمنين الذين يشعرون فداحة الخسارة بفقده وتعازينا لأولاده وأحفاده وأسرته، وإنا لفقده لمحزونون.

والحمد لله رب العالمين، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

محمد مهدي الآصفي ـ النجف الأشرف

٢٧ جمادى الاولى ١٤٣٤هـ

بيان مكتب الشيخ محمد علي العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

ببالغ الحزن والأسى نرفع عزائنا إلى مولانا صاحب الأمر والزمان برحيل العلامة الكبير آية الله الدكتور المجاهد الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي كان له دور بارز في رفد الحوزة العلمية بمؤلفاته القيمة ومساهماته العلمية والفكرية الرصينة التي سيبقى لها أثر مخلد لشخصه ومجده كما ورد في الحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة أو علم ينتفع به»، وكذلك الدور العلمي والمتميز في الداخل والخارج وقد فقدنا بفقده نورًا بازخًا وطودًا شامخًا وعلمًا خلاقًا.

والله تعالى نسأل أن يعوض الأمة الإسلامية عن هذه الخسارة الفادحة من يتصدى لهديها وجمع كلمتها والأخذ بها إلى ساحل النجاة والأمان، كما نرفع عزائنا إلى عائلة الشيخ الفقيد السعيد وجميع العالم الإسلامي وبالخصوص المحبين لآل البيت عليهم السلام وجميع المؤمنين. رحم الله الفقيد وحشره في زمرة محمد وآله الطاهرين..

مكتب آية الله الشيخ محمد علي العمري ـ المدينة المنورة

بيان المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

«إذا مَات العالِمُ ثُلِمَ في الإسلام ثُلمَةٌ لاَ يَسُدُّها شَيء»

تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ ارتحال «العلامة الدكتور سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي قدس الله نفسه الزكية» المفكر الإسلامي الكبير وعضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

لقد كان المرحوم المغفور له علمًا من أعلام الإسلام ومفكرًا إسلاميًّا وكان يحتذى به في الأوساط العلمية والمراكز الدينية وقد قدم خدمات جلية لأبناء الأمة الإسلامية طيلة عمره الشريف والحافل بالعطاء وقد قضى عمره الشريف في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

و كما كان المرحوم المغفور رائدًا من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية حيث أضاء طريق الجماهير المسلمة بأفكاره الحكيمة وآثاره العلمية الصائبة، وكان من عظيم شرفنا واعتزازنا أن يكون هذا الفقيد السعيد عضوًا بارزًا وعضدًا وسندًا فكريًّا ومعنويًّا وعمليًّا للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

ولقد أصاب خبر ارتحال العلامة الجليل آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي المسلمين عامة وأتباع أهل بيت النبوة خاصة، بالحزن والألم لما لهذه الشخصية العلمية من فضل كبير على الحوزات العلمية وأتباع أهل البيت عليهم السلام بسبب ما أرفده من مؤلفات كثيرة نافعة في مختلف المجالات.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالعزاء إلى الإمام المهدي المنتظر (عج) وإلى قائد الثورة الإسلامية ومراجع التقليد العظام والحوزات

العلميّة والعلماء الأعلام والمثقفين وإلى أسرة وذوي فقيدنا العزيز؛ سائلين الله المتعال أن يتغمد روحه الطاهرة بالرحمة الواسعة وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان ويحشره الله مع الأنبياء والصالحين والأئمة الأطهار إنه سميعٌ مجيب و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ
27 جمادى الأولى عام 1434هـ



ما يعيشه العالم اليوم من أجواء ضاغطة باتجاه اتخاذ أساليب السلم والحوار والمؤتمرات والحلول السياسية لعله بادرة لأن تهيمن على العالم تلكم الأجواء الإيجابية، وهي أجواء في صالح بزوغ وتميّز الحضور الإسلامي، ذلك أنه دين حجّة ومنطق، وفيه من القوانين والأنظمة والأحكام ما يؤهله لبلوغ المكانة العالية بين الحضارات والأمم الأخرى.

الشيخ عبد الهادي الفضلي

بيان المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد فجعنا بنبأ رحيل العلامة المفكر آيت الله الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله.

لقد كان علمًا بارزًا من أعلام الإسلام حمله همًا كبيرًا وسخر نفسه لخدمته في مختلف المجالات (الفقهية والأصولية والتاريخية والأدبية).

ولقد ألف الكثير من الكتب التي صار بعضها مرجعًا علميًّا للباحثين والمحققين، كما ربى الكثير من الطلبة والدارسين في المجالات الحوزوية والجامعية، وحاضر في بلدان عديدة فكان المفكر الألمعي الجامع والمؤلف الإسلامي الكبير والمربّي الديني للجماهير.

وقد نال الأستاذ المرحوم إعجاب الحوزات العلمية والعلماء الأعلام فوصفه «المرحوم الطهراني» بأنه الواصل في حداثة سنه إلى أعلى مراتب الكمال، كما وصفه «الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر» بأنه ممن يرفع الرأس عاليًا ويشكل رقمًا من الأرقام الحيّة على عظمة حوزة النجف العلمية.

رحمه الله رحمة واسعة وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وإنني باسم علماء التقريب أرفع آيات العزاء لسماحة الإمام القائد السيد علي الخامنئي وسائر المراجع العظام، كما أعزي به الحوزات العلمية والجامعية، وأخص بالتعزية أهالي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الذين طالما نعموا بروحه الطاهرة وعلومه الجمة.

محمد علي التسخيري

رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

بيان الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾

تلقينا ببالغ الأسى نبأ رحيل رجل العلم والجهاد، وسيد المنبر والمحراب، وأحد رواد التقريب، الكاتب والمفكر الإسلامي الكبير سماحة العلامة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ الذي عرف بخدماته الجليلة للدين الحنيف وأمته ونذر حياته المباركة بإخلاص من أجل إعلاء كلمة الحق والوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية؛ وقد خسرت الأمة الإسلامية بوفاته، عالمًا جليلاً ومجاهدًا كبيرًا ومفكرًا مبدعًا ووحدويًا صادقًا ومربيًا مخلصًا.

والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، إذ ينعى إلى الأمة الإسلامية فقيدها الراحل، يتقدم بهذه المناسبة الأليمة بأحر التعازي إلى جميع علماء الأمة الأجلاء وأحبائه وتلامذته وأسرته الموقرة، راجين الله جل وعلا أن يتغمد فقيدنا الغالي برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

محسن الأراكي

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بيان جامعة المصطفى العالمية بقم المقدسة

بسمه تعالى

جامعة المصطفى العالمية

الرقم: ٢٠١/١٠٩/ص
التاريخ: ١٣٩٢/٠١/٣١
المرفقات: ندارد

انا لله وانّا اليه راجعون

بالغ من الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العلامة المجاهد آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي (قدّس الله سرّه) ، وقد ثلم في الإسلام بفقدان هذا العالم المجاهد ثلمة لا يسدّها شيء، وأوجد رحيله في صف المجاهدين في سبيل الله فراغاً لا يملؤه أية شخصية أخرى. وكان رحيله صدمة كبيرة للحوزة العلمية ولشعب بلاد الحرمين ولأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

و قد أمضى هذا العالم الجليل حياته في تلقي العلوم الإسلامية ونشرها. وكان في مقدّمة الذين دعموا الثورة الإسلامية. و في طليعة دعاة التجديد في الحوزات العلمية. ومن المهتمين بنشر الإسلام المحمدي الأصيل . وكان له حضوراً مستمرا في مجال هداية الشعوب المسلمة وإرشادها والدفاع عن القيم الإسلامية المتعالية. وكان متحلّياً بالوعي في هذا المجال. وقد استطاع بحكمته وذكائه وروحه الجهادية وبكلّ ما يملك من قوّة وقدرة وقابلية أن يؤلف الكثير من الكتب القيمة اتباعاً لنهج سلفه الصالح في الحوزات العلمية والعلماء والمجاهدين في سبيل الله . وبقي على عهده مع الإمام الراحل وقائد الثورة حتى فارق الحياة الدنيا والتحق بعالم الملكوت مخلّفاً وراءه الكثير من الباقيات الصالحات.

وأنا بدوري ونيابة عن جامعة المصطفى أقدّم أسمى التعازي لصاحب العصر والزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) ولمراجع التقليد العظام ولعلماء الإسلام وللحوزات العلمية ولا سيّما علماء وفضلاء بلاد الحرمين ولأسرة الفقيد المكرّمة ، وأدعو الجميع الى تمجيد هذه الشخصية الرفيعة. وأسأل الله أن يتغمّد الفقيد السعيد برحمته الواسعة. وأن يرزقه الدرجات الرفيعة. كما أسأل الله أن يفرج عن أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في بلاد الحرمين .

عاش سعيداً ومات سعيدا

علي رضا الأعرافي

جامعة المصطفى العالمية
ايران - قم شارع معلم
ص ب: ٤٣٩
رقم البريد: ٣٧١٥٩-٩٩٩٦٧
الهاتف: ٠٠٩٨٢٥١٧١١٧٢٧٣
الفاكس: ٠٠٩٨٢٥١٧١١٧٢٢٢
Al Mustafa
International University
P.O. Box 439
Mualim Blvd Qom Iran
Tel +98 251 7 17273
Fax +98 251 7 172222
Website www.miu.ac.ir
Email info@miu.ac.ir

بيان ديوان الوقف الشيعي بالعراق

ببالغ الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة آية الله العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي ذلك العالم البصري الذي نشأ نشأة علمية دينية عالية برعاية والده آية الله الميرزا محسن الفضلي ﷺ حيث كان منذ صغره مورد إعجاب الكثيرين وقد جمع بين الدراسة الحوزوية والدراسة الأكاديمية حتى صار علمًا من أعلام الفقه والأدب، ونحن في هذا اليوم إذا ننعى فقيدنا الشيخ عبد الهادي الفضلي ننعى نجمًا لامعًا وبيرقًا من أعلى البيارق.. إذ جمع في كتاباته بين الموسوعية والموضوعية فترك لنا تراثًا ثرًا يغني الباحث ويفتح الآفاق أمام المستقبل.

إن رحيل الفضلي خسارة كبيرة للعالم الإسلامي وللمكتبة العربية التي فقدت رجلاً وباحثًا يشار له بالبنان وعزائنا الوحيد بما تركه الفقيد من تراث إنساني وثقافي كبير.. نسأل الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة إنه سميع مجيب وإنا لله وإنا اليه راجعون ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

السيد صالح الحيدري

رئيس ديوان الوقف الشيعي

بيان حزب الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

انتقل إلى جوار ربه الفقيد العلامة سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي تغمده الله برحمته الواسعة الذي وافاه الأجل في المملكة العربية السعودية اليوم الاثنين، ٢٧ جمادي الأولى ١٤٣٤ للهجرة، الموافق ٨ نيسان ٢٠١٣ للميلاد.

كان الفقيد الراحل من رواد الحركة الإسلامية في العراق، ومن الرعيل الأول الذي انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية، وساهم مع آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر في بناء الحركة الإسلامية في العراق وقدم خدمات جليلة للمكتبة الإسلامية، وكان أحد أعلام الحوزة العلمية في النجف الأشرف والمحافل العلمية خارجها. كما إن المغفور له ساهم مساهمة فاعلة في إغناء الحركة العلمية في العراق وفي العالمين العربي والإسلامي وقد ترك عشرات المؤلفات القيمة واستمر في جهوده العلمية إلى آخر يوم من حياته الشريفة.

وبهذه المناسبة الأليمة يعزي حزب الدعوة الإسلامية الحوزة العلمية في النجف الأشرف وأبناء الحركة الإسلامية في العراق وجميع العلماء والمسلمين في أنحاء العالم برحيل هذا العلم الشامخ، سائلاً الله عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب.

حزب الدعوة الإسلامية - المكتب الإعلامي

٢٧ جمادي الاولى ١٤٣٤هـ - الموافق ٨ نيسان ٢٠١٣م

بيان حزب الدعوة الإسلامية تنظيم العراق وقناة المسار الأولى الفضائية

انتقل إلى رحمة الله العلامة والمفكر الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي عضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ بعد عمر حافل بالعطاء قضاه في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل صباح الاثنين بعد صراع طويل مع المرض دام لعدة أعوام.

للفقيد عدد كبير من المؤلفات المتخصصة باللغة العربية بوصفه أستاذًا فيها وكذلك هو من الحائزين على مرتبة الاجتهاد في الفقه الإسلامي، إذ تتلمذ على يد المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﷺ ورافق عددًا من كبار العلماء أمثال السيد محمد حسين فضل الله ـ طاب ثراه ـ وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ طاب ثراه.

وبهذه المناسبة الأليمة التي أفجعت قلوب الإنسانية نعى حزب الدعوة الإسلامية / تنظيم العراق رحيل العلامة الفضلي.

كما نعى كل من الأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية ـ تنظيم العراق السيد هاشم الموسوي ونائب رئيس الجمهورية د. خضير الخزاعي ومدير عام فضائية المسار الأولى الأستاذ حسن السعيد ورئيس الكتلة النيابية لحزب الدعوة الإسلامية / تنظيم العراق النائب خالد الأسدي، نعوا رحيل العلامة والمفكر الإسلامي الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ﷺ وأسكنه فسيح جناته.

وفي هذا الصدد تتقدم فضائية المسار الأولى بأحر التعازي للأمة الإسلامية والشعب العراقي برحيل العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي كان عالمًا ومجاهدًا ومزج بين العلوم الحوزوية والأكاديمية، نسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيد برحمته وغفرانه.

بيان جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عز من قائل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بأسى بالغ يعتصر القلوب، تلقينا نبأ الرحيل المفجع للمشرف العام لجامعة آل البيت عليهم السلام العالمية العالم الرباني سماحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي.

وبهذا المصاب الجلل نتقدم بالعزاء الخالص والمواساة لبقية الله الأعظم أرواحنا فداه وولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي ـ دام ظله الوارف ـ والمراجع العظام ـ أدام الله بقاءهم ـ والحواضر العلمية والحوزات الدينية وأهله وذويه وللأمة الإسلامية جمعاء.

فهو علم من الأعلام التي طالما رفرفت فوق أعالي القمم، ومشعل أضاء القلوب والعقول بعلمه وعمله وفكره وتقواه وكلماته وحروفه، وهو طود شامخ ضربت جذوره عمق الأرض مستلهمًا هدي السماء بروحه السمحاء.

أيها الشيخ الشامخ، بفقدك فقدنا أبًا حنونًا وحضنًا دافئًا طالما وقانا من حر الصيف وبرد الشتاء.

نم قرير العين، فصرحك المتمثل في جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية الذي رويته بعلمك وفكرك وهديك، سيواصل الدرب مستنيرًا بالنور الذي أودعته ما بين الدفتين.

رحمك الله أيها العالم المتقي، وحشرك مع محمد وآله الطيبين الطاهرين.

جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية

الثلاثاء ٢٧ - جمادى الأولى - ١٤٣٤ هـ ق. قم المقدسة

بيان مركز الغدير للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

«إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء».

الإمام الصادق عليه السلام

بكامل الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى، تلقينا نبأ وفاة العلّامة المجاهد والفقيه العامل الأُستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي قدس سره.

لقد كان العلّامة الفضلي منارةً من منارات العلم والمعرفة والوعي والبصيرة، وكان امتداداً لمدرسة أُستاذه الشهيد السعيد الإمام السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره، ولا غرو أن يصادف رحيله ذكرى استشهاد أُستاذه الشهيد الصدر، فقد كان من أبناء هذه المدرسة الجهادية والعلمية، وقضى عمره الشريف في رفد المكتبة الإسلامية بمجموعة رائعة من الكتب والمصنّفات المتنوّعة في العلوم الإسلامية المختلفة.

إنّ رحيل هذا الرمز الكبير مأساة عظيمة تدرّ الدمعة وتكسر الفؤاد، وكلّنا أمل في أن يمنّ الله على الإسلام والمسلمين بأمثال هؤلاء العلماء الصالحين.

ومركز الغدير للدراسات والنشر إذ ينعى هذا العالم الفاضل يفتخر في علاقته الوطيدة التي كانت تربطه به، ويعتزّ بمساهمته في نشر مجموعته العلمية الكاملة، خدمةً للدين والإسلام والحقّ، كلّ ذلك يكون عربون وفاء لهذا الفقيه المجاهد مقابل خدماته الكثيرة للفكر والمعرفة والإنسان.

إنّنا إذ نعزّي الأُمّة الإسلامية، وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأُسرة الفقيد الكرام، نسأل الله تعالى لفقيدنا الجليل الرحمة والرضوان، وأن يحشره مع أئمته الكرام محمّد وآله الطاهرين. إنّه قريب مجيب الدعاء.

أسد الله حسني

مدير عام مركز الغدير للدراسات والنشر

لبنان - بيروت

بيان مؤسسة كاشف الغطاء العامة ـ النجف الأشرف

العدد: ٦٢٩
التاريخ: ٢٠١٣/٤/٨

وَما كانَ قَيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحِدٍ   وَلكنَّهُ بُنيانُ قَومٍ تَهدَّما

نعزّي الأمة الاسلامية والحوزات العلمية بفقد علَم من اعلام الفضل واساطين الفكر ذلكم هو سماحة العلامة الكبير والكاتب الإسلامي المعروف الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

طيَّب الله رمسه وقدّس نفسه ذلك العَلَمُ الشامخ الذي أغنى المكتبة العربية والإسلامية بروائع الآثار النافعة والتي مازال الكثير منها يُدَرّسُ في الحوزات العلمية.

اجلْ فقدنا برحيل شيخنا الفضلي رُكناً شامخاً من اركان الفضل والفضيلة وقد عزّ على جميع تلامذته وعارفي فضله أن يرحل عنهم في الوقت الذي هم بأمسّ الحاجة إلى توجيهاته العلمية وآرائه الصائبة في المناهج الدراسية والبحوث العلمية وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم مؤسسة كاشف الغطاء العامة بتقديم أحرّ التعازي إلى صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) ومراجع الدين العظام والأمّة الإسلامية والحوزات العلمية والمعاهد والجامعات كما تُعزّي اهله وذويه، تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جنته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قَدْ هُدَّ رُكْنُ الفَضْلِ فَقْدَ عَميدِهِ   فَخْرِ الأماثِلِ صَفْوَةِ الأمجادِ
وبِمُنتَهى الأسَفِ[1] الأحِبَّةُ أرَّخوا: عَمَّ الأسى بِغِيابِ عَبدِ الهادي
٨٠   ١١٠   ١٠٢   ٢٠١٥   ٧٩   ٥١

سنة ١٤٣٤هـ

النجف الأشرف ـ مؤسسة كاشف الغطاء العامة

(١) في عبارة (وبمنتهى الأسف) تورية طريفة بإدخال قيمة الحرف (ف) وهو (٨٠) إلى مجموع التاريخ وبه يتم القصد.